د. محمد سعيد المكاوي

المرأة المسلمة قيود بلا إهانات

فبراير 2023 - رجب 1444



المرأة المسلمة : قيود بلا إهانات



دكتور/ محمد سعيد المكاوى

الناشر: منصة أمازون للكتب الرقمية

رقم أمازون : ASIN: B0BVGLQR5H

10 فبراير 2023م

المؤلف



دكتور/ محمد سعيد المكاوى ، باحث فى قضايا الفكر الإسلامى. ولد عام 1976م بمحافظة المنوفية فى مصر. تخرج من كلية الطب عام 2000م. حصل على الدكتوراة فى طب الأطفال عام 2011م ، ويشغل حاليا منصب أستاذ مساعد طب الأطفال بكلية طب المنوفية. نشر للمؤلف عدد من الأبحاث فى المجلات الطبية الدولية ، وعدد من الكتب فى الفكر الإسلامي. يرى المؤلف أن الإسلام في هذه اللحظة الخطيرة يقف على مفترق طرق: فإما أن يسود ويتمدد ، وإما أن ينحدر ويندثر ، وإما أن يتحول إلى دين باهت كالنصرانية التي لا تفعل أكثر من الانحناء للعلمانية. وليس من شأن المسلم أن يتنبأ بالمستقبل ، بل واجبه أن يعمل بأقصى طاقته. والكلمة الأخيرة لله وحده.

هذا الكتاب

هذا هو الكتاب الثالث الذي يتناول قضايا المرأة. وما دفعنا لتأليف هذه السلسلة ليس كراهية النساء، ولا الرغبة في الانتقام من امرأة بعينها، وإنما إدراك أن طبيعة المعركة ضد الإسلام تغيرت في السنوات القليلة الأخيرة، فبعد أن انكسر هجوم الإلحاد الضاري تصاعدت نغمة الدفاع عن حقوق المرأة بشكل غير مسبوق، وكأن نفس الأيادي الخفية قد استبدلت سلاحا بسلاح لتحقيق نفس الهدف المتمثل في حصار الإسلام. هذه الأيادي الخفية تعمل من وراء الستار لتحريض المرأة، ودفعها للتمرد على زوجها وأسرتها وشريعة ربها. وما المذيعة المشهورة – التي تسببت في طلاق عشرات الآلاف من النساء– إلا أداة تستعملها جهات مشبوهة لتفكيك الأسرة، وهدم المجتمع المصري المسلم من الداخل حتى يكون لقمة سائغة في فم اليهود. وإن سقطت مصر تبعتها بقية البلاد الإسلامية، وهذا ما يحدث الآن بالفعل. ولا يقف الأمر عند حد التآمر على العالم الإسلامي، فالمخطط يرمي إلى تدمير الجنس البشري كله. إن حكومة العالم الخفية بزعامة اليهود والماسون تقدم دعما بلا حدود للمرأة، والهدف الظاهر هو إنصافها من جور الرجل، لكن الهدف الحقيقي هو قلب فطرة الله التي فطر الناس عليها، وذلك بإخراج المرأة من بيتها، وسلخها عن وظيفتها الأساسية في رعاية أسرتها، وتحويلها إلى مخلوق مشوه، لا يختلف عن الرجل. وفي نفس الوقت يتم إضعاف الرجل، وإذلاله، وتحويله إلى كائن يشبه المرأة. إنه مسخ، وعبث بخلق الله ومحاولة للقضاء على البشرية، وهذا هو الهدف النهائي لإبليس الذي يعبده الماسون، ويمول أنشطته اليهود. وتراهم يخوضون الآن معركة حياة أو موت من أجل فرض الشذوذ الجنسي على العالم كله، وما حدث في كأس العالم بقطر مخيف لأقصى حد، فقد هب الغرب عن بكرة أبيه ضد الفاشية الإسلامية التي تعارض أي لون من ألوان التعاطف مع الشواذ! ونفس الجهات التي تدعم الشذوذ هي التي تدعم المرأة، وكل ما في الأمر أنهم ربحوا بشكل نهائي معركة المرأة في الغرب، فتقدموا خطوة أبعد لخوض معركة الشذوذ، لكن العالم الإسلامي الأكثر تمسكا بدينه لا يزال يقاوم التحرير الكامل للمرأة، ولهذا لم تبدأ معركة الشذوذ بعد على أرضنا بشكل حقيقي. ونفس الجهات المشبوهة التي تناصر المرأة هي التي تحارب الزواج المبكر، وتنشر العري والإلحاد وما بعد الحداثة وعبادة الشيطان وفيروس كورونا. وهي أيضا التي تصل الليل بالنهار من أجل إشعال حرب عالمية ثالثة بسبب الغزو الروسي لأوكرانيا. إننا نشهد الآن صراعا عالميا في غاية الضراوة، والكلام عن اقتراب ظهور المسيخ الدجال لم يعد من قبيل الأساطير. والمحزن حقا أن المسلمين نائمون، بما في ذلك كبار المثقفين الإسلاميين الذين ينظرون للأمور من منظور ضيق جدا. في هذه الظروف العصيبة أقل ما يمكن أن نفعله هو تأليف كتاب يُذكر المسلمين – ويذكر النساء على وجه الخصوص– بأننا مسلمون، وأن لله تعالى شريعة، وأن شريعته فرضت قيودا على المرأة، وأن المرأة المسلمة لا يمكن أن تتساوى مع الرجل إلا إذا ارتدَّت عن الإسلام. هذا هو الإسلام، فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر. وأنا على يقين أن ضربة قوية ستنزل عما قريب على حكومة العالم الخفية، وهذا هو وعد الله الأول، الذي بشرت به سورة الإسراء. وهذه الضربة ستأتي من شعب مسلم ذي بأس شديد. لا يهمني ما اسم هذا الشعب. المهم أنه شعب مسلم. وأدعو الله عز وجل أن يجعلني واحدا منهم يوم يدخلون فلسطين فاتحين. رب إما تريني ما يوعدون، رب فلا تجعلني في القوم الظالمين. نسأل الله الهداية.

الفهرس

في وجه عاصفة التحليل

من أهم التغيرات التي طرأت على حياة المسلمين في السنوات الأخيرة الضيق الشديد بالقيود. والإنسان بطبعه لا يحب أن يتقيد بشيء، ولديه ميل دائم لمخالفة القواعد، حتى لو كان يعلم أنها في صالحه. لكن **الجديد أن الناس صاروا يرفضون من حيث المبدأ شرعية وجود أي قيود على حريتهم، أو حدود لسلوكهم مهما كانت المبررات.** لقد طارت عقول المسلمين، ومحيت فكرة الحرام من أذهانهم، **وباتوا يعتقدون أن كل شيء حلال، ولا وجود لمفهوم الحرام إلا في أوكار تنظيم داعش.** إن حدثهم أحد عن الحرام سارعوا إلى الهجوم عليه، ورموه بالتطرف، وطالبوه بالدليل، وشككوا في مصدر فتواه، وأحالوه إلى شيوخ هم أول من يعرفون أنهم من أهل النفاق.

يا لها من مصيبة؛ مصيبة أن يظن الناس أن الدين ما جاء إلا ليبيح كل شيء، وأن الإله الرحيم يستحيل أن يضيق على أحد في شيء. **ونحن نقول: لو كان الإسلام دين يسر فقط لجعل صوم رمضان فى الربيع، ولجعل البيت الحرام في لبنان. لو كان الإسلام دين يسر فقط لخلت الشريعة من الجهاد، والزكاة، وصلاة الفجر.**

الإسلام لا يخلو من التشدد. وهذا **التشدد جزء من منظومة الوسطية، فالمبالغة في التحليل تدخل في باب التطرف، تماما مثل المبالغة في التحريم.** ومن غير المعقول أن نقول للرياضي: "ستربح البطولة دون مشقة التدريب". والقول المأثور يؤكد أنه "لا مكسب بلا ألم". وبالمثل **لا بد أن يتألم المسلم حتى يربح الجنة، وعلى قدر المشقة يكون الثواب:** {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ} [البقرة: 214].

والمأساة أعظم في حالة المرأة المعاصرة التي كسرت كل القيود، وقطعت كل الأغلال، في ظل تشجيع متواصل من الإعلام، الذي نفخ فيها، وضخم من شعورها بقيمتها، وجعلها تعتقد أنها مخلوق طاهر، مقدس، ملائكي، لا يُسأل، ولا يُحاسب، ولا يُؤمر. **لقد جعلوها تعتقد أن العصر تغير، وأن تعاليم الدين لم يعد لها مكان إلا في بطون الكتب، وأن الواقع المعاصر أوسع من أن تملأه نصوص القرآن وأحاديث الرسول وأصول الفقه البالية،** وأنه لا مناص من صم الآذان أمام كل صوت يجر المرأة إلى الخلف.

وهنا نقطة بالغة الأهمية: **إن المرأة المعاصرة لم تقطع صلتها بالدين، فهي لا تزال تؤمن بالله، وتصلي، وتصوم، وتقرأ القرآن، وأحيانا ترتدي النقاب، لكنها عمليا تتصرف بفكرها ورأيها وأهوائها، وكأن الله قد وثق فيها، ومنحها العقل ليكون بديلا عن القرآن والسنة.** ومن هنا أتت فكرة هذا الكتاب، ليكون صرخة في وجه تيار التساهل والتحليل الذي يجرف في طريقه كل ثوابت الدين. إننا نهتف بأعلى صوت: **الإسلام لم يأت للمرأة بالحرية المطلقة. المرأة مقيدة ومكبلة، ليس بهدف التضييق عليها وإهانتها وكبتها، ولكن بهدف صيانتها، والحفاظ على المجتمع.** المرأة المسلمة ليست مكبلة تماما، وليست حرة تماما؛ هي وسط بين هذا وذاك. وسينصب جهدنا الأكبر في هذا الكتاب على إبراز القيود التي فرضها الإسلام على المرأة، فلكل فعل رد فعل. ولا مفر من أن نبرز قيود الدين في مناخ لا حديث فيه إلا عن الحريات. نحن نحاول ضبط الميزان الذي اختل.

وأعترف أنني ترددت كثيرا طوال إعدادي لهذا الكتاب، فقد **خشيت أن يقع هذا الكتاب في يد امرأة أجنبية، فتظن أن الإسلام يعادي المرأة،** مع أن الكتاب لا يفعل أكثر من صد هجوم بدأته المرأة المعاصرة على الدين. يجب أن تفهم مثل هذه المرأة أنها **إن أرادت أن تعتنق الإسلام، فعليها أن تعتنق الإسلام كما أنزله الله، وليس كما تريده المنظمات الدولية والماسونية العالمية.** ما فائدة اعتناق امرأة لإسلام مشوه؟ هذا ليس نصرا للإسلام. وفرحنا بمثل هذه المرأة هو مشاركة لها في جريمة تحريف الإسلام.

لقد أضحت قضية المرأة سهما موجها إلى قلب الإسلام. وحكومة العالم الخفية ألقت بكل ثقلها على جبهة المرأة. **وإن انتصرت المرأة فلن تكون النتيجة هزيمة الرجل، بل هزيمة الإسلام، وانتصار الشيطان في العالم كله.** وأنا أعني بكلمة الشيطان مدلولها الحرفي، أي ذلك المخلوق الغيبي الذي لا نراه، والذي يكره آدم وذريته، ويريد أن يدمر الإنسان، ويثبت أنه لا يستحق تكريم الله.

وليعلم القاريء أنني ما ألفت هذا الكتاب، وما سهرت من أجله الليالي لأنني أعادي المرأة، أو أرغب في الانتقام من امرأة طغت عليّ بمعونة القوانين الجائرة، فمن الوقاحة أن يتكلم الإنسان في دين الله كي ينتصر لنفسه. وأعلم أن الكتب التي ألفت عن المرأة أكثر من أن تحصى. وأعلم

أن هذا الكتاب قد يهمَل، ويتوه في زحام المؤلفات، لكن ليس بوسع المسلم أن يصمت إن ضل الناس. الكلام في هذه الحالة فرض عين، والصراخ واجب على كل فرد، و«لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ». متفق عليه. أسأل المولى عز وجل أن يعصمنا من الزلل، وأن يتقبل هذا العمل، وأن يفتح له القلوب، وأن يجعله حجة لنا، لا علينا.

د. محمد سعيد المكاوي

mekkawy55@gmail.com

فبراير 2023- رجب 1444هـ

الباب الأول : الحركة النسائية في أحضان الشيطان

مَن الأفضل: الرجل أم المرأة؟

تؤكد الحركة النسائية أن المرأة ليست أقل من الرجل، فهي تملك نفس القدرات العقلية والروحية – بل حتى الجسدية– التى للرجل، فأى شيء يعوقها عن الوصول إلى القمة في العلم، والأدب، والسياسة، والرياضة، والتجارة؟ بل إن لدى الكثيرات يقين راسخ بأن المرأة هي الأصل، والأرقى، والأَوْلى بالقيادة، وأن العالم سيصبح أفضل إن تنحى الرجل، وتركها تدير الدفة.

وهنا يبرز سؤال محوري: من الأفضل: الرجل أم المرأة؟

يؤكد الرجل أنه الأفضل، وتؤكد المرأة أنها الأفضل. ويحار المرء بين مزاياه ومزاياها. **ولا سبيل لإصدار حكم قاطع إلا بالبحث عن معيار مطلق للمفاضلة بين الناس.** ترى ما هذا المعيار؟ اقرأ، وتمهل.

لا يوجد إنسان متفوق في كل المجالات. لا يوجد شخص عبقري في الأدب والفلسفة والطب والفيزياء والكيمياء وعلوم الدين؛ وهو في نفس الوقت رجل أعمال ناجح؛ وقيادي فى حزب سياسي؛ ولاعب كرة محترف؛ وبطل في رفع الأثقال؛ وفى أوقات الفراغ يمارس هواية الرسم والنحت والغناء والعزف؛ وهو فوق كل هذا وسيم، وقام ببطولة أفلام سينيمائية مشهورة.

مثل هذا الشخص الخيالي لم يقابله أحد، **وكل إنسان له نصيب من النجاح والإخفاق، ويحمل مزيجا من النعم والنقم. فأي الناس أفضل:** الغني أم العالم أم الشاعر أم الفنان أم لاعب الكرة أم السياسي أم الرياضي أم الفقير المرتاح البال؟ اختلفت الإجابات:

نجم السينما يرى أنه أهم شخصية في المجتمع. وذات مرة قال ممثل مشهور أنه إن وقف يوما بجوار أحد الوزراء، فقد يجهل كثير من الناس الوزير، لكن من المستحيل أن يجهل أحدهم هذا النجم.

ورؤساء الدول يعتقدون أنهم أهم شخصيات في المجتمع، فهم الذين يحددون مصائر الشعوب، وعندهم كل الأسرار، وأخبارهم تتلقفها وكالات الأنباء.

والصحفي يرى أنه أهم من رئيس الدولة، فهو قادر بقلمه على إقناع الجماهير بالهتاف للرئيس من أعماقها. وكان الصحفي محمد حسنين هيكل يتكلم كما لو كان هو صانع مجد الرئيس جمال عبد الناصر، وأن عبد الناصر لم يكن سوى واجهة جماهيرية لفكر هيكل.

والعالِم يرى أن الفنانين والمطربين ولاعبي الكرة نكرات، وأن العلماء يجب أن يكونوا وحدهم نجوم المجتمع، فلولاهم ما كان للبشر أن يخرجوا من الكهوف.

ولاعب الكرة يعتقد أنه يتربع على القمة، فهو إذا نزل الملعب زحف وراءه آلاف المشجعين، وتسمر الملايين أمام الشاشات.

ورجل الأعمال يسخر من كل هؤلاء البلهاء، لأنه عرف كيف يجمع ثروة طائلة، وضعت كل متع الحياة تحت قدميه، وصار يمتلك الصحف والقنوات الفضائية، ويجمع فى صالونه نجوم المجتمع ليلقنهم دروسا فى الفكر والثقافة.

وطلبة الجامعات يتفاخر كل منهم بكليته، فطالب الطب يعتبر نفسه الأفضل لأن كليته لا يدخلها إلا أصحاب أعلى الدرجات في الثانوية العامة، بينما يؤكد طالب الهندسة أن كليته أفضل لأنها تتطلب أعلى مستويات الذكاء.

ويبقي السؤال: أي هؤلاء هو الأفضل عند الله؟

ونحن نقول: **الأفضل هو الأكثر تقوى.** قال تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: 13]. الأفضل عند الله هو من يعمل من أجل الله. أما من يعمل من أجل الدنيا، فسينال ما يريد فيها، ولا حَظَّ له في الآخرة؟

ليس من حق الإنسان أن يفخر بإنجازاته، لأنه **لا أحد منا خلق نفسه ومخه ومواهبه.** نحن جميعا نتاج إرادة الله، الذي ألقى بكل منا إلى الوجود في ظروف خاصة، ومنحه ملكات خاصة. فكل من النجاح والإخفاق مرده فى الحقيقة إلى الله.

هل يحق لآينشتين أن يفخر بأنه أذكى عالم عرفه التاريخ؟ لا، لأنه لم يخلق عقله، بل الله. وكان من الممكن أن يصاب آينشتين في طفولته بعدوى فيروس، يدمر مخه، ويجعله مجنونا؟

وهل يحق لنجمة الأُسْكار أن تفخر بجمالها؟ لا، لأنها ليست هي التي خلقت وجهها، بل الله. وكان من المحتمل أن يُحدث الله تعالى طفرة في أحد جيناتها، فتولد بتشوه في وجهها. وكان من الممكن أن يحترق بيتها يوما، فتمسك النيران بجسدها، لتحيا على الذكريات؟

وهل لأم كلثوم أن تفخر بصوتها الجميل؟ هل هي التي خلقت حنجرتها أم الله؟ وماذا كان بوسعها أن تفعل لو ولدت بشلل في الأحبال الصوتية، يجعل صوتها كنهيق الحمير؟

وهل يجوز لمحمد صلاح أن يفخر بمواهبه الكروية؟ هل هو الذى خلق أعصاب مخه بتلك الكفاءة التي تجعله يتحكم في عضلات ساقه بحيث توجه الكرة بدقة؟ ألم يكن من المحتمل أن يبتليه الله بمرض ضمور العضلات، فيعيش مشلولا؟ ألا يمكن أن تنقلب سيارته يوما، فتبتر ساقه، وينساه الجميع؟

وهكذا فكل ذي موهبة لا يحق له أن يفخر بموهبته لأنه لم يخلق هذه الموهبة لنفسه، ولا يضمن بقاءها معه. **حقا يمكن للإنسان أن ينمى مواهبه بالعزيمة والمثابرة، لكن هذا لا يضمن له النجاح**، فلا شيء يحدث فى الكون إن لم يرده الله. كما أن المثابرة تخضع لسيطرة الله، فالله يمكن أن يقوي عزيمة الإنسان، ويمكن أن يصيبه بالإحباط طبقا لحكمته عز وجل، بدليل قوله تعالى: {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ} [النحل: 127]، وقوله: {وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ} [التوبة: 46]. كما أن كثيرا من الناس يبذلون قصارى جهدهم من أجل التفوق، لكن الله تعالى يضعهم فى ظروف، تعرقل طموحاتهم لحكمة ارتآها. أحد الطلبة الأذكياء مثلا توفي والده قبل الامتحان بيوم فأثر ذلك بشدة على درجاته فى الامتحان. وكان عمى فى صغره يتمتع بالذكاء وحب الدراسة وحسن الخط، لكن الأسرة افتقرت فى إحدى السنوات، فاضطر لترك المدرسة، ولولا ذلك لكان له شأن آخر. ورأينا مفكرا شابا متميزا، تعطلت مسيرته الفكرية لما ألقى به فى السجن ظلما لسنوات طويلة.

وهناك أيضا عامل الإلهام الذى يأتي من الله، **فقد يتساوى عالمان فى الذكاء، لكن الله يلهم أحدهما بنظرية، تغير وجه التاريخ، ولا يكتشف الآخر شيئا**، أو يكتشف نظرية عبقرية، لكن تثبت التجربة خطأها. **إذن كل شيء يحدث فى الكون يتم بقرار من الله، بما فى ذلك النجاح**

والشهرة، وبالتالي لا يحق لأحد أن يفخر أو يتكبر. والمعيار الوحيد للتفاضل بين الناس هو التقوى.

صاح أحدهم غاضبا: "أنا أحدثك عن آينشتين وباستير وبيتهوفن وشكسبير وطه حسين وأم كلثوم، وأنت تأتى لتشطب كل هذه الأسماء بجرة قلم، وتحدثني عن التقوى؟" قلت له: لست أنا الذى أصدر هذا الحكم، ولكنه الله، خالق العباقرة، الذي قال لنا: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: 13]. فإن كنت لا تؤمن من الأصل بوجود الله فأخبرني حتى نبدأ النقاش من نقطة الصفر.

التقوى هي الشيء الوحيد الذي يستحق الإنسان أن يُمدح به، وذلك لأن الإنسان لم يرث التقوى بل صنعها لنفسه. صحيح أن الله تعالى يضل ويهدى إلا أن ذلك يتم كتعديل لما هو قائم بالفعل. بعبارة أخرى: الله تعالى يهدي من يستحق الهداية، ويضل من يستحق الضلال، قال تعالى: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} [محمد: 17]، وقال: {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا} [البقرة: 10]. كما يمكن لله تعالى أن يلقى بالهداية إلى إنسان لا يستحقها لأنه عز وجل يعلم أنه سيمل سريعا منها، ويفضل العودة إلى الضلال، وهنا تكون الهداية نقمة، لا نعمة.

ثم إن أي موهبة أو نعمة ما هى إلا اختبار من الله. قال تعالى: {وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ} [الأنعام: 165]. وقال: {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [الكهف: 7].

وطبقا لهذه النظرة ستنقلب معايير راسخة في حياة الناس:

على المرأة الجميلة أن تدرك أن جمالها مجرد اختبار، ولا يحق لها أن تفخر به في ذاته، فإن استغلته فى إدخال السرور على زوجها أفلحت، وإن استغلته في إغراء الرجال خابت.

والعالم الذي لا يمل من الحديث عن مجده العلمي عليه أن يعلم أنه يحاول كسب قضية خاسرة، فالعلم ابتلاء من الله للنابغين ليرى هل يستغلونه في رفع شأن الإسلام والمسلمين أم لا. ولو كان المسلمون هم أصحاب الثورة العلمية المعاصرة لما كان لنظرية ساقطة مثل نظرية التطور أن

تسود كما لو كانت من المسلمات. فمن الأفضل للعالِم أن يقول: "سبحان الله "، لا أن يقول: "سبحاني". أجدر به أن يكلمهم عن إبداع الله، لا أن يكلمهم عن عظمة إنجازاته.

وعلى رجل الأعمال أن يدرك أن المال مجرد اختبار، والإنسان ليس إلا خليفة لله فى المال، فإن أنفقه فيما ينفع الناس رضى عنه ربه، وإن استخدمه فى الإفساد كان عليه وبالا يوم القيامة.

ما أسهل أن تلقى عبقريا ناجحا، وما أصعب أن تقابل تقيا ورعا، فتحصيل العلوم أيسر من اكتساب التقوى. والعكوف على الكتب لمدة شهرين استعدادا لأحد الامتحانات أسهل كثيرا من تصرف بسيط كالصفح عن إنسان أهانك. **إن نبوغا بلا تقوى لا قيمة له.** وما أحقر عالما فاز بجائزة، فما زادته إلا تعاليا. وما أسوأ وزيرا يخجل من عائلته الفقيرة. وما أحقر شاعرا يُسخر قريحته لتأييد حاكم جاهل. ولست أبالغ إذا قلت أن غالبية المبدعين بلا أخلاق.

نخلص مما تقدم إلى أن المبدعين ليسوا أهلا للفخر بإبداعهم. و**التقوى هي الشىء الوحيد الذي يرفع الإنسان عند الله لأنها الشى الوحيد الذى صنعه الإنسان لنفسه بحق.** ومع ذلك فالإنسان التقى لا يجوز له أن يتفاخر أمام الناس بتقواه، لأنه ينتظر جزاء التقوي من الله وحده في الآخرة. **وحتى علماء الدين الأفذاذ لا يحق لهم أن يفخروا بإبداعهم، وكل ما سيبقى لهم هو النية والإخلاص،** فرجل مثل أبى حامد الغزالي لن يثيبه الله تعالى على كتابه الشهير" تهافت الفلاسفة" بسبب قوة حجته أو روعة أسلوبه، فالله لا يعنيه من هذا الكتاب إلا نية الغزالي، وهل ألف كتابه كي يصبح مشهورا أم بدافع الذب عن دين الله. وبالمثل كل علماء الدين الكبار مثل والبخارى ومسلم ومالك والشافعى وابن حنبل وأبي حنيفة وابن تيمية وابن القيم وابن حزم وأبي حامد الغزالي ومحمد عبده وسيد قطب والمودودى والعقاد ومحمد الغزالى والشعراوى ومصطفى محمود والألباني، كل هؤلاء لن يفاضل الله بينهم على أساس العبقرية في فهم الدين، وذلك لأنه تعالى خالق هذه العبقرية، فأفضلهم عند الله هو من كان يبتغي بكتبه وجه الله.

وتحضرني آية مدهشة تقول: {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} [البقرة: 269]. إن هذه الآية تؤكد أن ما لدى العلماء من حكمة مصدره هو الله، ولكن هذه الحكمة لا تكفى وحدها، فإن لم يكن المرء من أولى الألباب – أي من أصحاب العقول– فسينسى هذه الحكمة في بعض اللحظات، فتجد عالم دين يملأ وسائل الإعلام

بكلام رائع عن الأخلاق والزهد في الدنيا، فإن قابل حاكما فاسدا كال له المديح، وإن استضافته مذيعة متبرجة جلس أمامها كالمراهق.

إننا لا نحارب الإبداع، لكننا نكره أن يكون الإبداع هدفا في ذاته، ونرفض أن يكون مدعاة للفخر والغرور، وننادي بأن يكون وسيلة للتقرب من الله.

وبعد هذه المقدمة الطويلة أصبح من السهل أن نجيب: من الأفضل: الرجل أم المرأة؟

الأفضل هو الأتقي بصرف النظر عن جنسه. المرأة التقية أفضل من الرجل الفاسق، والرجل التقي أفضل من المرأة الفاسقة. إن **مبدأ «الأتقى هو الأفضل» يمثل رصاصة فى قلب الحركة النسائية.**

ومن الملاحظات الخطيرة أن القرآن ذكر التقوى كمعيار للمفاضلة بين الناس فى سياق الحديث عن خلق البشر على شكل ذكر وأنثى: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِير} [الحجرات: 13]. **فكأن الله تعالى يستبق بهذه الآية مقولات الحركة النسائية بأكثر من ألف عام، ويأمرنا ألا نسمع لهم، لأنه عز وجل لم يخلق الذكر ليكون أفضل من الأنثى، ولم يخلق الأنثى لتكون أفضل من الذكر، فالأفضل عنده هو الأتقى.** إن هذه الآية الرائعة تحطم أحد أهم الصراعات البشرية فى التاريخ الحديث، ألا وهو الصراع الاجتماعي بين الرجل والمرأة.

وإن شئنا أن نرتب أفكارنا في نقاط لقلنا أن **هناك عدة مبادىء إسلامية تنسف من الأساس فكر الحركة النسائية:**

1. قال تعالى: **{إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}** [الحجرات: 13]. فالأتقى هو الأكرم سواء أكان ذكرا أم أنثى. الأتقى هو الأكرم، وليس الأذكى، ولا الأغنى، ولا الأجمل. وهذا يعنى أن المرأة التقية أفضل عند الله من الرجل العاصي، والرجل التقى أفضل عند الله من المرأة العاصية. **هذه الآية تصيب الحركة النسائية بالشلل الكامل.**

2. قال تعالى: **{وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ}** [لقمان: 18]. وقال: **{وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا}** [الإسراء:

37]. وكل أنصار الحركة النسائية على العكس من ذلك يفوح من أقوالهم وأفعالهم زهو كبير وغرور مقيت بما حققته المرأة من إنجازات. و**بدون التباهي والاستعراض تموت الحركة النسائية إلى الأبد.**

3. قال تعالى: {**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ**} [الأنعام: 165]. هذه الآية تعنى أن الله تعالى رفع بعض الناس على بعض في مختلف النواحي كالذكاء والمال والجمال والسلطة والمنصب والصحة. وكل هذه النعم ليست إلا ابتلاء من الله ليرى كيف يتصرف الإنسان فيها. وبفرض أن المرأة تتفوق على الرجل فعليها أن تستغل قدراتها لإرضاء الله، لا أن تكتفي بأن تفرح بما أوتيت كما فعل قارون، الذي قال عنه القرآن: {إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ} [القصص: 76]. **والحقيقة أن نجاح المرأة المعاصرة ليس سوى فخ نُصب لها، فرضيت أن تقع فيه بكل سرور!**

4. إن شعرت المرأة المعاصرة بالغضب من تفضيل الشريعة الإسلامية للرجل، ومنحه زمام قيادة الأسرة والدولة، فلتعلم أن هذا ليس تفضيلا حقيقيا، **فالفضل الحقيقي يأتى من الله فى الآخرة. وفى هذا يتساوى جميع المحسنين بصرف النظر عن الذكورة والأنوثة.** قال تعالى: {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ} [آل عمران: 195]. وقال أيضا: {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا} [النساء: 124]. وقال كذلك: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل: 97]. وقال: {مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ} [غافر: 40]

وهذه المجموعة الأخيرة من الآيات تؤكد أن الحركة النسائية تخوض معركة خاسرة من البداية لأن المرأة تملك نفس الحرية التي عند الرجل، ولذا فهي قادرة على عمل الخير، والتقرب إلى الله بلا حدود، وهذا يجعلها مستحقة لنفس جزاء الرجل فى الآخرة. فماذا تريد المرأة بعد ذلك؟

هب أن صاحب شركة عين رجلين، أحدهما عامل ينظف دورات المياة، والآخر مديرا عاما، ثم جعل لكل منهما نفس الراتب كل شهر إن أدى عمله على أكمل وجه. أفليس هذا عين الكرم؟ أليس من الكرم أن يُعامَل المرءوس كما يُعامَل الرئيس؟ **أوليس من الكرم أن يميز الله الرجل فى الدنيا بأن يجعله رئيسا للمرأة، ثم يعطيه في الآخرة جزاء مماثلا للمرأة التي كانت مرءوسة له إن تساويا في التقوى؟ ولو كان الله تعالى قد أخبرنا أن جزاء المرأة في الجنة سيكون نصف جزاء الرجل لكان من حق المرأة أن تغضب.** وهكذا فتفضيل شريعة الإسلام للرجل ليس تفضيلا حقيقيا على الإطلاق، و**ثورة المرأة على الشريعة تنبع من خلل فى فهمها لدينها، وليس من ظلم الله لها.**

5. **تسعى الحركة النسائية إلى تحقيق المساواة التشريعية الكاملة بين الرجل والمرأة.** وشيء كهذا مستحيل في الإسلام، فالله تعالى يقول: {وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى} [آل عمران: 36]. وكثير من قوانين الشريعة الإسلامية مبني على وجود فروق جسدية ونفسية واجتماعية بين الرجل والمرأة. وتجاهل هذه الفروق يدخل في باب الحماقة. وإن قالت الحركة النسائية أن الزمن تغير، ولم تعد المرأة تختلف عن الرجل، قلنا لها إن المرأة حين حاولت أن تثبت أنها مساوية للرجل اضطرت للخروج من جلدها، وتنازلت عن أنوثتها، وتخلت عن أدوارها الطبيعية، كما حدث حين أقلعت عن الحمل وتربية الأطفال، فتركت أوطانا مهددة بالانقراض كما نرى الآن في أوربا. فتبا لهذه المساواة التي تؤدي إلى تغيير خلق الله.

6. **ترى الحركة النسائية أن المرأة يجب أن يكون لها نفس مكانة الرجل داخل الأسرة، وأن المرأة السوية يجب أن تتمرد على زوجها، مع أن الله تعالى جعل الرجل رئيسا للمرأة، ومنحه الحق في عقابها:** {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا} [النساء: 34]. إن رفض الحركة النسائية القاطع لمبدأ القوامة، الذي يعطي الرجل سلطة على زوجته يصطدم بشكل مباشر مع القرآن والسنة.

7. **الحركة النسائية تُفرق الأسرة، فتُمزق المجتمع بدرجة لا تقل خطورة عن تفتيت الدول إلى أقليات دينية وعرقية.** وتعالِي نغمة حقوق المرأة مسئول بشكل مباشر عن الخلافات الزوجية، والارتفاع الجنوني لمعدلات الطلاق. وإن ضاعت الأسرة انقسم المجتمع، ثم سقطت الأمة سياسيا. كما أن الإنسان الغارق فى مشاكله الزوجية لن يكون لديه وقت للعمل العام، والبحث عن هموم وطنه وقضايا أمته. إن الإسلام يريد للمجتمع المسلم أن يكون قويا متماسكا، لكن أنصار المرأة يتحركون فى الاتجاه المضاد، وكأنهم لم يسمعوا قول الله عز وجل: {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ} [الأنفال: 1]، وقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ. متفق عليه.

لقد كان أحد أهداف الزواج عبر التاريخ تقوية الأواصر بين القبائل والشعوب والملوك. لكن ما حدث فى العصر الحديث أن الزواج تحول إلى سبب للفرقة والعداء بفعل الجهد الدءوب للحركة النسائية. ولا نبالغ إذا قلنا أن الحركة النسائية العالمية **خُلقت خصيصا من أجل إسقاط الدول، وتمزيق الأمم.** إن اليهود يسعون لحكم العالم، ولهذا يعملون على إضعاف الأمم الأخرى، لكن اليهود شعب قليل العدد، ومن المستحيل أن يحكموا العالم كله بالقوة العسكرية، ولهذا لجأوا إلى تمزيق الشعوب من الداخل من خلال تفتيت الأسرة، **فللأسرة دور خطير في التربية وغرس الأخلاق، وبدونها تنشأ أجيال مشردة ضائعة غارقة في الشهوات، لأنها لا تجد من يسأل عنها أو يحاسبها، وسيكون آخر شيء يفكر فيه أحدهم أن يضحي بحياته في سبيل دينه، ولن يتورع أبدا عن خيانة وطنه،** وبيع نفسه لمن يدفع أكثر. وفي نص شديد الخطورة تقول بروتوكولات حكماء صهيون: «**فإذا أوحينا إلى عقل كل فرد فكرة أهميته الذاتية فسوف ندمر الحياة الأسرية بين الأممين، وأهميتها التربوية**»[1]

وهكذا نرى أن مشكلة الحركة النسائية تنشأ من نظرتها العلمانية للحياة، واعتقادها أن الدنيا هي كل شيء، وأنه لا نجاح إلا في هذا العالم، ولا تفوق إلا بالعبقرية، ولا مكان للتقوي في عصر قرر شطب اسم الله من كل سجلاته. **الحركة النسائية نبتة علمانية، ما كان لها أن توجد لو كنا نعيش على تربة إسلامية خالصة. ربما جاز للحركة النسائية أن تتمسك بآرائها، لكن**

---

1) **الخطر اليهودي، بروتوكولات حكماء صهيون.** البروتوكول العاشر. صفحة 99. ترجمة: محمد خليفة التونسي. مطبعة دار الكتاب العربي- القاهرة - 1951 م.

ليس من حقها أبدا أن تزعم أن الإسلام يتسع لفكرها. الإسلام والحركة النسائية نقيضان، لا يجتمعان.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

غربة وخيانة ونفاق

فكرت يوما، فوجدت أن الحركة النسائية أسوأ مما كنت أظن، فهى "**حركة خيانة**". والخيانة أخطر من الرياء لأن المرائى يقدم الخير للمجتمع، وإن كان ذلك طلبا للمديح، أما الحركة النسائية فهي فى الغالب تتجاهل تماما قضايا المجتمع ومشكلاته الملحة من أجل مصالحها الضيقة، وهذا يجعلها أيضا "**حركة اغتراب**" لأنها تتبنى قضايا غريبة على المجتمع، وبعيدة عن قلب اهتماماته، وحين تسمع بعض دعاتها تشعر، وكأنهم قادمين من كوكب آخر.

إن الاغتراب عن المجتمع – أى الابتعاد عن مشاكله الملحة – خيانة عظمى. هب أن رجلا فوجيء بلص يقتحم بيته، فلم يهب لمقاومته، بل واصل مشاهدة مباراة كرة قدم في نهائي كأس العالم. هذا الشخص خائن لأهل بيته، وشريك للص في جريمته، حتى لو لم يكن متواطئا معه. والحركة النسائية تفعل نفس الشيء تماما.

إن الإسلام دين شامل. الإسلام لم ينزل من السماء من أجل تكريم المرأة فقط. الإسلام منظومة شاملة، وكلٌ لا يتجزأ. ومن يأخذ من الإسلام فقط ما يحقق له مصلحته فهو انتهازي بلا مبدأ. الإسلام يدعوك لأن تنصر المرأة إن ظُلمت، وتنصر مسلمى الصين إن اضطهدوا، وتنصر عمال المجاري إن ظُلموا، وتنصر طلبة المدارس إن ظُلموا، وتنصر رئيس الدولة إن ظُلم.

وتعاني أغلب الشعوب الإسلامية من الاستبداد، الذي بلغ حدا لا يمكن احتماله. إنهم يقمعون كل صوت، ويخمدون كل معارضة، ويقتلون كل أمل. لقد نهبوا البلاد، وأفقروا العباد، وعطلوا الفئوس، وأفرغوا الرءوس، ونكسوا الجباه، وحاربوا الإله. وفى ظل هذا الوضع المزري يهبط علينا أتباع الحركة النسائية، وكأنهم مخلوقات فضائية جاءت من كوكب بعيد للمناداة بضرورة مشاركة المرأة فى الحياة السياسية، وانخراطها فى الأحزاب مثل الرجل سواء بسواء. يا لها من وقاحة! إن الحياة السياسية مصابة بالشلل، ولا يجرؤ أحد على أن يحرك مياهها الراكدة، والأحزاب ليست أكثر من بيوت مهجورة أو غرف مغلقة ذات جدر عازلة، وإن تعالت فيها الصيحات يوما لم تجد لها طريقا إلى آذان من هم خارجها. وبدلا من أن يجاهد أنصار المرأة من أجل استرداد حقوق الشعوب السياسية، تجدهم يحثون المرأة على المشاركة فى تلك الحياة السياسية الفاسدة! **هؤلاء لا**

يهمهم فساد النظام السياسي، بل يهمهم أن تكون المرأة شريكا مساويا للرجل في أي نظام سياسي مهما كان، فهم لا ينظرون إلى السياسة على أنها وسيلة لتحقيق مصالح الشعوب، بل مجرد شكل من أشكال الوجاهة، التي لا يجوز أن تُترك للرجل لينفرد بها دون المرأة. ما أسعد الطغاة بهؤلاء المغتربات! إن من يسمعهن يخيل إليه أن التقدم لن يأتي إلا إذا شاركت المرأة في السياسة، وأن الحكام لا علاقة لهم بما يجري، لكن لا أحد منهن يخبرنا: وماذا سيحدث بعد أن تشارك المرأة فى السياسة، وتنضم إلى الأحزاب؟ إنها ستكتشف أنه لا توجد سياسة غير سياسة المستبد، ولا حزب غير حزبه الحاكم، وأنها ما دخلت إلا إلى قفص، وما سعت إلا إلى سجن.

ولم تكتف الحركة النسائية بتجاهل مشاكل الشعوب الملحة، ولكنها تجاوزت ذلك إلى **التحالف مع الأنظمة المستبدة.** إن هذه الأنظمة تريد أن يرضى عنها النظام العالمي، ولذلك فهى تخطب ود الحركات النسائية لأنها الابن المدلل لهذا النظام العالمي، الذي يحارب من خلالها الإسلام دون ضجيج. وهكذا دفعت الحركة النسائية دينها ووطنها ثمنا لقضيتها.

وتأبى الحركة النسائية إلا أن تبلغ الغاية في الخيانة. **لقد جن جنونى حين سمعت أصواتا من العراق تبشر بالعصر الجديد الذي ستشرق فيه شمس الحرية على المرأة، ويزدهر فيه دورها، ويعلو فيه مجدها، وكان ذلك بعد أشهر قليلة من احتلال القوات الأمريكية للعراق عام 2003م.** كان المارد الأمريكى وقتها يخيف كل الشعوب الإسلامية، ويجبر حكامها الضعاف على تغيير مناهج التعليم، وتجديد الخطاب الديني. كان الموقف عصيبا، فقد سقط العراق بسهولة لم يكن أحد يتوقعها، وكانت هذه ثانى دولة إسلامية تحتلها أمريكا بعد أفغانستان. وكان واضحا أن أطماع أمريكا لن تقف عند حد، فبوش زعيم اليمين المسيحي يشن حربا صليبية جديدة لتغيير خريطة المنطقة، واقتلاع الإسلام من جذوره، وإيقاف زحفه السلمي على العالم، والتمهيد لنزول المسيح كي يحكم الأرض. وبدلا من أن تكون المرأة العراقية والمرأة الأفغانية فى طليعة المقاومة **ارتمت بدلا من ذلك في أحضان المغتصب، وابتهجت بالعصر الأمريكي السعيد،** الذي مُزقت فيه راية الإسلام تحت أقدام جنود المارينز، ومخالب الذئاب البشرية في سجن أبو غريب. لقد كان لسان حالهم يقول: «**أنا، وبعدى الطوفان. وليذهب الدين والوطن إلى الجحيم، وأهلا بالغزاة إن كانوا سينصرون المرأة**».

إن منطق الحركة النسائية لا يختلف عن منطق كبير المنافقين عبد الله بن أُبى بن سلول، الذي كان يفترض أنه مسلم، ومع ذلك انحاز ليهود بنى قينقاع، وقام بالضغط على الرسول عليه الصلاة والسلام كي يطلق سراحهم، بحجة أنهم كانوا حلفاءه وحُماته[2]، فنزل القرآن ليدين هذه الخيانة: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (51) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ} [المائدة: 51، 52]. أما المؤمن الحقيقي عبادة بن الصامت، فقد تبرأ من حلفه القديم مع بنى قينقاع، وَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَوَلَّى اللَّهَ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَأَبْرَأُ مِنْ حِلْفِ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ وَوِلَايَتِهِمْ»[3].

وكذلك عقب استسلام يهود بني قريظة وجدنا الصحابي الجليل سعد بن معاذ ينبذ صداقته القديمة لهم، ويحكم عليهم بالقتل والسبي لأنهم خانوا المسلمين، وتحالفوا مع قريش في غزوة الأحزاب[4].

ولا أبالغ حين أسمي **الحركة النسائية** "**حركة بنى سلول**"، فلا فرق بين الاثنين، إذ أن كليهما انحاز لأعداء الإسلام، مفضلا مصلحته الشخصية. وبفرض أن المجتمع يظلم المرأة، فهل هذا مبرر لالتماس النصر عند أعداء الإسلام؟ أليس من الحكمة أن يكون المسلم ذليلا للمسلم، عزيزا على الكافر كما في قوله تعالى واصفا المؤمنين: **{أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ}** [المائدة: 54]؟

وإذا تتبعنا مظاهر خيانة الحركة النسائية لوجدنا أن **أنصار المرأة لا تعنيهم قضية فلسطين** فى قليل أو كثير. وأذكر أنه عندما اشتعلت الانتفاضة الثانية فى فلسطين عام 2000م –بسبب اقتحام السفاح شارون مع جنوده اليهود إلى المسجد الأقصى– كان الجو في غاية التوتر، فقد

---

2) قال ابن إسحاق عن يهود بني قينقاع: [فَحَاصَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ، فَقَامَ إلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيِّ بن سَلُولَ، حِينَ أَمْكَنَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَحْسِنْ فِي مَوَالِيَّ، وَكَانُوا حُلَفَاءَ الْخَزْرَجِ، قَالَ: فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَحْسِنْ فِي مُوَالِيَّ، قَالَ: فَأَعْرَضَ عَنْهُ. فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَيْبِ دِرْعِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَكَانَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتَ الْفُضُولِ. قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرْسِلْنِي، وَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى رَأَوْا لِوَجْهِهِ ظُلَلًا، ثُمَّ قَالَ: وَيْحَكَ! أَرْسِلْنِي، قَالَ: لَا وَاَللَّهِ لَا أُرْسِلُكَ حَتَّى تُحْسِنَ فِي مواليّ، أَربع مائَة حاسر وَثَلَاث مائَة دَارِع قَدْ مَنَعُونِي مِنْ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ، تَحْصُدُهُمْ فِي غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ، إنِّي وَاَللَّهِ امْرُؤٌ أَخْشَى الدَّوَائِرَ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هُمْ لَكَ]. انظر: **"السيرة النبوية لابن هشام"**(2/ 48). تأليف عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري. تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي. الناشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. الطبعة الثانية، 1375هـ - 1955 م.

3) سيرة ابن هشام (2/ 49).

4) سيرة ابن هشام (2/ 240).

انهارت فى لحظة أسطورة السلام التى انخدعنا بها طيلة عشر سنوات، ولاح فى الأفق شبح حرب كبرى توشك أن تحرق المنطقة. واستيقظت الضمائر الميتة في العالم على مشهد الطفل محمد الدُّرة الذي قتل تحت وابل من رصاص الجنود الإسرائيليين. فى هذه الأجواء طلعت علينا صحيفة أخبار اليوم المصرية بتحقيق ناري ينتقد حرمان المرأة من عضوية مجمع اللغة العربية! ما هذا الهراء؟ كيف تطرح مثل هذه القضايا الجانية فى هذا الوقت العصيب؟ كنت أشعر أن أنصار المرأة قد أصيبوا بالصمم، وفقدوا القدرة على الرؤية. والحقيقة أن كل حواسهم سليمة، لكن **قضية المرأة أهم عندهم من أى شيء فى الوجود، حتى لو كانت قضية فلسطين**، وهذا حرفيا ما صرحت به إحداهن منذ عدة سنوات.

والأعجب أن **أنصار المرأة كانوا يهتمون بقضية فلسطين في حالة واحدة فقط، وهى حالة ما إذا أقدمت امرأة فلسطينية على تفجير نفسها في وجه الإسرائيليين.** هنا فقط كنا نرى بعض الاهتمام منهم، ونسمع كلمات المديح تكال لهذه الفتاة الشجاعة التي أثبتت أن المرأة ليست أقل وطنية من الرجل. معنى هذا أن ما يهمهم فقط هو إثبات أن المرأة مساوية تماما للرجل، أما قضية فلسطين في ذاتها فهي في ذيل اهتماماتهم. والعجيب أنهم تجاهلوا تماما الخطاب الإسلامي الذي وجهته إحدى الفلسطينيات إلى الأمة الإسلامية قبل إقدامها على تفجير نفسها في وجه العدو، ففي هذا الخطاب كانت السيدة تعلن أنها أقدمت على الموت راضية في سبيل الله، ولم تقل كلمة واحدة عن دور المرأة، ولا شجاعة المرأة، ولا كل هذا الهراء.

وأنت أيتها المرأة الرقيقة صاحبة القلب الحنون: هل ساءكِ يوما ما يفعله اليهود فى المسجد الأقصى؟ هل ذرفتِ دمعة على اضطهاد المسلمين فى بورما والصين وسوريا؟ هل غضبتِ يوما بسبب الهجوم الغاشم على الدين الإسلامي فى العالم كله؟ هل حاربتِ الانحلال الذي استشرى بين المسلمين؟ بالعكس أغلبكن من المتبرجات، والحالة الوحيدة التي تقاومْنَ فيها سوء الأخلاق هي تعرض المرأة للتحرش أو الاغتصاب، وبالطبع لا واحدة منكن تلقى باللائمة على المرأة المتبرجة.

ويتواصل السؤال: **هل قاومتن حركة الإلحاد السرطانية حين اجتاحت العالم الإسلامي؟** بالعكس التعاطف بينكن وبين الملحدين لا تخطئه عين. كما تجد **نفس الانسجام الفكري بين الحركة**

النسائية والأقليات المسيحية، ولا تفسير لهذا إلا أن لهما نفس العدو (الإسلام) أو نفس الممول. وقد رأينا منذ عدة سنوات ناشطة نسائية مشهورة ارتدت فجأة عن الإسلام، وتحولت إلى المسيحية، ولا أظن أنها فعلت ذلك بعدما قرأت ما ورد فى الكتاب المقدس عن مكانة المرأة، وإنما السبب هو الارتباط الخفي بين الحركة النسائية والكنيسة.

إن ناشطات الحركة النسائية لا يغضبن أبدا لدين الله، بل يغضبن فقط للمرأة. وأذكر أنهن منذ سنوات هاجمن بعنف مسلسل " الحاج متولى" على أساس أنه يوجه إهانة للمرأة بتشجيعه لفكرة تعدد الزوجات. لقد شمرن عن سواعدهن، وسطرن المقالات، وعقدن الندوات للهجوم على المسلسل، لكن لما تعرض رسول الله عليه الصلاة والسلام بعدها للسخرية في الدانمارك لم نسمع من إحداهن كلمة شجب، بل بالعكس لمسنا منهن ميلا لتأييد حرية التعبير. ومن المعروف أن مبدأ حرية التعبير في نظر هؤلاء يسرى على كل شيء إلا المرأة صاحبة الذات المقدسة، التي لا تُمس.

ليس من المقبول أن تحاول الحركة النسائية خداعنا، وتزعم تمسكها بالإسلام. **لا تصدقوهن إن استشهدن بآية أو حديث**، ولا تسمعوا لهن إن قلن أنهن حريصات على نشر الإسلام الصحيح. وتذكروا أن المنافقين فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يتحدثون عن الإسلام، فيحسنون القول، وينبهر بهم الرسول: {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [المنافقون: 4]. ولا أدعى العلم بما في القلوب، ولكن يحق لكل إنسان أن يلتمس تفسيرا لما أمامه من مشاهدات. وأنصار المرأة ظاهرهم لا يجعلك أبدا تحسن الظن بباطنهم. وما أحمق من يقول: "لا تفتشوا في القلوب"، فالله تعالى أمرنا بخلاف ذلك، فبين لنا أنه سيفضح المنافقين، وأرشد رسوله إلى الوسيلة التى تمكنه من معرفتهم، ألا وهي " لحْن القول"[5]، أى ذلات اللسان، أو ملاحظة تكلمهم بأسلوب التعريض: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ (29)

---

5) اللحن هو الخطأ فى الكلام بوجه عام، وهو أيضا الخطأ فى الإعراب. ولَحَنَ في كلامه وأَلْحَنَ فِي كَلَامِهِ، أي أخطأ. واللحن يعنى كذلك التعريض. ولَحَنَ لَهُ يَلْحَنُ لَحْناً: قَالَ لَهُ قَوْلًا يَفْهَمُهُ عَنْهُ ويَخْفى عَلَى غَيْرِهِ لأَنه يُميلُه بالتَّوْرية عَنِ الْوَاضِحِ الْمَفْهُومِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: لَحِنَ الرجلُ: فَهُوَ لَحِنٌ إِذا فَهِمَ وفَطِنَ لِمَا لَا يَفْطنُ لَهُ غَيْرُهُ. وهناك فرق بين (اللحْن) بمعنى الخطأ و (اللحَن) بمعنى الفطنة، لكن سوى البعض بينهما، فقَالَ ابْنُ الأَعرابي: اللَّحْنُ، بِالسُّكُونِ، الفِطْنة والخطأُ سَوَاءٌ؛ لكن: عَامَّةُ أَهل اللُّغَةِ عَلَى خِلَافِهِ، قَالُوا: الفِطْنة، بِالْفَتْحِ، وَالْخَطَأُ، بِالسُّكُونِ. انظر معجم "**لسان العرب**" ومعجم "**الصحاح**".

وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ} [محمد: 29-30].

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

عبادة الأنثى

لكل لواحد من الناس معبود. منهم من يعبد الله، ومنهم من يعبد المسيح، ومنهم من يعبد براهمان. بيد أن كثيرا من الناس يسجدون لآلهة أخرى كالمال، والسلطة، والشهرة، والنساء، والأولاد. وهناك مطرب يعبد الموسيقى، ولاعب يعبد الرياضة، وممثل يعبد السينما. وصدق جارودى حين قال:

«إن عالمنا الغربي ليس فقط ملحدا، ولكنه يؤمن بتعدد الآلهة، فكل فرد وكل جماعة تضع لها إلها حسب رغبتها، معتبرة المال والسلطة والتقنية والجنس والأمة والأيدولوجيا والازدياد غاية فى حد ذاتها وقيمة مطلقة وإلها مزيفا كاسرا متعصبا وملتهما لكل من يخدمه ومتعاليا بلا رحمة على كل قيمة وعلى كل إنسان آخر يتعارض مع انتشاره وتمدد سلطانه»[6].

ووصف هذه الأشياء بالآلهة ليس فيه مبالغة، فهذا هو نفس الوصف الذي استخدمه القرآن حين سمى "الهوى" "إلها". قال تعالى: **{أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَـهَهُ هَوَاهُ}** [الجاثية: 23]. وقال: **{أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَـهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا}** [الفرقان: 43]. القرآن هنا يقول أن بعض الناس يعبدون أهواءهم، أي رغباتهم وشهواتهم. وطبعا لا يوجد على الأرض مجنون يركع لهواه، أو يسجد لشهوته، ولكن المقصود هو خضوع الإنسان لهواه، وانقياده له بشكل أعمى كما لو كان إلها. القرآن هنا يعيد تعريف لفظ "**الإله**" ويوسع من مدلوله بحيث يشمل كل ما يمكن أن يسيطر على حياة الإنسان، فمدمن المخدرات مثلا يشهد ألا إله إلا الله، لكنه في الحقيقة يعبد المخدرات، فإن احتاج إلى المخدر، ولم يجد المال لم يتوان عن قتل أبيه.

وبنفس الطريقة يمكننا أن نؤكد أن **أتباع الحركة النسائية "يعبدن المرأة"**، **فالمرأة هى أهم شىء في حياتهن، المرأة بالنسبة لهن هي "المطلق"**، وعقيدتهن أن المرأة مساوية للرجل، بل هي أفضل منه. و**هذه الأفكار تسيطر عليهن، كما لو كانت عقائد شربنها في المهد، أو لقنت لهن في دور العبادة**، والخروج على هذه الآراء ردة، ومعارضتها كفر. **وكتب نوال السعداوي هي**

---

6) الإسلام والقرن الواحد والعشرون: شروط نهضة المسلمين. تأليف روجيه جارودى. ترجمة كمال جاد الله. صفحة 42-43. الدار العالمية للكتب والنشر. 1999

كتبهن المقدسة. وصفية زغلول وهدى شعراوي هن نبيات الهدى، اللائي أخرجن المرأة من الظلمات إلى النور. **ولفظ الجلالة (الله) لا يتردد على ألسنتهن بقدر ما يتردد لفظ (المرأة).**

وفي ذروة موجة الإلحاد العاتية التي اجتاحت مصر في السنوات الأخيرة وقفت آمنة نصير تصرخ: (أطالب بقص لسان كل من ينال من المرأة بفتاوى بعيدة عن صحيح الدين). جن جنوني، وقلت: أهذه عالمة دين؟ ليتها قالت: (أطالب بقص لسان كل من ينال من الله ورسوله وقرآنه فى مصر). هناك أناس يقدسون المرأة، ولا يقدسون خالق المرأة. وهؤلاء لا يعنيهم أن يبقى الإسلام أو يزول؛ فالإله الأعظم الذي يحيون من أجله ويموتون في سبيله هو "المرأة". **إنهم فعلا يعبدون الأنثى، وتحرير المرأة هو دينهم الذي يبشرون به**، ولا فرق بينهم وبين رجال الكنيسة الذين يجوبون العالم من أجل شيء واحد هو التبشير بيسوع المسيح. **لقد احتلت المرأة في قلوبهم نفس الموضع الذي كان يفترض أن يكون لله**، فلا اختلاف بينهم وبين المشركين، الذين ملأ حب الأصنام قلوبهم، وقال عنهم القرآن: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} [البقرة: 165].

ولقائل أن يقول: وما الجرم في أن يهتم المرء بقضية، ويهبها وقته وحياته؟ هل هذا حرام؟

ونحن نقول **ليس عيبا أن يهتم الإنسان بقضية اهتماما كبيرا، ولكن العيب هو أحد هذه الأمور:**

أولا: أن تكون الفكرة التي يدافع المرء عنها فاسدة ومعارضة للإسلام كالماركسية والوجودية والعلمانية. وإذا نظرنا إلى أفكار الحركة النسائية لوجدنا أنها أفكار فاسدة كما أوضحنا في الصفحات السابقة، وكما سيتضح في الصفحات التالية هذا الكتاب.

ثانيا: قد يهتم الإنسان بقضية دنيوية، لا تتناقض مع الإسلام، إلا أن اهتمامه بها يكون كبيرا، إلى حد إهمال قضايا الإسلام، فمثلا قد تجد مؤرخا، يحيا بكل كيانه فى التاريخ المصري القديم، ولا يفكر إلا فيه، وينشغل به عن قضايا الإسلام وهموم المسلمين. ونفس الشيء ينطبق على أستاذ متخصص فى علوم الذرة، يقضى يومه بالكامل بين التدريس والمختبرات وكتابة الأبحاث العلمية، لكنه إن سمع أن شعبا مسلما

اضطهد لم يحزن، وإن رأى طلبته يرتكبون الفواحش فى الجامعة لم يغضب، وإن أصدرت الدولة قانونا يتناقض مع الشريعة هز كتفه فى عدم اكتراث. إن خطأه لا يكمن فى القضية التى اهتم بها، ولكن فى إهماله لقضايا الإسلام الحيوية. ونفس المنطق يسرى على قضية المرأة؛ فحتى لو كانت قضية المرأة مجرد حركة لاستعادة الحقوق، لا تتناقض مع الإسلام، فمن غير المقبول أن ينشغل بها المسلم عن قضايا دينه.

ثالثا: أن تكون القضية التى يهتم بها المرء قضية إسلامية، لكنه يوليها وحدها اهتماما مطلقا، ويترك غيرها من القضايا الإسلامية الأكثر إلحاحا. على سبيل المثال تجد بعض الدعاة يفنى عمره في دراسة الفقه أو علم الحديث، وينشغل بهما انشغالا تاما، وكأنه لا يري الموجة العاتية من الإلحاد والعلمانية والإباحية والمخدرات والطلاق وإذلال اليهود للمسلمين. وبفرض أن شخصا ما يهتم بقضية المرأة اهتماما مطلقا لأنه يريد أن يبريء الإسلام من ظلم المرأة، فهذا الشخص (بفرض أنه صادق) مخطيء لأن الإسلام اليوم فى مأزق كبير، وهو محاصر بأزمات أهم ألف مرة من قضية المرأة.

إن الله تعالى هو "المُطلَق". الله يجب أن يكون مركز حياتنا، ومحور فكرنا. **ومن يجعل لحياته مركزا غير الله، ويفنى عمره في قضية غير قضية الإسلام فهو منافق أو– على الأقل– مخطىء.**

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

في المساواة ظلم !

فى انتخابات مجلس الشعب المصري أيام الرئيس مبارك كان المجلس القومي للمرأة –المدعوم بقوة من الدولة– يعترف أنه يتدخل لمؤازرة المرشحات أثناء حملات الدعاية. ياللعجب! إن كون المرشح أنثى يجعلها فى نظرهم أهلا للحصول على عضوية مجلس الشعب، حتى لو كانت تفتقر إلى الكفاءة والشعبية. ما هذا الظلم؟

كما سعت الحركة النسائية طويلا من أجل تخصيص حصة للنساء في مقاعد البرلمان، حتى تم لها ما أرادت بصدور القانون رقم 149 لسنة 2009 الذى خصص للمرأة 64 مقعدا فى مجلس الشعب المصرى، وفيما بعد زادت الحصة إلى 25%، مع أنه كان الأولى أن يتم تخصيص حصة من المقاعد للصحفيين أو أساتذة الجامعات، الأكثر دراية بمشاكل الشعب وقضايا الدولة.

وقرأنا[7] أيضا أن مهرجان البندقية السينيمائى فى إيطاليا فى دورته السابعة والسبعين خصص للمخرجات 8 أفلام من أصل 18 فيلم (حوالي 44%) فى مسابقته الرسمية ، وذلك بعد أن تعرض فى السنوات السابقة لانتقادات شديدة بسبب ندرة التمثيل النسائي فيه، فاضطر المهرجان عام 2018 للتعهد بتحقيق المساواة بين المرأة والرجل بنسبة 50/50 بحلول عام 2020. يا له من شيء مستفز! المفروض أن الفيلم الجيد هو الذي يجب تقديمه ودعمه بصرف النظر عن جنس منتجه. والتسوية بين المخرجين والمخرجات من البداية هو ظلم بين بكل المعايير. هذا العبث يشبه **قرارا لوزير التعليم بوجوب أن يكون خمسة من الأوائل على الجمهورية فى شهادة الثانوية العامة كل سنة من الإناث وخمسة من الذكور تحقيقا للمساواة بين الجنسين!**

وفى السنوات الأخيرة أخذ مصطلح "السينما النسائية" أو "سينما المرأة" يتردد على الألسنة. وليس للمصطلح تعريف محدد، لكن يبدو أنه يشير إلى ظاهرة تزايد أعداد الأفلام التى تعبر عن قضايا المرأة، أو تلك التى تقوم ببطولتها المطلقة نساء أو يخرجها نساء. ما هذا التعصب؟ إن السينما يفترض أن تكون تعبيرا عن الواقع، فهل اختفت مشاكل الرجل من الحياة؟ وهل مشاكل الرجل أكثر سطحية من أن تناقش في عمل فني؟ هل الرجل محصن ضد المرض والبطالة والضرائب

---

7) **السينما النسائية الأعلى صوتاً في الدورة الـ77 لمهرجان البندقية**. رنا نجار. صحيفة الشرق. بيروت. 30 أغسطس 2020. آخر تحديث 18 يناير 2021.

وزحام المواصلات؟ ثم إن الرجل والمرأة يعيشان معا، ويشقيان معا، ويسعدان معا، ولا تجد رجلا يتألم إلا وتتألم معه أم أو أخت أو زوجة. ثم كيف يتعمدون إبعاد الرجال عن بطولة الأفلام كي يقال أن الفيلم نجح دون الحاجة إلى ذكور؟ لقد ظلت السينما عبر تاريخها تتعامل مع كل من الممثل والممثلة دون تفرقة، فلم نسمع عن أحد يقول أن فاتن حمامة أحسن من عمر الشريف، أو أن رشدي أباظة أفضل من سعاد حسني[8]. لم يكن هناك أثر لعقدة " تفوق المرأة"، فلماذا هذا الانحدار في التفكير؟

إن المساواة مبدأ جميل، لكن أي جمال في التسوية بين الجيد والرديء؟ المساواة هنا عين الظلم. والحركة النسائية تستبيح الظلم، لأنها بلا أخلاق ولا دين. يقول الدكتور مصطفى محمود: «ولا شك أن الفكرة السائدة بأن المرأة تستطيع أن تفعل أي شيء، ويمكنها أن تصلح لكل عمل، وتناطح الرجل في أي ميدان، وتسابقه في أي تخصص هي فكرة خاطئة. والكلام العلمي الموضوعي أنه **لا يستوي رجل برجل، ولا امرأة بامرأة، فكيف يستوي جنسان مختلفان رجل وامرأة**»[9].

ومبدأ المساواة ينطوي على خدعة خبيثة، **فوجود امرأة متفوقة في أحد المجالات لا يعني أن أغلب النساء متفوقات في هذا المجال، وبالتالي لا يمكن القول بأن الجنسين متساويان فيه.** مثلا قد ترى امرأة عبقرية في علم الرياضيات، لكن كل الدراسات تثبت أن الذكور بشكل عام أكثر تفوقا في الرياضيات. إن تفوق امرأة معناه تفوق امرأة، ولا يعني بالضرورة تفوق جنس الإناث بأكمله. ومن الخطأ أن نفرض المساواة بين الجنسين في كل المجالات لمجرد تفوق قلة من النساء هنا أو هناك. وعلى ذلك فإن أطلعوك على قصة نجاح إحدى النساء، فلا تنبهر، فربما كانت هذه المرأة حالة فريدة، تختلف عن غالبية النساء. وإن جاز للمرأة الطموحة أن تثبت قدراتها للناس، فلتعلم أن ما يصدق على الفرد لا يصدق حتما على الجماعة.

إن فرض المساواة بين البشر بالقوة في مجالات يختلفون فيها أمر في غاية الحماقة. وقد رأينا كيف زعمت الشيوعية أن الحياة ستصبح جنة إن تساوى الأغنياء بالفقراء، فما حصدت إلا شوكا، ثم ماتت أخيرا بالسكتة القلبية بعد صراع طويل مع المرض، وأخفقت في إسعاد كل من

---

8) لا يعني هذا قبولنا للسينما أو رضانا عن هؤلاء الممثلين.
9) **قراءة للمستقبل.** تأليف دكتور مصطفى محمود. صفحة 51. الناشر مؤسسة أخبار اليوم- مصر- 1990م.

الأغنياء والفقراء. وما أحمق من لا يتعلم من أخطائه. وها هي الحركة النسائية تكرر نفس الكارثة، فتنادي بالمساواة بين الرجل والمرأة. **وكما أخفقت الشيوعية بسبب معارضتها لفطرة الله ستخفق الحركة النسائية، ولكن هذه المرأة سيكون الدمار شاملا.**

نسأل الله السلامة.

الباب الثاني: قصف فلسفي تمهيدي

فلسفة قيود الشريعة

المرأة المسلمة ليست حرة تماما، فقد فرضت الشريعة عليها قيودا فى الزينة والحركة والكلام والعلاقة مع الزوج، والعمل العام، وغيرها. ويبدو هذا في نظر الكثيرين ضربا من ضروب الوصاية التي عفا عليها الزمن.

ونحن نندهش: **ما الداعي للغضب؟ إن كل إنسان عليه قيود، ولا أحد في العالم ينعم بالحرية المطلقة**، فالحرية المطلقة تعني أن من حقك أن تفعل أي شيء ترغب فيه، وهذا يدخل في باب الخيال، فعلى الأقل ستصطدم رغباتك برغبات الآخرين، وستُمنع من نيل كل ما تهوى. الرجل عليه قيود لأنه ملزم بالإنفاق على أسرته، وهو لا يستطيع أن يقول يوما: "سأستقيل من وظيفتي، فقد سئمت من العمل". والموظف مقيد لأنه مضطر للحضور والانصراف في مواعيد محددة، والمسافر مقيد بتأشيرة الدخول، والطبيب مقيد ببروتوكولات العلاج في المستشفى، والوزير مقيد بالبرلمان الذي يراقب تصرفاته، ورؤساء الدول مقيدون بالدستور والبرلمان والصحافة والقضاء ووزراء الدفاع. **لا يوجد إنسان على ظهر الأرض يحيا بلا قيود، فما بال المرأة اليوم تطالب بالتحرر الكامل؟** هل المرأة أحسن من كل البشر؟ ثم ألا تلاحظ **المرأة أنها حين خرجت للعمل فقد لفت بيديها الأغلال حول عنقها** لأنها أصبحت مقيدة بقانون الوظيفة، وتعليمات صاحب العمل، فلماذا ترضى بقيود الناس، وترفض قيود الله؟

إن القيود نفسها لا تدعو للغضب. الغضب يكون مبررا فقط إن كانت القيود ظالمة، أو كانت مفروضة على الإنسان بهدف التضييق عليه، والتنكيل به، لكن قيود الشريعة الإسلامية على المرأة ليست كذلك، فهناك عدة دواع استدعت فرضها:

1. حماية المرأة من الرجل

جمال المرأة يغري الرجل بالاعتداء عليها. ولهذا فرض الإسلام قيودا على زينتها منعا لتعرضها للتحرش والاغتصاب. كما فُرضت قيود على سفر المرأة وحدها لنفس السبب. وفرض الإسلام قيودا على زواج المرأة بأن اشترط موافقة وليها الأكثر خبرة على زواجها حتى لا تقع فريسة بين فكي رجل لئيم، يستغل طيبة قلبها.

2. حماية الرجل من المرأة

لا بد من فرض قيود على زينة المرأة حتى لا يكثر الزنا. إن المرأة كائن جميل مثير، وهي – قصدت أم لم تقصد– تجذب الرجل كما يجذب المغناطيس الحديد، ولذا وجب أن يخضع سلوكها لبعض الضوابط، وألا يُترك لها الحبل على الغارب حتى لا تشيع الفاحشة، فينهار المجتمع. والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ**» رواه البخارى. وقال أيضا:«**إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**» رواه مسلم. ووصف المرأة بالفتنة معناه أن جمالها اختبار، وضعه الله تعالى للرجل (ولها أيضا) ليعرف من يتقيه ومن يعصاه، ففتنة المرأة كفتنة المال وفتنة القوة وفتنة السلطة. وفي حديث آخر: «**الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ، وَإِنَّـهَا إِذَا خَرَجَتِ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ، وَإِنَّهَا لَا تَكُونُ أَقْرَبَ إِلَى اللَّهِ مِنْهَا فِي قَعْرِ بَيْتِهَا**» رواه الطبراني في "الأوسط"، ورجاله رجال الصحيح[10]. والعورة تعني ما لا يجوز أن يطلع عليه الآخرون، وفى الصحاح: «العَوْرَةُ هي سوءة الإنسان، وكلُّ ما يُسْتحيا منه». وسميت المرأة عورة لأنه لا يجوز للغرباء أن ينظروا إلى جمالها[11].

ومن أكثر الأمور التي جعلت الغرب يتهم الإسلام بمعاداة المرأة حرصه على تجنب الاختلاط بين الجنسين، فهذا في نظرهم تحقير من شأن المرأة مع أنه لا يعدو أن يكون إبعادا للزيت عن النار. والفصل بين الجنسين لا يتأتى إلا بإبقاء النساء داخل البيوت، وفرض الحجاب عليهن إذا خرجن إلى الشوارع، وذلك لأن حبس الرجال في البيوت مستحيل، فهم الأصلح للعمل وجلب الرزق، كما أن حجاب الرجل شيء بلا معنى لأن الرجل لا يفتن المرأة بشكله كما تفتنه المرأة بشكلها. وقد وجدنا ويل ديورانت مثلا يتهم المسلمين بأنهم أحد أسباب تدني مكانة المرأة في بلاد الهند، وذلك بسبب حرصهم على حجابها، وإبعادها عن أنظار الرجال. ويتعجب المرء: أهذه نقيصة أم فضيلة؟ **وما علاقة فصل الجنسين بمكانة المرأة؟ فصل الجنسين هدفه حماية**

---

10) صحيح الترغيب والترهيب (1/ 260). تاليف محمد ناصر الدين الألباني. مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض - المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2000 م.

11) وصف المرأة بالعورة ليس تشبيها لها بالأعضاء التناسلية، ولكن كلا من المرأة والأعضاء التناسلية سمى عورة لأنه لا يجوز لأحد أن يطلع عليه غير صاحبه.

المجتمع من الزنا، الذي يدمر الأسرة، ويعود بالخراب على المجتمع كله رجالا ونساء. اقرأوا ما يقوله ويل ديورانت:

«ولاشك أن دخول الأفكار الإسلامية كان عاملاً على تدهور مكانة المرأة في الهند بعد العصر الفيدي، فقد جاءت إليها عادة "البردة" (أي الستار) – وهي عزل النساء المتزوجات– مع الفرس والمسلمين، ولذلك فهي أقوى جذوراً في شمال البلاد منها في الجنوب؛ ولكي يحمي الأزواج الهنود زوجاتهم من المسلمين– وهذا عامل من عدة عوامل– فقد اصطنعوا نظام "البردة" وتمسكوا به في تزمت بلغ من شدته أن المرأة المحترمة لا تستطيع أن تبدي نفسها لغير زوجها وأبنائها، ولا يمكنها الانتقال خارج دارها إلا مستورة بقناع سميك؛ حتى الطبيب الذي يعالجها ويجس نبضها، لا مندوحة له عن أداء واجبه خلال ستار؛ وإنه لمن الخروج على القواعد الخلقية في بعض الأوساط أن تسأل عن زوجة غيرك أو أن تتحدث وأنت ضيف إلى سيدات البيت الذي يضيفك»[12].

وقد رد ويل ديورانت على نفسه حين تكلم عن عادة حرق النساء في الهند بعد وفاة أزواجهن، فذكر أن المسلمين حاربوها، لكن الهنود تمسكوا بها[13]. **فأي الأمرين أكثر إهانة للمرأة: فصلها عن الذكور، أم حرقها بعد وفاة زوجها، وكأنها بلا قيمة مستقلة؟** ثم إن ويل ديورانت نفسه قد ذكر أن **الحضارة اليونانية حاربت بشدة اختلاط الرجال والنساء**، **فاندهش دون أن يهاجم. فلماذا تُعقد المحاكمات لما يفعله المسلمون وحدهم** رغم أن هذا كان شأن العالم القديم في طابعه العام؟ يقول ويل ديورانت:

«وما من شك في أن الرجل كان يعرف ما يتمتع به الرجال من حرية في المسائل الجنسية في أثينة معرفة تمنعه أن يجازف بإطلاق الحرية لزوجته أو ابنته، فهو يختار الحرية لنفسه على أن يكون ثمنها **عزلة زوجته أو ابنته. ولقد كان في وسعها إذا تحجبت الحجاب اللائق بها**، وصحبها من يوثق به، أن تزور أقاربها وأخصاءها، وأن تشترك في الاحتفالات الدينية ومنها مشاهدة التمثيل؛ أما فيما عدا هذا فقد كان **ينتظر منها أن تقبع في منزلها، وألا تسمح لأحد أن يراها من النافذة. وكانت تقضي معظم وقتها في جناح النساء القائم في مؤخرة الدار، ولم يكن يسمح لزائر من الرجال أن**

12) **قصة الحضارة** (3/ 180) تأليف وِل ديورَانت. ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرون. مكتبة الأسرة- مصر- 2001م.
13) **قصة الحضارة** (3/ 182)

يدخل فيه، كما لم يكن يسمح لها بالظهور إذا كان مع زوجها زائر. وكانت وهي في البيت تكرَم وتُطاع في كل ما لا يتعارض مع سلطة زوجها الأبوية. فهي تدبر شئون البيت أو تشرف على تدبيرها؛ وهي تطهو الطعام، وتمشط الصوف وتغزله، وتخيط ثياب الأسرة وتصنع فراشها. **ويكاد تعليمها أن يكون مقصوراً على الفنون المنزلية، لأن اليونان كانوا يعتقدون مثل يوربديز أن ذكاء المرأة يعوقها عن أداء واجباتها.** وكانت نتيجة ذلك أن نساء أثينة المحصنات كن أكثر تواضعاً، وأكثر "فتنة" لأزواجهن من مثيلاتهن في إسبارطة، ولكنهن كن في الوقت نفسه أقل منهن ظرفاً ونضوجاً، عاجزات عن أن يكن رفيقات لأزواجهن، لأن عقول هؤلاء الأزواج قد امتلأت وانصقلت بتجارب الحياة المختلفة؛ ومن أجل هذا أفاد الأدب اليوناني كثيراً من اليونانيات في القرن السادس ولم يفد شيئاً من نساء أثينة في عصر بركليز[14]...... **وكانت الأسرة تأكل مجتمعة إذا لم يكن عندها غرباء؛ فإذا كان لديها ضيوف من الرجال انسحبت نساء الأسرة إلى جناح الحريم»**[15].

وفي بلاد الصين قديما حرص الناس على الفصل بين الجنسين، «فكانت العفة تعد من الفضائل السامية، وكان الآباء يحرصون عليها أشد الحرص في بناتهم، وقد نجحوا في غرس هذه الفضيلة في البنات نجاحا منقطع النظير، يدل عليه **أن البنات الصينيات كن في بعض الأحيان يقتلن أنفسهن إذا اعتقدن أن شرفهن قد تلوث بأن مسهن رجل مصادفة**[16]. **وكانت البنت تظل في عزلة شديدة عن خطيبها حتى تزف إليه،** فلم يكن زوجها المرتقب يستطيع رؤيتها إلا إذا احتال على ذلك احتيالا– ولقد كان الاحتيال مستطاعا في بعض الأحيان –، ولكنه في كثير من الحالات كان يراها أول مرة حين يرفع النقاب عن وجهها في حفلة الزفاف»[17].

حقا كانت الدعارة منتشرة على نطاق واسع في الصين[18] وفي غيرها من الأمم التي فرضت القيود على المرأة، لكن هذا لا يغير من الأمر شيئا، فالعفة كانت فضيلة يقرها المجتمع، وعدم التزامه

---

14) قصة الحضارة (7/ 118)
15) قصة الحضارة (7/ 125)
16) قصة الحضارة (4/ 267)
17) قصة الحضارة (4/ 269)
18) يقول ويل ديورانت: «غير أنهم لم يبذلوا أي مجهود يرمى إلى أن يحتفظ غير المتزوج بعفته، بل كان يعد من الأمور العادية المشروعة أن يتردد على المواخير، وكان الزنا عند الرجال من الشهوات المألوفة الواسعة الانتشار، يستمتع به الرجل كما يشتهي من غير أن يناله من ورائه أي عار إلا ما ينال المفرط في أية عادة من العادات. وكان إعداد النساء لإشباع هذه الشهوات من النظم المقررة في الصين من زمن بعيد. من ذلك أن الوزير الشهير جوان جونج وزير ولاية تشي أعد مقرا للقوادات تؤخذ فيه من التجار القادمين من الولايات الأخرى مكاسبهم قبل أن يعودوا إلى أوطانهم. ويقول ماركو بولو أنه شاهد في عاصمة كوبلاي خان من العاهرات ما لا يحصى عددهم وما لا يتصور العقل جمالهن. وهؤلاء البغايا مرخص لهن بمزاولة

بها لا ينتقص من شرعيتها لديه، بل يدخل في باب انفصام الشخصية ليس إلا. ولعلكم تذكرون ثلاثية نجيب محفوظ حيث كان "السيد أحمد عبد الجواد" رجلا شديد الغيرة على أهل بيته، لكنه يقضي الليل مع البغايا.

وفي بلاد الفرس نجد فصلا صارما للذكور عن الإناث. يقول ويل ديورانت عن المرأة:

«ثم انحطت منزلتها بعد دارا، وخاصة بين الأغنياء، فأما المرأة الفقيرة فقد احتفظت بحريتها في التنقل لاضطرارها إلى العمل، وأما غير الفقيرات فقد **كانت العزلة المفروضة عليهن في أيام حيضهن على الدوام تمتد حتى تشمل جميع حياتهن الاجتماعية، وكان ذلك أساس نظام البردة عند المسلمين. ولم تكن نساء الطبقات العليا يجرؤن على الخروج من بيوتهن إلا في هوادج مسجفة، ولم يكن يسمح لهن بالاختلاط بالرجال علناً. وحرم على المتزوجات منهن أن يرين أحداً من الرجال ولو كانوا أقرب الناس إليهن كآبائهن أو إخوانهن. ولم تذكر النساء قط أو يرسمن في النقوش أو التماثيل العامة في بلاد الفرس القديمة»**[19].

وعند الآشوريين لم يكن يسمح للمتزوجات أن يخرجن إلى الطريق العام بغير حجاب، وكان يطلب إليهن أن يكن جد أمينات على أعراضهن، وإذا قتل الرجل رجلا زنى بامرأته، وهو متلبس بجريمته عد ذلك من حقه[20].

وعند البابليين «كان من العادات المتبعة عند الطبقات العليا عادة أن يكون للنساء جناح خاص أو أجنحة خاصة في المنزل؛ وكن إذا خرجن صحبهن رقباء من الخصيان والخدم»[21].

ومن هذا النص الأخير الذي أورده ويل ديورانت يمكننا أن نقول أن **رقابة المجتمع وتضييقه على المرأة كانت علامة على الرقي، وشيمة من شيم الأشراف والكبراء عند البابليين. ونفس الظاهرة نجدها عندها العرب في الجاهلية** الذين كانوا يضيقون على الحرائر، ويتركون الإماء

مهنتهن، وتنظم الدولة أمورهن وتراقبهن من الوجهة الطبية، وتقدم أجملهن دون أجر إلى أعضاء السفارات الأجنبية». انظر: **قصة الحضارة** (4/ 267).

19) قصة الحضارة (2/ 442).

20) قصة الحضارة (2/ 281)

21) قصة الحضارة (2/ 233)

دون رقابة. **لكن جاء العصر الحديث، فاعتبر أخلاق الرعاع من الفضائل، وعد انحلالهم تحضرا وتكريما للمرأة.** بالله عليكم: من المتحضر ومن المتخلف؟

وعلى ذلك ففرض الإسلام لقوانين خاصة تقيد من حرية المرأة يدخل في باب المحافظة على طهارة المجتمع، وهذه قيمة لم ينفرد بها الإسلام من دون سائر الأمم، فلماذا يتعرض الإسلام الآن وحده للهجوم؟ أجيبكم: لأنه السد الوحيد الباقي أمام طوفان الانحلال الكوني.

3. إقامة العدل

تهدف قيود الشريعة على المرأة إلى إقامة العدل. ومن قبيل ذلك جعل شهادة المرأة نصف شهادة الرجل، وجعل نصيبها من الميراث نصف نصيبه. وسنتكلم عن ذلك فيما بعد.

4. الاستفادة المثلى من طاقات المرأة

ومن قبيل ذلك إعفاء المرأة من العمل خارج البيت والإنفاق على الأسرة، وكذلك حرمانها من تولي المناصب العليا، وذلك بهدف توجيه جهدها الأساسي إلى المجال الذي هي أصلح للعمل فيه بحكم تكوينها، أقصد بيتها وزوجها وأولادها. إن من حق المدير الخبير أن يعين كل واحد من موظفيه في عمل معين، ويمنعه من غيره طبقا لمعرفته بقدرات كل منهم.

وقد تقول المرأة: "أنا أعرف قدراتي جيدا، فأنا موهوبة – بشهادة الجميع– في مجال الإعلام (أو الدعاية أو المحاماة..إلخ)، وأستطيع أن أحقق فيه أكبر الإنجازات". ونحن نقول: **إن تاه المرء يوما في الصحراء، ونفد ما معه من ماء، فسيكون من الجنون أن يقول: "لا بأس، معي حقيبة مليئة بالذهب، والذهب أغلى ثمنا من الماء".** حقا الذهب أغلى من الماء، لكنه لا يروي الظمأ، ولا يحل محل الماء. وبالمثل قد تكون المرأة بارعة في إحدى المهن، لكن هذا البراعة لن تعوض أسرتها عن غيابها، ولن تسد الفراغ الذي تتركه بخروجها من البيت. إن عمل المرأة بالنسبة لأسرتها يشبه ذهبا في صحراء. الزوج والأولاد يحتاجون لرعاية الأم وحنانها، فماذا يغني نجاحها كمذيعة أو مهندسة أو صحفية في ذلك؟ إنه سيكون مثل عملة غير قابلة للتداول.

5. ربط المرأة بالأسرة

أراد الله تعالى للمرأة حرفيا أن تكون أسيرة، بمعنى أن تكون مربوطة بالأسرة، فكلما زادت حرية المرأة مالت لهجر الأسرة وإهمالها. وعمل المرأة خارج البيت يوهن صلتها بزوجها وأولادها، وتولي المرأة للمناصب العليا يقطع تماما هذه الصلة. والمرأة المتبرجة تحب الخروج من البيت كي تعرض جمالها على أكبر عدد من الرجال، فإذا عادت إلى البيت بقي قلبها خارجه. لهذه الأسباب كان لا بد من أسر المرأة. وصدق رسول الله حين قال: «ألا واسْتَوْصوا بالنساءِ خَيْراً، فإنما هنَّ عَوانٍ عندَكم»[22]. وكلمة (عوان) تعني (أسيرات)، وهذا يختلف عن أسر الغالب للمغلوب. إن الأسرة الطبيعية تتعرض لاضطراب كبير في غياب الزوجة، لذا **فأسر المرأة داخل بيتها دليل على حاجة الأسرة للمرأة، وليس على تعمد إذلال المرأة.** والأسر الذي نقصده هنا هو الأسر النسبي، بمعنى أن تخرج المرأة من بيتها فقط في حالة الضرورة. وسنتكلم عن ذلك فيما بعد.

6. لا مفر من وجود رئيس ومرءوس

من أهم القيود التي تتملل منها المرأة خضوع تصرفاتها لرقابة الزوج، الذي منحته الشريعة القوامة والقيادة طبقا لقوله تعالى: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ} [النساء: 34]، وكذلك قوله: {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ} [البقرة: 228]. ولهذه القوامة أسباب كثيرة، من أهمها أنه لا بد من وجود رئيس ومرءوس داخل الأسرة. ولو لم تكن المرأة خاضعة لسلطة الرجل لكان بالأسرة رئيسان، ولغرقت في خلافات لا تنتهي بين قائدين، يستحيل أن يتفقا على كل شيء. والمثل يقول: "المركب التي لها رئيسان تغرق". وقد مُنح الرجل القوامة لأنه هو الذي ينفق على الأسرة، وهو الأقوى والأعقل، والأقدر على خوض الحياة العملية. وقد تكلمنا عن هذه النقطة باستفاضة في كتابنا "من يحكم الأسرة في الإسلام: الرجل أم المرأة"[23].

7. الحفاظ على الأسرة كوحدة للمجتمع

22) رواه الترمذي وقال: "حديث حسن صحيح". وصححه ابن القيم والألباني. انظر: **"آداب الزفاف في السنة المطهرة"** (ص: 270). تأليف محمد ناصر الدين الألباني. دار السلام. 1423هـ/2002مـ

23) "من يحكم الأسرة في الإسلام: الرجل أم المرأة". تأليف د. محمد سعيد المكاوي. الناشر منصة أمازون للكتب الرقمية. 2022 م- 1443هـ. رقم أمازون: ASIN: B0B4DVM942

جعل الإسلام الطلاق بيد الرجل، وفرض قيودا على المرأة إن رغبت في فراق زوجها. والسبب أن المرأة كثيرا ما تستسلم لعاطفتها الجياشة، بينما يستطيع الرجل أن يتحكم في عاطفته بشكل أكبر. ولهذا جعلت الشريعة الطلاق بيد الرجل حفاظا على كيان الأسرة، الذي قد تعصف به المرأة في لحظة انفعال. وإن خربت الأسرة خرب المجتمع، وسقطت الدولة سياسيا.

وهكذا فما يبدو للمرأة المعاصرة تضييقا، وانتقاصا من الحقوق هو في حقيقته التزاما بمقتضيات القيم والمثل العليا. الإسلام لا يفرض القيود على المرأة كي يذيقها سوء العذاب، ولكن ليصلح أحوالها وأحوال المجتمع. وفرق كبير بين شق بطن إنسان بهدف قتله وشق بطن إنسان بهدف استئصال ورم خبيث.

وإن قالت المرأة أنها لا ترفض القيود، ولكنها تريد فقط أن تتساوى في قيودها مع الرجل، قلنا هذا خطأ لأن القيود التي يفرضها المجتمع تختلف طبقا لظروف كل شخص وطبيعة دوره في المجتمع. على سبيل المثال هناك قيود على سائق السيارة، ولا توجد قيود على سائق الحمار، لأن الحمار لا يؤذي الناس كما تؤذيهم السيارة المسرعة. والقيود على العمال في مصانع الأغذية تختلف عن القيود على الأطباء في المستشفيات، وعن القيود على المدرسين في المدارس. وبالمثل يجب أن تختلف القيود المفروضة على المرأة عن تلك المفروضة على الرجل لاختلاف الذكر عن الأنثى في أمور غير قليلة.

هل فهمتم الآن لماذا يبدو الإسلام، وكأنه منحاز للرجل، ومتحامل على المرأة؟

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

الإسلام في مواجهة تخلف الحضارة

أسخف ما يمكن أن تسمعه ممن يهاجمون شرائع المرأة في الإسلام قول قائلهم أن العالم قد تطور، ولم يعد من الممكن تقبل خضوع المرأة لقوانين عمرها 1400 عام.

وهذا الذي يتهم الإسلام بالتخلف هو المتخلف حقا، لأنه يبني كلامه على افتراض لا أساس له من العقل. **إنه يفترض أن الحق والخير والأخلاق ترتقي كلما تقدم الزمن،** وهذا هو التلبيس بعينه. طبعا لا ينكر أحد أن العلم ارتقى، والاختراعات تطورت، والحياة المادية تقدمت، لكن ما علاقة هذا بالحق والخير والأخلاق؟ هذا مجال، وذاك مجال آخر، ولا يوجد ارتباط عقلي بينهما. بالعكس يؤكد **الواقع أن العالم الفذ يمكن أن يحقد، ويكره، ويُسخر علمه لخدمة الشر. وآلاف المشاهدات تثبت أن الأخلاق انحدرت في العصر الحديث،** فها هي الثورة الجنسية تجتاح العالم، والعري يغزو كل البيوت، والصور الإباحية تلاحق أبصار الأطفال. والشذوذ الجنسي لم يكتفوا بنشره، بل قننوا زواج الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة، وتمادوا في جرأتهم حتى صاروا يرهبون كل من يعبر عن رفضه للشذوذ، وأصبح على أي سياسي أو إعلامي أو حتى لاعب كرة أن يفكر ألف مرة قبل أن يهاجم الشواذ أو يتوانى عن تأييدهم بحماس. وفي العصر الحديث ألقيت القنبلة الذرية على هيروشيما ونجازاكي، فقتلت مئات الآلاف. وفي العصر الحديث أوهمونا أن الاستعمار زال، لكن تبين لنا أنهم يستعمروننا من خلال القروض، والمال الساخن، وصندوق النقد الدولي، وزرع العملاء في المناصب المؤثرة، والتحكم في المياه وواردات الغذاء والدواء والسلاح. وقد أراحنا ترامب رئيس أمريكا من الجدل حين سلب من إحدى الدول الإسلامية أكثر من 400 مليار دولار علنا أمام الكاميرات مقابل حمايتها عسكريا. وفي سوريا تَرك العالم المتحضر المسلمين المدنيين يُضربون بالسلاح الكيماوي دون أي رد فعل، كما ظل الطيران الروسي يدك بيوت الآمنين بلا رحمة لشهور طويلة، فلم يفكر العالم الرحيم في تزويد المعارضة السورية بصواريخ مضادة للطائرات لحماية المدنيين. لكن لما قامت الحرب في أوكرانيا انهال السلاح على الجيش الأوكراني ذي الرئيس اليهودي، فوقفت روسيا عند حدها (حتى الآن). وهذا العالم المتحضر هو الذي يعين له وكلاء فاسدين في البلاد الفقيرة، ليحكموا شعوبهم بالحديد والنار، ويبذلوا قصارى جهودهم لتخريب الاقتصاد وإفساد الأخلاق حتى تبقى الشعوب نائمة، ومكبوتة، ومستهلكة، وخانعة.

دعك من كل هذا، واسأل والدك أو جدك: هل ارتقت الأخلاق؟ سيقسم لك أن الناس في الماضي كانوا أفضل أخلاقا قبل زحف الحضارة وهجوم المدنية، فقد كان هناك احترام للكبير، وبر بالآباء، وود بين الأصدقاء. وكان البيوت مفتوحة للأهل والأصحاب، ولم يكن كل واحد يعيش في عالمه الخاص حبيسا داخل قضبان هاتفه الذكي. ولم نكن نسمع عن حوادث الاغتصاب والتحرش الجماعي والانتحار والطلاق والزنا والمخدرات. أما اليوم فنحن في القاع.

هذا عن الأخلاق. أما عن الحق فقد تراجع هو الآخر بشدة في العصر الحديث، الذي أصبحت أكبر فلسفة سائدة فيه هي فلسفة الشك أو العدمية أو ما بعد الحداثة (أسمها ما شئت). وتردى العقل المتحضر ليغرق في السحر والشعوذة والتنجيم وعبادة الشيطان. وعادت بصورة غريبة خرافات الماضي السحيق تحت اسم "الوثنية الجديدة" التي ظننا يوما أنها اندثرت بظهور العلم الحديث. والفضائيات الآن تبث برامج للسحرة والمنجمين دون أي مشاكل. ونفس هذه الفضائيات تنادي بالتجديد ومحاربة الإرهاب وترفع راية حقوق المرأة. ومن يحكم العالم الآن هم الماسون عبدة الشيطان، الذين تباهوا في فيلم "الماعز الأليف" بأن يد إبليس هي التي تحرك رؤساء أمريكا كعرائس الأطفال. لقد كانوا يعلموننا منذ سنوات أن الإنسان القديم كان يعبد الأحجار ويؤمن بالجن، فلما تطور عقله، وزاد علمه توصل بعقله إلى التوحيد. لكن ها نحن الآن نجد البشرية تنتكس مرة أخرى إلى عبادة الشياطين.

هذا هو **عالمنا اليوم الذي يمكن تلخيصه في جملة واحدة: رُقي مادي شديد، وتخلف أخلاقي وديني فظيع.** وعلى ذلك فمن الجهل أن يقال أن شريعة الإسلام التي نزلت منذ أكثر من ألف عام لم تعد تلائم المرأة المتحضرة. **الحكم على تقدم شريعة أو تخلفها يجب أن يكون منفصلا عن تيار الزمن، ومستندا إلى مباديء العقل الخالدة الثابتة التي لا تتغير. الشريعة تكون متقدمة إن وافقت الحق، وتكون متخلفة تناقضت مع الحق.** ومن الممكن لقبيلة بدائية أن تكون أكثر رحمة من مؤسسة الرئاسة في دولة عظمى. والحضارة الصناعية المدهشة الموجودة اليوم مثلها مثل كل الحضارات: لها نصيب من الحق والباطل. **وواجب المسلم أن يحاكم هذه الحضارة، ويفضحها، ويعريها أمام المنبهرين بكل ما أتت به،** عملا بقول الله تعالى: {وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة: 143]

والسؤال الآن: ماذا فعل العالم المتحضر للمرأة؟

لقد علموها، وثقفوها، وصقلوا ذهنها. حسنا، لكنهم لم يفعلوا ذلك حبا في العلم، ولكن بهدف اختطاف المرأة من أسرتها. **لقد دفعوها للعمل، وحرموها من الزواج الطبيعي المبكر، وحببوا لها العزوبة، وقدموا لها وسائل منع الحمل، فصارت تقضي شهوتها بلا زواج ولا أسرة ولا أطفال، فكانت النتيجة تناقص النسل، وظهور شبح الانقراض. وإن أنجبت المرأة، فالطفل يعيش معها في أسرة بلا أب، أو مع أب يمكن أن يهرب في أي وقت، تماما مثلما كانت أنثى الحيوان ترعى أولادها بلا أب. وإن تزوجت المرأة فإنها لا تنجب أكثر من طفل أو اثنين حتى لا تخسر وظيفتها. كما صارت تناطح زوجها، وتعامله كالند للند، ففشا الطلاق، أو رضي الرجل بالأمر الواقع، وترك قيادة الأسرة لزوجته لتديرها بعاطفتها الطاغية، فغاب صوت العقل، وضاعت قيم الرجولة.**

وماذا فعلوا أيضا؟ لقد **فتحوا أبواب العمل السياسي أمام المرأة** كي تشغل منصب رئيسة دولة ورئيسة وزراء ووزيرة داخلية ووزيرة دفاع، فماذا استفاد العالم من ذلك؟ لا شيء. لا تزال الأمور تدار بنفس الطريقة، **ولا يزال العالم يُحكم بنفس المنطق**. وبالعكس ظُلم كثير من الرجال الأذكياء الذين خطفت منهم المرأة المناصب والأضواء لمجرد أنها امرأة يجب تشجيعها حتى لو كان هناك من هو أفضل منها. كما تحولت المرأة –ذلك المخلوق الرقيق– إلى مخلوق ممسوخ، خشن، جامد المشاعر، غليظ القلب، لا يختلف عن الرجال في إدارته للدولة.

لقد تقدم العالم المعاصر في العلم والتكنولوجيا، لكنه تخلف في الفكر والأخلاق وأوضاع المرأة. وليس من شأن الإسلام أن يتطور ليناسب المرأة، وإنما على المرأة أن ترتقي إلى سمو الإسلام.

ومن الشواهد التاريخية المهمة التي تنفى الاقتران الحتمي للحضارة بحرية المرأة **ما لاحظه ويل ديورانت من غياب شبه كامل لدور المرأة في الحضارة اليونانية العظيمة**. يقول ويل ديورانت

«من الأمور التي لا تقل دهشة الإنسان منها عن دهشته من أي شيء آخر في هذه الحضارة، أنها ازدهرت من غير أن يكون لها عون أو حافز من المرأة. لقد قام عصر

الأبطال، بفضل معونة النساء، بجلائل الأعمال، وبهذه المعونة أنتج عصر الطغاة روائع الشعر الغنائي، ثم اختفت النساء المتزوجات من تاريخ اليونان بين يوم وليلة، كأن الأقدار قد أرادت أن تدحض حجة القائلين بأن ثمة ارتباطاً بين مستوى الحضارة في بلد ما ومركز المرأة فيه. فبينما نرى المرأة في تاريخ هيرودوت في كل مكان، إذ لا نراها في تاريخ توكيديدز في أي مكان، ونرى الأدب اليوناني من سميندز الأمرجوسي إلى لوشان يكرر أخطاء النساء تكراراً تشمئز منه النفس، وفي آخر هذا العصر يكرر بلوتارخ الرحيم نفسه قول توكيديدز: "يجب أن يحبس اسم السيدة المصونة في البيت كما يحبس فيه جسمها"»[24]

أخيرا عليك أن تلاحظ **كيف ترك بعض بني جلدتنا صناعة الغرب واختراعاته، وأخذوا منه فقط إلحاده وانحلاله.** هؤلاء أسوأ أنواع البشر. إنهم كالذباب الذي لا يحوم إلا حول القاذورات.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

24) **قصة الحضارة** (7/ 117)

هل نغير الشريعة أم نغير العالم؟

كلمة السر التى تنير لك الطريق، وأنت تدرس موقف الإسلام في أغلب قضايا المرأة هي إدراك أن الله تعالى لم يخلق نسختين متطابقتين من البشر. لقد خلق الله للذكر طبيعة تختلف عن طبيعة الأنثى، ودورا يختلف عن دورها، فمنح الرجل القوة والخشونة والجرأة والعقل حتى يكون قادرا على العمل والإنفاق على الأسرة والدفاع عنها، وفي المقابل خلق الله المرأة رقيقة وضعيفة، ومنحها عاطفة جياشة حتى تضطر للجلوس في البيت لرعاية الزوج والأولاد. وبهذا **صار الرجل محتاجا للمرأة، وصارت المرأة محتاجة للرجل**. حقا كل منهما يحتاج للآخر من أجل إشباع الشهوة، لكن **اختلاف طبائع الجنسين يجعل حاجة كل منهما للآخر دائمة، ولا تنتهي بانتهاء لحظات اللذة**. ومن هنا نشأت "الأسرة" كنظام اجتماعي. والأسرة توفر للإنسان منافع مادية ونفسية وأخلاقية جمة، بدونها يمرض المجتمع[25].

وما فعله الله عز وجل هو تقسيم ممتاز للعمل، فالرجل يعمل خارج البيت، والمرأة تعمل داخله. ومن الحماقة إن كنت مديرا لإحدى الشركات أن تطلب من كل موظف أن يعمل كل شيء في الشركة، والمنطق يحتم أن تخصص موظفين للاستقبال، وموظفين للحسابات، وموظفين للملفات، وموظفين للنظافة، وهكذا. التخصص يجعل كل إنسان يبرع فى عمله، فيريح الجميع.

والحقيقة أن المجتمع الذي رسم الإسلام ملامحه أرقى مما نتصور. كلنا نعرف أن الله تعالى كرم بني آدم كما قال القرآن. لكن **من صور التكريم التي لا ينتبه إليها الكثيرون أن الله تعالى جعل البشر يعيشون في أسر، بحيث تضم كل أسرة أبا وأما، خلافا للحيوانات التي يقوم فيها الذكر عادة بتلقيح الأنثي، ثم يتركها تحمل، وتلد، وترعى الصغار، وتجلب لهم الطعام. الله تعالى أراد أن يريح المرأة، فخلق لها زوجا يتولى مهمة العمل والسعي وجلب الرزق، ويترك لها فقط مهمة رعاية البيت والأسرة**. هذا النظام أرقى وأكثر عدلا لأنه يقسم المسئولية بين الرجل والمرأة، بدلا من تحميل كل شيء على كاهل المرأة، وترك الرجل يتنقل من عشيقة لأخرى دون اكتراث بمصائر أولاده.

---

25) انظر كتابنا " **من يحكم الأسرة في الإسلام: الرجل أم المرأة**". صفحة 19.

ولكي تنجح هذه الشراكة الهادفة كان لا بد من وجود رئيس واحد لأن المركب تغرق إن قادها اثنان. وبما أن الرجل هو الأقوى والأغنى والأعقل والأكثر خبرة بالحياة العملية صار هو الأصلح لقيادة الأسرة أو للقوامة بالمصطلح القرآني.

هذا هو هيكل الأسرة الذي يمثل نقلة حضارية تميز الإنسان عن الحيوان. ولتنظيم عمل الأسرة كان لا بد من صياغة قوانين تراعي الفروق في الطبائع والأدوار بين الرجل والمرأة. ما وجه الغرابة إذن حين نرى الشريعة الإسلامية تفرض على المرأة قوانين خاصة تختلف عما فرضته على الرجل؟ إن توحيد القوانين التي تحكم الرجل والمرأة هو الغريب والشاذ، وهذا بالضبط هو الخطأ الفادح الذي وقع فيه العالم المعاصر، حين رفع راية المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة، وهو مبدأ أقل ما يمكن أن يوصف به أنه حماقة.

بدون هذه الأفكار الجوهرية ستشعر أن الإسلام ظلم المرأة، وأن الشريعة الإسلامية متخلفة عن مواكبة الحضارة، وأن المجتمع المسلم مجتمع ذكري أو ذكوري كما يردد الأغبياء. والحقيقة أن المجتمع الإسلامي ليس مجتمعا ذكريا. لقد ظنوه كذلك لأنهم يعتبرون أن المجتمع ليس سوى الشوارع والمحال والشركات والمصانع ومراكز البحوث والوزارت وقصور الرئاسة. فإن سيطر الرجل على كل هذه المؤسسات، فماذا بقى للمرأة؟ هكذا يتساءلون. ونحن نقول: **بقى للمرأة (البيت). البيت هو المؤسسة التى لولاها لانهار المجتمع** واندثرت البشرية كما يحدث الآن في أوربا التي باتت تسمى القارة العجوز بعد أن اختفت بها مؤسسة الأسرة، وتوقفت المرأة عن الإنجاب بسبب حرصها على العمل. **وبقي للمرأة أيضا أشرف مهمة في الوجود، ألا وهي مهمة تربية الإنسان. إن صنع الشخصية أهم من صنع الطائرة.** الشخصية الشريرة يمكن أن تلقي قنبلة نووية لتقتل الأبرياء، أما الشخصية السوية فستخدم الطائرة لإطفاء الحرائق وإجلاء المصابين.

يقول الدكتور مصطفى محمود: «**والمرأة في البيت ليست شيئا هينا، فهي تستطيع أن تفعل أشياء أقيم بكثير من الخطب والبيانات والتصريحات الكاذبة التي تخرج من رئاسة الوزراء. وهي تستطيع بمجهود قليل أن تنجب رئيس جمهورية.** إنها شيء خطير حتى لو لازمت غرفة النوم لا تبرحها»[26].

---

26) **قراءة للمستقبل**. صفحة 52.

ويقول الشيخ محمد الغزالي: «ومع ما ذكرنا فنحن نؤكد أن نشاط المرأة لا يجوز أن يكون على حساب أسرتها، **وأن حق زوجها وولدها أسبق من شتى الحقوق الأخرى، وقد قرأت لوزيرة فرنسية، وأخرى إنكليزية أن عمل المرأة في بيتها هو رسالتها الأولى. وهذا تفكير جيد، فإن منصب "ربة البيت" منصب كبير، وهو في نظري يحتاج إلى مؤهلات رفيعة»**[27].

ونحن نقول: يجب أن تتمتع ربة البيت بالثقة التي يتمتع بها ملحنو الأغاني، فالفضل في نجاح أي أغنية وذيوعها يرجع أساسا إلى اللحن، ومع ذلك لا يشعر الملحن بالغيرة من شهرة المطربين الذين يلحن لهم أغانيهم، ولا يصر على الحصول على أجر مساو لأجورهم، بل يجلس في الظل بهدوء ليبدع، ويتنازل لغيره عن الصدارة. هذه سنة الحياة. ولهذا وجدنا موسيقارا عملاقا كمحمد عبد الوهاب يعتزل الغناء، ويكتفي بالتلحين، ويرضى أن يقول الناس أن أغنية مثل (أهواك) هي أغنية عبد الحليم حافظ، وليست أغنية محمد عبد الوهاب[28]. وبالمثل يجب أن ترضى المرأة بالبقاء في بيتها، فيكفيها ثقتها بنفسها، ويقينها أن الله تعالى رسم لها دورا لا يمكن لغيرها أن يقوم به.

إن المجتمع ينقسم إلى مملكتين، ولكل من الرجل والمرأة مملكته الخاصة، فالرجل مملكته خارج البيت، والمرأة مملكتها داخل البيت. المجتمع المسلم يشبه مدينة طليت كل مبانيها من الخارج باللون الأخضر، وطليت كلها من الداخل باللون الأحمر، فمن سار في الشوارع أسماها المدينة الخضراء، حتى إذا دخل بيوتها أسماها المدينة الحمراء. وبالمثل صدق أن المجتمع المسلم ذكريا وأنثويا في نفس الوقت لأنه يقوم على وجود الذكر والأنثى وتعاونهما.

<u>وتعاون الذكر والأنثى لا يعني اشتراكهما في نفس الأعمال، بل يعني تخصص كل واحد في المجال الذي يناسب فطرته وطبيعته</u>. ولا أجد ما هو أكثر غباء من اتفاقية سيداو الدولية CEDAW التى دعت إلى إلغاء الأدوار النمطية التقليدية لكل من الرجل والمرأة، وذلك بأن يعمل كل منهما خارج البيت وداخل البيت في نفس الوقت. تقول المادة الخامسة من الاتفاقية: «تتخذ الدول الأطراف جميع التدابير المناسبة ل.... **<u>تغيير الأنماط الاجتماعية والثقافية لسلوك الرجل</u>**

27) **مائة سؤال عن الإسلام**. تأليف الشيخ محمد الغزالي. كتب الأسئلة خالد محمد خالد. صفحة 398. دار المقطم للنشر والتوزيع- القاهرة. الطبعة الخامسة. 2004م-1425 ه.
وما نقله الغزالي عن الوزيرة الفرنسية والإنجليزية يدخل في باب ذكريات الماضي، فقد ألف الغزالي كتابه عام 1984م، أي منذ ما يقرب من 40 عاما. واليوم اختفى مثل هذا الكلام في الغرب، وصرنا نشهد انخراطا كاملا من المرأة في العمل السياسي.
28) لا يعني هذا الكلام أننا نبيح أغاني محمد عبد الوهاب وعبد الحليم حافظ، فأغانيهم بها كثير من الخلافات الشرعية. وهذا موضوع آخر.

<u>والمرأة</u>، بهدف تحقيق القضاء على التحيزات والعادات العرفية وكل الممارسات الأخرى القائمة على الاعتقاد بكون أي من الجنسين أدنى أو أعلى من الآخر، **أو على <u>أدوار نمطية للرجل والمرأة</u>**». وفي المقدمة نقرأ: «**دور المرأة في الإنجاب لا يجوز أن يكون أساسا للتمييز بل إن تنشئة الأطفال تتطلب بدلا من ذلك تقاسم المسؤولية بين الرجل والمرأة والمجتمع ككل**....تحقيق المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة يتطلب **<u>إحداث تغيير في الدور التقليدي للرجل وكذلك في دور المرأة في المجتمع والأسرة</u>**»[29]

ومنطق سيداو الغبي يشبه رئيس وزراء كلف بتشكيل حكومة، فوجد الساسة يتنافسون على تولي الوزارات السيادية كوزارة الخارجية والدفاع، ويتهربون من الوزارت القليلة الشأن كوزارة البيئة والتنمية المحلية، ففكر في حل يرضي جميع الشخصيات المرشحة، وذلك بأن يتولى كل منهم كل الوزرات في نفس الوقت، ويقسموا العمل فيما بينهم بالطريقة التي يرونها حتى لا يشعر أحدهم أنه أقل مكانة من الآخر. **هذا الحل يدخل في باب التهريج، الذي لا وجود له في أي مكان بالعالم إلا بين الرجل والمرأة داخل الأسرة المعاصرة،** التي فرت منها المرأة لتعمل خارج البيت، ثم طالبت زوجها بأن يقاسمها أعمال البيت. لا توجد مؤسة أو شركة محترمة أو غير محترمة تجعل كل موظف يمارس كل الأعمال بهذا الشكل المزري. ولهذا نحن نقول بأعلى صوت: **إن المساواة بين الجنسين مهزلة، وردة حضارية، ونكسة فكرية،** ما كان لها أن تسود العالم لولا دعم المال اليهودي غير المحدود. **المساواة بين الجنسين تخلف، لا تحضر.**

إن المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة تقلب الحياة البشرية رأسا على عقب. **ومن المحال أن نسوي بين الرجل والمرأة دون أن نقطع أوصال الشريعة الإسلامية، فالشريعة بنيت على اختلاف الرجل عن المرأة،** ولكي تسوي بينهما سيكون عليك أن ترفض عشرات القوانين الإلهية، وتخرج للناس دينا جديدا، ما أنزل الله به من سلطان.

<u>لقد أمر الله تعالى المسلمين بأن يكونوا شهداء على الناس</u>: {وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة: 143]، **<u>لكن المسلمين تركوا العالم يشهد عليهم</u>**، ويقول لهم هذا حق وهذا باطل. **كان على المسلمين أن يقولوا للعالم المتحضر:**

29) **اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة.** مفوضية الأمم المتّحدة السامية لحقوق الإنسان. تم الدخول على الموقع يوم 11-12-2022م
https://www.ohchr.org/ar/instruments-mechanisms/instruments/convention-elimination-all-forms-discrimination-against-women

"**أنت لست متحضرا لأنك هدمت الأسرة، ورددت المرأة إلى حالة الحيوانية". لكن المسلمين مع الأسف فقدوا ثقتهم بأنفسهم، وأسلموا عقولهم وقلوبهم للمنظمات الأممية والمواثيق الدولية** كي تملي عليهم كيف يتزوجون. تبا لهذا الانبطاح!

إن تاجر الخمور يشعر أن تحريم الإسلام للمسكرات لا يتواءم مع عمله، فهل نحذف الآيات التي حرمت الخمر من القرآن حتى نرضي تاجر الخمور، أم نطالبه بالتوقف عن تجارته الحرام؟ وبالمثل **هل نلغى عشرات الآيات والأحاديث، ونعتبرها عمليا كالجثث المحنطة لأنها لا تناسب المرأة المعاصرة، أم نطالب المرأة بأن تتغير؟**

وقد جاء هذا الكتاب من أجل هذا الغرض. **جاء ليقول للمرأة:** "**أنت مقيدة بقيود دينية كثيرة، ولن نغير شريعة الله من أجلك أبدا. أنتِ الذي يجب أن تتغيري**".

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

أهذا دين يهين المرأة ؟

ألفنا هذا الكتاب لمواجهة المؤامرة العالمية التي ترفع المرأة، وتحط من شأن الرجل، فتغير خلق الله، وتفسد فطرة البشر، وتدمر الحياة الاجتماعية على الأرض، وتحطم هيكل الشريعة الإسلامية. ومع ذلك لن نترك عداءنا للحركة النسائية يخرجنا عن الحياد. **سنقوم برد الهجوم النسائي، لكننا لن نفعل ذلك عبر التعصب للرجل والتحقير من شأن المرأة.**

وكثير من الملحدين هذه الأيام يرددون كالببغاء نفس الكلام المحفوظ عن إهانة الإسلام للمرأة. ولو قرأوا قليلا لعثروا على شواهد كثيرة، تدل على احترام الإسلام للمرأة. وتأملوا معي الحقائق التالية:

1. استوصوا بالنساء خيرا

أوصى الرسول عليه الصلاة والسلام بحسن معاملة النساء، فقال: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ». متفق عليه. وفي رواية مسلم: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا».

وفي هذا الحديث نجد ليس فقط التوصية بحسن معاملة النساء، بل دعوة لتفهم طبيعتها، فالمرأة تبدو في نظر الرجل ذات طبع معوج بسبب عاطفتها الطاغية، التى تجعلها تحيد عن الصواب والعقل في كثير من الأحيان. والحديث السابق يفهم منه أن **على الرجل أن يتكيف مع اعوجاج المرأة لأن إصلاحه بشكل كامل يترتب عليه خسارة.** فالضلع الأعوج لا يمكن أن يؤدي وظيفته إلا إذا كان أعوج، وإن حاولت أن تقوم اعوجاجه انكسر. وبالمثل إن أردتَ تغيير الطبيعة العاطفية للمرأة بشكل جذري حولتها إلى رجل، ولن تكون قادرة على رعاية أولادها وزوجها وإضفاء البهجة على أسرتها، وستخسر البشرية الكثير جدا.

وخلافا لرفق الإسلام بالمرأة نجد هيرودوت يذكر أن **البابليين كانوا إن حوصروا خنقوا زوجاتهم لكيلا يستهلكن ما عندهم من الطعام**[30].

---

30) قصة الحضارة (2/ 234)

2. أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك

أوصى الإسلام بالبر بالأم أكثر من وصيته بالأب، وذلك لأن بعض الأبناء إن تجاوزوا مرحلة الطفولة، واستغنوا عن رعاية الأم مارسوا رجولتهم عليها، وآذوها باللسان واليد. كما أن المرأة بطبعها أكثر حساسية، ومن السهل أن تغضب من أولادها لأشياء تافهة، خاصة بعد أن يتزوجوا، فتظن أنهم أهملوها، وانشغلوا بزوجاتهم. ولهذه الأسباب قال تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} [لقمان: 14]. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبُوكَ» متفق عليه.

وهنا يصمت أنصار المرأة تماما، وكأنهم لا يعرفون من الدين إلا حديث (ناقصات عقل ودين)!

3. المرأة ليست نجسة

ليست المرأة في الإسلام بطبعها مخلوقا مدنسا أو نجسا سواء من ناحية الروح أو الجسد. **من حيث الروح** لا فرق بين الرجل والمرأة إلا بالتقوى، فالمرأة البارة أفضل من الرجل الفاجر: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات: 13].

أما من حيث الجسد فالنجاسة التي تعتري المرأة أمر عارض، لا يدخل في أصل خلقتها، تماما مثل نجاسة الرجل. ونزول دم الحيض من المرأة يشبه نزول البول والبراز من الرجل. **وقارن هذا بالتوراة التي تعتبر المرأة نجسة في ذاتها وفي أصل خلقتها**، ففي سفر اللاويين أن المرأة تبقى نجسة لمدة أسبوع إن أنجبت ذكرا، وتبقى نجسة لأسبوعين إن أنجبت أنثى. ولا معنى لهذا إلا أن المولود الأنثى أكثر نجاسة في أصل خلقته من المولود الذكر: «**إِذَا حَبِلَتِ امْرَأَةٌ وَوَلَدَتْ ذَكَرًا، تَكُونُ نَجِسَةً سَبْعَةَ أَيَّامٍ**. كَمَا فِي أَيَّامِ طَمْثِ عِلَّتِهَا تَكُونُ نَجِسَةً. وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ يُخْتَنُ لَحْمُ غُرْلَتِهِ. ثُمَّ تُقِيمُ ثَلاَثَةً وَثَلاَثِينَ يَوْمًا فِي دَمِ تَطْهِيرِهَا. كُلَّ شَيْءٍ مُقَدَّسٍ لاَ تَمَسَّ، وَإِلَى الْمَقْدِسِ لاَ تَجِئْ حَتَّى تَكْمُلَ أَيَّامُ تَطْهِيرِهَا. **وَإِنْ وَلَدَتْ أُنْثَى، تَكُونُ نَجِسَةً أُسْبُوعَيْنِ** كَمَا فِي طَمْثِهَا. ثُمَّ تُقِيمُ سِتَّةً وَسِتِّينَ يَوْمًا فِي دَمِ تَطْهِيرِهَا» سفر اللاويين (12: 2-5).

إن المولود إذا خرج من بطن أمه يكون جسده ملوثا بسوائل الرحم ودماء المرأة. وفي هذا يستوي الذكر والأنثى، فكلا منهما يمكث في الرحم لنفس الفترة، ويولد بنفس الطريقة، ويتغطى جسمه بنفس السوائل، فما السبب الذي جعل التوراة تعتبر الأم التي أنجبت أنثى أكثر نجاسة من تلك التي ولدت ذكرا؟ **أما في الإسلام ففترة نجاسة المرأة بعد الولادة (النفاس) واحدة سواء كان المولود ذكرا أم أنثى**، وذلك لأن النجاسة سببها خروج الدم من الرحم، وليس خروج المولود من الرحم، فإن توقف النزيف طهرت المرأة.

وفي بلاد الصين قديما كان من الشرائع المتبعة **ألا يُسمح لغير الذكور بتقريب القربان إلى الآباء والأسلاف.**[31] وهذا دليل على أنهم كانوا ينظرون إلى المرأة على أنها مخلوق مدنس، لا يرقى لممارسة تلك الشعائر المقدسة. **أما في الإسلام فالله تعالى يتقبل الصدقة من المرأة كما يتقبلها من الرجل**، لأن ما يحدد قبول الصدقة هو النية، فمن قصد بصدقته وجه الله قُبلت صدقته، ومن فعلها للرياء، أو أعقبها بالمن والأذن رُدت صدقته: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} [البقرة: 264]. وكون الإنسان ذكرا لا يجعل الله تعالى يتقبل قربانه بشكل تلقائي: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} [المائدة: 27]

4. وأد البنات

حرم الإسلام وأد البنات، أي دفن البنت حية بعد ولادتها، وذلك لأن البنت كانت في الجاهلية عبئا على والدها، فهو يربيها ويطعمها دون أن تساعده بعملها أو تقوي شوكته في مواجهة أعدائه. وحكى القرآن عن شعور الرجل بالغم إن ولدت امرأته أنثى، إلى درجة التفكير في دفنها تحت التراب: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (58) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} [النحل: 58، 59].

---

31) قصة الحضارة (4/ 266)

وفي بلاد الفرس نجد نفس الكراهية للبنات؛ يقول يول ديورانت: «فالذكور منهم ذوو فائدة اقتصادية لآبائهم وحربية لملوكهم؛ أما البنات فلم يكن يرغب فيهن، لأنهن كن ينشأن لغير بيوتهن، وليستفيد منهن غير آبائهن. ومن أقوال الفرس في هذا المعنى: "إن الرجال لا يدعون الله أن يرزقهم بنات، والملائكة لا تحسبهن من النعم التي أنعم بها على بني الإنسان"»[32].

ونفس التفكير نجده في الصين قديما؛ يقول ويل ديورانت: «وكان الآباء يدعون في صلواتهم أن يرزقوا أبناء؛ وكان من أشد أسباب المذلة الدائمة للأمهات ألا يكون لهن أبناء ذكور لأن هؤلاء أقدر من البنات على العمل في الحقول وأثبت منهن جنانا في ميدان القتال.... وكانت البنات تعد عبئا على الآباء لأنهم يربونهن ويصبرون على تربيتهن ولا ينالهم من ذلك إلا أن يبعثوا بهن متى كبرن إلى بيوت أزواجهن ليعملن فيها ويلدن أبناء يكدون لأسر غير أسرهم. **وإذا ولد للأسرة بنات أكثر من حاجتها وصادفت الأسرة الصعاب في إعالتهن تركتهن في الحقول ليقضي عليهن صقيع الليل أو الحيوانات الضارية دون أن تشعر بشيء من وخز الضمير**»[33].

وعرف قتل البنات أيضا عند المصريين القدماء، ففي إحدى البرديات أوصى رجل زوجته إن ولدت، وكان المولود ذكرا، فعليها أن تربيه، أما إن كانت أنثى فعليها أن تلقي بها في العراء (طبعا لتموت أو ليلتقطها من يربيها)[34].

فلما جاء الإسلام استنكر كل هذا، **وحرم وأد البنات في أكثر من آية:**

- {وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ} [التكوير: 8، 9].
- {وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا} [الإسراء: 31].
- {وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ} [الأنعام: 151].
- ومن بنود بيعة النبي مع المؤمنات: {وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ} [الممتحنة: 12]

وجعل الإسلام للمرأة قيمة مساوية لقيمة الرجل باعتبار أنها تمتلك مثله القدرة على تحقيق التقوى: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: 13]. فالحمد لله على نعمة الإسلام.

---

32) قصة الحضارة (2/ 442).
33) قصة الحضارة (4/ 266)

34) **Oxy. 744**, in Mary F. Lefkowitz and Maureen B. Fant, ed., Women's Life in Greece and Rome: A Sourcebook in Translation (Baltimore: The Johns Hopkins UP, 2005), 187.

5. روح المرأة مساوية لروح الرجل

روح المرأة لها نفس قيمة روح الرجل، فمن قتل رجلا فعقابه القتل، ومن قتل امرأة فعقابه القتل أيضا. وقد عاقب الرسول عليه الصلاة والسلام رجلا بالموت لأنه قتل امرأة: روى البخاري عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ يَهُودِيًّا رَضَّ رَأْسَ جَارِيَةٍ بَيْنَ حَجَرَيْنِ، قِيلَ مَنْ فَعَلَ هَذَا بِكِ، أَفُلاَنٌ، أَفُلاَنٌ؟ حَتَّى سُمِّيَ اليَهُودِيُّ، فَأَوْمَأَتْ بِرَأْسِهَا، فَأُخِذَ اليَهُودِيُّ، فَاعْتَرَفَ، «فَأَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرُضَّ رَأْسُهُ بَيْنَ حَجَرَيْنِ».

6. حياة المرأة لها قيمة مستقلة

في الإسلام حياة المرأة لها قيمة مستقلة عن حياة زوجها، فالله تعالى خلق المرأة في هذا العالم ليختبرها. وسواء عاش الرجل أو مات، فاختبار الزوجة مستمر، ويمكنها أن تثبت لله تعالى تقواها بعد موت زوجها من خلال فعل الطاعات التى لا ترتبط بالزوج كالصدقة والصلاة والحج ورعاية الأبناء. حقا طاعة الزوج من واجبات المرأة التي تثاب عليها، لكن هناك مجالات أخرى كثيرة للعمل الصالح غير ذلك. ولنا في رسول الله أسوة حسنة، فقد مات عليه الصلاة والسلام، فانطلقت زوجاته، يعلمن المسلمين دينهم، ويحملن راية الإسلام من بعده. وهذا يعني أن المرأة بالنسبة للرجل ليست صفرا على الشمال كما يقال.

ومن حق المرأة في الإسلام أن تتزوج بعد وفاة زوجها، ولا يجوز بحال من الأحوال أن يحرمها أحد من الزواج بعده كما يفعل بعض الأبناء اليوم. وقارن هذا بحال **المرأة في الهند، التي كانت تُمنع من الزواج بعد وفاة زوجها**، «فما دام الزواج قد ربط المرأة بزوجها رباطاً أبدياً، فإن زواجها مرة ثانية بعد موت زوجها كان يعد جريمة فادحة، ومن نتائجه المحتومة أن يحدث للزواج اضطراباً في حياته المقبلة، وعلى ذلك كان لابد للأرملة وفق قانون البرهمي أن **تظل بغير زواج وأن تحلق شعرها** وتحيى حياتها (إذا لم تؤثر لنفسها القتل في نار زوجها) معنية بأطفالها ومشتغلة بأعمال البر والإحسان»[35].

35) قصة الحضارة (3/ 183)

وتأمل كذلك **ظاهرة حرق الزوجات**. لقد كان المصريون القدماء أحيانا يدفنون المرأة مع زوجها في قبره. يقول واليس بادج: « إن وجود جثث النساء في مقبرة أمنحتب في طيبة يثبت أنه فى الأسرة الثامنة عشرة **كان يتم سجن الزوجات المفضلات أو شنقهن أو السماح لهن بالانتحار حتى تذهب أرواحهن إلى زوجهن في العالم الآخر ويواصلن خدمتهن الزوجية له**. وشخصية هذا الملك المتعطشة للدماء التي تجلت في شنق جثث سبع قادة مهزومين على قوس سفينته ثم عرضهم على أسوار طيبة والنوبة يوحي بأن النساء البائسات في هذا القبر تم قتلهن وفقا لرغباته»[36]

وفي بلاد الصين كان الرجل إذا مات «ينتظر من أرملته ألا تتزوج بعده، وكان يطلب إليها في بداية الأمر أن تحرق نفسها تكريما له، وظلت حوادث من هذا النوع تقع في الصين إلى أواخر القرن التاسع عشر بعد الميلاد»[37].

وحرق الزوجات اشتهر في الهندوسية بصفة خاصة. وقد كان هذا يتم أحيانا **بطريقة بشعة، وذلك بأن تدفن الزوجة، وهي حية، وهذا أسوأ من وأد البنات في الجاهلية**. يقول ويل ديورانت:

«ثم تعود قصيدة "ماهابهاراتا" فتصف هذه العادة الاجتماعية وصفاً يدل على عودتها كاملة **بغير شعور من الناس بفداحة ما يفعلون**، وهي تذكر أمثلة كثيرة لهذه العادة، ثم تضع للناس قاعدة عامة مؤداها أن **الأرملة الطاهرة لا تحب أن تحيا بعد زوجها، بل تراها تدخل النار فخورة بصنيعها**، وكانوا في هذه المناسبات يحرقون جسد الزوجة في حفرة من الأرض، أو **يدفنونها حية**، كما كان يحدث بين قبيلة "تلوج" في الجنوب؛ ويروي لنا سترابو أن عادة قتل الزوجة بعد موت زوجها كانت شائعة في الهند أيام الإسكندر، وأن قبيلة "كاثي"– وهي قبيلة تسكن البنجاب– اتخذت من هذه العادة قانوناً **حتى لا تدس زوجة لزوجها السم فتقتله**، ولا يذكر "مانو" عن هذه العادة شيئاً؛ ولقد عارضها البراهمة أول الأمر، لكنهم عادوا فقبلوها، وأخيراً **خلعوا عليها قداسة دينية تحميها من العبث، وذلك بأن جعلوها مرتبطة بأبدية الرابطة الزوجية: فالمرأة إذا ما تزوجت رجلا كان عليها أن تظل زوجته إلى الأبد**، وستعود إلى الارتباط الزوجي به في

---

36) Osiris and the Egyptian resurrection. By E. A. Wallis Budge. Page xxii. London: Philip Lee Warner. NewYork: Putnam's sons. 1912.

37) قصة الحضارة (4/ 272).

حياته المقبلة؛ وهذه الملكية المطلقة من الزوج لزوجته، اتخذت في "راجستان" صورة ما يسمونه "جوهور" وهي عادة تقضي على الرجل من أهل راجبوت، إذا **ما أصابه نوع معين من الهزيمة، أن يضحي بزوجاته قبل أن يتقدم هو إلى الموت في ساحة القتال»**[38].

وأحيانا كان حرق الزوجات يتم بشكل جماعي. يقول ويل ديورانت:

«وفي "فيجاياناجار" كان قتل الزوجة هذا يتخذ صورة جمعية، فلا يكتفي فيه بقتل زوجة واحدة أو عدد قليل من زوجات الأمير أو القائد بعد موته، بل كان لابد لكل زوجاته أن يتبعنه إلى الموت؛ ويروى لنا "كونتي" أن "الرايا" أو الملك قد اختار **ثلاثة آلاف من زوجاته** البالغ عددهن اثني عشر ألفاً، ليكن مقربات له "على شرط أن يحرقن أنفسهن مختارات عند موته، وأن ذلك ليعد شرفاً عظيماً لهن»[39]

والشيء المثير أن **المسلمين هم الذين حاربوا عادة حرق الزوجات، لكن الهنود تمسكوا بها بشدة**. يقول ويل ديورانت:

«وانتشرت العادة في حكم المغول انتشارا واسعاً على الرغم من **كراهية المسلمين لها**، ولقد **فشل ملوك المسلمين، حتى "أكبر" بكل نفوذه، في زحزحة هذه العادة من النفوس، وحاول "أكبر" ذات مرة أن يثني عروساً هندية عن تقديم نفسها طعاماً للنار على كومة الحطب التي أحرقت خطيبها الميت**، وتوسل إليها البراهمة بما يؤيد رجاء الملك، **لكن العروس أصرت على التضحية فلما دنت منها السنة اللهب**، وكان "دانيال"– ابن "أكبر"– عندئذ ماضيا في إقناعها بالعدول، إجابته قائلة: "كفى، كفى"؛ وحدث كذلك لأرملة أخرى أن رفضت مثل هذه التوسلات بالإقلاع عن التضحية بنفسها، ووضعت إصبعها في شعلة مصباح حتى التهمتها النار»[40].

38) قصة الحضارة (3/ 181)
39) قصة الحضارة (3/ 183)
40) قصة الحضارة (3/ 182)

7. المساواة في الحقوق والواجبات

الرجال والنساء متساوون من حيث المبدأ في الحقوق والواجبات الدينية مع وجود تفضيل نسبي للرجل: {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [البقرة: 228]. الرجل يصلى، والمرأة تصلى؛ الرجل يصوم، والمرأة تصوم؛ الرجل يحج، والمرأة تحج؛ الرجل يتوضأ، والمرأة تتوضأ؛ الرجل يتصدق، والمرأة، تتصدق؛ الرجل ينذر، والمرأة تنذر؛ الرجل يضحي، والمرأة تضحي؛ الرجل يقرأ القرآن، والمرأة تقرأ القرآن. وبالجملة ما بين المرأة والرجل من تشابه في التشريعات أكثر مما بينهما من اختلافات. وتفضيل الرجل في بعض الأحيان نابع من اختلافه عن المرأة في الخلقة والطبع والدور الاجتماعي، فهو تفضيل مسبب، ولم ينبع من الهوى أو احتقار المرأة.

8. المساواة في الحدود

في الإسلام يتساوى الرجل والمرأة في الحدود، فحد القتل والسرقة والزنا وشرب الخمر والردة واحد بالنسبة للاثنين. على سبيل المثال تكلم الله تعالى عن حد الزنا فقال: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ} [النور: 2]. وقال في حد السرقة: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [المائدة: 38].

وخلافا لشريعة الإسلام نجد **القانون الروماني يفرق بين الزاني والزنية**، حيث يقول كاتو الكبير «إذا وجدت زوجتك تزني، فإن القانون يبيح لك أن **تقتلها من غير محاكمة**؛ وإذا ما فاجأتك مصادفة وأنت ترتكب هذه الجريمة نفسها فليس لها أن تمسك حتى بأطراف أصابعها، لأن القانون يحرم عليها هذا»[41]. **وهذا القانون الروماني أقرب للهمجية** لأن من الممكن لأي رجل أن يدعي أنه وجد زوجته تزني، فيقتلها وهو في مأمن من العقاب، بينما يكون سبب القتل أمر آخر كرغبته في وراثتها والزواج بأخرى. **أما الإسلام فقد منع الرجل إن شاهد زوجته تزني أن يقتلها، بل سن تشريع** "**اللعان**"، الذي يقضي بأن تقسم المرأة على براءتها من الزنا، ويقسم الرجل على صدق اتهامه لها، فإن اعترفت المرأة بالزنا أقيم عليها الحد، وإن أقسمت أنها بريئة

---

41) قصة الحضارة (9/ 144)

فُسخ الزواج، وفُرق بينهما إلى الأبد. قال تعالى: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (6) وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (7) وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (8) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ } [النور: 6 – 9].

وروى البخاري عن ابن عباس في سبب نزول هذه الآية أَنَّ هِلاَلَ بْنَ أُمَيَّةَ، قَذَفَ امْرَأَتَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَرِيكِ ابْنِ سَحْمَاءَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «البَيِّنَةَ أَوْ حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذَا رَأَى أَحَدُنَا عَلَى امْرَأَتِهِ رَجُلًا يَنْطَلِقُ يَلْتَمِسُ البَيِّنَةَ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «البَيِّنَةَ وَإِلَّا حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ» فَقَالَ هِلاَلٌ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ إِنِّي لَصَادِقٌ، فَلَيُنْزِلَنَّ اللَّهُ مَا يُبَرِّئُ ظَهْرِي مِنَ الحَدِّ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ} [النور: 6] فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ: {إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ} [النور: 9] فَانْصَرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا، فَجَاءَ هِلاَلٌ فَشَهِدَ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ، فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبٌ» ثُمَّ قَامَتْ فَشَهِدَتْ، فَلَمَّا كَانَتْ عِنْدَ الخَامِسَةِ وَقَّفُوهَا، وَقَالُوا: إِنَّهَا مُوجِبَةٌ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَتَلَكَّأَتْ وَنَكَصَتْ، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهَا تَرْجِعُ، ثُمَّ قَالَتْ: لاَ أَفْضَحُ قَوْمِي سَائِرَ اليَوْمِ، فَمَضَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبْصِرُوهَا، فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَكْحَلَ العَيْنَيْنِ، سَابِغَ الأَلْيَتَيْنِ، خَدَلَّجَ السَّاقَيْنِ، فَهُوَ لِشَرِيكِ ابْنِ سَحْمَاءَ»، فَجَاءَتْ بِهِ كَذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْلاَ مَا مَضَى مِنْ كِتَابِ اللَّهِ لَكَانَ لِي وَلَهَا شَأْنٌ»

(نكصت): أحجمت عن استمرارها في اللعان. (لا أفضح قومي سائر اليوم): لا أكون سببا في فضيحتهم بأن يقول الناس أن منهم امرأة زانية. (فمضت): واصلت القسم. (أبصروها): راقبوها بعد أن تلد. (أكحل): شديد سواد الجفون. (سابغ الأليتين) ضخم الأليتين. (خدلج): ممتلئ. (لي ولها شأن): كان لي معها تصرف آخر، أي أرجمها.

وشريعة اللعان في الإسلام تدعو فعلا للإعجاب، فقد اشتهر العرب بالغيرة على المرأة، وباركت شريعة الإسلام هذه الغيرة، فضيقت على المرأة في الزينة، وهاجمت الرجل الديوث، الذي لا يغار على أنثاه، ومع ذلك قدمت الشريعة حياة المرأة على غيرة الرجل، فلو فتح الباب للرجال ليقتلوا زوجاتهم بحجة الزنا، لأزهقت أرواح كثير من النساء ظلما.

وسنجد أيضا أن السومريين قد غلظوا العقوبات على المرأة، وتهاونوا مع الرجل. يقول ويل ديورانت: «وكان الحكم الأخلاقي على الرجل يختلف عن الحكم الأخلاقي على المرأة حتى في

ذلك العهد السحيق، وكان ذلك نتيجة لازمة لاختلافهما في شئون الملكية والوراثة. فزنا الرجل كان يعد من النزوات التي يمكن الصفح عنها، أما **زنا الزوجة فكان عقابه الإعدام**، وكان ينتظر منها أن تلد لزوجها وللدولة كثيرا من الأبناء؛ فإذا كانت عاقرا جاز طلاقها لهذا السبب وحده، أما **إذا كرهت أن تقوم بواجبات الأمومة، فكانت تقتل غرقاً**»[42].

وعند البابليين نص القانون على إغراق الزوج الزاني ومن زنت معه إلا إذا أشفق الزوج على زوجته فآثر أن يستبدل بهذه العقوبة إخراجها إلى الطريق عارية إلا من القليل الذي لا يكاد يستر شيئا من جسمها[43]. والعقوبة الأخيرة مثيرة للاشمئزاز (ومثيرة للشهوة) رغم أنها تحقق تقريبا المساواة بين الرجل والمرأة! لكن أحد قوانين حمورابي نص على أن **المرأة وحدها تعاقب بالموت لمجرد وجود إشاعات حول فعلها للزنا:** «إذا أشار الناس بإصبعهم إلى زوجة رجل لعلاقتها برجل غيره، ولم تضبط وهي تضاجعه، وجب أن تلقي بنفسها في النهر لشرف زوجها»[44]. وهنا نجد حكما بالموت على المرأة دون أي تثبت. وهذه استهانة شنيعة بروحها وحياتها.

وقارن القانون الأخير بشريعة الإسلام التي تعاقب من يروج إشاعة زنا حول امرأة دون دليل بعقوبة قاسية هي الجلد ثمانين جلدة، واعتباره شخصا غير جدير بالثقة، ولا يجوز قبول شهادته أبدا: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور: 4]. وفي آية أخرى **هاجم القرآن بألفاظ في غاية القسوة أولئك الذين يتهمون المرأة العفيفة في شرفها بلا دليل:** {إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (23) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (24) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ} [النور: 23 – 25]. **وهكذا حرص الإسلام على سمعة المرأة، بينما حرص البابليون القدماء على سمعة الرجل!**

42) **قصة الحضارة** (2/ 32).
43) **قصة الحضارة** (2/ 232)
44) **قصة الحضارة** (2/ 232)

9. الاستقلال المالي والقانوني للمرأة

المرأة في الإسلام لها ذمتها المالية المستقلة، **فلها أن تبيع وتشتري وتهب كما تشاء**. على سبيل المثال اشترت السيدة عائشة يوما جارية اسمها بريرة، وأعتقتها. وقد أدارت السيدة عائشة الصفقة بمفردها، ولم يتدخل الرسول عليه الصلاة والسلام إلا لبيان حكم الشرع في اتفاق الشراء: عَنْ عُرْوَةَ، أَنَّ عَائِشَةَ، أَخْبَرَتْهُ، أَنَّ بَرِيرَةَ جَاءَتْ عَائِشَةَ تَسْتَعِينُهَا فِي كِتَابَتِهَا، وَلَمْ تَكُنْ قَضَتْ مِنْ كِتَابَتِهَا شَيْئًا، فَقَالَتْ لَهَا عَائِشَةُ: ارْجِعِي إِلَى أَهْلِكِ، فَإِنْ أَحَبُّوا أَنْ أَقْضِيَ عَنْكِ كِتَابَتَكِ وَيَكُونَ وَلَاؤُكِ لِي فَعَلْتُ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ بَرِيرَةُ لِأَهْلِهَا فَأَبَوْا، وَقَالُوا: إِنْ شَاءَتْ أَنْ تَحْتَسِبَ عَلَيْكِ فَلْتَفْعَلْ، وَيَكُونَ لَنَا وَلَاؤُكِ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: لَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ابْتَاعِي فَأَعْتِقِي، فَإِنَّمَا الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ» متفق عليه، واللفظ لمسلم.

وخلافا لذلك سنجد أن **المرأة اليونانية لم يكن لها ذمة مالية ولا قانونية مستقلة**، فلم يكن «**في مقدورها أن تتعاقد على شيء أو أن تستدين أكثر من مبلغ تافه أو أن ترفع قضايا أمام المحاكم**. ومن شرائع صولون أن **العمل الذي يقوم به إنسان تحت تأثير المرأة عمل باطل قانوناً**»[45]. وفي بلاد الرومان كان يحرم على المرأة أن تظهر في دار المحكمة ولو كانت شاهدة[46].

10. للمرأة نصيب من الميراث

منح الإسلام المرأة نصيبا من الميراث بعد أن كانت لا ترث في الجاهلية في أغلب الأحوال. قال تعالى: {لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا} [النساء: 7].

وروى الطبري أن **أهل الجاهلية كانوا يحرمون الإناث والصبيان من الميراث لأنهم لا يشاركون في الدفاع والقتال**: عن ابن عباس: لما نزلت الفرائض التي فرض الله فيها ما فرض للولد الذكر والأنثى والأبوين، كرهها الناس أو بعضهم، وقالوا:"تعطى المرأة الربع والثمن، وتعطى الابنة

45) قصة الحضارة (7/ 117)
46) قصة الحضارة (9/ 120)

النصف، ويعطى الغلام الصغير، وليس من هؤلاء أحد يقاتل القوم ولا يحوز الغنيمة! اسكتوا عن هذا الحديث لعلّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ينساه، أو نقول له فيغيّره". فقال بعضهم: يا رسول الله، أنعطي الجارية نصف ما ترك أبوها، وليست تركب الفرس ولا تقاتل القوم، ونعطي الصبيَّ الميراث وليس يغني شيئًا؟! وكانوا يفعلون ذلك في الجاهلية، لا يعطون الميراث إلا من قاتل، يعطونه الأكبر فالأكبر[47].

وعَنْ جَابِرٍ قَالَ: جَاءَتْ امْرَأَةُ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِابْنَتَيْهَا مِنْ سَعْدٍ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَاتَانِ ابْنَتَا سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، قُتِلَ أَبُوهُمَا مَعَكَ فِي أُحُدٍ شَهِيدًا، وَإِنَّ عَمَّهُمَا أَخَذَ مَالَهُمَا، فَلَمْ يَدَعْ لَهُمَا مَالًا، وَلَا يُنْكَحَانِ إِلَّا وَلَهُمَا مَالٌ، قَالَ: فَقَالَ: " يَقْضِي اللهُ فِي ذَلِكَ "، قَالَ: فَنَزَلَتْ آيَةُ الْمِيرَاثِ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَمِّهِمَا، فَقَالَ: " أَعْطِ ابْنَتَيْ سَعْدٍ الثُّلُثَيْنِ، وَأُمَّهُمَا الثُّمُنَ، وَمَا بَقِيَ فَهُوَ لَكَ"[48].

ويقول الدكتور جواد عليّ: «والأخبار متضاربة في موضوع إرث المرأة والزوجة في الجاهلية، **وأكثرها أنها لا ترث أصلًا.** غير أن هناك روايات يفهم منها أن من الجاهليات من ورثن أزواجهن وذوي قرباهن، وأن عادة حرمان النساء الإرث لم تكن سنة عامة عند جميع القبائل. ولكن كانت عند قبائل دون قبائل. وما ورد في الأخبار يخص على الأكثر أهل الحجاز»[49].

و**في بلاد اليونان** القديمة إذا مات الزوج لم ترث زوجته شيئاً من ماله[50]. **وفي بلاد الرومان** إذا مات الزوج لم يكن لامرأته أن تطالب بأي حق لها في ماله، لكنها كان من حقها أن ترث، وإن حدد هذا الميراث بما لا يزيد على مائة ألف سسترس.[51]

47) **تفسير الطبري** (7/ 32)

48) إسناده محتمل للتحسين من أجل ابن عقيل، وقد تفرد به، وقد صححه الترمذي من طريقه. فقد أخرجه في "سننه" (2092) عن عبد بن حميد، عن زكريا بن عدي، بهذا الإسناد. وقال: هذا حديث صحيح لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل. وأخرجه ابن سعد 524/3، والطحاوي 395/4، والحاكم 333/4-334 من طرق عن عبيد الله بن عمرو، به. وأخرجه أبو داود (2891) و (2892) ، وابن ماجه (2720) ، وأبو يعلى (2039)، والدارقطني 78/4 و79، والبيهقي 216/6 و229، والواحدي في "أسباب النزول" ص 96-97 من طرق عن عبد الله بن محمد بن عقيل، به. انظر تعليق المحققين على **"مسند أحمد"** (23/ 108).

49) **المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام** (10/ 235). تأليف الدكتور جواد علي. الناشر: دار الساقي. الطبعة الرابعة 1422هـ/ 2001م

50) **قصة الحضارة** (7/ 117)

51) **قصة الحضارة** (9/ 120)

11. حق المرأة في اختيار الزوج

لا خلاف على حق المسلمة في اختيار زوجها، وذلك لحديث النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تُنْكَحُ الأَيِّمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ، وَلاَ تُنْكَحُ البِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ إِذْنُهَا؟ قَالَ: «أَنْ تَسْكُتَ». متفق عليه.

أما **في بلاد اليونان فقد كان الأب يزوج بناته لمن يشاء، بل كان من الجائز له في بعض الأحيان أن يختار لامرأته بعد وفاته رجلا تتزوجه**[52].

وفي بابل كان الزواج أقرب إلى صفقة، يبيع فيها الأب ابنته، ويقبض الثمن. يقول ويل ديورانت: «على أن بعض الزيجات كانت بيعاً صريحاً، من ذلك إن شمشتريز حصل على عشرة شواقل ثمناً لابنته. وإذا جاز لنا أن نصدق أبا التاريخ "فإن من كانت لهم بنات في سن الزواج يأتون بهن مرة في كل عام إلى مكان يجتمع فيه حولهن عدد كبير من الرجال، ثم يصفهن دلاّل عام ويبيعهن جميعاً واحدة في إثر واحدة، فينادي أولاً على أجملهن، وبعد أن يقبض فيها ثمناً عالياً ينادي على من تليها في الجمال. ولكنه لم يكن يبيعهن إلا بشرط أن يتزوجهن المشترون»[53]

12. حماية شرف المرأة

أسوأ من إكراه المرأة على الزواج إكراهها على البغاء وممارسة الفاحشة. **وقد حرم الإسلام ذلك تماما، ليس فقط على الحرائر بل على الإماء، الذين لم يكن أحد في الجاهلية يعبأ بشرفهن وحسن سمعتهن.** قال تعالى: {وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور: 33].

وعند البابليين سنجد أن «**كل رجل من عامة الشعب إذا عضه الفقر، عرض بناته للدعارة طلباً للمال**» كما يقول هيرودت[54].

---

52) قصة الحضارة (7/ 121)
53) قصة الحضارة (2/ 231)
54) قصة الحضارة (2/ 234)

وقد فعل البابليون ما هو أبشع، فقد **أجبروا المرأة على ما نسميه "الاغتصاب المقدس"**، إذ كان على كل امرأة أن تذهب إلى (هيكل الزهرة) مرة في حياتها، لكي تهب جسدها لأول رجل غريب يطلبه، وليس من حقها أن ترفض الزنا مع هذا الرجل. وإن كانت المرأة قبيحة وجب عليها أن تبقي حبيسة في المعبد لسنوات حتى يرضى رجل بأن يزني معها. يقول ويل ديورانت:

«ينبغي لكل امرأة بابلية أن تجلس في هيكل الزهرة مرة في حياتها، وأن تضاجع رجلاً غريباً. ومنهن كثيرات يرتفعن عن الاختلاط بسائر النساء، لكبريائهن الناشئ من ثرائهن، وهؤلاء يأتين في عربات مقفلة ويجلسن في الهيكل ومن حولهن عدد كبير من الحاشية والخدم. أما الكثرة الغالبة منهن فيتبعن الطريقة الآتية: تجلس الكثيرات منهن في هيكل الزهرة وعلى رؤوسهن تيجان من الحبال، بين الغاديات والرائحات اللاتي لا ينقطع دخولهن وخروجهن. وتخترق جميع النساء ممرات مستقيمة متجهة في كل الجهات، ثم يمر فيها الغرباء ليختاروا من النساء ممن يرتضون. فإذا جلست امرأة هذه الجلسة كان عليها ألا تعود إلى منزلها حتى يلقي أحد الغرباء قطعة من الفضة في حجرها ويضاجعها في خارج المعبد. وعلى من يلقي القطعة الفضية أن يقول: أضرع إلى الإلهة ميلتا أن ترعاك؛ ذلك بأن الآشوريين يطلقون على الزهرة اسم ميلتا. ومهما يكن من صغر القطعة الفضية فإن المرأة لا يجوز لها أن ترفضها، فهذا الرفض يحرمه القانون لما لها في نظرهم من قداسة. وتسير المرأة وراء أول رجل يلقيها إليها، وليس من حقها أن ترفضه أيا كان. فإذا ما ضاجعته وتحللت مما عليها من واجب للآلهة، عادت إلى منزلها. ومهما بذلت لها من المال بعدئذ لم يكن في وسعك أن تنالها. ومن كانت من النساء ذات جمال وتناسب في الأعضاء، لا تلبث أن تعود إلى دارها، أما المشوهات فيبقين في الهيكل زمناً طويلاً، وذلك لعجزهن عن الوفاء بما يفرضه القانون عليهن؛ ومنهن من ينتظرن ثلاث سنين أو أربعاً[55]" وقد ظلت "الدعارة المقدسة" عادة متبعة في بلاد بابل حتى ألغاها قسطنطين حوالي عام 325 ق. م»[56]

---

55) **قصة الحضارة** (2/ 229)
56) **قصة الحضارة** (2/ 231)

13. الرجل يحكم ولا يملك

من واجب المرأة المسلمة طاعة زوجها، لكن سلطة الرجل لا تعني أن من حقه أن يفعل بها ما يشاء كما لو كان يمتلكها، فهذه السلطة مشروطة، إذ **أن من حق الزوجة أن تعصى زوجها إن أمرها بما يغضب الله** طبقا لحديث: «لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ». وهو صحيح على شرط الشيخين[57]. وقارن هذا **بالسومريين، الذين سمحوا للرجل أحيانا أن يقتل زوجته أو يبيعها، وكأنها بضاعة اشتراها بماله**، ويحق له أن يتلفها أو يبيعها متى شاء. يقول ويل ديورانت: «غير أن الرجل كان هو السيد المسيطر في الأزمات جميعها **وكان من حقه في بعض الظروف أن يقتل زوجته أو يبيعها كأمة وفاء لما عليه من الديون»**[58]. وفي الصين كان **في وسع الأب أيضا أن يبيع زوجته وأبناء ه ليكونوا عبيدا**[59].

14. طاعة الزوج دون إذلال

من واجب المرأة أن تطيع زوجها، لكن هذا لا يعطيه الحق في التكبر عليها، ومعاملتها كالعبيد والحيوانات. في بلاد الصين مثلا كان الرجل «**يتناول طعامه بمفرده، لا يدعو زوجته ولا أبناء ه إلى المائدة معه إلا في أوقات قليلة نادرة**...وكان الصيني يجامل زوجته كما يجامل كل إنسان سواها، ولكنه **كان في حياته بعيدا كل البعد عن زوجته وأبنائه كأنه من طبقة غير طبقتهم»**[60].

والإسلام لا يعرف هذا التكبر من الرجل على زوجته، فقد **دعا للتواضع حتى مع العبيد، فما بالك بالزوجات؟** إن من الواجب على السيد أن يطعم عبده مما يأكل، ويلبسه مما يلبس، وذلك لقول الرسول عليه الصلاة والسلام عن العبيد: «هُمْ إِخْوَانُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ جَعَلَ اللَّهُ أَخَاهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ يُكَلِّفُهُ مِنَ العَمَلِ مَا يَغْلِبُهُ، فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ عَلَيْهِ» متفق عليه. وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوصِي بِالْمَمْلُوكِينَ خَيْرًا، وَيَقُولُ: " أَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَأَلْبِسُوهُمْ مِنْ لَبُوسِكُمْ، وَلَا تُعَذِّبُوا

---

57) انظر تعليق المحققين على **"مسند أحمد"** (2/ 333)
58) **قصة الحضارة** (2/ 32).
59) **قصة الحضارة** (4/ 272).
60) **قصة الحضارة** (4/ 272).

خَلْقَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ"[61]. ولعلكم تذكرون كيف نزل القرآن يوما بعتاب شديد للرسول عليه الصلاة والسلام لأنه لم يولي رجلا أعمى من المؤمنين نفس الاهتمام الذي أولاه للأشراف من الكفار. أفيمكن لمثل هذا الدين أن يسمح للرجل بأن يتكبر على زوجته، ويذلها؟

15. عقاب المرأة بلا وحشية

سمح الإسلام للرجل بأن يعاقب زوجته بالضرب، لكن يشترط أن يكون الضرب خفيفا: «فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ». رواه مسلم. قارن هذا **بقوانين البابليين القدماء الوحشية التي تعاقب سيدة البيت المهملة بالموت غرقا:** «إذا لم تكن سيدة حريصة على أداء واجبها، بل كانت دوارة غير مستقلة في منزلها، مهملة لشئون بيتها، مستخفة بأطفالها، وجب أن تلقى في الماء»[62]

كما منع الإسلام الرجل أن يعاقب زوجته بالهجر في المضجع لأكثر من أربعة أشهر: {لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (226) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: 226، 227]. وعَن ابْن عَبَّاس قَالَ: «كان إيلَاء أهل الْجَاهِلِيَّة السّنة والسنتين وَأكْثر من ذَلِك فوقت الله أَرْبَعَة أشهر».[63]

16. إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان

في الإسلام لا يوجد إلا خياران: العيش مع الزوجة بمعروف أو تسريحها بإحسان (أي تطليقها دون إهانة وانتقام). قال تعالى: {الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ} [البقرة: 229]. وقال: {فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ} [الطلاق: 2].

ومن صور الإحسان في الطلاق أن يمنح الرجل المرأة ما يسمى "بالمتاع"، وهو مبلغ من المال لتعزيتها، وإزالة الحزن من قلبها: {وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ} [البقرة: 241]. وقال تعالى: {لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً

61) **صحيح الأدب المفرد** (1/ 90).
62) **قصة الحضارة** (2/ 232)
63) أخرجه سعيد بن مَنْصُور وَعبد بن حميد وَالطَّبَرَانِيّ وَالْبَيْهَقِيّ والخطيب. انظر: **"الدر المنثور في التفسير بالمأثور"** (1/ 647). تأليف جلال الدين السيوطي. دار الفكر – بيروت.

وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ} [البقرة: 236].

ومن صور الإحسان في الطلاق أن **يمتنع الزوج عن الكلام عن عيوب زوجته، وفضح أسرارها بعد الطلاق**. ولنا في جميلة بنت سلول أسوة حسنة، فهي لما طلبت الطلاق تكلمت عن زوجها بكل توقير: فَقَالَتْ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ، مَا أَعْتِبُ عَلَيْهِ فِي خُلُقٍ وَلاَ دِينٍ، وَلَكِنِّي أَكْرَهُ الكُفْرَ فِي الإِسْلاَمِ» رواه البخاري. وفي المقابل لم يلعن ثابت بن قيس زوجته، ولم يشهر بها ردا على شكواها منه، بل رضي بالطلاق في هدوء.

17. تقييد تعدد الزوجات

أباح الإسلام تعدد الزوجات، لكنه قيده بشرطين: أولا: ألا يزيد عدد الزوجات على أربع، ثانيا: أن يعدل الرجل بين زوجاته.

وقبل الإسلام كان عدد الزوجات غير محدود عند العرب، فروي مثلا أن **غَيْلاَنَ بْنَ سَلَمَةَ الثَّقَفِيَّ أَسْلَمَ وَتَحْتَهُ عَشْرُ نِسْوَةٍ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم اخْتَرْ مِنْهُنَّ أَرْبَعًا**[64]. وكان لكسرى أبرويز – ملك الفرس– **ثلاثة آلاف زوجة**[65].

وعرف تعدد الزوجات عند المصريين القدماء، وكان عددهن أكثر من أربع. يقول الدكتور سمير أديب: «منذ الأسرة السادسة أصبح من حق الرجل أن يتخذ لنفسه أكثر من زوجة واحدة. فالأمير "مرى–رع" قد مثل في النقوش محاطا بست زوجات شرعيات، ليس بينهن إلا واحدة، وهي تسمى "ايسى" تحمل لقب الشرف، مثلت في النقوش إلى جانب زوجها وبحجمه نفسه، وهي تضع يدها على كتفه أو حول وسطه. أما باقي زوجاته فكن واقفات يقدمن الخضوع لهما، وقد ظهرن في حجم صغير. ومنذ ذلك العهد عرف المركز الذي كانت تشغله الزوجة العظيمة بتمييزها في الرسم عن بقية زوجاته»[66]. «**ولم تكن جميع الزوجات متساويات في الحقوق**، فقد كان لإحداهن

---

64) حديث صحيح بطرقه وشواهده كما قال محققو مسند أحمد. انظر **"مسند الإمام أحمد بن حنبل"** (8/ 221)
65) **قصة الحضارة** (12/ 296)
66) **موسوعة الحضارة المصرية القديمة.** تأليف دكتور سمير أديب. صفحة 719. العربي للنشر والتوزيع. القاهرة. الطبعة الأولى 2000م..

الأولوية على غيرها. ففي بعض النقوش نرى أن الزوجة الثانية واقفة خلف الزوجة الأولى وخلف الأبناء جميعهم في حين أن الزوجة الأولى جالسة على مقعد مرتفع وفي مكان الصدارة»[67].

إذن **لم يكن عدد الزوجات عند المصريين أكبر مما سمح به الإسلام فقط، ولكن لم يكن هناك أيضا عدل بين الزوجات.** أما في الإسلام فقد اشترطت الشريعة العدل بين الزوجات. قال تعالى: {فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} [النساء: 3]. وعن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من كانت له امرأتان، فمال إلى إحداهما؛ جاء يوم القيامة وشِقهُ مَائِلٌ». وفي رواية الحاكم: «إِذَا كَانَ عِنْدَ الرَّجُلِ امْرَأَتَانِ، فَلَمْ يَعْدِلْ بَيْنَهُمَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَشِقُّهُ سَاقِطٌ» وهو صحيح عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ[68].

18. الطمع في مال المرأة

نهى الإسلام الرجل عن سلب مال المرأة. وحتى إن كره الرجل امرأته، وأراد أن يطلقها كي يتزوج بأخرى، واحتاج إلى المال من أجل الزواج الجديد، فليس من حقه أن يحاول استرداد المهر الذي سبق أن أعطاه لها: {وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (20) وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا} [النساء: 20، 21].

والاستثناء من القاعدة السابقة هو أن ترتكب المرأة فاحشة مبينة، فهنا يجوز للرجل أن يضيق عليها، ويسيء معاملتها كي تتنازل عن المهر: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ} [النساء: 19]. ومعنى الفاحشة المبينة هو (الزنا)، وقيل هو (النشوز وسوء الخلق)، وقيل: الاثنان[69].

---

67) **موسوعة الحضارة المصرية القديمة**. صفحة 720.

68) قال الألباني: إسناده صحيح على شرط الشيخين، وكذا قال الحاكم وابن دقيق العيد والذهبي، وصححه الترمذي وابن الجارود وابن حبان، وقال عبد الحق:" هو خبر ثابت". انظر: **"صحيح أبي داود سنن أبي داود** (6/ 352)". تأليف محمد ناصر الدين الألباني. مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت الطبعة الأولى، 1423 هـ - 2002 م.

69) قال القرطبي: اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي مَعْنَى الْفَاحِشَةِ، فَقَالَ الْحَسَنُ: **هُوَ الزِّنَا**، وَإِذَا زَنَتِ الْبِكْرُ فَإِنَّهَا تُجْلَدُ مِائَةً وَتُنْفَى سَنَةً، وَتَرُدُّ إِلَى زَوْجِهَا مَا أَخَذَتْ مِنْهُ. وَقَالَ أَبُو قِلَابَةَ: **إِذَا زَنَتِ امْرَأَةُ الرَّجُلِ فَلَا بَأْسَ أَنْ يُضَارَّهَا وَيَشُقَّ عَلَيْهَا حَتَّى تَفْتَدِيَ مِنْهُ**. وَقَالَ السُّدِّيُّ: إِذَا فَعَلْنَ ذَلِكَ فَخُذُوا مُهُورَهُنَّ. وَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ وَأَبُو قِلَابَةَ: لَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهَا فِدْيَةً إِلَّا أَنْ يَجِدَ عَلَى بَطْنِهَا رَجُلًا. وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكُ وَقَتَادَةُ: **الْفَاحِشَةُ الْمُبَيِّنَةُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْبُغْضُ وَالنُّشُوزُ**، قَالُوا: فَإِذَا نَشَزَتْ حَلَّ لَهُ أَنْ يَأْخُذَ مَالَهَا. وَقَالَ قَوْمٌ: **الْفَاحِشَةُ الْبَذَاءُ بِاللِّسَانِ وَسُوءُ الْعِشْرَةِ** قَوْلًا وَفِعْلًا، وَهَذَا فِي مَعْنَى النُّشُوزِ. وَمِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مَنْ يُجِيزُ أَخْذَ الْمَالِ مِنَ النَّاشِزِ عَلَى جِهَةِ الْخُلْعِ. وقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَالزِّنَا أَصْعَبُ عَلَى الزَّوْجِ مِنَ النُّشُوزِ وَالْأَذَى، وَكُلُّ ذَلِكَ فَاحِشَةٌ تُحِلُّ أَخْذَ الْمَالِ. قَالَ أَبُو عُمَرَ: قول ابن سيرين وأبي قلابة عِنْدِي لَيْسَ بِشَيْءٍ، لِأَنَّ الْفَاحِشَةَ قَدْ تَكُونُ البذاء والأذى، ومنه قيل للبذي: فَاحِشٌ وَمُتَفَحِّشٌ، وَعَلَى أَنَّهُ لَوِ اطَّلَعَ مِنْهَا عَلَى الْفَاحِشَةِ كَانَ لَهُ لِعَانُهَا، وَإِنْ شَاءَ طَلَّقَهَا، وَأَمَّا أَنْ يُضَارَّهَا حَتَّى تَفْتَدِيَ مِنْهُ بِمَالِهَا فَلَيْسَ لَهُ ذَلِكَ، وَلَا أَعْلَمُ أَحَدًا قَالَ: لَهُ أَنْ يُضَارَّهَا

19. ابحث عن مزايا في زوجتك

حث الإسلام الرجل على الإبقاء على زوجته حتى لو كرهها كأن تكون قد كبرت، أو كان بها صفة لا تعجبه: {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا} [النساء: 19]. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ» رواه مسلم. و(**يفرك**) تعنى (**يكره**).

20. النهي عن احتجاز المرأة

نهى الإسلام الرجل عن أن يمسك زوجته، ويمتنع عن طلاقها كي تتاح له الفرصة ليؤذيها، ويتركها كالمعلقة: {وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [البقرة: 231]

21. النهي عن وراثة جسد المرأة

نهى الإسلام عن وراثة المرأة، فقد **كانت المرأة إن مات زوجها في الجاهلية صارت ملكا لوريثه، فيتزوجها، أو يزوجها لغيره، أو يتركها دون زواج**: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا} [النساء: 19]. وروى البخاري: «كَانُوا إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ كَانَ أَوْلِيَاؤُهُ أَحَقَّ بِامْرَأَتِهِ، إِنْ شَاءَ بَعْضُهُمْ تَزَوَّجَهَا وَإِنْ شَاءُوا زَوَّجُوهَا، وَإِنْ شَاءُوا لَمْ يُزَوِّجُوهَا فَهُمْ أَحَقُّ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي ذَلِكَ»

وَيُسِيءَ إِلَيْهَا حَتَّى تَخْتَلِعَ مِنْهُ إِذَا وَجَدَهَا تَزْنِي غَيْرَ أَبِي قِلَابَةَ. [**تفسير القرطبي** (5/ 95)]. وعن عطاء الخراساني - في الرجل إذا أصابت امرأته فاحشة، أخذ ما ساق إليها وأخرجها، فنسخ ذلك الحدود [**تفسير الطبري** (8/ 115)]. وقال الطبري: وأولى ما قيل في تأويل قوله:"إلا أن يأتين بفاحشة مبينة"، أنه معنيٌّ به كل"فاحشة": من بَذاءٍ باللسان على زوجها، وأذى له، وزنًا بفرجها. وذلك أن الله جل ثناؤه عم بقوله:"إلا أن يأتين بفاحشة مبينة"، كلَّ فاحشة متبيّنةٍ ظاهرة. فكل زوج امرأة أتت بفاحشة من الفواحش التي هي زنًا أو نشوز، فله عضْلُها على ما بين الله في كتابه، والتضييقُ عليها حتى تفتدي منه، بأيِّ معاني الفواحش أتت، بعد أن تكون ظاهرة مبيِّنة [**تفسير الطبري** (8/ 118)].

22. تعليم المرأة

لا يوجد في الإسلام ما يمنع المرأة من التعلم. بل إن الله تعالى أوصي نساء النبي بأن يكن معلمات للقرآن والسنة، والمعلم أفضل من المتعلم: {وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا} [الأحزاب: 34].

وقارن هذا **بالهندوس، الذين حرموا المرأة من دراسة دينها**، إذ لم يكن «من حقها أن تلم بكتب الفيدا (وهي كتب دينية مقدسة)، ففي الماهابهاراتا: "إذا درست المرأة كتب الفيدا كانت هذه علامة الفساد في المملكة»[70].

23. الحرية الدينية للزوجة

كانت المرأة في بلاد اليونان تنفصل بعد الزواج عن أهلها، وتذهب إلى بيت زوجها، فتضطر إلى ترك آلهتها، **والسجود للآلهة التي يقدسها زوجها**[71]. أما في الإسلام فلا يجوز للمسلم أن يجبر زوجته المسيحية أو اليهودية على ترك دينها، واعتناق الإسلام. أما المشركة أو الملحدة فلا يجوز للمسلم من الأصل الزواج منها. ولهذا السبب رفض الإسلام أن تتزوج المسلمة من كافر خوفا من أن يجبرها على ترك الإسلام، فعقيدته لا تلزمه بأن يسمح لزوجته المسلمة بالبقاء على دينها.

24. حق الطلاق

رغم أن الإسلام جعل الطلاق في يد الرجل إلا أن من حق المرأة إن كرهت زوجها أن تطلب منه الطلاق مقابل رد المهر (الخلع). ومن حقها أيضا أن تتوجه إلى القاضي كي يطلقها دون إذن زوجها في حالات خاصة كتغيب الزوج. أما في بابل القديمة، فكان في وسع الرجل أن يطلق زوجته، ولا يتطلب منه هذا أكثر من رد بائنتها إليها وقوله لها: "لستِ زوجتي"، أما **إذا قالت هي**

---

70) قصة الحضارة (3/ 179)
71) قصة الحضارة (7/ 117)

له: "لستَ زوجي"، فقد وجب قتلها غرقاً[72]. ورغم أن المرأة كانت تستطيع أن تنفصل عن زوجها من الناحية العملية إلا أن نص القانون بهذا الشكل يمثل إهانة كبيرة للمرأة.[73]

****

وهكذا فالاتجاه العام في الشريعة الإسلامية يسير مع رفع الظلم عن المرأة. ولا يوجد في القرآن ما ينم عن تحقير للمرأة. **يمكنك أن تجد إهانة للكفار، ووصفا لهم بالعمى والصم، وتشبيها لهم بالأنعام، لكنك لا تجد شيئا مثل هذا عن المرأة.** وعلى هذا فالعاقل إن أحس يوما أن الإسلام ظلم المرأة في أحد القوانين، فليتمهل قليلا، فلا يمكن لدين كهذا أن يتعمد أهانة المرأة، ولا بد أن هناك حكمة نجهلها، ويمكن بقليل من التفكير أن نصل إليها.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

---

72) قصة الحضارة (2/ 232)

73) يقول ويل ديورانت عن البابليين: «كان للمرأة من الوجهة العملية أن تفارق زوجها، وإن لم يكن من حقها أن تطلقه، إذا أثبتت قسوته عليها مع إخلاصها له؛ وكان في وسعها في هذه الحال وأمثالها أن تعود إلى أهلها وأن تأخذ معها بائنتها وما عسى أن تكون قد حصلت عليه بعدئذ من المتاع» قصة الحضارة (2/ 233)

الباب الثالث: الشريعة تقيد حرية المرأة

البيت أفضل للمرأة من الشارع

إن سرت اليوم في أحد الشوارع لوجدت أن أعداد النساء مساوية تقريبا لأعداد الرجال. وفي الشوارع الراقية ستجد النساء أكثر. وهذا الوضع خاطيء، ففي المجتمع المسلم يجب أن يكون أكثر السائرين من الرجال، وذلك لأن **الأفضل للمرأة المسلمة أن تبقى داخل بيتها، ولا تخرج منه دون سبب حقيقي، فهذا يقيها –ويقى المجتمع– من فتنة جمالها.**

وقد أمر الله عز وجل أمهات المؤمنين بالمكوث فى البيوت، لأن من تكثر الخروج من بيتها فهي تبغي في الغالب إظهار مفاتنها أمام الرجال، وهذا عمل من أعمال الجاهلية[74]: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى} [الأحزاب: 33]. وكلمة (قَرْنَ) مشتقة من (قَرَّ) بمعنى: (أَقَامَ وَاسْتَقَرَّ)[75]. و(التبرج) هو تزين المرأة وإظهار مفاتنها للرجال[76]. وقوله (وقرن في بيوتكن) تعني أن علي الواحدة منكن أن تستقر في بيتها، وتلازمه. وأمهات المؤمنين يجب أن يكن قدوة لكل مسلمة.

وأكد النبي عليه الصلاة والسلام أن المرأة عورة، بمعنى أن من غير الجائز أن ينظر الناس إليها إذا خرجت من بيتها. كما حذر من الشيطان الذي يصاحب المرأة خارج بيتها ليجملها في أعين الرجال، ويوسوس إليها كى تغريهم: «**الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ وَإِنَّهَا إِذَا خَرَجَتِ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ، وَإِنَّهَا أَقْرَبُ مَا تَكُونُ إِلَى اللَّهِ وَهِيَ فِي قَعْرِ بَيْتِهَا**» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَرِجَالُهُ مُوَثَّقُونَ[77].

---

74) الجاهلية الأولى هي جاهلية الكفر قبل الإسلام. والجاهلية الأخرى جاهلية الفسوق والفجور في الإسلام، فكأن المعنى: ولا تحدثن بالتبرج جاهلية في الإسلام تتشبهن بها بأهل جاهلية الكفر. ويعضده ما روى: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى ذر رضى الله عنه: «إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ» ». انظر: **"تفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل)** (3/ 537). تأليف أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري. دار الكتاب العربي – بيروت. الطبعة الثالثة - 1407 هـ

75) «قَرَأَ نَافِعٌ وَعَاصِمٌ وَأَبُو جَعْفَرٍ بِفَتْحِ الْقَافِ. وَوَجَّهَهَا أَبُو عُبَيْدَةَ عَنْ الْكِسَائِيِّ وَالْفَرَّاءِ وَالزَّجَّاجِ بِأَنَّهَا لُغَةُ أَهْلِ الْحِجَازِ فِي قَرَّ بِمَعْنَى: أَقَامَ وَاسْتَقَرَّ، يَقُولُونَ: قَرِرْتُ فِي الْمَكَانِ بِكَسْرِ الرَّاءِ مِنْ بَابِ عَلِمَ فَيَجِيءُ مُضَارِعُهُ بِفَتْحِ الرَّاءِ فَأَصْلُ قَرْنَ اقْرَرْنَ فَحُذِفَتِ الرَّاءُ الْأُولَى لِلتَّخْفِيفِ مِنَ التَّضْعِيفِ وَأُلْقِيَتْ حَرَكَتُهَا عَلَى الْقَافِ..وَأَنْكَرَ الْمَازِنِيُّ وَأَبُو حَاتِمٍ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ لُغَةً، وَزَعَمَ أَنَّ قَرِرْتُ بِكَسْرِ الرَّاءِ فِي الْمَاضِي لَا يَرِدُ إِلَّا فِي مَعْنَى قُرَّةِ الْعَيْنِ، وَالْقِرَاءَةُ حُجَّةٌ عَلَيْهِمَا. وَالْتَزَمَ النَّحَّاسُ قَوْلَهُمَا وَزَعَمَ أَنَّ تَفْسِيرَ الْآيَةِ عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ أَنَّهَا مِنْ قُرَّةِ الْعَيْنِ وَأَنَّ الْمَعْنَى: وَاقْرَرْنَ عُيُونًا فِي بُيُوتِكُنَّ، أَيْ لَكُنَّ فِي بيوتكن قرّة عين فَلَا تَتَطَلَّعْنَ إِلَى مَا جَاوَزَ ذَلِكَ، أَيْ فَيَكُونُ كِنَايَةً عَنْ مُلَازَمَةِ بُيُوتِهِنَّ. وَقَرَأَ بَقِيَّةُ الْعَشَرَةِ وَقِرْنَ بِكَسْرِ الْقَافِ. قَالَ الْمُبَرِّدُ: هُوَ مِنَ الْقَرَارِ، أَصْلُهُ: اقْرِرْنَ بِكَسْرِ الرَّاءِ الْأُولَى فَحُذِفَتْ تَخْفِيفًا، وَأُلْقِيَتْ حَرَكَتُهَا عَلَى الْقَافِ كَمَا قَالُوا: ظَلْتَ وَمَسْتَ. وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ قِرْنَ، أَيْ بِكَسْرِ الْقَافِ أَمْرًا مِنَ الْوَقَارِ، يُقَالُ: وَقِرَ فُلَانٌ يَقِرُّ، وَالْأَمْرُ مِنْهُ قِرْ لِلْوَاحِدِ، وَلِلنِّسَاءِ قِرْنَ مِثْلَ عِدْنَ، أَيْ فَيَكُونُ كِنَايَةً عَنْ مُلَازَمَةِ بُيُوتِهِنَّ مَعَ الْإِيمَاءِ إِلَى عِلَّةِ ذَلِكَ بِأَنَّهُ وَقَارٌ لَهُنَّ». انظر تفسير: **"التحرير والتنوير" (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)** (22/ 10). تأليف محمد الطاهر بن عاشور التونسي. الدار التونسية للنشر – تونس. 1984 هـ

76) التبرج مصطلح مشتق من فعل (برج). وكلُّ ظَاهِرٍ مُرْتَفِعٍ فَقَدْ بَرَجَ. وقِيلَ لبروج السماء بُروج لِظُهُورِهَا وَبَيَانِهَا وَارْتِفَاعِهَا. وكلمة (البروج) تطلق على الحصون والقصور والكواكب والنجوم (معجم " لسان العرب"). وكل هذه أشياء ظاهرة مرتفعة.

77) "مجمع الزوائد ومنبع الفوائد" (2/ 35). تأليف علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي. تحقيق حسام الدين القدسي. مكتبة القدسي، القاهرة. 1414 هـ، 1994م.

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمُ الْمَسَاجِدَ، **وَبُيُوتُهُنَّ خَيْرٌ لَهُنَّ**». رواه الحاكم، وقال: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، ووافقه الذهبي[78].

وهذه النصوص لا تفرض على المرأة أن تبقى حبيسة داخل بيتها، بل تعنى أن المكوث في البيت هو الأفضل، وأن الخروج منه يجب أن يكون لضرورة أو سبب معقول، وليس كما نرى هذه الأيام من تسكع النساء في الشوارع، وتجولهن في الطرقات لاستعراض جمالهن والتباهي بأزيائهن وعطورهن. وكثير من النساء يمشين في الطرقات، ليس رغبة في إغواء الرجال، ولكن بهدف الترفيه، ودفع السآمة، وقتل وقت الفراغ، والتمتع بمشاهدة البضائع في المتاجر، دون حاجة حقيقية للشراء، وهذا سلوك خاطيء من وجهة نظر الإسلام. لا ننكر أن الترفيه حق للمسلم لما روته السيدة عَائِشَةَ، قَالَتْ: «كَانَ الحَبَشُ يَلْعَبُونَ بِحِرَابِهِمْ، فَسَتَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَنْظُرُ، فَمَا زِلْتُ أَنْظُرُ حَتَّى كُنْتُ أَنَا أَنْصَرِفُ»، فَاقْدُرُوا قَدْرَ الجَارِيَةِ الحَدِيثَةِ السِّنِّ، تَسْمَعُ اللَّهْوَ. متفق عليه. لكن الترفيه الذي يُحدث فتنة لا يمكن قبوله.

والأدلة على أن المرأة المسلمة لا يمكن أن تبقى حبيسة في البيت كثيرة، أبسطها أنها مأمورة مثل الرجل بصلة الرحم، وزيارة المرضي، والإصلاح بين الناس، والتصدق على الفقراء، والدعوة إلى الله. وهذا مستحيل دون الخروج من البيت. والحقيقة أن الحبس في البيت عقوبة للمرأة الزانية فقط: {وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا} [النساء: 15]

كما كانت المرأة على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام تخرج لقضاء حوائجها المختلفة، فعن عَائِشَةَ، قَالَتْ: خَرَجَتْ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ لَيْلًا، فَرَآهَا عُمَرُ فَعَرَفَهَا، فَقَالَ: إِنَّكِ وَاللَّهِ يَا سَوْدَةُ مَا تَخْفَيْنَ عَلَيْنَا، فَرَجَعَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ، وَهُوَ فِي حُجْرَتِي يَتَعَشَّى، وَإِنَّ فِي يَدِهِ لَعَرْقًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَرُفِعَ عَنْهُ وَهُوَ يَقُولُ: **«قَدْ أَذِنَ اللَّهُ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لِحَوَائِجِكُنَّ»** رواه البخارى.

---

78) أخرجه أيضا أبو داود، وأحمد، وابن خزيمة، والبيهقي، وابن عبد البر في "التمهيد"، والبغوي في "شرح السنة". وقال محققا سنن أبى داود: «إسناده صحيح فقد سمع حبيب بن أبي ثابت من ابن عمر، نص على ذلك يحيى بن معين في "تاريخه" برواية الدوري. قال البجلي في "ثقاته": سمع من ابن عمر غير شيءٍ ومن ابن عباس. وصححه ابن دقيق العيد في "الاقتراح"»

انظر: **"سنن أبي داود"** (1/ 424). تأليف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السِّجِسْتاني. تحقيق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي. دار الرسالة العالمية. الطبعة الأولى، 1430 هـ - 2009 م

وكانت أسماء بنت أبى بكر تخرج من بيتها إلى حيث يعمل زوجها على بعد ثلثى فرسخ (الفرسخ ثلاثة أميال). تقول أسماء: «كُنْتُ أَنْقُلُ النَّوَى مِنْ أَرْضِ الزُّبَيْرِ الَّتِي أَقْطَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَأْسِي، وَهِيَ مِنِّي عَلَى ثُلُثَيْ فَرْسَخٍ» متفق عليه.

وكانت المرأة تخرج إلى الصلاة فى المسجد. وفي هذا ورد الحديث المعروف: «**لاَ تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ**». متفق عليه. ولفظ البخاري عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: [كَانَتِ امْرَأَةٌ لِعُمَرَ تَشْهَدُ صَلاَةَ الصُّبْحِ وَالعِشَاءِ فِي الجَمَاعَةِ فِي المَسْجِدِ، فَقِيلَ لَهَا: لِمَ تَخْرُجِينَ وَقَدْ تَعْلَمِينَ أَنَّ عُمَرَ يَكْرَهُ ذَلِكَ وَيَغَارُ؟ قَالَتْ: وَمَا يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْهَانِي؟ قَالَ: يَمْنَعُهُ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ»]. وروى البخارى أيضا عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**ائْذَنُوا لِلنِّسَاءِ بِاللَّيْلِ إِلَى المَسَاجِدِ**». وروى مسلم عَنِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِذَا اسْتَأْذَنَتْ أَحَدَكُمُ امْرَأَتُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلَا يَمْنَعْهَا**».

وروى مسلم عن عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**لَا تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمُ الْمَسَاجِدَ إِذَا اسْتَأْذَنَّكُمْ إِلَيْهَا**» قَالَ: فَقَالَ بِلَالُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: وَاللهِ لَنَمْنَعُهُنَّ، قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللهِ: فَسَبَّهُ سَبًّا سَيِّئًا مَا سَمِعْتُهُ سَبَّهُ مِثْلَهُ قَطُّ وَقَالَ: " **أُخْبِرُكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَقُولُ: وَاللهِ لَنَمْنَعُهُنَّ**". وهذه الرواية الأخيرة في غاية الأهمية، فهي تظهر لنا **كيف أعاد الإسلام صياغة عقل الرجل العربي، وأجبره على التخلي عن غيرته المجنونة على المرأة، وقدم صوت الشريعة على صوت الأعراف والتقاليد والطبائع.**

فلتعلم المرأة أننا ما طالبنا بفرض القيود عليها انطلاقا من دوافع شخصية، ولكن بدافع الامتثال للشريعة، **فإن ضيقت الشريعة على المرأة ضيقنا، وإن خففت الشريعة عنها خففنا. المسلم يدفن هواه، ويرضخ لله**: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ} [الأحزاب: 36].

وكانت المرأة أيضا تخرج للحج، كما كانت تخرج للجهاد لمداواة الجرحى، وصنع الطعام، وسقي الماء. ومن أمثلة ذلك ما روته السيدة عائشة: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا، خَرَجَ بِهَا مَعَهُ، فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزَاةٍ غَزَاهَا، فَخَرَجَ سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَهُ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الحِجَابُ... » متفق عليه. وفى رواية أخرى لعائشة:

«أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا خَرَجَ أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَطَارَتِ القُرْعَةُ لِعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ...» متفق عليه.

وفى صحيح البخارى باب عنوانه «غزو النساء وقتالهن مع الرجال»، وفيه أن النساء كن يحملن الماء على ظهورهن، ويسقين الجرحى: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: « لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، انْهَزَمَ النَّاسُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، وَأُمَّ سُلَيْمٍ وَإِنَّهُمَا لَمُشَمِّرَتَانِ، أَرَى خَدَمَ سُوقِهِمَا تَنْقُزَانِ القِرَبَ، وَقَالَ غَيْرُهُ: تَنْقُلاَنِ القِرَبَ عَلَى مُتُونِهِمَا، ثُمَّ تُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ القَوْمِ، ثُمَّ تَرْجِعَانِ فَتَمْلَآَنِهَا، ثُمَّ تَجِيئَانِ فَتُفْرِغَانِهَا فِي أَفْوَاهِ القَوْمِ» متفق عليه.

(مشمرتان): ترفعان الإزار. **(خدم):** جَمْعُ خَدَمَةٍ وَهِيَ الْخَلَاخِيلُ وَقِيلَ الْخَدَمَةُ أَصْلُ السَّاقِ. **(تنقزان القرب):** تحملان القرب. **(متونهما):** ظهورهما[79].

وروى البخارى أيضا عَنِ امرأة تسمى "الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ"، **قَالَتْ: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَسْقِي وَنُدَاوِي الجَرْحَى، وَنَرُدُّ القَتْلَى إِلَى المَدِينَةِ»**

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَغْزُو بِأُمِّ سُلَيْمٍ وَنِسْوَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ مَعَهُ إِذَا غَزَا، فَيَسْقِينَ الْمَاءَ، وَيُدَاوِينَ الْجَرْحَى**» رواه مسلم.

وعَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ الْأَنْصَارِيَّةِ، قَالَتْ: «**غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعَ غَزَوَاتٍ، أَخْلُفُهُمْ فِي رِحَالِهِمْ، فَأَصْنَعُ لَهُمُ الطَّعَامَ، وَأُدَاوِي الْجَرْحَى، وَأَقُومُ عَلَى الْمَرْضَى**» رواه مسلم.

ورُوى أن عمر بن الخطاب وهو أمير للمؤمنين فضل امرأة من الأنصار على زوجته (حفيدة رسول الله)، فأعطاها ثوبا لأن هذه المرأة كانت تحمل قرب الماء للمقاتلين المسلمين في غزوة أحد: عن ثَعْلَبَةُ بْنُ أَبِي مَالِكٍ: إِنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَسَمَ مُرُوطًا بَيْنَ نِسَاءٍ مِنْ نِسَاءِ المَدِينَةِ، فَبَقِيَ مِرْطٌ جَيِّدٌ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ مَنْ عِنْدَهُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أَعْطِ هَذَا ابْنَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي عِنْدَكَ، يُرِيدُونَ أُمَّ كُلْثُومٍ بِنْتَ عَلِيٍّ، فَقَالَ عُمَرُ: «أُمُّ سَلِيطٍ أَحَقُّ، وَأُمُّ

79) انظر: معجم **"لسان العرب"** (5/ 419)، وكذلك: **"فتح الباري شرح صحيح البخاري"**(7/ 362). تأليف ابن حجر العسقلاني. رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي. قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب. دار المعرفة - بيروت، 1379هـ.

سَلِيطٍ مِنْ نِسَاءِ الأَنْصَارِ، مِمَّنْ بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، قَالَ عُمَرُ: «فَإِنَّهَا كَانَتْ تَزْفِرُ لَنَا القِرَبَ يَوْمَ أُحُدٍ»" رواه البخارى.

(مروط): جمع مرط، وهو كساء، يؤتزر به. **(تزفر القِرَب)**: تحمل القرب. **(القِرْبَة)**: حاوية يوضع فيها الماء[80]

وعَنْ أَنَسٍ، أَنَّ **[أُمَّ سُلَيْمٍ اتَّخَذَتْ يَوْمَ حُنَيْنٍ خِنْجَرًا**، فَكَانَ مَعَهَا، فَرَآهَا أَبُو طَلْحَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذِهِ أُمُّ سُلَيْمٍ مَعَهَا خِنْجَرٌ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا هَذَا الْخِنْجَرُ؟» قَالَتْ: اتَّخَذْتُهُ إِنْ: دَنَا مِنِّي أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، بَقَرْتُ بِهِ بَطْنَهُ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضْحَكُ...] رواه مسلم.

وفى صحيح مسلم أن ابن عباس كتب ردا على أسئلة أحد السائلين: **[كَتَبْتَ تَسْأَلُنِي هَلْ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَغْزُو بِالنِّسَاءِ؟ " وَقَدْ كَانَ يَغْزُو بِهِنَّ، فَيُدَاوِينَ الْجَرْحَى، وَيُحْذَيْنَ مِنَ الْغَنِيمَةِ، وَأَمَّا بِسَهْمٍ فَلَمْ يَضْرِبْ لَهُنَّ...]**. وقوله: (يحذين)، أي يعطين الحذوة وهي العطية، لكن نصيب المرأة من الغنيمة يكون أقل من نصيب الرجل المقاتل لأنها لا تحمل السلاح، وبالتالي أقل عرضة للموت والجرح.

وقد حملت بعض النساء السيف جهادا في سبيل الله، كما كان من أمر "نُسيبة بنت كعب"، وهى تسمى أُمَّ عُمَارَةَ التي شهدت أحدًا والحديبية وخيبر وعمرة القضية وحنينًا، وقطعت يدها في حرب اليمامة. وتكلمت نسيبة عما فعلته يوم أحد، فقَالَتْ[81]:

[خَرَجْتُ أَوَّلَ النَّهَارِ إِلَى أُحُدٍ وَأَنَا أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُ النَّاسُ وَمَعِي سِقَاءٌ فِيهِ مَاءٌ. فَانْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَهُوَ فِي أَصْحَابِهِ وَالدَّوْلَةُ وَالرِّيحُ لِلْمُسْلِمِينَ. **فَلَمَّا انْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ انْحَزْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَجَعَلْتُ أُبَاشِرُ الْقِتَالَ وَأَذُبُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ بِالسَّيْفِ وَأَرْمِي بِالْقَوْسِ** حَتَّى خَلَصَتْ إِلَيَّ الْجِرَاحُ].

وشوهد على عاتقها جرح له غَوْر، فسئلت: يَا أُمَّ عُمَارَةَ مَنْ أَصَابَكِ هذا؟ قالت:

---

80) معجم "**الصحاح**"(1/ 199).

81) "**الطبقات الكبرى**" (8/ 303). تأليف أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة الأولى، 1410 هـ - 1990 م.

«أَقْبَلَ ابْنُ قُمَيْئَةَ. وَقَدْ وَلَّى النَّاسُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ. يَصِيحُ: دُلُّونِي عَلَى مُحَمَّدٍ فَلا نَجَوْتُ إِنْ نَجَا. فَاعْتَرَضَ لَهُ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَنَاسٌ مَعَهُ. فَكُنْتُ فِيهِمْ فَضَرَبَنِي هَذِهِ الضَّرْبَةَ وَلَقَدْ ضَرَبْتُهُ عَلَى ذَلِكَ ضَرَبَاتٍ وَلَكِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ كَانَ عَلَيْهِ دِرْعَانِ»[82].

وكان ضَمْرَةُ بْنُ سَعِيدٍ الْمَازِنِيُّ يُحَدِّثُ عَنْ جَدَّتِهِ. وَكَانَتْ قَدْ شَهِدَتْ أُحُدًا تَسْقِي الْمَاءَ، قالت:

«سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يقول: لَمَقَامُ نُسَيْبَةَ بِنْتِ كَعْبٍ الْيَوْمَ خَيْرٌ مِنْ مَقَامِ فُلانٍ وَفُلانٍ». **وَكَانَ يَرَاهَا يَوْمَئِذٍ تُقَاتِلُ أَشَدَّ الْقِتَالِ وَإِنَّهَا لَحَاجِزَةٌ ثَوْبَهَا عَلَى وَسَطِهَا حَتَّى جُرِحَتْ ثَلاثَةَ عَشَرَ جُرْحًا**. وَكَانَتْ تَقُولُ: إِنِّي لأَنْظُرُ إِلَى ابْنِ قُمَيْئَةَ وَهُوَ يَضْرِبُهَا عَلَى عَاتِقِهَا. وَكَانَ أَعْظَمَ جِرَاحِهَا فَدَاوَتْهُ سَنَةً. **ثُمَّ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ إِلَى حَمْرَاءَ الأَسَدِ فَشَدَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابَهَا فَمَا اسْتَطَاعَتْ مِنْ نَزْفِ الدَّمِ**. وَلَقَدْ مَكَثْنَا لَيْلَتَنَا نُكَمِّدُ الْجِرَاحَ حَتَّى أَصْبَحْنَا. فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ مِنَ الْحَمْرَاءِ مَا وَصَلَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى بَيْتِهِ حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيْهَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ كَعْبٍ الْمَازِنِيِّ يَسْأَلُ عَنْهَا فَرَجَعَ إِلَيْهِ يُخْبِرُهُ بِسَلامَتِهَا. فَسُرَّ بِذَلِكَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقَالَتْ أُمُّ عُمَارَةَ: قَدْ رَأَيْتُنِي وَانْكَشَفَ النَّاسُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ فَمَا بَقِيَ إِلا فِي نُفَيْرٍ مَا يُتِمُّونَ عَشْرَةً. وَأَنَا وَابْنَايَ وَزَوْجِي بَيْنَ يَدَيْهِ نَذُبُّ عَنْهُ. وَالنَّاسُ يَمُرُّونَ بِهِ مُنْهَزِمِينَ.وَرَآنِي لا تُرْسَ مَعِي فَرَأَى رَجُلا مُوَلِّيًا مَعَهُ تُرْسٌ فَقَالَ لِصَاحِبِ التُّرْسِ: أَلْقِ تُرْسَكَ إِلَى مَنْ يُقَاتِلُ. فَأَلْقَى تُرْسَهُ فَأَخَذْتُهُ فَجَعَلْتُ أَتَتَرَّسُ بِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ. وَإِنَّمَا فَعَلَ بِنَا الأَفَاعِيلَ أَصْحَابُ الْخَيْلِ. لَوْ كَانُوا رَجَّالَةً مِثْلَنَا أَصَبْنَاهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. فَيُقْبِلُ رَجُلٌ عَلَى فَرَسٍ فَضَرَبَنِي وَتَتَرَّسْتُ لَهُ فَلَمْ يَصْنَعْ سَيْفُهُ شَيْئًا. وَوَلَّى. وَأَضْرِبُ عُرْقُوبَ فَرَسِهِ فَوَقَعَ عَلَى ظَهْرِهِ. [فَجَعَلَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم – يصيح: يا بن أُمِّ عُمَارَةَ أُمَّكَ أُمَّكَ!] قَالَتْ: فَعَاوَنَنِي عَلَيْهِ حتى أوردته شَعُوبٌ[83].

وفي موقعة اليرموك بين المسلمين والروم قاتلت النساء. فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ «أَنَّ **النِّسَاءَ قَاتَلْنَ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ فِي جَوْلَةٍ، فَخَرَجَتْ جُوَيْرِيَةُ ابْنَةُ أَبِي سُفْيَانَ فِي جَوْلَةٍ، وَكَانَتْ مَعَ زَوْجِهَا وَأُصِيبَتْ بَعْدَ قِتَالٍ شَدِيدٍ»**[84]

---

82) "الطبقات الكبرى" لابن سعد (8/ 303)

83) "الطبقات الكبرى" لابن سعد (8/ 304)

84) تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري) (3/ 401). تأليف محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري. (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي). دار التراث – بيروت. الطبعة الثانية - 1387 هـ

هذه الشواهد تدل على أن النصوص التي تقول أن بقاء المرأة في البيت أفضل يقصد بها أن الخروج بلا مبرر مرفوض، أما الخروج لسبب معقول فلا غبار عليه، خاصة إن كان لهدف شريف مثل الصلاة والجهاد. أما الخروج من البيوت بسبب إدمان التسوق والاستمتاع بمشاهدة البضائع فعادة يجب التوقف عنها تماما. وبعض النساء يخرجن من بيوتهن بهدف استعراض جمالهن وزينتهن أمام الرجال. **وبالنسبة لكثير من النساء فإن المكوث في البيت ضرب من ضروب الجنون لأنهن ما اشترين الأزياء والحقائب والعطور إلا لاستمالة قلوب الرجال. مثل هؤلاء الفواسق أصواتهن عالية، فلا تلتفتوا إليهن.** ولا شك أن **الشوارع كلما خلت من النساء قلت الرذائل،** ولا ينكر ذلك إلا أفاك، فغض البصر يزداد صعوبة كلما ازداد عدد النساء. ودعونا نقول بصراحة أن **الشريعة تنهى النساء عن التسكع فى الشوارع.** والمرأة المحترمة لا تقبل أبدا أن تكون محط أنظار الفساق.

وإن قال قائل أن قوله تعالى: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى} [الأحزاب: 33] يخص نساء النبي وحدهن قلنا له: **نعم الآية تخاطب نساء النبي، لكن عامة المؤمنات مطالبات بالاقتداء بنساء النبي ما لم يرد دليل يفيد خلاف ذلك** (كما في مسألة النقاب). وإن أكملتَ بقية الآية لوجدتها تأمر **نساء النبي بأشياء لا شك في وجوبها على كل مسلمة،** وهي النهي عن التبرج وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} [الأحزاب: 33]. كما أن **الآية نفسها قرنت بين البقاء في البيت والتبرج في إشارة إلى أنهما نقيضان، فمن كرهت التبرج أحبت البقاء في البيت، ومن أحبت التبرج كرهت البقاء في البيت،** وحرصت على الخروج إلى الشوارع حتى يراها الرجال. والآية بهذا ذات مدلول عام، وتنطبق على كل مسلمة، وليس على أمهات المؤمنين فحسب. كما أن هناك أحاديث، تفيد أن البقاء في البيت أفضل للمرأة كحديث: «وَبُيُوتُهُنَّ خَيْرٌ لَهُنَّ»، وحديث: «وَإِنَّهَا أَقْرَبُ مَا تَكُونُ إِلَى اللَّهِ وَهِيَ فِي قَعْرِ بَيْتِهَا».

إن آية (وقرن في بيوتكن) لا تهدف إلى إلقاء المرأة في سجن أبدي اسمه "البيت"، بل تشفق عليها من الخروج إلى غابة اسمها "الشارع" دون مبرر حتى لا تَهلك أو تُهلك.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

صوت المرأة

فجأة تعالت أصوات صاخبة دخل حرم كلية الطب. ظننتها مشاجرة، لكن الأصوات كانت ناعمة. ظنها آخرون مظاهرة، لكن من ذا الذى يجرؤ على تنظيم مظاهرة هذه الأيام؟ أخيرا اكتشفنا أن طالبات الفرقة الخامسة يحتفلن بانتهاء الامتحانات. كان المشهد مخزيا: ما لا يقل عن خمسين طالبة فى حالة صياح وغناء وتصفيق وزغاريد وضحك ورقص وتصوير بالجوالات. التف حولهن كثيرون، يشاهدون فى إعجاب دون أن يعبر أحدهم عن استيائه، ودون أن يتدخل أحد لفض هذا التجمع الذى لا يليق بصرح علمى، أو حتى خوفا من انتشار فيروس كورونا. لقد طال الإسفاف أكثر بناتنا، وأصبح من الطبيعى أن تغني البنت وترقص أمام الرجال في الحفلات. لقد انعدمت الأخلاق وضاعت الرجولة وذهب الدين.

كثيرا ما يردد بعضهم مقولة: (صوت المرأة ليس عورة). وهذا القول خاطيء، فصوت المرأة قد يكون عورة في بعض الأحيان. فمن الحكمة ألا تقتصر الشريعة على تحريم الزنا فقط، بل لا بد من تحريم المقدمات التى تؤدى إليه. ومن قبيل هذه المقدمات أن تخضع المرأة بالقول، أى تتكلم أمام الرجال بصوت رقيق لين مميل فيه غنج ودلال. قال تعالى: **{يَانِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا}** [الأحزاب: 32]. يقول ابن عطية: [و«لا تخضعن» معناه ولا تلن، وقد يكون الخضوع في القول في نفس الألفاظ ورخامتها، وإن لم يكن المعنى مريبا][85].

وبعض الرجال يستهويهم صوت المرأة أكثر من وجهها وجسدها، حتى لو لم تكن تتعمد الإغراء، فما بالك إن كانت تقصده؟ ولهذا فعلى المرأة أن تحذر، وهي تتكلم أمام الرجال، فيكون كلامها رزينا، وقورا، خاليا من التكسر. ومن أهم ما يجعل كلام المرأة مثيرا للفتنة أن يكون مصحوبا بالمزاح. ومع الأسف أغلب النساء اليوم يتكلمن مع الرجال دون أى تحفظ، وصار من الطبيعى جدا أن تمزح المرأة مع زميلها في العمل، وتعبر عن أفكارها بكل حرية، وكأنها تتكلم مع صديقتها.

---

85) تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) (4/ 382).

ونود أنه ننبه إلى أن **المرأة أحيانا تخضع بالقول عن حسن نية،** فقد تتكلم بطريقة خليعة، ليس لأنها ترغب فى إغواء الرجال، ولكن لأن طريقة كلامها ونبرة صوتها جذابة بطبعها، أو لأنها بطبعها مرحة خفيفة الظل. **ورغم حسن النية إلا أن النتيجة واحدة، ألا وهي ميل الرجل ذى القلب المريض للمرأة، وطمعه فيها. ولهذا، فالخضوع بالقول حرام، سواء حسنت نية المرأة أو ساءت.**

ويلاحظ أن المخاطب بهذه الآية هن نساء النبى عليه الصلاة والسلام، وهن كما نعلم أكثر النساء عفة وطهارة. فما مدلول هذا؟ هذا يرد على أولئك السفهاء الذين يقولون أن المرأة ما دام قلبها طاهرا، وما دامت لا تقصد الفاحشة فهذا يبيح لها أن تتصرف كما تشاء، وترتدى ما تشاء مهما بدت مغرية للآخرين، أو كما صرحت فنانة ساقطة: "**أنا محجبة بأخلاقى وأرتدى الميكروجيب**". ولمثل هؤلاء نقول أن نساء النبى – وهن أطهر نساء الأرض– قد أُمرن بأن يأخذن حذرهن، وهن يتكلمن، فهل تزعمين أيتها الممثلة أنك أفضل من السيدة عائشة والسيدة حفصة، وأنه لا يجوز لأحد أن يطالبك بتعديل تصرفاتك؟ ونقول لكل امرأة: "لا تغضبي إن أمرك أبوك أو زوجك بأن يكون سلوكك أكثر وقارا، فما أنت بأفضل من نساء النبي اللائي أمرن بنفس الشيء".

ومن صور الخضوع بالقول غناء المرأة، فليس من سمات المسلمة الجادة الرزينة أن تغنى أمام الرجال كما تفعل المطربات، خاصة في الأغانى العاطفية. وهذا يصدق على أغانى فيروز ونجاة وأم كلثوم، وهو ينطبق بدرجة أشد على مطربات هذه الأيام اللائى صارت أغانيهن مجرد فقرات جنسية، تصاحبها بعض الكلمات، وشيء من الموسيقى.

وقد يظن بعض السذج أن الآية السابقة تخاطب أمهات المؤمنين فقط، وأن الخضوع بالقول من الصغائر التي نهيت عنها أمهات المؤمنين، وأبيحت لغيرهن. هذا الفهم خاطيء تماما، فالمقصود بقوله (لستن كأحد من النساء إن اتقيتن): يا نساء النبى لستن كعامة النساء اللائى يقنعن بقدر متوسط من التقوى، ويرون فيه الكفاية التى تقى من النار، فيتقين الله فى الأمور الكبيرة (كالزنا)، ويستهن بالذنوب الصغيرة (كالخضوع بالقول). يا نساء النبى لستن كهؤلاء، **فكون الصغائر**

صغائر لا يعنى أنها حلال. ونساء النبي يجب أن يكن أحرص النساء على تجنب الأخطاء الصغيرة. فالذنب الصغير إن تكرر أو انتشر أغضب الله مثل الكبائر.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وكنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

استعمال العطور

إن وضعت المرأة عطرا فواحا، ثم خرجت من بيتها، فكأنها تقول للرجال: "أنا هنا. تعالوا إليَّ". ولا أظن أن من الممكن لامرأة فاضلة أن تفرح إن أعجب رجل غريب برائحة عطرها، إذ ما الخطوة التالية التي تتوقعها بعد هذا الإعجاب؟ ولهذا قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ**». أخرجه الحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي[86،87].

وعبارة (ليجدوا ريحها) يفهم منها أن العطر غير الفواح جائز لأنه لا يشم إلا إذا اقتربت المرأة بشدة من الرجال، وطبعا اقتراب المرأة بشدة من الرجال كما يحدث هذه الأيام في المواصلات والشركات لا يجوز من الأصل. ولو التزم المجتمع بالفصل بين الجنسين لجاز للمرأة أن تضع القليل من العطر أو مزيل العرق بالقدر الذى يحول دون نفور الناس من رائحة عرقها. على أي حال لقد حل التقدم الصناعى المشكلة، فهناك الآن مزيلات عرق بلا رائحة، ويمكن للمرأة أن تستعملها.

وبالنسبة للمساجد، فتحريم التعطر بداخلها أكثر صرامة، لما رواه مسلم عن زَيْنَب اِمْرَأَة اِبْن مَسْعُود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"إِذَا شَهِدَتْ إِحْدَاكُنَّ الْمَسْجِد فَلَا تَمَسَّنَّ طِيبًا". وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللهِ مَسَاجِدَ اللهِ، وَلْيَخْرُجْنَ تَفِلَاتٍ**» وإسناده حسن، وهو صحيح بشواهده[88]. **وقوله:** (وليخرجن تفلات) يعنى (غير

---

86) انظر: المستدرك على الصحيحين للحاكم (2/ 430). تأليف: أبو عبد الله الحاكم النيسابوري. دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. يشمل الكتاب تضمينات الإمام الذهبي فى التلخيص والميزان والعراقي فى أماليه والمناوي فى فيض القدير وغيرهم من العلماء الأجلاء. دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة الأولى، 1411 – 1990م

87) رواه أيضا ابن حبان، ولفظه: "أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ، فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فهي زانية، وكل عين زانية". وذكر شعيب الأرنؤوط تعليقا على رواية ابن حبان أن إسناده قوي، وأخرجه البيهقي، والترمذي في الأدب، وأحمد، والطحاوي في "مشكل الآثار"، والنسائي في الزينة. انظر: **"الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان"**(10/ 270). تأليف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان. حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة، بيروت. الطبعة: الأولى، 1408 هـ - 1988 م

88) انظر تعليق المحققين على **"مسند الإمام أحمد بن حنبل"** (15/ 405). تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، وعادل مرشد، وآخرون. إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي. مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2001 م.

متعطرات). وفي لسان العرب أن قولهم: (تَفِل الشيءُ تَفَلًا) يعنى تغَيَّرت رَائِحَتُهُ. و(التَّفِل) هو الشخص الَّذِي تَرَكَ اسْتِعْمَالَ الطِّيب، مِنَ التَّفَل وَهِيَ الرِّيحُ الْكَرِيهَةُ. **وليس معنى الحديث تشجيع النساء على تعمد الخروج إلى المساجد ورائحتهن كريهة لأن المسجد في الإسلام ليس مكانا للقذارة،** لقول الله تعالى: {يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} [الأعراف: 31]. **وإنما المقصود ألا تتخذ المرأة من رائحة العرق ذريعة لاستعمال العطور وهي ذاهبة إلى المسجد، بينما هدفها الحقيقي هو إغراء الرجال.**

ويمكن للمرأة أن تستعيض عن التعطر بأن تكثر من الاستحمام، ولا تتركه لأيام طويلة، وهذا سيجعل رائحة العرق خفيفة، ولا يتأذى بها الناس في المسجد. كما يمكن للثياب الكثيفة أن تخفي رائحة العرق. ويمكن للمرأة أن تمتنع عن الذهاب إلى المسجد إن كانت قد بذلت جهدا كبيرا في البيت قبل إحدى الصلوات، وظهرت منها رائحة العرق بشكل يتعذر إخفاؤه. وكما قلنا فقد حل التقدم الصناعى المشكلة بتوفير مزيلات عرق ذات رائحة خفيفة.

ومن المؤسف أن عجوزا متصابية ظهرت يوما على إحدى القنوات الفضائية، فكانت في غاية الثورة بسبب الملصقات التى تنتشر فى الحافلات، وعليها الحديث الذي يصف المرأة التى تستعمل العطور خارج البيت بالزانية، وكأن من علقوا هذه الملصقات هم الذين قالوا هذا الكلام، وليس النبى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. لقد وصلت بها الوقاحة إلى الاعتراض على حديث الرسول عليه الصلاة والسلام، وكأنها تهاجم مقالا، سطره كاتب فى إحدى الصحف. ولو قالت هذه السفيهة أنها ترفض الحديث لأن سنده ضعيف فربما جاز لنا أن نناقشها. لقد أخرج أنصار المرأة ما في قلوبهم من حقد على الإسلام، وثبت يقينا كفر بعضهم. إننا نعيش في عصر توجب فيه الفطنة أن نسيء الظن. والعجيب أن **هذه العجوز المتصابية ومن على شاكلتها لا يوجهن كلمة نقد واحدة للمرأة التي تتجمل وتضع العطور أمام زملائها في العمل، فإذا عادت إلى البيت خلعت زينتها، ولم ير منها زوجها إلا أقبح شكل وأقذر ريح.**

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

الوقار في المساجد

المساجد في الإسلام ليست دور عبادة للرجال فقط. المساجد أقيمت لكل من الرجال والنساء، فعن سالم، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا اسْتَأْذَنَتِ امْرَأَةُ أَحَدِكُمْ إِلَى المَسْجِدِ فَلاَ يَمْنَعْهَا» متفق عليه. وأكثر من ذلك سنجد أن النساء كن يذهبن إلى المساجد ليلا، فعن عائشة قالت: «كُنَّ نِسَاءُ المُؤْمِنَاتِ يَشْهَدْنَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلاَةَ الفَجْرِ مُتَلَفِّعَاتٍ بِمُرُوطِهِنَّ، ثُمَّ يَنْقَلِبْنَ إِلَى بُيُوتِهِنَّ حِينَ يَقْضِينَ الصَّلاَةَ، لاَ يَعْرِفُهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الغَلَسِ» متفق عليه، واللفظ للبخاري[89].

(متلفعات): أي متلفقات. ولَفَّعَ رأسه تَلْفيعاً، أي غطّاه. (بمروطهن): المروط ثياب من صوف أو خَزٍّ كان يؤتزر بها. (ينقلبن) يرجعن. (الغلس): ظلمة آخر الليل[90]

ومع ذلك يجب أن **نقول بكل حزم أن المسجد ليس مكانا لاصطياد الرجال. المسجد دار للعبادة. ومن الواجب على المرأة أن تحترم قدسية المسجد، فتلتزم داخله بأقصى درجات الوقار، وتنأى بنفسها عن الزينة بقدر الإمكان.** روى مسلم أن رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لبعض النساء: «**إِذَا شَهِدَتْ إِحْدَاكُنَّ الْمَسْجِدَ فَلَا تَمَسَّ طِيبًا**». و(الطِيب) هو العطر، والمعنى: إذا أرادت المرأة الذهاب إلى المسجد فلا تتعطر.

وفى رواية أخرى لمسلم نهى الرسول عليه الصلاة والسلام المرأة المتعطرة عن حضور صلاة العشاء، فقال: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَصَابَتْ بَخُورًا فَلَا تَشْهَدْ مَعَنَا الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ**». و"البَخُورُ" هو مَا يُتَبَخَّرُ بِهِ من عود ونحوه. والمراد هنا الرائحة ويدخل فيه غيره من الأطياب بالأولى[91]. والنهي عن حضور صلاة العشاء بالذات سببه أن الطريق يكون خاليا من المارة، وهذا يعرض المرأة للمضايقة والعدوان من الفجار، فلا تجد من ينجدها.

89) وعَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَمْنَعُوا النِّسَاءَ مِنَ الْخُرُوجِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِاللَّيْلِ» فَقَالَ ابْنٌ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ: لَا نَدَعُهُنَّ يَخْرُجْنَ فَيَتَّخِذْنَهُ دَغَلًا. قَالَ فَزَبَرَهُ ابْنُ عُمَرَ وَقَالَ: " أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَتَقُولُ: لَا نَدَعُهُنَّ " رواه مسلم. وعن ابن عمر، قَالَ: كَانَتِ امْرَأَةٌ لِعُمَرَ تَشْهَدُ صَلاَةَ الصُّبْحِ وَالعِشَاءِ فِي الجَمَاعَةِ فِي المَسْجِدِ، فَقِيلَ لَهَا: لِمَ تَخْرُجِينَ وَقَدْ تَعْلَمِينَ أَنَّ عُمَرَ يَكْرَهُ ذَلِكَ وَيَغَارُ؟ قَالَتْ: وَمَا يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْهَانِي؟ قَالَ: يَمْنَعُهُ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ» رواه البخارى. وجملة «لاَ تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ» أخرجها مسلم أيضا.

90) انظر معجم **"الصحاح"**

91) التنوير شرح الجامع الصغير (4/ 419). تأليف محمد بن إسماعيل بن صلاح الصنعاني. تحقيق د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم. مكتبة دار السلام، الرياض. الطبعة الأولى، 1432 هـ - 2011 م.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللهِ مَسَاجِدَ اللهِ، وَلْيَخْرُجْنَ تَفِلَاتٍ**» وقوله: (وليخرجن تفلات) يعنى (غير متعطرات). وإسناده حسن، وهو صحيح بشواهده[92]. **وهذا الحديث يجب ألا يؤخذ حرفيا**، فالمسلم يحرص على النظافة الشخصية، وما الوضوء إلا أحد وسائل النظافة قبل الصلاة. وقال تعالى: {يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } [الأعراف: 31]. وفي الحديث: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ» رواه مسلم. **والمقصود من الحديث ألا تتعلل المرأة برائحة العرق كي تضع عطرا فواحا بهدف جذب الرجال، فلمثل هذه المرأة قال الرسول (وليخرجن تفلات)، وكأنه يقول لها: (تعالي إلى المسجد كما أنت برائحتك الكريهة). وطبعا الرسول عليه السلام يعلم مقدما أن مثل هذه المرأة اللعوب لن تخرج من بيتها برائحة كريهة لأنها حريصة على إغراء الرجال**، فتكون نتيجة الحديث أنها لن تضع عطرا يلفت الأنظار، وفي نفس الوقت لن تخرج من بيتها كريهة الرائحة، وهذا هو المطلوب بالضبط.

وبالنسبة لقوله تعالى: {يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} [الأعراف: 31] علينا أن نؤكد أن الزينة عند المساجد ليست مطلقة، وإلا لجاز للمرأة أن تكشف شعرها وصدرها في المسجد باعتبار أنهما من قبيل الزينة. كما أن الزينة ليست مطلقة بالنسبة للرجل، فقد تكون حراما إن كانت مصحوبة بالإسراف أو الخيلاء. إن نصوص الدين يفسر بعضها بعضا، ولهذا فأمر الله للناس بالزينة تخصصه آيات سورة النور 31 والأحزاب 59، التي تفرض قيودا على زينة المرأة[93]، كما تخصصه الأحاديث التي تنهى المرأة عن التطيب في المسجد وأمام الرجال الغرباء بوجه عام.

---

92) هذا حديث صحيح، وإسناده حسن لأجل محمد بن عمرو، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين. وأخرجه ابن خزيمة، وابن حبان من طريق يحيي بن سعيد القطان، بهذا الإسناد. وأخرجه الشافعي في "المسند"، وفي "السنن المأثورة"، وعبد الرزاق، والحميدي ، وابن أبي شيبة، والدارمي، وأبو داود، وابن الجارود، وأبو يعلى، وابن خزيمة، والبيهقي، والبغوي من طرق عن محمد بن عمرو، به... وفي الباب عن عمر بن الخطاب، وعن عائشة. انظر: **مسند الإمام أحمد بن حنبل** (15/ 405).

وأوضح الألباني أيضا أن إسناده حسن، وصححه لأن له شواهد، وقال: صححه النووى فى " المجموع " على شرط الشيخين، وأخرجه ابن حبان فى صحيحه. انظر: "**إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**" (2/ 293). تأليف محمد ناصر الدين الألباني. إشراف: زهير الشاويش. المكتب الإسلامي – بيروت. الطبعة الثانية 1405 هـ - 1985م

93) قال تعالى: {وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور: 31]

وقال تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } [الأحزاب: 59].

وإذا كان الإسلام يحرم على المرأة التعطر داخل المسجد، فالأولى تحريم ارتداء الملابس الأنيقة الجذابة، والملابس الضيقة، ومساحيق الوجه، وغيرها من وسائل التجميل كما تفعل بعض النساء اليوم.

وبعد وفاة الرسول عليه السلام، وكثرة المال في أيدي المسلمين بسبب الفتوحات، **بالغت النساء في الزينة، فمالت السيدة عائشة إلى منعهن من الصلاة في المساجد:** روى مسلم أن السيدة عَائِشَةَ قالت: «لَوْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى مَا أَحْدَثَ النِّسَاءُ لَمَنَعَهُنَّ الْمَسْجِدَ كَمَا مُنِعَتْ نِسَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ». ونحن نقول أنه ليس من حق السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها أن تخالف أمر الرسول عليه الصلاة والسلام، والصواب أن يتم إجبار النساء على الوقار والحشمة داخل بيوت الله، ومن لا تلتزم بذلك تُمنع من الصلاة بالمسجد بلا تهاون. وهذه النقطة في غاية الأهمية، فقد **أصبحنا اليوم نرى الأعاجيب في المساجد، خاصة المساجد المقامة داخل الجامعات، فمن الشائع أن ترى فتاة دخلت المسجد بملابس ضيقة وزينة مبالغ فيها،** وكأنها ذاهبة إلى سهرة ديسكو، فلا يقدر أحد على منعها خوفا من أن يُتهم بالإرهاب. إن دخول النساء بهذا الانحلال يعد جريمة في حق بيوت الله، ولا بد من منع ذلك فورا.

قرأت يوما تحقيقا صحفيا أجنبيا عنوانه **(امرأة متحولة إلى الإسلام تصاب بالصدمة لاكتشافها أنها الآن أصبحت أقل من الرجل).** كان التحقيق يشن هجوما عنيفا على الفصل بين الذكور والإناث في المساجد في أمريكا وكندا وأوربا، حيث يتم تخصيص مكان صغير للنساء، ومكان أوسع للرجال، كما يتم وضع ستارة لإخفاء النساء بعيدا عن أعين الرجال. ومصلى النساء يكون في العادة مهملا، ورديء التهوية، وأحيانا تكون مكيفات الهواء معطلة. وقد ذكرت إحد النساء أنها تشعر بالغربة في المسجد، وأنها كانت قبل الإسلام تحس في الكنيسة بأنها جزء من جماعة واحدة مؤمنة. وبرغم أن التقرير لم يكن بريئا، وكان من الواضح أنه كتب بأسلوب يحرض المسلمات الجدد على ترك الإسلام إلا أنني لا أنكر أن لديهم بعض الحق.

إن المرأة يجب أن تصلي في المسجد كما كانت تصلي في عهد النبي عليه الصلاة والسلام، فتقف في الصفوف الخلفية بعد صفوف الرجال والصبيان دون وجود حاجز أو ساتر يخفيها عن الإمام أو عن بقية المصلين. إن فصل المرأة في صلاة الجماعة يتناقض مع الهدف من صلاة

الجماعة، فأحد أهداف الجماعة أن يشعر المسلم أنه قطرة في بحر أمة، وأنه ليس وحده الذي يؤمن بالله، فيُقوي المجموع إيمان أفراده. وإن أحس الإنسان أنه مشابه للكثيرين شعر بالثقة في دينه لأن الواحد يمكن أن يخطيء، بينما يصعب على الجماعة أن تخطيء، أما إن وجد الإنسان نفسه وحيدا سهل عليه أن يفقد ولاءه لدينه، أو يسقط أمام الشبهات والفتن والأزمات. ومن المهم للمرأة أن تري إمام المسجد وهو يخطب الجمعة، فتعبيرات الوجه، وحركات اليد والجسد تضفي على الكلام معان فوق المعاني، وعمقا فوق العمق.

إذن **السنة النبوية والعقل يوجبان عدم فصل النساء عن الرجال في المساجد.** لكن النساء الآن فقدن كثيرا من الحياء، وبالغن في التجمل والتبرج، وكثير من الرجال فقدوا فضيلة غض البصر، فهل نحول المساجد إلى دور للعربدة إن اختلط فيها الرجال بالنساء دون ساتر؟

ونحن نرى أن **الشريعة الإسلامية يجب أن تُقبل كحزمة واحدة، فلا نأخذ منها شيئا، ونترك شيئا آخر. والشريعة لا توصي بصلاة النساء في مكان منعزل عن الرجال، ولكن الشريعة في نفس الوقت تمنع المرأة من الذهاب إلى المسجد متبرجة أو متعطرة.** والصواب أن تبقى المساجد بالوضع الذي هي عليه الآن إلى أن توجد دولة إسلامية تحرص على الفضيلة، أو يتاح لإمام المساجد أن يجبر النساء على الحشمة دون أن تبطش به السلطات، وحينئذ لن تكون هناك حاجة لوجود حواجز بين الرجال والنساء. وحبذا لو خصصنا صفوف النساء الأولي (الأقرب للرجال) للنساء الكبار في السن، والصفوف الخلفية للشابات. والأفضل لو قامت كل الشابات بارتداء النقاب أثناء الصلاة درءا للفتنة، ثم يخلعنه بعد الخروج من المسجد. ومن المستحب أن يكون هناك باب خاص لدخول النساء وباب آخر للرجال حتى لا يختلط الاثنان أثناء الدخول، وحتى لا يمر الرجال بجوار صفوف النساء أثناء الدخول من المسجد أو الخروج منه. وكلما كان المسجد كبيرا سهل تطبيق هذا، وهذا يتطلب أن تدعم الحكومات بناء المساجد، بحيث تقام على مساحات واسعة، بدلا من ترك الأمر للناس يجمعون التبرعات لبناء مساجد ضيقة يصعب الفصل فيها بين الجنسين. هذه بعض الاقتراحات، ولا غني عن وجود دولة تعمل من أجل الإسلام. اللهم أصلح أحوالنا وأحوال المسلمين.

الخلخال

(الخَلْخَال) هو أحد أنواع الحلي التي كانت منتشرة قديما، وهو يشبه السوار، لكن السوار تلبسه المرأة في يدها، بينما الخلخال تلبسه في ساقها. والناس تنطقه في العامية خطأ بضم الخاء **(خُلخال)**، والصحيح بفتح الخاء. وفي معجم اللغة العربية المعاصرة: الخَلْخال حِلْية من فِضَّة كالسِّوار تحلِّي المرأة بها رِجْليها، تُلْبس حول الكعب[94].

وعلى المسلمة أن تبتعد عن كل ما يمكن أن يثير الشهوة فى قلب الرجل، حتى إن كان هذا تصرفا بسيطا كأن تهز رجليها حتى يُسمع صوت الخلخال الذى ترتديه، فهذا قد يجعل الرجل يفكر فى ساق المرأة التى يحيط بها هذا الخلخال، فتثور شهوته. وفى ذلك قال تعالى: {وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ} [النور: 31].

وإذا كان الله تعالى يحرص على ألا تغرى المرأة الرجل بشيء تافه مثل صوت الخلخال، فأين دعاة التساهل من هذا؟ ما بالهم يستهينون بكشف المرأة لشعرها وساقها وصدرها؟ وأقول لهم: انظروا إلى الآية السابقة. أترون بها تشددا؟ أجيبكم: **نعم القرآن متشدد، ولكنه تشدد فى الحق،** تشدد لا يختلف أبدا عما يفعله المدير الجاد إذا تشدد فى المحافظة على المال العام، فيسأل موظفيه عن كل جنيه أنفقوه مع أن الجنيه لن يقدم أو يؤخر.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

94) **معجم اللغة العربية المعاصرة** (1/ 676). تأليف د أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل. عالم الكتب. الطبعة الأولى، 1429 هـ - 2008 م

قيود على زينة المرأة

القيود على الزينة.. لماذا؟

الإجابة في جملة واحدة هي: الخوف من الزنا

تظن المرأة أحيانا أنها حين تتجمل قبل الخروج من بيتها فهي لا ترتكب إثما، لأنها لا تفعل شيئا أكثر مما تفعله حين ترتب البيت، وتزينه بالورود والستائر والملصقات. وهذا خطأ لأن زينة البيت لا تضر أحدا، أما زينة المرأة فتؤدى إلى الزنا.

ويحاول المتنطعون اليوم أن يصوروا لنا الإسلام على أنه دين قيمه الأساسية هي الحرية والعدل والعقل والجمال والتسامح، وأنه أرقى بكثير من مسائل تافهة كزينة المرأة. بل وصلت الوقاحة بهم إلى التشكيك في أي رجل دين يهاجم التبرج والعري، فيصفونه بأنه معقد نفسيا، وعقله لا يفكر إلا في النساء. سبحان الله! رجل الدين يطالب المرأة بالحياء، فيتهمونه بقلة الحياء! هل كل ناشط سياسي يهاجم الدكتاتورية ديكتاتور!

فليعلم هؤلاء الفجار نقول أن الإسلام وضع الطهارة والعفة على رأس اهتماماته. والأدلة على ذلك كثيرة، لكنهم لا يرونها لأنهم بلا بصر، ولا بصيرة:

- لا خلاف على أن الربا من أكبر الذنوب حتى أن الله توعد المرابين بالحرب: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (278) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} [البقرة: 278، 279]. **وإذا قارنا الربا بالزنا لوجدنا أن القرآن أولى اهتماما أكبر بالزنا، فقد ذكر الربا في القرآن 5 مرات، بينما ذكر الزنا 12 مرة** ("الزنا" مرة – "يزنون" مرة– "الزانى والزانية" مرتين – "حفظ الفروج" 4 مرات– الفاحشة 5 مرات). وهناك آيات أخرى عديدة، تشير إلى الزنا بمعناه لا بلفظه مثل {مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ} [المائدة: 5]، و{وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ} [النساء: 24]، و{وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً } [النور: 4]، و{إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا

وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [النور: 23]، و{وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ} [يوسف: 23]

- **حث الله تعالى المؤمنات على إخفاء الزينة،** فقال: {وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور: 31]. وقال: {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [الأحزاب: 59].
- **توعد الله من يحبون أن يشيع الزنا بين المؤمنين:** {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النور: 19]

- **فرض الله تعالى على المسلمين مقاطعة الزناة حتي يشعروا بفداحة جريمتهم،** فمن الواجب عليهم أن يحبسوا الزانية في البيت حتى الموت، وعليهم أن يؤذوها هي والزاني حتى يتوبا عن زناهما. {وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا (15) وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا} [النساء: 15، 16].

- **حض الإسلام على غض البصر.** قال تعالى: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} [النور: 30].

- **حرص الإسلام على إخفاء العورات عن الأطفال والمراهقين،** فقال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

حَكِيمٌ (58) وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [النور:58- 59]

- **حث الله تعالى حتى المرأة العجوز على العفة وإخفاء العورة رغم تساهله معها مقارنة بالصغيرات:** {وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [النور: 60]

- **نهى الله تعالى نساء النبى عن الخضوع بالقول:** {يَانِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا} [الأحزاب: 32]

- **أمر الله تعالى نساء النبى بالمكوث في البيوت والبعد عن التبرج:** {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى} [الأحزاب: 33]

- عن أسامة بن زيد، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ**» متفق عليه.

- عن أبي سعيد الخدري ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**» رواه مسلم .

- عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: «**الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ، وَإِنَّهَا إِذَا خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهَا اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ، وَإِنَّهَا لَا تَكُونُ أَقْرَبَ إِلَى اللَّهِ مِنْهَا فِي قَعْرِ بَيْتِهَا**». رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ[95].

- **أمر الرسول عليه السلام بغض البصر**، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ»، فَقَالُوا: مَا لَنَا بُدٌّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ: «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجَالِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا»، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: «**غَضُّ البَصَرِ**، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلاَمِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ» متفق عليه.

---

95) **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** للهيثمي (4/ 314).

- من الشائع أن ترى على الشاشات امرأة متبرجة، تقول عن نفسها أنها ناشطة سياسية، تقاوم ظلم الطغاة، وحكم المستبدين، وتظن أنها تقوم بعمل جليل يرضى عنه الله. ولو كانت هذه المرأة تعرف دينها حقا لعلمت أن **الرسول عليه الصلاة والسلام جمع بين الحاكم الظالم والمرأة المتبرجة في حديث واحد،** فكلاهما من أهل النار الذين ظهروا بعد عصر الرسول عليه الصلاة والسلام. اقرأوا الحديث:

«صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا» رواه مسلم.

وقوله: (قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ) يشير إلى جنود الحكام الظلمة، الذين يضربون الناس بسياط تشبه ذيول البقر. وقوله: (أسنمة البُخت): السنام هو الجزء المرتفع المحدب من ظهر الإبل. و(البُخت) هي الإبل الخراسانية؛ شُبه رأس المرأة بها لأن المرأة رفعت من ضفائر شعرها على وسط رأسها، أو لأنها عظمت رأسها وكبرتها بلف عِصابة ونحوها. **وقوله (كاسيات عاريات) يعنى أنها ترتدى الثياب، ومع ذلك فالثياب لا تستر جسدها، إما لأنها رقيقة شفافة، وإما لأنها لا تغطى الجسم كله كأن تكشف جزءا من الذراع أو الساق أو الصدر، وإما لأن الثياب ضيقة وملتصقة بالجسم، فتبدو مفاتن المرأة، وكأنها بلا ثياب.** وقوله (مائلات) يعنى (متبخترات في مشيهن). وقوله (مميلات) يعنى (مميلات لقلوب الرجال)[96].

هذه النصوص لها مدلول واضح هو أن الإسلام فرض قيودا صارمة على العلاقة بين الرجل والمرأة خلافا لما يروج له المنحرفون في وسائل الإعلام. وتذكروا جيدا أن **الإسلام لم يتهاون مع جريمة الزنا، بل فرض عقوبة قاسية جدا على مرتكبها** وهى الجلد مائة جلدة (لغير المتزوج) أو الرجم حتى الموت (للمتزوج). وتذكروا كذلك أن **الزنا كان هو الجريمة الوحيدة التى نص القرآن على ضرورة أن تكون العقوبة فيها على مرأى ومسمع من الناس:** {وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [النور: 2]".

---

96) انظر في شرح هذا الحديث مثلا كتاب: **"مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح"** (6/ 2302). تأليف الملا على القاري. دار الفكر، بيروت – لبنان. الطبعة الأولى، 1422هـ - 2002م.

وليعلم أولئك الذين يستهينون بالزنا ومقدماته أن الله تعالى – وهو الرب الرحيم- قد طلب منا أن ننحي عواطفنا جانبا، ونحن نشاهد الزاني يُجلد، فقال: {وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [النور: 2].

إن أحد أهم أسباب استهانة الناس بالزنا أنه يتم بالتراضي، فيظنون أنه لا يؤذي أحدا، بل بالعكس يجلب المتعة للزناة، خلافا لبقية الجرائم كالسرقة والقتل والغيبة والنميمة والسب والسخرية التي توقع الأذى بالآخرين. لكن الحقيقة أن الزنا أيضا يؤذي ويضر، فهو يأتي بطفل بريء إلى الوجود، لا يعرف مَن أباه، أو يعرف أباه، لكن أباه لا يعترف به، أو يعترف به، ويتركه لأمه تربيه وحدها، أو يُنسب إلى أب غير أبيه. وسينتهي مفهوم الأسرة، ويصبح البشر مثل الحيوانات، الذين تربيهم أمهاتهم فقط، وهذا حرمان للأبناء من رعاية الأب ودوره في التنشئة، خاصة إذا كبروا واحتاجوا لمن يوجههم ويوقف جموحهم، كما أنه ظلم للمرأة لأنها تتحمل وحدها مهمة تربية الأبناء والعمل من أجل جلب المال لهم، بينما يحيا الرجل في لذة دائمة دون تحمل لأي مسئوليات. **وإن حاول الناس التغلب على كل هذه المشاكل باستعمال وسائل منع الحمل** -التي تتيح لهم لذة الزنا دون حدوث حمل- تعرضت البشرية لخطر الفناء كما نرى في أوربا، التي تصرخ الآن بسبب تناقص معدلات الإنجاب.

ثم هب أن الزنا لا يؤذي أحدا، فسيظل من الواجب علينا أن ننظر إليه على أنه جريمة في حق الله لأن الزاني خالف أمر الله بالابتعاد عن الزنا. والمسلم مطالب بأن يمتثل لأمر الله سواء فهم الحكمة منه أم لم يفهم. وإن كان أحدكم يجرؤ على مخالفة أوامر مديره، فليفعل الزنا، وهو ثابت الجنان.

أطلعني أحد الزملاء على فيديو لزوجة شابة، تشكو من خيانة زوجها المتكررة لها. وهنا كارثة: كانت **الزوجة تسمي ما فعله الرجل (خيانة زوجية)، مع أن اسمه في الدين (زنا).** والزنا من كبائر الذنوب. وهذا التغيير في الأسماء جعل الناس ينظرون للمشكلة من منظور علماني، فيتساءلون: لماذا خانها زوجها مع أنها جميلة؟ هل هي زوجة نكدية؟ هل قابل امرأة أجمل منها؟ هل..؟ هل..؟ لقد كان أحرى بهذه المرأة وبمن تعاطف معها أن يغضبوا من أجل الله، الذي ارتكب الزوج جريمة شنيعة في حقه، وهذا يوجب رد فعل في غاية الصرامة، **بدلا**

من الابتسام في شبق، أو التحديق في صاحبة الفيديو بحثا عن عيب خفي فيها. منذ سنوات قليلة كان الناس من حين لآخر يسمعون عن رجل زنى، ثم تزوج بمن زنى بها كي يخفي الفضيحة، **فكان العار يظل ملاحقا لهذا الرجل مدى الحياة** لأن المجتمع كان يستبشع الزنا، ولهذا كان على أي شاب أن يفكر ألف مرة قبل أن يقدم على إقامة علاقة مع امرأة غريبة. لكن بعد أن أصبح المجتمع يستمريء الزنا **تُركت كل زوجة لتتعامل بطريقتها الخاصة مع انفلات زوجها، وكأنها مشكلتها الشخصية، وكأن الله تعالى ليس له حقوق علينا.**

لا بد من وقفة من الجميع. علينا أن نسمي الزنا زنا، ونسمي الزاني زانيا. **وأضعف الإيمان أن نشيح بوجوهنا بعيدا عن الزاني، ونقاطعه، ونؤذيه حتي يشعر –هو ومن لف له– أنه منبوذ،** قال تعالى: {وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا} [النساء: 16]، فلعل هذه المقاطعة تخلص بلاد المسلمين من هذه الرذيلة التي سنحاسب جميعا لمجرد وجودها بيننا حتى لو لم نفعلها. وفي الحديث: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ». رواه مسلم. **وليس من أضعف الإيمان أن نتسلى بهذه الفيديوهات، أو نتخذ منها مادة للقيل والقال.** اغضبوا لربكم.

ومن اعتقد أن الزنا جريمة دينية، فسيجد نفسه تلقائيا يحاول الابتعاد عنها. فلا أحد يسير على حافة الهاوية. كلنا نحاول ترك مسافة أمان بيننا وبين الأخطار. لا أحد يرى النار، فيقف ملاصقا لها، بل يبتعد عنها بأقصى ما يستطيع. ولهذا فالمسلم الفطن يبتعد عن مقدمات الزنا. ومقدمات الزنا كثيرة، وهي تبدأ عادة بالمرأة التي يثير جسدها شهوة الرجل.

وقد ابتلينا هذه الأيام برجال دين ومفكرين يظنون أنه طالما أن عملية الزنا لم تقع فلا توجد جريمة، وأن **السفور والتبرج واختلاط الرجال بالنساء أمور لا تضر طالما أن الزنا نفسه لم يقع.** ما هذه السذاجة؟ أيظنون أن الزنا يحدث هكذا فجأة دون أي مقدمات تمهد له، وكأننا نعيش فى كون لا يعرف شيئا اسمه الأسباب والمسببات؟ أيظنون أن الرجال كالأحجار التي لا ترى ولا تسمع ولا تملك قلوبا؟ إن الحكمة تفرض علينا أن نئد الزنا في مهده. وما أحمق من يحاول منع الجريمة في اللحظة الأخيرة.

ومن الأمور التي تستحق الدهشة أن **الحركة النسائية تستميت في الدفاع عن التبرج والعرى.** كنت أقول: ماذا يضيرهم من حجاب المرأة؟ هم يبحثون عن مساواة المرأة بالرجل، فليركزوا في قضيتهم، وليتركوا من تتحجب تتحجب. ولكنني فيما بعد وجدت عدة أسباب تفسر موقفهم:

أولا: الحركة النسائية حركة علمانية، لا تعترف بالشريعة.

ثانيا: حكومة العالم الخفية (اليهود والماسون) التي خلقت الحركة النسائية تعادي الدين.

ثالثا: التبرج يساعد المرأة على التمرد على الرجل، والتخلى عن دورها التقليدي في الأسرة. لقد أصبح الجمال من أكبر أسباب قوة المرأة. فلكي تعمل المرأة بوظيفة مرموقة فلا بد أن تكون متبرجة، ولكى تسيطر على زوجها وتتحكم فيه لا بد أن تكون متبرجة ومطلوبة من الرجال حتى يعرف الزوج حجمه وحجمها. كما أن المرأة المعاصرة المتمردة لا تطيق أن تتلقى أوامر من الأب أو الأخ أو الزوج بالحشمة والتأدب، وتعتبر هذا من قبيل الوصاية عليها. لقد أصبحت المرأة كالثور الهائج، الذي قطعت قيوده، وأخذ يجرى يمنة ويسرة في فوضى عارمة.

ونعود لموضوعنا، فنقول أن الفتاة فى الغرب حين تكبر تهجر أسرتها، وتعيش وحدها، وتفعل ما بدا لها دون مساءلة أو وصاية. هذا شأن الغرب الذي شطب من قاموسه كلمات من قبيل "الأسرة" و"الزنا". لكن نحن أمة الإسلام نؤمن بإله أولى اهتماما فائقا بالأسرة، واعتبر الزنا من كبائر الذنوب، وهذا يحتم علينا اتخاذ إجراءات لفرض الرقابة على النساء.

أعلم جيدا أن المرأة تجد صعوبة في قبول القيود الدينية على زينتها وسلوكها لأنها تشعر أن من حقها أن تبرز للناس أوجه تميزها، وعوامل تفوقها. **إنها تنظر في المرآة، فترى أنها جميلة، وتشعر أن من حقها أن تتباهى بهذا الجمال أمام الناس كما يتباهى المصارع بعضلاته، والعالم باختراعاته، والرسام بلوحاته.** ونحن نقول لمثل هذه المرأة: **ومن قال لك أن من حق المصارع أن يتباهى بعضلاته ومن حق العالم أن يتباهى باختراعاته؟** الله تعالى يمقت كل مختال فخور: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} [لقمان: 18].

ولاحظ كلمة (كل) في الآية السابقة، التي تفيد أن الله تعالى لا يحب جميع المغرورين، بلا استثناء. وهذه نقطة في غاية الأهمية، **فقد تقول المرأة: "أنا أصلي، وأقرأ القرآن، وأذكر الله، ولن**

يضيرني شيء إن تباهيت بجمالي". وكلمة (كل) تقول لهذه المرأة: "الله تعالى يكرهك برغم أعمالك الصالحة" لأن الله لا يحب مَن يفرح بما أوتي من نعمة. قال تعالى: {إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ} [القصص: 76]. وقال:{لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ} [الحديد: 23]. وكره الله لكل مختال فخور سببه أنه لا يحق لأحد أن يفخر بشيء ليس من صنعه، والجمال ليس من صنع المرأة، بل من صنع الله. وحتى أدوات التجميل التي تستعملها المرأة هي مواد كيميائية، أوجدها الله تعالى في الطبيعة، ولم تخلق المرأة ذراتها من العدم. وعلميات التجميل ما نجحت إلا بسبب كفاءة أعصاب مخ الجراح، والجراح لم يخلق الجينات التي كونت أعصاب مخه، وهو جنين في بطن أمه.

وفضلا عن ذلك، فإن **تباهى العالم بذكائه أو تباهى المصارع بقوته، فلن يضر ذلك أحدا، أما إن تباهت المرأة بجمالها، وسارت في الطريق متبرجة، أوقعت في الأسر قلوب مئات الرجال،** فيترتب على ذلك التحرش أو الاغتصاب أو الزنا. وقد يقارن الرجل بين جمال المرأة المتبرجة وقبح زوجته، فيسخط على زوجته، وقد يطلقها.

ومن وجهة نظر الإسلام لا فرق بين زنا الرجل وزنا المرأة، فكلاهما كبيرة من الكبائر. لكن المرأة مخلوق جميل مثير، ولو تركت لها الحرية لأوقعت بقلوب الرجال حتى لو لم تقصد، لأن إغراء المرأة للرجل أقوى من إغراء الرجل للمرأة، وهذا يجعل **تقييد المرأة أهم من تقييد الرجل.** كما أن تلك القيود تهدف إلى حماية المرأة نفسها من طمع الطامعين، وعدوان الآثمين، تماما مثلما ننصح المواطنين بألا يسيروا وحدهم في ساعة متأخرة من الليل تحسبا لهجمات اللصوص.

ولتعلم المرأة أن الإسلام يراها كالجوهرة. والجوهرة لا يعيبها أنها جميلة ساحرة. ولا يلام صاحبها إن حاول أن يخفيها عن العيون، ويحميها من اللصوص. ومالك المرأة الجوهرة الذي يحق له أن يمنعها من الظهور ليس هذا الرجل أو ذاك، ولكنه الله الذي يملك المرأة، ويملك الرجل، ويملك كل شيء في الوجود.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

إباحة الزينة الظاهرة

يباح للمرأة أن تظهر بعض زينتها، ويحرم عليها أن تظهر البعض الآخر. وما يجوز للمرأة أن تظهره هو ما يظهر بشكل طبيعى تلقائى لعامة الناس في الشارع كالخاتم والسوار والملابس والحناء.

وقد حدد القرآن القيود المفروضة على زينة المرأة، فقال: {وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [النور: 31]

ومن خلال جملة (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) نفهم أن زينة المرأة نوعان: زينة ظاهرة وزينة باطنة (خفية). **ولو خلت الآية من عبارة (إلا ما ظهر منها) بحيث تكون: (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ...)، لو حدث ذلك لفهمنا أن الشريعة لا تقسم الزينة إلى زينة ظاهرة وزينة باطنة، وأنها تفرض على المرأة إخفاء كل اشكال زينتها عن الناس باستثناء أهلها ومحارمها.** ومن أشكال الزينة الباطنة الخفية "الخلخال"، الذي كانت المرأة تضعه حول ساقها حتى وقت قريب. وقد ورد ذكره في القرآن: (وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ).

وكلمة (زينتهن) تكررت في الآية مرتين، لكنها تشير في المرة الأولى إلى الزينة بوجه عام، بينما تشير في المرة الثانية إلى الزينة الخفية الباطنة. وليس غريبا أن يستخدم القرآن نفس اللفظ للتعبير عن معنيين مختلفين في نفس السياق (وهذا يسمى الجناس التام)، كما في قوله تعالى: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ} [الروم: 55]، فكلمة (الساعة) الأولى تعنى يوم القيامة، بينما كلمة (الساعة) الثانية تعنى الفترة الزمنية المكونة من ستين دقيقة.

ولا يستوي الأقارب فى درجة كشف الزينة الباطنة، فالمرأة يمكنها أن تظهر لزوجها من زينتها ما تتحرج أن تظهره لأبيها وأخيها. وفى هذا يقول القرطبى: «لما ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْأَزْوَاجَ وَبَدَأَ بِهِمْ ثَنَّى بِذَوِي الْمَحَارِمِ وَسَوَّى بَيْنَهُمْ فِي إِبْدَاءِ الزِّينَةِ، وَلَكِنْ تَخْتَلِفُ مَرَاتِبُهُمْ بِحَسَبِ مَا فِي نُفُوسِ الْبَشَرِ. فَلَا مِرْيَةَ أَنَّ كَشْفَ الْأَبِ وَالْأَخِ عَلَى الْمَرْأَةِ أَحْوَطُ مِنْ كَشْفِ وَلَدِ زَوْجِهَا. وَتَخْتَلِفُ مَرَاتِبُ مَا يُبْدَى لَهُمْ، فَيُبْدَى لِلْأَبِ مَا لَا يَجُوزُ إِبْدَاؤُهُ لِوَلَدِ الزَّوْجِ»[97].

وقد استنتج أحد أصحاب النفوس المريضة من الآية السابقة (آية النور 31) أن القرآن يفتح الباب على مصراعيه للمرأة كي ترتدى ما تشاء من الملابس أمام أقاربها الذين ذكرتهم الآية. وكان على هذا الأحمق أن يفهم أن زوج المرأة هو الوحيد الذي يحل له جماعها من بين كل محارمها. وهذا يوجب بالبداهة وجود فرق بين القدر الواجب كشفه من الزينة لكل من الزوج وبقية المحارم. وما دعانى للكلام فى هذا الشأن هو ما لوحظ من ازدياد حوادث زنا المحارم فى الفترة الأخيرة ، والتى ترجع فى جانب مهم منها إلى مبالغة الفتيات في الزينة خارج البيوت، فما بالكم بما يحدث داخلها؟

ولكن ما معنى قول القرآن: "ما ظهر منها" بالتحديد؟ ما أشكال الزينة الظاهرة بالضبط؟

لا شك أن القدر الظاهر من الزينة يختلف من بلد لبلد، ففى الدول الأوروبية مثلا من المعتاد أن تمشى المرأة كاشفة عن ذراعيها وساقيها وصدرها، فهل يباح ذلك للمسلمة؟ قطعا لا، لأن هناك نصوصا دينية أخرى أمرت بتغطية الشعر والعنق والصدر والقدمين (ذكرناها في موضع آخر)، وهذا يجعل نطاق الزينة الظاهرة محدودا، **ويسد الطرق على أولئك الذين أفتوا للمسلمة الأوربية بأن الحجاب ليس فرضا،** على اعتبار أنه يدخل فى نطاق الزينة الظاهرة التى أباحها القرآن. إذن قوله **(ما ظهر منها) يشير إلى ما ظهر بحكم "الشرع"، وليس ما ظهر بحكم "العادات والتقاليد".**

97) **تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن).** (12/ 232). تأليف أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أبي بكر شمس الدين القرطبي. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. دار الكتب المصرية – القاهرة. الطبعة الثانية، 1384هـ - 1964 م

وسنورد الآن آراء العلماء في معنى قوله (إلا ما ظهر منها). وقد كان من الطبيعي أن يختلفوا لأن عبارة القرآن عامة. **ولا ضير من اختلافهم طالما أنهم يتفقون على أن تغطية الشعر والعنق والصدر والساق حرام.**

رأى بعض العلماء أن الزينة الظاهرة هي الثياب فقط. قال ابن كثير: [وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْها أَيْ لَا يُظْهِرْنَ شَيْئًا مِنَ الزِّينَةِ لِلْأَجَانِبِ إلا ما لا يمكن إخفاؤه. قال ابْنُ مَسْعُودٍ: كَالرِّدَاءِ وَالثِّيَابِ يَعْنِي عَلَى مَا كان يتعاطاه نِسَاءُ الْعَرَبِ مِنَ الْمِقْنَعَةِ الَّتِي تُجَلِّلُ ثِيَابَهَا وَمَا يَبْدُو مِنْ أَسَافِلِ الثِّيَابِ. فَلَا حَرَجَ عليها فيه لأن هذا لا يمكنها إخفاؤه وَنَظِيرُهُ فِي زِيِّ النِّسَاءِ مَا يَظْهَرُ مِنْ إِزَارِهَا وَمَا لَا يُمْكِنُ إِخْفَاؤُهُ. وَقَالَ بِقَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ الْحَسَنُ وَابْنُ سِيرِينَ وَأَبُو الْجَوْزَاءِ وَإِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ وَغَيْرُهُمْ][98].

أما غالبية العلماء فيرون أن الزينة التي يباح للمرأة أن تبديها تشمل الكحل، والخاتم، والسوار، والوجه. ونلخص ما ذكره الطبري في هذا الشأن:[99]

عن ابن عباس، قال: الظاهر منها: **الكحل والخدان.** وعنه أيضا، قال: **الكحل والخاتم.** وعنه: **الخاتم والمسكة.** وعنه: الزينة الظاهرة: **الوجه، وكحل العين، وخضاب الكفّ، والخاتم،** فهذه تظهر في بيتها لمن دخل من الناس عليها. وعن سعيد بن جُبير، قال: **الوجه والكفّ.** وعن عطاء، قال: **الكفان والوجه.** وعن قَتادة قال: **الكحل، والسوران، والخاتم.** وعن قَتادة أيضا، قال: **المسكتان والخاتم والكحل،** قال قَتادة: وبلغني أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: "لا يحِلُّ لامْرأةٍ تُؤْمِنُ بالله واليَوْمِ الآخِرِ، أنْ تخْرجَ يَدَها إلا إلى هاهنا". وقبض نصف الذراع. وعن المسور بن مخرمة، قال: **القلبين، والخاتم، والكحل، يعني السوار.** وقالت عائشة: **القُلْبُ والفتخة،** قالت عائشة: دَخَلَتْ عليّ ابنة أخي لأمي عبد الله بن الطفيل مُزَيَّنةً، فدخل النبيّ صلى الله عليه وسلم، فأعرض، فقالت عائشة: يا رسول الله إنها ابنة أخي وجارية، فقال: "إذا عركت المرأة (حاضت) لميحلّ لها أن تظهر إلا وجهها، وإلا ما دون هذا"، وقبض على ذراع نفسه، فترك بين قبضته وبين الكفّ مثل

---

98) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير). (6/ 41). تأليف أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير. تحقيق محمد حسين شمس الدين. دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت. الطبعة: الأولى - 1419 هـ.

99) تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن) (19/ 156)**.** تأليف محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري. تحقيق أحمد محمد شاكر. مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى، 1420 هـ - 2000 م.

قبضة أخرى. وقال مجاهد قوله:(إلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) قال: **الكحل والخضاب والخاتم**. وعن عامر:(إلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) قال **الكحل، والخضاب، والثياب**. وقال ابن زيد، في قوله:(وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) من الزينة: **الكحل، والخضاب، والخاتم**، هكذا كانوا يقولون وهذا يراه الناس. وسئل الأوزاعي عن(وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) قال: **الكفين والوجه**. وعن الضحاك في قول:(وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ) قال **الكفّ والوجه**. وروي عن الحسن أنه: **الوجه والثياب**.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

تغطية الشعر والعنق والصدر والقدم والساق

حدد القرآن والسنة القدر الواجب ستره من جسد المرأة، وتوضيح ذلك فيما يلى:

1- أخبرنا الله تعالى في القرآن أن **على المسلمة أن تغطى شعرها بالخمار، وأن يتدلى هذا الخمار ليغطى الرقبة وأعلى الصدر**، فقال: {وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ} [النور: 31]. و(خُمُرهن) جمع (خمار)، **والخمار هو غطاء الرأس**. والكلمة **مشتقة من معنى التغطية والإخفاء**، يقال: خَمَرَ فلانٌ شهادَتَه: أي كَتَمها. و"خُمِرَ عني الخَبَرُ: أي خَفيَ[100]. وكلمة (جيوبهن) جمع (جيب)، والجيب في اللغة العربية ليس الجيب الذي نضع فيه النقود اليوم، ولكن **الجيب في الأصل هو شق فى الثوب من ناحية الرأس، أي الفتحة الموجودة في أعلى الثوب والتي تُظهر الرقبة وأعلى الصدر**. وفي "معجم اللغة العربية المعاصرة" أن (جَيْب القميص) هو ما يُدخل منه الرَّأسُ عند لُبسه، أي طوق القميص. وفي الحديث: "ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب"[101]. والجيب مشتق من فعل (جابَ) بمعنى قطع وخرق. ومنه قوله تعالى: (وثَمودَ الذين جابوا الصخر بالواد)، أي قطعوا الصخر[102].

---

100) والتَخْميرُ: التَغْطيةُ. وأَخْمَرْتُ الشئَ أى أضمرته. ويقال: خَمِّر وجْهَك، وخَمِّرْ إناءَكَ. وقد خَمِرَ عنِّي فلان إذا توارى عنك. والخمر: ما واراك من شئ. يقال تَوارى الصَيْدُ منِّي في خمَرِ الوادي، أي ما واراه من جُرْفٍ، أو شجر، أو شئ. ومنه قولهم: دخل فُلانٌ في خمار الناس، أي فيما يواريه ويَسْتُرُه منهم.. انظر: معجم **"الصحاح"** للجوهرى.

101) معجم اللغة العربية المعاصرة (1/ 427)

102) والجَوْبةُ هي الحفرة، وهى الفُرْجةُ فِي السَّحابِ وَفِي الْجِبَالِ. وانْجابَ عَنْهُ الظلامُ: انْشَقَّ. وانْجابَتِ الأَرضُ: انْخَرَقَتْ. وكلُّ شيءٍ قُطِع وَسَطُه، فَهُوَ مجْيُوبٌ ومَجُوبٌ ومُجَوَّبٌ، وَمِنْهُ سُمي جَيْبُ القَمِيصِ. وجبت البلاد أجوبها، إذا قطعتها. انظر: معجم **"الصحاح"** للجوهرى، ومعجم **"لسان العرب"**.

وقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ في تفسير قوله: (وَلْيَضْرِبْنَ بخمرهن): «**وَلِيَشْدُدْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلى جُيُوبِهِنَّ يَعْنِي عَلَى النَّحْرِ (الرقبة) وَالصَّدْرِ فَلَا يُرَى مِنْهُ شَيْءٌ**»[103]. وسبب هذه الآية كما يقول القرطبى في تفسيره: «**أَنَّ النِّسَاءَ كُنَّ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ إِذَا غَطَّيْنَ رُءُوسَهُنَّ بِالْأَخْمِرَةِ وَهِيَ الْمَقَانِعُ سَدَلْنَهَا مِنْ وَرَاءِ الظَّهْرِ**. قَالَ النَّقَّاشُ: كَمَا يَصْنَعُ النَّبَطُ، **فَيَبْقَى النَّحْرُ وَالْعُنُقُ وَالْأُذُنَانِ لَا سَتْرَ عَلَى ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِلَيِّ الْخِمَارِ عَلَى الْجُيُوبِ، وَهَيْئَةُ ذَلِكَ أَنْ تَضْرِبَ الْمَرْأَةُ بِخِمَارِهَا عَلَى جَيْبِهَا لِتَسْتُرَ صَدْرَهَا**»[104].

2- **رويت أحاديث توضح الطريقة التي فهم بها الصحابة الآية التي ذكرت الخمار**: قَالَتْ عائشة: «يَرْحَمُ اللَّهُ نِسَاءَ المُهَاجِرَاتِ الأُوَلَ، لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ: {وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ} [النور: 31] شَقَّقْنَ مُرُوطَهُنَّ فَاخْتَمَرْنَ بِهَا» رواه البخارى. وكلمة (مروطهن) جمع (مِرْط) وهو الإزار، أي ثوب يحيط بالنصف الأسفل من الجسم. وكلمة (فاختمرن بها) تعنى فغطين رءوسهن بها.

وعن أمّ سلمة، قالت: «لما نزلت {يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ} [الأحزاب: 59]، خرجَ نِسَاءُ الأنصارِ كأن على رؤوسِهِنَّ الغِرْبانَ مِنَ الأكْسِيَة» رواه أبو داود بإسناد قوى[105]. وهذا الحديث الأخير يفيد أن الخمار يغطَّى به الرأس لأن رءوس النساء صارت سوداء كالغربان (جمع غُراب).

3- كلمة (خمرهن) في قوله تعالى (وليضربن بخمرهن) دليل على فرض الحجاب. وهذه الكلمة لا تختلف معاجم اللغة على أن معناها غطاء الرأس. ويؤكد ذلك ما ورد فى الحديث الصحيح: «**أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَسَحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ وَالْخِمَارِ**» رواه مسلم.

وهذا الحديث الأخير يتكلم عن الوضوء، فيخبرنا أن الرسول عليه السلام مسح على شيئين هما الخف والخمار، وطبعا المسح أثناء الوضوء لا يكون إلا على الرأس والقدمين. والخفان يلبسهما الإنسان في قدميه، فلم يبق إلا أن يكون الخمار موضوعا على الرأس. **ولو كان الخمار يوضع على الكتف أو الصدر وليس على الرأس لما مسح الرسول عليه أثناء**

103) **تفسير ابن كثير** (6/ 42)

104) **تفسير القرطبي** (12/ 230)

105) إسناده قوي كما قال محققا **"سنن أبي داود"** (6/ 197)

الوضوء. والخمار في هذا الحديث معناه الْعِمَامَةَ لِأَنَّهَا تُخَمِّرُ الرَّأْسَ أَيْ تُغَطِّيهِ لدى الرجال[106].

وإن قال لك شخص متعجرف: "أنا أرفض كل الأحاديث، واعترف فقط بالقرآن"، فقل له: "لا يهمنا هنا صحة الأحاديث أو ضعفها، فالأحاديث لها قيمة كبرى حتى لو كانت ضعيفة لأنها أحد أقدم المصادر التي تنقل لنا لغة العرب من منابعها، وهي في هذا تتفوق حتى على الشعر وعلى كلام الأعراب الذي ينقله لنا علماء اللغة في المعاجم، لأن الحديث له سند، بينما الشعر وغيره من كلام القدماء كثيرا ما يكون بلا سند، ولا يُعرف من قاله. وعلى هذا فإن كنت ترفض الأحاديث كلها، فالأولى أن ترفض معاجم اللغة كلها، لأن معاني ألفاظ اللغة وصلت إلينا من خلال روايات أقل قوة من الأحاديث. وإن رفضنا معاجم اللغة فلن يصبح للقرآن أي قيمة لأنه سيصبح كتابا مبهما. وعلى ذلك، فالحديث السابق يثبت أن كلمة (الخمار) معناها (غطاء الرأس) حتى لو كنت ترى أن كل الأحاديث ملفقة.

4- **ويخبرنا القرأن أيضا أن المرأة المسلمة مطالبة بتغطية ساقيها**، وهذا ما نجده فى قوله تعالى: {وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ} [النور: 31]، فهذه الآية تعنى أن من المحرم على المرأة أن تضرب برجلها كى يسمع الرجال صوت الخلخال الذي ترتديه في قدميها، فتتحرك شهوتهم. وإذا كان لفت أنظار الرجال بواسطة الخلخال حرام، فما بالك بالمرأة التى تُظهر القدم الى يوضع حولها الخلخال؟ وما بالك بمن تظهر ساقها كلها؟

وهناك دليل من السنة على أن القدم عورة، فقد نهى الرسول عليه الصلاة والسلام عن إطالة الثوب لأن الناس كانوا يفعلون ذلك بدافع الخيلاء، فاعترضت أم سلمة لأن تقصير الثوب سيؤدى إلى انكشاف أقدام النساء، فلم يقل لها أن القدم ليست عورة، بل وافقها، وسمح لهن بإطالة الثوب حتى لا تظهر أقدامهن: عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاَءَ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَكَيْفَ يَصْنَعْنَ النِّسَاءُ بِذُيُولِهِنَّ؟ قَالَ: يُرْخِينَ شِبْرًا، فَقَالَتْ: **إِذًا تَنْكَشِفُ أَقْدَامُهُنَّ**، قَالَ: فَيُرْخِينَهُ ذِرَاعًا، لاَ يَزِدْنَ عَلَيْهِ». رواه النسائى والترمذي، وقال الترمذى: حديث حسن صحيح. وفى رواية عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَالَ فِي جَرِّ الذَّيْلِ مَا قَالَ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا

---

106) **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (شرح النووي على مسلم).** (3/ 174). تأليف محيى الدين يحيى بن شرف النووى. دار إحياء التراث العربي – بيروت. الطبعة الثانية، 1392 هجرية.

رَسُولَ اللَّهِ، فَكَيْفَ بِنَا؟ فَقَالَ: «جُرِّيهِ شِبْرًا» فَقَالَتْ: **إِذًا تَتَكَشَّفُ الْقَدَمَانِ.** قَالَ: «فَجُرِّيهِ ذِرَاعًا». وهذا حديث صحيح[107].

وفي الحديث الأخير دليل – كما يقول الألبانى –على أن قدمي المرأة عورة، وأن ذلك كان أمرا معروفاعند النساء في عهد النبوة، فإنه لما قال صلى الله عليه وسلم: "جريه شبرا"، قالت أم سلمة: "إذن تنكشف القدمان"، مما يشعر بأنها كانت تعلم أن القدمين عورة، لا يجوز كشفهما، ولذلك أمرها صلى الله عليه وسلم أن تجره ذراعا. وفي القرآن الكريم إشارة إلى هذه الحقيقة، وذلك في قوله تعالى: (ولايضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن)[108].

وهكذا فالمرأة المسلمة تغطى شعرها ورقبتها وصدرها وقدمها وساقها؟

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

107) حديث صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير إبراهيم بن الحجاج وهو ثقة. أخرجه أبو يعلى في " سنده " (325 / 1) حدثنا إبراهيم بن الحجاج حدثنا حماد عن أيوب عن نافع عن صفية بنت أبي عبيد. ثم رواه هو (329 / 1) وأحمد (6 / 295، 309) من طريق محمد بن إسحاق عن نافع، بلفظ: "فذراع لا يزدن عليه ". وكذلك رواه عبد الله عن نافع عن سليمان بن يسار عنها. أخرجه أحمد (6 / 293). ثم رواه (6 / 315) عن عبيد الله عن نافع به. انظر: " **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها"** (1/ 827). تأليف محمد ناصر الدين الألباني. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض. الطبعة الأولى، (لمكتبة المعارف). 1415 هـ - 1995 م

108) "سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها " للألباني(1/ 828)

إباحة كشف الوجه والكفين

لدينا الآن دلائل من القرآن والسنة على أن من المحرم على المرأة كشف الشعر والعنق والصدر والساق. وبالطبع لم يذكر القرآن شيئا عن البطن والفخذ لأن هذه الأعضاء أكثر إغراء، ولا تكشفها المرأة للرجال إلا إذا وقع الزنا أو أوشك أن يقع، أو استحلت المرأة وقوعه (كالمرأة التي ترتدي المايوه البكيني على الشاطيء).

وعلى ذلك فالمرأة لم يبق لها ما يظهر إلا الوجه والكفين. والوجه والكفين لم يرد بشأنهما نص يحرم كشفهما، وإضافة إلى ذلك هناك من الدلائل ما يؤكد بقوة أن كشفهما مباح، وأن النقاب ليس فرضا. وقد أفاض العلماء فى تفصيل ذلك، ولن آتى بأكثر مما قالوا، وسأوجزه فيما يلى:

1– قال تعالى: "**{وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ}** [النور: 31]. وكلمة (جيوبهن) تشير إلى فتحة القميص التي تدخل منها الرأس، وتُظهر الرقبة وأعلى الصدر. ولو كانت تغطية الوجه واجبة لقال: «**وليضربن بخمرهن على وجوههن**».

2– حرم الله تعالى على رسوله عليه الصلاة والسلام الزواج بنساء غير من معه من أمهات المؤمنين، حتى لو أعجب بجمالهن: **{لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ}** [الأحزاب: 52]. والرسول عليه الصلاة والسلام لن يعجب بحسن امرأة إلا إذا رأى وجهها. حقا بعض النساء يتركز جمالهن في قوامهن ورشاقتهن وتناسق أعضائهن، لكن لا أحد يغامر بالزواج من امرأة دون أن يرى وجهها لأنه لا أحد يحتمل النظر طوال اليوم إلى امرأة لا يرتاح إليها، فالوجه لا يحمل فقط الجمال والقبح، بل هو أيضا دليل على شخصية المرأة وطبعها وسلوكها وميولها. إن قمة الحسن فى الوجه، ولا يوجد مجنون يتزوج امرأة لمجرد جمال جسدها دون أن ينظر إلي وجهها، فكم من قبيحة الوجه جسدها مثير، وإن استمتع الرجل بجسدها ساعة نفر من وجهها بقية اليوم.

3– في إحدى الروايات نجد الرسول عليه الصلاة والسلام يمنع الفضل بن عباس من النظر إلى امرأة جميلة: عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَرْدَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الفَضْلَ بْنَ عَبَّاسٍ يَوْمَ النَّحْرِ خَلْفَهُ عَلَى عَجُزِ رَاحِلَتِهِ، وَكَانَ الفَضْلُ رَجُلًا وَضِيئًا،

فَوَقَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلنَّاسِ يُفْتِيهِمْ، **وَأَقْبَلَتِ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ وَضِيئَةٌ** تَسْتَفْتِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَطَفِقَ الفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، وَأَعْجَبَهُ حُسْنُهَا**، فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، فَأَخْلَفَ بِيَدِهِ فَأَخَذَ بِذَقَنِ الفَضْلِ، فَعَدَلَ وَجْهَهُ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهَا". متفق عليه واللفظ للبخاري. وفى رواية أخرى للبخارى: "**فَجَعَلَ الفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ**، فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْرِفُ وَجْهَ الفَضْلِ إِلَى الشِّقِّ الآخَرِ".

ومن هذه الرواية نعرف أن **المرأة لم تكن تغطى وجهها، وإلا لما أعجب بها الفضل بن العباس، ولما حاول الرسول عليه الصلاة والسلام أن يصرف بصره عنها**. ولا يمكن القول بأن هذه الواقعة نزلت قبل نزول سورة النور وسورة الأحزاب اللتين فرضتا الحجاب على النساء، وذلك لأن السورتين نزلتا على الأرجح في العام الخامس من الهجرة، فسورة النور نزلت بعد غزوة بنى المصطلق، وسورة الأحزاب نزلت بعد غزوة الأحزاب، وكلا من الغزوتين وقعت في العام الخامس من الهجرة[109]، بينما واقعة الفضل بن العباس حدثت فى حجة الوداع، أى في العام العاشر من الهجرة كما نعرف من عبارة (يوم النحر) الواردة في الحديث، وكما ذكر الترمذي في رواية أخرى للحديث[110].

4- ورد في رواية أن امرأة جاءت تعرض نفسها على رسول الله عليه الصلاة والسلام كي يتزوجها، فنظر إليها الرسول، وبدا أنه غير متحمس للزواج منها، وهنا عرض أحد الصحابة أن يتزوجها. وهذا دليل على أن المرأة كانت تكشف وجهها: عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ جِئْتُ لِأَهَبَ لَكَ نَفْسِي، **فَنَظَرَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَصَعَّدَ النَّظَرَ إِلَيْهَا وَصَوَّبَهُ، ثُمَّ طَأْطَأَ رَأْسَهُ**، فَلَمَّا رَأَتِ

109) ذكر محققو سيرة بن هشام أن قَول عُرْوَة وَغَيره أن غزوة بنى المصطلق (المريسيع) كَانَت سنة خمس أشبه من قَول ابْن إِسْحَاق، وَيُؤَيِّدهُ مَا ثَبت فِي حَدِيث الْإِفْك أَن سعد بن معَاذ تنَازع هُوَ وَسعد بن عبَادَة فِي أَصْحَاب الْإِفْك، فَلَو كَانَت الْمُرَيْسِيع فِي شعْبَان سنة سِتّ مَعَ كَون الْإِفْك مِنْهَا، لَكَانَ مَا وَقع فِي الصَّحِيح من ذكر سعد بن معَاذ غَلطا، لِأَنَّهُ مَاتَ أَيَّام قُرَيْظَة، وَكَانَت فِي سنة خمس على الصَّحِيح، وَإِن كَانَت كَمَا قيل سنة أَربع، فَهُوَ أَشد غَلطا، فَظهر أَن الْمُرَيْسِيع كَانَت فِي سنة خمس فِي شعْبَان قبل الخَنْدَق، لِأَنَّهَا كَانَت فِي شَوَّال سنة خمس أَيْضا، فَيكون سعد بن معَاذ مَوْجُودا فِي الْمُرَيْسِيع وَرمى بهَا بعد ذَلِك بِسَهْم فِي الخَنْدَق، وَمَات من جراحته فِي قُرَيْظَة. انظر: **"سيرة ابن هشام"** (2/ 289).

110) قال الترمذي: عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: **وَقَفَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَرَفَةَ، فَقَالَ: هَذِهِ عَرَفَةُ**، وَهُوَ الْمَوْقِفُ، وَعَرَفَةُ كُلُّهَا مَوْقِفٌ، ثُمَّ أَفَاضَ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، وَجَعَلَ يُشِيرُ بِيَدِهِ عَلَى هِيْئَتِهِ، وَالنَّاسُ يَضْرِبُونَ يَمِينًا وَشِمَالاً، يَلْتَفِتُ إِلَيْهِمْ، وَيَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمُ السَّكِينَةَ، ثُمَّ أَتَى جَمْعًا فَصَلَّى بِهِمُ الصَّلاَتَيْنِ جَمِيعًا، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى قُزَحَ فَوَقَفَ عَلَيْهِ، وَقَالَ: هَذَا قُزَحُ وَهُوَ الْمَوْقِفُ، وَجَمْعٌ كُلُّهَا مَوْقِفٌ، ثُمَّ أَفَاضَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى وَادِي مُحَسِّرٍ، فَقَرَعَ نَاقَتَهُ، فَخَبَّتْ حَتَّى جَاوَزَ الوَادِيَ فَوَقَفَ، **وَأَرْدَفَ الفَضْلَ ثُمَّ أَتَى الجَمْرَةَ فَرَمَاهَا، ثُمَّ أَتَى الْمَنْحَرَ، فَقَالَ: هَذَا الْمَنْحَرُ وَمِنًى كُلُّهَا مَنْحَرٌ. وَاسْتَفْتَتْهُ جَارِيَةٌ شَابَّةٌ مِنْ خَثْعَمٍ**، فَقَالَتْ: إِنَّ أَبِي شَيْخٌ كَبِيرٌ قَدْ أَدْرَكَتْهُ فَرِيضَةُ اللهِ فِي الحَجِّ، أَفَيُجْزِئُ أَنْ أَحُجَّ عَنْهُ؟ قَالَ: حُجِّي عَنْ أَبِيكِ. قَالَ: وَلَوَى عُنُقَ الفَضْلِ، فَقَالَ العَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ لَوَيْتَ عُنُقَ ابْنِ عَمِّكَ؟ قَالَ: رَأَيْتُ شَابًّا وَشَابَّةً فَلَمْ آمَنِ الشَّيْطَانَ عَلَيْهِمَا. ثُمَّ أَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَفَضْتُ قَبْلَ أَنْ أَحْلِقَ، قَالَ: احْلِقْ، أَوْ قَصِّرْ وَلاَ حَرَجَ. قَالَ: وَجَاءَ آخَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي ذَبَحْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ، قَالَ: ارْمِ وَلاَ حَرَجَ. قَالَ: ثُمَّ أَتَى البَيْتَ فَطَافَ بِهِ، ثُمَّ أَتَى زَمْزَمَ، فَقَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَوْلاَ أَنْ يَغْلِبَكُمُ النَّاسُ عَنْهُ لَنَزَعْتُ. وقال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

المَرْأَةُ أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ فِيهَا شَيْئًا جَلَسَتْ، **فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بِهَا حَاجَةٌ فَزَوِّجْنِيهَا**». متفق عليه، واللفظ للبخارى.

فهذه الرواية تثبت أن كلا من الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه نظرا للمرأة، وأنهما اختلفا فيها، فأعجب بها الصحابي، وزهد فيها الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا غير محتمل إن لم يكونا قد نظرا إلى وجهها.

5- ورد في إحدى الروايات أن إحدى النساء لما توفى زوجها وهي حبلى، ووضعت مولودها، وانتهت فترة نفاسها تجملت حتى يراها الرجال، ويطلبوها للزواج، فلم يحرم الرسول عليه الصلاة والسلام عليها التزين طالما أن فترة العدة قد انتهت بوضع المولود. وطبعا لا معنى للتزين إلا بكشف الوجه: روى عن سُبَيْعَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ الْأَسْلَمِيَّةِ أَنَّهَا كَانَتْ تَحْتَ سَعْدِ بْنِ خَوْلَةَ وَهُوَ فِي بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا، فَتُوُفِّيَ عَنْهَا فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَهِيَ حَامِلٌ، فَلَمْ تَنْشَبْ أَنْ وَضَعَتْ حَمْلَهَا بَعْدَ وَفَاتِهِ، **فَلَمَّا تَعَلَّتْ مِنْ نِفَاسِهَا، تَجَمَّلَتْ لِلْخُطَّابِ،** فَدَخَلَ عَلَيْهَا أَبُو السَّنَابِلِ بْنُ بَعْكَكٍ - رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ - **فَقَالَ لَهَا: مَا لِي أَرَاكِ مُتَجَمِّلَةً؟ لَعَلَّكِ تَرْجِينَ النِّكَاحَ، إِنَّكِ،** وَاللهِ، مَا أَنْتِ بِنَاكِحٍ حَتَّى تَمُرَّ عَلَيْكِ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرٌ، قَالَتْ سُبَيْعَةُ: فَلَمَّا قَالَ لِي ذَلِكَ، جَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي حِينَ أَمْسَيْتُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، «فَأَفْتَانِي بِأَنِّي قَدْ حَلَلْتُ حِينَ وَضَعْتُ حَمْلِي، وَأَمَرَنِي بِالتَّزَوُّجِ إِنْ بَدَا لِي» رواه مسلم. وسنعود لهذه الرواية لاحقا إن شاء الله.

6- يجب أن يكون معلوما أننا حين نقول بأن زينة الوجه والكفين مباحة، فإننا لا نقول بدعا من الرأى دفعنا إليه تلوث فكرنا بالحضارة الغربية. بالعكس لقد اضطررنا إلى هذا الرأي اضطرارا حين قرأنا النصوص القرآنية والنبوية السابقة. ويضاف إلى ذلك أن هذا هو رأى جمهور الصحابة والتابعين وعلماء السلف الذين فسروا قوله تعالى "ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها". ويمكن الرجوع لأمهات التفاسير كالطبرى والقرطبى لمعرفة ذلك. يقول القرطبى مثلا: «أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى النِّسَاءَ بِأَلَّا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ لِلنَّاظِرِينَ، إِلَّا مَا اسْتَثْنَاهُ مِنَ النَّاظِرِينَ فِي بَاقِي الْآيَةِ حِذَارًا مِنْ الِافْتِتَانِ، ثُمَّ اسْتَثْنَى، مَا يَظْهَرُ مِنَ الزِّينَةِ، وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي قَدْرِ ذَلِكَ، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: ظَاهِرُ الزِّينَةِ هُوَ الثِّيَابُ. وَزَادَ ابْنُ جُبَيْرٍ **الْوَجْهُ**. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ أَيْضًا وَعَطَاءٌ وَالْأَوْزَاعِيُّ: **الْوَجْهُ وَالْكَفَّانِ وَالثِّيَابُ.** وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ وَالْمِسْوَرُ بْنُ مَخْرَمَةَ:

ظَاهِرُ الزِّينَةِ هُوَ **الْكُحْلُ وَالسِّوَارُ وَالْخِضَابُ إلَى نِصْفِ الذِّرَاعِ وَالْقِرَطَةُ وَالْفَتَخُ**، وَنَحْوُ هَذَا فَمُبَاحٌ أَنْ تُبْدِيَهُ الْمَرْأَةُ لِكُلِّ مَنْ دَخَلَ عَلَيْهَا مِنَ النَّاسِ»[111].

7- عن عائشة رضي الله عنها قالت:«كُنَّ نِسَاءُ المُؤْمِنَاتِ يَشْهَدْنَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلاَةَ الفَجْرِ **مُتَلَفِّعَاتٍ بِمُرُوطِهِنَّ**، ثُمَّ يَنْقَلِبْنَ إِلَى بُيُوتِهِنَّ حِينَ يَقْضِينَ الصَّلاَةَ، **لاَ يَعْرِفُهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الغَلَسِ**». رواه الشيخان، واللفظ للبخارى.

(متلفعات بمروطهن): معناها متغطيات بثيابهن[112]. (مروطهن): جمع مِرْطٍ، وَهُوَ كِسَاءٌ مِنْ صوف أو كتان أو خَزٍّ يؤتزر به. و(الغَلَس) هو ظلمة آخر الليل.

وهذا الحديث يفيد أن النساء كن يخرجن لصلاة الفجر، فلا يعرفهن أحد من الظلمة، أى أن الظلام هو الذى كان يحول دون التعرف على شخصياتهن، وليس المروط التى كن يتغطين بها. وَقَالَ الْبَاجِيُّ: هَذَا يَدُلّ عَلَى أَنَّهُنَّ كُنَّ سَافِرَاتٍ إِذْ لَوْ كُنَّ مُتَنَقِّبَاتٍ لَمَنَعَ تَغْطِيَةُ الْوَجْهِ مِنْ مَعْرِفَتِهِنَّ لَا الْغَلَسُ[113].

8- **من الأدلة المهمة على أن الوجه والكفين ليسا بعورة أن ستر العورة واجب أثناء الصلاة، وأن المرأة يباح لها كشف الوجه والكفين أثناء الصلاة، وهذا يعنى أن الوجه والكفين ليسا عورة.** يقول الطبرى في تفسير قوله:(وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا): «**وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال: عنى بذلك: الوجه والكفان، يدخل في ذلك إذا كان كذلك: الكحل، والخاتم، والسوار، والخضاب.** وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك بالتأويل؛ لإجماع الجميع على أن على كلّ مصل أن يستر عورته في صلاته، وأن للمرأة أن تكشف وجهها وكفيها في صلاتها، وأن عليها أن تستر ما عدا ذلك من بدنها، إلا ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أباح لها أن تبديه من ذراعها إلى قدر النصف. فإذا كان ذلك من جميعهم إجماعا، كان معلوما بذلك أن لها أن تبدي من بدنها ما لم يكن عورة، كما ذلك للرجال؛ لأن ما لم يكن عورة فغير حرام إظهاره؛ وإذا كان لها إظهار ذلك، كان معلوما أنه مما استثناه الله تعالى ذكره، بقوله:(إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) لأن كل ذلك ظاهر منها».

---

111) **تفسير القرطبي** (12/ 228)

112) الالْتِفاعُ والتلَفُّعُ: الِالْتِحَافُ بِالثَّوْبِ، وَهُوَ أَن يَشْتَمِلَ بِهِ حَتَّى يُجَلِّلَ جَسَدَهُ. انظر: **"لسان العرب"** (8/ 320).

113) **"عمدة القاري شرح صحيح البخاري"** (5/ 75). تأليف بدر الدين العينى. دار إحياء التراث العربي – بيروت.

9- قال تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [الأحزاب: 59]. يبدو لأول وهلة أن هذه الآية تشرع تغطية الوجه، لكنها ليست دليلا قاطعا على ذلك، إذ من حقنا أن نفهم أنها تأمر بشد الجلباب ليغطي تفاصيل جسد المرأة كالصدر والأرداف والرأس والفخذين، التي لا تستطيع الثياب الضيقة إخفاءها. وليس التفسير الأول بأولى من الثاني. وسنشرح ذلك بالتفصيل فيما بعد. **ولاحظ أن القرآن قال: (يدنين عليهن من جلابيبهن). ولو كان المقصود تغطية الوجه لقال عز وجل: (يدنين على وجوههن من جلابيبهن).** وهذا يجعل هذه الآية متوافقة مع الآيات والأحاديث والمواقف الكثيرة التى تثبت أن النقاب ليس فرضا.

أدلة أقل قوة على إباحة كشف الوجه والكفين

سأورد فيما يلى شواهد غير حاسمة على أن النقاب ليس فرضا. ورغم أن كلا واحدة منها ليست قاطعة فى دلالتها على إباحة كشف الوجه والكفين إلا أن بعضها يقوي بعضا:

1- عَن عَائِشَة أن **أَسمَاء بنت أبي بكر دخلت عَلَى رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهَا ثِيَاب رقاق فَأَعْرض عَنْهَا وَقَالَ يَا أَسمَاء إِن الْمَرْأَة إِذا بلغت الْمَحِيض لم يصلح أَن يرَى مِنْهَا إِلَّا هَذَا وَهَذَا وَأَشَارَ إِلَى وَجهه وكفيه**".

وهذا الحديث ضعيف؛ قال الحافظ بن حجر: [أخرجه أَبُو دَاوُد وَقَالَ إِنَّه مُنْقَطع بَين خَالِد بن دريك وَعَائِشَة وَأخرجه ابْن عدي وَقَالَ رَوَاهُ خَالِد مرّة أُخْرَى فَقَالَ عَن أم سَلمَة وَعَن قَتَادَة مَرْفُوعا إِن الْمَرْأَة إِذا حَاضَت لم يصلح أَن يرَى مِنْهَا إِلَّا وَجههَا ويداها إِلَى الْمفصل وَهَذَا معضل أخرجه أَبُو دَاوُد فِي الْمَرَاسِيل][114]

2- روى مسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: "شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ يَوْمَ الْعِيدِ فَبَدَأَ بِالصَّلَاةِ قَبْلَ الْخُطْبَةِ بِغَيْرِ أَذَانٍ وَلَا إِقَامَةٍ ثُمَّ قَامَ مُتَوَكِّئًا عَلَى بِلَالٍ فَأَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَحَثَّ عَلَى طَاعَتِهِ وَوَعَظَ النَّاسَ وَذَكَّرَهُمْ ثُمَّ مَضَى حَتَّى أَتَى النِّسَاءَ فَوَعَظَهُنَّ وَذَكَّرَهُنَّ فَقَالَ تَصَدَّقْنَ فَإِنَّ أَكْثَرَكُنَّ حَطَبُ جَهَنَّمَ **فَقَامَتْ امْرَأَةٌ مِنْ سِطَةِ النِّسَاءِ** (أى جالسة فى

---

114) **الدراية في تخريج أحاديث الهداية** (1/ 123). تأليف ابن حجر العسقلاني. تحقيق السيد عبد الله هاشم اليماني المدني. دار المعرفة – بيروت.

وسطهن) **سَفْعَاءُ الْخَدَّيْنِ** فَقَالَتْ لِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ لِأَنَّكُنَّ تُكْثِرْنَ الشَّكَاةَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ قَالَ فَجَعَلْنَ يَتَصَدَّقْنَ مِنْ حُلِيِّهِنَّ يُلْقِينَ فِي ثَوْبِ بِلَالٍ مِنْ أَقْرِطَتِهِنَّ وَخَوَاتِمِهِنَّ"

فى هذا الحديث نجد أن الراوى (جابر بن عبد الله) قد علم أن المرأة التى كلمت الرسول كانت سفعاء الخدين. والسُّفْعةُ هى السَّوادُ والشُّحُوبُ، وَقِيلَ: السَّوَادُ مَعَ لَوْنٍ آخَرَ، وَقِيلَ: السَّوَادُ المُشْرَبُ حُمْرة. والمهم أن هذه المرأة لو كانت منتقبة لما علم جابر ذلك. وقد يرد على ذلك بأن هذه الرواية ربما تكون قد حدثت قبل نزول فرض النقاب أو أن هذه المرأة كانت عجوزا، وتعتبر من القواعد من النساء.

3- روى أن رسول الله عليه الصلاة والسلام رأى امرأة فأعجبته، فذهب إلى امرأته، وجامعها حتى يقضى شهوته، وهذا دليل على أن وجه هذه المرأة كان مكشوفا. روى مسلم عَنْ جَابِرٍ أَنَّ **رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى امْرَأَةً**، فَأَتَى امْرَأَتَهُ زَيْنَبَ، وَهِيَ تَمْعَسُ مَنِيئَةً لَهَا، فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبِلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، **فَإِذَا أَبْصَرَ أَحَدُكُمُ امْرَأَةً فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ**» رواه مسلم. و(تمعس منيئة): تمعس يعنى تدلك. والمنيئة: الجلد أول ما يوضع في الدباغ.

وَعَنْ أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جَالِسًا فِي أَصْحَابِهِ فَدَخَلَ، ثُمَّ خَرَجَ وَقَدِ اغْتَسَلَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ كَانَ شَيْءٌ؟ قَالَ: " نَعَمْ **مَرَّتْ بِي فُلَانَةُ فَوَقَعَ فِي قَلْبِي شَهْوَةُ النِّسَاءِ** فَأَتَيْتُ بَعْضَ أَزْوَاجِي فَأَصَبْتُهَا فَكَذَلِكَ وِقَايَةٌ مِنْ أَمَاثِلِ أَعْمَالِكُمْ إِتْيَانُ الْحَلَالِ» ". قال الهيثمى: رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُ أَحْمَدَ ثِقَاتٌ[115].

4- ورد في السنة ما استنتج منه البعض أن لبس المرأة للنقاب كان أمرًا غريبًا يلفت النظر، ويوجب السؤال والاستفهام على عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام، فقد روى أبو داود عن قيس بن شماس، رضي الله عنه، قال: جاءت امرأةٌ إلى النبي -صلَّى الله عليه وسلم- يقال لها: أُم خَلّاد، وهي مُتنَقِّبةٌ، تسألُ عن ابنِها وهو مقتولٌ، فقال لها بعضُ أصحابِ النبيَّ -صلَّى الله عليه وسلم-: جئتِ تسألين عن ابنِك وأنت مُتنقِّبةٌ؟ فقالت: إن أُرْزَإ ابني فلن أُرْزأَ حيائي، فقال رسولُ الله -صلَّى الله عليه وسلم-: "ابنُك له أجرُ شهيدَين" قالت: ولِمَ ذاك يا رسولَ الله؟ قال: "لأنه قتلَه أهلُ الكتابِ"

115) **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** (4/ 292)

ويقول الدكتور يوسف القرضاوى تعليقا على هذه الرواية: "ولو كان النقاب أمرًا معتادًا للنساء في ذلك الوقت ما كان هناك وجه لقول الراوي: أنها جاءت وهي منتقبة، وما كان ثمت معنى لاستغراب الصحابة وقولهم لها: "جئت تسألين عن ابنك وأنت منتقبة؟"ورد المرأة يدل على أن حياءها هو الذي دفعها إلى الانتقاب، وليس أمر الله ورسوله، ولو كان النقاب واجبًا شرعيًا، لأجابت بغير هذا الجواب، بل ما صدر السؤال أصلاً، فالمسلم لا يسأل: لماذا أقام الصلاة، أو آتي الزكاة"[116]. ومن ناحية أخرى استنتج البعض من الحديث فضل النقاب.

لكن هذا الحديث في الحقيقة ضعيف الإسناد كما قال الألبانى[117]، ولا يجوز الاحتجاج به، ففي سنده فرج بن فضالة، وهو ضعيف. وعبد الخبير بن ثابت ابن قيس –كذا جاء في رواية أبي داود، والصواب أنه: ابن قيس بن ثابت بن شماس – قال البخاري: حديثه ليس بالقائم، وقال أبو حاتم: منكر الحديث، حديثه ليس بالقائم، وقال ابن عدي وأبو أحمد الحاكم: ليس بالمعروف[118].

5- روى الترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان**" قال الترمذي: حسن صحيح.

قد يستنتج البعض من مقولة (المرأة عورة) أن جسدها كله عورة، وبالتالى فالنقاب فرض. لكن هذا خطأ. إن قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (المرأة عورة) لا يعنى بالضرورة أنها كلها عورة، ولكنه يعنى أن المرأة فى أغلبها عورة، أوليس النقاب نفسه يصاحبه انكشاف عينى المرأة، ومع ذلك يبيح أنصار النقاب كشف العين؟ إن هذا الحديث يشبه قولنا: (المال نقمة)، فهو لا يعنى أن المال كله نقمة ولكن يقصد أن هذه هى السمة الغالبة عليه ، ومن الممكن أن يكون به جانب من جوانب الخير، كأن يستخدمه المرء للتصدق على الفقراء. ومثال ذلك أيضا قول القرآن {اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ} [الحديد: 20]. فهذا القول لا يعنى أن الدنيا دائما لعب ولهو، لأن كثيرا من الأنبياء والمصلحين قضوا حياتهم كلها جهادا فى سبيل الله، ولكن القرآن يقصد أن السمة الغالبة على الحياة فى معظم الأحوال هى أن

---

116) من فتاوى موقع إسلام أون لاين عن النقاب بتاريخ 23 أكتوبر 2008.
117) ضعيف أبي داود - الأم (2/ 297). تأليف محمد ناصر الدين الألباني. مؤسسة غراس للنشر والتوزيع – الكويت. الطبعة الأولى - 1423 هـ.
118) انظر تعليق شعيب الأرناؤوط ومحمد كامل قرة بللى على **"سنن أبى داود"** (4/ 145).

تكون لعبا ولهوا. وبنفس المنطق نقول أن عبارة (المرأة عورة) تعنى أن المرأة بصورة عامة لا يجوز النظر إليها، وهذا بالطبع صحيح، فهى كلها عورة عدا جزء صغير من جسدها هو الوجه والكفين.

وربما جاز للمرء أن يفهم هذا الحديث بطريقة أخرى، ألا وهى أنه يقرر قاعدة مهمة هى أن من المحرم على الرجل أن ينظر إلى أى جزء من جسد المرأة بشهوة حتى لو كان الوجه والكفين، فصحيح أن زينة الوجه مباحة إلا أنها لا تعطى الرجل الحق فى أن يطيل النظر والتأمل فى وجه المرأة (إلا إذا كان ينوى الزواج منها)، فهذا يخالف الأمر الصريح من القرآن بغض البصر.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

تحية للمنتقبات

لسنا أعداء للنقاب. **حقا إننا نرى أنه ليس فرضا، ومع ذلك فمن ترتديه لا تستحق اللوم، ولا يجوز أبدا أن تكون هدفا للسخرية، فالنقاب هو زى أمهات المؤمنين**، وهذا وحده كفيل بأن ننظر إليه باحترام. إن المرأة التى تريد أن تغطى وجهها تشبها بالسيدة عائشة أو حفصة تستحق منا كل تقدير. وهي بلا شك أفضل من فتاة مولعة بتقليد أزياء الممثلات. **المرأة التى ترتدى النقاب تضحى بأهم شىء تملكه المرأة ألا وهو وجهها**، وتركل بقدمها مقدما كل نظرة إعجاب، وكل كلمة تودد، وكل إحساس داخلى بالتميز، وهذا يدخلها في عداد الزهاد. إنها لا تقل أبدا عن رجل ثرى، قرر أن يتصدق مرة واحدة ب 90% من ثروته. إنها تذكرنى بالدكتور أحمد شفيق الطبيب المصرى الكبير الذي كان يقضى 16 ساعة كل يوم حبيسا فى مكتبه، غارقا فى أبحاثة من أجل المحافظة على مكانته العلمية العالمية، فلم أكن أرى سوى الإعجاب من محاوريه، والانبهار من مشاهديه. ولم يتهمه أحد بالتطرف لكونه يحرم نفسه من متع الحياة. **وإذا كنا نقدر المجتهدين، بل نبالغ فى تقدير المتطرفين فى الاجتهاد، فلماذا لا نعامل من نحسبهم متشددين في الدين بالمثل، وننظر إليهم بشىء من التقدير، حتى لو لم نتفق معهم في الرأي؟**

إن النقاب كان منتشرا على عهد النبى صلى الله عليه وسلم، فلم يذمه، ولم ينه عنه. ومن الروايات التى تخبرنا بذلك ما رواه البخاري أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، قال:«لاَ تَنْتَقِبِ المَرْأَةُ المُحْرِمَةُ، وَلاَ تَلْبَسِ القُفَّازَيْنِ». فالرسول هنا نهى عن لبس النقاب فى الحج فقط، ولم ينه عنه بشكل عام فيما عدا حالة الإحرام، **وهذا النص يثبت أن النقاب مباح.** وهذه نقطة في غاية الأهمية لأن الإعلام يصور النقاب على أنه رذيلة من الرذائل، ورجس من عمل الشيطان.

وربما قال البعض أننا نحارب النقاب لأنه يعبر عن نزعة تشدد، يأباها الإسلام، فقد روى البخارى فى صحيحه عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قال: "جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» متفق عليه، واللفظ للبخارى. ونحن نقول أن قياس النقاب على أفعال هؤلاء الرجال الثلاثة قياس باطل، إذ كيف نقوم بالقياس فى ظل وجود نص من السنة، يُفهم منه أن النقاب مباح (حديث النقاب في الحج)؟ القياس نمارسه فقط حين لا نعثر على نص حول مسألة من المسائل، فنقوم باستنباط حكمها من خلال مسألة أخرى مشابهة، ورد بشأنها نص. كما أن من ترتدي النقاب لا تضر أحدا، أما من يمتنع عن الزواج فهو يحرم المجتمع من النسل، ويحرم امرأة من الزواج. ومن يقوم الليل كله ولا ينام يضر صحته، ولن يتمكن من كسب الرزق في الصباح. ومن يصوم ولا يفطر سيكون عاجزا عن الكسب، ولن يقدر على الجهاد.

ليكن معلوما أن التشدد فى الدين أحيانا محمود، فمثلا كان الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من المؤمنين يقومون ما يقرب من ثلثى الليل ونصفه، مع أن هذا ليس فرضا على كل المسلمين: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ} [المزمل: 20]. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يعيش هو وأهل بيته فى حالة تقشف، لا تتناسب مع وضعه كرئيس دولة. وقد اعتزل نساءه، وكاد يطلقهن بسبب تذمرهن من ضيق العيش. وقد تأسى الخلفاء

الراشدون بسنة الرسول عليه السلام، وكان أشدهم على نفسه سيدنا عمر بن الخطاب الذي كان يعيش كالمساكين، رغم أن جيوشه أتت له بكنوز الروم والفرس. وهكذا فالاجتهاد فى العبادة يستحق الإشادة، لا اللوم، ومن الأدق أن نسميه اجتهادا لا تشددا، ولكن بشرط ألا يجاوز حد الفطرة.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

هل المكياج حلال

منذ سنوات قليلة كان من العار في القرى أن تضع المرأة على وجهها مساحيق التجميل (المكياج). لكن مرت الأيام، وباتت كل الفتيات تقريبا يضعن مساحيق التجميل، ولم يعد أحد يعنيه السؤال: "هل المكياج حلال أم حرام؟" وذلك لأن المرأة ستستمر فى استعماله حتى لو قيل لها أنه حرام، فنحن نعيش فى عصر تحكمه المنفعة، وطالما أن المكياج سيجعل المرأة أكثر جمالا، ويمنحها فرصة أكبر فى العمل، فأهلا به، وليذهب الدين إلى الجحيم. هذا هو عصرنا الساقط. لكن المسلم لا يسير مع التيار، بل يبحث عن الحق، ويصدع به حتى يرفع اللوم عن نفسه أمام الله، وأملا فى أن يهتدي بسببه ولو شخص واحد.

ولن نتكلم هنا عن وضع المرأة للمكياج أمام زوجها، فهو حلال، ولكن الكلام سيدور حول وضع المكياج أمام الغرباء.

وخلاصة رأينا أن المكياج يباح للمرأة التي تريد الزواج، لكنه لا يباح لمن هي متزوجة بالفعل، كما يشترط أن يكون المكياج خفيفا جدا، وأن تكون المرأة غير جميلة لأن الجميلة تحتاج لإخفاء جمالها، وليس إلى إبرازه بالمكياج. ونأتي للتفاصيل:

إننا نقول أن **الإسلام يسمح للمرأة "ببعض" الزينة الظاهرة، وليس "كل" الزينة الظاهرة**. حقا يبدو لأول وهلة أن سورة النور تبيح الزينة الظاهرة بصورة عامة دون تقييد: {وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا} [النور: 31]، إلا أن أحكام القرآن لا تؤخذ من آية واحدة، ولا بد من ربط الآيات ببعضها، **وهناك آية أخرى تقيد الآية السابقة**، ألا وهي: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا

يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [البقرة: 234].

ولكن كيف يكون هذا التقييد؟ نقول أولا أن الآية الأخيرة تعنى أن المرأة التى يتوفى عنها زوجها يفرض عليها الإحداد طيلة أربعة أشهر وعشرة أيام. والْإِحْدَادُ –كما يقول القرطبى– هو تَرْكُ الْمَرْأَةِ الزِّينَةَ كُلَّهَا مِنَ اللِّبَاسِ وَالطِّيبِ وَالْحُلِيِّ وَالْكُحْلِ وَالْخِضَابِ بِالْحِنَّاءِ مَا دَامَتْ فِي عِدَّتِهَا، لِأَنَّ الزِّينَةَ دَاعِيَةٌ إِلَى الْأَزْوَاجِ، فَنُهِيَتْ عَنْ ذَلِكَ قَطْعًا لِلذَّرَائِعِ، وَحِمَايَةً لِحُرُمَاتِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ تُنْتَهَك[119]. وقد بينت السُّنة أن الإحداد يتضمن منع وضع الكحل والطِيب (العطور) وارتداء الثياب المصبوغة (الملونة)، فعَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ: «كُنَّا نُنْهَى أَنْ نُحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلاَثٍ، إِلَّا عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا، وَلاَ نَكْتَحِلَ وَلاَ نَتَطَيَّبَ وَلاَ نَلْبَسَ ثَوْبًا مَصْبُوغًا، إِلَّا ثَوْبَ عَصْبٍ، وَقَدْ رُخِّصَ لَنَا عِنْدَ الطُّهْرِ إِذَا اغْتَسَلَتْ إِحْدَانَا مِنْ مَحِيضِهَا فِي نُبْذَةٍ مِنْ كُسْتِ أَظْفَارٍ، وَكُنَّا نُنْهَى عَنِ اتِّبَاعِ الجَنَائِزِ» متفق عليه

(نُبْذَةٍ) بِضَمِّ النُّونِ، أي قِطْعَةٍ أو شَّيْءٍ يَسِيرٍ[120]. (ثَوْبَ عَصْبٍ): نوع من الثياب المصنوعة في اليمن[121]. (كست): الكُسْتُ: لُغَةٌ فِي القُسْطِ. وهُوَ القُسْطُ الهِنْدِيّ المَعْرُوفُ[122]، وهو عُود يُجاءُ بِهِ مِنَ الهِند يُجْعَلُ فِي البَخُور والدَّواء[123] (أظفار): الأَظْفارُ نوع مِنَ الطِّيب، لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ، وَقِيلَ: وَاحِدَةُ ظُفْر، وَهُوَ شَيْءٌ مِنَ العِطْر أَسود والقطعةُ مِنْهُ شبيهةٌ بظفر الإنسان[124]. وقيل (كست أظفار) صَوَابُهُ (قِسْطُ ظِفَارٍ)، مَنْسُوبٌ إِلَى (ظِفَارٍ)، وهي مَدِينَةٍ مَعْرُوفَةٍ بِسَوَاحِلِ الْيَمَنِ يُجْلَبُ إِلَيْهَا الْقِسْطُ الْهِنْدِيُّ. وفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ: (مِنْ قِسْطٍ أَوْ أَظْفَارٍ). والْقِسْطُ بَخُورٌ مَعْرُوفٌ وَكَذَلِكَ الْأَظْفَارُ.[125]

فإذا انتهت فترة الحداد أبيح للمرأة التزين طلبا للزواج، وهذا مدلول قوله تعالى: **(**فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ**)**. **والشىء الذي تفعله المرأة في نفسها بالمعروف كما في الآية هو التجمل بهدف الزواج**، أو كما في تفسير الجلالين: «التَّزَيُّن وَالتَّعَرُّض لِلْخُطَّابِ»[126]. وقال ابْنِ عَبَّاسٍ: «إِذَا طُلِّقَتِ الْمَرْأَةُ أَوْ مَاتَ عَنْهَا زَوْجُهَا، فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَلَا

---

119) **تفسير القرطبي** (3/ 179)

120) **فتح الباري** لابن حجر (9/ 491)

121) ثَوْبَ عَصْبٍ: هي برود الْيمن بعصب غَزْلُهَا أَيْ يُرْبَطُ ثُمَّ يُصْبَغُ ثُمَّ يُنْسَجُ مَعْصُوبًا فَيَخْرُجُ مُوشًى لِبَقَاءِ مَا عُصِبَ بِهِ أَبْيَضَ لَمْ يَنْصَبِغْ . وقيل الْعَصْبُ هُوَ الْمَفْتُولُ مِنْ بُرُودِ الْيَمَنِ. انظر: **فتح الباري** لابن حجر (9/ 491)

122) **لسان العرب** (2/ 78)

123) **لسان العرب** (7/ 379)

124) **لسان العرب** (4/ 518)

125) **فتح الباري** لابن حجر (1/ 414)

126) **تفسير الجلالين** (ص: 51). تأليف جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين السيوطي. دار الحديث – القاهرة. الطبعة الأولى.

جُنَاحَ عَلَيْهَا أَنْ تَتَزَيَّنَ وَتَتَصَنَّعَ وَتَتَعَرَّضَ لِلتَّزْوِيجِ، فَذَلِكَ المعروف». وروي عَنْ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ نَحْوَه[127].

وفى السنة النبوية دلائل على إباحة الزينة للمرأة بعد انتهاء الحداد، فقد روى الشيخان أن سُبَيْعَةَ بِنْتَ الحَارِثِ كانت تحت سَعْدِ ابْنِ خَوْلَةَ، فَتُوُفِّيَ عَنْهَا فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ وَهِيَ حَامِلٌ، فَلَمْ تَنْشَبْ أَنْ وَضَعَتْ حَمْلَهَا بَعْدَ وَفَاتِهِ، فَلَمَّا تَعَلَّتْ مِنْ نِفَاسِهَا (أى خرجت من نفاسها) ، **تَجَمَّلَتْ لِلْخُطَّابِ،** فَدَخَلَ عَلَيْهَا أَبُو السَّنَابِلِ بْنُ بَعْكَكٍ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، فَقَالَ لَهَا: **مَا لِي أَرَاكِ تَجَمَّلْتِ لِلْخُطَّابِ، تُرَجِّينَ النِّكَاحَ؟** فَإِنَّكِ وَاللَّهِ مَا أَنْتِ بِنَاكِحٍ حَتَّى تَمُرَّ عَلَيْكِ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرٌ، قَالَتْ سُبَيْعَةُ: فَلَمَّا قَالَ لِي ذَلِكَ جَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي حِينَ أَمْسَيْتُ، وَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ «فَأَفْتَانِي بِأَنِّي قَدْ حَلَلْتُ حِينَ وَضَعْتُ حَمْلِي، وَأَمَرَنِي بِالتَّزَوُّجِ إِنْ بَدَا لِي».

ومن الرواية الأخيرة يتضح أن تزين المرأة بهدف الزواج مباح، فهذا ما فعلته سُبَيْعَةَ بِنْتَ الحَارِثِ. ولما رآها أحد الصحابة لم ينكر عليها الزينة بهدف الزواج، بل أغضبه أنها فكرت في الزواج قبل انقضاء عدتها. ولما رفعت المرأة الأمر للرسول عليه السلام لم يقل لها أن تزين المرأة بهدف الزواج حرام، بل بين لها المدة الصحيحة للعدة في حالتها، وأنها تنتهي بالولادة.

ولاحظ جيدا كلمة: (بالمعروف) في قوله تعالى: (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ). **إن المعروف ضد المنكر. والزينة يجب أن تكون بالمعروف لا بالمنكر، أي أن على المرأة أن تكون معتدلة في زينتها، ولا تبالغ فى التجمل بشكل يثير الغرائز كما تفعل البغايا.** إن البغيّ التي تحترف الزنا هي التي تبالغ في استخدام وسائل التجميل لأن جمالها هو بضاعتها التي تتكسب منها. وكلما زادت زينتها زاد إقبال الرجال عليها، وكثرت أرباحها. أما المرأة العفيفة فهي أكرم من ذلك.

إن قوله تعالى: {فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ} يدل على أمرين:

أولا: يباح للمرأة أن تفعل في نفسها شيئا ما، أي تتزين طلبا للخطاب.

ثانيا: هذا الشيء يجب أن يكون بالمعروف، أي تكون الزينة باعتدال.

---

127) تفسير ابن كثير (1/ 483)

وعلى ذلك **فتفسير ابن عباس وغيره للآية ناقص.** لقد قال ابن عباس كما ذكرنا منذ قليل «إِذَا طُلِّقَتِ الْمَرْأَةُ أَوْ مَاتَ عَنْهَا زَوْجُهَا، فَإِذَا انْقَضَّتْ عِدَّتُهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهَا أَنْ تَتَزَيَّنَ وَتَتَصَنَّعَ وَتَتَعَرَّضَ لِلتَّزْوِيجِ، فَذَلِكَ المعروف». وهذا يعنى أن **ابن عباس فهم (المعروف) في هذه الآية على أنه (طلب الزواج) على اعتبار أن الزواج أمر طيب مشروع. ولو صح كلامه لقال القرآن: (فيما فعلن في أنفسهن من معروف) وليس: (فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف).** وعلى ذلك **فالآية لا تفيد إباحة الزينة من أجل الزواج فقط، بل تفيد ما هو أكثر من ذلك، إذ أنها تشترط أن تكون الزينة بالمعروف، أي بلا مبالغة ولا إسراف.**

ولاحظ أن **الآية ختمت بعبارة (والله بما تعملون خبير). وكلمة (خبير) صيغة مبالغة، معناها أن الله تعالى شديد الخبرة، ويعلم الواقع بدقة، فعلى المرأة أن تدرك أن هناك إلها يراقبها وهي تتزين**، ويعلم جيدا ما إذا كانت قد تزينت بالقدر المعقول أم بالغت، وقلدت البغايا. إن المرأة قد تسرف في الزينة، وتؤكد لمن يلومها أن هذا هو القدر المعتدل، مستغلة أن الآية لم تذكر بالضبط مقدار كل وسيلة من وسائل التجميل الواجب استخدامها. ودور كلمة (خبير) أن تجعل المرأة تفهم أن الناس إن صدقوها في زعمها بأنها لم تجاوز حدود المعقول في الزينة، فأنى لها بخداع الله الذي يعرف حقائق النيات؟ **وهكذا فكلمة (خبير) لن يكون لها معنى إلا إذا فهمنا كلمة (بِالْمَعْرُوفِ) على أنها تشير إلى الزينة المعتدلة.** وإن قال قائل أن (كلمة "خبير" تشير إلى خبرة الله التي تجلت في تحديد فترة العدة بأربعة أشهر وعشرة أيام)، قلنا أن هذا خطأ، فلو كان الأمر كذلك لقال: (والله بكل شيء خبير)، لكن بما أن الآية تقول أن خبرة الله منصبة على ما يعمله الناس (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) فمن الواجب علينا أن نفهم أن المقصود تحذير المرأة من توهم أن الله يجهل حقيقة تصرفاتها التي تبدو للناس بريئة.

وقد يقال أن كلمة (بالمعروف) يمكن أن يكون لها معنى مختلف، فهي قد تشير إلى ضرورة تجنب كشف ما لا يجوز من الزينة كالشعر والصدر، وكذلك ارتداء الملابس الشفافة. ونحن نتفق مع هذا الفهم لكلمة (بالمعروف)، لكن من غير الممكن أن نقصر معنى (بالمعروف) على هذا فقط، فالكلمة ذات مدلول واسع، وهو يشمل قطعا المبالغة في الزينة الظاهرة كالمكياج لأنه يؤدي إلى إثارة الغرائز تماما مثل كشف الشعر والصدر.

علينا إذن أن نتمهل قليلا، **<u>فلا نظن أن سورة النور حين أباحت للمرأة إبداء الزينة الظاهرة أمام عامة الناس فقد فتحت لها الباب على مصراعيه لتتبرج كما تشاء، وتضع المكياج بلا قيود.</u>**

إن إباحة الزينة الظاهرة تشبه إباحة أكل اللحوم (وغيرها من الطعام الحلال)، فقد أباح الإسلام أكل اللحم، لكنه نهى عن الإسراف في أكله. وبالمثل أباح الإسلام للمرأة الزينة الظاهرة، لكنه حرم المبالغة فيها من خلال كلمة (بالمعروف). ومن الخطأ أن يتمسك البعض بآية (ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها)، ويزعم أنها تبيح كل أشكال الزينة الظاهرة مهما كانت، وإلا لجاز لنا أن نفهم أن آية (أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ) [المائدة: 4] تبيح أن يسرف المرء في أكل الطيبات، ويملأ منها بطنه، فقد ورد النهي عن هذا في آية أخرى هي: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأعراف: 31]. إن القرآن يفسر بعضه بعضا.

<u>وهناك آية أخرى توجب علينا رفض المبالغة في المكياج، ألا وهو قوله تعالى: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ}</u> [النور: 30]. ولا شك أن المبالغة في الزينة الظاهرة تجعل من الصعب جدا على الرجل أن يغض بصره. وكلما زادت شدة المكياج جذب أنظار عدد أكبر من الرجال نحو المرأة. إن هذا يشبه نهي الإسلام عن الحسد، لكن كيف تطلب من رجل الا يحسد زميله في العمل، بينما هذا الزميل يتباهى بثروته وعائلته كي يغيظه، ويشعره بالدونية؟

وبالنسبة للون الثياب **فالإسلام لم يشترط لها لونا محددا باستثناء فترة الحداد** التى يحرم فيها على المرأة أن ترتدى الثياب المصبوغة أى الملونة، وتقتصر على ارتداء ملابس ذات لون أبيض، ويجوز الأسود طبقا لرأي بعض الفقهاء[128]. ومع ذلك فمن المهم للمرأة المسلمة أن تتذكر دائما أن الزينة يجب ألا تتجاوز حدود المعروف (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ). وهذا يوجب عليها أن تمتنع عن ارتداء الثياب الشديدة الأناقة والثياب ذات الألوان الصارخة التى تأسر أنظار الرجال، وتجعل غض البصر صعبا عليهم. إن الثوب نفسه يجعل الرجل ينظر إلى المرأة. وأحيانا يكون الثوب مغطيا للجسم كله، وواسعا، لكنه شديد الأناقة، وهذا يجعل الرجل يتتبع المرأة ببصره، خلافا للأمر الإلهي بغض البصر كما ورد فى سورة النور.

128) قَالَ بن الْمُنْذِرِ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِلْحَادَّةِ لُبْسُ الثِّيَابِ الْمُعَصْفَرَةِ وَلَا الْمُصْبَغَةِ **إِلَّا مَا صُبِغَ بِسَوَادٍ** فَرَخَّصَ فِيهِ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ لِكَوْنِهِ لَا يُتَّخَذُ لِلزِّينَةِ بَلْ هُوَ مِنْ لِبَاسِ الْحُزْنِ وَكَرِهَ عُرْوَةُ الْعَصْبَ أَيْضًا وَكَرِهَ مَالِكٌ غَلِيظَهُ قَالَ النَّوَوِيُّ الْأَصَحُّ عِنْدَ أَصْحَابِنَا تَحْرِيمُهُ مُطْلَقًا وَهَذَا الْحَدِيثُ حُجَّةٌ لِمَنْ أَجَازَهُ وَقَالَ بن دَقِيقِ الْعِيدِ يُؤْخَذُ مِنْ مَفْهُومِ الْحَدِيثِ **جَوَازُ مَا لَيْسَ بِمَصْبُوغٍ وَهِيَ الثِّيَابُ الْبِيضُ** وَمَنَعَ بَعْضُ الْمَالِكِيَّةِ الْمُرْتَفِعَ مِنْهَا الَّذِي يُتَزَيَّنُ بِهِ وَكَذَلِكَ الْأَسْوَدُ إِذَا كَانَ مِمَّا يُتَزَيَّنُ بِهِ قَالَ النَّوَوِيُّ وَرَخَّصَ أَصْحَابُنَا فِيمَا لَا يُتَزَيَّنُ بِهِ وَلَوْ كَانَ مَصْبُوغًا. انظر: **"فتح الباري"** لابن حجر (9/ 491).

ولهذا اشترط الفقهاء فى زى المرأة ألا يكون زينة فى نفسه. فعلى المرأة أن تتنازل بعض الشىء، وتكتفي بقدر متوسط من الأناقة، ولتحتفظ لزوجها داخل بيتها بما شاءت من فنون الإغراء.

وأحيانا تقول المرأة: "أنا لا أقصد إغراء الرجال بثيابى، ولكننى فعلا أشعر بالبهجة حين أرتدى ثوبا أنيقا، فجمال الثوب نفسه يمتع بصري". ونحن نقول: **إن كان استمتاعك بأناقة الثياب سيترتب عليه غواية الرجال، فعليك أن تتخلي عن الأناقة**. وهناك طرق أخرى كثيرة يمكنك من خلالها أن تشبعي حاستك الفنية دون أن تزيغي قلوب الرجال. أبسط شيء أن ترتدي ما شئت من الثياب الجميلة داخل البيت من أجل زوجكِ. والإنترنت مليء بالصور الجميلة التي تمتع البصر.

ومن النقاط المهمة **أن كثافة المكياج يجب أن تختلف من عصر لعصر**. لقد نزل القرآن فى عصر لم تكن وسائل التجميل فيه بنفس التطور والإبداع الذى نشهده اليوم. لقد كانت أدوات التجميل وقت نزول القرآن بدائية كالكحل والخضاب. وكانت صناعة الملابس في مهدها. كما كانت طرزها محدودة، ووسائل صباغتها بدائية، وألوانها قليلة. أما اليوم فنحن نشهد ثورة في وسائل التجميل وعالم الأزياء، وأصبح من السهل على امرأة في الستين أن تبدو كشابة في الثلاثين. وهذا يوجب القول بأن "**التجميل المعتدل**" **بمقاييس عصرنا هو** "**تجميل مبالغ فيه**" **بالنسبة إلى عهد الرسول** صلى الله عليه وسلم.

إن الآية التى سمحت للمرأة بقدر متوسط من التجميل (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ) **نزلت فى عصر كانت وسائل التجميل فيه بدائية، وكان القدر المعقول من التجميل (التجميل بالمعروف) حينئذ يعادل التجميل الخفيف جدا بمعايير عصرنا الحاضر**. ولهذا فعلى المرأة المعاصرة إن كانت تبغى التجميل بالمعروف كما أمر القرآن، فلا مفر من أن تستخدم أقل القليل من وسائل التجميل المتطورة. **هذا شيء يحتمه علينا فهم روح النَّص**، ولا أظن أن من يُسمون بالمستنيرين يمكن أن يعترضوا عليه.

ولنعلم جيدا أنه ليس كل "**متوسط**" **بالضرورة** "**حلال**"، فمثلا بعض الناس لا يشرب الخمر مطلقا، وبعضهم لا يفيق منها أبدا، وبعضهم وسط بين الاثنين حيث أنه يشرب كأس أو اثنين

فقط كل يوم، ولكن هذا الإنسان الوسطى مخطيء من وجهة نظر الإسلام لأن ما أسكر كثيره، فقليله حرام. وبالمثل التجميل المتوسط في عصرنا ليس بالضرورة من قبيل المعروف.

إن من الخطأ قياس وسائل التجميل المتاحة هذه الأيام على وسائل التجميل التى كانت تستعمل وقت نزول القرآن، فرغم اشتراك الاثنين فى أنهما يجملان صورة المرأة إلا أن الفرق الكمى بينهما هائل، وقياس هذا على ذلك يشبه من يزعم أنه لا فرق بين القنبلة اليدوية والقنبلة النووية لأن كلا منهما "قنبلة". وبناء على هذا نؤكد أن **مساحيق الوجه فى عصرنا يستحيل أن تتساوى مع وسائل الزينة البدائية أيام الرسول، وبالتالى لا يمكن أن تأخذ نفس حكم الإباحة الذى أخذته.**

لقد **نهى الإسلام عن الإسراف فى مجالات الحياة المختلفة**، فقال تعالى: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا} [الإسراء: 29]. وقال كذلك: {يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأعراف: 31]. ولابد أن نتوقف أمام الآية الأخيرة ونتأمل كيف **نهى القرآن عن الإسراف فى الطعام والشراب، اللذين لا تقوم للحياة بدونهما قائمة، فما بالنا بالزينة التى هى من قبيل الكماليات التى يمكن الاستغناء عنها؟ أوليست الزينة بأجدر ألا تسرف المرأة فيها؟**

إذن الرغبة في الزواج تبيح للمسلمة أن تبدي زينتها الظاهرة خارج بيتها باستخدام مكياج خفيف. **فكما يباح للرجل أن ينظر للمرأة قبل أن يتزوجها، فكذلك يباح للمرأة أن تتزين إن أرادت الزواج. وكلتا الحالتين استثناء للقاعدة**، فالقاعدة هي ألا ينظر الرجل إلى المرأة، وألا تتزين المرأة للرجال الغرباء، لكن إن رغب أي منهما في الزواج أبيح له ما لا يباح في الأحوال المعتادة. **وفي هذا العصر لم تعد المرأة تضع المكياج بهدف الزواج، بل تستمر عليه حتى بعد الزواج. وكارثة الكوارث أن يقع بصرك على امرأة تسير في الشارع بجوار زوجها، وهى ترتدى ملابس، تبرز كل مفاتنها، فتتساءل: ماذا تبغي هذه السيدة بعد أن تزوجت؟**

ولقد ساءتني فتوى أحد العلماء بجواز أن تضع المرأة المكياج في حفل زفافها، باعتبار أن هذا من قبيل الاعتدال. قلت في نفسي: ماذا تريد هذه العروس من المكياج؟ هل تريد أن يراها الرجال الحاضرون، ويقضون الليلة في مدح جمالها؟ إن المكياج يجوز لها فقط إن كانت ستضعه

لزوجها، ولا يراه أحد غيره، لكن هذه العروس المستهترة (كبقية بنات جيلها) لا يعنيها هذا الزوج المسكين، فطموحاتها أكبر من ذلك؛ إنها تريد أن تتحاكى الجماهير بأسطورة جمالها، وتلتقط أكبر عدد من الصورة المثيرة، وتضعها على صفحتها على الفيسبوك حتى يراها كل غاد ورائح. أفيرضى الله عن هذا؟ **إن مكياج يوم الزفاف** مسألة حياة أو موت بالنسبة بالبنات. ولكن نحن نقول أنه في يوم الزفاف تكون الفتاة قد صارت متزوجة بالفعل، ولذا فلا يجوز لأحد أن يراها بالمكياج إلا زوجها. كما نؤكد أن جلوس العروسين معا في حفل الزفاف أمام جمهور مختلط حرام حتى بدون مكياج، لأن الرجال سيظلون يحدقون في الزوجة طوال الحفل، وهذا ضد أمر الإسلام بغض البصر. حقا كشف المرأة لوجهها بدون مكياج مباح، لكن إطالة نظر الرجال إلى وجهها حرام. وعلى ذلك فالعرس الإسلامي حقا تجلس فيه العروس مع النساء في مكان منفصل عن مكان جلوس زوجها مع الرجال.

ويبدو لنا أن **أحد الأسباب التى دعت الإسلام إلى إباحة الزينة الظاهرة للمرأة هو محاربة القبح،** فلا شك أن مما يثير الاشمئزاز فى نفوس الناس أن يروا امرأة قبيحة أو خشنة كالرجال، كما أن كل إنسان يكره أن يبدو قبيحا. والإسلام يحث بنى آدم على اتخاذ الزينة، قال تعالى: {يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} [الأعراف: 31]، وقال تعالى: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ} [الأعراف: 32]، وقال: {وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً} [النحل: 8]. ويحضرنى فى هذا الصدد حديث ضعيف، انتقد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم قبح بعض النساء، فقد روى النسائى عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: مَدَّتْ امْرَأَةٌ مِنْ وَرَاءِ السِّتْرِ بِيَدِهَا كِتَابًا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَبَضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ، وَقَالَ: " مَا أَدْرِي أَيَدُ رَجُلٍ أَوْ يَدُ امْرَأَةٍ؟ " فَقَالَتْ: بَلْ امْرَأَةٌ، فَقَالَ: " لَوْ كُنْتِ امْرَأَةً غَيَّرْتِ أَظْفَارَكِ بِالْحِنَّاءِ"[129]. وعن عائشة: أن هنداً بنتَ عُتْبَةَ قالت: يا نبيَّ اللهِ بايِعْني، قال: "لا أُبايعُكِ حتى تُغيِّري كفَّيْكِ فكأنَّهما كفَّا سَبُعٍ"[130]. وبرغم ما فى سند هذه الروايات من ضعف، وبرغم أن من الصعب تصديق أن الرسول عليه السلام كلم مسلمات جدد بهذه الطريقة الجافة غير المعهودة عنه، إلا أن الفكرة التى تعبر عنها هذه الأحاديث سليمة، ألا وهي أن من غير المقبول أن تترك المرأة المسلمة نفسها

129) أخرجه أحمد، إسناده ضعيف لضعف مطيع بن ميمون العنبري، وصفية بنت عصمة انفرد بالرواية عنها مطيع بن ميمون، وجهلها الحافظان الذهبي وابن حجر. وروي الحديث من طرق أخرى ضعيفة أيضا. انظر: تعليق محققى **"مسند أحمد"** (43/ 300).

130) إسناده ضعيف لجهالة غِبطة وعمتها وجدتها. وأخرجه أبو يعلى، والبيهقي، وابن عساكر في "تاريخ دمشق"، والمزي في "تهذيب الكمال" في ترجمة غبطة بنت عمرو من طريق غبطة بنت عمرو، بهذا الإسناد. انظر تعليق محققى كتاب **"سنن أبي داود"** (6/ 242)

للقبح والدمامة أو تكون خشنة كالرجال، فتمايز الجنسين شيء مهم. ولعلكم تذكرون حديث الرسول عليه الصلاة والسلام الذي حرم فيه تشبه الجنسين ببعضهما، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُتَشَبِّهَاتِ بِالرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ وَالمُتَشَبِّهِينَ بِالنِّسَاءِ مِنَ الرِّجَالِ. رواه الترمذى، وقال حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

ولكن **إذا كانت الزينة مهمة للمرأة القبيحة أو المرأة ذات الجمال المتوسط، فما الداعى لتسابق النساء الجميلات من الأصل على التجميل؟ وما الداعي لوضع المراهقات للمكياج على وجوههن، التي لا تزال ناضرة، ولم تزحف عليها التجاعيد بعد؟** إن من الملاحظ أن أكثر النساء مبالغة في التبرج هن الجميلات بالفعل، وهذا شيء محير. لقد رأى بعض العلماء أن على المرأة الجميلة أن ترتدى النقاب حتى لا تفتن الناس بجمالها، ولكن نحن اليوم نفعل العكس تماما.

ومن هذه الفكرة نصل إلى فكرة أخرى: إنه إذا كان "**المعروف**" **في المكياج يختلف من عصر لعصر، فالمعروف يختلف أيضا حسب درجة جمال المرأة،** فالمرأة القبيحة تحتاج لمكياج كثيف كي يخفي قبحها، ولن تؤدي كثافته إلى إثارة الشهوة عند الرجال، أما المرأة الجميلة فلا تحتاج لأي مكياج. وقد يشعر البعض بعدم الارتياح من ترك القرآن لكلمة (بالمعروف) بدون تحديد، ولكن هذا شأن القرآن في كثير من الأمور، التي يصعب تحديدها، لأنها تتغير من عصر لعصر. ومن الأشياء الأخرى التى تركتها الشريعة دون تحديد متاع المطلقة، لأن هذا يختلف من حالة لحالة حسب غنى كل زوج: {وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ} [البقرة: 241].

نلخص رأينا حول المكياج في النقاط التالية:

1. **المكياج يباح فقط للمرأة إن أرادت الزواج،** أما المرأة المتزوجة بالفعل فزينتها في بيتها لزوجها فقط.
2. **المكياج المباح هو المكياج بالمعروف،** أي المكياج المعتدل، بلا مبالغة.
3. **المكياج (بالمعروف) يختلف من عصر لعصر.** وما أبيح للمرأة أمام الغرباء وقت نزول القرآن هو المكياج المعتدل فقط، لكن المكياج المعتدل في عصرنا يناظر المكياج المبالغ فيه في عهد نزول القرآن، ولهذا فالمكياج المباح في عصرنا يجب أن يكون خفيفا.

4. **المكياج (بالمعروف) يختلف حسب درجة الجمال**، فالمرأة القبيحة تحتاج لمكياج كثيف كي تخفي قبحها، أما المرأة الجميلة فيجب أن تبتعد عن المكياج.

نسأل الله السداد.

غطاء الرأس أم الحجاب؟

سيطرت النزعة الشكلية على كثير من النساء، حتى **صارت الواحدة منهن تظن أنها إذا وضعت غطاء للرأس، فقد حازت على لقب محجبة، وأنقذت نفسها من جهنم**. وقد نشأ عن هذه النزعة الشكلية مهازل، فمن الشائع اليوم أن ترتدى المرأة غطاءا قصيرا للرأس، يظهر جزءا من شعرها. وهناك من تغطي شعرها، وتكشف عنقها. وهناك من تغطي شعرها، وثوبها ضيق، يكشف تفاصيل جسدها بكل دقة، وكأنها تجردت من الثياب. وهناك من تغطى رأسها، وثوبها قصير، يكشف ساقيها. وهناك من تغطى رأسها، وترتدى ثيابا شديدة الأناقة ذات ألوان صاخبة، تلفت أنظار كل من يراها. وهناك من تغطى رأسها، وعلى وجهها كميات هائلة من المساحيق. وبهذا تتحايل المرأة على الله، فتأخذ باليسار ما أعطت باليمين.

يجب أن نقول بأعلى صوتنا أن **هناك شيئا اسمه** " "**الحجاب**" **وشيئا آخر اسمه** " **غطاء الرأس**". والمرأة التي تغطى شعرها، وتبرز غير ذلك من مفاتنها لا تستحق لقب محجبة لأن المحجبة هى من تحْجُب مفاتنها عن أنظار الرجال. إن "**غطاء الرأس**" **مجرد جزء من منظومة أكبر اسمها** "**الحجاب**".

ونحن لا نوجه هذا الكلام للفتيات الصغار فقط، بل نخاطب رجال الدين أيضا، فمنذ حوالي عشرين عاما ظهر عمرو خالد، فأسر قلوب ملايين الرجال والنساء من كل الأعمار، وكنت من أشد المتحمسين له، لكن كان هناك شيئ واحد لا أرتاح له. لقد كان عمرو خالد يستضيف في برامجه نساء جميلات، أغلبهن يضعن غطاء للرأس، لكنهن في المحصلة أقرب للتبرج. وقد جن جنوني حين استضاف يوما فى أحد برامجه امرأة شابة، أخذت تحكى بكل حماس كيف هداها الله تعالى لأن ترتدى الحجاب، وكان من الواضح أنها تتكلم بصدق وإخلاص عن تجربة إيمانية حقيقية، لكن كان الغريب أنها ترتدى ملابس شديدة الأناقة من بينها البنطلون، وكانت هذه

الملابس ضيقة، ولا توارى تفاصيل جسدها بدرجة كافية، كما كان غطاء الرأس قصيرا جدا بما لا يكفي لإخفاء معالم الصدر. لقد غطت رأسها لكنها لم تحجب.

ولم يكن هذا شأن عمرو خالد وحده، بل شأن جيله من الدعاة الذين سماهم الإعلام "الدعاة الجدد". وكان هناك رأى يقول أن هؤلاء الدعاة أذكياء لأنهم يأخذون بأيدى فتيات الطبقة الراقية خطوة خطوة نحو الدين. لم يستوعب عقلى هذه الحجة قط، وكنت أرى أن كل المؤشرات تؤكد أن هؤلاء الدعاة لا يعتزمون التقدم أكثر من ذلك، وهم راضون تماما عن مظاهر التدين القليلة التي رأوها من هؤلاء النساء. ومما أكد لى أن هناك خللا كبيرا في منهج هؤلاء الدعاة أن الكاميرا في برامجهم كان تسلط دائما على النساء الجميلات، وكأن المخرج يقول للمشاهدين: "لقد أمركم الله بغض البصر، وأنا أقول لكم: متعوا أبصاركم". وبالفعل مرت السنوات، وانكشفت حقيقة هؤلاء الدعاة الذين لم يكونوا أكثر من عملاء جندتهم (أو في أحسن الأحوال رضيَت عنهم) جهات داخلية أو خارجية لتنفيذ مخطط عالمي، يرمى إلى تغيير معالم الدين الإسلامي التقليدية، وإنشاء دين جديد يتقبل الانحلال، ويتسامح مع طريقة الحياة الغربية. وبمرو الوقت ظهر جيل ثان من الدعاة الجدد الذين ارتموا بشكل كامل في أحضان الضلال. كما واصل دعاة الجيل الأول التطور، والتحول بثبات نحو العلمانية، ووصل الأمر ببعضهم إلى التعاطف مع الشواذ والملحدين.

لا بأس، بعض الدعاة مجرد عملاء انكشف من صَنَعهم وأوصلهم إلى عالم الشهرة، **لكن ماذا عن التيار الإسلامي العريض؟ مع الأسف تخلى نساؤهم أيضا بالتدريج عن الخمار الطويل، وحل محله غطاء قصير للرأس، وملابس ضيقة، كما استبحن وضع المكياج، واكتسبن الجرأة، وذهب عنهن الحياء**، وأصبحت الواحدة منهن تجيد الكلام في أي شيء إلا فيما يتعلق بالإسلام.

لقد وعى علماء السلف هذا الفرق الجوهرى بين الحجاب وغطاء الرأس، فوضعوا شروطا لثوب المرأة الشرعى نوجزها فيما يلي:

1. أن يغطي ما أمر الله تعالى بتغطيته من جسد المرأة، فلا يكشف مثلا الصدر أو الساق.
2. أن يكون الثوب فضفاضا، لا يصف تفاصيل جسد المرأة.

3. أن يكون الثوب غير شفاف، وهذا شيء لا يحتاج إلى إيضاح. وقد ساءني بشدة أن أرى على إحدى الفضائيات المشهورة زوجة مفكر إسلامي راحل ذائع الصيت، وهي ترتدي ملابس شفافة تكشف عن ذراعها كله ، وتساءلت في دهشة: أتظن تلك السيدة أن الرجال قد عميت أبصارهم، أو أن الله تعالى لن يستطيع التفريق بين الثوب الشفاف والثوب المعتم؟

4. أن يكون الثوب غير لافت للنظر، أو كما قال العلماء: ألا يكون الثوب زينة في نفسه. ومن يتجول في شوارعنا اليوم يجد عروض أزياء، إي وربي عروض أزياء من مختلف الأشكال والأنواع، وكلها تلفت الانتباه بألوانها الجذابة وطرزها البديعة، فلا يملك الشاب أن يدير بصره. وإذا كان المقصود من الثوب هو حجب بصر الرجال عن أجساد النساء، فمن العبث أن نحاول تغطية الجسد بثوب يجذب البصر. يجب أن تكون ثياب النساء هادئة الألوان دون تكلف ودون إبداع كبير، فالجمال الزائد يصبح في هذه الحالة رذيلة.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

الجلابيب..أين هي؟

سنتكلم الآن عن آية عطلها المسلمون في هذا العصر: قال تعالى:{يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [الأحزاب: 59]

ونسأل أولا: ما الجلابيب؟

الجلابيب جمع (جلباب). وفي معجم "الصحاح": **الجلباب هو الملحفة**[131]. **والمِلْحَفَة كما في "لسان العرب" هي اللِّبَاس الَّذِي فَوْقَ سَائِرِ اللِّبَاسِ**[132]. وقال أبو الحسن عن **الجلباب: هو الثوب الذي تغطي به ما عليك من الثياب، نحو الملحفة.**[133] وَقَالَ الخفاجِيُّ عن **الجلباب: قيل هُوَ فِي الأَصْلِ المِلْحَفَةُ ثمَّ اسْتُعِير لِغَيْرِهَا منَ الثِّيَابِ.**[134] والرأي الأخير هو الراجح، وهو يفسر لنا وجود عدة تعريفات للجلباب في "لسان العرب"[135]:

- الجلباب هُوَ مَا تُغَطِّي بِهِ المرأَةُ الثيابَ مِنْ فَوقُ كالمِلْحَفةِ.
- الجلباب هو إِزَار يُشْتَمَلُ بِهِ، فيُجَلِّلُ (يغطي) جميعَ الجَسَدِ.
- جِلْبابُ المرأَةِ هو مُلاءَتُها الَّتِي تَشْتَمِلُ بِهَا.
- الجلباب ثَوْبٌ واسِع، دُونَ المِلْحَفةِ، تَلْبَسه المرأَةُ.
- الجِلْبابُ هو الرِّداءُ.
- الجِلْبابُ: ثَوْبٌ أَوسَعُ مِنَ الخِمار، دُونَ الرِّداءِ، تُغَطِّي بِهِ المرأَةُ رأْسَها وصَدْرَها.
- الجلباب كالمِقْنَعةِ تُغَطِّي بِهِ المرأَةُ رأْسَها وَظَهْرَهَا وصَدْرَها.
- الجِلْبابُ هو الخِمارُ[136].

---

131) **الصحاح** (1/ 101)
132) **لسان العرب** (9/ 314)
133) **كتاب الألفاظ** (ص: 493). تأليف ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق. تحقيق د. فخر الدين قباوة. مكتبة لبنان ناشرون. الطبعة الأولى، 1998م.
134) معجم "تاج العروس من جواهر القاموس" (2/ 175). تأليف محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي.تحقيق مجموعة من المحققين. الناشر دار الهداية.
135) **لسان العرب** (1/ 273)
136) نحن نرفض ذلك الرأي القائل بأن الجلباب هو الخمار، أولا لأنه رأي أقل شيوعا، وثانيا لأن القرآن عودنا على أنه لا يحتوي على مترادفات. وما نظنه ألفاظا متساوية سنجد بينها فروقا طفيفة إن بحثنا وراءها. ولو كان الجلباب هو الخمار لاستعمل القرآن كلمة واحدة منهما في الآيتين كي يدل على أنه يقصد نفس الشيء.

وعلى ذلك يمكننا أن نقول أن الجلباب يتميز بعدة صفات: أولا أنه ليس الثوب الأساسى الذى ترتديه المرأة، ولكنه يوضع فوق الثياب الأساسية الملاصقة للجسم بما فيها الخمار. ثانيا أنه ثوب واسع، فلو كان ضيقا لما تمكنت المرأة من ارتدائه فوق الملابس الأخرى. **الجلباب أقرب ما يكون إلى "الملاية اللف"، التى كانت ترتديها النساء فى مصر فوق ثيابهن حتى سنوات ليست بالبعيدة، ولا زلنا نراها فى الأفلام السينمائية القديمة، حيث تستخدمها المرأة أثناء خروجها من البيت لتغطي بها الصدر والظهر والبطن والجزء العلوى من الساق، وقد ترفعها لتغطى بها رأسها فوق غطاء الرأس الأساسى (الإيشارب).**

وعلى هذا فالمرأة المسلمة لديها طبقتان من الثياب: طبقة داخلية فوق الجسد، وطبقة أخرى خارجية، هي الجلباب الواسع الفضفاض الذي يخفى معالم الجسد، وتفاصيل القوام، التي أخفقت الطبقة الأولى في إخفائها. والجلباب في غاية الأهمية لأن **المرأة في كثير من الأحيان تشترى ثوبا واسعا، ولكن بعد عدة أشهر يزيد وزنها، فيضيق الثوب عليها، فتظهر تفاصيل جسدها للناس**، وقد يظنون بها الظنون، ويحسبون أنها تتعمد إغراء الرجال بهذه الملابس، مع أن كل ما في الأمر أنها فقيرة، ولا يمكن أن تغير ملابسها كلما تغير وزنها. وهنا يلعب الجلباب الواسع دورا مهما، فجلباب واحد يستطيع أن يخفى تفاصيل جسم المرأة حتى لو تغير وزنها.

ولكن ألن تشعر المرأة بالحرج من الخروج بجلباب واحد فقط؟

الجلباب بالنسبة للمرأة يشبه العباءة التي كانت شائعة بين الرجال في القرى في عهد غير بعيد، ولا تزال حاضرة حتى الآن. وأغلب الرجال يمتلكون عباءة واحدة أو اثنتين فقط حتى لو كانوا أغنياء على اعتبار أن العباءة مجرد ثوب خارجي، لا يتأثر كثيرا باتساخ الجسم وما عليه من عرق. ولا أحد يغمز رجلا لأنه لا يغير عباءته كل يوم، وذلك لأن المفترض أن يكون تحت العباءة ثوب أساسي، هو الذي يتغير من يوم لآخر. وبالمثل لن تخجل المرأة الفقيرة إن خرجت كل يوم بنفس الجلباب أمام الناس لأن طرز الجلابيب لا تختلف تقريبا بين امرأة وأخرى. وبهذا ستتمكن المرأة من إخفاء تفاصيل جسدها إن زاد وزنها دون أن تشترى ثوبا جديدا. كما أن ارتداء النساء كلهن لثوب خارجي متشابه سينهي التنافس العنيف بينهن على الظهور أمام الرجال بثياب جذابة لافتة للنظر. والجلباب بهذا يضرب عصفورين بحجر واحد، فهو يقدم حلا دينيا واقتصاديا

رائعا. وأذكر الآن أن النساء في دول الخليج يرتدين جميعا العباءة السوداء الواسعة، التي يصعب على الناس أن يلاحظوا فروقا بين طرزها، وهذه نفس فكرة الجلباب.

حسنا. فما معنى أمر القرآن للنساء بأن يدنين عليهن من جلابيبهن؟

كلمة (يُدنين) تعني (يُقَربن)، وقوله تعالى: (يدنين عليهن من جلابيبهن) معناه: (يُقَربن عليهن من جلابيبهن). فكيف تقرب المرأة الثوب على نفسها رغم أنه بالفعل على جسدها؟

إن الضمير (هن) –الذى يعود على النساء– في كلمة (عليهن) يمثل "مجازا مرسلا"، علاقته "الكلية"، أى أن **كلمة (عليهن) تشير حرفيا إلى جسد المرأة كله، لكن المقصود في الحقيقة أجزاء جسدها غير المغطاة بالجلباب.**

إذن إدناء الجلباب على المرأة يعنى أن تقربه المرأة من أجزاء جسدها غير المغطاة بهذا الجلباب خاصة الصدر والأرداف والخصر وغير ذلك، فقد تلف المرأة الجلباب حول حول خَصْرها دون اكتراث، ظنا منها أنها طالما ارتدت تحته ثوبا، يغطى جسدها كله فلا إثم عليها. وقد رأينا هذا كثيرا فى الأفلام المصرية القديمة حيث كانت النساء الجميلات – ومنهن العاهرات– فى المجتمع المحافظ يتعمدن لبس "الملاية اللف" بصورة لا تزيدهن إلا إغراء وفتنة. إن **الثياب الضيقة تَظهر تفاصيل جسد المرأة ومعالمه**. واليوم لما تخلت كثير من النساء عن ارتداء الملابس الفضفاضة أصبح المرء يشعر بالعار وهو يرى بنات المسلمين، وكأنهن يعرضن أجسادهن للبيع في واجهات المحلات، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

الجلباب إذن سيغطى الرأس والرقبة (وسيكون فوق الخمار) والصدر والخَصر والأرداف والفخذين. **وقوله تعالى: (يدنين عليهن من جلابيبهن) يعنى أن على المرأة أن تجذب الجلباب الواسع إلى أعلى لتغطى به رأسها وخمارها، وتجذب الجلباب إلى الأمام ليغطى صدرها حتى لا تبدو تفاصيله من خلال الثياب، وتجذب الجلباب إلى أسفل ليغطى أردافها**. ويمكن أن يتخذ الجلباب شكل "الإسدال" المنتشر حاليا، فهو واسع جدا، ويخفي تفاصيل الجسم بشكل جيد.

وهكذا نجد أن آية {يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ} [الأحزاب: 59] تتحدث عن شيء آخر غير ما كانت تتحدث عنه آية {وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ} [النور: 31]، وذلك لأن **الجلباب**

له دور يزيد على دور الخمار. لقد جاء الإسلام فوجد النساء يضعن الخمار على رءوسهن لكنهن يسدلنه إلى الوراء على ظهورهن، بحيث تنكشف الرقبة والجزء العلوي من الصدر مكان الجيب (فتحة الثوب العلوية)، **فجاءت آية (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) لتجعل المرأة تستر الصدر والعنق، وكانت هذه هى الخطوة الأولى. وبعد ذلك جاءت الخطوة الثانية التى تجعل المرأة تخفى معالم جسدها بصورة شبه تامة من خلال الجلباب الواسع (يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ)**. إن الخمار لا يغني عن الجلباب، والجلباب لا يغني عن الخمار.

ويبدو من لفظ الآية أن الجلباب ليس اختراعا إسلاميا، ولكنه كان معروفا في الجاهلية، ودور الإسلام أنه أعاد للجلباب دوره المفقود، ورد إليه وظيفة الستر وإخفاء المفاتن التي صنع من أجلها، فالحاكم الصالح لا يشترط أن يسن قانونا جديدا عادلا، ويكفيه فخرا في بعض الأحيان أن يطبق قانونا قديما عادلا، كان مهملا، ولم يكن أحد يطبقه.

وشد الجلباب ليغطى الخمار يمنع تحايل بعض النساء، التي تقوم الواحدة منهن بوضع غطاء على الرأس، لكنها تجمع شعرها بطريقة معينة كي يبدو كثيفا، وأكثر إغراء دون إظهار الشعر نفسه، ولعل هذا ما أشار إليه حديث (رءوسهن كأسنمة البخت) الذي يحذر المرأة التي تجمع شعرها بحيث يبدو مرتفعا كسنام الجمل بهدف إغراء الرجال.

وهكذا نجد أن ستر الوجه ليس هو الدور الوحيد الذي يمكن أن يقوم به الجلباب كما يتصور الكثيرون، فإخفاء تفاصيل الجسد أمر في غاية الخطورة. ومن المعروف أن كثيرا من الرجال يتتبعون تفاصيل جسد المرأة أكثر من تتبعهم لوجهها. **وعلى ذلك فنحن لسنا ملزمين بتفسير قوله تعالى: (يدنين عليهن من جلابيبهن) على أنه يفرض تغطية الوجه**، ومن حقنا أن نفهمه على أن أمر بإخفاء تفاصيل الجسد.

إن آية {يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ} ليست دليلا قاطعا على وجوب فرض النقاب. ومن المهم أن نلاحظ أن القرآن قال: **(يدنين عليهن من جلابيبهن)**. ولو كان المقصود تغطية الوجه لقال: **(يدنين على وجوههن من جلابيبهن)**. وهذا يجعل هذه الآية متوافقة مع الآيات والأحاديث والمواقف الكثيرة التى تثبت أن النقاب ليس فرضا.

وإن فهمناها آية {يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ} على أنها تأمر بارتداء الملابس الواسعة التي تخفى تفاصيل الجسد لحل هذا لنا مشكلة كبيرة لأن أغلب النساء اليوم يغطين رءوسهن بالحجاب، لكنهن يرتدين ملابس ضيقة، تبرز معالم أجسادهن، وكأنها عارية تماما، وتظن الواحدة منهن أنها أرضت ربها بتغطية شعرها، بل وصل الأمر إلى أن **أصبحنا نشاهد بعض المنتقبات يرتدين ملابس ضيقة بشكل متعمد**. ولا حل لهذه الكارثة إلا بفهم آية {يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ} على أنها تأمر بارتداء ملابس واسعة.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

هل الحجاب ظلم للمرأة؟

لم يُفرض الحجاب بهدف معاقبة المرأة أو التضييق عليها أو اضطهادها، ولكنه فرض بغرض حماية أخلاق المجتمع، ومنع الزنا.

إن من الطبيعى جدا أن يفرض المجتمع قيودا على ثياب بعض الناس فى سبيل مصلحة المجموع، فمثلا من المحتم على **كل من يدخلون غرفة العمليات الجراحية أن يرتدوا زيا موحدا**، وأن يغطى كل منهم وجهه بكمام، ويغطى قدمه بحذاء من البلاستيك، ويضع على رأسه غطاءا ورقيا خفيفا، وكل ذلك بهدف منع انتشار الجراثيم داخل غرفة العمليات. ولم يحدث يوما أن رأينا طبيبة جميلة تتهم إدارة المستشفى بالتشدد لأنها لا تسمح لها بدخول غرفة العمليات بفستان سهرة أو ملابس رياضية؟

إذن **من المنطقى أن نحرم بعض الناس من بعض الحقوق إذا كان فى هذا الحرمان مصلحة للمجموع**، وهذه بالضبط نفس فكرة الحجاب أو الزي الإسلامي عموما، فقد قضى الله تعالى بحرمان النساء من إظهار مفاتنهن حتى لا تضار أخلاق المجتمع.

وسنجد بالمثل أن **رجال المرور ورجال الشرطة والمجندين والمهندسين وعمال النظافة يُحرمون من ارتداء ملابسهم الأنيقة فى ساعات العمل.**

ولا ينتبه أحد إلى أن **الملوك ورؤساء الدول هم أكثر الناس الذين تخنقهم قيود الثياب**، فرئيس الجمهورية مثلا لا يمكنه أن يظهر فى وسائل الإعلام وهو يرتدى قميصا شبابيا أو ملابس رياضية. وإن وصلت المرأة في بلاد الغرب إلى مناصب عليا فإنها ترضخ دون تردد للقيود على الثياب، وتضحي بملاحقة الجديد في الموضة. ولم نقرأ أبدا مقالا لناشطة نسوية تطالب الشعب الألماني بأن يرفع القيود الدبلوماسية من على المستشارة أنجيلا ميركل حتى تتمكن من ارتداء زي البحر (المايوه) أثناء المؤتمرات الصحفية.

وأذكر أن الممثل حسين فهمي لما تولى رئاسة مهرجان القاهرة السينيمائى (من عام 1998 م حتى عام 2001م) أثار ضجة بتصميمه على دخول الرجال حفلات المهرجان بالبدلة

السموكن[137]. ووقتها قال على ما أذكر أنه فعل ذلك أسوة بالمهرجانات الدولية الكبرى، فلم يتهمه أحد بالرجعية والتخلف، بل بالعكس أشاد به عامة النقاد، واعتبروا قراره حضاريا. كما لم يخطر ببال أحد أن يتهمه بالتفرقة العنصرية بين الرجل والمرأة على اعتبار أنه فرض زيا موحدا للرجال، بينما ترك للنساء الحرية فى ارتداء ما يحبون من ثياب. والأغرب أنه لا أحد من الفنانين الذين حضروا المهرجان شعر بأنه يتعرض لقيود أو ضغوط، بل كانوا في حالة سعادة غامرة بهذا العرس الفني. وبعد ذلك ترى نفس هؤلاء الفنانين يسخرون إن سمعوا أن إحدى الممثلات سعيدة بارتداء الحجاب.

ولو كان لدى أعداء الإسلام شيء من البصيرة لفهموا أن **تشريع الحجاب فى صالح المرأة نفسها،** فالرجل المتزوج الذى يسير فى الطريق عائدا من عمله سيقابل مئات من النساء المتبرجات، فإن وصل إلى بيته فتحت له زوجته الباب، فقارن بينها وبين من هؤلاء النسوة، فتبدو زوجته أقل جمالا في عينيه، لتعوده على رؤيتها كل يوم، فيسخط على حظه، وتسوء العلاقة بينهما، وقد يطلقها، ويهجر أولاده، ويتزوج بامرأة متبرجة غيرها. وهكذا **فكل امرأة متبرجة بمثابة قنبلة معدة للانفجار في وجه امرأة أخرى.**

وإضافة إلى ذلك، **فالحجاب يكسب المسلمة ثقة بنفسها** لأنه يخلصها من الحرص المفرط على آراء الناس فيها، أما المتبرجة فهى تظل تكلم نفسها طوال اليوم: هل أُعجب فلان بشعرى؟ هل انبهر الرجال بلون ثوبي الجديد؟ هل كان لون الحقيبة متناسبا مع لون الحذاء؟ هل أحبوا رائحة العطر الذى اشتريته بالأمس؟ **مسكينة تلك المرأة التى تضع مصيرها كل يوم بين أيدى عشرات القضاة. وما أحكم امرأة جعلت لجمالها قاضيا واحدا هو زوجها!**

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

---

137) **"قبل أيام من انطلاقه.. هذه قصة مهرجان القاهرة السينمائي من المهزلة والفشل للنجاح"**. جريدة "فيتو" 23/نوفمبر/2021
https://www.vetogate.com/4468631

هل انتهت كل مشاكلنا ولم يبق إلا الحجاب؟

هذا هو السؤال الأثير لدى العلمانيين. والواقع أن **هذا السؤال يجب أن يوجه للعلمانيين أيضا،** لأنهم يخوضون من أجل الحجاب معركة حياة أو موت. وأذكر أنه حين كانت العلمانية متغولة فى تركيا منذ عدة سنوات أقام العلمانيون الدنيا، ولم يقعدوها لأن نائبة فى البرلمان ارتدت حجابا قصيرا، ولأن زوجة رئيس الجمهورية عبد الله جول كانت محجبة. لقد تحول الحجاب في نظر العلمانيين إلى رمز للتمسك بالدين، وصارت قلوبهم تتمزق كلما ارتدت امرأة الحجاب.

ويخطيء من يظن أن الحجاب شيء تافه. **الحجاب ليس مجرد قطعة قماش،** توضع على الرأس. **الحجاب "وسيلة" لهدف. وأي وسيلة تستمد قيمتها من قيمة الهدف الذى ترمى إلى تحقيقه.** والهدف الذى شرع الحجاب من أجله عظيم، ألا وهو محاربة الزنا. وما أجلَّه من هدف. ولهذا لم يكن من قبيل المبالغة أن يحذرنا الله تعالى من مجرد الاقتراب من الزنا: {وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا} [الإسراء: 32]. الزنا من أكبر الآفات التى يمكن أن يصاب بها مجتمع من المجتمعات لأن تفشي الزنا يهدم مؤسسة الأسرة، ويدمر المجتمع خلقيا، ثم سياسيا وعسكريا. ورجال الاستخبارات يعرفون ذلك جيدا، فهم إن أرادوا تدمير شعب دون حرب شنوا عليه حملة لإفساد أخلاقه، وهذا ما حققوه في مصر بنجاح ساحق.

وشدد القرآن على تحريم الزنا، وعده جريمه عظمى، قال تعالى: "{وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا} [الفرقان: 68، 69]. ولاحظ عزيزى القارىء كيف أن الآية تضع الزنا فى مصاف الجرائم الكبرى كالشرك والقتل. قال القرطبي: «وَدَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ بَعْدَ الْكُفْرِ أَعْظَمُ مِنْ قَتْلِ النَّفْسِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ثُمَّ الزِّنَى، وَلِهَذَا ثَبَتَ فِي حَدِّ الزِّنَا الْقَتْلُ لِمَنْ كَانَ مُحْصَنًا أَوْ أَقْصَى الْجَلْدِ لِمَنْ كَانَ غَيْرَ مُحْصَنٍ»[138].

وعن عَبْدُ اللَّهِ بن مسعود: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الذَّنْبِ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَدْعُوَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»، قَالَ: ثُمَّ أَيْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ»، قَالَ: ثُمَّ أَيْ؟

138) **تفسير القرطبي** (13/ 76)

قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَصْدِيقَهَا: {وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَلاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ العَذَابُ} [الفرقان: 69] الآيَةَ. متفق عليه. وانظر كيف توعدت الآية الزناة بأنهم سيلقون عقابا مضاعفا، وليس عقابا عاديا (يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، كما أن العقاب سيكون مصحوبا بالإهانة (وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا).

ويبدو لى، وكأن هذه الآية تخاطب الأفلام التى درجت على اعتبار الزنا حب، وعلى تصوير الراقصة على هيئة امرأة فاضلة، تعمل مع الوطنيين من أجل مقاومة الاحتلال. وتخاطب الآية أيضا عجوزا شمطاء، أعلنت يوما عن عزمها تصوير فيلم عنوانه "المومس الفاضلة"، وكذلك راقصة مشهورة، أعلنت يوما أنها ستقدم برنامجا دينيا في رمضان، وراقصة أشهر، مُنحت في أحد الأعوام لقب "الأم المثالية". **الآية تقول لكل هؤلاء الزناة: الله تعالى لا يحترمكم،** وسيذيقكم يوم القيامة أبشع الإهانات في عذاب خالد (ويخلد فيه مهانا). **إننى أطالب كل مسلم بأن يلقى هذه الآية في وجه كل فاسقة تدعى الشرف، وكل متبرجة ترفع راية الفضيلة. قولوا لها:** "**الله سيهينك يوم القيامة**".

ولبشاعة الزنا وضع له الإسلام عقوبة قاسية هى الجلد مائة جلدة، بل فرض أن يكون الجلد أمام جمع من الناس حتى يكون الزناة عبرة للآخرين: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [النور: 2]. ولاحظ أن الآية الأخيرة تنهانا عن أن نشفق على الزناة أو نتعاطف معهم أثناء إقامة الحد عليهم، إذ **من الممكن أن تضعف قلوب بعض الناس أمام استغاثة الزانية الرقيقة أو صرخات الزاني الوسيم حين ينهال عليهما السوط. وكثير من الناس ينخدعون ببعض صفات الزانى، فيقولون مثلا: "حقا هو زانى لكن دمه خفيف، وقلبه طيب"**. ونحن نقول لا، بل آذي أسرة زنت ابنتهم معه، وآذى زوجته حين جعلها تتجرع مرارة الخيانة، وآذي طفلا بريئا جاء إلى الوجود ليجد نفسه في ملجأ للأيتام، وآذي المجتمع حين عمل بزناه على هدم مؤسسة الأسرة التي بدونها ينهار أي مجتمع. الزنا جريمة شديدة القبح، وهذا يكسب الحجاب أهمية قصوى لأنه وسيلة مهمة لمنعه.

إننى أتعجب كيف يمكن لمسلم – بعد أن يقرأ هذه النصوص القاطعة الصريحة– أن ينظر باستخفاف للزنا، وكأنه شيء لا يستحق أن نلتفت إليه فى عصر العلم والتقنية والمعلومات؟ لقد ضاعت هيبة الزنا من قلوب أغلب الناس، بل إن الكثيرين يبتسمون لسماع أخباره، ويحرصون على تتبع أخبار الممثلين والزناة لأنها تحرك فى قلوبهم الشوق للجنس الآخر. وأغلب الصحف والمجلات ومواقع الإنترنت تعيش اليوم على الزنا وأخباره ومقدماته كالأزياء ووسائل التجميل والأغانى الهابطة والأفلام الساقطة. الزنا هو كلمة السر فى الإعلام العالمى اليوم. ولم يعد غريبا أن تسمع مفكرا أو صحفيا، وهو يمزح حين يلقى على أسماعه خبر من أخبار النساء، أو شأن من شئون الزناة. ولو كان هؤلاء يكرهون الزنا حقا لكان رد فعلهم الغضب، لا المزاح. إن أيا من هؤلاء إن سمع أحدا يسخر من بخله أو ملابسه، فإنه لن يضحك مع الضاحكين، بل سيغضب ويثور. وفى أحد البرامج الشهيرة استضافت مقدمة البرنامج – التى اشتهرت بالجدية والوقار– أحد المذيعين المشهورين، فقالت له مداعبة: «**الملاحظ أن البنات اللائى يتصلن بك فى برنامجك الإذاعى "مسهوكين جدا"**». وكلمة "*مسهوكين*" تعنى أن تظهر الفتاة نفسها على أنها ضعيفة ومسكينة وساذجة، لكنها فى الحقيقة تحاول أسر قلوب الرجال بضعفها. قالت المذيعة هذا الكلام، وابتسامة عريضة تكسو وجهها، مع أن الواجب على أى مسلم مكانها أن يغضب، ويحس بالغيرة على بنات المسلمين اللائى وصلت أخلاقهن إلى هذا الحضيض.

وذات مرة استمعت لحديث أجراه مذيع معروف فى إحدى القنوات الفضائية مع صحفي شهير، شارف عمره على المائة، ففوجئت بالمذيع يسأل الضيف المعمر عن رأيه فى إحدى المغنيات الفاسقات التى اشتهرت بين الشباب، فكانت إجابة الصحفي العجوز صادمة، إذ وصف المغنية بأنها مثل قطعة الشيكولاته، فضحك المذيع (الذى جاوز الستين من العمر) بشدة على هذه الإجابة غير المتوقعة، التى تدل على أن ضيفه العجوز لا يزال يتمتع بروح الشباب. وهذا مثال آخر صارخ لمدى التردى الذى وصلت إليه أخلاق المثقفين. ولو كان هذان الرجلان من الشباب فربما التمسنا لهما العذر، لكن كلا منهما من الشيوخ الذين ينتظرهم ملك الموت بين لحظة وأخرى.

وفى ظل ظاهرة "**التسامح مع الزنا**" كان من الطبيعى أن تكثر الأصوات التي تهاجم الحجاب، فلا يعرف قيمة الحجاب إلا من كره الزنا، مثلما لا يعرف قيمة الدواء إلا من أدرك خطورة المرض.

وإذا عدنا إلى قوله تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا} [الإسراء: 32]، وتأملنا قوله تعالى: "**لا تقربوا الزنا**"، وتساءلنا: لماذا لم يقل مثلا: "**لاتفعلوا الزنا**" أو "**لا تزنوا**"؟ إن هذا يعنى أن الإسلام يعمل بمبدأ "الوقاية خير من العلاج"، فيفرض منطقة حظر حول الزنا، يَحرُم على المسلم الدخول فيها، وذلك لأنه إن اقترب من الزنا فسيكون من الصعب عليه أن يمنع نفسه من الوقوع فيه، **فالزنا مثل الثقب الأسود الذي توجد حوله منطقة تسمى "أفق الحدث"، إن تجاوزها أي شيء ابتلعه الثقب الأسود بلا رجعة.** وهكذا الزنا: من اقترب منه وقع فيه. ولهذا حرم الله تعالى مقدماته، كالتبرج والنظر إلى المرأة الأجنبية. ورغم أن التبرج يبدو شيئا تافها، إلا أنه يمثل الخطوة الأولى نحو الزنا.

إن أى جيش يضرب حول معسكره منطقة حظر، عليها لافتة " الاقتراب والتصوير ممنوع ". ولا يوجد جيش يضع مثل هذه اللافتة على أبواب معسكراته، فلا بد من مسافة عازلة، تفصل الجيش عن أولئك الذين يحاولون الاقتراب منه حتى لا يفاجأ يوما بمن يقتحم عليه ثكناته. **والحجاب يقوم بنفس الدور الذي تلعبه المنطقة العازلة فى حماية الجيوش.** والدخول فى المنطقة العازلة المحيطة بالجيش لا يعنى أن قوات الجيش قد تعرضت للإصابة، ولكنها تعنى أن هذه الإصابة قد باتت محتملة. وبالمثل إن سارت المرأة في الطريق بلا حجاب فهذا لا يعنى أن الزنا قد حدث بالفعل، ولكنه يعنى أنه قد اقترب أو صار أكثر احتمالا. والعاقل هو من يمنع الجريمة قبل وقوعها.

إن مشكلة معارضى الحجاب أنهم لا يكرهون الزنا، ولا يعدونه من كبائر الذنوب، ولو كان الزنا بشعا فى نظرهم لأحسوا بقيمة الحجاب. من فضلكم: **لا تنظروا فقط إلى الشىء في ذاته، بل انظروا أيضا إلى مآلاته.**

و**على المسلم أن يجتهد فى المحافظة على أوامر الله تعالى، سواء صغرت أم كبرت.** حقا قد تكون هناك أولويات تجعلنا نقدم بعض الأمور على الأخرى، لكن ليس معنى هذا أن نهمل ما

يبدو أقل أهمية، **فكل أوامر الله لها قيمة كبرى، حتى لو بدت للناس صغيرة،** فالشىء يستمد قيمته أيضا من مصدره، **وأى شيء يأتي من الله العظيم فهو بالضرورة عظيم.**

وعلى من يقولون أن التحديات التى تواجهنا أكبر من مسألة كالحجاب أن يتأملوا السيرة النبوية، ليكتشفوا أن التحديات التى واجهت الرسول صلى الله عليه وسلم كانت أكبر بكثير مما يواجهنا اليوم، فقد كان الرسول يؤسس دولة من الصفر، ويخلق كيانا واحدا من قبائل العرب الهمجية المتشرذمة، واضطر لخوض حروب لا تنتهي. **وبرغم هذه التحديات الهائلة لم يهمل الرسول الأمور الصغيرة مثل الرحمة بالكلاب وتشميت العاطس.**

إن الأخلاق الدينية هى الغاية التى من أجلها سعى الرسول صلى الله عليه وسلم لإقامة الدولة. وإذا أسس الرسول دولته، وأخضع الدول الكافرة من حوله، فماذا سيفعل بعد ذلك؟ إنه سيعمل على دعوة الناس لعبادة الله والالتزام بالأخلاق. ولذا، **فإهمال الأخلاق تذرعا بالتحديات السياسية أمر غير مقبول، فالدين فوق الدولة، والدولة فى خدمة الدين.** ونهضة الشعوب لا تكون إلا بالتقوى، والدولة الكافرة أو الدولة المؤمنة الفاسقة لن يدوم عزها طويلا. واسألوا أنفسكم ماذا حدث لعاد وثمود وقوم لوط؟ أين ذهب الفراعنة والبابليون والآشوريون؟ أين ذهب الفرس والروم؟ أين ذهبت الدولة الأموية والدولة العباسية والدولة المملوكية والدولة العثمانية؟ أين ذهب هتلر وموسولينى؟ أين الشيوعية؟ قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} [محمد: 7].

ثم إن التفكير المنطقى يوجب على المسلم فى أوقات الأزمات والشدائد أن يجتهد فى طاعة الله حتى فى أصغر الأوامر (كالحجاب) كى يرضى عنه ربه، وينصره على عدوه، لكن كثيرا من الناس يفكرون بطريقة مقلوبة، فيهملون طاعة الله فيما يحسبونه من الصغائر (كالحجاب) بحجة أن البلاد تواجه تحديات خطيرة. إذن فليبحثوا عن إله غير الله كي يعينهم على هذه التحديات الكبرى.

ونحب أن نلفت النظر إلى ما نسميه ب "**الأثر التراكمي**" أو "**الأثر غير المباشر**" **للحجاب. إن** الحجاب لم يشرع فقط ليمنع الرجل من الزنا بنفس المرأة غير المحجبة التي وقع بصره عليها، ولكنه شرع أيضا لمنع الزنا بالنساء عامة، فالرجل إن سار فى طريقه، فرأى امرأة متبرجة، فإن

هذا يؤجج الشهوة فى قلبه، لكنه لن يقدر على أن يزنى بها، لأنه لا يريد أن يتأخر عن عمله، كما أن الفتاة ستصرخ غالبا إن اقترب منها، ولهذا سيمضى فى طريقه. فإن وقع بصره على امرأة أخرى متبرجة زادت شهوته مرة ثانية، فإن رأى امرأة ثالثة حدث نفس الشيء، وستصبح رأسه باستمرار ممتلئة بأفكار عن الجماع حتى في الأوقات التي لا يقع بصره فيها على امرأة جميلة، وسيكون من الصعب عليه أن يمنع نفسه من الزنا بأي امرأة حتى لو لم تكن جميلة حين تواتيه الفرصة. وبالعكس إن سافر الشاب إلى إحدي دول الخليج المحافظة سيقل المستوى العام لشهوته. وإدراك هذا الأثر التراكمي يرد على من يستهينون بالتبرج، ويرون أنه أقل كثيرا من أن يمهد لوقوع الزنا. وهذا يقودنا كذلك إلى محاربة التبرج بشكل عام بما في ذلك التبرج فى القنوات الفضائية والمواقع الإباحية. إن الشاب حين يرى على الشاشة مذيعة جميلة فلن يقدر على أن يزني بها، إلا أنها ستترك فى نفسه أثرا، فإن استدار إلى قناة أخرى ورأى راقصة، فستضاف شهوة إلى شهوة، وتتكرر المسألة إلى أن يجد الشاب نفسه قد وقع في الخطيئة مع أول امرأة تتاح له على أرض الواقع. **وعلى ذلك فالحجاب أهم كثيرا مما نظن لأن أثره لا يقتصر على لحظة النظر للمرأة بشهوة، بل يتجاوزها إلى غير ذلك من الأوقات.**

أعلم أن كثيرا من الناس لا يعجبهم الكلام عن التبرج وغضب الله وفروض الدين، وكل هذا الكلام الممل. ولهؤلاء نقول انظروا إلى شبابانا اليوم، انظروا بالتحديد إلى الذكور المراهقين، ستجدون أنهم غارقون في الشهوة، فكل شاب يحمل في يده قنبلة اسمها الهاتف الذكى، الذي يعرض له كل أنواع الفواحش من كل أنحاء العالم. **لقد أهمل الذكور التعليم بسبب النساء**، بعد أن كانوا ينفردون بالمراكز الأولى في الشهادات الدراسية منذ سنوات غير بعيدة. **لقد تعطلت نصف طاقة المجتمع بسبب انتشار الإباحية**. لقد خسرنا ملايين الذكور النابغين، الذين كان من الممكن أن يصبحوا علماء كبار بسبب شيء اسمه التبرج، يظنه الحمقى من توافه الأمور. نحن لم نخسر الدين فقط، بل خسرنا الدنيا قبله.

ولأولئك الذين لا يفكرون إلا في الدنيا نقول أيضا: **أليس الحجاب حماية للمرأة من التحرش**؟ ألا تغضب الواحدة منهن إن مد رجل يده على جسدها؟ ألا يمنحها الحجاب وقارا، ويجعل احتمال التحرش بها أبعد رغم اعترافنا أنه لا يلغيه؟

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

خلع الحجاب ذنب ذو طابع كمى

من أهم الأسباب التى تجعل بعض النساء ينصرفن عن الحجاب توهمهن أن خلع الحجاب ذنب مثل بقية الذنوب. وقد عبرت عن ذلك مذيعة شهيرة ذات يوم فقالت فى لقاء تليفزيونى **أنها تعلم أن الحجاب فريضة، لكنها تعلم أيضا أن الله يحاسب الإنسان على مجمل أعماله، وليس على عمل واحد، ويوم القيامة توضع الأعمال كلها فى الميزان، وهي تعلم أنها قد فعلت فى حياتها خيرا كثيرا، ولذلك فلن يضيرها ذنب بسيط كخلع الحجاب.**

ولهذه المذيعة وغيرها نقول أن **الحجاب ليس ذنبا عاديا، ولكنه ذنب متكرر أو ذو طابع كمى.** إنها تظن أن كشف الشعر يكتب فى ميزان أعمالها ذنبا واحدا مدى الحياة، وتنال بسببه سيئة وحيدة فقط طوال السبعين سنة التي عاشتها، وما أهون سيئة واحدة فى مقابل آلاف الحسنات التى فعلتها طوال عمرها! ولكن هذه مغالطة شنيعة لأن **خلع الحجاب ذنب متكرر**، **بمعنى أن المرأة كلما ظهرت أمام رجل غريب دون حجاب كُتبت عليها سيئة**. فإن رآها مثلا صاحب القناة التي تعمل فيها أخذت سيئة. وإن دخل عليها معد البرنامج أخذت سيئة. وإن جلست تحاور ضيفها أمام أربعة مصورين أخذت خمس سيئات. وإن عرض حوارها مع الضيف على الشاشة فرآها ملايين الرجال أخذت ملايين السيئات بسبب كل رجل نظر إليها. وهكذا تظل المرأة تجمع السيئة تلو الأخرى كل يوم طوال عمرها المديد، فإن كان متوسط عدد الرجال الذين يرونها كل يوم خمسين مثلا، فسيكون عليها في العام الواحد أكثر من 15 ألف سيئة، **وستحصل في فترة جمالها البالغة أربعين عاما على حوالي 600 ألف سيئة**. يا لها من كارثة!

وما رأيك في امرأة ظلت طوال عمرها ترتدى الحجاب، لكنها خلعته مرة واحدة فقط أمام أحد الشباب؟ هل تستوي هذه المرأة بامرأة أخرى لم تخلع الحجاب قط طوال عمرها؟ طبعا، لا، فهناك فرق بينهما قدره سيئة واحدة. وهل تستوي مذيعة ارتدت الحجاب مرة واحدة في عمرها حين حاورت أحد رجال الدين بمذيعة لم تخلع الحجاب قط طوال حياتها؟ قطعا لا، فالفرق بينهما حسنة واحدة. الإنصاف يحتم التفرقة بين هؤلاء. وارتداء الحجاب لا يكتب في صحيفة المرأة كحسنة واحدة، وخلع الحجاب لا يكتب في صحيفتها كسيئة واحدة.

إن الإنسان يحاسب على كل موقف على حدة، فالسيئة إن تكررت لا تُكتب سيئة واحدة، بل سيئات عديدة. السفاح الذي قتل عشرة أبرياء لا يمكن أن يحاسب يوم القيامة على ذنب واحد فقط اسمه القتل، بل على ذنوب بعدد من قتلهم. ومن سرق بيتا ليس كمن سرق عشرين بيتا. **ولو كان الذنب المتكرر يُكتب عند الله ذنبا واحدا لكان من العدل أن تُكتب الحسنة المتكررة حسنة واحدة،** فيستوى حينئذ رجل تصدق مرة واحدة في حياته بعشرة جنيهات مع رجل آخر ظل يتصدق كل يوم بعشر جنيهات لمدة أربعين عاما.

أيتها المتبرجة: شعورك بالاطمئنان مصدره إبليس.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

شبهات حول الحجاب

الشبهات حول الحجاب كثيرة، لكنني قرأت منذ عدة سنوات مقالا لأحد العلمانيين حشد فيه كل الاعتراضات التي تثار حول الحجاب، فاحتفظت بالمقال، لكنني لا أذكر اسم كاتبه. وسأقوم الآن بتلخيص شبهاته، وأرد عليها بعون الله:

1- الحجاب ليس من أركان الإسلام

الشبهة: فروض الإسلام خمس هى: الشهادتان– إقام الصلاة – إيتاء الزكاة – صوم رمضان– حج البيت. هذه هي الفروض الخمسة. ولا يوجد بين أركان الإسلام المعروفة ركن سادس أو فرض سادس اسمه الحجاب.

الرد على الشبهة

كلمة "سفيه" قليلة على من يردد مثل هذا الكلام. من قال لهذا الأحمق أن فروض الإسلام خمسة فقط؟ إن الحديث الشريف يقول: "بنى الإسلام على خمس"، أي أن هذه الأشياء هى ما بنى عليه الإسلام، ومعنى ذلك أن هناك أشياء أخرى فوقها. **هذه الأمور الخمس هي الأساس، وليست كل الإسلام. وهذا يشبه قول القائل: (تُبنى الأمم على العلم)، فهذه المقولة لا تنفي أن المال والعمل والتخطيط والدين والخلق عوامل مهمة تبنى عليها الأمم.**

ثم إن الجهاد فرض، وبر الوالدين فرض، والقصاص فرض، وشهادة الحق فرض، وكتابة الديون فرض، وعدة المطلقة فرض؟ **ومع ذلك لم يذكر الحديث السابق كل هذه الفروض؟**

أولم يستخدم القرآن كلمة "فريضة" للدلالة على أوامر أخرى غير أركان الإسلام الخمس مثل المهر: {فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ} [النساء: 24]؟

ألم يوجب القرآن القتال والميراث على المسلمين مستخدما نفس الكلمة التي فرض بها الصيام (كُتب)، حيث قال عن الصيام: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: 183]. وقال عن القتال: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ} [البقرة:

216]. وقال عن الميراث: {كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ} [البقرة: 180]؟

ثم كيف يتمسك دعاة خلع الحجاب بهذا الحديث وحده؟ لماذا يتجاهلون غيره من الأحاديث التي تدعو المرأة إلى الوقار والحشمة؟ ألم يقرأوا مثلا ذلك الحديث الذي يقول: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ»، وحديث: «وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا»؟ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض؟

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

2- ليس الحجاب لتغطية الشعر

<u>الشبهة</u>: كلمة "الحجاب" التي وردت في القرآن لا تعنى قط غطاء الرأس أو الجسد، بل تعني السور أو الجدار، كما في قوله تعالى: {وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ...} [الأعراف: 46]، أو بمعنى الشيء الساتر عموما، والذي قد يكون أحيانا ساترا معنويا كما في قوله: {وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ} [فصلت: 5]. وهذا دليل ضد مشروعية الحجاب.

<u>الرد على الشبهة</u>

يا لها من شبهة مضحكة! هل كون القرآن لم يستخدم كلمة "حجاب" بمعنى غطاء الرأس يعد دليلا على عدم مشروعية غطاء الرأس؟ الإجابة هى:لا. **يجب أن نترك الأسماء، ونركز على المسميات، وإلا لجاز القول بأن الإسلام لا يحرم الدعارة لأن كلمة الدعارة غير موجودة فى القرآن،** مع أنها مذكورة بمصطلح آخر هو "البغاء": {وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ} [النور: 33].

دعنا إذن من كلمة (حجاب)، ولنتساءل: هل غطاء الرأس مأمور به في القرآن أم لا؟ وإجابة هذا السؤال نجدها في قوله تعالى: {وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ} [النور: 31]. ولا خلاف بين أهل اللغة والتفسير على أن الخمار هو غطاء الرأس.

غطاء الرأس إذن موجود فى القرآن، والقرآن لا يسميه "الحجاب"، بل يسميه "الخمار"، فتعالوا بنا نتخلى عن لفظ "الحجاب"، ونستبدله بلفظ "الخمار"، فهل توافقون؟

ويقول العلمانيون أيضا أن كلمة "حجاب" حين استخدمها القرآن للدلالة على فصل الرجل عن المرأة كانت تشير إلى السور أو الجدار الذى يفصل غرفة نساء النبى عن الزوار الذين يجلسون لتناول طعام الوليمة، وذلك فى قوله تعالى: {وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ} [الأحزاب: 53]. وهذا كلام صحيح، بيد أنه يوقعهم فى مأزق أكبر، وذلك لأننا **لو تمكسنا باعتبار الحجاب هو الساتر الجدارى فقط، فهذا أكثر تضييقا على المرأة من غطاء الرأس،** لأن المرأة قد تغطي رأسها، ومع ذلك تظهر بعض تفاصيل جسدها وقوامها ورشاقتها، أما الجدار، فهو يخفى المرأة تماما عن أعين الرجال. لقد أحكم العلماني الحبل حول رقبته.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

3- القرآن لم يفرض الحجاب صراحة

<u>الشبهة</u>: الجملة المكونة من كلمتين "الحجاب فريضة" ليست مذكورة في القرآن ولا في الأحاديث. لم يقل القرآن "يا أيتها المؤمنات فرض عليكن الحجاب" أو "تحجبن فهو خير لكن". عندما يفرض القرآن فرضا فهو يكون واضحا صريحا ويستخدم كلمات "فرض عليكم" أو "كتب عليكم" مثل "يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام". لم يقل القرآن أبدا "كتب عليكم الحجاب". إن الحجاب لم يكن أكثر من عادة اجتماعية انتشرت بين النساء العربيات فى القدم، وجاء القرآن، فوجدها، لكنه لم يخترعها ولم يوص بها.

<u>الرد على الشبهة:</u>

القرآن يخلو من آية تقول للمرأة (كُتب عليك أن تغطى بطنك)، فهل هذا دليل على أنه يجوز للمرأة كشف بطنها؟ طبعا لا، فتحليل الشيء أو تحريمه لا يحتم ورود نص شديد الصراحة مثل (فرض عليكم) أو (كتب عليكم). وانظر مثلا إلى فريضة الزكاة: إن القرآن لم يقل: (كتبت عليكم الزكاة)، وبالمثل لم يقل: (كتبت عليكم الصلاة)، ولم يقل (كتب عليكم الوضوء)، ولم يقل: (كتب عليكم التيمم)، ولم يقل: (كتب عليكم الاغتسال بعد الجنابة).

إن عبارة: (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) يفهم منها بداهة أن على المرأة أن ترتدى غطاء للرأس، وأن عليها أن تغطى به الجيوب (الرقبة وفتحة الصدر). ولو كان القرآن يقصد تغطية الرقبة وفتحة الصدر فقط دون تغطية الشعر لقال: "**وليغطين جيوبهن**" بدلا من: "**وليضربن بخمرهن على جيوبهن**"، فيفهم حينئذ أن على المرأة أن تضع شيئا يشبه الإيشارب، تغطى به رقبتها، وأعلى صدرها، أو تغطيهما بالجلباب الواسع، مع ترك الرأس مكشوفة. لكن القرآن قال بدلا من ذلك أن الخمار (غطاء الرأس) هو الذي يجب أن يستخدم لتغطية الجيوب.

وليس في القرآن ما يسوقنا للاعتقاد بأن الحجاب مجرد عادة اجتماعية، وليس فرضا. وهاتوا لى إن استطعتم قرينة من القرآن أو السنة تفيد أن الإسلام يبيح كشف شعر المرأة. خبرونى باسم زوجة لأحد الصحابة كانت تسير في الطريق مكشوفة الرأس، فرآها الرسول، وسكت عنها.

وما يؤكد أن الحجاب كان فرضا إسلاميا، وليس مجرد عادة اجتماعية ما رواه البخارى عن عائشة: «يَرْحَمُ اللَّهُ نِسَاءَ المُهَاجِرَاتِ الأُوَلَ، لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ: {وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ} [النور: 31] شَقَّقْنَ مُرُوطَهُنَّ فَاخْتَمَرْنَ بِهَا». **وهذه الرواية تظهر يقينا أن المسلمات لم يلتزمن بارتداء الخمار إلا بعد نزول القرآن. وهذا ينهي النقاش تماما.**

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

4- الثياب تختلف من بلد لبلد

<u>الشبهة</u>: قال تعالى: (ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها). وما يظهر من زينة المرأة يختلف من بلد لبلد، فمثلا الزي التقليدي للنساء في الهند يكشف الذراع والبطن. ويترتب على ذلك أنه إن اعتادت النساء فى مجتمع ما على كشف الشعر سقطت عنهن فريضة الحجاب.

<u>الرد على الشبهة:</u>

هذه الحجة استخدمها البعض ليفتي للمرأة المسلمة أن تخلع الحجاب فى أوربا وأمريكا. لكن هذا المنطق يخلق مشكلة عويصة، ألا وهي الحدود التى يجب علينا أن نقف عندها، فمثلا إن كان من المعتاد في أوربا أن ترتدى المرأة الملابس التي تكشف الفخذين (الميكروجيب والمينيجيب)، فهل يصبح من الجائز للمرأة المسلمة ارتداء هذه الملابس إن ذهبت إلى أوربا؟ قطعا لا. **ولو**

سرنا مع هذا المنطق الجنوني لجاز للمرأة المسلمة أن تخلع كل ملابسها إن دخلت نوادى العراة أو شواطيء العراة لأن كل الناس هناك يجلسون كما ولدتهم أمهاتهم.

يا إخوانى إن الإسلام لم يأت ليَخضع للعادات، ولكنه جاء ليغير العادات.

ثم **ألم تلاحظوا أن نفس الآية التي يستشهدون بها تلزم المرأة بتغطية العنق وفتحة الصدر**: {وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ} [النور: 31]؟ فلو كان من الجائز شرعا للمرأة المسلمة أن ترتدي زيا كسائر نساء بلدها لما كان هناك معنى لأن يأمرها القرآن بتغطية الرقبة والصدر بشكل خاص.

ومن قبيل التزوير الزعم بأن الرجال إن اعتادوا على رؤية النساء العاريات فستخف حدة الشهوة في نفوسهم. والملحدون والعلمانيون يروجون لهذه الفكرة بشدة. **ونحن نقول لهم: هل أدى العري في أوربا إلى اختفاء الزنا؟** بالعكس الزنا هناك منتشر في كل مكان، والزواج يكاد ينقرض. واعلموا **أن المسافة التي تبعد الناس عن الزنا تكبر كلما كانت الملابس أكثر سترا. والزنا يسهل كلما زاد القدر المكشوف من جسد المرأة**، فالمرأة التى تلبس مايوه على الشاطيء لن تجد صعوبة في خلعه أمام رجل لأنها لا تخجل بالفعل من كشف 90% من أجزاء جسدها، ولم يتبق إلا 10% فقط. أما المرأة التي تلبس الحجاب فسيكون من الصعب عليها أن تكشف 90% من جسدها. المسألة واضحة.

والحقيقة أن **طبيعة ملابس النساء في أي شعب من الشعوب يحددها موقف هذا الشعب من الزنا، فإن كره الشعب الزنا مالت ملابس النساء إلى الستر والتغطية**، وإن رضي الشعب بالزنا مالت ملابس النساء إلى العري لأن الثياب لها علاقة سببية بالزنا. وعلى ذلك **فمن الخطأ أن نترك كل شعب لما ألفه من الأزياء، وذلك لأن الملابس لها دور خطير في تحريك الشهوات.** وبعبارة أخرى نقول أن **اختلاف ملابس النساء من شعب إلى شعب ينشأ عن وجهة نظر هذا الشعب في الزنا، ولهذا فمن المستحيل أن يترك الإسلام كل شعب يحدد ملابسه بنفسه لأن من غير المقبول أبدا أن تختلف آراء الشعوب المسلمة حول حرمة الزنا**، ويجب أن يتفق الجميع على محاربة العري. الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

5- الحجاب لتمييز الحرة فقط

<u>الشبهة</u>: غطاء الرأس لم يكن – وقت نزول القرآن– مسألة إيمان أو تقوى، بل كان مسألة تمييز اجتماعي وطبقي بين الحرائر والجواري، فقد ثبت أن عمر بن الخطاب قال لأمة رآها متقنعة "اكشفي رأسك ولا تشبهي بالحرائر، وضربها بالدرة". وآية الأحزاب 59 التى تقول: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) كان سبب نزولها أن عادة العربيات وقت التنزيل كانت التبذل، أي الكشف عن الوجه كما يفعل الجواري. وإذ كن يتبرزن في الصحراء قبل أن تخترع دورات المياه في المنازل، فقد كان بعض الفجار يتعرضون للمؤمنات (يتحرشون جنسيا بهن) على مظنة منهم أنهن من الجواري أو من غير العفيفات. وقد شكون ذلك للنبي، ومن ثم نزلت الآية لتضع فارقا وتمييزا بين الحرائر من المؤمنات والجواري وغير العفيفات وهو إدناء المؤمنات لجلابيبهن، حتى يعرفن فلا يؤذين.

<u>الرد على الشبهة</u>:

سبق أن تناولنا هذه الشبهة بالتفصيل في كتابنا "هل أهان الإسلام الرقيق"[139]. وسنعيد هنا ما قلنا بشيء من الاختصار:

وقت ظهور الإسلام كان **الزنا منتشرا بين الإماء أكثر من انتشاره بين الحرائر**، فقد روى الطبري أن الرسول عليه الصلاة والسلام حين كان يبايع المؤمنات الجدد على ألا يزنين ردت هند بنت عتبة: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهَلْ تَزْنِي الْحُرَّةُ؟» قَالَ: «لَا وَاللَّهِ مَا تَزْنِي الْحُرَّةُ»[140]. ومن هذه الرواية

---

139) **هل أهان الإسلام الرقيق: نظرات جديدة في قضية قديمة**. دكتور محمد سعيد المكاوي. صفحة 109. الناشر دار فينكس للنشر والتوزيع. 2019م-1439هـ.

140) رواه الطبري بسنده، قال: حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: كانت محنة النساء أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: قل لهنّ: إن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم يبايعكنّ على أن لا تشركن بالله شيئا، وكانت هند بنت عتبة بن ربيعة التي شقت بطن حمزة رحمة الله عليه متنكرة في النساء، فقالت: إني إن أتكلم يعرفني، وإن عرفني قتلني، إنما تنكرت فرَقا من رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فسكت النسوة اللاتي مع هند، وأبين أن يتكلمن، قالت هند وهي متنكرة: كيف يقبل من النساء شيئًا لم يقبله من الرجال؟ فنظر إليها رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم وقال لعمر: قُلْ لَهُنَّ وَلا يسْرِقْنَ، قالت هند: والله إني لأصيب من أبى سفيان الهنات، وما أدري أيحلهن لي أم لا قال أبو سفيان: ما أصبت من شيء مضى، أو قد بقي، فهو لك حلال فضحك رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم وعرفها، فدعاها فأتته، فأخذت بيده، فعاذت به، فقال: أنْتِ هِنْدٌ، فقالت: عفا الله عما سلف، فصرف عنها رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فقال (وَلا يَزْنِينَ) فقالت: يا رسول الله وهل تزني الحرة؟ قال: لا والله ما تَزْنِي الحُرة؛ قال: وَلا يَقْتُلْنَ أولادَهُن، قالت هند: أنت قتلتهم يوم بدر فأنت وهم أبصر؛ قال: وَلا يَأْتِينَ بِبُهتانٍ يفْتَرِينهُ بَينَ أيْدِيهن وأرْجلهِنَ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ؛ قال: منعهن أن ينحن، وكان أهل الجاهلية يمزقن الثياب وَيخدِشْن الوجوه، ويقطِّعن الشعور؛ ويدعون بالثُّبور والويل". انظر: **تفسير الطبري** (23/ 342). وأورد الطبري القصة أيضا في تاريخه [**تاريخ الطبري** (3/ 62)]

ومن طرقه – كما يقول ابن حجر- ما **أخرجه ابن سعد** بسند صحيح مرسل عن الشّعبي، وعن ميمون بن مهران [**الإصابة في تمييز الصحابة** (8/ 346)]. وقال ابن حجر في "التلخيص الحبير": حديث هند بنت عتبة في البيعة، وفيه: أو تزني الحرة؟ **الحازمي في "الناسخ والمنسوخ"** من طريق خالد الطحان، عن حصين، عن الشعبي في قصة مبايعة هند بنت عتبة، وفيه: فلما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "وَلا يَزْنِينَ". قالت: أو تزني

وغيرها نعرف أن المجتمع العربى كان يتشدد فى الرقابة على الحرائر، وكان هناك شعور عام بأن الحرة إن زنت أو تصرفت باستهتار فإنها تجلب العار لأهلها، خلافا للأمة التى لا أحد يحاسبها. ولقد راعى الإسلام هذه الفوارق الإجتماعية ، فغلظ عقوبة الحرة إن زنت لأنها محصنة –بالعرف والتقاليد– من الزنا، ولن تُقدم عليه إلا إذا كانت قد بلغت من المجون حدا كبيرا، يوجب العقاب الشديد.

وهنا نتساءل: هل ساير الإسلام العادات العربية القديمة، فتصرف كما لو كان يقنن الأوضاع الإجتماعية التى تعتبر الجارية كلأ مباح، والأمة درة مصونة كما ظن بعض الفقهاء؟

الإجابة القاطعة هى: لا. لقد فرض الإسلام غض البصر، ليس لأن النظر إلى المرأة مكروه فى ذاته، ولكن لأنه قد يؤدى إلى الزنا، فهل النظر للحرة يؤدى للزنا، بينما النظر للأمة لا يؤدى للزنا؟ وهل هناك نص يقول أن زنا الإماء حلال؟ بالعكس هناك نص ينهى السادة عن إكراه جواريهم على ممارسة الدعارة بغرض التكسب: {وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور: 33]. إن هذه الآية الأخيرة فى غاية الخطورة، فالعرب كانوا يحرصون كثيرا على شرف بناتهم، أما الجوارى فلم يكن أحد يهتم بهن، لكن جاء الإسلام ليغير الصورة، ويحرم على الأمة ما حرم على الحرة.

ونأتي الآن إلى الأمر القرآني للنساء بأن يدنين عليهن من جلابيبهن: {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [الأحزاب: 59].

الحرة؟ لقد كنا نستحيي من ذلك في الجاهلية، فكيف في الإسلام. وهذا مرسل. **وأسنده أبو يعلى الموصلي** من طريق أم عمرو المجاشعية، قالت: حدثتني عمّتي، عن جدتي، عن عائشة قالت: جاءت هند بنت عتبة تبايع، فقال لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:"أُبَايِعُكِ عَلَى أن لَا تُشرِكي بالله شَيئًا، وَلا تَسْرِقِي، ولا تَزْنِي"، قالت: أو تزني الحرة؟ .... الحديث. وفي إسناده مجهولات [**التميز في تلخيص تخريج أحاديث شرح الوجيز المشهور بـ التلخيص الحبير** (6/ 2731)]. **وأخرجه أيضا أبو نعيم** عن هشام بن عروة، عن أبيه [**معرفة الصحابة لأبي نعيم** (6/ 3460)]، وفي سنده عند أبي نعيم "عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ عُرْوَةَ". قال ابن حبان عنه: يروي الموضوعات عن الثقات. وقال أبو حاتم الرازي: متروك الحديث، وساق ابن عدي له أحاديث، ثم قال: عامتها مما لا يتابعه عليه الثقات [**ميزان الاعتدال في نقد الرجال** (2/ 486)].
ولا تعنينا صحة الحديث، فحتى لو كان الحديث موضوعا، فإن قائله كان يعبر عن أحوال العبيد في عصره، ويرصد وجود ظاهرة اجتماعية في العصور القديمة، ألا وهي انتشار الزنا بين الإماء، وندرته بين الحرائر.

والجلباب هو المُلاءة أو الملحفة التى تشتمل بها المرأة كما شرحنا في موضع آخر من هذا الكتاب. والمشكلة تنشأ من قول بعض المفسرين أن الآية تخاطب الحرائر، لتطالبهن بالحشمة حتى يمكن تفريقهن من الإماء. يقول ابن كثير فى تفسيره:

[وَقَوْلُهُ: {ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ} أَيْ: إِذَا فَعَلْنَ ذَلِكَ عُرِفْنَ أنَّهن حَرَائِرُ، لَسْنَ بِإِمَاءٍ وَلَا عَوَاهِرَ، قَالَ السُّدِّيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {[يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ] قُلْ لأزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ}. قَالَ: كَانَ نَاسٌ مِنْ فُسَّاقِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَخْرُجُونَ بِاللَّيْلِ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ إِلَى طُرُقِ الْمَدِينَةِ، يَتَعَرَّضُونَ لِلنِّسَاءِ، وَكَانَتْ مَسَاكِنُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ضَيِّقة، فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ خَرَجَ النِّسَاءُ إِلَى الطُّرُقِ يَقْضِينَ حَاجَتَهُنَّ، فَكَانَ أُولَئِكَ الْفُسَّاقُ يَبْتَغُونَ ذَلِكَ مِنْهُنَّ، فَإِذَا رَأَوُا امْرَأَةً عَلَيْهَا جِلْبَابٌ قَالُوا: هَذِهِ حُرَّةٌ، كُفُّوا عَنْهَا. وَإِذَا رَأَوُا الْمَرْأَةَ لَيْسَ عَلَيْهَا جِلْبَابٌ، قَالُوا: هَذِهِ أَمَةٌ. فَوَثَبُوا إِلَيْهَا. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: يَتَجَلْبَبْنَ فَيُعْلَمُ أَنَّهُنَّ حَرَائِرُ، فَلَا يَتَعَرَّضُ لَهُنَّ فَاسِقٌ بِأَذًى وَلَا رِيبَةٍ].

والمرء حقا يحزن حين يقرأ كلام ابن كثير رحمه الله، **فالآية لا تتضمن أي إشارة إلى التفرقة بين الحرة والأمة فى اللباس. الآية تقول: "ونساء المؤمنين" وليس: "وحرائر المؤمنين"**. كما أنه **لا أحد ينقل لنا حديثا عن رسول الله عليه السلام يذكر فيه فرقا بين لباس الأمة ولباس الحرة. كل ما هنالك تفسير أثر عن بعض التابعين**. فهل أصبح على المسلم أن يخر مستكينا أمام أى أثر روى عن أي تابعي حتى لو كان يتعارض بشكل كامل مع الإسلام روحا ونصا؟

إن قبول هذا التفسير التقليدي للآية كارثة. أليس وقوع الجارية فى الزنا حرام؟ هل يرضى الإسلام بأن يجامع الأمة رجل غريب غير سيدها أو زوجها؟ ثم هب أن الإسلام رضى بأن يهدر شرف الأمة فما رأيه فى الرجل الحر الذي فجر بها؟ هل يعفيه الإسلام من إقامة حد الزنا؟ ثم هل كل الإماء فاجرات حتى يتركهن الإسلام نهبا لعيون الرجال وأيديهم وألسنتهم؟ هب أن السيدة سمية أم عمار بن ياسر – وهي أمة – كانت تعيش وقت نزول الآية فهل يرضى الله تعالى أن يتحرش بها الفجار؟

ما التفسير الصحيح للآية إذن؟

نقول بعون الله تعالى أن **الآية لم تنزل للتفرقة بين الحرة والأمة، ولكن نزلت كى يفرق الفساق بين المرأة التى يجدي معها التحرش والمرأة التى لا يجدي معها التحرش.**

الآية تقول للمرأة حرة كانت أو أمة: (أدني جلبابك، أي اجعلي ثيابك أكثر سترا ووقارا حتى تُعرفي). وما الذي يُعرف عنهن؟ أولا: يُعرف أنهن مسلمات لارتدائهن زيا خاصا، والإسلام يتشدد فى هذه الأمور الأخلاقية أكثر من الأديان الأخرى، وهذا يجعل الرجل المتحرش يدرك أن دين المرأة التى يراودها عن نفسها سيجبرها أن تفكر ألف مرة قبل أن تقدم على الوقوع فى الخطيئة، فينصرف عنها. ثانيا: إدناء الجلابيب يجعل الناس تعرف أن المرأة عفيفة، فالرجال حين يرون المرأة حريصة على ستر جسدها جيدا فإنهم يزهدون فيها، وييأسون منها بسرعة. هذا هو المعنى المباشر للآية ببساطة.

وقبل نزول هذه الآية كان الرجل يقابل المرأة فى الطريق، وهى ترتدى ملابس تكشف عنقها وصدرها وتفاصيل جسدها، فلا يستطيع معرفة ما إذا كانت تكشف مفاتنها متعمدة لاستمالة الرجال أم جريا على عادة قومها فى اللباس دون أن يكون قصدها إثارة الشهوات، ففى بعض المجتمعات ترتدى كل النساء ملابس كاشفة على سبيل العادة دون أن يكون قصدهن جميعا جذب الرجال، بل قد تجد عندهم فى المآتم أن كل النساء ترتدين ملابس تكشف رءوسهن وأعناقهن وصدورهن وسيقانهن. أما بعد نزول الآية فالرجل الذي يرى امرأة تكشف مفاتنها فالاحتمال الوحيد الذي سيفكر فيه أنها تقصد استمالة الرجال.

إذن قوله تعالى: (ذلك أدنى أن يعرفن) معناه أن إدناء الجلابيب سيؤدي إلى: أولا أن يعرف الناس أن هذه المرأة مسلمة تنتمي لدين يتشدد فى أمور الأخلاق. ثانيا أن يعرف الناس أنها امرأة عفيفة، لا فائدة ترجى من التحرش بها.

إن علينا أن نحمل بعض الحذر حين نقرأ كلام المفسرين القدامى، فرغم جهودهم العظيمة فى محاولة فهم القرآن إلا أن علينا أن نفرق فى كلامهم بين النص والرأى، فهم لا يذكرون آية قرآنية ولا يروون حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بأن آية الأحزاب معناها أن الأمة يجوز لها ترك الحجاب، وأن الحرة هى فقط التى فرض عليها الحجاب. إن كلام المفسرين يؤخذ على أنه رأيهم الخاص لا على أنه شرع الله. إن النص فوق مفسر النص.

وقد أعجبنى استنكار الشيخ الألبانى لمن ظنوا أن آية الأحزاب 59 نزلت لتمييز الحرة عن الأمة[141]:

«وفي معنى هذه الرواية روايات أخرى أوردها السيوطي في "الدر المنثور" وبعضها عند ابن جرير وغيره **وكلها مرسلة لا تصح** لأن منتهاها إلى أبي مالك وأبي صالح والكلبي ومعاوية بن قرة والحسن البصري **ولم يأت شيء منها مسندًا فلا يحتج بها ولا سيما أن ظاهرها مما لا تقبله الشريعة المطهرة ولا العقول النيرة**، لأنها توهم أن الله تعالى أقر إماء المسلمين –وفيهن مسلمات قطعًا– على حالهن من ترك التستر ولم يأمرهن بالجلباب ليدفعن به إيذاء المنافقين لهن. ومن العجائب أن **يغتر بعض المفسرين بهذه الروايات الضعيفة فيذهبوا بسببها إلى تقييد قوله تعالى: {وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ}** [الأحزاب: 59] بالحرائر دون الإماء وبنوا على ذلك أنه لا يجب على الأمة ما يجب على الحرة من ستر الرأس والشعر، بل بالغ بعض المذاهب فذكر أن عورتها مثل عورة الرجل: من السرة إلى الركبة وقالوا: "فيجوز للأجنبي النظر إلى شعر الأمة وذراعها وساقها وصدرها وثديها". وهذا – مع أنه لا دليل عليه من كتاب أو سنة– مخالف لعموم قوله تعالى: {وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ} [الأحزاب: 59] فإنه من حيث العموم كقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا} الآية [النساء: 43] ولهذا قال أبو حيان الأندلسي في تفسيره: "البحر المحيط" "7/ 250": "**والظاهر أن قوله: {وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ} يشمل الحرائر والإماء، والفتنة بالإماء أكثر، لكثرة تصرفهن، بخلاف الحرائر، فيحتاج إخراجهن من عموم النساء إلى دليل واضح**". وسبقه إلى ذلك الحافظ ابن القطان في "أحكام النظر" "ق 24/ 2" وغيره. **وما أحسن ما قال ابن حزم في "المحلى" "3/ 218 – 219"**: "**وأما الفرق بين الحرة والأمة فدين الله واحد والخلقة والطبيعة واحدة كل ذلك في الحرائر والإماء سواء حتى يأتي نص في الفرق بينهما في شيء فيوقف عنده**"»

ويكمل الألبانى الاستشهاد بكلام ابن حزم فى المحلى:

---

141) **جلباب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة**. تأليف محمد ناصر الدين الألباني. صفحة 91 - 94. دار السلام للنشر والتوزيع. الطبعة الثالثة، 1423هـ -2002 م.

> "وقد ذهب بعض من وهل في قول الله تعالى: {يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ}، إلى أنه إنما أمر الله تعالى بذلك لأن الفساق كانوا يتعرضون للنساء للفسق، فأمر الحرائر بأن يلبسن الجلابيب ليعرف الفساق أنهن حرائر فلا يعترضوهن. قَالَ عَلِيّ: **ونحن نبرأ من هذا التفسير الفاسد** الذي هو إما زلة عالم أو وهلة فاضل عاقل أو افتراء كاذب فاسق **لأن فيه أن الله تعالى أطلق الفساق على أعراض إماء المسلمين وهذه مصيبة الأبد، وما اختلف اثنان من أهل الإسلام في أن تحريم الزنا بالحرة كتحريمه بالأمة، وأن الحد على الزاني بالحرة كالحد على الزاني بالأمة**، ولا فرق وأن تعرض الحرة في التحريم كتعرض الأمة ولا فرق، ولهذا وشبهه وجب أن لا يقبل قول أحد بعد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إلا بأن يسنده إليه عليه السلام."

والآن بعد هذا الكلام القاطع يجدر بنا أن نتعرض لما نسب لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه. لقد ثبت أن عمر بن الخطاب زجر أمة لأنها غطت رأسها وتشبهت بالحرائر.

أخرج ابن أبى شيبة عن قتادة عن أنس قال: رَأَى عُمَرُ أَمَةً لَنَا مُتَقَنِّعَةً، فَضَرَبَهَا وَقَالَ: «لَا تَشَبَّهِي بِالْحَرَائِرِ» وهذا إسناد صحيح[142]. ورواه عبد الرزاق في "المصنف" بإسناد صحيح عن عن قتادة عن أنس أَنَّ عُمَرَ، ضَرَبَ أَمَةً لِآلِ أَنَسٍ رَآهَا مُتَقَنِّعَةً قَالَ: «اكْشِفِي رَأْسَكِ، لَا تَشَبَّهِينَ بِالْحَرَائِرِ"، ورجاله رجال الشيخين[143]. وفى مصنف ابن أبى شيبة عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك قال: "دخلت على عمر بن الخطاب أمة قد كان يعرفها لبعض المهاجرين أو الأنصار، وعليها جلباب متقنعة به، فسألها: عتقت؟ قالت: لا: قال: فما بال الجلباب؟! ضعيه عن رأسك (أى ارفعيه عن رأسك)، إنما الجلباب على الحرائر من نساء المؤمنين، فتلكأت، فقام إليها بالدرة، فضرب بها رأسها حتى ألقته عن رأسها " وهذا سند صحيح على شرط مسلم[144].

ولكي نفهم هذه الروايات جيدا علينا أولا أن نعرف أن هناك فرقا بين القناع والخمار. القناع فى اللغة يشير إلى ما تغطى به المرأة رأسها. والخمار أيضا هو ما تغطى به المرأة رأسها، ولكننا نعتقد أن بين الاثنين فرقا، فالخمار غطاء للشعر يوجد فوقه مباشرة، بينما القناع غطاء خارجى للشعر يوجد فوق الخمار. كلمة (خمار) مشتقة من (خامر) الشئ أى قاربه وخالطه وغطاه، ومن

142) **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل** (6/ 203)
143) رجاله رجال الشيخين. أنس هو الصحابي أنس بن مالك. وقتادة هو قتادة بن دعامة بن قتادة، ومعمر هو معمر بن راشد الأزدى الحدانى.
144) **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل** (6/ 204)

هنا سمى الإيشارب وما شابهه خمارا لأنه يخالط الرأس ولا يفارقها ويظل عليها أغلب الوقت. أما كلمة (القناع) فمأخوذة من فعل (أقنع) أى رفع، فيقال: أَقْنَعَ يَدَيْهِ فِي الصَّلَاةِ إِذا رفعَهما ومدهما فِي الْقُنُوتِ، وَفِي الْحَدِيثِ: (تُقْنِعُ يَدَيْكَ فِي الدُّعَاءِ)، أَي ترفعهُما. وعلى ذلك فيبدو لنا أن غطاء الرأس سمى قناعا لأن المرأة ترفعه إلى أعلى ليغطى الرأس. إن القناع لا يكون فى الأصل على الرأس، ولكنه غطاء للجسم يتم مده حتى يغطى الرأس، ومعجم لسان العرب يعرف القناع أو المِقْنَعةُ على أنه هو "مَا تتَقَنَّعُ بِهِ المرأَةُ مِنْ ثَوْبٍ تُغَطِّي رأْسَها ومحاسِنَها". ويؤيد هذا ما ورد فى رواية عمر الأخيرة: **(وعليها جلباب متقنعة به)، أى أن الجلباب الذي يغطى الجسم تمده المرأة ليغطى رأسها كذلك.** والجلباب فى اللغة هو الملحفة أو الملاءة، وهو ما يسمى فى الأفلام المصرية القديمة ب (الملاية اللف)، وهي تشبه العباءة التى يضعها الرجل على جسمه وقد يمدها ليغطى بها رأسه فى البرد.

معنى هذا أن المرأة ترتدى الخمار أغلب الوقت لكنها تمد القناع لتضعه على رأسها بشكل مؤقت فى بعض الأحيان فقط. مثلا إن كانت المرأة تجلس فى أحد التجمعات النسائية فإنها ترتدى الخمار فقط، لكنها حين تخرج وتمر من أمام الرجال فإنها تضع القناع فوق الخمار. وفى الأفلام المصرية القديمة كانت المرأة ترتدى غطاء الرأس فى بيتها، لكنها إذا خرجت للشارع، وقابلت أحد الرجال قامت بجذب الملاية اللف (القناع– الجلباب– الملحفة– الملاءة) بحيث تغطى أكبر قدر من تفاصيل جسدها بما فى ذلك رأسها المغطى بالخمار (الإيشارب).

خلاصة القول أن الخمار غطاء للرأس يبقى عليها أغلب الوقت، أما القناع فهو رداء للجسم ترفعه المرأة لتغطى به رأسها (فوق الخمار) إذا رآها الرجال.

ويترتب على هذه التفرقة أن سيدنا عمر بن الخطاب حين نهى الإماء عن التقنع (أى تغطية الرأس بالقناع)، وطالبهن بكشف رءوسهن فإن هذا لا يعنى أنه كان يطالبهن بكشف الشعر، ودقق فى كلام عمر تجده يقول: (اكشفى رأسك) ولم يقل: (اكشفى شعرك). وذلك لأن القناع لم يكن هو الغطاء الوحيد للشعر، فهناك نوع آخر من غطاء الشعر هو الخمار يوجد تحت القناع. وهكذا نبرئ عمر بن الخطاب من تهمة مخالفة نص القرآن الصريح الذي يطالب المؤمنات بتغطية الشعر، وأن يمتد الخمار للجيوب: {وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ} [النور: 31].

والآن لا بد أن نطرح سؤالا: لماذا كان عمر بن الخطاب يغضب حين يرى الجوارى يغطين رءوسهن بالقناع أو الجلباب (مع تغطية الشعر بالخمار)؟ هل كان عمر يرمى إلى التفرقة بين الأمة والحرة؟

نقول بثقة: هناك تفسير آخر لموقف عمر: لقد جاء الإسلام فى مجتمع يميز بحكم العادة بين ملابس الحرائر وملابس الإماء. والجارية التى تغطى رأسها بالقناع كى تتشبه بالحرائر فهى تفعل ذلك كى تثبت لنفسها أو لغيرها أنها ليست أقل من الحرائر، وهذا ضرب من ضروب التكبر والتعالى يدل على سخط على قضاء الله، وتمرد على قدره الذى كتبه على عباده. وهذا يذكرنى برجل فقير غير متعلم كنت أراه فى قريتنا، وهو يذهب إلى عمله كل يوم مرتديا حلة (بدلة) كى يتشبه بكبار المتعلمين مع أن حلته كانت قديمة وضيقة عليه، فكان شكله يبعث على الضحك، فكنت أشعر بالإشفاق عليه لأن تقليده لعلية القوم ينم عن سخط داخلى فى نفسه على وضعه الاجتماعى وفقره، وعن محاولات يائسة للاغتراف من الدنيا وكأنها كل شئ، وكأن الآخرة غير موجودة، وكأن الله تعالى ينظر إلى ملابس الناس وليس إلى قلوبهم وأعمالهم. وأتذكر أيضا شخصية "الكحيت" الكاريكاتورية التى أبدعها أحمد رجب، وكلمة (الكحيت) كلمة عامية تعنى "الشديد الفقر"، والكحيت هذا كان فقيرا، لكنه يصر على التصرف كالأغنياء، فيمسك الصحيفة بيديه، ويضع السيجار فى فمه، ويضع رجلا على رجل وهو يجلس مع رجال الأعمال والأغنياء، ويتحدث معهم فى شئون لا يمكن أن يلتفت إليها فقير مثل أسعار الكافيار!! والحقيقة أن كل من صادفتهم من الفقراء الذين يحاولون تقليد الأغنياء وجدتهم مبتعدين عن الله بشكل عام فى سلوكهم وخلقهم وعبادتهم، والواقع أن القرب من الله يورث عزة فى النفس وقرة قى العين ورضا بالحال. لقد فهم عمر بن الخطاب بفطرته وذكائه أن وراء محاكاة الجوارى للحرائر نقص فى إيمانهن، ولهذا نهرهن وضربهن.

وربما أهم مما سبق أن **عمر رضى الله تعالى عنه كان شخصا جادا، ورجل فى جديته لا بد أن يغضب من ذلك النوع من النساء اللائى يحاولن لفت أنظار الرجال.** ومن الممكن أن تتعمد الجارية ارتداء أزياء الحرائر كى توحى للرجال أنها ليست أقل منهن، وأنها بجمالها تنافسهن. وربما فهم عمر بن الخطاب – بما له من خبرة فى الحياة – أن الدوافع الكامنة وراء تصرفاتهن هى دوافع جنسية بحتة، ولذلك نهاهن عن محاكاة الحرائر فى لباسهن.

إذن كان لعمر رضى الله تعالى عنه "بعض الحق"- وليس كل الحق- فى عدم راحته لتلقيد الإماء للحرائر، إلا أننا لسنا مضطرين لفهم تصرف عمر على أنه يمثل التفسير الصحيح لآية الأحزاب 59 بما يدل على أن شرف الجارية مستباح أو أن الإسلام يرضى لها التكشف والتبرج. فالحقيقة التى لا أشك فيها أن **موقف سيدنا عمر من زى الإماء - رغم دوافعه الطيبة- يتناقض مع موقف الإسلام الصحيح الذي عبر عنه أبو ذر الغفارى** حين روى ما يفيد أمر رسول الله عليه السلام بأن يكسو السيد عبده من نفس نوع الملابس التى يرتديها: (إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ)، متفق عليه. **وهذا نص يوجب أن يكون زى الأمة مثل زى سيدتها الحرة. إن حديث أبى ذر متفق عليه، أى رواه البخارى ومسلم، وهذا يجعله على قمة الأحاديث الصحيحة. وإن تناقض حديثان صحيحان وتعذر التوفيق بينهما رجحنا الأقوى سندا والأكثر اتساقا مع روح الإسلام، فما بالك إن كانت المفاضلة هنا بين قول لرسول الله عليه السلام وقول لأحد صحابته، وكان قول الرسول أصح سندا من قول الصحابى**؟ كما أن الصحابى ربما لم يسمع كل نصائح الرسول، وربما سمعها ثم نسيها، وربما سمعها ومال إلى غيرها ظنا منه أنه يفعل الأصوب وهو لا ينتبه إلى أن له حدودا فى الاجتهاد وأنه ليس مُشرعا؟

فلنقل: اجتهد عمر فأخطأ، فكان له إن شاء الله أجر على اجتهاده. وكثيرا ما يحدث أن يتصرف الإنسان برأيه وينسى نصا دينيا يخالف هذا الرأى. ألا تذكرون كيف انفعل عمر بن الخطاب عقب موت النبى عليه السلام، وهدد بالويل والثبور كل من يتناقل هذا الخبر؟ قطعا كان عمر مخطئا فى هذا الموقف، ولقد تدخل أبو بكر فذكره بقول الله تعالى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} [آل عمران: 144]. فقال عمر: "فلكأني لم أقرأها إلا يومئذ". أخرجه ابن ماجه بسند صحيح.

ومن قرأ فى كتب الفقه فلا بد أنه علم كيف اختلف كبار الصحابة فى كثير من المسائل الفقهية. واختلاف الصحابة يعنى أن بعضهم كان على صواب، وبعضهم كان على خطأ. وخطأ بعض الصحابة لا يطعن فى إيمانهم ولا فى خلقهم على الإطلاق لأن من اجتهد فأخطأ فله أجر كما يقول الحديث الشريف.

ومع ذلك فهناك روايتان تزعمان أن عمر رضى الله عنه كان يرى كشف شعر الإماء. الرواية الأولى أخرجها البيهقى عن صفية بنت أبى عبيد قالت: " خرجت امرأة مختمرة متجلببة، فقال عمر رضى الله عنه: من هذه المرأة؟ فقيل: هذه جارية لفلان . رجل من بنيه . فأرسل إلى حفصة رضى الله عنها فقال: ما حملك على أن تخمرى هذه الأمة وتجلبيها وتشبهيها بالمحصنات حتى هممت أن أقع بها، لا أحسبها إلا من المحصنات؟! لا تشبهوا الإماء بالمحصنات ". **وهذه الرواية تفيد أن عمر كان يرفض حتى الخمار، لكن هذه الرواية ضعيفة[145].**

والرواية الثانية أخرجها البيهقى عن أنس بن مالك قال: "كُنَّ إِمَاءُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَخْدُمْنَنَا كَاشِفَاتٍ عَنْ شُعُورِهِنَّ تَضْطرِبُ ثُدِيُّهُنَّ." وإسناده جيد[146]. وهذه الرواية تفيد أن جواري سيدنا عمر كن يكشفن شعورهن، ويرتدين الملابس الضيقة التى تبرز تفاصيل الصدر.

وفي رأينا أن **قوله (كاشفات عن شعورهن) لا يعنى أن الجواري كن بلا خمار، فمن المحتمل أن الواحدة منهن كانت تضع الخمار، وفي نفس الوقت تكشف عن جزء صغير من شعرها** (كشعر مقدمة الرأس أو الضفائر) كما تفعل كثير من البنات المحجبات اليوم، فيصعب على المرء أن يدينها لأن أغلب شعرها مغطى، وستزعم أن الجزء الظاهر قد انكشف رغما عنها.

كما أن **تلك الرواية الأخيرة لا تعنى أن عمر رآهن، ووافق على ما فعلنه، فنحن نعرف أن المرأة كثيرا ما تكشف عن زينتها خلسة مستغلة أى غفلة لولى أمرها** ولو حتى لثوان معدودة، وربما كان عمر يتأخر بعض الوقت حتى يخرج لضيوفه أو يترك الضيوف لبضع دقائق ليقضى بعض شئونه داخل البيت، فتستغل جواريه هذه الغيبة ليبرزن محاسنهن، وربما كان زوار عمر كثيرين، فينشغل ببعضهم، ويبقى غيرهم من الزوار فى جانب بعيدا عنه، فلا يلاحظ عمر ما يجرى عندهم، وهنا يمكن لبعض الجوارى ألا يلتزمن بالوقار فى غفلة من سيدهن. وفى حياتنا قابلنا كثيرا من الرجال المحترمين والشيوخ الأفاضل الذين لم يكونوا ينتبهون لمحاولات بناتهم لفت أنظار الرجال، وهذا شئ لا يضيرهم، بل يضير بناتهم.

---

145) قال الألبانى عن السند: رجاله ثقات غير أحمد بن عبد الحميد فلم أجد له ترجمة. انظر: **إرواء الغليل فى تخريج أحاديث منار السبيل** (6/ 204)

146) إسناده جيد رجاله كلهم ثقات غير شيخ البيهقى أبى القاسم عبد الرحمن بن عبيد الله الحرفى وهو صدوق كما قال الخطيب. انظر: **إرواء الغليل فى تخريج أحاديث منار السبيل** (6/ 204).

وخلاصة رأينا فى هذا الموضوع أن ما روى عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه **لا يفهم منه أنه كان يدعو الإماء إلى كشف الشعر، بل كان يدعوهن فقط لتجنب ارتداء القناع الذى هو غطاء خارجى فوق الخمار الذى يستر الشعر**، وذلك حتى لا يتشبهن بالحرائر فى طريقة لبسهن، وذلك على الأرجح لاعتقاده أن هذا عمل ينم عن ضعف فى الإيمان أو سوء فى السلوك، **ولكن عمر رضى الله عنه أخطأ فى ظنه، وخالف القرآن، وخالف حديثا أخرجه البخاري ومسلم.** أما ما روى عن أمر عمر للإماء بكشف شعورهن أو رضاه بذلك وقبوله إبرازهن لمفاتنهن، ففى سنده أو متنه كلام يدعونا لرفضه.

اعلموا يا إخواني أن **الحجاب له فائدتان أولا أن يحمى المرأة من تحرش الفجار بها وثانيا أن يحمى الرجل من فتنة المرأة. والأمة لا تختلف عن الحرة فى هذين الشيئين**، فلا الإسلام يرضى للأمة المسلمة أن يؤذيها الفجار، ولا الرجل تفرق شهوته بين الحرة والأمة، فالمرأة هى المرأة فى نظر الرجل، بل إن الأقرب للواقع أن تكون الأمة أكثر فتنة للرجل من الحرة بسبب قلة القيود التى كانت تُفرض عليهن من قبل المجتمع فى ذلك الحين.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

6- الحجاب أثناء التبرز فقط!

الشبهة: آية الحجاب (الأحزاب 59) نزلت لسبب خاص، سبب أمنى، فقد نزلت كوسيلة لتجنيب المؤمنات إيذاء الفجار من الرجال الذين كانوا يتعرضون لهن أثناء خروجهن لقضاء الحاجة فى الخلاء، وقد تغير الوضع اليوم، فأصبح كل بيت به دورة مياه، ولم يعد أحد يتحرش بالمرأة وهى تقضى حاجتها. وعلى ذلك فلم يعد هناك اليوم داع لارتداء الحجاب. إن الفقهاء لجأوا إلى القياس الفقهي الذي يعمم الحالات الخاصة التي نزلت فيها الآيات. لكن الفرائض تعرف مباشرة من نص قرآني واضح وصريح ينص على أنها فريضة ويستخدم عبارات مثل "فرض عليكم" أو "كتب عليكم". الفرائض لا تعرف باستنباط أو قياس فقهي لأنها أكبر وأخطر من ذلك بكثير. إنها لا تعرف عن طريق الفقهاء بل عن طريق الأمر الواضح والصريح من الله نفسه، وهذا ما لا يوجد أبدا في الآيات محل النقاش.

الرد على الشبهة:

من قال أن الآية إذا نزلت فى موقف معين فإن حكمها يسرى فقط على هذا الموقف؟ **مثلا حين رأى النبى امرأة مقتولة في إحدى الغزوات قال: «هَا، مَا كَانَتْ هَذِهِ تُقَاتِلُ» ثُمَّ نَظَرَ فِي وُجُوهِ الْقَوْمِ، فَقَالَ لِأَحَدِهِمْ: «الْحَقْ بِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ فَلَا يُقْتُلَنَّ ذُرِّيَّةً، وَلَا عَسِيفًا»[147]**، فهل لعاقل أن يقول بأن الحكم فى هذه الآية خاص ولا يجب تعميمه، بمعنى أن الرسول نهى خالد بن الوليد وحده عن قتل الأطفال والنساء والأجراء، لكنه أحل قتلهم لبقية المسلمين في العصور التالية؟ قطعا لا، والقاعدة الراسخة تقول أن العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب إلا إذا ظهر ما يدل على خلاف ذلك.

وإذا نظرنا إلى آية الأحزاب لوجدنا **أنها لا تحتوي على ما يمكن أن نفهم منه أنها يجب أن تطبق فى موقف خاص فقط عند خروج النساء لقضاء الحاجة (التبرز)**، فالآية تقول: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ)، ولم تقل: (يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن إذا خرجن لقضاء الحاجة).

ثم إن من العجيب أن من يسوقون هذا الاعتراض **يتمسكون حرفيا بالنص القرآنى ويصرون على أن تكون هناك آية صريحة واضحة تفرض الحجاب، ويرفضون القياس الفقهى، وهم بذلك ينحون منحى معاديا للعقل، مع أنهم يصدعون رءوسنا طوال الوقت بأهمية العقلانية وخطورة الجمود وضرورة تجاوز حرفية النصوص.** إنهم يشبهون رجلا قيل له أن التبول فى الماء ينجسه طبقا لحديث: «لاَ يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي المَاءِ الدَّائِمِ الَّذِي لاَ يَجْرِي، ثُمَّ يَغْتَسِلُ فِيهِ»[148]، فيرد على ذلك قائلا: "لقد نهى الرسول فقط عن التبول، ولم ينه عن التبرز، ولهذا سأتبرز في الماء، ثم أتوضأ منه"**!**

ثم إنهم فى نفس الموقف الذي يخمدون فيه العقل، ويدعون إلى التمسك الحرفى بالنص القرآنى تراهم يناقضون أنفسهم بطريقة مذهلة، فيعيدون استعمال العقل بشكل متطرف، ويقولون أنه إذا تغيرت الظروف فى المستقبل واخترعت دورات المياه سيصبح من الجائز

---

147) أخرجه الحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. ونص الحديث عند الحاكم عَنِ الْمُرَقَّعِ بْنِ صَيْفِيِّ بْنِ رَبَاحٍ، أَخِي حَنْظَلَةَ الْكَاتِبِ أَنَّ جَدَّهُ رَبَاحًا أَخْبَرَهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزَا غَزْوَةً كَانَ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ، فِيهَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَمَرَّ رَبَاحٌ وَأَصْحَابُهُ عَلَى امْرَأَةٍ مَقْتُولَةٍ، مِمَّا أَصَابَ الْمُقَدِّمَةُ، فَوَقَفُوا عَلَيْهَا يَتَعَجَّبُونَ مِنْ خَلْقِهَا، حَتَّى لَحِقَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَفَرَّجُوا لَهُ، حَتَّى نَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: **«هَا، مَا كَانَتْ هَذِهِ تُقَاتِلُ» ثُمَّ نَظَرَ فِي وُجُوهِ الْقَوْمِ، فَقَالَ لِأَحَدِهِمْ: «الْحَقْ بِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ فَلَا يُقْتُلَنَّ ذُرِّيَّةً، وَلَا عَسِيفًا»**

148) متفق عليه.

التخلي عن النص الذي يفرض الحجاب. ونحن نسائلهم: أأنتم مع العقل ضد النص أم مع النص ضد العقل؟ ما ملتكم؟

وبالنسبة لزعمهم أنه لم يعد هناك اليوم داع للحجاب بعد أن تغيرت الظروف، ولم تعد النساء يتعرضن للتحرش أثناء قضاء الحاجة، فإننا نقول بأن الظروف بشكل عام لم تتغير، فما زالت المرأة المعاصرة تتعرض للتحرش فى الشوارع ووسائل المواصلات وأماكن العمل، بل إن **التحرش اليوم أصبح أضعاف ما كان عليه فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا يجعلنا فى حاجة أكبر للالتزام بالحجاب**. إن السلاح الذى صوبتموه نحونا قد ارتد إليكم!

ثم إنه بفرض أن آية الأحزاب نزلت من أجل سبب أمنى خاص لم يعد موجودا الآن، فما الرأى فى آية سورة النور التى أمرت النساء بارتداء الخمار أى غطاء الرأس: {وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ} [النور: 31]؟ **هل نزلت هذه الآية هى الأخرى بسبب خروج النساء للتبرز أم أنها آية عامة فى كل موقف؟**

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

7- الحجاب لا يمنع الإغراء

الشبهة: تغطية الشعر لن تقضى على مظاهر الإغراء لأن الإغراء يكون بالكلام والنظرات وحركات الشفاه وغير ذلك.

الرد على الشبهة:

نعم تغطية الشعر لن تقضى على الرذائل، فحيل الإغراء التى تملكها النساء لا تنتهي، لكن يبقى للحجاب دور كبير، وذلك لأن الشعر هو أهم ما تحرص المرأة على جماله، وأهم ما يهتم به خبراء التجميل، ولولا الشعر لأفلست شركات التجميل التي تعيش على بيع آلاف الأنواع من الشامبوهات والكريمات والزيوت. وأكبر دليل على أن الشعر من أهم ما يغري الرجال هو إصرار غير المحجبات على رفض ارتداء الحجاب، فلو لم يكن للشعر تأثير على الرجال لتخلين عنه بسهولة.

وإذا كان الحجاب لا ينجح تماما في منع الزنا، فهل معنى ذلك أن نتخلى عنه؟ قطعا لا، **وإلا لجاز لنا أن نطالب الشرطة بالكف عن ملاحقة تجار المخدرات لأنها ظلت طوال قرن من الزمان لا تقدر على القبض عليهم جميعا.** وبالمثل إن كانت تغطية الرأس تقلل فتنة المرأة من 100% إلى 60% مثلا فهذا شيء جيد جدا، وأفضل من أن نترك المرأة دون غطاء الرأس. ومن غير المعقول أن نمنع كل الأدوية عن أحد المرضى بحجة أنه لا أحد منها ناجح بنسبة 100%. على سبيل المثال لم يكتشف الطب بعد علاجا شافيا لمرض ضمور عضلة القلب الذي يصيب بعض الأطفال، لكن الأطباء لا يتركون الأطفال يموتون أمام أعينهم دون أى تدخل، بل يستخدمون أدوية، تعمل نسبيا على تقوية عضلة القلب وتخفيف الحمل عنها. وفي هذا المعنى **نهى رسول الله عليه الصلاة والسلام عن التحقير من أي عمل صالح حتى لو بدا للناس صغيرا:** «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ» رواه مسلم. وفي حديث آخر نجد أن الأعمال الصالحة درجات، فمنها الصغير، ومنها الكبير: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ – أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ – شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» رواه مسلم.

فتأمل هذا الحديث الأخير، واسأل كارهي الحجاب: ماذا تقولون في رجل رفع القاذورات من طريق الناس؟ أهذا عمل حضاري؟ سيقولون: نعم. فقل لهم: هذا العمل الذي يبدو كبيرا في نظركم هو أقل درجات الإيمان، فهل نتركه؟ سيقولون: لا. فقل لهم: لماذا إذن تطالبون بالتخلي عن الحجاب بحجة أن دوره في منع الإغراء صغير؟

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

8- الوقار أهم من الحجاب

الشبهة: المرأة غير المحجبة يمكن أن تكون في غاية الوقار، بينما المحجبة يمكن أن تكون مثيرة للغرائز.

الرد على الشبهة:

الذين يرددون هذا القول تخفى عليهم طبيعة فتنة المرأة، **ففتنة المرأة للرجل قد تكون مقصودة وقد تكون غير مقصودة.** فأحيانا ترقق المرأة صوتها، وتتمايل في مشيها كي تغري الرجال، لكن

في أحيان أخرى يقع الإغراء دون تعمد من المرأة، فمثلا قد تنزلق فتاة على الأرض، فتتكشف ساقها، فيعجب بها الشباب الواقفون أشد الإعجاب رغم أنها كانت تصرخ من الألم، ولا يمكن أن يكون ذهنها في هذه اللحظة مشغولا بإغرائهم. وسنجد بشكل عام أن **المرأة الجادة الرزينة التى تكشف شعرها تكون مصدر إغراء للرجال، حتى لو كان ذهنها مشغولا بقضايا فلسفية أو بحوث علمية. وهذا يحتم التزام كافة النساء بالحجاب وإخفاء الزينة دون اعتبار لطهارة قلوبهن.**

ثم إن **أغلب المتبرجات يبدو عليهن الوقار في العمل والطريق، ليس لأن هذا طبعهن، ولكن لأنهن يدركن أن مما يقلل من قيمة المرأة أن تباديء الرجال بالإغراء، فالرجال هم الذين يجب أن يسعوا إليها، ويجروا وراءها.** ومثل هذه المرأة ذات الوقار الكاذب يفتضح أمرها إن انفردت بزميل تحبه، أو حضرت حفل زفاف لإحدى صديقاتها، حيث تخلع فورا رداء الوقار، لترقص، وتغني، وكأنها فتاة ليل.

وهناك شيء فى غاية الأهمية ألا وهو أن نساء النبى كن أكثر النساء خلقا وحياء، ومع ذلك تشدد القرآن معهن، ففرض عليهن النقاب الذي يغطى الجسد كله. **ولو كانت عفة المرأة تبيح لها كشف شعرها لكانت أمهات المؤمنين أولى الناس بذلك.** أيتها المتبرجة: أنت لست أفضل من السيدة عائشة. الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

9- محجبات بلا أخلاق

الشبهة: المرأة التي ترتدي الحجاب ليست بأفضل من تلك التي لا ترتديه، فكم من امرأة غير محجبة تعامل الناس بطريقة أفضل من المرأة المحجبة.

الرد على الشبهة:

اعلموا أن **الحجاب لم يشرع بهدف جعل المرأة لا تقتل، ولا تغتاب، ولا تغدر، ولا تسب، ولا تكذب.** الحجاب شرعه الله لهدف محدد، هو حماية الرجل من إغراء المرأة، ومنع وقوع الزنا. هذا هو الأمر ببساطة. و**المرأة المتبرجة سيفتن بها الرجال حتى إن كانت تتصدق على الفقراء، وتبر والديها، وتساعد صديقاتها.** ولهذا فحسن سلوك المرأة ليس مبررا لأن تخلع الحجاب. **هذا**

خلط للأوراق، وهو يشبه رجلا قيل له: «لماذا لا تشتري سيارة؟» فقال: «لأن السيارة لن تنفعني إن أردت أن أسخن المياه». قولوا لهذا الأحمق أن السيارة ما صُنعت لهذا الغرض، **ولا يعيب الشيء عدم قدرته على تحقيق هدف لم يُصنع من أجله. وبالمثل لا يعيب الحجاب إخفاقه في رفع أخلاق المرأة، فما لهذا فُرض الحجاب.**

فإن رأت أحدى النساء أنها إنسانة فاضلة وعلى خلق وتكثر من عمل الخيرات، فنحن نقول لها: "شكرا لك، سيجازيك الله يوم القيامة على أفعالك الحسنة، لكنك ستتعرضين لعقاب الله لأنك أسهمت بجمالك في إغراء الرجال، فأنت لست فاضلة كما تظنين". و**من أشد السخافات أن يتذرع العلماني بحسن الأخلاق كلما طُلب منه أن يفعل شيئا فرضه الله عليه، فيترك الصلاة لأن بعض المصلين يغدرون**، ويترك الصيام لأن بعض الصائمين يفقدون أعصابهم، ويترك الحج لأن بعض الحجاج حجوا من أجل السرقة. هذا تحايل سخيف. **وهل يقبل العلماني أن يأمر ابنه بالمذاكرة، فيرد عليه قائلا: "لن أذاكر لأن أحد أوائل الثانوية العامة في العام السابق كان من المدخنين**"؟ قطعا سيجن جنون الأب، وسيصرخ في وجه ابنه: "ما شأنك، وهذا الطالب المنحرف؟ ذاكر أنت، ولا تدخن". وبالمثل **إن رأيتِ أيتها المرأة فتاة محجبة وأنانية، فكوني أنتِ محجبة وغير أنانية**. وإن رأيت محجبة وغادرة، فكوني أنت محجبة وغير غادرة. الحل بسيط.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

10- الحجاب لا يمنع التحرش

<u>الشبهة</u>: لم ينجح الحجاب في منع التحرش الجنسي، وكلنا نرى أن كلا من المحجبات وغير المحجبات يتعرضن للمضايقة في الشوارع.

<u>الرد على الشبهة:</u>

هذا الكلام غير دقيق. **نحن لم نزعم أن الحجاب يمنع التحرش الجنسى نهائيا، ولكننا نؤكد أنه يقلل احتمال التحرش**، وهذه أثر طيب للحجاب. المرأة المتبرجة تلفت أنظار الرجال في الشوارع، وستكون أكثر عرضة للتحرش، بينما المرأة المحجبة تلفت أنظار عدد أقل من الرجال، وسيقل

احتمال تعرضها للتحرش، وهذا شيء يُحمد للحجاب على أي حال. وليس من العدل أن نرفض شيئا بزعم أن نفعه غير كامل كما أوضحنا في موضع آخر.

السؤال الحق إذن هو: "هل الحجاب يقلل حدوث التحرش أم لا؟" وليس: "هل الحجاب يمنع التحرش نهائيا أم لا؟" فمن المستحيل أن يقضى الحجاب نهائيا على التحرش الجنسى. ولسنا نقول هذا للتحايل، ولكنه بالضبط ما قاله القرآن فى آية الأحزاب 59 حين أمر النساء بأن يدنين عليهن من جلابيبهن: (ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ). ولاحظ أن الآية لم تقل: (حتى يعرفن فلا يؤذين). **وكلمة (أدنى) في الآية معناها (أقرب)، أي أن اللباس الوقور للنساء أقرب إلى أن يمنع التحرش عنهن، أي أنه يقلل احتمال التحرش، ولا يمنعه نهائيا**. إن كلام القرآن فى غاية الدقة.

وتشريع الحجاب فى هذا لا يشذ عن أى تشريع تفرضه الدول، **فأى قانون لا يمكن أن يمنع نهائيا حدوث الجريمة:** عقوبة الإعدام لا تمنع القتل، ولكنها تقلل حدوثه؛ والسجن لا يمنع السرقة، لكنه يقلل حدوثها. ولو أراد برلمان إحدى الدول يوما أن يلغي أي قانون لم ينجح بشكل كامل في منع الجرائم التي سُن من أجلها لخلت الدولة تماما من كافة القوانين.

ومن بين المغالطات التى تقال كذلك أن أغلب النساء اللائى يتعرضن للتحرش هن من المحجبات. إن هذا الكلام صحيح، لكن لماذا؟ لأن أغلب النساء فى بلادنا محجبات، فمثلا إن كان مجتمعنا يتكون من 900 امرأة محجبة و100 امرأة غير محجبة، ثم وجدنا أن 60 امرأة غير محجبة تعرضن للتحرش، بينما تعرضت 90 امرأة محجبة للتحرش، فسيُظَن لأول وهلة أن التحرش كان أكثر في حالة الحجاب، لكن طبقا لهذه الأرقام فإن 60% من النساء غير المحجبات قد تعرضن للتحرش، بينما تعرض 10% من المحجبات للتحرش. معنى هذا أن الحجاب يقلل من نسبة التحرش.

وقد ترتدى المرأة غطاء للرأس، ومع ذلك تكون في الواقع متبرجة، فحجابها يكشف جزاء غير قليل من شعرها، وكذلك رقبتها وصدرها. كما أن ملابسها تكون ضيقة، والعطرح يفوح من ثيابها. وإذا تكلمت خضعت بالقول، ورفعت صوتها بالضحكات. ومثل هذه المرأة لا يجوز أن تحسب

على الإسلام، ولا يعقل أن يقال أن الحجاب لم يحمها من التحرش، فالحجاب مجرد جزء من منظومة أكبر، تهدف إلى الحيلولة دون افتتان الرجال بالنساء.

ثم بفرض – مجرد فرض– أن الحجاب لا يحمى النساء من التحرش، فهذا ليس مبررا للتخلي عنه لأن الحجاب له فائدة أخرى هي تقليل حدوث الزنا.

كما أن **الحجاب يمنع التحرش الجنسى بطريقة غير مباشرة**، وذلك أن **انتشار التبرج بين النساء يؤدى إلى إثارة أعصاب الرجال، ويخلق بداخلهم حالة من التهيج والرغبة الجنسية العامة، فيصبح الرجل متأهبا لتفريغ هذه الطاقة بأى وسيلة، حتى لو كان من خلال التحرش بامرأة قبيحة أو محجبة أو طفلة**. مع الأسف ضرر التبرج لا يقع على الفتاة المتبرجة وحدها، ولكنه يقع أيضا على الفتاة المحجبة.

وقد لاحظت شيئا مهما، ألا وهو أن **المسلم مأمور بغض البصر ليس فقط لأن النظر يؤد للزنا بالمرأة المنظور إليها، فلو كان هذا صحيحا لجاز لشاب فقير دميم أن ينظر بشهوة لممثلة مشهورة لأن من المستحيل أن يقع الزنا بينه وبينها** سواء بالرضا أو الإكراه إذ أنها ستشمئز منه، كما أنها تسير فى حراسة أربعة من الرجال الأشداء. وما هذا التحريم المطلق لإطلاق البصر إلا لأن النظر للنساء، حتى لو لم يؤد للزنا فسيجعل الرجل متهيجا، وهذا قد يدفعه لإشباع رغبته من خلال أي امرأة أخرى بالحرام. ولنفس السبب تحرم مشاهدة الصور الإباحية رغم أن كثير من الرجال يظنون أنها مجرد رسوم لنساء أجنبيات، يستحيل الزنا بهن.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

11- لماذا لا يتحجب الرجال

الشبهة: إذا كان الحجاب فريضة حقا، فلماذا لم يؤمر الرجال بارتداء الحجاب باعتبار أن كثيرا من الرجال يفتنون النساء؟ هذه تفرقة عنصرية.

الرد على الشبهة:

ما هذا الكلام المضحك؟ إن المرء ليس بحاجة للثقافة كى يكتشف أن شعر المرأة أجمل كثيرا من شعر الرجل، وأن ستر زينة المرأة أهم من ستر زينة الرجل، وإخفاء مفاتن المرأة أهم من إخفاء وسامة الرجل.

وحتى لا نطيل الكلام أدعوكم لأن تتابعوا إحدى القنوات الفضائية لمدة ساعة واحدة فقط، لتروا بأنفكسم العدد الهائل من الإعلانات التى تروج لمستحضرات التجميل الخاصة بشعر المرأة من كريمات وشامبوهات وزيوت وحناء وغيرها، وقارنوا بين عددها وعدد الإعلانات الخاصة بشعر الرجال، وسترون بأنفسكم أن إعلانات الرجال نادرة الوجود، وهذا دليل على أن الشعر بالنسبة للمرأة أهم كثيرا من أهميته بالنسبة للرجل.

ثم ما هذه الكلمات المخيفة التى ترهبوننا بها؟ كيف تصفون إلباس الحجاب للمرأة بأنه تفرقة عنصرية؟ إن كان الأمر كذلك، **فهل من قبيل التفرقة العنصرية تغطية المرأة الأمريكية لصدرها على الشواطيء، بينما يكشف الرجل صدره دون حرج؟** إن فرض قانون ما على فئة معينة من الناس لظروف خاصة لا يدخل فى باب التفرقة العنصرية، وهل فرض ضرائب على الأغنياء وإعفاء الفقراء منها يعد تفرقة عنصرية بين المواطنين؟ وهل إخضاع سائقي السيارات للكشف الطبي، وإعفاء سائقي الحمير منه يعد تفرقة عنصرية؟

إن المساواة الكاملة بين المواطنين في كل شيء مستحيلة. **والمهم أن تكون التفرقة بينهم مبررة، وليست نابعة من الرغبة في الإضرار بفئة من الفئات كما يفعل البيض مع السود.** وقد رأينا كيف أن للحجاب ضرورة موضوعية، ولم يكن هدفه مطلقا التضييق على المرأة.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

12- لماذا لا يأمرنا الله بنفسه

الشبهة: عندما يفرض الله شيئا في القرآن فهو يتوجه بالحديث مباشرة لعموم المؤمنين، ولا يوجه كلامه بطريقة غير مباشرة للنبي كي يبلغ عنه. عندما فرض الله الصيام مثلا قال مباشرة: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم)، ولم يقل: (يا أيها النبي بلغ المؤمنين أن يصوموا). أما الآيات التي تستدلون بها على فريضة الحجاب فهي كلها موجهة

للنبي كي يبلغ زوجاته أو بناته أو زوجات وبنات الصحابة، وليست موجهة من الله إلى المسلمين مباشرة.

الرد على الشبهة:

هذا الكلام الساذج يردده أناس يزعمون أنهم مفكرون. ونحن نقول لهؤلاء: ما الفرق بين أن يوجه الله الأمر للمسلمين مباشرة، وبين أن يطلب من الرسول عليه السلام أن يبلغهم إياه؟ النتيجة فى الحالتين هى أن المسلمين سيعرفون أن الله يأمرهم بنفس الشيء. **اختلاف طريقة إخبار الناس بالقانون لا يغير من صلب القانون.** لا فرق بين أن يخبر الوزير بنفسه المواطنين بلوائح جديدة عبر تصريح تلفزيوني وبين أن يرسل مندوبيه للمصالح الحكومية حاملين هذه اللوائح، ففي النهاية سيعرف المواطنون اللوائح، وسيسري نفس القانون بنفس النص، وسيعاقب المخالفون.

ولو لم يكن الحجاب فرضا فلماذا أمر الله تعالى رسوله بأن يأمر المسلمين به؟ هذا عبث. ثم إن الله تعالى أمر المسلمين بطاعة الرسول: {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ} [آل عمران: 32]، وبهذا يستوي أن يأتي فرض الحجاب من الله أو من الرسول. نحن نحاور صبية في عالم الفكر.

والحقيقة أن طلب الله تعالى من رسوله أن يبلغ المسلمين بشريعة الحجاب يعد دليلا على أهمية الحجاب، فلو ورد الأمر بالحجاب فقط في القرآن فربما سمعه المسلمون، وتكاسلوا عن تنفيذه، لكن إن صدر الأمر من الرسول أيضا، فسيخجلون منه، ويلتزمون بالحجاب. إن المسلمين يرون الرسول، ولا يرون الله. والإنسان يميل بطبعه إلى التأثر بما هو مشهود أكثر مما هو غائب، تماما مثلما يقرأ الإنسان آية (وأقيموا الصلاة) مرارا، لكنه لا يصلي إلا إذا أمره والده أو قريبه أو صديقه بها، فالإنسان عادة ما يحرص على ألا يغضب إنسانا مثله.

إن توسيط الرسول كى يبلغ الأمر بالحجاب معناه أنه مطالب بأن يشرف بنفسه على هذه الفريضة، ويراقب التزام المسلمات بها، تماما مثلما يصدر رئيس الجمهورية قرارا، وفي نفس الوقت يطالب المحافظين بأن يتابعوا تنفيذه. الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

13- التقوى في القلب، لا في الحجاب

<u>الشبهة</u>: لكل امرأة الحق في أن ترتدي الحجاب، فهذا حقها باعتبارها إنسانة، لكن ليس من حقها أن تنظر إلى نفسها على أنها أفضل من غير المحجبات، فالتقوى في القلب، وهي علاقة خاصة بين العبد وربه، لا يمكن لأحد الاطلاع عليها، وليست أبدا في المظاهر الخارجية. وليس من حق المحجبة أن تنظر إلى نفسها على أنها حققت مكانة دينية أعلى من غير المحجبات، فهذه المكانة لا يعلمها إلا الله.

<u>الرد على الشبهة:</u>

كيف نقول عن امرأة تعصى الله ولا ترتدى الحجاب أنها تقية؟ التقوى تعنى حرفيا تجنب عقاب الله وغضبه. **والمرأة التى تحب الله، لكنها لا تطيع أمره بالحجاب فقد عصت الله، وصارت مستحقة لعقابه.** وهذا ينهي النقاش على الفور.

إن جملة (التقوى في القلب) في منتهى الغباء لأن القلب إن لم يتمكن من إجبار الجوارح على الخضوع لله فقد أخفق في تجنب عقاب الله. إن لم يستطع القلب أن يقنع العين بغض البصر، ويقنع اليد بالامتناع عن القتل، ويقنع اللسان بالكف عن الغيبة فأنى للإنسان بالنجاة من النار؟ **إن التقوى هي محصلة صراع بين القلب والجوارح، وليست من فعل القلب وحده.**

ونحن نندهش فعلا: كيف يقال أن ما في القلب هو وحده المهم؟ إن العمل لو لم يكن مهما لما سهر الرسول عليه الصلاة والسلام ثلثي الليل كي يصلي ويذكر الله كما حكى القرآن: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ} [المزمل: 20]. وقد كان هذا تنفيذا لأمر الله: {يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (1) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (2) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا} [المزمل: 1- 3]. وروى المُغِيرَةَ بن شعبة: قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ: «أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا» متفق عليه. وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفَطَّرَ رِجْلَاهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَتَصْنَعُ هَذَا، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا» رواه مسلم.

وهل من المعقول أن نصدق سياسيا ثبت تورطه فى قضايا فساد إن قال: "أنا أحب مصر"؟ هل الحب يكون باللسان أم بالفعل؟ **إن الظاهر دليل على الباطن**، ولو كان الباطن هو كل شيء لوجب على الرسول عليه السلام أن يصدق المنافقين إذا جاءوا يعبرون عن حبهم لله ولرسوله: {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ} [المنافقون: 1]. **إننا لا ننكر أن الباطن مهم، ولكننا نقول بأن الظاهر أيضا مهم، والمرأة التي تقول أنها تحب الله، ولكنها في نفس الوقت لا تطيعه في الحجاب فهي تكذب لأن من أحب أحدا فلا بد أن يحرص على طاعته**. الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

14- ستر الوجه أولى من تغطية الشعر

<u>الشبهة</u>: لا يمكن القول بأن الحجاب فريضة بحجة أنه يمنع افتتان الرجال بالنساء لأن هذا إن صح لكان الأمر بستر الوجه أولى وأوجب، ذلك أن الوجه أشد جذباً واغراء من الشعر.

<u>الرد على الشبهة:</u>

حقا الوجه أكثر إثارة للفتنة من الشعر، لكن **هناك ضرورة لكشف الوجه، بينما لا توجد ضرورة لكشف الشعر**، فكشف الوجه مهم كى يتمايز الناس عن بعضهم، ويُعرف كل واحد بسمته، ويتزوج كل إنسان بمن يحب. ولو فرض الله تعالى تغطية الوجه على النساء لكنتم أول من يتهمه بالتشدد. الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

15- نفس الفرائض للجنسين

<u>الشبهة</u>: لا يمكن اعتبار الحجاب فريضة إسلامية، فالفريضة الاسلامية لا تخص جنس بعينه، وهي على الذكر كما هي على الانثى.

<u>الرد على الشبهة:</u>

ما هذا الجهل؟ ألا تعلمون أن المرأة في الإسلام لها بعض التشريعات التى تختلف عن تشريعات الرجل، فلا يجوز لها مثلا أن تصلى وهي حائض، ولا يجوز لها أن تتزوج أثناء العدة، ولا يحل

لها أن تتزوج أكثر من رجل في نفس الوقت، كما أن نصيبها من الميراث يختلف عن نصيب الرجل. وفي المقابل فرضت الشريعة على الرجل أمورا أعفيت منها المرأة كالقتال، وصلاة الجمعة، والإنفاق على الأسرة، والمهر؟ الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

16- حجاب حمورابي

الشبهة: كيف يأمر القرآن بالخمار، وقد كان موجوداً فى الجاهلية؟ وكيف يأمر بالحجاب وقد كان مقرراً فى شريعة حمورابى من ثلاثة ألاف سنة قبل الإسلام وطبقته أثينا وبيزنطة؟

الرد على الشبهة:

هل من المنطقي أن يتعمد الإسلام مخالفة من سبقوه؟ الإسلام يأمر بالحق سواء عرفه الآخرون أو جهلوه. ولنعلم أن الأمم السابقة لم تكن على ضلال كامل، بل كانت تجمع بين الحق والباطل، فأقر الإسلام ما لديها من حق، ونهى عما عندها من باطل. **ألا تعلمون أن الله فرض الصيام على المسلمين رغم أنه كان معروفا لدى الأمم السابقة:** {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: 183]. **كما حرمت الشريعة اليهودية القتل والزنا، فجاء الإسلام ليوافقها؟** بل ألم يخبرنا الإسلام أن الجاهلية لم تكن كلها شرا، فقال صلى الله عليه وسلم:" خِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الْإِسْلَامِ، إِذَا فَقِهُوا"؟ [149] وهكذا فالحجاب ليس بدعا من القول. الحجاب يشبه غيره من التشريعات التي فرضها الإسلام رغم معرفة الأمم السابقة بها. وهذا دليل على عدل الإسلام.

ثم إن وجود الحجاب في الجاهلية لم يكن ملزما لأحد، فلما جاء الإسلام صار واجبا، لا يقُبل من أي مسلمة تركه، فعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: " يَرْحَمُ اللَّهُ نِسَاءَ المُهَاجِرَاتِ الأُوَلَ، لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ: {وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ} [النور: 31] شَقَّقْنَ مُرُوطَهُنَّ فَاخْتَمَرْنَ بِهَا" رواه البخاري. الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

---

149) رواه أحمد. وإسناده صحيح، على شرط مسلم. انظر تعليق محققي **"مسند أحمد"** (16/ 201)

17- اللص والحجاب

الشبهة: قال لى أحد الأصدقاء الأجانب أنه يرفض فرض الحجاب على المرأة بحجة الحيلولة دون إثارة غرائز الرجال، فهذا يشبه منع المرء من ارتداء ثوب جميل حتى لا يثير شهوة اللصوص، فيسرقوه. إن اتهام المرأة بأنها السبب فيما لحقها من تحرش يشبه اتهام الرجل بأنه المتسبب في سرقة ثوبه. فهل على القوانين أن تترك المجرم، وتعاقب الضحية؟

الرد على الشبهة:

رددت على الصديق قائلا: المثال الذى ضربته بارع حقا، لكنه في الحقيقة غير دقيق. المثال الصحيح كالآتى:

عائلة ثرية تقيم حفل شواء في قرية يموت سكانها من الجوع. هذه العائلة لا يمكن أن تكون طيبة لأنها لم تظهر التعاطف مع أهل القرية، ولم تفكر في أن تعطي جيرانها الفقراء بعضا من الطعام اللذيذ. وإن لم تعطف الأسرة على هؤلاء الفقراء فليس هناك إلا احتمالان: أولا أن يهاجم فقراء القرية الأسرة، وينهبوا طعامها. الاحتمال الثاني أن يبيت الفقراء في حرمان ونكد بسبب ما أحدثته رائحة الشواء في نفوسهم. ولو كانت هذه الأسرة تتمتع بالحكمة لصنعت طعاما لا تفوح رائحته، أو لأغلقت باب المطبخ.

وبنفس المنطق نقول أن من واجب المرأة أن تخفى مفاتنها باستثناء الوجه والكفين حتى لا تثير غرائز الشباب المساكين الذى لا يقدرون على الزواج، وحتى لا تثير غرائز المجرمين والأوغاد الذين يمكن أن يتحرشوا بها. وإن قصرت المرأة في حماية نفسها من التحرش، فهى تستحق اللوم.

ثم إن الثوب إن سُرق منك فلن تخسر الكثير، لكن إن فقدت المرأة شرفها بالاغتصاب أو الزنا فأي شيء يعوضها؟

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

****

وبعد، لعل القارىء قد لاحظ أن هذه الشبهات فى غاية التفاهة والسطحية، وتنم عن جهل شديد بأبسط حقائق الإسلام. وقد راودنى لبعض الوقت شعور بأننى أضيع وقتى هباء فى تفنيد دعاوى ساقطة، والأجدر بى أن أوجه جهدى لأشياء أكثر فائدة، ولكن ما العمل، ونحن نرى كيف يسقط أمام أعيننا جيل كامل من الشباب بسبب شبهات هزيلة، تستمد كل قوتها من جهل من يستمع إليها. إن جهل الشباب بالإسلام يحتم علينا أن نبرهن له على البديهيات والأصول والقواعد. لقد أصبح المرء يجد نفسه مضطرا للدخول في مناظرة طويلة مع شاب كى يثبت له أن الإسلام يحرم الزنا وأن كلمة (النكاح) في القرآن تعنى الزواج. كما أصبحنا نرى شبابا يطلبون دليلا على وجود نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. كان الله في عون الدعاة اليوم.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

وردت أحاديث شريفة في غاية الصحة تلعن ما تفعله بعض النساء من التجمل بواسطة تغيير خلقتهن التي خلقهن الله عليها كوصل الشعر، والوشم، وتفليج الأسنان، والنمص.

ووصل الشعر هو أن تأخذ المرأة شعرا غير شعرها، ثم توصله أو تربطه بشعرها الحقيقى حتى يبدو أكثر كثافة وجمالا. وقد لعن الرسول عليه الصلاة والسلام كلا من "الواصلة" و"المستوصلة" و"الموصولة". و"الوَاصِلَةُ" هى التي تَصِلُ شَعْرَهَا، أو شَعْرَ غَيْرِهَا بِشَعْرٍ آخَرَ. "وَالمَوْصُولَةُ" هي التي يُوصَلُ شَعْرُهَا. "والمُسْتَوْصِلَةُ" هي التي تَسْأَلُ مَنْ يَفْعَلُ لها ذلك[150]. ويقاس على وصل الشعر لبس الباروكة (الشعر المستعار) والأظافر الصناعية والرموش الصناعية المستعارة[151].

والتنمص هو إزالة الشعر من الوجه، مأخوذ من المِنماص، وهو المنقاش. والمتنمِّصة هي المرأة التي تطلب أن يزال شعر وجهها. والنامصة: هي المرأة التي تزيل الشعر[152].

أمّا عن "الواشمة" و"المستوشمة" فيشيران إلى الوَشم. ويتم الوشم بأن تغرز المرأة ظهر كفها أو مِعصَمِهَا بإبرة أو مِسَلَّةٍ حتى تؤثّر فيه، ثم تحشوه بالكحل أو بالنَّؤُورِ، فيخضرّ بفعل ذلك بدارات ونقوش[153].

وبالنسبة للمتفلجات: فَلَج الأسنان هو تباعدها وتفرقها. والمتلفجة هى المرأة التي تبرد أسنانها لتفترق عن بعضها.

والشيء اللافت للنظر أن **الأحاديث التي تحرم هذه الأنواع من وسائل الزينة كثيرة، وفى غاية القوة**، فقد اتفق على إخراج كثير منها البخارى ومسلم، كما أنها رويت عن أكثر من صحابى،

---

150) **دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين** (8/ 479). تأليف محمد علي بن محمد بن علان. اعتنى بها: خليل مأمون شيحا. دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان. الطبعة الرابعة، 1425 هـ - 2004 م

151) ورد فى فتاوى اللجنة الدائمة: (لا يجوز استخدام الأظافر الصناعية، والرموش المستعارة، والعدسات الملونة؛ لما فيها من الضرر على محالها من الجسم، ولما فيها -أيضا- من الغش والخداع وتغيير خلق الله.) انظر: **"فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الأولى"** (17/ 134-133). المؤلف: اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء. جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش. الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء -الإدارة العامة للطبع- الرياض

152) **التوضيح لشرح الجامع الصحيح** (23/ 370). تأليف ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري. تحقيق دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث. الناشر: دار النوادر، دمشق – سوريا. الطبعة الأولى، 1429 هـ - 2008 م

153) **المعلم بفوائد مسلم** (3/ 139). تأليف أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التَّمِيمي المازري. تحقيق الشيخ محمد الشاذلي النيفر. الناشر: الدار التونسية للنشر، المؤسّسة الوطنية للكتاب بالجزائر، المؤسّسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدّراسات بيت الحكمة. الطبعة الثانية، 1988 م، والجزء الثالث صدر بتاريخ 1991م.

ومنهم السيدة عائشة، وأسماء بنت أبى بكر، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن مسعود، وأبو هريرة، وجابر بن عبد الله، ومعاوية بن أبى سفيان، وأَبو جُحَيْفَةَ. ولذا **فهذه الأحاديث متواترة من حيث المعنى**، وإن اختلفت في ألفاظها. وإليكم أهم هذه الأحاديث:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ الوَاصِلَةَ وَالمُسْتَوْصِلَةَ، وَالوَاشِمَةَ وَالمُسْتَوْشِمَةَ» رواه البخارى.
- عنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَتْ: «لَعَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الوَاصِلَةَ وَالمُسْتَوْصِلَةَ» رواه البخارى
- عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ الوَاصِلَةَ وَالمُسْتَوْصِلَةَ، وَالوَاشِمَةَ وَالمُسْتَوْشِمَةَ» رواه البخارى ومسلم.
- وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ الوَاصِلَةَ» رواه البخارى
- عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: «لَعَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الوَاصِلَةَ وَالمُسْتَوْصِلَةَ، وَالوَاشِمَةَ وَالمُسْتَوْشِمَةَ» رواه البخارى
- عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَعَنَ اللَّهُ الوَاشِمَاتِ وَالمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالمُتَنَمِّصَاتِ، وَالمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، المُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ» مَا لِي لاَ أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ. أخرجه البخارى.
- وعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ: «زَجَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَصِلَ الْمَرْأَةُ بِرَأْسِهَا شَيْئًا» رواه مسلم.
- وعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ جَارِيَةً مِنَ الأَنْصَارِ تَزَوَّجَتْ، وَأَنَّهَا مَرِضَتْ فَتَمَعَّطَ شَعَرُهَا، فَأَرَادُوا أَنْ يَصِلُوهَا، فَسَأَلُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ الوَاصِلَةَ وَالمُسْتَوْصِلَةَ» رواه البخارى ومسلم. و(تمعط شعرها) يعنى تساقط وتمرط.
- عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: إِنِّي أَنْكَحْتُ ابْنَتِي، ثُمَّ أَصَابَهَا شَكْوَى، فَتَمَرَّقَ رَأْسُهَا، وَزَوْجُهَا يَسْتَحِثُّنِي بِهَا، أَفَأَصِلُ رَأْسَهَا؟" فَسَبَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الوَاصِلَةَ وَالمُسْتَوْصِلَةَ " وراه البخارى. وفى رواية مسلم أَنَّ امْرَأَةً أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: «إِنِّي زَوَّجْتُ ابْنَتِي فَتَمَرَّقَ شَعَرُ رَأْسِهَا وَزَوْجُهَا يَسْتَحْسِنُهَا، أَفَأَصِلُ يَا رَسُولَ اللهِ فَنَهَاهَا».

(تمرق) بالراء من المروق وَهُوَ خُرُوج الشّعْر من مَوْضِعه. وفى صحيح مسلم: فتمزق بالزاي. (يستحثنى بها): يلح علىَّ ويحضنى على الدخول بها. (يستحسنها): أي يعجب بجمالها وحسنها، ويتعجل الدخول بها

- وفى لفظ آخر عن أَسْمَاءَ، قَالَتْ: سَأَلَتِ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ ابْنَتِي أَصَابَتْهَا الحَصْبَةُ، فَامَّرَقَ شَعَرُهَا، وَإِنِّي زَوَّجْتُهَا، أَفَأَصِلُ فِيهِ؟ فَقَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ الوَاصِلَةَ وَالمَوْصُولَةَ» رواه البخارى. وفى رواية مسلم: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي ابْنَةً عُرَيِّسًا أَصَابَتْهَا حَصْبَةٌ فَتَمَرَّقَ شَعْرُهَا أَفَأَصِلُهُ، فَقَالَ: «لَعَنَ اللهُ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ».

(عُرَيِّسًا): تصغير عروس، والعروس كلمة تطلق على كل من الرجل والمرأة يوم البناء أو الزفاف. (امَّرق شعرها): تمرق وَتَسَاقَطَ. (الحصبة): هي مرض الحصبة الذى يصاحبه طفح جلدى.

- وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ الوَاشِمَاتِ وَالمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالمُتَنَمِّصَاتِ وَالمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، المُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ» مَا لِي لاَ أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ. رواه البخارى.

- وعَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: «لَعَنَ عَبْدُ اللَّهِ، الوَاشِمَاتِ وَالمُتَنَمِّصَاتِ، وَالمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ المُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ» فَقَالَتْ أُمُّ يَعْقُوبَ: مَا هَذَا؟ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: «وَمَا لِي لاَ أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ، وَفِي كِتَابِ اللَّهِ؟» قَالَتْ: وَاللَّهِ لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ فَمَا وَجَدْتُهُ، قَالَ: " وَاللَّهِ لَئِنْ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} [الحشر: 7] " رواه البخارى. وفى رواية لعلقمة عن عبد الله فى البخاري، قال: (الوَاشِمَاتِ وَالمُوتَشِمَاتِ). و(الموتشمات) جمع موتشمة، وهي التي يفعل فيها الوشم.

- وعَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ: أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، عَامَ حَجَّ، وَهُوَ عَلَى المِنْبَرِ، وَهُوَ يَقُولُ، وَتَنَاوَلَ قُصَّةً مِنْ شَعْرٍ كَانَتْ بِيَدِ حَرَسِيٍّ: أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْهَى عَنْ مِثْلِ هَذِهِ، وَيَقُولُ: «إِنَّمَا هَلَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَ هَذِهِ نِسَاؤُهُمْ» أخرجه البخارى ومسلم.

(حَرَسِيٍّ): أحد الحراس. (قُصة من شعر): خُصلة من الشعر.

- وعن سَعِيدَ بْنَ المُسَيِّبِ، قَالَ: قَدِمَ مُعَاوِيَةُ المَدِينَةَ، آخِرَ قَدْمَةٍ قَدِمَهَا، فَخَطَبَنَا فَأَخْرَجَ كُبَّةً مِنْ شَعَرٍ، قَالَ: مَا كُنْتُ أَرَى أَحَدًا يَفْعَلُ هَذَا غَيْرَ اليَهُودِ «إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمَّاهُ الزُّورَ. يَعْنِي الوَاصِلَةَ فِي الشَّعَرِ» رواه البخارى ومسلم. وفى لفظ آخر لمسلم: أَنَّ مُعَاوِيَةَ، قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ: إِنَّكُمْ قَدْ أَحْدَثْتُمْ زِيَّ سَوْءٍ: «وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ الزُّورِ» قَالَ: وَجَاءَ رَجُلٌ بِعَصًا عَلَى رَأْسِهَا خِرْقَةٌ قَالَ مُعَاوِيَةُ: أَلَا وَهَذَا الزُّورُ قَالَ قَتَادَةُ: «يَعْنِي مَا يُكَثِّرُ بِهِ النِّسَاءُ أَشْعَارَهُنَّ مِنَ الْخِرَقِ».

(الْخِرَقِ) جمع خِرْقة وهى القطعة من الثوب الممزق[154]

---

154) قال ابن حجر: «وَهَذَا الْحَدِيثُ حُجَّةٌ لِلْجُمْهُورِ فِي مَنْعِ وَصْلِ الشَّعْرِ بِشَيْءٍ آخَرَ سَوَاءٌ كَانَ شَعْرًا أَمْ لَا، وَيُؤَيِّدُهُ حَدِيثُ جَابِرٍ: "زَجَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَصِلَ الْمَرْأَةُ بِشَعْرِهَا شَيْئًا: أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ويستفاد مِنَ الزِّيَادَةِ فِي رِوَايَةِ قَتَادَةَ مَنْعَ تَكْثِيرِ شَعْرِ الرَّأْسِ بِالْخِرَقِ كَمَا لَوْ كَانَتِ الْمَرْأَةُ

- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «العَيْنُ حَقٌّ» وَنَهَى عَنِ الوَشْمِ. رواه البخارى.
- عَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ، قَالَ: رَأَيْتُ أَبِي، فَقَالَ: «إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ ثَمَنِ الدَّمِ، وَثَمَنِ الكَلْبِ، وَآكِلِ الرِّبَا وَمُوكِلِهِ، وَالوَاشِمَةِ وَالمُسْتَوْشِمَةِ» رواه البخارى.
- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أُتِيَ عُمَرُ بِامْرَأَةٍ تَشِمُ، فَقَامَ فَقَالَ: أَنْشُدُكُمْ بِاللَّهِ، مَنْ سَمِعَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الوَشْمِ؟ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُمْتُ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ أَنَا سَمِعْتُ، قَالَ: مَا سَمِعْتَ؟ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لاَ تَشِمْنَ وَلاَ تَسْتَوْشِمْنَ» رواه البخارى.

كانت هذه أهم الأحاديث. لكن لماذا نهى الرسول عليه الصلاة والسلام عن وسائل التجميل هذه؟ هناك في رأينا عدة أسباب:

السبب الأول: التدليس

وسائل الزينة السابقة تدخل في باب الغش والتدليس الذي كان يلجأ إليه الناس لإخفاء قبح النساء عن أزواجهن قبل الزفاف. وهذه العلة نجدها فقط في بعض الأحاديث، فقد رأينا كيف أتت الأم تشكو للرسول عليه الصلاة والسلام أن ابنتها تساقط شعرها، وهي توشك على الدخول، وتريد أن تخفى العيب عن الزوج، فنهاها الرسول عليه السلام. وقد وصف النبى وصل الشعر بالزور كما قال معاوية بن أبى سفيان في روايات أخرى.

والقول بأن علة النهى عن وصل الشعر هو أنه يتضمن التدليس[155] قال به كثير من العلماء. يقول المازَرى: «وَصْل الشَّعَر عِندَنَا مَمنوع للحديث قال القاضي عبد الوهاب: والمعنى فيه أنّ فيه غرورًا وتدليسًا»[156]. وقال القسطلانى عن وصل الشعر: «وإن كان طاهرًا وأذن الزوج فيه

مَثَلًا قَدْ تَمَزَّقَ شَعْرُهَا فَتَضَعُ عِوَضَهُ خِرَقًا تُوهِمُ أَنَّهَا شَعْرٌ وَقَدْ أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَقِبَ حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ هَذَا حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ وَفِيهِ وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ قَالَ النَّوَوِيُّ يَعْنِي يُكَبِّرْنَهَا وَيُعَظِّمْنَهَا بِلَفِّ عِمَامَةٍ أَوْ عِصَابَةٍ أَوْ نَحْوِهَا قَالَ وَفِي الْحَدِيثِ ذَمُّ ذَلِكَ» [**فتح الباري** (10/ 375)]

155) اجتهد بعض العلماء فذكروا عللا أخرى لتحريم الوصل، فرأى بعضهم أن الوصل حرام إن كان الشعر مأخوذا من إنسان (لأن جسد الإنسان له حرمته، ويجب دفن ما يقطع من شعره) أو من حيوان نجس، أما إن كان الشعر مأخوذا من حيوان غير نجس أو من الصوف فهو حلال. قال القسطلانى: « فإن كان الذي يتصل به شعر آدمي فحرام اتفاقًا لحرمة الانتفاع به كسائر أجزائه لكرامته، بل يدفن وإن كان من غيره فإن كان نجسًا من ميتة أو انفصل حيًّا مما لا يؤكل فحرام لنجاسته وإن كان طاهرًا وأذن الزوج فيه جاز وإلاّ فلا». انظر: "**إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (شرح القسطلاني)**" (7/ 377).

وقال النووي عن الوصل: «وَقَدْ فَصَّلَهُ أَصْحَابُنَا فَقَالُوا إِنْ وَصَلَتْ شَعْرَهَا بِشَعْرِ آدَمِيٍّ فَهُوَ حرام بلا خلاف سَوَاءٌ كَانَ شَعْرَ رَجُلٍ أَوِ امْرَأَةٍ وَسَوَاءٌ شعر المحرم والزوج وغيرهما بلاخلاف لِعُمُومِ الْأَحَادِيثِ وَلِأَنَّهُ يَحْرُمُ الِانْتِفَاعُ بِشَعْرِ الْآدَمِيِّ وسائر أجزائه لِكَرَامَتِهِ بَلْ يُدْفَنُ شَعْرُهُ وَظُفْرُهُ وَسَائِرُ أَجْزَائِهِ وَإِنْ وَصَلَتْهُ بِشَعْرٍ غَيْرِ آدَمِيٍّ فَإِنْ كَانَ شعرا نجسا وَهُوَ شَعْرُ الْمَيْتَةِ وَشَعْرُ مَا لَا يُؤْكَلُ إِذَا انْفَصَلَ فِي حَيَاتِهِ فَهُوَ حَرَامٌ أَيْضًا للحديث ولأنه حَمَلَ نَجَاسَةً فِي صَلَاتِهِ وَغَيْرِهَا عَمْدًا وَسَوَاءٌ فى هذين النوعين المزوجة وغيرها مِنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ وَأَمَّا الشَّعْرُ الطَّاهِرُ مِنْ غَيْرِ الْآدَمِيِّ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا زَوْجٌ ولاسيد فَهُوَ حَرَامٌ أَيْضًا وَإِنْ كَانَ فَثَلَاثَةُ أَوْجُهٍ أحدها لايجوز لظاهر الأحاديث والثانى لايحرم وَأَصَحُّهَا عِنْدَهُمْ إِنْ فَعَلَتْهُ بِإِذْنِ الزَّوْجِ أَوِ السَّيِّدِ جَازَ وَإِلَّا فَهُوَ حَرَامٌ» انظر: "**شرح النووي على مسلم**" (14/ 103). ولم أجد دليلا على وجوب دفن الشعر أو الأظافر.

156) **المعلم بفوائد مسلم** (3/ 139)

جاز، وإلاّ فلا».[157] وكلام القسطلانى يعنى أنه فهم أن العلة من تحريم الوصل هي التدليس، ولذا فإن أذن به الزوج انتفت العلة، وزال الحكم.

وقال الحافظ بن حجر أن بعض العلماء أباحوا وصل الشعر إن تم بطريقة تجعل من يراه يدرك أن هناك شعرا أضيف إلى شعر المرأة الأصلى، وبالتالي تنتفي شبهة التدليس، كما أباحوه إن تم بعلم الزوج: «وَفَصَلَ بَعْضُهُمْ بَيْنَ مَا إذا كَانَ مَا وصل بِهِ الشّعْر من غير الشّعْر مَسْتُورا بعد عقده مَعَ الشّعْر بِحَيْثُ يظنّ أَنه من الشّعْر وَبَين مَا إذا كَانَ ظَاهرا فَمنع الأول قوم فَقَطْ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّدْلِيسِ وَهُوَ قَوِيٌّ. وَمِنْهُمْ مَنْ أَجَازَ الْوَصْلَ مُطْلَقًا سَوَاءٌ كَانَ بِشَعْرٍ آخَرَ أَوْ بِغَيْرِ شَعْرٍ إِذَا كَانَ بِعِلْمِ الزَّوْجِ وَبِإِذْنِهِ وَأَحَادِيثُ الْبَابِ حُجَّةٌ عَلَيْهِ»[158].

وتكلم النووي عن الوصل، فرأى أنه حرام مطلقا، لكنه نقل رأى جماعة من العلماء يقولون أنه يحل إن أذن به الزوج: «وَأَمَّا الشَّعْرُ الطَّاهِرُ مِنْ غَيْرِ الْآدَمِيّ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا زَوْجٌ ولاسيد فَهُوَ حَرَامٌ أَيْضًا وَإِنْ كَانَ فَثَلَاثَةُ أَوْجُهٍ أحدها لايجوز لظاهر الأحاديث والثانى لايحرم وَأَصَحُّهَا عِنْدَهُمْ إِنْ فَعَلَتْهُ بِإِذْنِ الزَّوْجِ أَوِ السَّيِّدِ جَازَ وَإِلَّا فَهُوَ حَرَامٌ»[159]

لكن القول بأن علة التحريم هي التدليس يعارضه رواية للبخارى تفيد أن زوج إحدى النساء–وليس أهلها– هو الذي طلب وصل الشعر: عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ زَوَّجَتِ ابْنَتَهَا، فَتَمَعَّطَ شَعَرُ رَأْسِهَا، فَجَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَتْ: إِنَّ زَوْجَهَا أَمَرَنِي أَنْ أَصِلَ فِي شَعَرِهَا، فَقَالَ: «لاَ، إِنَّهُ قَدْ لُعِنَ المُوصِلاَتُ». وهذه الرواية الأخيرة شاذة لأن كل الروايات المماثلة لدى البخاري ومسلم وغيرهما[160] تفيد أن أهل الفتاة –وليس زوجها– هم الذين سعوا لوصل شعرها، ولهذا يجوز رد هذه الرواية رغم صحة سندها.

---

157) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (7/ 377)

158) فتح الباري لابن حجر (10/ 375)

159) شرح النووي على مسلم (14/ 103). وتكلم النووي عن رأيه في المسألة، فقال: «وَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ صَرِيحَةٌ فِي تَحْرِيمِ الْوَصْلِ وَلَعْنِ الْوَاصِلَةِ وَالْمُسْتَوْصِلَةِ مُطْلَقًا وَهَذَا هُوَ الظَّاهِرُ الْمُخْتَارُ..... وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الْمَسْأَلَةِ فَقَالَ مَالِكٌ وَالطَّبَرِيُّ وَكَثِيرُونَ أَوِ الْأَكْثَرُونَ الْوَصْلُ مَمْنُوعٌ بِكُلِّ شَيْءٍ سَوَاءٌ وَصَلَتْهُ بِشَعْرٍ أَوْ صُوفٍ أَوْ خِرَقٍ وَاحْتَجُّوا بِحَدِيثِ جابر الذى ذكره مُسْلِمٌ بَعْدَ هَذَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَجَرَ أَنْ تَصِلَ الْمَرْأَةُ بِرَأْسِهَا شَيْئًا وَقَالَ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ النَّهْيُ مُخْتَصٌّ بِالْوَصْلِ بِالشَّعْرِ وَلَا بَأْسَ بِوَصْلِهِ بِصُوفٍ وَخِرَقٍ وَغَيْرِهَا وَقَالَ بَعْضُهُمْ يَجُوزُ جَمِيعُ ذَلِكَ وَهُوَ مروى عن عائشة ولايصح عَنْهَا بَلِ الصَّحِيحُ عَنْهَا كَقَوْلِ الْجُمْهُورِ قَالَ الْقَاضِي فَأَمَّا رَبْطُ خُيُوطِ الْحَرِيرِ الْمُلَوَّنَةِ وَنَحْوِهَا مما لايشبه الشعر فليس بمنهى عنه لأنه ليس بوصل ولاهو في معنى مقصود الوصل وانما هُوَ لِلتَّجَمُّلِ وَالتَّحْسِينِ»

160) من أمثلة تلك الروايات:
عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، أَنَّ امْرَأَةً أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: إِنَّ لِي ابْنَةً عَرُوسًا، وَإِنَّهَا مَرِضَتْ، فَتَمَرَّقَ شَعَرُهَا أَفَأَصِلُهُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَعَنَ اللهُ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ " رواه أحمد، وهو صحيح.
وعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ جَارِيَةً مِنَ الْأَنْصَارِ زُوِّجَتْ، وَأَنَّهَا مَرِضَتْ، فَتَمَعَّطَ شَعَرُهَا، فَأَرَادُوا أَنْ يَصِلُوهُ، " فَسَأَلُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْوِصَالِ، فَلَعَنَ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ " رواه أحمد، وهو صحيح على شرط الشيخين.

ونحن نرى أن التدليس أحد أسباب تحريم وصل الشعر، لكنه ليس السبب الوحيد، ولذا فغياب التدليس لا يؤدى بالضرورة إلى إباحة الوصل.

السبب الثانى: الإغراء

أشار بعض العلماء إلى أن الإسلام حرم وصل الشعر والوشم والنَمْص وغيرها لأنها سبب للفتنة والإغراء. ولا شك أن تزين المرأة لزوجها مباح بل مستحب، لكن التنمص وتفليج الأسنان والوشم يمثلون تغييرات طويلة الأمد، وهي تختلف عن الكحل والخضاب ونحوهما من وسائل التجميل التى يسهل إزالتها. وإن تجملت المرأة لزوجها فى البيت بالثياب والكحل وغيره، ثم خرجت فى الصباح إلى السوق مثلا، أزالت وسائل التجميل هذه حتى لا يراها الرجال الغرباء. أما إن وضعت الوشم أو فلجت أسنانها أو نمصت حواجبها فلن تقدر على أن تغير شيئا مما فعلته بسهولة، وهذا يجعلها تظهر أمام الرجال الأجانب وهي متجملة، فتكون فتنة لهم.

السبب الثالث: تغيير خلق الله

العلة الثالثة للنهى عن التنمص والوصل والوشم وتفليج الأسنان أنها تتضمن تغيير خلق الله[161]. وهذه العلة ذكرها الرسول عليه الصلاة والسلام في بعض الأحاديث كقوله: «لَعَنَ اللَّهُ الوَاشِمَاتِ وَالمُوتَشِمَاتِ، وَالمُتَنَمِّصَاتِ وَالمُتَفَلِّجَاتِ، لِلْحُسْنِ المُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ» متفق عليه. وتغيير خلق الله جريمة توعد الشيطان أن يغرى بنى آدم بارتكابها: {لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (118) وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا} [النساء: 118، 119].

وعَنْ أَسْمَاءَ، قَالَتْ: أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ امْرَأَةٌ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي ابْنَةً عَرِيسًا، وَإِنَّهُ أَصَابَتْهَا حَصْبَةٌ، فَتَمَرَّقَ شَعْرُهَا، أَفَأَصِلُهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَعَنَ اللهُ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ " رواه أحمد، وهو صحيح على شرط الشيخين

وعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَتْ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ لِي بُنَيَّةً عَرِيسًا، وَإِنَّهُ تَمَرَّقَ شَعْرُهَا، فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ إِنْ وَصَلْتُ شَعْرُهَا؟ قَالَ: " لَعَنَ اللهُ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ " رواه أحمد، وهو صحيح على شرط الشيخين

وعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، أَنَّ امْرَأَةً، مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَتْ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ لِي بُنَيَّةً عَرِيسًا وَإِنَّهُ تَمَرَّقَ شَعَرُهَا، فَهَلْ عَلَيَّ مِنْ جُنَاحٍ إِنْ وَصَلْتُ رَأْسَهَا؟، وَقَالَ وَكِيعٌ: تَمَرَّطَ شَعْرُهَا، قَالَ: " لَعَنَ اللهُ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ " رواه أحمد، وهو صحيح على شرط الشيخين.

وعَنْ أَسْمَاءَ، قَالَتْ: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: إِنَّ ابْنَتِي عُرَيِّسٌ، وَقَدْ أَصَابَتْهَا الْحَصْبَةُ فَتَمَرَّقَ شَعْرُهَا، فَأَصِلُ لَهَا فِيهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَعَنَ اللَّهُ الْوَاصِلَةَ، وَالْمُسْتَوْصِلَةَ» رواه ابن ماجه، وصححه الألباني.

161) قال ابن الملقن: «واختلف في المعنى الذي نهى عن الوشم وشبهه، فقيل: لأنه من باب التدليس. وقيل: من باب تغيير خلق الله الذي يأمر به الشيطان، قال تعالى مخبرًا عنه: {وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ} [النساء: 119] وهذا إنما فيما يكون باقيا، فأما ما لا يكون باقيًا كالكحل والتزين؛ فقد أجازه مالك وغيره، حكاه القرطبي، وكرهه للرجال، وأجاز مالك أيضًا نشر المرأة يديها بالحناء». انظر: **التوضيح لشرح الجامع الصحيح** (23/ 371).

إن وسائل التجميل التى نهت عنها الأحاديث تشترك في أنها تعبث بجسد الإنسان، وهذا حرام لأن الإنسان لا يملك جسده، وليس من حقه أن يتصرف فيه. **هب أنك خرجت يوما من بيتك، فوجدت جارك الفنان قد رسم صورة جميلة على بيته**، فبدا لك أن تدخل بعض التعديلات على الصورة حتى تبدو أكثر جمالا، فهل تتوقع أن يتقبل الفنان تعديلاتك؟ قطعا لا، لأنه لا يحق لإنسان أن يمد يده على شيء لا يملكه إلا بعد أن يستئذن صاحبه. كما أن الصورة التي تعجب شخصا قد لا تعجب شخصا آخر. وسيقول لك الفنان: أنت لست أكثر موهبة مني حتى تعدل ما رسمتُه. وربما تعمد الفنان رسم الصورة بطريقة معينة كي توحي بمعنى لا ينتبه إليه الآخرون، كأن يرسم شمسا سوداء، تشرق على بلده من فرنسا. واللون الأسود للشمس غريب، لكن المعنى المراد أن النور القادم من بلد العلمانية هو في حقيقته ظلام وضلال. وقد يرسم الفنان الصورة على جزء صغير من الحائط، فيقول الناس: "لماذا لم يكبر الصورة رغم اتساع الحائط؟" مع أن الرسام فعل ذلك كي يترك مكانا لصورة أخرى في المستقبل.

إن إدخال تعديلات على التصميم الطبيعي لجسم الإنسان ينطوي ضمنا على اتهام الله عز وجل بأنه لم يحسن خلق جسم الإنسان، وكان أولى به أن يخلقه بشكل أفضل. إن الله عز وجل قادر على كل شيء، وليس من الصعب عليه أن يجعل كل النساء في جمال نجمات هوليود أو في حسن الحور العين، لكنه عز وجل تعمد خفض مستوى الجمال عند البشر حتى لا ينشغلوا به عن مهمة إعمار الأرض، وحتى لا يتفشى بينهم الزنا. إن الطفل قد يتململ من مسدس مصنوع من البلاستيك اشتراه له أبوه، ويصر على أنه أقل جودة من المسدس الحقيقي، لكن الأب تعمد ألا يعطي ابنه المسدس الأحسن حتى لا يقتل به أصحابه. الخلاصة: العبث بما يملكه الآخرون جريمة، والعبث بما يملكه الله جريمة أكبر.

ويترتب على هذا نتيجة في غاية الأهمية، وهي أنه لا يحق لإنسان أن يغير تركيب جسده لأن الجسد ملك لله، وليس ملكا للإنسان. وبناء على هذا، **فكل عمليات التجميل التي تجريها النساء الجميلات بهدف اكتساب المزيد من الجمال حرام**، وهذا يشمل عمليات تكبير الثديين والشفتين والأرداف وشد الوجه وتجميل الأنف. لقد وصل الهوس بهذه العمليات حدا لا يعقل، فقد أصبحت المرأة تجرى الجراحة ليس لأنها قبيحة، وليس لأنها تبغي أن تكون جميلة، ولكن لأنها تريد أن تصبح أجمل امرأة في العالم، أو تكون شبيهة ببعض نجمات التمثيل والغناء. وقرأت ذات مرة

موضوعا فنيا عن الممثلات اللائى لم يجرين أي جراحات تجميل، ففوجئت بأن عددهن لا يتجاوز أصابع اليد، فقد أصبحت جراحات التجميل هي القاعدة التي تشذ من تخالفها.

ولكن قد يقال: "**إن التنمص والوشم ووصل الشعر وتفليج الأسنان تمثل تغييرا طفيفا في خلق الله لا يستحق كل هذه الإدانة التي وصلت إلى حد اللعن**". ونحن نقول: إن لعن من يقوم بهذه التغييرات الخفيفة في خلق الله يوصل رسالة مفادها أن الإنسان ليس من حقه أبدا أن يعبث بخلق الله، ولو بدرجة طفيفة. الاقتراب من جسم الإنسان ممنوع ولو بأقل القليل. إن جسم الإنسان ليس ملكا للإنسان، بل ملكا لله، ومن ذا الذي يجرؤ على أن يمد يده على شيء يملكه الله؟ هذه جريمة شنيعة، فالجريمة الصغيرة تصبح كبيرة إن ارتكبت في حق شخصية مهمة، فإن سب رجل أحد المارة، فلن ينتبه إليه أحد، لكن إن سب أحد رئيس الجمهورية فستقوم الدنيا، ولن تقعد.

وأعترف أننى ظللت لفترة طويلة لا أستطيع ابتلاع هجوم الرسول العنيف على شيء مثل وصل الشعر، وكنت أقول ما العيب من أخذ شعر امرأة، ووصله بشعر امرأة أخرى؟ إن الشعر شيء ميت لا يضر المعطى، ولا يضر الآخذ. ولم أفهم المسألة إلا حين تذكرت كيف كانت تقوم المشاجرات الكبرى في قريتنا بين جارين لأن أحدهما حاول توسيع بيته من خلال ضم مسافة لا تتجاوز 10 سنتيمترات من أرض جاره. كان الناس في القرى يعتبرون هذه مسألة حياة أو موت، ليس لأنهم سيفقدون قطعة كبيرة من أرضهم، ولكن لأن هذا عدوان على كرامتهم، وجرأة على أغلى ممتلكاتهم، ألا وهي الأرض. ثم تخيلت لو أن الدولة وضعت لافتة تقول أن قطعة الأرض المحاطة بسلك شائك هي أرض تابعة للقوات المسلحة، فهل يجرؤ أحد المواطنين على أن يضع يده على 10 سنتيمترات فقط منها؟ قطعا لا. وحين نحتفل بنصر أكتوبر كل عام تردد وسائل الإعلام: مقولة: "شعبنا لا يمكن أن يتنازل عن شبر واحد من أرضه". لماذا إذن نتعجب من نهي الشريعة المغلظ عن تغيير خلق الله؟ هذا شيء طبيعى تماما، فأي تغيير ولو طفيف للجسد يعد جريمة في حق الله لأن مالك الجسد هو الله، وليس الإنسان.

ولكن قد يقال أن الله تعالى لا يملك الجسد فقط، بل يملك المال والأرض والبحر والطعام، ومع ذلك من المسموح به لكل إنسان أن يتصرف في هذه الأشياء دون أن يعد هذا عدوانا على الله، فلماذا تثار هذه الضجة حول جسم الإنسان بالذات؟ ونحن نقول: من قال أن الله تعالى ترك

للإنسان مطلق الحرية في التصرف في هذه الأشياء؟ هناك ضوابط إسلامية تقيد التصرف فيها، فمثلا لا يجوز الإسراف في الطعام والشراب، ولا يجوز إقراض المال بالربا، ولا يجوز أن نبني على الأرض بيتا للبغاء، ولا يجوز أن نلوث المياه ونفسد في البحر، وهكذا. وذكر الله تعالى في القرآن أن المال ماله، وأن الإنسان مجرد خليفة لله عليه: {وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ} [الحديد: 7]

ولكن هل يعنى هذا تحريم إجراء عمليات التجميل التي تعالج العيوب الخلقية والتشوهات الناتجة عن الحروق والحوادث؟ مثلا إن احترق وجه امرأة فهل نتركه بهذا الشكل المنفر؟ وإن تهشم وجه رجل في حادث فهل نترك وجهه كما هو؟ وهل نترك طفلا ولد بشفة أرنبية أو شق في سقف الحنك أو أنف شديد الطول أو أذن الوطواط؟ هل نتركه بشكله القبيح، ليكون أضحوكة بين الناس؟ وهل نترك امرأة مصابة بتضخم هائل في حجم الثديين لتعاني من صعوبة في الحركة وآلام في الظهر؟

الإجابة: لا. من الجائز إجراء جراحات التجميل لعلاج التشوهات، والدليل على ذلك أن **الأحاديث السابقة التي نهت عن تغيير خلق الله كانت تقول: «لَعَنَ اللهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالنَّامِصَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ» وكلمة (للحسن) توحي بأن تغيير خلق الله يكون حراما إن كان هدفه اكتساب الحسن والجمال، أما التغيير الذي يهدف إلى إزالة القبح والعيوب فهو مباح.** وتكلم ابن الملقن عن قول الرسول: (والمتلفجات للحسن)، فقال: **[وقوله: (لِلحُسْن) إشارة إلى أن الحرام منه هو المفعول لطلب الحسن، أما إذا احتيج إليه لعلاج أو عيب في السن وتحدبه فلا بأس به]**[162].

ويؤكد ذلك حديث شريف، يخبرنا أن أحد الرجال قطعت أنفه في أحد الحروب، فوضع مكانها أنفا صناعيا من وَرِق (أي فضة)، فلم تنفع، فأمره الرسول عليه الصلاة والسلام أن يتخذ أنفا من ذهب: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ طَرَفَةَ، أَنَّ جَدَّهُ عَرْفَجَةَ أُصِيبَ أَنْفُهُ يَوْمَ الْكُلَابِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَاتَّخَذَ أَنْفًا مِنْ وَرِقٍ، فَأَنْتَنَ عَلَيْهِ، «فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَتَّخِذَ أَنْفًا مِنْ ذَهَبٍ» أخرجه

---

162) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (23/ 371)

أحمد[163]. وهذا الحديث يتفق مع نزعة الإسلام العامة التي تقدر الجمال كما في قوله تعالى: {يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (31) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [الأعراف: 31، 32] وقال تعالى: {وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ} [النحل: 6]. وفى الحديث الشريف: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ» رواه مسلم.

وفضلا عن ذلك فقد **حث الإسلام على التداوي**، فقد سأل بعض الأعراب الرسول عليه الصلاة والسلام، فقالوا: يا رسولَ الله أنتداوى؟ فقال: «تَدَاوَوْا، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يَضَعْ دَاءً إلا وضع له دَوَاءً غيرَ داءٍ واحدٍ الهرَمُ»[164]. **وجراحات التجميل التي تصلح العيوب الخلقية والتشوهات تدخل في باب التداوى لأن الله تعالى لم يخلق الجسد الطبيعي بهذه التشوهات، ولذا فهي أمراض.**

وعلى ذلك فعلاج العيوب الخلقية يعد استثناءا من قاعدة النهى عن تغيير خلق الله. وإن عدنا لمثال الفنان الذي ضربناه منذ قليل، لوجدنا أن أحد الأطفال إن رسم خطوطا عشوائية على صورة الفنان، فقام شخص بإزالة هذه الخطوط وإصلاح الألوان كي تعود الصورة لحالتها الأصلية فإن الفنان لن يغضب من هذا الشخص لأنه لم يحاول تغيير التصميم الأصلي للصورة، بل حاول إعادتها للهيئة التي قصدها الفنان، وبالعكس سيشكره على صنيعه. وبالمثل جراحات تجميل العيوب الخلقية لا توجب الاستنكار، بل الشكر.

---

163) إسناده حسن، عبد الرحمن بن طرفة- وإن روى عنه اثنان، ولم يؤثر توثيقه عن غير ابن حبان ووثقه العجلي- قد حسن حديثه الترمذي، وقال الآجري: سئل أبو داود عن عبد الرحمن بن طرفة: حديث أبي الأشهب؟ قال: هذا حديث قد رواه الناس. قلنا: وقد أدرك جدَّه كما صرح بذلك أبو الأشهب عقب هذه الرواية، وذكر البخاري في "تاريخه الكبير" 64/4 أنه رأى جده قلنا: فحملوا ذلك على الاتصال، والله أعلم، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين غير صحابيه، فقد روى له أصحاب السنن خلا ابن ماجه. أبو الأشهب. هو جعفر بن حيان العطاردي. وأخرجه أبو داود (4233) ، والبيهقي في "السنن" 425/3 من طريق يزيد ابن هارون، بهذا الإسناد. وأخرجه البخاري في "التاريخ الكبير" 7/64-65، وأبو داود (4232) و (4233)، والترمذي في "سننه" (1770) ، وفي "العلل" 2/738-739 والنسائي في "المجتبى" 164/8، وفي "الكبرى" (9464) ، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (1406)، وفي "شرح معاني الآثار" 257/4 و258، وابن قانع في "معجمه" 2/280-281، وابن حبان (5462) ، والطبراني في "الكبير" 17/ (369) ، والبيهقي في "السنن" 425/2، وفي "السنن الصغير" (338) ، وفي "المعرفة" (5047) و (5048) ، وفي "الشعب" (6329) من طرق عن أبي الأشهب، به. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، إنما تعرفه من حديث عبد الرحمن بن طرفة، وقد روى غير واحد من أهل العلم أنهم شدوا أسنانهم بالذهب، وفي هذا الحديث حجَّةٌ لهم. وأخرجه ابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (2810) عن محمد بن خالد ابن عبد الله، عن أبيه، عن أبا الأشهب، عن أشياخ من حيِّه، أن رجلاً من الحي يقال له: عرفجة بن سعد، أصيب أنفه ... فذكره. انظر: تعليق المحققين على **"مسند أحمد"** (31/ 344). وأكد الألبانى اتصال سند هذا الحديث، ثم قال: (فليس للحديث علة عندى إلا جهالة حال عبد الرحمن هذا، وإن وثقه العجلى وابن حبان، فإنهما معروفان بالتساهل فى التوثيق، ومع ذلك فإن بعض الحفاظ يحسنون حديث مثل هذا التابعى ولو كان مستورا غير معروف العدالة كالحافظ ابن كثير وابن رجب وغيرهما، والله أعلم). انظر: **"إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل"** (3/ 308)

164) إسناده صحيح كما قال محققا **"سنن أبي داود"** (6/ 5). وأخرجه ابن ماجه، والترمذي، والنسائي في "الكبرى"، وهو في "مسند أحمد"، و"صحيح ابن حبان".

وفى أحد الأحاديث الصحيحة نجد إباحة صريحة لفعل هذه المحرمات التي تتضمن تغيير خلق الله إن كان هذا لعلاج مرض أو داء، ففي مسند أحمد عَنْ ابن مسعود قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «نَهَى عَنْ النَّامِصَةِ وَالْوَاشِرَةِ وَالْوَاصِلَةِ وَالْوَاشِمَةِ **إِلَّا مِنْ دَاءٍ**"».[165،166]

وذكر ابن المُلقِّن أن **التنمص ليس حراما إن كان غرضه إزالة شعر اللحية أو الشارب إن نبتا في وجه امرأة،** واعتبر رأى ابن جرير –الذي حرم ذلك– رأيا شاذا. يقول ابن الملقن عن التنمص: «وهو حرام إلا إذا نبت للمرأة لحية أو شوارب فلا يحرم بل يستحب عندنا، والنهي إنما هو في الحواجب وما في أطراف الوجه. وانفرد ابن جرير فقال: لا يجوز حلق لحيتها ولا عنفقتها ولا شاربها، ولا تغيير شيء من خلقها بزيادة ولا نقص»[167].

وسُئل الشيخ ابن عثيمين: هل يجوز للمرأة أن تستعمل الباروكة " الشعر المستعار"؟ فأجاب: الباروكة محرمة وهي داخله في الوصل، وإن لم تكن وصلاً فهي تظهر رأس المرأة على وجه أطول من حقيقته فتشبه الوصل وقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم الواصلة والمستوصلة، لكن **إن لم يكن على رأس المرأة شعر أصلاً أو كانت قرعاء فلا حرج من استعمال الباروكة ليستر هذا العيب لإن إزالة العيوب جائزة،** ولهذا أذن النبي صلى الله عليه وسلم لمن قطعت أنفه في إحدى الغزوات أن يتخذ أنفاً من ذهب، فالمسألة أوسع من ذلك، **فتدخل فيها مسائل التجميل وعملياته، فما كان لإزالة عيب فلا بأس به مثل أن يكون في أنفه اعوجاج** فيعدله أو إزالة بقعة سوداء مثلاً فهذا لا بأس به، أما إن كان لغير إزالة عيب كالوشم والنمص مثلاً فهذا هو الممنوع)[168].

ولكن هل هناك تناقض بين كلامنا هنا، وبين الأحاديث التى تروى كيف نهى الرسول عليه الصلاة والسلام امرأة أرادت أن تصل شعر ابنتها قبل الزواج؟

---

165) قال الألبانى: إسناده صحيح على شرط مسلم. انظر: "**غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام** (ص: 74).
وقال محققو مسند أحمد: إسناده قوي، عبد الوهاب بن عطاء - وهو الخفاف - فيه كلام خفيفٌ، وقد عرف بصحبته لسعيد بن أبي عروبة، وسمع منه قبل الاختلاط، وكتب كتبه، وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح. انظر: **مسند أحمد** (7/ 58)
166) الواشِرَةُ هي المرأَة الَّتِي تَشِرُ أَسنانها، وَذَلِكَ أَنها تُفَلِّجها وتُحَدِّدها حَتَّى يَكُونَ لَهَا أُشُر، والأُشُر: حِدَّة ورِقَّة فِي أَطراف الأَسنان؛ وإِنما يَكُونُ ذَلِكَ فِي أَسنان الأَحداث، تَفْعَلُهُ المرأَة الْكَبِيرَةُ تَتَشَبَّهُ بأُولئك. انظر: معجم لسان العرب
167) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (23/ 370)
168) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين. (11/ 137). تأليف محمد بن صالح بن محمد العثيمين. جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان. دار الوطن - دار الثريا. الطبعة الأخيرة - 1413 هـ

نحن نقول أن تلك كانت حالة خاصة هدفها منع التدليس، فالعروس أصابها مرض جلدي، أدى إلى تساقط شعرها، ولا شك أن الإنسان ينفر بوجه خاص من الأمراض الجلدية لأنها مقززة، ولأنها يمكن أن تنتقل إليه بالاختلاط والتعامل عن قرب مع المريض. وقديما كانت العدوى بالفطريات تصيب الرأس، فتؤدى إلى تساقط الشعر. هذا النوع من العدى قليل هذه الأيام، لكننا كنا نراه بكثرة فى الماضى، وكان منظره فعلا يدعو للنفور. ويقينا منظر كهذا يؤذي الزوج فى ليلة الزفاف التى يفترض فيها الجمال والسرور والقرب. وحتى إن نجح الوصل في إخفاء المرض الجلدي، فقد يصيب مناطق أخرى من الشعر، لم تكن مصابة من قبل. ولهذا وجب على أهل العروس أن يخبروا الرجل أولا بمرض عروسه، فيكون له الحق في أن يقرر هل يدخل بها فى الموعد المحدد، أم يؤجل الزواج حتى تشفى، أم يتراجع عن الزواج بها. وعلى ذلك **فتغيير خلق الله بهدف التداوى وإصلاح العيوب الخلقية أمر مباح، لكن إن ترتب على ذلك خداع الزوج أو نقل عدوى له، أو جرح مشاعره، ونفوره من زوجته صار المباح حراما.**

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

قيود على التنقل والسفر

انطلقت المرأة المعاصرة، وفكت القيود، واحدا تلو الآخر. ومن أهم القيود التى تحررت منها تلك التى تتعلق بالتنقل والسفر، فالمرأة اليوم تستطيع أن تسافر وحدها خارج البلاد، ولم يعد أكثرنا يرون غرابة في ذلك. ولما اشتعلت الحرب بين روسيا وأوكرانيا مؤخرا فوجئت بوجود أعداد كبيرة من الفتيات المصريات المسلمات اللائي كن قد سافرن وحدهن إلى أوكرانيا من أجل الدراسة. فهل ترك الحبل على الغارب للمرأة بهذه الصورة مقبول في شريعة الله؟

أدلة منع سفر المرأة دون محرم

سفر المرأة وحدها حرام بنصوص قاطعة. فاقرأوا معى تلك النصوص التي لا يحب أحد أن يتذكرها اليوم:

- عنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لاَ تُسَافِرِ المَرْأَةُ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ**» متفق عليه.

- عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لاَ تُسَافِرِ المَرْأَةُ مَسِيرَةَ يَوْمَيْنِ إِلَّا وَمَعَهَا زَوْجُهَا أَوْ ذُو مَحْرَمٍ**» متفق عليه.

- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ: سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ، **وَلاَ تُسَافِرَنَّ امْرَأَةٌ إِلَّا وَمَعَهَا مَحْرَمٌ**»، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اكْتُتِبْتُ فِي غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا، وَخَرَجَتِ امْرَأَتِي حَاجَّةً، قَالَ: «اذْهَبْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ» متفق عليه.

- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، **أَنْ تُسَافِرَ سَفَرًا يَكُونُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَصَاعِدًا، إِلَّا وَمَعَهَا أَبُوهَا، أَوِ ابْنُهَا، أَوْ زَوْجُهَا، أَوْ أَخُوهَا، أَوْ ذُو مَحْرَمٍ مِنْهَا**» رواه مسلم.

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ **أَنْ تُسَافِرَ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لَيْسَ مَعَهَا حُرْمَةٌ**» رواه البخارى.

(معها حرمة): معها رجل من محارمها كأبيها أو زوجها.

- عن أَبِى هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ مُسْلِمَةٍ تُسَافِرُ مَسِيرَةَ لَيْلَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا رَجُلٌ ذُو حُرْمَةٍ مِنْهَا**» رواه مسلم.

- عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، **تُسَافِرُ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ عَلَيْهَا**» رواه مسلم.

كانت هذه هى الأحاديث المتعلقة بسفر المرأة، والتي وردت بالصحيحين. وكما ترون **فهى أحاديث فى غاية الصحة، فقد أخرجها البخارى ومسلم، ورويت عن أكثر من صحابى؟** وهى متواترة فيما يتعلق باشتراط المحرم.

واختلاف الأحاديث حول تحديد الفترة التى يمنع بعدها سفر المرأة دون محرم ربما كان بسبب اختلاف السائلين؛ يقول القرطبي[169]: «قَالَ أَبُو عُمَرَ: اضْطَرَبَتِ الْآثَارُ الْمَرْفُوعَةُ فِي هَذَا الْبَابِ كَمَا تَرَى فِي أَلْفَاظِهَا، وَمُجْمَلُهَا عِنْدِي- وَاللَّهُ أَعْلَمُ- أَنَّهَا خَرَجَتْ عَلَى أَجْوِبَةِ السَّائِلِينَ، فَحَدَّثَ كُلُّ وَاحِدٍ بِمَعْنَى مَا سَمِعَ، كَأَنَّهُ قِيلَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَقْتٍ مَا: هَلْ تُسَافِرُ الْمَرْأَةُ مَسِيرَةَ يَوْمٍ بِغَيْرِ مَحْرَمٍ؟ فَقَالَ: لَا. وَقِيلَ لَهُ فِي وَقْتٍ آخَرَ: هَلْ تُسَافِرُ الْمَرْأَةُ يَوْمَيْنِ بِغَيْرِ مَحْرَمٍ؟ فَقَالَ: لَا. وَقَالَ لَهُ آخَرُ: هَلْ تُسَافِرُ الْمَرْأَةُ مَسِيرَةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ بِغَيْرِ مَحْرَمٍ؟ فَقَالَ: لَا. وَكَذَلِكَ مَعْنَى اللَّيْلَةِ وَالْبَرِيدِ عَلَى مَا رُوِيَ، فَأَدَّى كُلُّ وَاحِدٍ مَا سَمِعَ عَلَى الْمَعْنَى، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَيَجْمَعُ مَعَانِي الْآثَارِ فِي هَذَا الْبَابِ- وَإِنِ اخْتَلَفَتْ ظَوَاهِرُهَا- الْحَظْرُ عَلَى الْمَرْأَةِ أَنْ تُسَافِرَ سَفَرًا يُخَافُ عَلَيْهَا فِيهِ الْفِتْنَةُ بِغَيْرِ مَحْرَمٍ، قَصِيرًا كَانَ أَوْ طَوِيلًا».

وعلينا أن نأخذ بأقل مدة وردت في الأحاديث، أي أن السفر الذي يستغرق مسيرة يوم وليلة بدون محرم لا يجوز. وورد في أحد الأحاديث تحريم السفر الذي يستغرق (مسيرة ليلة) واحدة، وهو لا يختلف عن (يوم وليلة) لأنه لا أحد يبدأ السفر أثناء الليل، بل يسافر بالنهار، فيدخل عليه الليل أثناء السفر. **باختصار: السفر الذي يستغرق يوم ظوليلة أو أكثر حرام بدون محرم.**

169) **تفسير القرطبي** (5/ 355)

أما عن عن سفر المرأة القصير، فهو مباح بدليل ما ذكرته السيدة أسماء بنت أبي بكر، قالت: «كُنْتُ أَنْقُلُ النَّوَى مِنْ أَرْضِ الزُّبَيْرِ الَّتِي أَقْطَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَأْسِي، وَهِيَ مِنِّي عَلَى ثُلُثَيْ فَرْسَخٍ». متفق عليه. والفرسخ – طبقا لمعجم لسان العرب– يعادل ثلاثة أميال أو ستة، أي أن السيدة أسماء كانت تنتقل وحدها لمسافة ميلين كل يوم[170]، وهذه المسافة تساوى المسافة بين قريتين من قرانا.

قيود السفر لحماية المرأة من الغرباء

فرض القيود على سفر المرأة نابع من الرغبة في حمايتها، فالمرأة فى السفر الطويل تكون معرضة لأخطار كبيرة، فالإنسان إن كان وحيدا دون أهله سهل إيذاؤه، وصار هدفا للطامعين والمجرمين، خاصة إن ذهب إلى بلد غريب لأول مرة، وقابل قوما، لايدرى شيئا عن طباعهم وسلوكهم. وإن كان السفر إلى بلد غير مسلم كانت المخاطر أشد لأن الناس هناك يستحلون الخمر، التي تذهب عقولهم، وقد تسول لهم أن يعتدوا على المرأة الغريبة، كما أنهم يستحلون الزنا، ولا يعنيهم أن تفقد المرأة شرفها.

كما أن السفر إن طال **أصبح على المرأة أن تبيت خارج بيتها، وهذا يضاعف الخطر المحيق بها. ويبدو أن هذا هو السبب في تحديد أقل مدة يشترط معها وجود المحرم بليلة واحدة** كما أوضحنا من قبل، فالأحاديث لا تحرم السفر الذي يستغرق نهارا واحدا فقط، أما إن طال السفر لأكثر من نهار، ودخل الليل وجب وجود المحرم. وقديما كان المسافرون ينامون في الطريق، وكانت المرأة تبقى داخل الهودج، الذي يشبه القبة التي توضع على ظهر الجمل. والمرأة أثناء النوم تكون في أضعف حالاتها، فإن اقترب منها أحد محاولا الاعتداء عليها فلن تشعر به. وبما أن المسافرين مع المرأة ليسوا من محارمها، فلن يستميتوا في الدفاع عنها إن حاول أحد الاقتراب منها، بل قد يكونون هم أول من يحاول الاعتداء عليها.

والسفر في العصر الحديث يحمل أخطارا للمرأة، فالمرأة لا تضمن أن يضايقها أحد نزلاء الفندق خاصة إن كان مخمورا. وإن ركبت سيارة أجرة (تاكسي) فلا تضمن أن يعتدي عليها السائق

170) هذا على افتراض أن الفرسخ ثلاثة أميال، فلو اعتبرنا أن الفرسخ يساوي ستة أميال لكان من غير المعقول أن تمشي السيدة أسماء كل يوم مسافة أربعة أميال ثم تعود مرة أخرى.

خاصة أنها لا تعرف الطرق التي يسلكها، وهل هو ذاهب حقا إلى الوجهة التي تبغيها أم يريد اختطافها. وقد يرصدها بعض المجرمين، فيلاحظون ارتباكها، وجهلها بالبلد، ولغتها الأجنبية أو لكنتها المختلفة، فيتتبعونها، ويتحينون الفرصة للانقضاض عليها.

إن وجود الرجل بجوار المرأة فى السفر يمثل مصدر حماية لها من عدوان الغرباء، والمرأة تشعر بأمان أكبر فى ظل وجود الرجل. حقا هناك من المجرمين من تبلغ بهم الجرأة أن يضايقوا المرأة في وجود زوجها أو أخيها إلا أن هذه ليست القاعدة، والغالب أن يبتعدوا عنها حتى لو كان الرجل المصاحب لها ضعيفا، فهناك ما يمكن أن نسميه بالرادع النفسى الذي يجعل المجرم يعمل حسابا لأى رجل يرافق المرأة بصرف النظر عن قوته، لأن وجود الرجل معها يعنى أنها لن تتجاوب أبدا مع من يراودها عن نفسها، أما المرأة التى تسير وحيدة فهى تعطى دون قصد الأمل للفاسق بأنها ستستجيب له، فيتشجع ويضايقها. وحتى لو كان غرض المجرم السرقة فإن وجود الرجل الضعيف مع المرأة أفضل من وجودها وحدها، كما أن الرجل يتسم عادة بالقوة النفسية والثبات الانفعالي حتى لو كان جسده ضعيفا، وهذا يعطي المرأة إحساسا أكبر بالأمان.

وما يقوله بعض الفقهاء عن إباحة سفر المرأة دون محارمها إن توافرت الصحبة الآمنة لا يمكن قبوله لأنه لا أحد يحرص على حماية المرأة أو يعرض نفسه للموت دفاعا عنها مثل محارمها. كما أن فكرة الصحبة الآمنة تخالف أحاديث الرسول التي اشترطت وجود محرم مع المرأة. أيظن هؤلاء أن المرأة من أهل المدينة كانت تسافر أيام الرسول بمفردها بالناقة؟ قطعا لا، فقد كانت تسافر مع جماعة كلهم من المسلمين (كما في رحلة الحج). فلماذا لم يبح لها الرسول عليه الصلاة والسلام السفر مع تلك الصحبة الآمنة؟

حقا إن المرأة يمكن أن تتعرض للمضايقات فى بلدها أو فى بلد قريب منها[171] لكن هذا أقل حدوثا لأن المرأة تكون قريبة من أهلها المتأهبين للدفاع عنها. كما أن من المستحيل أن يمنع الإسلام حركة المرأة في المسافات القصيرة، لأن معنى هذا أن يترك الرجال أعمالهم، ويقعدوا كل

171) مثل هذه المضايقات كانت تحدث فى عصر النبوة ولم تجعل الإسلام يحرم حركة المرأة فى المجال القصير ، ومن قبيل ذلك مضايقة بعض الفساق للنساء أثناء خروجهن للخلاء ، وكذلك ما رواه ابن هشامَ أَنّ امْرَأَةً مِنْ الْعَرَبِ قَدِمَتْ بِجَلَبٍ لَهَا ، فَبَاعَتْهُ بِسُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ ، وَجَلَسَتْ إلَى صَائِغٍ بِهَا ، فَجَعَلُوا يُرِيدُونَهَا عَلَى كَشْفِ وَجْهِهَا ، فَأَبَتْ فَعَمِدَ الصّائِغُ إلَى طَرَفِ ثَوْبِهَا فَعَقَدَهُ إلَى ظَهْرِهَا ، فَلَمّا قَامَتْ انْكَشَفَتْ سَوْأَتُهَا ، فَضَحِكُوا بِهَا ، فَصَاحَتْ . فَوَثَبَ رَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الصّائِغِ فَقَتَلَهُ وَكَانَ يَهُودِيّا ، وَشَدّتْ الْيَهُودُ عَلَى الْمُسْلِمِ فَقَتَلُوهُ فَاسْتَصْرَخَ أَهْلُ الْمُسْلِمِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْيَهُودِ ، فَغَضِبَ الْمُسْلِمُونَ فَوَقَعَ الشّرّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَنِي قَيْنُقَاعَ . انظر: **"سيرة ابن هشام"** (48/2).

يوم فى البيوت لمرافقة نسائهم أينما ذهبن. أما السفر الطويل، فهو شيء استثنائى، لا يحدث كل يوم، ومن الممكن للرجل أن يترك عمله لعدة أيام أو أسابيع لمرافقة زوجته.

قيود السفر لمنع المرأة من الانحراف

المرأة بحاجة إلى الرقابة أكثر من الرجل، لأنها مخلوق جميل، وإغرؤها للرجل أشد فتكا من إغراء الرجل لها. ولهذا فإن قُبل سفر الرجل وحده، فمن الصعب قبول سفر المرأة وحدها، فهذا أشبه بمن يترك قنبلة مهيأة للانفجار في عرض الطريق. وإن اضطرت المرأة للمبيت أثناء السفر، فالليل يهيىء لها الفرصة إن لفعل الفاحشة في غفلة من العيون. **فلنقل بوضوح شديد أن الإسلام حرم سفر المرأة وحدها لأن المرأة يجب أن تكون دوما تحت الرقابة** حتى لا تقع في الزنا. هذا هو المجتمع المسلم كما يجب أن يكون، وليغضب من يغضب. **ونقول للمرأة العفيفة التي تشعر بالإهانة** من ذلك: اعلمي أن قوانين الشريعة الإسلامية –وأي شريعة أخرى– لم توضع من أجلك وحدك، ولم تُفصل لك خصيصا، بل وضعت لكافة النساء. والنساء منهن الفاضلة، ومنهن الفاجرة، فلماذا تغضبين، والأمر لا يخصك وحدك؟ وسنزيد الأمر وضوحا فيما بعد.

وفي العصر الحديث عطل المسلمون العمل بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأصبحنا نرى العجب العجاب حيث يترك الرجل زوجته لتسافر إلى الخارج من أجل العمل، ويقعد هو فى بيته شهورا لا يعلم عنها شيئا إلا ما تقوله هى له. لقد عَمَت أعين بعض الرجال عن كل شيء إلا المال. أيضمن مثل هذا الرجل ما تفعله زوجته، وهي وحدها، حيث لا أحد يحاسبها، وليس هناك من يسألها أين كنتِ؟ ولماذا تأخرتِ؟ ولماذا ارتديتِ هذه الملابس غير اللائقة؟

والأدهى أن تسمح الأسرة لابنتها البالغة من العمر 18 عاما أن تسافر وحدها لبلد غير مسلم من أجل دراسة، ليست مضطرة إليها. هنا تصبح المصيبة مصيبتين، فالبنت ليست فقط وحيدة في بلد غريب، ولكنها أيضا غير متزوجة، ومن السهل أن تسقط أمام أي وغد يتودد إليها.

الثقة المطلقة في المرأة حماقة

من أكبر الأخطاء أن يقول الرجل إننى أعطى الحرية لابنتى لأننى أثق فى سلوكها. وكم سمعنا عن أبوين أصابهما الذهول حين اكتشفا أن ابنتهما –التى كانا يحسبانها مؤدبة– على علاقة آثمة بأحد الشباب. وسمعنا منذ فترة عن مدرس ثانوى فاجر، كان يقيم علاقات محرمة مع تلميذاته داخل بيوتهن فى ظل وجود الأهل، الذين كانوا –لفرط ثقتهم ببناتهم– يغلقون الباب على المدرس والبنت. وهذا **يذكرنا بالمثل الشعبى القائل: (احذر ولا تُخون)، أى أنك إن كنت تثق فى زوجتك أو ابنتك ثقة عمياء فلا تجعل هذه الثقة مدعاة لأن تترك لها الحبل على الغارب**[172].

الشيخ الشعراوي على البلاج!

إن كلمت الناس اليوم عن حرمة سفر المرأة وحدها لقيت منهم مقاومة غريبة، فالمرأة تقول: "أنا أعرف كيف أحافظ على نفسي جيدا، ولو وسط مائة رجل". وأبوها يقول: "أنا ربيت بنتي جيدا، وأثق تماما في أخلاقها".

ولهؤلاء نقول: هل تقبل أن تعمل ابنتك كموظفة في كبارية رغم علمك أنها مهذبة ومتدينة، وتعرف كيف تحافظ على نفسها؟ **وهل يجوز لدعاية إسلامي كبير كالشيخ الشعراوي أن يجلس على شاطيء البحر (البلاج) بحيث تمر حوله عشرات الفتيات بملابس البحر العارية، بحجة أنه يؤلف كتابا جديدا وسط الطبيعة النقية؟** إن فعل الشعراوي ذلك ستكون فضيحة تتناقلها الصحف.

ما معنى هذا؟ معناه أن **الإنسان يجب أن يبتعد عن مواطن الشبهات، وينأى عن البيئة الفاسدة حتى لو كان هو نفسه طاهرا نقيا. هناك أمور لا تليق بالإنسان. وسفر المرأة يدخل ضمن هذه الأمور التي لا تليق.** إن المرأة التي تسافر وحدها تضع نفسها في موضع شبهة، لا يمكن لمجتمع مسلم فاضل أن يقبلها.

---

172) الغارِبُ: هُوَ مَا بَيْنَ السَّنام والعُنُق، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: حَبْلُكِ عَلَى غارِبكِ. وَكَانَتِ العربُ إذا طَلَّقَ أَحدُهم امرأَته، فِي الْجَاهِلِيَّةِ، قَالَ لَهَا: حَبْلُك عَلَى غارِبك أَي خَلَّيتُ سَبِيلَكِ، فاذْهَبي حيثُ شِئْتِ. قَالَ الأَصمعي: وَذَلِكَ أَنَّ النَّاقَةَ إذا رَعَتْ وَعَلَيْهَا خِطامُها، أُلْقِيَ عَلَى غارِبها وتُرِكَتْ لَيْسَ عَلَيْهَا خِطام، لأَنها إذا رأَت الخِطامَ لَمْ يُهْنِها المَرْعى. قَالَ: مَعْنَاهُ أَمْرُكِ إِلَيكِ، اعمَلي مَا شِئْتِ. انظر: **لسان العرب** (1/ 644)

إن **المجتمع الفاضل له معايير، ترسم لكل شخص حدودا لتصرفاته، وقيودا على حريته. ولا يحق لأحد أن يقول أن هذه المعايير لا تلزمني، وهذه القيود لا تخصني، فالمعايير إن لم تَسْرِ على الجميع لم تستحق أن تسمى معايير، فلا يجوز لموظف حكومي أن يمتنع عن تقديم إقرار ذمة مالية بحجة أنه شخص على خلق، ويشهد له الجميع بالنزاهة. وعلى هذا فليعلم كل أب أنه حتى إن كنت يثق في ابنته، وكانت ابنته فعلا على خلق، فهذا لا يبيح له أن يتركها تسافر وحدها لأن المجتمع المسلم يجب أن يكون لديه تقاليد وأعراف نابعة من دينه، ومن يخالف هذه الأعراف يضع نفسه في موضع الشبهة والمساءلة.**

إن أعراف المجتمع ترسم لمجموع الناس ما يجب فعله بصرف النظر عن أخلاق آحادهم، فإن كانت المرأة عفيفة شريفة فلتلتزم بهذه الأعراف حتى تنأى بنفسها عن القيل والقال. ولهذا تجد رؤساء الأقسام في الكليات يتنحون عن وضع أسئلة الامتحانات إن كان لأحدهم ابن، يَدرُس في نفس قسمهم، حتى لا يُتهم بأنه سرب الامتحان لولده. وفي الدول المحترمة يتوقف رئيس الجمهورية عن ممارسة الأنشطة التجارية أثناء فترة رئاسته حتى لا تحيط به شبهة استغلال النفوذ، مع أنه مشهود له بالنزاهة، ولم يُدَن يوما في أي قضية فساد.

إن المجتمع المسلم يجب أن يحافظ على شكل معين لسلوك المرأة يتسم بالأدب والوقار وتجنب مخالطة الرجل. وفرض نمط اجتماعي سلوكى على النساء جميعا أمر في غاية الأهمية، لأنه **يفضح المرأة غير العفيفة التي لن تستطيع الالتزام بهذا النمط أو تلك المعايير.**

و**من أكبر المآسى التى ابتلينا بها اليوم أننا أصبحنا نتقبل وجود انفصام بين سلوك المرأة وعفتها**، فمثلا قد تجلس الموظفة فى عملها لتضحك بأعلى صوتها مع زميلها فى العمل، فيرى المواطنون ذلك، ولا يستغربونه بحجة أنها ربما تكون من داخلها مؤدبة، وأن هذا الضحك لا يعنى بالضرورة أنها تفعل شيئا خاطئا من وراء الستار. وقد أدى هذا إلى اختلاط الحابل بالنابل، ولم نعد نعرف العفيفة من الزانية، وأصبح من أشق المهام على الرجل أن يتيقن من أخلاق المرأة التى يريد الزواج منها، فإن تردد في الزواج منها لأنها مثلا ترتدي ملابس ضيقة، قيل له: "دعك من ملابسها، فهي في غاية الأدب، وكل ما في الأمر أنها تحب الأناقة".

ووجود هذا النمط الاجتماعى لسلوك المرأة ليس هدفه فقط أن تتميز المرأة الصالحة من المرأة الفاسدة، ولكن **هدفه قبل ذلك سد طريق الرذيلة أمام المرأة**، فإن علمت المرأة أن المجتمع يحاسبها على كل حركة من حركاتها وكل كلمة من كلماتها، وأن تصرفاتها تخضع باستمرار للتقييم وفق معايير صارمة، يلتزم بها الجميع، فسيكون من الصعب عليها أن تقترب من الرجل أكثر من اللازم.

إن الله تعالى لم يقل لنا في كتابه: "لا تزنوا"، بل قال: "لا تقربوا الزنا"، وهذا يوجب علينا أن نتخذ خطوات استباقية قبل الوصول إلى مرحلة الزنا. يجب أن نحارب مقدمات الزنا. يجب أن نسد الذرائع إلى الزنا. ومن المستحيل أن نطبق مبدأ سد الذرائع باستمرار، وإلا لمنعنا اقتناء السكاكين في البيوت حتى لا يستخدمها أحد في القتل. لقد وسع الله تعالى علينا، فسد بعض الذرائع، وترك بعضها الآخر. ومنع المرأة من السفر بمفردها يدخل في باب سد الذرائع التي حرمها الله تعالى، وقد علمنا بذلك من الأحاديث الكثيرة التي أوردناها، والتي تتفق مع آية: (لا تقربوا الزنا). يجب أن تفهم كل امرأة أن المطلوب منها ليس فقط أن تتجنب الزنا، بل أن تبتعد عن كل سلوك يقربها أكثر من اللازم من الرجل.

قيود السفر ليست إهانة للمرأة

ما العيب في أن تستعين المرأة بقريب يحميها في السفر؟ ألا ترون أن نجمات السينما لا يتحركن إلا فى وجود حراس شخصيين؟ ألا تعلمون أن زوجات الرؤساء والملوك لا يتحركن دون حراسة؟ هل تصبح الحماية قبيحة فقط إن جاءت من الزوج أو الأخ؟ ألا تلاحظون أيضا أن حارس الممثلة أقل مقاما من الممثلة، وحارس الملكة أقل مقاما من الملكة؟ ألا يدل ذلك على أن مرافقة الرجل لقريبته في السفر لا يمثل إهانة لها، بل يعني أنه خادم لها؟ لماذا نخجل من شريعة الله، ونظن أنها شريعة متخلفة؟

وهل سمعتم من قبل عن محاسب، رفض أن يعمل في إحدى الشركات بحجة أن الحسابات التي سيجريها ستخضع للمراقبة من رؤسائه، وهو لا يقبل أن يشك أحد أبدا في كفاءته ونزاهته؟ وهل سمعتم **عن طالب عبر عن استيائه من وجود مراقبين في لجنة الامتحان بحجة أن هذا تشكيك في أمانته، وأنه لا بد من ترك كل طالب لضميره**. لو رأينا مثل هذا النوعيات من البشر لضحكنا

عليهم لأن الرقابة ليست موجهة لهم شخصيا باعتبارهم متهمين، ولكنها لوائح تسري على الجميع بلا استثناء. **والشخص الشريف يرحب بأى رقابة تفرض عليه لأنه لا يفعل شيئا يوجب العقاب، وبالعكس الرقابة تمثل فرصة لإثبات أخلاقه.**

وعلى ذلك فمن السخف أن تغضب المرأة المعاصرة من فرض الإسلام للرقابة عليها أثناء السفر. وعليها أن تفهم أن **أحد أهداف الرقابة هو منع النساء الساقطات من الوقوع في الزنا إن ابتعدن عن أعين أسرهن. فإن كانت إحداهن واثقة من شرفها، فماذا يضيرها؟ إن الرقابة لن تمثل لها تضييقا من أي نوع. المرأة المنحرفة وحدها هي التي تتضايق فى وجود أهلها. ولا أحد يغضب من وجود الشرطة أكثر من اللصوص.**

وقد يقال: "**ولماذا تراقَب المرأة وحدها، ولا يتعرض الرجل بالمثل للرقابة أثناء السفر، فتصحبه زوجته أو أخته؟**"

الإجابة هى أن الرجل أقوى من المرأة، وأقدر على حماية نفسه إن تعرض له أحد، أما المرأة فهدف سهل للمتربصين والمجرمين بسبب ضعف بنيانها. كما أن المرأة مخلوق جميل، ولذا فهى تغرى الرجال بالتحرش بها. وعلى العكس نادرا ما نسمع أن رجلا تحرشت به امرأة. ويضاف إلى ذلك أن عاقبة اغتصاب المرأة المسافرة أكبر من عاقبة الاعتداء على الرجل المسافر بالسرقة أو الضرب، لأن اغتصاب المرأة يدمر سمعتها، وسيكتشف زوجها ليلة الزفاف أنها ليست بكرا، كما أنها يمكن أن تحمل من الزنا. وفضلا عن ذلك فالاغتصاب تجربة مهينة قاسية، تدمر نفسية المرأة، ربما مدى الحياة، خلافا للرجل الذي ينسى بسهولة ما يحدث له. وإضافة إلى ذلك فالرجل يسافر غالبا من أجل العمل أو التجارة. وسفر امرأة معه سيكون عبئا عليه، وعائقا له عن عمله، وسيضطر كثيرا لتركها وحدها في البلد الغريب كي يقضي حوائجه، فتصبح في حاجة لمن يرافقها، ونكون قد عالجنا المشكلة بمشكلة أخرى.

سفر المرأة طلبا للعلم

أسمع الآن من يتساءل: كيف تمنع المرأة من السفر للدراسة، أو لحضور مؤتمر علمى؟ أليست هذه أغراضا نبيلة؟

ونحن نرد: ومن قال أننا نريد أن نمنع المرأة من السفر طلبا للعلم؟ نحن فقط نريدها أن تسافر مع أحد محارمها كأبيها أو أخيها.

ثم هل وجود قيد ما على السفر شيء مقيت فى ذاته؟ أليس جواز السفر قيدا؟ أليست تأشيرة الدخول قيدا؟ أليس ثمن تذكرة الطائرة قيدا؟

ثم ما هذا الذى تقول عن نبل الغرض؟ **هل كل امرأة تسافر للخارج يكون غرضها حضور مؤتمر علمى أو التعلم فى الخارج؟ كم نسبة العالمات بين النساء؟** قليلة جدا. وهل كان النساء على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام يسافرن بغرض العمل كراقصات فى ملاهى ليلية مما دفع بالإسلام إلى تحريم سفرهن وحدهن؟ ألم تكن المرأة حينئذ تسافر لغرض نبيل كالحج أو لزيارة أهلها، ورغم ذلك فرضت الشريعة وجود محرم معها؟

ثم إن العالم اليوم أصبح قرية صغيرة، وقد **سمحت لنا التقنيات الحديثة بحضور المؤتمرات، والتحدث فيها ونحن داخل بيوتنا** من خلال بعض البرامج كبرنامج "زووم" وبرنامج "مايكروسوفت تيمز". وكل الأبحاث العلمية تصلنا فورا عبر الإنترنت دون انتظار لعرضها في المؤتمرات.

وبالنسبة لسفر المرأة لعدة سنوات للدراسة في بلد أجنبى، فهذا شيء مرفوض تماما، حتى لو كان معها محرم لأنها ستكون في الجامعة مع رجال غرباء لفترات طويلة في بيئة يختلط فيها الرجال بالنساء، ولا يراعي فيها أحد قيم الدين والشرف والعفة، بل إنهم هناك يوزعون الواقي الذكري، ووسائل منع الحمل على الطلبة كي يفعلوا الفاحشة دون خوف من حدوث الحمل. ومن الممكن للدولة بدلا من ذلك أن ترسل الرجال ليتعلموا بالخارج، ثم يعودوا إلى وطنهم، وينقلوا خبراتهم للطلبة رجالا ونساء. كما يمكن للدولة أن **تستقدم العلماء الأجانب من خارج البلاد** لتعليم المسلمين في ديارهم دون حاجة للسفر إلى الخارج. ولا تقولوا أن رواتب هؤلاء العلماء ستكون كبيرة، فهي لن تكون أكبر من تكاليف إرسال الطلبة للخارج، ولن تكون أكبر من الولائم ومظاهر الترف والأبهة التى يتمتع بها المسئولون في كل مكان.

الشريعة بعد اختراع الطائرة

هناك سؤال: لقد نهت الأحاديث السابقة عن سفر المرأة بلا محرم إن كان السفر يستغرق يوما وليلة، فهل ينطبق هذا على عصرنا الحديث الذى تقدمت فيه وسائل المواصلات بشكل مذهل؟ لقد كان السفر بالجمال لمدة يوم كامل لا يكفى لكى تصل المرأة من القاهرة إلى الإسكندرية، أما اليوم فيمكن للمرأة بواسطة الطائرة أن تصل إلى بلد شديد البعد كأمريكا فى فترة أقل من يوم، فهل أصبح السفر إلى أمريكا فى هذا العصر حلالا بعد أن كان أيام النبى حراما؟

إن الحديث يحرم سفر المرأة إن استغرق (مسيرة يوم وليلة)، وبفرض أن الجمال كانت تقطع فى يوم وليلة مسافة قدرها 20 كيلومترا، فهل كان الرسول عليه الصلاة والسلام يقصد منع سفر المرأة وحدها إن كانت البلد الذي تريد الذهاب إليه أبعد من 20 كيلومترا أم يقصد منع سفرها إن كان الوصول إلى هذ البلد يستغرق مدة أكبر من يوم وليلة؟ بعبارة أخرى: هل كان الرسول عليه السلام يقصد مسافة أم زمنا؟

ربما يرى البعض أن الأحوط أن نمنع سفر المرأة طبقا للمسافة التي كانت الجمال قديما تقطعها في مسيرة يوم وليلة، أي 20 كيلومترا طبقا لتقديرنا غير الدقيق. وهذا يعني أن المرأة لا يمكن أن تسافر من القاهرة للإسكندرية أو حتى من القاهرة لطنطا دون محرم.

لكن قد يرى آخرون – ونحن نميل لهذا–أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يقصد بعبارة (مسيرة يوم وليلة) زمنا، وليس مسافة. ويترتب على هذا أن السفر لبلد كأمريكا بدون محرم حلال لأنه يستغرق أقل من يوم. ومع ذلك علينا أن يلاحظ أنه لا أحد يسافر لأمريكا – أو لأى بلد بعيد– ويعود فى نفس اليوم، بل لا بد أن يبيت هناك ليوم أو عدة أيام حتى يقضى الحاجة التى سافر من أجلها، ولذا سيظل سفر المرأة وحدها حراما بنص الحديث. أما إن كان سفر المرأة إلى أمريكا من أجل أن تقيم مع بعض أقاربها، فهذا حلال. وإن سافرت المرأة من بلد إلى بلد داخل دولتها (من القاهرة للإسكندرية مثلا)، وعادت في نفس اليوم قبل حلول الليل فهو حلال.

وهكذا نجد أنه مهما اختلف المنظور الفقهي فسيبقي سفر المرأة خارج دولتها حرام في أغلب الأحيان. وهذا يكفي إن طبقناه.

الإقامة بالمدن الجامعية

ولكن ماذا عن المدن الجامعية التى تبيت فيها الطالبات اللائى التحقن بكليات بعيدة عن بيوتهن؟ نحن نرى أن هذا حرام لأن الفتاة تبقى بمفردها بلا محرم لأكثر من يوم وليلة. ومع الأسف أصبح كل الناس يستمرئون هذا الأمر، مع أن ابتعاد الفتاة عن رقابة أهلها يجعلها لقمة سائغة فى أيدى رفاق السوء، ومن السهل جدا أن تنحرف، فهى طوال اليوم مع نفس الأصدقاء في الكلية والسكن، فتسمع كلامهم، وفى نفس الوقت هي بعيدة عن حكمة الكبار التي كانت تسمعها في بيتها من أبويها وأقاربها. على سبيل المثال قد تسمع البنت من زميلاتها طوال اليوم كلاما عن الشباب والموضة والجمال، فتسيطر هذه المواضيع على عقلها، بينما لو كانت في بيتها لسمعت من أهلها تحذيرات من السير وراء رفاق السوء، وأهمية العفة والابتعاد عن الاختلاط غير الضرورى بالرجال.

وفى المدينة الجامعية لن يحاسب البنت أحد إن خرجت بملابس غير لائقة، أو جلست مع شاب غريب على الكافتريا، أو عادت كل يوم متأخرة خلافا لزميلاتها. ولن يعنفها أحد إن استمعت إلى أغانى عاطفية أو شاهدت مع زميلاتها أفلاما إباحية. حقا هناك بنات لا تؤثر المدن الجامعية على سلوكهن، لكن هناك في نفس الوقت أخريات ينحرفن أشد الانحراف. والعاقل من آثر السلامة.

يجب على الدولة أن تغلق المدن الجامعية الخاصة بالفتيات، وتبحث عن حلول أخرى، كأن تسمح للفتيات بالالتحاق بالكليات القريبة منهن فقط، أو توفر لهن وسائل مواصلات خاصة مجانية، أو تكثر من بناء الكليات في كل المحافظات. وهذا الحلول سهلة إن خلصت النوايا، وتوفرت الرغبة لدى الحكومات في الحفاظ على البنات.

صرخة أخيرة

الناس أصابها مس من الجنون. ظاهرة سفر الفتيات غير المتزوجات للدراسة بالخارج وحدهن تتزايد يوما بعد يوم. الناس تركت الحبل على الغارب للبنات. لم يعد أحد يخاف على الأخلاق والشرف وكل هذه الأمور التي أصبحت بالية في نظر المجتمع. أصبحت الوجاهة أهم من الدين

والأخلاق. لا تصدقوا من يقول (أنا ربيت بنتي وأعلم أنها تستطيع أن تحافظ على نفسها)، فلو ربى بنته حقا لعلمها أن المرأة في الإسلام غير المرأة المتحررة في أوربا. لو ربى بنته لقال لها أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: «لاَ تُسَافِرِ المَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ، وَلاَ يَدْخُلُ عَلَيْهَا رَجُلٌ إِلَّا وَمَعَهَا مَحْرَمٌ» رواه البخاري. نحن لسنا أوربيين، ولن نكون أبدا أوربيين. أوربا الآن تندم في صمت على تحريرها للمرأة، لأن المرأة المتحررة اهتمت بعملها ومستقبلها ونسيت بيتها في خضم سعيها للنجاح في العمل، فتوقفت عن الزواج، وإن تزوجت امتنعت عن الإنجاب، وأشبعت غريزة الأمومة عن طريق تربية القطط والكلاب بدلا من تربية الأطفال، فتناقصت أعداد السكان، ويوشك الأوربي الأبيض أن يندثر كما انقرضت الديناصورات. عودوا إلى دينكم ، واعلموا أن الحصول على شهادة من دولة أوربية أسهل كثيرا من الحصول على شهادة النجاة من النار والفوز بالجنة يوم القيامة. قال تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} [آل عمران: 185].

الحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

هل تزوج المرأة نفسها ؟

الزواج في الإسلام هو محصلة رأي المرأة وولي أمرها. ولا يصح أن تزوج المرأة نفسها رغم أنف أهلها. وإليك التفاصيل:

المرأة لا تتزوج بالإكراه

فى الإسلام لا تتزوج المرأة رغما عنها، بكرا كانت أم ثيبا. وهذه حقيقة راسخة، أقرتها أحاديث اتفق البخاري ومسلم على صحتها، ورويت عن أكثر من صحابى، هم أبو هريرة وابن عباس والسيدة عائشة رضى الله عنهم جميعا. وهاكم هذه الأحاديث:

- عن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لاَ تُنْكَحُ الأَيِّمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ، وَلاَ تُنْكَحُ البِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ إِذْنُهَا؟ قَالَ: «أَنْ تَسْكُتَ»**. متفق عليه.

و(الأيم) هنا تعنى (الثيب) كما ورد فى رواية أخرى للبخارى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**لاَ تُنْكَحُ البِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ، وَلاَ الثَّيِّبُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ» فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ إِذْنُهَا؟ قَالَ: «إِذَا سَكَتَتْ»**.

- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: **قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يُسْتَأْمَرُ النِّسَاءُ فِي أَبْضَاعِهِنَّ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: فَإِنَّ البِكْرَ تُسْتَأْمَرُ فَتَسْتَحْيِي فَتَسْكُتُ؟ قَالَ: «سُكَاتُهَا إِذْنُهَا»** رواه البخارى. (أبضاعهن: جمع بضع، وهو الفرج)[173].

- عن عائشة: **سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْجَارِيَةِ يُنْكِحُهَا أَهْلُهَا، أَتُسْتَأْمَرُ أَمْ لَا؟ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَعَمْ، تُسْتَأْمَرُ»، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ لَهُ: فَإِنَّهَا تَسْتَحِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَذَلِكَ إِذْنُهَا، إِذَا هِيَ سَكَتَتْ»** رواه مسلم.

- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**الْأَيِّمُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا مِنْ وَلِيِّهَا، وَالْبِكْرُ تُسْتَأْذَنُ فِي نَفْسِهَا، وَإِذْنُهَا صُمَاتُهَا**». رواه مسلم.

173) قَالَ الأَزهري: وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي البُضع فَقَالَ قَوْمٌ: هُوَ الفَرج، وَقَالَ قَوْمٌ: هُوَ الجِماع، وَقَدْ قِيلَ: هُوَ عَقْد النِّكَاحِ. انظر **"لسان العرب"** (8/ 14)

وفى لفظ آخر لمسلم وردت كلمة (الثيب) بدلا من (الأيم): عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**الثَّيِّبُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا مِنْ وَلِيِّهَا، وَالْبِكْرُ تُسْتَأْمَرُ، وَإِذْنُهَا سُكُوتُهَا**».

ومع ذلك ورد فى القرآن والسنة ما يوجب موافقة ولى المرأة (أبوها أو جدها...إلخ) وحضوره للزواج كى ينعقد.

موافقة الولي شرط للزواج

هناك دلائل كثيرة تؤكد أهمية موافقة ولى المرأة على الزواج:

1- **أسند القرآن الكريم عقد النكاح إلى أولياء الأمور، وليس إلى المرأة**، وذلك في قوله تعالى: {وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا} [البقرة: 221]. ولاحظ وجود (الضمة) على حرف التاء في قوله: (ولا تُنكحوا)، وهذا يعنى: (لا تزوجوا بناتكم أيها الأولياء للمشركين). ولو قال: (ولا تَنكحن) لفُهم من ذلك أن الأمر موجه للنساء بألا يزوجن أنفسهن من المشركين.

2- **أورد البخارى في باب (لا نكاح إلا بولى) رواية للسيدة عائشة، تعرض فيه صور النكاح في الجاهلية، فكان من بينها صورة واحدة هي التي تتفق مع النكاح في الإسلام**، حيث يذهب الرجل إلى ولى المرأة، ويخطبها، فيوافق الولى، ويأخذ المهر لابنته، ويتم الزواج: عن عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّ عَائِشَةَ، زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَتْهُ: أَنَّ النِّكَاحَ فِي الجَاهِلِيَّةِ كَانَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْحَاءٍ: فَنِكَاحٌ مِنْهَا نِكَاحُ النَّاسِ اليَوْمَ: **يَخْطُبُ الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ وَلِيَّتَهُ أَوِ ابْنَتَهُ، فَيُصْدِقُهَا ثُمَّ يَنْكِحُهَا**، .... «**فَلَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالحَقِّ، هَدَمَ نِكَاحَ الجَاهِلِيَّةِ كُلَّهُ إِلَّا نِكَاحَ النَّاسِ اليَوْمَ**».

وهذه الرواية تفيد أن النكاح الصحيح في الإسلام يلعب فيه الولي دورا محوريا.

3- **ذكرت السيدة زينب بنت جحش أم المؤمنين أن عامة نساء النبى زوجهن أهاليهن، ولم يزوجن أنفسهن**: روى البخارى أن السيدة زينب بنت جحش كانت تفخر على زوجات النبى قائلة: «**زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ**، وَزَوَّجَنِي اللَّهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ».

ولو كان رسول الله عليه الصلاة والسلام داعية للفكر النسوى، لجعل من نفسه قدوة، فيذهب للمرأة، ويعرض عليها الزواج بنفسه، فإن قبلت أعطاها المهر، وتزوجها، ثم أخبر أهلها بما حدث، فيعلم المسلمون أن الكلمة الأولى والأخيرة فى عقد الزواج للمرأة، ولا أهمية للولى، وكل شيء يمكن تسويته بين الرجل والمرأة دون طرف ثالث يتوسط بينهما. ولو كان الأمر كذلك لما جاز لأحد حينئذ أن يقول لنساء النبي: «زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ». فيا بعد ما بين تعاليم النبوة وتعاليم نوال السعداوى!

ملحوظة: زواج السيدة زينب كان استثناءا لأنه بدأ كأمر من الله، فرضخ له الجميع: الرسول عليه السلام والسيدة زينب وأهلها.

4- **ورد في صحيح البخارى أن سيدنا عمر بن الخطاب هو الذى تولى تزويج ابنته حفصة بعد وفاة زوجها، ولم تزوج هي نفسها**. يقول البخاري:

«حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ .... قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: **إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ** بِنْتَ عُمَرَ، قَالَ: سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ، فَقَالَ: قَدْ بَدَا لِي أَنْ لاَ أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا، قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ، فَقُلْتُ: **إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ**، فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، فَكُنْتُ عَلَيْهِ أَوْجَدَ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ خَطَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ**».

يقول ابن بطال: «قال الطبرى: فى حديث حفصة حين تأيمت، وعقد عمر عليها النكاح ولم تعقده هى، إبطال قول من قال: إن للمرأة البالغة المالكة لنفسها تزويج نفسها، وعقد النكاح عليها دون وليها، **ولو كان لها ذلك لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدع خطبة حفصة إلى نفسها، إذ كانت أولى بنفسها من أبيها، ولخطبها إلى من لا يملك أمرها ولا العقد عليها»**[174].

5- تزوج الرسول عليه الصلاة والسلام السيدة ميمونة بنت الحارث – وهى آخر زوجاته– فى عمرة القضاء، **وكان الذى زوجها هو العباس بن عبد المطلب:** روى ابْنُ إِسْحَاقَ عن ابْنِ

---

174) **"شرح صحيح البخارى"** لابن بطال (7/ 243). تأليف ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك. تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم. مكتبة الرشد - السعودية / الرياض. الطبعة الثانية، 1423هـ - 2003م

عَبَّاسٍ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَ مَيْمُونَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ فِي سَفَرِهِ ذَلِكَ وَهُوَ حَرَامٌ، وَكَانَ الَّذِي زَوَّجَهُ إِيَّاهَا الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ). وإسناده صحيح.[175]

ومن هذه الرواية نجد أن الرسول عليه السلام لم يذهب إلى السيدة ميمونة مباشرة ليخطبها ويتزوجها دون إذن أهلها، بل زوجها إياه وليها العباس بن عبد المطلب.

6- **تقدم قصة زواج أم حبيبة من الرسول عليه الصلاة والسلام دليلا على الدور المحورى للولى في عقد الزواج.** لقد كانت أم حبيبة رضى الله تعالى عنها من المهاجرات إلى الحبشة، فلما مات زوجها أرسل النبى عليه الصلاة والسلام رسولا إلى النجاشى ملك الحبشة كى يكون وكيلا عنه في الزواج منها: عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا كَانَتْ تَحْتَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ فَمَاتَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، «فَزَوَّجَهَا النَّجَاشِيُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمْهَرَهَا عَنْهُ أَرْبَعَةَ آلَافٍ، وَبَعَثَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ شُرَحْبِيلَ بْنِ حَسَنَةَ» رواه الحاكم، وقال: وهَذَا صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، ووافقه الذهبى[176].

وقد بعث النجاشى جارية إلى أم حبيبة طالبا منها أن توكل عنها رجلا يكون وليا لها في عقد الزواج، ولكن لما كان والد أم حبيبة رجل كافر - هو أبو سفيان- وكلت أم حبيبة أحد أقاربها، وهو خالد بن سعيد بن العاص[177]، فدفع النجاشى المهر عن النبى لخالد بن سعيد بن العاص، فقبضه، وسلمه إلى أم حبيبة. وقول أم حبيبة أن النجاشى زوَّجها يقصد

---

175) انظر: **"سيرة ابن هشام"** (2/ 372). وهذه الرواية صحيحة، فقد رواها ابن إسحاق ومن طريقه الطبراني والطبريُّ في التاريخ: قال ابن إسحاق: **حَدَّثَنِي** أَبَانُ بْنُ صَالِحٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ عَطَاءِ ابْنِ أَبِي رَبَاحٍ وَمُجَاهِدٍ أَبِي الْحَجَّاجِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، فذكر الرواية. وهذا سند صحيح. عطاء ومجاهد تابعيان إمامان ثقتان معروفان وأبان وعبد الله بن أبى نجيح ثقتان. انظر: **"السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة (قراءة جديدة)"** (3/ 302). تأليف أبو عمر، محمد بن حمد الصوياني. مكتبة العبيكان. الطبعة الأولى، 1424 هـ - 2004 م

176) وأخرج الإمام أحمد عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ، أَنَّهَا " كَانَتْ تَحْتَ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ جَحْشٍ، وَكَانَ أَتَى النَّجَاشِيَّ - وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ رَحَلَ إِلَى النَّجَاشِيِّ - فَمَاتَ، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَ أُمَّ حَبِيبَةَ وَإِنَّهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، زَوَّجَهَا إِيَّاهُ النَّجَاشِيُّ وَمَهَرَهَا أَرْبَعَةَ آلَافٍ، ثُمَّ جَهَّزَهَا مِنْ عِنْدِهِ، وَبَعَثَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ شُرَحْبِيلَ ابْنِ حَسَنَةَ، وَجِهَازُهَا كُلُّهُ مِنْ عِنْدِ النَّجَاشِيِّ، وَلَمْ يُرْسِلْ إِلَيْهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَيْءٍ، وَكَانَ مُهُورُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَ مِائَةِ دِرْهَمٍ " وإسناده صحيح. انظر: **"مسند أحمد"** (45/ 398)

177) ذكر ابن إسحاق أيضا أن وكيل أم حبيبة كان خالد بن سعيد بن العاص، قال ابن إسحاق (أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ إِلَى النَّجَاشِيِّ «عَمْرَو بْنَ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيَّ، فَخَطَبَهَا عَلَيْهِ النَّجَاشِيُّ، فَزَوَّجَهُ إِيَّاهَا، وَأَصْدَقَهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَ مِائَةِ دِينَارٍ.... وَكَانَ الَّذِي أَمْلَكَهَا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ ابْنِ الْعَاصِ»). انظر: **"سيرة ابن هشام"** (224/1).

وروى البيهقى في "دلائل النبوة" (3/ 460) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ الَّذِيَ وَلِيَ نِكَاحَهَا ابْنُ عَمِّهَا خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ. لكن روى البيهقى في نفس الوقت من طريق آخر أن ولى أم حبيبة في الزواج كان عثمان بن عفان: عَنْ عُرْوَةَ، قَالَ: «... أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ، وَاسْمُهَا رَمْلَةُ، فَخَلَفَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْكَحَهُ إِيَّاهَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَأُمُّ حَبِيبَةَ أُمُّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ أَبِي الْعَاصِ أُخْتُ عَفَّانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ، عَمَّةُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ».

وقد أنكر ابن كثير أن يكون لعثمان بن عفان دور في زواج أم حبيبة، فقال: [وَأَمَّا قَوْلُ عُرْوَةَ: أَنَّ عُثْمَانَ زَوَّجَهَا مِنْهُ فَغَرِيبٌ لِأَنَّ عُثْمَانَ كَانَ قَدْ رَجَعَ إِلَى مَكَّةَ قَبْلَ ذَلِكَ ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَصُحْبَتُهُ زَوْجَتُهُ رُقَيَّةُ كَمَا تَقَدَّمَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَالصَّحِيحُ مَا ذَكَرَهُ يُونُسُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ الَّذِي وَلِيَ نِكَاحَهَا ابْنُ عَمِّهَا خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ. قُلْتُ **وَكَانَ وَكِيلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَبُولِ الْعَقْدِ أَصْحَمَةُ النَّجَاشِيُّ مَلِكُ الْحَبَشَةِ** كَمَا قَالَ يُونُسُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ حَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ قَالَ: بُعث رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمْرَو بْنَ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيَّ إِلَى النَّجَاشِيِّ فَزَوَّجَهُ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ وَسَاقَ عَنْهُ أَرْبَعَمِائَةِ دِينَارٍ.]. انظر: **"البداية والنهاية"** لابن كثير (4/ 164).

ويتفق الذهبي مع ابن كثير، فيقول: وَأَمَّا ابْنُ لَهِيْعَةَ: فَنَقَلَ عَنْ أَبِي الأَسْوَدِ، عَنْ عُرْوَةَ قَالَ: أَنْكَحَهُ إِيَّاهَا بِالحَبَشَةِ عُثْمَانُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وَهَذَا خَطَأٌ فَإِنَّ عُثْمَانَ كَانَ بِالمَدِيْنَةِ مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَلَمْ يَغِبْ عَنْهُ إِلَّا يَوْمَ بَدْرٍ أَمَرَهُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يُقِيْمَ فَيُمَرِّضَ زَوْجَتَهُ بِنْتَ رَسُوْلِ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. انظر: **"سير أعلام النبلاء"** للذهبي (1/ 442).

به أنه تولى عقد الزواج بدلا من الرسول عليه السلام، كما جهزها بالجهاز الذى تحتاجه العروس، وحمَّلها بالهدايا.

وأنا أدعو القارىء أن يقرأ ما رواه كل من الطبرى وابن سعد عن هذه الواقعة ليرى كيف كان الزواج يتم على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام. لقد كان **عقد الزواج يتم بين طرفين من الرجال**، أحدهما هو الزوج (النجاشي كان وكيلا عن الزوج)، والطرف الثانى هو ولىُّ المرأة، الذي وكلته ليتولى إجراءات الزواج عنها. وكان الطرف الأول يتكلم طالبا الزواج، فيرد ولى المرأة معلنا الموافقة، ثم يقبض المهر، ويسلمه للزوجة.

قال الطبرى: «أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إِلَى النَّجَاشِيّ لِيُزَوِّجَهُ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ، وَيَبْعَثَ بِهَا إِلَيْهِ مَعَ مَنْ عِنْدَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، **فَأَرْسَلَ النَّجَاشِيُّ إِلَى أُمِّ حَبِيبَةَ يخبرها بخطبه رسول الله صلى الله عليه وسلم إِيَّاهَا** جَارِيَةً لَهُ يُقَالُ لَهَا أَبْرَهَةُ، فَأَعْطَتْهَا أَوْضَاحًا لَهَا وَفَتَخًا، سُرُورًا بِذَلِكَ، **وَأَمَرَهَا أَنْ تُوَكِّلَ مَنْ يُزَوِّجهَا، فَوَكَّلَتْ خَالِدَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، فَزَوَّجَهَا، فَخَطَبَ النَّجَاشِيُّ عَلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم، وَخَطَبَ خَالِدٌ فَأَنْكَحَ أُمَّ حَبِيبَةَ**، ثُمَّ دَعَا النجاشى بأربعمائة دِينَارٍ صَدَاقِهَا، **فَدَفَعَهَا إِلَى خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ، فَلَمَّا جَاءَتْ أُمَّ حَبِيبَةَ تِلْكَ الدَّنَانِيرُ....**»[178].

وروى ابن سعد أن أم حبيبة قالت:

«فَمَا هُوَ إلا أَنِ انْقَضَتْ عِدَّتِي فَمَا شَعَرْتُ إلا بِرَسُولِ النَّجَاشِيّ عَلَى بَابِي يَسْتَأْذِنُ فَإِذَا جَارِيَةٌ لَهُ يُقَالُ لَهَا أَبْرَهَةُ كَانَتْ تَقُومُ عَلَى ثِيَابِهِ وَدَهْنِهِ فَدَخَلَتْ عَلَيَّ فَقَالَتْ: إِنَّ الْمَلِكَ يَقُولُ لَكِ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كَتَبَ إِلَيَّ أَنْ أُزَوِّجَكَهُ. فَقَالَتْ: بَشَّرَكِ اللَّهُ بِخَيْرٍ. قَالَتْ: **يَقُولُ لَكِ الْمَلِكُ وَكِّلِي مَنْ يُزَوِّجُكِ. فَأَرْسَلَتْ إِلَى خالد بن سعيد بن العاص فوكلته** وعطت أَبْرَهَةَ سِوَارَيْنِ مِنْ فِضَّةٍ وَخَدَمَتَيْنِ كَانَتَا فِي رِجْلَيْهَا وَخَوَاتِيمَ فِضَّةً كَانَتْ فِي أَصَابِعِ رِجْلَيْهَا سُرُورًا بِمَا بَشَّرَتْهَا. فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ أَمَرَ النَّجَاشِيُّ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَمَنْ هُنَاكَ من المسلمين فحضروا فخطب النجاشي فقال: أحمد لِلَّهِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ السَّلامِ الْمُؤْمِنِ الْمُهَيْمِنِ

---

178) تاريخ الطبري (2/ 653)

الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ. أَشْهَدُ أَنَّ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّهُ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَمَّا بَعْدُ **فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَتَبَ إِلَيَّ أَنْ أُزَوِّجَهُ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ فَأَجَبْتُ إِلَى مَا دَعَا إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ وَقَدْ أَصْدَقْتُهَا أَرْبَعَ مِائَةِ دِينَارٍ. ثُمَّ سَكَبَ الدَّنَانِيرَ بَيْنَ يَدَيِ** الْقَوْمِ فَتَكَلَّمَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ وَأَسْتَنْصِرُهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ. **أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَجَبْتُ إِلَى مَا دَعَا إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ وَزَوَّجْتُهُ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ** فَبَارَكَ اللَّهُ رَسُولَ اللَّهِ. **وَدَفَعَ الدَّنَانِيرَ إِلَى خَالِدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ فَقَبَضَهَا** ثُمَّ أَرَادُوا أَنْ يَقُومُوا فَقَالَ: اجْلِسُوا فَإِنَّ سُنَّةَ الأَنْبِيَاءِ إِذَا تَزَوَّجُوا أَنْ يُؤْكَلَ طَعَامٌ عَلَى التَّزْوِيجِ. فَدَعَا بِطَعَامٍ فَأَكَلُوا ثُمَّ تَفَرَّقُوا. **قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ: فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيَّ الْمَالُ** أَرْسَلْتُ إِلَى أَبْرَهَةَ الَّتِي بَشَّرَتْنِي.....»[179]

ورغم أن الروايتين السابقتين ضعيفتان من حيث السند، لكن بفرض أن رواتهما اخترعوهما فلا شك أنهما تعبران عن الحالة الاجتماعية للعصر الإسلامى المبكر، فيما يتعلق بطريقة الزواج، وكيف يتقدم الرجل طالبا الزواج، وكيف تترك المرأة وليها يتصدر المشهد نيابة عنها. ولئن فكر الراوى فى اختراع أحداث من عنده فستكون هذه الأحداث مشابهة لما هو موجود حوله فى عصره. وإن حاول الراوى اختراع أحداث غريبة للفت النظر إلى وجه غرابتها واختلافها عما هو معتاد فى زمنه. والذي لا شك فيه أن **رواية الطبرى وابن سعد تتفقان تماما مع ما رواه البخارى** عن السيدة عائشة التي وصفت طريقة الزواج الشرعية الوحيدة في الإسلام، قائلة: [أَنَّ النِّكَاحَ فِي الجَاهِلِيَّةِ كَانَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْحَاءٍ: فَنِكَاحٌ مِنْهَا نِكَاحُ النَّاسِ اليَوْمَ: يَخْطُبُ الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ وَلِيَّتَهُ أَوِ ابْنَتَهُ، فَيُصْدِقُهَا ثُمَّ يَنْكِحُهَا، .... «فَلَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالحَقِّ، هَدَمَ نِكَاحَ الجَاهِلِيَّةِ كُلَّهُ إِلَّا نِكَاحَ النَّاسِ اليَوْمَ»].

وهكذا **فرواية الطبرى وابن سعد يقدمان شرحا عمليا بليغا لرواية السيدة عائشة التي وردت في البخارى.**

179) الطبقات الكبرى لابن سعد (8/ 77). وقد أورد الطبري نفس الرواية بنفس السند عن محمد بن عمر الواقدي، قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ زُهَيْرٍ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ

7- لما قابل موسى عليه السلام في أرض مدين فتاتين، وأعجب به أبوهما زوجه إحدى ابنتيه، وفى هذا قال تعالى: {قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ} [القصص: 27]. ومن هذه الآية نجد أن الأب هو الذي يتولى مهمة تزويج ابنته، ولم تقم البنت بتزويج نفسها. حقا شرع من قبلنا ليس بالضرورة مطابقا لشرعنا نحن المسلمون، لكن لا يوجد في القرآن ما يدين تصرف هذا الرجل الصالح حين زوج ابنتيه، أو يأمر بخلافه، وهذا يجعل من القصة دليلا على أن الولى هو الذي يزوج ابنته.

8- **هناك رواية قد يفهم منها أن المرأة كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج نفسها، لكنها في الحقيقة تفيد العكس:** روى الشيخان -واللفظ للبخارى- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ امْرَأَةٌ، فَقَالَتْ: إِنَّهَا قَدْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «مَا لِي فِي النِّسَاءِ مِنْ حَاجَةٍ»، فَقَالَ رَجُلٌ: زَوِّجْنِيهَا، قَالَ: «أَعْطِهَا ثَوْبًا»، قَالَ: لاَ أَجِدُ، قَالَ: «أَعْطِهَا وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ»، فَاعْتَلَّ لَهُ، فَقَالَ: «مَا مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ؟» قَالَ: كَذَا وَكَذَا، قَالَ: «فَقَدْ زَوَّجْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ»

ونحن نؤكد ان هذه الرواية لا يمكن أن تتخذ دليلا على تزويج المرأة لنفسها، فهناك احتمال لأن تكون هذه المرأة "مقطوعة من شجرة" كما يقال. ربما كان أبوها ميتا، أو شيخا طاعنا في السن، ولا يدري بما يدور حوله، فكانت تعيش مع أمها، وليس لها أقارب غير هذه الأم، التى لا تصلح أن تتولى عقد النكاح لأن ذلك من مهام الرجال وحدهم. ومما يؤكد هذا الاحتمال أن الرواة لم يذكروا اسم هذه المرأة. ولو كان لها أب أو أخ أو قريب معروف لنسبها الرواة إليه. وربما كانت هذه المرأة في الأصل جارية، أعتقت، فعاشت مع مولاها الذين أهملها أو مات وتركها. وربما كان والد هذه المرأة في الأصل عبدا، جلب من بلاد بعيدة، وعاش في المدينة بعد عتقه مع ابنته التي لم يكن لها عم أو جد لأبيها. ومثل هذا الأب العبد سيتزوج في الغالب من جارية مثله، ولن يكون لبناته أولياء من جهة أمهم. وربما كانت هذه المرأة مؤمنة، هاجرت من مكة، وعاشت وحدها في المدينة دون أهلها أو عاشت مع زوج، مات وتركها. الاحتمالات عديدة. وقد لاحظ ابن حزم ذلك، فقال: (وَأَمَّا تَزْوِيجُهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ

وَالسَّلَامُ – الْمَرْأَةَ بِتَعْلِيمِ سُورَةٍ مِنْ الْقُرْآنِ فَلَيْسَ فِي الْخَبَرِ أَنَّهُ كَانَ لَهَا وَلِيٌّ أَصْلًا فَلَا يُعْتَرَضُ عَلَى الْيَقِينِ بِالشُّكُوكِ)[180].

ومثل هذا المرأة لا خيار لها إلا أن تزوج نفسها حتى لا تبقى بلا زواج. **والمرأة إن لم يكن لها أولياء أصبح السلطان أو القاضي وليها**، طبقا للحديث الشريف: (فالسلطان ولى من لا ولى له)، وسنتكلم عنه فيما بعد. يمكننا إذن أن نقول أن الرسول عليه السلام باعتباره ولى الأمر وحاكم المسلمين لعب دور ولى أمر المرأة لأنها كانت وحيدة بلا أقارب. ويرى البعض جواز أن تجعل مثل هذه المرأة الوحيدة وليها رجلا صالحا من المسلمين، فقد صَحَّ عَنْ ابْنِ سِيرِينَ فِي امْرَأَةٍ لَا وَلِيَّ لَهَا، فَوَلَّتْ رَجُلًا أَمْرَهَا، فَزَوَّجَهَا، قَالَ ابْنُ سِيرِينَ: لَا بَأْسَ بِذَلِكَ، الْمُؤْمِنُونَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ[181]. وإذا عدنا للرواية السابقة لوجدنا الرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «زَوَّجْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ»، وفى لفظ آخر للبخاري: «**مَلَّكْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ**»، **وهذه العبارة تعنى أن المرأة لم تزوج نفسها، بل تولى الرسول عليه السلام تزويجها**، وهذا يؤكد ضرورة وجود الولى في الزواج. ولو كان الأمر خلاف ذلك لما تدخل الرسول من الأصل بين المرأة وصاحبه الذي أراد الزواج منها، ولقال له: «تزوجها بما معك من القرآن».

9- عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا نِكَاحَ إلا بِوَلِيٍّ**». رواه الخمسة إلا النسائى، وصححه أحمد وابن معين، وهو صحيح على شرط الشيخين.[182،183] وفى رواية أحمد عن عائشة: «**لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ، وَالسُّلْطَانُ وَلِيُّ، مَنْ لَا وَلِيَّ لَهُ**». وروى ابن حبان عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ وَشَاهِدَيْ**

180) المحلى بالآثار (9/ 37). تأليف أبو محمد علي بن حزم الظاهري. تحقيق الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري. دار الفكر – بيروت. الطبعة الثالثة 2003م-1425ه.

181) المحلى بالآثار (9/ 33)

182) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (6/ 235)

183) قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: سَمِعَ هَذَا الْخَبَرَ أَبُو بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى مَرْفُوعًا، فَمَرَّةً كَانَ يُحَدِّثُ بِهِ عَنْ أَبِيهِ مُسْنِدًا، وَمَرَّةً يرسله، وسمعه أبو إسحاق بن أَبِي بُرْدَةَ مُرْسَلًا وَمُسْنَدًا مَعًا، فَمَرَّةً كَانَ يُحَدِّثُ بِهِ مَرْفُوعًا، وَتَارَةً مُرْسَلًا، فَالْخَبَرُ صَحِيحٌ مُرْسَلًا وَمُسْنَدًا مَعًا لَا شَكَّ، وَلَا ارْتِيَابَ في صحته. وإسناده صحيح على شرط الشيخين. وأخرجه الترمذي في النكاح: باب ما جاء لا نكاح إلا بولي، من طريق محمد بن بشار، بهذا الإسناد. واخرجه أحمد، والدارقطني من طريق عبد الرحمن بن مهدي، به. وأخرجه ابن أبي شيبة، وأحمد والدارمي، وأبو داود في النكاح: باب في الولي، وابن الجارود، والطحاوي والحاكم والبيهقي من طرق عن إسرائيل، به. انظر : **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان** (9/ 395).

عَدْلٍ، وَمَا كَانَ مِنْ نِكَاحٍ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَهُوَ بَاطِلٌ، فَإِنْ تَشَاجَرُوا، فَالسُّلْطَانُ وَلِيُّ مَنْ لَا وَلِيَّ لَهُ»[184]

10–روى الإمام أحمد عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " **إِذَا نُكِحَتِ الْمَرْأَةُ بِغَيْرِ أَمْرِ مَوْلَاهَا، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَنكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَإِنْ أَصَابَهَا، فَلَهَا مَهْرُهَا بِمَا أَصَابَ مِنْهَا، فَإِنْ اشْتَجَرُوا فَالسُّلْطَانُ وَلِيُّ مَنْ لَا وَلِيَّ لَهُ**". وهذا حديث صحيح، صححه ابن معين وأبو عوانة وابن خزيمة وابن حبان والحاكم والبيهقي[185]. وفى رواية الحاكم عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ نُكِحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهَا، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، وَلَهَا مَهْرُهَا بِمَا أَصَابَ مِنْهَا، فَإِنِ اشْتَجَرُوا فَالسُّلْطَانُ وَلِيُّ مَنْ لَا وَلِيَّ لَهُ**»

وقد اعترض البعض على هذا الحديث لأن أحد الرواة في سنده هو الزُّهْرِيَّ، وقد سمعه من الزهرى رجل يسمى "سُلَيْمَانُ بْنُ مُوسَى"، الذي رواه بدوره لرجل يسمى "ابْنُ جُرَيْجٍ". ولكن لما قابل ابن جريج الزهرى مباشرة، وسأله عن هذا الحديث أنكر أنه يعرفه.

وقد رد كثير من العلماء على هذه الشبهة، ودافعوا عن الحديث دفاعا مستميتا[186]، فقالوا أن هذه الواقعة لم يذكرها **عن ابن جريج غيرُ ابنِ عُلَيّة**. وابن علية من كبار رجال الحديث[187]، **لكن ضعَّف ابن معين روايته عن ابن جريج**، فقد قال الترمذي: وذُكر عن يحيى بن معين أنه قال: لم يذكر هذا الحرف عن ابن جريج إلا إسماعيلُ بنُ إبراهيم (ابن علية). قال يحيى

184) قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ فِي خبرِ ابن جُرَيْجٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مُوسَى، عَنِ الزُّهْرِيِّ هَذَا "وَشَاهِدَيْ عَدْلٍ" إِلَّا ثَلَاثَةُ أَنْفَسٍ: سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى الْأُمَوِيُّ، عَنْ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْحَجَبِيُّ، عَنْ خَالِدِ بْنِ الْحَارِثِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ يُونُسَ الرَّقِّيُّ، عَنْ عِيسَى بْنِ يُونُسَ، وَلَا يَصِحُّ في ذكر الشاهدين غير هذا الخبر. وأخرج هذا الحديث بالزيادة المذكورة ابن حزم في المحلى، والبيهقي من طريق محمد بن أحمد بن الحجاج الرقي، والدارقطني، والبيهقي من طريق سليمان بن عمر بن خالد الرقي، كلاهما عن عيسى بن يونس، عن ابن جريج، به. وقال الدارقطني: تابعه عبد الرحمن بن يونس، عن عيسى بن يونس مثله سواء، وكذلك رواه سعيد بن خالد بن وتحرفت في "السنن" إلى: أن عبد الله بن عمرو بن عثمان، ويزيد بن سنان، ونوح بن دراج وعبد الله بن حكيم أبو بكر، عن هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة، قالوا فيه: "شاهدي عدل" وكذلك رواه ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها. وأخرجه البيهقي من طريق سليمان بن عمر الرقي عن يحيى بن سعيد الأموي، عن ابن جريج، به. انظر: **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان** (9/ 387)

185) انظر تعليق المحققين على **"مسند أحمد"** (40/ 243)

186) انظر في تفاصيل ذلك تعليقات المحققين على هذا الحديث في كتاب **"مسند أحمد"** (40/ 243)

187) ابْنُ عُلَيَّةَ هو إِسْمَاعِيْلُ بنُ إِبْرَاهِيْمَ بنِ مِقْسَمٍ الأَسَدِيُّ. قال عنه الذهبي: الإِمَامُ، العَلاَّمَةُ، الحَافِظُ، الثَّبْتُ، أَبُو بِشْرٍ الأَسَدِيُّ مَوْلاَهُمْ، البَصْرِيُّ، الكُوْفِيُّ الأَصْلِ، المَشْهُوْرُ: بِابْنِ عُلَيَّةَ؛ وَهِيَ أُمُّهُ. وَكَانَ فَقِيْهاً، إِمَاماً، مُفْتِياً، مِنْ أَئِمَّةِ الحَدِيْثِ. قَالَ غُنْدَرٌ: نَشَأْتُ فِي الحَدِيْثِ يَوْم نَشَأْتُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُقَدَّمُ فِي الحَدِيْثِ عَلَى ابْنِ عُلَيَّةَ. وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيُّ: مَا أَحَدٌ مِنَ المُحَدِّثِيْنَ إِلاَّ وَقَدْ أَخْطَأَ، إِلاَّ إِسْمَاعِيْلُ ابْنُ عُلَيَّةَ، وَبِشْرُ بنُ المُفَضَّلِ. قَالَ يَحْيَى بنُ مَعِيْنٍ: كَانَ ابْنُ عُلَيَّةَ ثِقَةً، تَقِيّاً، وَرِعاً. وَقَالَ يُوْنُسُ بنُ بُكَيْرٍ: سَمِعْتُ شُعْبَةَ يَقُوْلُ: إِسْمَاعِيْلُ ابْنُ عُلَيَّةَ سَيِّدُ المُحَدِّثِيْنَ. وَقَالَ عَمْرُو بنُ زُرَارَةَ النَّيْسَابُوْرِيُّ: صَحِبْتُ ابْنَ عُلَيَّةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَمَا رَأَيْتُهُ تَبَسَّمَ فِيْهَا. قُلْتُ: مَا فِي هَذَا مَدْحٌ، وَلَكِنَّهُ مُؤْذِنٌ بِخَشْيَةٍ وَحُزْنٍ. وَقَالَ إِبْرَاهِيْمُ بنُ عَبْدِ اللهِ الهَرَوِيُّ: سَمِعْتُ يَزِيْدَ بنَ هَارُوْنَ يَقُوْلُ: دَخَلْتُ البَصْرَةَ وَمَا بِهَا خَلْقٌ يُفَضَّلُ عَلَى ابْنِ عُلَيَّةَ فِي الحَدِيْثِ. وَقَالَ زِيَادُ بنُ أَيُّوْبَ: مَا رَأَيْتُ لإِسْمَاعِيْلَ ابْنِ عُلَيَّةَ كِتَاباً قَطُّ. وَكَانَ مَوْصُوْفاً بِالدِّيْنِ، وَالوَرَعِ، وَالتَّأَلُّهِ، مَنْظُوْراً إِلَيْهِ فِي الفَضْلِ وَالعِلْمِ، وَبَدَتْ مِنْهُ هَفَوَاتٌ خَفِيْفَةٌ، لَمْ تُغَيِّرْ رُتْبَتَهُ - إِنْ شَاءَ اللهُ انظر: **"سير أعلام النبلاء"** (9/ 107-110)

وقال الذهبى أيضا: إمامة إسماعيل وثيقة لا نزاع فيها، وقد بدت منه هفوة وتاب، فكان ماذا! إني أخاف الله، لا يكون ذكرنا له من الغيبة. انظر: **"ميزان الاعتدال"** للذهبي (1/ 220).

بن معين: وسماعُ إسماعيل بن إبراهيم عن ابن جريج ليس بذاك. **وقال الدارقطني في "العلل" لم يُتابَع ابنُ عُلية على هذا**، وقد تكلم يحيى بن معين في سماع ابن عُلية من ابن جريج. وقال **أحمد بن حنبل: إنَّ ابن جريج له كتب مدونة، وليس هذا في كتبه، يعني حكاية ابن علية عن ابن جريج**. ونقل البيهقي عن جعفر الطيالسي قوله: **وضعف يحيى بنُ معين روايةَ إسماعيل عن ابن جريج جداً.**

لكن **ردُّ البعض بأن ابنَ عُلية لم ينفرد بما حكاه عن ابن جريج، بل تابعه عليه بشر بن المفضل من رواية الشاذَكوني عنه عن ابن جريج**. ورد البعض على هذا ذاكرين أن**الشاذَكوني**– وهو سليمان بن داود– راو ضعيف، فقد قال البخاري: فيه نظر، وكذَبه ابن معين في حديث ذُكر له عنده، وقال أبو حاتم: متروك الحديث، وقال النسائي ليس بثقة، وقال صالح بن محمد الحافظ: ما رأيت أحفظ من الشاذكوني، وكان يكذب في الحديث. وقال الذهبي: وساق له ابن عدي أحاديث خولف فيها، وقال: ما أشبه أمره بما قال عبدان: يحدث حفظاً فيغلط.

وقال الحافظ في "التلخيص": وأعل ابنُ حبان وابن عدي وابن عبد البر والحاكم وغيرهم الحكاية عن ابن جريج، وأجابوا عنها على تقدير الصحة بأنه لا يلزم من نسيان الزُّهري له أن يكون سليمان بن موسى وهم فيه، وقد تكلم عليه أيضاً الدارقطني في جزء مَنْ حدَّث ونسي، والخطيبُ بعده.

قال الحاكم: فَقَدْ صَحَّ وَثَبَتَ بِرِوَايَاتِ الْأَئِمَّةِ الْأَثْبَاتِ سَمَاعُ الرُّوَاةِ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، فَلَا تُعَلَّلُ هَذِهِ الرِّوَايَاتُ، بِحَدِيثِ ابْنِ عُلَيَّةَ، وَسُؤَالِهِ ابْنَ جُرَيْجٍ عَنْهُ وَقَوْلِهِ: إِنِّي سَأَلْتُ الزُّهْرِيَّ عَنْهُ فَلَمْ يَعْرِفْهُ **فَقَدْ يَنْسَى الثِّقَةُ الْحَافِظُ الْحَدِيثَ بَعْدَ أَنْ حَدَّثَ بِهِ، وَقَدْ فَعَلَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ حُفَّاظِ الْحَدِيثِ**[188].

ويذكر ابن حزم **أمثلة على نسيان الرسول عليه الصلاة والسلام ونسيان كبار الصحابة** للقرآن والحديث، وهذا يؤكد أن نسيان الزهري لحديث عائشة لا يجعل الحديث ضعيفا:

---

188) **"المستدرك على الصحيحين" للحاكم** (2/ 182)

[ثُمَّ لَوْ صَحَّ أَنَّ الزُّهْرِيَّ أَنْكَرَهُ، وَأَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ مُوسَى نَسِيَهُ –: فَقَدْ رُوِّينَا ... عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا – قَالَتْ، «كَانَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – يَسْمَعُ قِرَاءَةَ رَجُلٍ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ: – رَحِمَهُ اللَّهُ – لَقَدْ أَذْكَرَنِي آيَةً كُنْتُ أُنْسِيتُهَا» .... وعَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَى عَنْ أَبِيهِ «أَنَّ النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – صَلَّى الْفَجْرَ فَأَغْفَلَ آيَةً، فَلَمَّا صَلَّى قَالَ: أَفِي الْقَوْمِ أُبَيّ بْنُ كَعْبٍ؟ فَقَالَ لَهُ أُبَيّ بْنُ كَعْبٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغْفَلْتَ آيَةَ كَذَا، أَوَنُسِخَتْ؟ فَقَالَ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ –: بَلْ أُنْسِيتُهَا». قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: فَإِذَا صَحَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – نَسِيَ آيَةً مِنْ الْقُرْآنِ، فَمَنْ الزُّهْرِيُّ، وَمَنْ سُلَيْمَانُ، وَمَنْ يَحْيَى حَتَّى لَا يَنْسَى؟ .... وَقَدْ نَسِيَ أَبُو هُرَيْرَةَ حَدِيثَ لَا عَدْوَى. وَنَسِيَ الْحَسَنُ حَدِيثَ مَنْ قَتَلَ عَبْدَهُ. وَنَسِيَ أَبُو مُحَمَّدٍ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ حَدِيثَ التَّكْبِيرِ بَعْدَ الصَّلَاةِ بَعْدَ أَنْ حَدَّثُوا بِهَا][189]

وهناك شبهة أخرى، هي أن عائشة والزهرى اللذين نسب إليهما هذا الحديث عملا بخلافه، فقد زوجت السيدة عائشة بنت أخيها عبد الرحمن أثناء سفره. والقصة ذكرها مالك فى الموطأ بإسناد صحيح: عن عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْقَاسِمِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، «أَنَّهَا زَوَّجَتْ حَفْصَةَ بِنْتَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْمُنْذِرِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ غَائِبٌ بِالشَّامِ، فَلَمَّا قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ: وَمِثْلِي يُصْنَعُ بِهِ هَذَا، وَيُفْتَاتُ عَلَيْهِ بِبَنَاتِهِ؟ فَكَلَّمَتْ عَائِشَةُ الْمُنْذِرَ بْنَ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ: فَإِنَّ ذَلِكَ فِي يَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: مَا لِي رَغْبَةٌ عَنْهُ وَلَكِنَّ مِثْلِي لَيْسَ يُفْتَاتُ عَلَيْهِ بِبَنَاتِهِ، وَمَا كُنْتُ لأَرُدَّ أَمْرًا قَضَيْتِهِ، فَقَرَّتِ امْرَأَتُهُ تَحْتَهُ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ طَلاقًا»[190،191].

---

189) "المحلى بالآثار" لابن حزم (9/ 29)

190) موطأ مالك (رواية محمد بن الحسن الشيباني). (ص: 192)

191) وفى **موطأ مالك برواية أبى مصعب الزهرى** (1/ 603): [أَخْبَرَنَا أَبُو مُصْعَبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَالِكٌ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ عَائِشَةَ , زَوَّجَتْ حَفْصَةَ بِنْتَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ,من الْمُنْذِرَ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ كان بِالشَّامِ، فَلَمَّا قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ: وَمِثْلِي يُصْنَعُ هَذَا بِهِ، ويُفْتَاتُ عَلَيْهِ؟ فَكَلَّمَتْ عَائِشَةُ الْمُنْذِرَ بْنَ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ الْمُنْذِرُ: فَإِنَّ ذَلِكَ بِيَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: مَا كُنْتُ لأَرُدَّ أَمْرًا قَضَيْتِهِ، فَقَرَّتْ حَفْصَةُ عِنْدَ الْمُنْذِرِ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ طَلاَقًا.]

وعبد الرحمن بن القاسم - شيخ الإمام مالك- وأبوه كلاهما من رجال البخارى ومسلم. وعبد الرحمن بن القاسم هو عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق، فجده أبو بكر الصديق رضى الله عنه. وجدير بالذكر أن للإمام مالك تلميذ اسمه شبيه باسم أستاذه، هو عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ القَاسِمِ العُتَقِيُّ مَوْلاَهُمْ، قال عنه الذهبى: عَالِمُ الدِّيَّار المِصْرِيَّة، وَمُفْتِيْهَا، أَبُو عَبْدِ اللهِ العُتَقِيُّ مَوْلاَهُمْ، المِصْرِيُّ، صَاحِبُ مَالِكٍ الإِمَامِ.رَوَى عَنْ: مَالِكٍ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ شُرَيْحٍ، وَنَافِعِ بنِ أَبِي نُعَيْمٍ المُقْرِئِ، وَبَكْرِ بنِ مُضَرَ، وَطَائِفَةٍ قَلِيْلَةٍ. وَعَنْهُ: أَصْبَغُ، وَالحَارِثُ بنُ مِسْكِيْنٍ، وَسُحْنُوْنُ، وَعِيْسَى بنُ مَثْرُوْدٍ، وَمُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ عَبْدِ الحَكَمِ، وَآخَرُوْنَ.انظر: **سير أعلام النبلاء** (9/ 120).

كما روى مَعْمَرٍ أَنَّهُ قَالَ لَهُ: سَأَلْت الزُّهْرِيَّ عَنْ الرَّجُلِ يَتَزَوَّجُ بِغَيْرِ وَلِيٍّ؟ فَقَالَ: إنْ كَانَ كُفُؤًا لَهَا لَمْ يُفَرَّقْ بَيْنَهُمَا[192].

ونحن نرى أن هذه الرواية لا تتناقض مع الحديث الذي يشترط وجود الولي لصحة الزواج، بل تؤكده، فلو لم يكن لموافقة الأب أهمية فى الشريعة لذكرت ذلك عائشة بوضوح –وهى لا تفتقر للجرأة فى الحق– ولأوضحت لأخيها أنه أخطأ، وأن الزواج صحيح من وجهة نظر الدين، وأن غضبه من زواج ابنته دون إذنه عمل من أعمال الجاهلية، التى أبطلها الإسلام، وأن الإسلام جعل الكلمة المطلقة للزواج فى يد البنت، وأن الولى لم يعد له دور. **ولو كان لدى عائشة ما تحفظ من أقوال الرسول التى تفيد إلغاء دور الولى لذكرته دون تردد، ولقالت لأخيها مثلا: كيف تحرم ما أحل الله؟ أو كيف تخالف تعاليم رسول الله؟** وبالعكس نجد السيدة عائشة لم تجادل أخيها، و**من الواضح أنها تراجعت، وتفهمت موقفه وغضبه من تزويج ابنته دون علمه.** ونجد الزوج يقول للسيدة عائشة أن قرار الزواج بيد والد الزوجة (فَإِنَّ ذَلِكَ فِي يَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ)، فلم تستنكر عائشة مقولته، وهذا إقرار منها بأن موافقة الولي لا غنى عنها. ويبدو أنها كلمت أخاها كلاما لينا حتى قبل الزواج، وأمضى كلمتها. وبالإجمال نص الرواية يؤكد بوضوح شديد أن الزواج ما كان ليستمر لولا موافقة الأب.

والحقيقة أن موقف السيدة عائشة يجب أن يفهم على أنها اعتبرت نفسها وليا لابنة أخيها في ظل غيابه، وهذا يختلف بشكل جذرى عما ذهب إليه البعض من إباحة تزويج المرأة لنفسها دون ولى. **إن عائشة لو كانت قد تركت الفتاة لتزوج نفسها بنفسها لقلنا أنها تناقضت مع الحديث الذى روته. إن كل ما فى الأمر أن عائشة تأولت الحديث، واعتبرت أن من الجائز للمرأة أن تكون وليا لابنتها أو ابنة أخيها في الزواج، لكنها لم تنكر من الأساس ضرورة وجود الولى.** نعم أخطأت السيدة عائشة في هذه النقطة، لكن من ذا الذي لا يخطيء؟ **والأهم أنها تراجعت،** وتركت أمر الزواج لأخيها[193].

---

192) **المحلى بالآثار** لابن حزم (9/ 29)

193) ربما سارت السيدة عائشة فى ذلك على نهج سيدنا عمر بن الخطاب حين أوكل مهمة تزويج بناته لابنته حفصة أم المؤمنين: أخرج عبد الرزاق عَنْ نَافِعٍ قَالَ: «وَلَّى عُمَرُ ابْنَتَهُ حَفْصَةَ مَالَهُ وَبَنَاتِهِ نِكَاحَهُنَّ، فَكَانَتْ حَفْصَةُ إِذَا أَرَادَتْ أَنْ تُزَوِّجَ امْرَأَةً أَمَرَتْ أَخَاهَا عَبْدَ اللَّهِ فَزَوَّجَ». ودور عبد الله بن عمر هنا كما هو واضح أن يتولى إجراءات الزواج فقط. ويبدو لنا أن سيدنا عمر كان يعتبر أن مكانة أمهات المؤمنين أعلى من مكانة أي رجل، ولهذا وكل أمر زواج بناته لابنته حفصة زوجة رسول الله، فهذا أكرم لهن، وأدعى لأن يوقرهن أزواجهن، إذ سيكون من الصعب على الزوج أن يسيء معاملة امرأة، زوجتها له أم المؤمنين. ولاحظ أن السيدة حفصة لم تجرؤ على أن تتولى العقد بنفسها، وهذا اعتراف ضمني بأن ولي المرأة يجب أن يكون في النهاية رجلا، وأنها تمثل حالة استثنائية ليس إلا. ولاحظ أيضا أن السيدة حفصة ما قامت بهذا الدور لولا أن أباها عمر بن الخطاب وكل لها

وفضلا عما سبق، **فهناك تفسيرات أخرى** لتناقض موقف السيدة عائشة، **منها أن الإنسان كثيرا ما يحفظ حديثا، لكنه لا يطبقه،** مثل حديث (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)، فهذا الحديث يحفظه كل المسلمين، لكن أغلبهم ينسونه حين يتعاملون مع أصحابهم وأقاربهم. وبالمثل يمكن أن تكون السيدة عائشة والزهرى قد اتخذا مواقف تخالف حديثا صحيحا سمعوه عن رسول الله، فكل منهما بشر غير معصوم. وتصرفهما على نحو يخالف حديثا روياه لا يعنى أنهما لم يرويا هذا الحديث. كما أن المسلم مأمور باتباع أحاديث الرسول، وليس باتباع أفعال الصحابة، يقول ابن حزم: «إِنَّمَا أَمَرَنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَقَامَتْ حُجَّةُ الْعَقْلِ بِوُجُوبِ قَبُولِ مَا صَحَّ عِنْدَنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَبِسُقُوطِ اتِّبَاعِ قَوْلٍ مِنْ دُونِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.**وَلَا نَدْرِي أَيْنَ وَجَدُوا: أَنَّ مَنْ خَالَفَ – بِاجْتِهَادِهِ مُخْطِئًا مُتَأَوِّلًا – مَا رَوَاهُ أَنَّهُ يَسْقُطُ بِذَلِكَ مَا رَوَاهُ،** ثُمَّ نَعْكِسُ عَلَيْهِمْ أَصْلَهُمْ هَذَا الْفَاسِدَ، فَنَقُولُ: إذَا صَحَّ أَنَّ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا – وَالزُّهْرِيَّ – رَحِمَهُ اللَّهُ – رَوَيَا هَذَا الْخَبَرَ، وَرُوِيَ عَنْهُمَا أَنَّهُمَا خَالَفَاهُ، فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى سُقُوطِ الرِّوَايَةِ بِأَنَّهُمَا خَالَفَاهُ، بَلْ بَلْ الظَّنُّ بِهِمَا أَنَّهُمَا لَا يُخَالِفَانِ مَا رَوَيَاهُ، وَهَذَا أَوْلَى، لِأَنَّ **تَرْكَنَا مَا لَا يَلْزَمُنَا مِنْ قَوْلِهِمَا لِمَا يَلْزَمُنَا مِنْ رِوَايَتِهِمَا هُوَ الْوَاجِبُ، لَا تَرْكَ مَا يَلْزَمُنَا مِمَّا رَوَيَاهُ لِمَا لَا يَلْزَمُنَا مِنْ رَأْيِهِمَا**..... وعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا أَنْكَحَتْ رَجُلًا مِنْ بَنِي أَخِيهَا جَارِيَةً مِنْ بَنِي أَخِيهَا، فَضَرَبَتْ بَيْنَهُمْ سِتْرًا، ثُمَّ تَكَلَّمَتْ حَتَّى إذَا لَمْ يَبْقَ إلَّا النِّكَاحُ أَمَرَتْ رَجُلًا فَأَنْكَحَ، ثُمَّ قَالَتْ: لَيْسَ إلَى النِّسَاءِ النِّكَاحُ – **فَصَحَّ يَقِينًا بِهَذَا رُجُوعُهَا عَنْ الْعَمَلِ الْأَوَّلِ إلَى مَا نَبَّهَتْ عَلَيْهِ مِنْ أَنَّ نِكَاحَ النِّسَاءِ لَا يَجُوزُ».**[194]

وذكر ابن بطال قصة تزويج السيدة عائشة لبنت أخيها فى غيابه، وأنكر أن يستدل منها على أن مذهبها جواز النكاح بغير ولى: «لا حجة لكم فى هذا الخبر، **وليس معنى قوله: زوجت بنت أخيها، إلا الخطبة، والكلام فى الرضا والصداق دون العقد،** لما رواه ابن جريج، عن عبد الرحمن بن القاسم ابن محمد بن أبى بكر الصديق التيمى، عن أبيه، عن

هذه المهمة، وهذا يعني أن عمر هو الولي في الحقيقة، وليس حفصة. لا يهمنا كل هذا كثيرا، فهذه مسألة ثانوية، والمهم أن الجميع متفقون على أن المرأة لا يجوز لها أن تزوج نفسها دون موافقة وليها. وكون الولي رجل أو امرأة مسألة ثانوية.

194) المحلى بالآثار (9/ 30)

عائشة، أنها أنكحت رجلاً من بنى أخيها، فضربت بينهم بستر، ثم تكلمت حتى لم يبق إلا العقد، أمرت رجلاً فأنكح، ثم قالت: ليس إلى النساء نكاح»[195]

11- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «**لَا تُزَوِّجُ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ، وَلَا تُزَوِّجُ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا، فَإِنَّ الزَّانِيَةَ هِيَ الَّتِي تُزَوِّجُ نَفْسَهَا**». وهذا حديث صحيح لغيره[196]. وروى الدارقطنى موقوفا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: «**كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ الَّتِي تُنْكِحُ نَفْسَهَا هِيَ الزَّانِيَةُ**» وهذا إسناد صحيح. وقول أبى هريرة يظهر كيف كان الصحابة ينظرون باحتقار إلى المرأة التي تزوج نفسها.

12- **نقل ابن حزم أقوال عدد من الصحابة الذين كانوا يرون أن المرأة لا يجوز أن تتزوج إلا بإذن وليها.** حقا رأى الصحابى ليس ملزما لنا، لكنه يمكن أن يقوى ما سبق أن قدمناه من أدلة:

«قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: وَمِمَّنْ قَالَ بِمِثْلِ قَوْلِنَا جَمَاعَةٌ مِنْ السَّلَفِ: روى عن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: لَا تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ إلَّا بِإِذْنِ وَلِيِّهَا، أَوْ ذَوِي الرَّأْيِ مِنْ أَهْلِهَا، أَوْ السُّلْطَانِ. وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَعْبَدٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَدَّ نِكَاحَ امْرَأَةٍ نَكَحَتْ بِغَيْرِ إذْنِ وَلِيِّهَا. وروى عبد الرزاق عن عِكْرِمَةَ بْنَ خَالِدٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ الطَّرِيقَ جَمَعَ رَكْبًا، فَجَعَلَتْ امْرَأَةٌ ثَيِّبٌ أَمْرَهَا إلَى رَجُلٍ مِنْ الْقَوْمِ غَيْرِ وَلِيٍّ فَأَنْكَحَهَا رَجُلًا، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، فَجَلَدَ النَّاكِحَ وَالْمُنْكِحَ وَرَدَّ نِكَاحَهَا.وَمِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: لَيْسَ لِلنِّسَاءِ مِنْ الْعَقْدِ شَيْءٌ، لَا نِكَاحَ إلَّا بِوَلِيٍّ، لَا تُنْكِحُ

---

195) شرح صحيح البخارى لابن بطال (7/ 243)

196) حديث صحيح لغيره دون قوله: "فإن الزانية هي الي تزوج نفسها" وهذا إسناد ضعيف لضعف جميل بن الحسن العتكي، والصحيح أن هذه الجملة من قول أبي هريرة، كما جاء مفضلًا في رواية عبد السلام بن حرب الملائي عن هشام بن حسان عند الدارقطني (3536) والبيهقي 7/ 110، وقال البيهقي بإثره: وعبد السلام ابن حرب قد ميز المسند من الموقوف فيشبه أن يكون قد حفظه، والله تعالى أعلم. وأخرجه ابن عدي في "الكامل" 6/ 2267، والدارقطني (3535) و (3537)، والبيهقي 7/ 110 من طريق جميل بن الحسن، بهذا الإسناد. وأخرجه الدارقطني من طريق موسى بن هارون وأحمد بن أبي عوف، والبيهقي 7/ 110 من طريق الحسن بن سفيان، ثلاثتهم عن مسلم بن عبد الرحمن الجرمي، عن مخلد بن حسين، عن هشام بن حسان، به. وقال الحسن بن سفيان بعده: وسألتُ يحيى بن معين عن رواية مخلد بن حسين، عن هشام بن حسان، فقال: ثقة. فذكرت له هذا الحديث قال: نعم، قد كان شيخ عندنا يرفعه عن مخلد. وأخرجه الدارقطني (3536) و (3541)، والبيهقي 7/ 110 من طريق عبد السلام ابن حرب، عن هشام بن حسان، به بلفظ: "لا تزوج المرأة المرأة، ولا تزوج المرأة نفسها" وكنا نقول: إن التي تزوج نفسها هي الفاجرة. وأخرجه الدارقطني (3539) من طريق النضر بن شُميل، عن هشام بن حسان، والبيهقي 7/ 110 من طريق الأوزاعي، كلاهما عن ابن سيرين، عن أبي هريرة قال: لا تزوج المرأة المرأة ... إلخ موقوفًا. قال البيهقي بإثره: وكذلك قاله ابن عيينة، عن هشام عن ابن سيرين. يعني موقوفًا. **وأخرجه الدارقطني (3538) من طريق حفص بن غياث، عن هشام، عن ابن سيرين عن أبي هريرة، قال: كنا نتحدث أن التي ننكح نفسها هي الزانية. وإسناده صحيح [**نقلا عن تعليق المحققين على كتاب **"سنن ابن ماجه"** (3/ 80)]. تأليف ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. تحقيق شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله. دار الرسالة العالمية. الطبعة الأولى، 1430 هـ - 2009 م.

الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا، فَإِنَّ الزَّانِيَةَ تُنْكِحُ نَفْسَهَا. وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ: الْبَغَايَا اللَّاتِي يَنْكِحْنَ أَنْفُسَهُنَّ بِغَيْرِ الْأَوْلِيَاءِ»[197].

وأورد ابن بطال إجماع الصحابة على ضرورة وجود الولى فى عقد الزواج: «الأيم أحق بنفسها من وليها، أى أن معنى ذلك أنها أحق بنفسها فى أنه لا ينعقد عليها إلا برضاها، لا أنها أحق بنفسها فى أن تعقد عليها عقدة نكاح دون وليها. قال ابن المنذر: **ولا أعلم أحدًا من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثبت عنه خلاف ما قلنا**»[198]

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

هل المرأة بحاجة إلى وصاية؟

«كيف تعاملون المرأة على أنها طفلة لا يحق لها أن تختار شريك حياتها، بينما يستطيع الرجل أن يتزوج بأي امرأة شاء؟». هكذا يصرخ أنصار المرأة ومن فى قلوبهم مرض.

ولهؤلاء نقول أنتم لا تفكرون فيما وراء الظواهر، ولو فعلتم لأدركتم حكمة الإسلام الكامنة وراء تشريعاته. لقد اشترط الإسلام موافقة ولى المرأة على الزواج للأسباب التالية:

1- **اشتراط موافقة الولى على النكاح ليس هدفه إهانة المرأة، بل حمايتها.** بعض الرجال إن شعر أن زوجته وحيدة تجرأ عليها، وأساء معاملتها. وكم من رجل غليظ ود لو كسر عظام زوجته، لكن منعه الخوف من قوة أوليائها. إن المرأة بطبعها ضعيفة، ومن رحمة الله تعالى بها أن عمل على الحفاظ على ارتباطها بأهلها بعد زواجها، وهذا لا يتحقق إلا إذا وافق الأهل على الزواج، وباركوه، وقاموا عليه. أما الرجل فمخلوق قوى، وحتى لو تزوج ضد إرادة أهله فلا خوف عليه من زوجته. وفى أوروبا وأمريكا استقلت المرأة بحياتها، وعاشت بعيدة عن أسرتها مع صديقها أو زوجها، فإن تعرضت يوما للعنف أو التهديد لم تجد حولها أحدا تستنجد به. لقد شرع الإسلام موافقة الولى على الزواج من أجل مصلحة المرأة. ومن العجيب فعلا أن تنقلب الآية، فيلام الإسلام على ما يستحق أن يُشكر عليه.

---

197) **المحلى بالآثار** (9/ 31)
198) **شرح صحيح البخارى** لابن بطال (7/ 243)

وأرجو ألا يظن البعض أننا نطالب بأن يتدخل أهل الزوجة في كل تفاصيل حياتها الزوجية، ولكن ننصحهم بأن يبقوا في الظل، ويراقبوها من بعيد، ويتركوها تحل مشاكلها مع زوجها، باعتباره رئيسا لها، وقواما عليها كما أمر الله. فإن تجاوز الزوج حدود الشرع –كأن يضربها ضربا مبرحا يؤدي لإصابات– تدخلوا للدفاع عن ابنتهم.

يجب أن تعلم المرأة أن القانون وحده لن يحميها، وأن هناك الكثير من صورة الإساءة الزوجية التي لا يمكن للقانون أن يعاقب عليها. على سبيل المثال من الصعب أن تثبت المرأة للشرطة أن زوجها سبها بكلام فاحش، أو عايرها بقبحها، أو هجرها في المضجع لفترة طويلة، أو خانها، أو حاول سلب أموالها. لكن إن اشتكت المرأة لأهلها، وواجهوا الزوج بأخطائه ما استطاع أن ينكر، ولتمكنوا من الضغط عليه كي يتراجع. وكثير من الخلافات الزوجية يمكن أن تحل بعيدا عن سيف القانون.

2- **تتميز المرأة المسلمة بالحياء إذا تكلمت مع الرجال** لأن المجتمع المسلم ليس مثل تلك المجتمعات المفتوحة التى يختلط فيها الرجال بالنساء دون قيود، ويباح للمرأة فيها أن تبرز مفاتنها أمام الرجال. وأكثر ما يخجل المرأة أن تتكلم فى أمور الزواج. والمرأة الخجولة يتجمد عقلها إن تلقت عرضا بالزواج، فهى لم تتعود على الكلام مع الرجال، ولهذا كانت محتاجة إلى وليّ، يقابل الرجل الذى يتقدم لخطبتها، ويتعرف عليه وعلى أسرته، ويتفاوض معه على المهر والمسكن وغير ذلك من التفاصيل. وكل هذه أمور يفترض أن تخجل المرأة من الكلام حولها. وقد توافق المرأة على الزواج من أى رجل غير مناسب لأن كل رجل يمثل بالنسبة لها نجما، سقط من عليائه أمامها فجأة، فأنى لها أن ترفضه؟ وقد روت السيدة عائشة كيف كانت الفتاة الصغيرة فى عصرها تخجل من مجرد إعلان موافقتها على الزواج، فما بالك بالكلام فى بقية أمور الزواج: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «البِكْرُ تُسْتَأْذَنُ» قُلْتُ: إِنَّ البِكْرَ تَسْتَحْيِي؟ قَالَ: «إِذْنُهَا صُمَاتُهَا». رواه البخاري. وذاع فى بلادنا المثل القائل: "السكوت علامة الرضا".

3- **وجود الولى مع المرأة في الزواج يشعرها بالفخر والعزة. وكيف يحضر الولي عرسا، وهو لا يوافق عليه؟** ولا شك أن مما يشرف أي إنسان أن يقف الناس بجواره في عرسه. الرجل

يشرفه ذلك، والمرأة يشرفها ذلك. والناس جميعا يتنافسون في دعوة الأقارب في أفراحهم. وكلما كثر عدد الحاضرين شعروا بمزيد من العزة والشرف. أذكر أننا حضرنا منذ سنوات عرسا، فكان عدد الحاضرين من طرف الزوجة خرافيا، وكان السائرون إلى بيتها الجديد للتهنئة يقدرون بالمئات، وهو عدد لم تشهده القرية من قبل، فظلت العروس تتفاخر بأهلها الذين شرفوها. وبالعكس يشعر الإنسان بحرج شديد إن كان عدد المدعوين للعرس قليلا، والوضع يكون في غاية الصعوبة إن قاطع أهل أحد العروسين حفل الزفاف.

4- **في المجتمع المسلم يكلف الرجل بالعمل، وتبقى المرأة داخل البيت، ولهذا تكون المرأة فى المجتمع المسلم أقل خبرة بالحياة العملية. وإذا أضفنا لهذا صغر سنها أدركنا أهمية إشراف أبيها على زواجها،** فيستمع إلى خطيبها، ويتعرف على أسرته، ويتفاوض حول شروط الزواج. والأب أكثر دراية بأخلاق الرجال، وأكبر خبرة بحيل الماكرين، وألاعيب الأفاكين. ولو تركنا البنت لتتخذ القرار وحدها فما أيسر أن تقع فى فخاخ الطامعين. حقا من الممكن للأب أن ينخدع بكلام الخطيب، وقد يكون لدى البنت من الذكاء ما يمكنها من معرفة الزوج الأصلح، لكن بشكل عام الآباء أقدر على اختيار الزوج المناسب مقارنة ببناتهم، فمثلا إن نجح الآباء في 80% من الحالات، فستنجح البنات في 50% من الحالات (هذه مجرد أرقام افتراضية للتوضيح). وكم سمعنا عن بنات تزوجن ضد رغبة أهلهن فما لقين إلا الخيبة. هناك فتاة أحبت شابا تعرفت عليه في النادى، فرفضه أهلها لأنه بلا عمل، ولا يبحث عن عمل، لكن البنت أصرت على الزواج منه، فتبين بعد ذلك أن الشاب استساغ أن يحيا عاطلا، وأنه ما تزوجها إلا لكى يعيش عالة عى أهلها الأثرياء، فندمت البنت، لكن بعد أن وجدت نفسها مكبلة بالأولاد. وسمعنا عن بنت هربت من أهلها كى تتزوج شابا أحبته، فظن أهلها أنها خطفت أو ماتت فى حادث. ولما تزوجت البنت اكتشفت أن زوجها مدمن للمخدرات، وتغيرت معاملته لها سريعا لأنه يعلم أنها وحيدة، وهي لا تستطيع أن تلجأ إلى أهلها بعد أن وضعت وجوههم في التراب، فلم يكن أمامها إلا أن تتجرع الهوان في صمت، حتى انتحرت في النهاية. والحكايات من هذا النوع لا تحصى، وهي تثبت أن موافقة الأب على الزواج أمر في صالح الفتاة نفسها لأن أسرتها هي أول من

سيقف بجوارها إن أساء زوجها معاملتها. أما إن تحدت الفتاة أهلها، وتزوجت رغما عنهم فبأى وجه تلجأ إليهم إن حدث لها مكروه؟

وقد يقال أن الشاب وقت زواجه يكون أقل خبرة من أبيه الأكبر سنا، فلماذا تسمح له الشريعة أن يتزوج من يشاء، وتحظر ذلك على المرأة؟ ونحن نقدم الأسباب التالية:

أولا: إن تزوجت المرأة برجل سيء الخلق كانت العواقب وخيمة، وذلك لأن المرأة –كما قلنا– أضعف جسدا، ويمكن أن تتعرض للإيذاء على يد زوج فاجر دون ذنب فعلته، أما الرجل فإن تزوج بامرأة سيئة الخلق فلن تقدر على إيذائه، بل ربما كان هو الذى يضربها. ولهذا فاشتراط موافقة الولى على الزواج يصب فى مصلحة المرأة، ويحميها من عدوان الأوغاد. وفضلا عن ذلك فالمرأة إن لم توفق فى الزواج خرجت منه بخسارة أكبر مقارنة بالرجل. الرجل يمكن أن يتزوج مرة أخرى بسهولة، لكن المرأة ستجد صعوبة أكبر فى الزواج لأنها صارت ثيبا، والرجال يفضلون البكر. كما أن جمال المرأة يتأثر بعد الحمل والولادة، وكل هذا يقلل من فرصها فى الزواج بعد الطلاق، وفى الغالب لن تتزوج إلا من رجل فى مستوى اجتماعى أقل، كأن يكون فقيرا، أو كبيرا فى السن، أو سبق له الزواج، أو متزوج من امرأة أخرى. وكثيرا ما تبقى المرأة بلا زواج مدى الحياة بعد الطلاق. أما الرجل الذى سبق له الزواج فسيتزوج حتما مرة أخرى. حقا ربما تكون زوجته الجديدة أقل في الجمال والمستوى الاجتماعي من الزوجة الأولى، لكنه أحسن حالا من المرأة التي يحتمل جدا ألا تعثر على أي زوج مرة أخرى.

ثانيا: الشاب يكون عادة أكثر خبرة من الفتاة المماثلة له في السن لأن الشاب – فى المجتمع المسلم النموذجى– يعمل، والفتاة لا تعمل، وعمل الرجل يكسبه معرفة بطبائع الناس وخبرة بحيلهم وألاعيبهم، ويجعله أقدر على حسن اختيار الأسرة التى سيتزوج منها. ولو سمحنا للمرأة أن تعمل لتكتسب الخبرة لجار ذلك على دورها في البيت، وانتقص من مساهمتها في تربية الأولاد، وأورث نزاعات في البيت كما ذكرنا تفصيلا حين تكلمنا عن عمل المرأة في موضع آخر[199].

---

199) انظر كتابنا: **"من يحكم الأسرة في الإسلام: الرجل أم المرأة".** صفحة 216

ثالثا: المرأة بشكل عام أكثر انسياقا وراء عاطفتها، وأقل إنصاتا لصوت العقل مقارنة بالرجل، وهذا يجعل قراراتها أكثر بعدا عن الصواب. وقد تكلمنا بالتفصيل في موضع آخر عن الاختلافات بين شخصية الرجل والمرأة[200].

وقد عبر الشيخ محمد أبو زهرة بكلمات رائعة عن أهمية موافقة الولى على الزواج، فقال: «لأن عقد الزواج عظيم الخطر، والرجال صناديق مغلقة لا تعرفهم النساء المعرفة الحق، لأنهن ملتزمات أخدارهن، والبرزات منهن يؤثر فيها الحس، فيسرن في أحكامهن وراءه، ولا ينظرن إلى ما يختفى، ولذلك كان من مصلحتها أن يشترك معها وليها في اختيار زوجها، فإنه يختبر، ويبحث من غير أن يستهويه منظر أو مظهر، وإن ذلك العقد الخطير يعود على الولى بالعار أو الفخار لأن الزواج ربط بين أسرتين، والولى يؤذيه زواجها من خسيس، ويشرفه زواجها من شريف»[201]

رابعا: من الخطأ توهم أن الرجل حر من كل قيود الشريعة فى اتخاذ القرار بالزواج. الشريعة يجب أن تؤخذ ككل. وقد أوصت الشريعة ببر الوالدين والأقربين، ومن قبيل البر أن يتزوج الرجل بامرأة يرضى عنها أهله كى تعينه بعد الزواج على صلة رحمه. وإن وجد الشاب أن أسرته تعترض على زواجه بالمرأة، فصلة الرحم تفرض عليه ألا يتحداهم، إلا إذا كان لديه يقين بأن أهله على خطأ واضح، كأن يعارضوا زواجه من امرأة فقيرة رغم أنها ذات خلق ودين، أو كانوا يريدون منه أن يتزوج فتاة متبرجة كي يستولي على ثروتها.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

أدلة من أنكروا ضرورة إذن الولى

فى العصر الحديث أخذ المشرعون فى بلادنا برأى فقهى للمذهب الحنفي، يبيح للمرأة أن تزوج نفسها دون إذن وليها. لقد خالف أبو حنيفة وأبو يوسف – في رواية عنه– سائر الفقهاء، وقالا أن من حق المرأة أن تنفرد باختيار الزوج من غير إشراك وليها، ولها أن تنشىء العقد بعبارتها،

---

200) **"من يحكم الأسرة في الإسلام: الرجل أم المرأة"**. صفحة 73.

201) الأحوال الشخصية. تأليف الشيخ محمد أبو زهرة. صفحة 129. الطبعة الثالثة. 1957م-1377هـ. دار الفكر العربي.

ولكن يستحب أن يتولى ذلك وليها. واستند هؤلاء إلى عدد من الحجج، سنقدمها لكم، وندحضها بإذن الله:

1- احتج الحنفية بأن القرآن أسند الزواج للمرأة، وهذا دليل على أن لها الحق في تزويج نفسها، حيث قال عز وجل: {فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ} [البقرة: 230]، وقال تعالى حين تكلم عن النساء: {أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ} [البقرة: 232]

ونحن نقول حقا أسند القرآن في هذه الآيات الزواج إلى المرأة، لكن لماذا تتجاهلون أن القرآن أسند الزواج إلى ولي المرأة في آيات أخرى مثل {وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا} [البقرة: 221]؟ لقد كان أجدر بكم أن تتساءلوا: هل تناقض القرآن حين أسند النكاح للمرأة في آيات، وأسنده إلى وليها في آيات أخرى؟ هذا السؤال لا مفر منه لمسلم يبحث عن الحقيقة، والإجابة عليه تحل الإشكال تماما. ونحن نقول: هب أن امرأة جلست تطعم طفلها طبقا من الأرز، ففي هذه الحالة يجوز من الناحية اللغوية أن نقول: (أطعمت الأم طفلها الأرز) أو (أكل الطفل الأرز) لأن كلا منهما ساهم في الأكل، فقد أمسكت الأم بالملعقة والطبق، بينما فتح الطفل فمه وابتلع الأرز. وكذلك يجوز أن تقول: (شربت الماشية من الماء) أو (سقى الراعى الماشية من الماء) لأن فعل الشرب ساهم فيه كل من الراعى والماشية، وصح بالتالى أن نسند الشرب لكل منهما. وبالمثل يصح إسناد الزواج إلى كل من المرأة ووليها، فالفتاة أسلمت نفسها لزوجها، والولى هو الذي وافق على الزواج وتولى العقد، واتفق مع الزوج على المهر وغير ذلك من التفاصيل.

2- واحتجوا أيضا بأن الله تعالى نهى ولى المرأة أن يمنعها من العودة إلى زوجها إن طلقها، وانقضت عدتها، وهذا دليل على أن الولي لا سلطة له في الزواج: {وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ} [البقرة: 232]

لكن رأى المخالفون أن في نفس الآية دليلا مضادا، يقول ابن رشد: «قَالُوا: وَهَذَا خِطَابٌ لِلْأَوْلِيَاءِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ حَقٌّ فِي الْوِلَايَةِ لَمَا نُهُوا عَنِ الْعَضْلِ»[202].

---

202) بداية المجتهد ونهاية المقتصد (3/ 37). تأليف أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد، الشهير بابن رشد الحفيد. دار الحديث – القاهرة. 1425هـ - 2004 م

ونحن نقول أن **هذه الآية يجب أن ينظر إليها على أنها ذات مدلول محدد جدا، وأنها استثناء من القاعدة**. ومجمل الصورة كالآتي: لا يجوز للمرأة أن تتزوج إلا بموافقة وليها لأن وليها أكبر سنا وخبرة بالرجال، لكن يستثنى من ذلك عودة المرأة لزوجها السابق بعد انقضاء العدة لأن المرأة في هذه الحالة أكثر خبرة من وليها بهذا الرجل بالذات لأنها عاشت معه، واطلعت كل مزاياه وعيوبه بشكل لم يتح لوليها. وكثير من مزايا الزوج وعيوبه لا يعرفها إلا من عاش معه في بيت واحد، وأكل معه، وشرب معه، ونام معه. إذن القاعدة أنه يحق للولي أن يعترض على الزواج، لكن هذا الحق يُسحب منه في حالة خاصة، إن أرادت ابنته الرجوع لزوجها بعد الطلاق وانقضاء العدة.

وسبب هذا الاستثناء أن ولي المرأة إن رفض عودتها لزوجها بعد الطلاق تهدمت أسرتها، وضاع الأولاد، وتمزقوا بين أبيهم وأمهم. وقد يوغر كل من الزوجين صدر أولاده على الآخر، ويتهمه بأنه سبب الفراق والشقاق. ويسبب الطلاق صدمة نفسية للمرأة بقية حياتها، ويؤثر بشدة على فرصها في الزواج لاحقا، لأنها تصبح ثيبا، فيزهد فيها الرجال. كما أن الولي يكون أدرى بمصلحة ابنته حين يأتيها الزوج لأول مرة، لكن الوضع ينقلب، فتصبح أدرى بزوجها بعد أن تعيش معه، وتتعرف على طباعه، وتفهم عيوبه ومحاسنه. وقد ترى فيه ميزة خفية، أهم من كل عيوبه الظاهرة التي يراها أبوها. **وعلى ذلك فمن الخطأ تعميم هذه الآية الأخيرة بما يلغي دور كل الأولياء في الاعتراض على زواج بناتهم.**

ومما يؤكد كلامنا العودة إلى الواقعة التي نزلت فيها هذه الآية، ففيها نجد أن معقل بن يسار منع أخته من الرجوع إلى زوجها السابق، فنزلت الآية، فامتثل الأخ للقرآن. والشيء المهم أن الرواية تقول أن **الأخ هو الذى تولى تزويج أخته بنفسه بعد نزول الآية، وهذا يدل على أن الآية لم تنزل لتخلص النساء من سلطة الأولياء بشكل عام، بل نزلت لتلغي سلطتهم عليهن في حالة خاصة:** روى عن مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ أن الآية نزلت فيه، قال: (زَوَّجْتُ أُخْتًا لِي مِنْ رَجُلٍ فَطَلَّقَهَا، حَتَّى إِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا جَاءَ يَخْطُبُهَا، فَقُلْتُ لَهُ: زَوَّجْتُكَ وَفَرَشْتُكَ وَأَكْرَمْتُكَ، فَطَلَّقْتَهَا، ثُمَّ جِئْتَ تَخْطُبُهَا، لاَ وَاللَّهِ لاَ تَعُودُ إِلَيْكَ أَبَدًا، وَكَانَ رَجُلًا لاَ بَأْسَ بِهِ، وَكَانَتِ المَرْأَةُ تُرِيدُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الآيَةَ: {فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ} [البقرة: 232] فَقُلْتُ: الآنَ أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «**فَزَوِّجْهَا إِيَّاهُ**» رواه البخارى. ولاحظ عبارة **(فَزَوِّجْهَا إِيَّاهُ)** التى تعني أن

الأخ هو الذى تولى تزويج أخته بعد نزول الآية، وأنها لم تتزوجه وحدها. ولو كانت الآية تفيد أن الولى فقد كل دوره لقالت الرواية: **(فتركها تتزوجه).**

3- **استخدم الحنفية مبدأ القياس، فقالوا بما أنه يجوز للمرأة أن تمارس البيع دون إذن وليها، فكذلك يجوز لها أن تتزوج دون إذنه.** يقول النووي: «وَاحْتَجَّ أَبُو حَنِيفَةَ بِالْقِيَاسِ عَلَى الْبَيْعِ وَغَيْرِهِ فَإِنَّهَا تَسْتَقِلُّ فِيهِ بِلَا وَلِيٍّ».[203] وقالوا إن عقد الزواج «خَالِصُ حَقِّهَا، وَهِيَ مِنْ أَهْلِ الْمُبَاشَرَةِ، فَصَحَّ مِنْهَا، كَبَيْعِ أَمَتِهَا، وَلِأَنَّهَا إذَا مَلَكَتْ بَيْعَ أَمَتِهَا، وَهُوَ تَصَرُّفٌ فِي رَقَبَتِهَا وَسَائِرِ مَنَافِعِهَا، فَفِي النِّكَاحِ الَّذِي هُوَ عَقْدٌ عَلَى بَعْضِ مَنَافِعِهَا أَوْلَى»[204].

ونحن نرى أن هذا القياس فاسد، فمن الخطأ القول بأنه ما دام من حق المرأة أن تبيع دون إذن وليها فكذلك من حقها أن تتزوج دون إذنه. **هذا القياس خاطيء لأنه يقود إلى تخلص المرأة تماما من وصاية وليها عليها في كل الأمور، وليس فقط في الزواج،** فما دام من حقها أن تبيع وتشتري دون وصاية من أحد، فسيحق لها أن تخرج من بيتها دون إذن أبيها، وتبقى خارج البيت طوال النهار دون أن تخبره أين ذهبت، وتسافر خارج البلاد دون إذنه، وتصاحب فتاة خليعة نهاها عن التواصل معها. وسيُحول هذا القياس الفاسد الفتاة المسلمة إلى فتاة متحررة، تفعل كل ما بدا لها كما لو كانت تعيش في أوربا وأمريكا.

ثم انظر إلى قولهم أن الزواج "خالص حقها": **نعم الزواج حق من حقوق المرأة، لكن الإنسان لا يملك التصرف المطلق في كل شيء يخصه،** فمثلا تناول الطعام حق للإنسان، لكن لا يحق له أن يأكل لحم الخنزير. واللباس حق من حقوق الإنسان، لكن لا يحل للمرء أن يرتدي ثوبا يكشف عورته. والكلام حق من حقوق الإنسان، لكن لا يحق له أن يقول الزور. ونفس الشيء ينطبق على الزواج، فلا يحق للمرأة مثلا أن تتزوج بكافر، أو تتزوج من رجلين في نفس الوقت، أو تتزوج في العدة، فدل هذا على أن **حق المرأة في الزواج غير مُطْلق، وأنه مقيد بالشريعة، وقد قيدت الشريعة حق الزواج بموافقة ولى المرأة** كما رأينا في الأحاديث التى يؤيدها القرآن والأدلة العقلية.

---

203) **شرح النووي على مسلم** (9/ 205).

204) **"المغني"**(7/ 7). تأليف موفق الدين عبد الله بن أحمد، المعروف بابن قدامة المقدسي. مكتبة القاهرة. 1388هـ - 1968م.

ومن الخطأ أيضا القول بأنه إذا كان من حق المرأة أن تبيع عبدها أو أمتها فكيف لا يحق لها أن تزوج نفسها؟ هذا القياس لا يجوز لأن الزواج أشد خطرا من البيع، **فالعواقب التي تترتب على صفقة بيع خاسرة أقل ضررا من العواقب التي تترتب على زواج غير ناجح** لأن المرأة إن أساءت اختيار الزوج دون مشورة أهلها عانت معه أشد المعاناة، فقد يضربها بلا سبب، ويتعمد إهانتها وإذلالها، ويجبرها على التنازل عن مهرها وأموالها، وقد يحضها على معصية الله، أو يسيء تربية أولادها. وإن طلقت منه تعرض الأولاد للتشرد، وعاشوا مع أحد الأبوين دون الآخر. كما أن المرأة بعد الطلاق تقل فرصتها كثيرا في الزواج. **وهكذا فإن تصرفت المرأة وحدها دون مشورة أحد، وباعت عبدا لها بثمن بخس، لم تخسر كثيرا، لكنها إن تصرفت وحدها، وتزوجت من رجل غير مناسب، فما أفدح خسارتها!** إذن هناك تشابه سطحى بين بيع المرأة لعبدها وبين زواجها، لكن هناك فارق ضخم بين الاثنين لأن **الزواج الفاشل يتسبب في خسارة مادية ومعنوية هائلة وطويلة الأمد للمرأة، وقد تستمر معها مدى الحياة، أما الغبن في البيع فضرره مؤقت، والزمن كفيل بنسيانه.**

إن الرجل البالغ يذهب للمتجر وحده إن أراد أن يشترى زجاجة من العصير ثمنها خمسة جنيهات، لكنه إن عزم على شراء قطعة أرض ثمنها خمسة ملايين جنيه اصطحب معه محام ليكتب العقد، ويحميه من الخداع لأن خسارة خمسة ملايين جنيه ليست كخسارة خمسة جنيهات. في الحالتين قام الرجل بالشراء، لكنه في المرة الأولى ذهب وحده، وفى المرة الثانية أخذ بمشورة محام خبير. **ولو طبقنا مبدأ القياس كما يقول أبو حنيفة** لطالبنا الرجل بأن يشترى البيت وحده دون مشورة من أحد لأنه لا فرق بين شراء العصير وشراء البيت. ونقول بالمثل أنه **بفرض أن الزواج يشبه البيع إلا أن الزواج أمره أعظم، والعواقب التي تترتب عليه أخطر، وهذا يوجب ألا تنفرد المرأة فيه بالقرار وحدها دون أهلها.**

ثم إن مبدأ القياس ابتكره الفقهاء للتعامل مع الحالات التي يغيب فيها النص، لكن فى حالة الزواج هناك نصوص تجعل للولى حقا في الموافقة على الزواج. فأبو حنيفة هنا يفكر بمنطق مقلوب، إذ يستخدم القياس في وجود النص، ولهذا «حَمَلَ الْأَحَادِيثَ الْوَارِدَةَ فِي اشْتِرَاطِ الْوَلِيِّ عَلَى الْأَمَةِ وَالصَّغِيرَةِ وَخَصَّ عُمُومَهَا بِهَذَا الْقِيَاسِ. وَتَخْصِيصُ الْعُمُومِ بِالْقِيَاسِ

جَائِزٌ عِنْدَ كَثِيرِينَ مِنْ أَهْلِ الْأُصُولِ»[205]. ونحن نرى أن هذا تلاعب بنصوص الشريعة. **حقا مبدأ القياس مشروع، لكنه يوقع الفقهاء في أخطاء جمة لأنهم يتسرعون غالبا في استخدامه.** والفقيه الورع هو من يفكر ألف مرة قبل أن يطبقه.

4- واحتج أصحاب أبى حنيفة أيضا بقوله تَعَالَى: {فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ} [البقرة: 234]، فقَالُوا: هَذَا دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ تَصَرُّفِهَا فِي الْعَقْدِ عَلَى نَفْسِهَا[206]. ونحن نقول: سبق أن تعرضنا لهذه الآية فى موضع آخر، وأوضحنا أنها تتكلم ليس عن زواج المرأة بعد العدة، بل عن تجملها وتزينها بعد انتهاء العدة. الآية تعنى أن المرأة التى يتوفى عنها زوجها يفرض عليها الإحداد طيلة أربعة أشهر وعشرا. والإحداد يتضمن منع لبس الثياب المصبوغة والكحل والطيب[207]. **فإذا انتهت فترة الحداد أبيح للمرأة التزين طلبا للزواج**، وهذا هو مدلول قوله تعالى: (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ). **والشيء الذي تفعله المرأة في نفسها بالمعروف كما في الآية هو التجمل بهدف الزواج.**

وفى السنة النبوية دلائل تؤيد هذا التفسير، فقد روى الشيخان –واللفظ للبخارى– أن سُبَيْعَةَ بِنْتَ الحَارِثِ كَانَتْ تَحْتَ سَعْدِ ابْنِ خَوْلَةَ، وَهُوَ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا، فَتُوُفِّيَ عَنْهَا فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ وَهِيَ حَامِلٌ، فَلَمْ تَنْشَبْ أَنْ وَضَعَتْ حَمْلَهَا بَعْدَ وَفَاتِهِ، فَلَمَّا تَعَلَّتْ مِنْ نِفَاسِهَا (أى خرجت من نفاسها) ، **تَجَمَّلَتْ لِلْخُطَّابِ**، فَدَخَلَ عَلَيْهَا أَبُو السَّنَابِلِ بْنُ بَعْكَكٍ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، فَقَالَ لَهَا: **مَا لِي أَرَاكِ تَجَمَّلْتِ لِلْخُطَّابِ، تُرَجِّينَ النِّكَاحَ**[208]؟ فَإِنَّكِ وَاللَّهِ مَا أَنْتِ بِنَاكِحٍ حَتَّى تَمُرَّ عَلَيْكِ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرٌ، قَالَتْ سُبَيْعَةُ: فَلَمَّا قَالَ لِي ذَلِكَ جَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي حِينَ أَمْسَيْتُ، وَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ «فَأَفْتَانِي بِأَنِّي قَدْ حَلَلْتُ حِينَ وَضَعْتُ حَمْلِي، وَأَمَرَنِي بِالتَّزَوُّجِ إِنْ بَدَا لِي».

وهذه الرواية تشير كما ترون إلى أن النساء فى عهد الرسول عليه السلام كن يتجملن بعد انتهاء العدة طلبا للزواج، فجاء قوله تعالى (فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ

205) **شرح النووي على مسلم** (9/ 205)

206) **بداية المجتهد ونهاية المقتصد** (3/ 37)

207) روى الشيخان- واللفظ للبخارى- عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ أنها قَالَتْ: «كُنَّا نُنْهَى أَنْ نُحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلاَثٍ، إِلَّا عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا، وَلاَ نَكْتَحِلَ وَلاَ نَتَطَيَّبَ وَلاَ نَلْبَسَ ثَوْبًا مَصْبُوغًا، إِلَّا ثَوْبَ عَصْبٍ، وَقَدْ رُخِّصَ لَنَا عِنْدَ الطُّهْرِ إِذَا اغْتَسَلَتْ إِحْدَانَا مِنْ مَحِيضِهَا فِي نُبْذَةٍ مِنْ كُسْتِ أَظْفَارٍ، وَكُنَّا نُنْهَى عَنِ اتِّبَاعِ الجَنَائِزِ».

208) "تُرَجِّينَ النِّكَاحَ" بضم التاء ضبطه الأصيلي، ولغيره بفتح التاء، وكلاهما صحيح. انظر: **"مطالع الأنوار على صحاح الآثار"** (3/ 124). تأليف إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي، أبو إسحاق ابن قرقول. تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث. الناشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - دولة قطر. الطبعة الأولى، 1433 هـ - 2012 م

بِالْمَعْرُوفِ) ليبيح لهن الزينة بالمعروف. وقوله تعالى:(بالمعروف) يعنى أن على المرأة أن تلزم جانب الاعتدال فى الزينة، فلا تبالغ فى مظاهر التجمل.

ومن لا يزال يصر على تفسير قوله (فيما فعلن فى أنفسهن بالمعروف) على أن معناه الزواج، فنحن نقول له: ليس تفسيرك بأولى من تفسيرنا، وأقصى ما يمكن أن تقوله أن كليهما محتمل، وهذا يقلل كثيرا من قوة هذه الآية كدليل على استقلال المرأة عن وليها فى الزواج.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

هل تتزوج الثيب دون ولىّ؟

رأى بعض العلماء أن حديث (لا نكاح إلا بولى) ليس عاما، ولكن له استثناءات. على سبيل المثال أكد فقهاء الظاهرية على أهمية وجود الولى فى عقد الزواج، لكنهم استثنوا من ذلك الثيب، وذلك استنادا إلى ما رواه ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْأَيِّمُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا مِنْ وَلِيِّهَا، وَالْبِكْرُ تُسْتَأْذَنُ فِي نَفْسِهَا، وَإِذْنُهَا صُمَاتُهَا»؟ رواه مسلم. وروى مسلم أيضا عن أبى هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تُنْكَحُ الْأَيِّمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ، وَلَا تُنْكَحُ الْبِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ إِذْنُهَا؟ قَالَ: «أَنْ تَسْكُتَ».

و(الأيم) فى هذا الحديث معناها الثيب، أو المرأة التى فقدت زوجها بالموت أو الطلاق[209]. وقال الظاهرية بأن المرأة التى سبق لها الزواج يحق لها أن تزوج نفسها دون وليها، لكن **خالفهم جمهور الفقهاء، الذين أكدوا أن عبارة (الأيم أحق بنفسها من وليها) الواردة في الحديث يقصد بها أنه لا يحق للولى أن يجبر الثيب على الزواج بشخص لا تريده،** وإن عارضت المرأة وليها جاز للسلطان أن يزوجها.

ونحن نتفق مع رأى جمهور الفقهاء، وذلك لأن جملة (الأيم أحق بنفسها من وليها) يجب ألا يُنظر إليها وحدها، بل يجب أن يُنظر فى نفس الوقت إلى الحديث الآخر «لَا تُنْكَحُ الْأَيِّمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ». وكلمة (تُستأمر) معناها (تُستشار). **وكلمة (تُنْكَحُ) مبنية للمجهول، أي أن المرأة لا**

209) كلمة (الأيامى) في الأصل تشير إلى أولئك الَّذِينَ لَا أَزواجَ لَهُمْ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ. والأَيِّمُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا زَوْج لَهَا، بِكْراً كَانَتْ أَو ثَيِّباً، وَمِنَ الرِّجَالِ الَّذِي لَا امرأَة لَهُ.وتأَيَّم الرجلُ زَمَانًا وتأَيَّمتِ المرأَة إِذَا مَكَثَا أَيّاماً وَزَمَانًا لَا يتزوَّجان. انظر: **"لسان العرب"** (12/ 39).

تقوم بفعل النكاح بنفسها، أي أنها لن تزوج نفسها، بل يزوجها شخص آخر بعد أن يستشيرها. وهذا يعنى أن النكاح يجب أن يتم عن طريق الولي، وأن الرجل إذا أراد أن يخطب امرأة فإنه لا يذهب إليها مباشرة، بل يطرق باب وليها كى يزوجه إياها، وحينئذ يقوم الولى بعرض الأمر على ابنته ليرى هل توافق أم لا. هذا هو المدلول الواضح للحديث الأخير، وعلى ذلك فحديث (الأيم أحق بنفسها من وليها) لا يعطى المرأة حق تزويج نفسها دون ولى، بل يعطيها حق الاعتراض على الولى.

ولسائل أن يسأل: لماذا قال الرسول عليه الصلاة والسلام عبارة (أحق بنفسها من وليها) حين تكلم عن الثيب دون البكر؟ أليست البكر أيضا أحق بنفسها من وليها؟ ألا يعني ذلك أن الرسول عليه السلام يقصد أن الثيب يجوز لها أن تزوج نفسها خلافا للبكر كما قال الظاهرية؟

في رأينا أن عبارة (أحق بنفسها من وليها) قيلت تأكيدا على حق الثيب في الاختيار، فحق الثيب في اختيار الزوج أقوى من حق البكر لأن الثيب أكثر خبرة بالحياة وبالرجال. وإن وازنا بين حق المرأة وحق الولي في قرار الزواج لبدا أن **حق الولي أقوى من حق البكر، لكنه أقل من حق الثيب. فللولي حق في الحالتين، وللمرأة حق في الحالتين، لكن النسبة تتفاوت**، فيميل الميزان ناحية الولي في حالة البكر، ويميل ناحية المرأة إن كانت ثيبا. **الحديث يطلب من الولي أن يعطي اعتبارا أكبر لرأي ابنته إن كانت ثيبا، فينصت لها، ولا يعاملها كالبكر التي يستخف الأب برأيها لقلة معرفتها بالحياة والناس.** فكأن الرسول يقول للولي: «رغم أن لك حقا في الموافقة على زواج ابنتك الثيب إلا أن من واجبك أن تنصت لرأيها في الزوج، **فرأيها ليس أقل حكمة من رأيك، بل أكبر**».

من الخطأ الشديد أن نفهم أن عبارة (أحق بنفسها من وليها) تنفي تماما حق الولي في الموافقة على زواج ابنته الثيب. <u>وإن أردتم دليلا قاطعا، فإليكم الحديث التالي</u>:

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، **<u>مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ</u>** بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: **<u>«أُمُّكَ»</u>** قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**<u>ثُمَّ أَبُوكَ</u>**» متفق عليه.

فانظر إلى هذا الحديث تجد أنه لا يعني أبدا أن للأم حقا في حسن معاملة ابنها دون الأب، ولكنها تعني أن للأم حق، وللأب حق، لكن حق الأم أكبر من حق الأب. ولا يجوز للابن أن يتذرع بهذا الحديث كي يسيء معاملة أبيه. **وبالمثل لا يجوز لأحد أن يقول أن حديث الرسول (الأيم أحق بنفسها من وليها) يعطي حق الموافقة على الزوج للمرأة فقط، وينفي حق الأب. هذا دليل قاطع،** ويؤكده الشواهد الكثيرة التي أوردناها من السيرة، ومنها أن الرسول عليه الصلاة والسلام تزوج نساءه الثيبات من خلال أوليائهن.

وينتصر النووى لرأى الجمهور قائلا: (وَاخْتَلَفُوا أَيْضًا فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَقُّ مِنْ وَلِيِّهَا **هَلْ هِيَ أَحَقُّ بِالْإِذْنِ فَقَطْ أَوْ بِالْإِذْنِ وَالْعَقْدِ** عَلَى نَفْسِهَا فَعِنْدَ الْجُمْهُورِ بِالْإِذْنِ فَقَطْ وَعِنْدَ هَؤُلَاءِ بِهِمَا جَمِيعًا وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا يَحْتَمِلُ مِنْ حَيْثُ اللَّفْظِ أَنَّ الْمُرَادَ أَحَقُّ مِنْ وَلِيِّهَا فِي كُلِّ شَيْءٍ من عقد وغيره كما قاله أَبُو حَنِيفَةَ وَدَاوُدُ وَيَحْتَمِلُ أَنَّهَا أَحَقُّ بِالرِّضَا، أيْ لَا تُزَوَّجُ حَتَّى تَنْطِقَ بِالْإِذْنِ بِخِلَافِ الْبِكْرِ. وَلَكِنْ لَمَّا صَحَّ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ مَعَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ الدَّالَّةِ عَلَى اشْتِرَاطِ الْوَلِيِّ تعين الاحتمال الثاني. وَاعْلَمْ أَنَّ **لَفْظَةَ أَحَقُّ هُنَا لِلْمُشَارَكَةِ مَعْنَاهُ أَنَّ لَهَا فِي نَفْسِهَا فِي النِّكَاحِ حَقًّا وَلِوَلِيِّهَا حَقًّا وَحَقُّهَا أَوْكَدُ مِنْ حَقِّهِ** فَإِنَّهُ لَوْ أَرَادَ تَزْوِيجَهَا كُفُؤًا وَامْتَنَعَتْ لَمْ تُجْبَرْ وَلَوْ أَرَادَتْ أَنْ تَتَزَوَّجَ كُفُؤًا فَامْتَنَعَ الْوَلِيُّ أُجْبِرَ فَإِنْ أَصَرَّ زَوَّجَهَا الْقَاضِي فَدَلَّ عَلَى تَأْكِيدِ حَقِّهَا وَرُجْحَانِهِ.... وَقَالَ دَاوُدُ يُشْتَرَطُ الْوَلِيُّ فِي تَزْوِيجِ الْبِكْرِ دُونَ الثَّيِّبِ .... وَاحْتَجَّ دَاوُدُ بِأَنَّ الْحَدِيثَ الْمَذْكُورَ فِي مُسْلِمٍ صَرِيحٌ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الْبِكْرِ وَالثَّيِّبِ وَأَنَّ الثَّيِّبَ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا وَالْبِكْرُ تُسْتَأْذَنُ **وَأَجَابَ أَصْحَابُنَا عَنْهُ بِأَنَّهَا أَحَقُّ أَيْ شَرِيكَةٌ فِي الْحَقِّ** بِمَعْنَى أَنَّهَا لَا تُجْبَرُ وَهِيَ أَيْضًا أَحَقُّ فِي تَعْيِينِ الزَّوْجِ)[210]

ويؤكد ابن بطال على نفس المعنى، قائلا: «قال الطبرى: فى حديث حفصة حين تأيمت، وعقد عمر عليها النكاح ولم تعقده هى، إبطال قول من قال: إن للمرأة البالغة المالكة لنفسها تزويج نفسها، وعقد النكاح عليها دون وليها، ولو كان لها ذلك لم يكن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليدع خطبة حفصة إلى نفسها، إذ كانت أولى بنفسها من أبيها، ولخطبها إلى من لا يملك أمرها ولا العقد عليها، وفيه بيان قوله عليه السلام: (الأيم أحق بنفسها من وليها)، أى أن معنى ذلك

---

210) شرح النووي على مسلم (9/ 205-203)

أنها أحق بنفسها فى أنه لا ينعقد عليها إلا برضاها، لا أنها أحق بنفسها فى أن تعقد عليها عقدة نكاح دون وليها. قال ابن المنذر: ولا أعلم أحدًا من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثبت عنه خلاف ما قلنا»[211]

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

زواج البكر التى لم تبلغ

قديما كان الآباء يزوجون بناتهم فى سن صغير قبل البلوغ، وقبل وصولهن إلى سن التفكير الناضج. وطبعا يجب على الأب أن ينتظر حتى تصل ابنته إلى سن البلوغ، وتظهر عليها علامات الأنوثة كي تزف إلى زوجها، وتذهب إلى بيته. وقد أجمع الفقهاء – بما فيهم أبو حنيفة– على أن الأب يزوج هذه الصغيرة دون استشارتها. يقول ابن حزم: «قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: الْحُجَّةُ فِي إجَازَةِ إنْكَاحِ الْأَبِ ابْنَتَهُ الصَّغِيرَةَ الْبِكْرَ إنْكَاحُ أَبِي بَكْرٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مِنْ عَائِشَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا – وَهِيَ بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ، وَهَذَا أَمْرٌ مَشْهُورٌ غَنِيٌّ عَنْ إيرَادِ الْإِسْنَادِ فِيهِ، فَمَنْ ادَّعَى أَنَّهُ خُصُوصٌ لَمْ يُلْتَفَتْ لِقَوْلِهِ، لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ} [الأحزاب: 21] فَكُلُّ مَا فَعَلَهُ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – فَلَنَا أَنْ نَتَأَسَّى بِهِ فِيهِ، إلَّا أَنْ يَأْتِيَ نَصٌّ بِأَنَّهُ لَهُ خُصُوصٌ»[212]

والقصة التي استدل بها الفقهاء على جواز تزويج الصغيرة دون إذنها هي ما روته السيدة عائشة عن زواجها بالنبي عليه الصلاة والسلام:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ**، فَقَدِمْنَا المَدِينَةَ فَنَزَلْنَا فِي بَنِي الحَارِثِ بْنِ خَزْرَجٍ، فَوُعِكْتُ فَتَمَرَّقَ شَعَرِي، فَوَفَى جُمَيْمَةً فَأَتَتْنِي أُمِّي أُمُّ رُومَانَ، وَإِنِّي لَفِي أُرْجُوحَةٍ، وَمَعِي صَوَاحِبُ لِي، فَصَرَخَتْ بِي فَأَتَيْتُهَا، لاَ أَدْرِي مَا تُرِيدُ بِي فَأَخَذَتْ بِيَدِي حَتَّى أَوْقَفَتْنِي عَلَى بَابِ الدَّارِ، وَإِنِّي لَأُنْهِجُ حَتَّى سَكَنَ بَعْضُ نَفَسِي، ثُمَّ أَخَذَتْ شَيْئًا مِنْ مَاءٍ فَمَسَحَتْ بِهِ وَجْهِي وَرَأْسِي، ثُمَّ أَدْخَلَتْنِي الدَّارَ، فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ فِي البَيْتِ، فَقُلْنَ عَلَى الخَيْرِ وَالبَرَكَةِ، وَعَلَى خَيْرِ طَائِرٍ، فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِنَّ، فَأَصْلَحْنَ مِنْ شَأْنِي، فَلَمْ يَرُعْنِي إِلَّا

211) **شرح صحيح البخارى** لابن بطال (7/ 243)
212) **المحلى بالآثار** (9/ 40)

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضُحًى، **فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ»** متفق عليه، واللفظ لمسلم.

(تزوجني): عقد عليّ عقد الزواج. (فوعكت): أصابتنى الحمى. (فتمرق): تقطع. (فوفى): كثر. (جميمة): هى ما سقط على المنكبين من شعر الرأس. (أم رومان): أم عائشة. (أنهج): أتنفس تنفسا عاليا. (خير طائر): خير حظ ونصيب. (فأصلحن من شأني): أي زينها النساء. (لم يرعني): لم يفاجئني. (ضحى): ظهرا.

ونحن لا نوافق على ما ذهب إليه جمهور الفقهاء، إذ من ذا الذي **أدراهم أن أبا بكر لم يسئذن السيدة عائشة؟ ربما سألها عن رأيها، ولم ينقله لنا الرواة، فليس كل ما قيل نُقل إلينا. وربما رأى أبو بكر أن عائشة قد استبشرت لما أخبرها أن الرسول خطبها. وفرح الفتاة بالخبر أقوى من كلمة (أوافق).**

ورواية السيدة عائشة الأخيرة تحكى عن يوم زفافها للرسول عليه السلام، وليس عن يوم زواجها، لأن الزواج كان قد تم قبل هذه الواقعة بثلاث سنوات لما كان عمر عائشة ست سنوات. ولهذا **فسبب المفاجأة التي سيطرت عليها لم يكن علمها أن الرسول عليه السلام طلب الزواج منها (فالزواج حدث فعلا منذ ثلاث سنوات)، بل لأنها ستذهب إلى بيته، وتعيش معه دون أهلها، تماما مثلما تخجل أي فتاة ليلة الزفاف.** وعلى ذلك **فشعور السيدة عائشة بالمفاجأة لا يعني أبدا أن أباها زوجها دون أن يأخذ رأيها.**

إن الإذن فى هذه حالة زواج الفتاة الصغيرة يعرف بالقبول، أى بالراحة النفسية التى تبديها الصغيرة تجاه وجه الرجل وحضوره وابتسامته. ومن السهل جدا معرفة ما إذا كانت الصغيرة ترفض رجلا إن رأينا على وجهها تجهما أو فزعا أو عدم تجاوب معه. وفى بعض الأحيان يكون الفعل أقوى من الكلام، وكم من امرأة قالت بلسانها أنها توافق على رجل، لكنها فعلت ذلك مضطرة. **والإذن فى السن الصغير لا يشترط أن يكون بالقول، بل سيكون على الأرجح بالفعل،** وهذا يتفق تماما مع الحديث الذي يعتبر السكوت علامة الرضا: «الْبِكْرُ تُسْتَأْذَنُ فِي نَفْسِهَا، وَإِذْنُهَا صُمَاتُهَا» رواه مسلم.

باختصار: حديث لا نكاح إلا بولى حديث عام، ولا يستثنى منه البكر الصغيرة غير البالغة.

الحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

متى تتحدى المرأة وليها؟

من الدروس المستفادة من قصة زواج أم حبيبة من الرسول عليه الصلاة والسلام أن من الجائز أن يزوج المرأة رجل غير وليها الأقرب، فإن كان أبوها غير موجود لجأت المرأة إلى رجل آخر من أقاربها كى يزوجها. وفى حالة أم حبيبة كان أبوها كافرا، فوكلت أمر زواجها إلى قريب آخر مسلم هو خالد بن سعيد بن العاص. يقول الطبرى: «أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إِلَى النَّجَاشِيّ لِيُزَوِّجَهُ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ، وَيَبْعَثَ بِهَا إِلَيْهِ مَعَ مَنْ عِنْدَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَأَرْسَلَ النَّجَاشِيُّ إِلَى أُمِّ حَبِيبَةَ يخبرها بخطبه رسول الله صلى الله عليه وسلم إِيَّاهَا جَارِيَةً لَهُ يُقَالُ لَهَا أَبْرَهَةُ، فَأَعْطَتْهَا أَوْضَاحًا لَهَا وَفَتَخًا، سُرُورًا بِذَلِكَ، وَأَمَرَهَا أَنْ تُوَكِّلَ مَنْ يُزَوِّجَهَا، فَوَكَّلَتْ خَالِدَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، فَزَوَّجَهَا، فَخَطَبَ النَّجَاشِيُّ عَلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم، وَخَطَبَ خَالِدٌ فَأَنْكَحَ أُمَّ حَبِيبَةَ، ثُمَّ دَعَا النجاشى بأربعمائة دِينَارٍ صَدَاقِهَا، فَدَفَعَهَا إِلَى خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ، فَلَمَّا جَاءَتْ أُمَّ حَبِيبَةَ تِلْكَ الدَّنَانِيرُ....»[213،214]. وعَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ أيضا، أَنَّهَا كَانَتْ تَحْتَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ فَمَاتَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، «فَزَوَّجَهَا النَّجَاشِيُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمْهَرَهَا عَنْهُ أَرْبَعَةَ آلَافٍ، وَبَعَثَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ شُرَحْبِيلَ بْنِ حَسَنَةَ». رواه الحاكم، وقال: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، ووافقه الذهبى[215].

ومن هذه الحادثة نعرف أن **من الجائز للمرأة المسلمة أن تتزوج دون رضا وليها الأقرب، وأنه يحق لها أن تلجأ إلى ولى أبعد ليزوجها.**

لكن هناك حالات يكون فيها الأب مسلما، لكنه يريد أن يزوج ابنته من رجل فاسق أو مرتش أو زان أو دميم أو مسن، فترفض البنت، فيتعنت أبوها، ويقول لها أنه لن يزوجها إلا لهذا الرجل بالتحديد. **وهنا يكون الحل أن تبحث المرأة عن رجل آخر من أقاربها مثل جدها أو عمها، كى يتولى أمر زواجها.**

---

213) **تاريخ الطبري** (2/ 653)

214) وروى ابن إسحاق أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ إلَى النَّجَاشِيِّ «عَمْرَو بْنَ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيَّ، فَخَطَبَهَا عَلَيْهِ النَّجَاشِيُّ، فَزَوَّجَهُ إيَّاهَا، وَأَصْدَقَهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَ مِائَةِ دِينَارٍ.... وَكَانَ الَّذِي أَمْلَكَهَا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ ابْنِ الْعَاصِ» [**سيرة ابن هشام** 224/1]

215) وفى مسند أحمد عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ، أَنَّهَا " كَانَتْ تَحْتَ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ جَحْشٍ، وَكَانَ أَتَى النَّجَاشِيَّ - وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ رَحَلَ إِلَى النَّجَاشِيِّ - فَمَاتَ، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَ أُمَّ حَبِيبَةَ وَإِنَّهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، زَوَّجَهَا إِيَّاهُ النَّجَاشِيُّ وَمَهَرَهَا أَرْبَعَةَ آلَافٍ، ثُمَّ جَهَّزَهَا مِنْ عِنْدِهِ، وَبَعَثَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ شُرَحْبِيلَ ابْنِ حَسَنَةَ، وَجِهَازُهَا كُلُّهُ مِنْ عِنْدِ النَّجَاشِيِّ، وَلَمْ يُرْسِلْ إِلَيْهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَيْءٍ، وَكَانَ مُهُورُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَ مِائَةِ دِرْهَمٍ " وإسناده صحيح. كما قال محققو **"مسند أحمد"** (45/ 398).

ونحن لا نقول هذا الكلام من رأينا، ولكن حديث "لا نكاح إلا بوليّ" يسمح بذلك، **فكلمة (ولي) نكرة، وهذا يعنى أن أي واحد من أولياء المرأة يمكنه أن يتولى عقد زواجها، فالمهم هو وجود أي ولى، وليس وليا بعينه.** وسيكون المعنى مختلفا لو قال الحديث: (لا نكاح إلا بالولى).

ولا شك أن الفتاة لن تتخطى أباها، وتلجأ لرجل آخر من عائلتها كى يزوجها إلا إذا شعرت بظلم فادح، وأيقنت أن أباها لا يبغى الخير لها. ولا شك أيضا أن الرجل الذى ستلجأ إليه المرأة لن يجرؤ على تحدى الأب فى زواج ابنته إلا إذا اقتنع تماما بأن كارثة توشك أن تقع.

وهناك دليل آخر من السنة يفيد أن **من الممكن للمرأة أن تتزوج بإذن السلطان باعتباره وليا لها،** فقد روى الشيخان –واللفظ للبخارى– عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ امْرَأَةٌ، فَقَالَتْ: إِنَّهَا قَدْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «مَا لِي فِي النِّسَاءِ مِنْ حَاجَةٍ»، فَقَالَ رَجُلٌ: زَوِّجْنِيهَا، قَالَ: «أَعْطِهَا ثَوْبًا»، قَالَ: لاَ أَجِدُ، قَالَ: «أَعْطِهَا وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ»، فَاعْتَلَّ لَهُ، فَقَالَ: «مَا مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ؟» قَالَ: كَذَا وَكَذَا، قَالَ: «فَقَدْ زَوَّجْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ». وهنا نجد أن **الرسول الله عليه الصلاة والسلام هو الذى زوج المرأة لأحد أصحابه،** فقد كانت هذه المرأة على الأرجح امرأة وحيدة بلا أولياء كما ذكرنا من قبل، والرسول عليه الصلاة والسلام هو سلطان المسلمين، والحديث يقول: (السلطان ولي من لا ولي له).

ونحن نرى أن السيدة عائشة لما زوجت بنت أخيها عبد الرحمن، وهو في الشام كانت تتصرف بناء على نفس المبدأ، **فقد اعتقدت أنها ولية أمر الفتاة في ظل غيبة أبيها، والشريعة تتطلب وجود أى ولى للفتاة في الزواج، وليس وليها الأقرب بالتحديد:** عَنْ عَائِشَةَ، " أَنَّهَا زَوَّجَتْ حَفْصَةَ بِنْتَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْمُنْذِرِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ غَائِبٌ بِالشَّامِ، فَلَمَّا قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ: وَمِثْلِي يُصْنَعُ بِهِ هَذَا، وَيُفْتَاتُ عَلَيْهِ بِبَنَاتِهِ؟ فَكَلَّمَتْ عَائِشَةُ الْمُنْذِرَ بْنَ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ: فَإِنَّ ذَلِكَ فِي يَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: مَا لِي رَغْبَةٌ عَنْهُ وَلَكِنَّ مِثْلِي لَيْسَ يُفْتَاتُ عَلَيْهِ بِبَنَاتِهِ، وَمَا كُنْتُ لأَرُدَّ أَمْرًا قَضَيْتِهِ، فَقَرَّتِ امْرَأَتُهُ تَحْتَهُ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ طَلاقًا ".[216] ولا يعنينا هنا الآن هل يكون الولى رجلا أو امرأة، فالمهم هو مبدأ إباحة تجاوز الولى الأقرب لوجود مبرر قوي.

---

216) موطأ مالك برواية محمد بن الحسن الشيباني (ص: 192).

لكن هب أن كل الأقارب تخلوا عن البنت، ولم يقتنعوا برأيها، أو اقتنعوا به، وآثروا البعد عن المشاكل، فما العمل؟ نقول: **يمكن للبنت أن تلجأ للقاضى كى يزوجها طبقا للحديث الشريف "السلطان ولىّ من لا ولى له"**، والقاضى هو وكيل السلطان. ولا خوف من سن تشريعات تبيح للقاضى فعل ذلك لأن من الصعب جدا على البنت في المجتمع الإسلامي المتدين المحافظ أن تقدم على ذلك إلا إذا كانت مظلومة فعلا.

ورد في فتاوى اللجنة الدائمة: [الأصل في ولاية النكاح أنها للأب ثم للعصبة الأقرب فالأقرب، **فإذا عدموا أو كانوا ليسوا أهلا للولاية لأي مانع من الموانع أو امتنعوا بغير حق، انتقلت الولاية إلى الحاكم أو من ينيبه**، قال تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ}. وروي أن النبي –صلى الله عليه وسلم– أراد أن يتزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان وكانت مسلمة وأبو سفيان لم يسلم، وكل النبي –صلى الله عليه وسلم– عمرو بن أمية الضمري فتزوجها من ابن عمها خالد بن سعيد بن العاص وكان مسلما. **وإن عضل أقرب أولياء حرة فلم يزوجها بكفء رضيته زوَّجَها الأبعد، فإن لم يكن فالحاكم**، لقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: «السلطان ولي من لا ولي له»][217]

وقال الشيخ ابن عثيمين: [وقد ذكر الفقهاء – رحمهم الله – أن الولي إذا تكرر رده للخاطب الكفء فإنه بذلك يكون فاسقاً وتسقط عدالته وولايته بل **إنه على المشهور من مذهب الإمام أحمد تسقط حتى إمامته فلا يصح أن يكون إماماً في صلاة الجماعة في المسلمين وهذا أمر خطير**. وبعض الناس – كما أشرنا إليه آنفا – يرد الخطاب الذين يتقدمون إلى من ولاه الله عليهن وهو أكفاء. ولكن قد تستحي البنت من التقدم إلى القاضي لطلب التزويج. وهذا أمر واقع، لكن يجب عليها أن تقارن بين المصالح والمفاسد، **أيها أشد مفسدة أن تبقى بلا زوج وأن يتحكم فيها هذا الولي على مزاجه وهواه** فإن كبرت وبرد طالبها للنكاح زوجها، أو أن تتقدم إلى القاضي بطلب التزويج مع أن ذلك حق شرعي لها؟ لا شك أن البديل الثاني أولى وهو أن تتقدم إلى القاضي بطلب التزويج لأنها يحق لها ذلك ولأن في تقدمها للقاضي إياها مصلحة لغيرها فإن غيرها سوف يقدمكما أقدمت ولأن تقدمها إلى القاضي ردع لهؤلاء الظلمة الذين يظلمون من ولاهم الله عليهن لمنعهن من تزويج الأكفاء، أي أن في ذلك ثلاث مصالح: مصلحة للمرأة حتى لا

217) **فتاوى اللجنة الدائمة- المجموعة الأولى** (18/ 162).

تبقى بلا زواج. مصلحة لغيرها إذ تفتح الباب لنساء ينتظرون من يتقدم ليتبعنه. منع هؤلاء الأولياء الظلمة الذين يتحكمون في بناتهم أو فيمن ولاهم الله عليهن من نساء على مزاجهم وعلى ما يريدون. وفيه أيضاً من المصلحة إقامة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث قال "إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير". كما أن فيه مصلحة خاصة وهي قضاء وطر المتقدمين إلى النساء الذين هم أكفاء في الدين والخلق.][218]

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

218) **"فتاوى إسلامية"** لأصحاب الفضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز- الشيخ: محمد بن صالح بن محمد العثيمين- الشيخ: عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين- إضافة إلى اللجنة الدائمة، وقرارات المجمع الفقهي (3/ 148). جمع وترتيب: محمد بن عبد العزيز بن عبد الله المسند. دار الوطن للنشر، الرياض. الطبعة الثانية- 1413ه.

قيود عامة على المرأة المتزوجة

لو قدر لإحدى الناشطات النسويات أن تتولى وزارة الدفاع، ثم ذهبت لتتفقد صفوف الجيش، واصطحبت معها نفس المنطق الذي تصدع به رءوسنا لأصدرت على الفور قرارا بترقية كل الجنود إلى رتبة لواء حتى لا يكون هناك تمييز بين أفراد الجيش. طبعا سينهار هذا الجيش لأنه لن يجد من يشتبك مع العدو إذ أن كل جندي يتطلع إلى الجلوس في مكتب مكيف ليصدر الأوامر لمن هم دونه، لكنه لن يجد أحدا دونه، فالجميع في هذا الجيش البائس سواء. وستكون أضحوكة. **نفس هذه الأضحوكة يريدون أن يوجدوها في كل بيت من خلال المساواة بين الرجل والمرأة، بحيث لا يصبح هناك رئيس ولا مرءوس، فأني لمثل هذا البيت بالنجاح؟**

إن المرأة المتزوجة ليست حرة تماما، فهي مقيدة بواجبات نحو أسرتها، إذ عليها أن تربي أولادها، وتخدم زوجها، وترعى بيتها. كما أنها ملزمة شرعا بطاعة زوجها، الذي جعله الله تعالى حاكما للبيت، وقواما على المرأة، وله حق عقابها إن عصته: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا} [النساء: 34].

وقد تمردت المرأة المعاصرة على هذه القيود، وثارت من أجل نيل الحرية، والتخلص من قيود الزواج التقليدية، فماذا حدث؟ لقد تهربت من عملها داخل البيت لتلتحق بوظيفة أشق خارجه، كما فرت من سلطة زوجها لتجد نفسها تحت إمرة مديرها في العمل.

ألا ترى المرأة أن الرجل مقيد مثلها؟ إنه مضطر للعمل خارج البيت للحصول على المال كي ينفق على زوجته وأولاده. **والرجل هو الآخر يخضع لإمرة مدير في العمل، يتسلط عليه. وإذا كان الرجل رئيسا للمرأة، فالمرأة رئيسة للأولاد.** وعلى هذا **فالرجل يشقى في مجال، والمرأة تشقى في مجال آخر، وكل منهما رئيس ومرءوس في نفس الوقت.** هناك تشابه عام بين الاثنين، والاختلاف في التفاصيل. ومن السخف أن نعمد إلى جعل كل البشر نسخة واحدة.

إن عالم اليوم يحتفي بالتنوع والاختلاف، وهذا جوهر فلسفة ما بعد الحداثة التي تحكم العالم منذ أكثر من نصف قرن. لقد رسخوا في أذهاننا أن كل إنسان له قيمته، ومن حقه أن يكون كما يشاء، ويتصرف كما يشاء، وأنه لا دين أفضل من الآخر، ولا فكر أفضل من الآخر، وأن التنوع بين البشر أمر لا مفر منه، ومن الخطأ محاولة تغيير الناس لتوحيدهم على فكر معين أو طريقة حياة معينة. لكن حين نأتي لقضية المرأة تجدهم يصرون على أن يجعلوا المرأة مشابهة تماما للرجل، وأن يغيروا فطرتها كي تكون نسخة مكررة منه. إن اليهود هم الذي ابتدعوا فلسفة ما بعد الحداثة، وهم الذين يروجون لها، وهم في نفس الوقت الذين اخترعوا الفكر النسوي، وهم الذين يضغطون على كل دول العالم لفرض المساواة بين الرجل والمرأة بقوة المال والمؤامرات والسلاح. إنهم يؤكدون أن المساواة الكاملة بين المرأة والرجل هي الخير كل الخير، وأن استمرار المرأة في أداء دورها التقليدي بالبيت هو الشر كل الشر، مع أن ما بعد الحداثة لا تعترف بشيء اسمه الحق، ولا بشيء اسمه الباطل. وهكذا فاليهود يباركون التنوع والاختلاف بين البشر إن أرادوا أن يجعلوا المسلم أقل تمسكا بدينه وحماسا لعقيدته، لكنهم يتجاهلون تماما التنوع والاختلاف إذا أرادوا أن يخرجوا المرأة من جلدتها، ويشوهوا فطرتها، ويحولها إلى نسخة معدلة من الذكر. الإسلام يبارك التنوع في أمور، ويحاربه في أمور. الإسلام يبارك التنوع في الجنس مثلا، لكنه يحارب التنوع في العقيدة، ويسعي إلى إقناع كل البشر بالتجمع حول دين واحد هو الإسلام. واليهود يحاربون ما يباركه الإسلام، ويباركون ما يحاربه الإسلام. والمرأة الغافلة صارت ألعوبة في يد الآلة الإعلامية الجبارة التي يديرها اليهود وعملاؤهم.

ومن أهم أسباب تمرد المرأة على زوجها أن المجتمع ككل صار يفتقر لفضيلة اسمها الطاعة. الأولاد الآن لا يطيعون آباءهم. والآباء لم يعودوا راغبين في الضغط على أولادهم كي يطيعوهم. لا أحد يريد أن يعاقب أولاده، وكأن الأولاد يفترض أن يكونوا مصدر بهجة للآباء دون أن يكون من حق الأولاد على آبائهم أن يربوهم ويقوموهم. الآباء الآن لا يتحملون بكاء الابن أو اعتراضه، ويريدونه دوما سعيدا مبتسما حتى لا يكدر جو البيت. وقد أدى هذا إلى انهيار دور الأسرة، فصار الابن يتصرف كما يشاء دون خوف من أبويه، وصارت البنت تفعل نفس الشيء. وترددت نغمة سخفية على السنة الناس تقول أن كل شيء يجب أن يكون بالإقناع، فالأب يقول أنه لن يفرض الصلاة على ابنه، وأن الابن يجب أن يكون مقتنعا بالصلاة من داخله. والأم تقول أنها

لن تفرض الحجاب على ابنتها، وأنها يجب أن ترتديه عن اقتناع. وقد هالني أن أقرأ لأب يشكو أن ابنه البالغ من العمر 16 عاما ترك الصلاة وحفظ القرآن وصار يصاحب البنات بسبب ارتباطه بأصدقاء السوء. ليست هذه المشكلة. الشيء الذي صعقني أن الأب كان يقول أن ابنه حساس، وسيحزن إن عاقبه بالحرمان من المال. صرخت في أعماقي: فليغضب الابن، وليذهب إلى الجحيم. ماذا في ذلك؟ إن إنقاذ الابن من الانحراف يجب أن يكون تكون له الأولوية، وإن اضطررنا لضرب الابن أو حرمانه من المال، فليكن ما يكون. ألا يتناول المريض الدواء المر كي يشفى؟ فلماذا نشفق على الابن من الحرمان، ولا نشفق عليه من الانحراف؟ لا معنى لهذا إلا أننا لا نعبأ بفساد الأخلاق وضياع الدين. لا مناص من عودة قدر غير قليل من الشدة في معاملة الأبناء. وبدون ذلك تكون الطامة الكبرى. لا نريد قسوة مطلقة، بل قسوة توازن اللين. وما يحدث الآن هو لين فقط بلا أي قدر من الشدة.

ولا شيء يصيب المرأة المعاصرة بالجنون أكثر من تعرضها للضرب على يد زوجها. لكن نحن نقول أن **الإحساس بالإهانة نتيجة ضرب الزوج يزول على الفور إن اعتبرت المرأة أن ضرب زوجها لها يشبه ضرب الأب لولده،** فالولد قد يتألم إن ضربه أبوه، لكنه لا يغضب منه، ولا يشعر بالإهانة، وذلك لأنه يدرك جيدا أن لأبيه حقا عليه، وأنه ما ضربه إلا من أجل تهذيبه وتربيته. حقا الزوجة أقل قرابة للزوج من ولده، لكن الزوجة الصالحة هي التي تنظر للمسألة من منظور أن زوجها رئيس، يحق له أن يعاقب مرءوسه. وأمهاتنا قديما كن يتمتعن بهذه النظرة الثاقبة، فكانت الواحدة منهن إن ضربها زوجها عادت إلى صوابها، وأطاعته، وفهمت خطأها وأصلحت سلوكها. وسمعت ذات مرة امرأة تتكلم بحنين بالغ عن زوجها، الذي كان أحيانا يضربها لكنها لم تكن تغضب منه. وفي الأفلام القديمة كانت الرجل يضرب زوجته، فإن تدخل الناس في الشارع لينقذوها نهرتهم، وقالت لهم: (لا شأن لكم بي. هذا زوجي، وهو يربيني). وكنا نضحك على كلامها، ونحن صغار، لكننا الآن نبكي دما بسبب اندثار هذا النوع العاقل من النساء، الذي يعلي الواجب على الانفعالات؟

حقا هناك رجال يسيئون استخدام حق الضرب، لكن هذا لا يعني أن ضرب الزوج لزوجته جريمة من حيث المبدأ. نسمع من حين لآخر عن قاض أخذ رشوة. لكن هل يصح أن يكون إساءة استخدام بعض القضاء لسلطاتهم مسوغا للمناداة بتسريح كل القضاة؟ قطعا لا. وبالمثل

ضرب بعض الرجال لزوجاتهم دون مبرر لا يجيز تجريم الضرب بإطلاق. الضرب شرع الله، ومن يرفضه فهو يبطل حكما صريحا نزل في القرآن. وإن تكرر ضرب الرجل لزوجته بلا مبرر وجب عليها أن تلجأ لأهلها كي يضغطوا عليه ليغير سلوكه، أو يوسطوا من يصلح بينهما. فإن أبي عرضت عليه الخلع أو طلبت الطلاق من القاضي.

وبالنسبة لأعمال البيت سنجد أن المرأة اليوم تشعر بالاشمئزاز من أدائها، وتسعى جاهدة للتملص منها بحجة أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يساعد زوجاته في البيت. ونحن نقول لها: «**زوجات الرسول والصحابة كن ربات بيوت، ولم تكن الواحدة منهن تخرج كل يوم للعمل كي تؤمن مستقبلها، وتستقوي براتبها أمام زوجها، ولم تكن إحداهن تقول لزوجها: "أنا أعمل مثلك ويجب أن يكون عمل البيت مناصفة بيننا"**.

فاستقيلي من عملك أيتها المرأة، وستجدين الوقت الكافي لأداء أعمال البيت دون تعب. وإن زاد شغل البيت على طاقتك فسيكون على زوجك أن يساعدك كما كان الرسول عايه الصلاة والسلام يساعد زوجاته»

وعلينا أن نقول أن سخرية بعض الرجال من أعمال المرأة كالطبخ والغسل والكنس يُحمل هؤلاءالرجال وزرا أمام الله: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ} [الحجرات: 11]. **لكن أكبر الخطأ أن تقابل المرأة سخرية الذكور من الأنوثة بأن تتحول إلى الذكورة**. هذا رد على الحماقة بحماقة. والمرأة بهذا لا تصد هجوم الرجل، بل تعتدي على فطرة الله. **المسلمة القوية تثق بنفسها، وتعلم جيدا أن الله تعالى خلقها لدور لا يقل أهمية عن دور الرجل**، وأن أصغر جندي في الجيش لا يقل أهمية عن أكبر لواء فيه.

كانت هذه أفكار متناثرة عن القيود الزوجية المفروضة على المرأة. وقد ناقشنا هذه المسائل باستفاضة في كتابنا (من يحكم الأسرة في الإسلام: الرجل أم المرأة؟)، فيمكن الرجوع إليه.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

العدة

لماذا لا يكون للرجل عدة

قد يتساءل البعض: لماذا أباح الله تعالى للرجل الزواج بامرأة أخرى بمجرد تطليقه لزوجته، بينما لا يجوز للمرأة أن تتزوج من رجل آخر إلا بعد انقضاء العدة؟ أليس هذا ظلم للمرأة، وتفرقة بين الجنسين؟

والإجابة على هذا السؤال سهلة، لكن الجيل الجديد من الشباب يجهل أبسط حقائق دينه. ولهؤلاء نقول أنه **لا بد من منع المرأة من الزواج لفترة مؤقتة حتى إن تبين فى الأشهر التالية أنها حامل، فسيتعذر معرفة والد الطفل**، وهل هو الزوج القديم أم الجديد. وهذا يسمى باستبراء الرحم، أى التثبت من خلو الرحم وبراءته من الحمل. ولهذا كان على المطلقة أن تنتظر لفترة معينة، تقدر بثلاث حيضات، فإن حاضت ثلاث مرات بعد الطلاق ثبت بهذا أنها لا تحمل فى بطنها جنينا من الزوج الأول. وإن لم يأت الحيض كان هذا دليلا على أنها حامل من الرجل الذي طلقها، فيُنسب الولد لأبيه الحقيقي، وليس للزوج الجديد. الإسلام بهذا يحافظ على الأنساب. وطبعا هذا الأمر لا ينطبق على الرجل، ولهذا يحل له أن يتزوج على الفور بعد طلاق زوجته أو وفاتها.

ولكن قد يقال أن من الممكن للأطباء اليوم معرفة حمل المرأة مبكرا بواسطة أشعة الموجات فوق الصوتية وبواسطة تحاليل الدم والبول بعد حوالى شهر واحد أو أقل من حدوث الحمل، فما الداعي لأن تكون العدة ثلاث حيضات؟

والقائلون بهذا يظنون أن الإسلام دين نزل فقط من أجل إنسان القرن الحادي والعشرين، بينما الحقيقة أن 1400 سنة مرت قبل ظهور الأشعات والتحاليل الحديثة. ولهذا كان على الشريعة أن تكون ملائمة للناس في كل زمان. كما أن ملايين البشر في القرن الحادي والعشرين يعيشون في دول فقيرة، وقبائل نائية، لا تتوفر فيها أجهزة أشعة متقدمة.

و**هناك أهداف أخرى شرعت من أجلها العدة، أهمها أنها تمثل فرصة للصلح بين الزوجين،** وذلك لأن المرأة يجب أن تبقى أثناء فترة العدة داخل بيت الزوج، فيراها وتراه، ويحن إليها، وتحن

إليه، فيزول الخلاف، ويتم الصلح، وهذا مدلول جملة (لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا) في الآية التالية: {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا} [الطلاق: 1].

إن إبقاء المطلقة داخل بيتها طوال فترة العدة يمثل خطة للصلح بين الزوجين، ومحاولة لجعل الزوج يتراجع عن الطلاق. كما أن بقاء المرأة داخل بيت الزوج أثناء العدة سيعمل على بقاء الخلاف محدودا ومحصورا فى أضيق نطاق، لكن لو عادت المرأة إلى بيت أبيها، فستسمع كلاما كثيرا من أهلها وأقاربها وجيرانها وصاحباتها، وكثير من هؤلاء سيكونون غير مخلصين، وسيحرضونها، وسيكثر القيل والقال، ويتعذر الصلح.

ولكن ماذا عن عدة المرأة التى توفى زوجها؟ لماذا جعلها الله تعالى أربعة أشهر وعشرة أيام[219] مع أن ثلاث حيضات تكفى لاستبراء الرحم، ونفى وجود الحمل من الزوج المتوفى؟ وإن كان السبب أنه لا يليق بالزوجة الحزينة أن تتزوج بسرعة بعد وفاة زوجها، فلماذا لا يحزن الرجل بالمثل على زوجته، ويُحرم من الزواج كما حُرمت؟ أليست هذه تفرقة بين الجنسين؟

ونحن نقدم بعون الله تعالى الأسباب التالية:

1. الرجل يعمل خارج البيت، ويحتاج لمن يخدمه، ويعد له الطعام، وينظف له السكن، ويرعى له أولاده، خاصة إن كانوا صغارا. وقد رأينا بأعيننا رجالا ماتت زوجاتهم في سن صغير، فاضطربت أحوال الأسرة بشدة، وتبين لنا أن من الأفضل للرجل أن يتزوج بأقصى سرعة.

2. من المعروف أن رغبة المرأة في الجماع أقل قوة وإلحاحا من رغبة الرجل فيه. ولهذا، فمن السهل على المرأة أن تصبر على البعد عن الجماع بعد وفاة زوجها، بينما يجد الرجل مشقة

219) من المعلوم أن الله تعالى فرض العدة على المرأة المتوفى عنها زوجها بحيث يحرم عليها الزواج من رجل آخر لمدة أربعة أشهر وعشرة أيام: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } [البقرة: 234]. كما لا يجوز لمثل تلك المرأة حتى أن تتفق أثناء العدة مع رجل آخر على إتمام الزواج بعد انتهاء العدة، وكل المسموح به بينهما هو التلميح لا التصريح، كأن يقول الرجل: "لا تحزنى. طوبى لمن تزوج منك" أو "سيعوضك الله بزوج خير منه". ومثل هذه الكلمات ستُفهم على أنها تلميح إلى رغبته فى الزواج منها، لكن التصريح بالرغبة فى الزواج أو أخذ موافقة المرأة سرا على الزواج ممنوع: {وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ} [البقرة: 235].

بالغة في تحمل نفس الأمر. ومن قبيل الظلم أن نسوى بين الاثنين في مسألة منع الزواج بعد وفاة شريك الحياة.

3. تختلف المرأة عن الرجل فى أنها مخلوق عاطفي، ولهذا تحزن المرأة على وفاة زوجها أكثر من حزن الرجل على وفاة زوجته. ولهذا شرع الله عدة طويلة نسبيا مراعاة لمشاعر المرأة، فمن غير اللائق أن يطرق بابها رجل يريد خطبتها، وهي في هذه الحالة النفسية السيئة.

4. لو سمحت الشريعة للمرأة بالزواج بعد ثلاث حيضات فقط من وفاة زوجها كبقية النساء، لبدا للناس أنها قد شذت عما هو متوقع من عامة النساء، فقد كان ينتظر منها أن تحزن على وفاة زوجها لفترة أطول، لكنها سارعت إلى استغلال الرخصة التي منحت لها. وقد يقال حينئذ أنها امرأة ذات شهوة بالغة، ولا تطيق البعد عن الرجال. وقد يقال أيضا أنها كانت تكره زوجها، ففرحت بموته، وسارعت بعد استبراء رحمها إلى الزواج مرة أخرى، وربما قيل أنها كانت على علاقة بالرجل الجديد قبل وفاة زوجها. وسيكثر القيل والقال، وسيؤذى هذا أيضا مشاعر أهل الميت. فسبحان الله العليم الحكيم.

5. يبدو الإسلام أكثر رحمة من مجتماعتنا في الماضي والحاضر، فمن الشائع أن يدين الناس أرملة أرادت أن تتزوج بعد وفاة زوجها، خاصة إن كانت كبيرة السن نسبيا أو كان لها أولاد خاصة إن كانوا ذوي مكانة ومنصب. إن المجتمع يعتبر مثل تلك المرأة قطعة حجر، بلا مشاعر، ويتوقع منها أن تبقى بلا زواج أبد الدهر، أما الإسلام فيبيح لها الزواج، لكن بعد فترة حظر لا تتجاوز بضعة أشهر.

العدة بعد الطلقة الثالثة

المرأة إن طلقها زوجها ثلاث مرات، سميت هذه بينونة كبرى لأن الزوج لا يمكن أن يردها مرة أخرى إلا إذا تزوجت رجلا غيره ثم طلقها، فحينذ فقط يمكن للزوج لأول أن يتزوجها بعقد جديد. وهنا نسأل: إن الزوج لا يمكن أن يرد زوجته بعد الطلقة الثالثة مباشرة، فلماذا جعلت الشريعة عدة هذه المرأة ثلاث حيضات مع أنها أغلقت باب الرجعة بين الزوجين؟ لماذا لا تكون العدة لمدة شهر واحدة لاستبراء الرحم كما في حالة أسيرة الحرب والجارية المشتراة والزوجة المختلعة؟

وللإجابة نتساءل أولا: **لماذا منع الإسلام الرجل من العودة لزوجته بعد الطلقة الثالثة إلا بعد أن تتزوج من رجل آخر؟**

السبب أن تكرار الطلاق يدل على وجود خلل عميق في العلاقة بين الزوجين. ولو سمح الإسلام للرجل أن يرد زوجته بعد الطلقة الثالثة مباشرة فسيؤدي هذا الخلل في الغالب إلى استمرار المشاكل والخلافات. وستحدث على الأرجح طلقة رابعة وخامسة. **لا بد من زلزال يحرك المياة الراكدة.** والزلزال هو أن يُحرم الرجل من العودة لزوجته، وتحرم المرأة من العودة لزوجها إلا بعد أن تتزوج من رجل آخر. وهذا الزواج الجديد سيمثل طعنة في قلب الرجل، لأن المرأة التي كانت زوجته يوما قد ذهبت إلى أحضان رجل غيره. وكثير من الرجال تأبى كرامتهم أن يعودوا لامرأة مسها رجل غيرهم. وإن ظل الرجل حريصا على الزواج من هذه المرأة فهذا الحرص يمثل دليلا على أنه فعلا يحبها، ومتمسك بالحياة معها رغم هول ما حدث. وفي نفس الوقت ستتزوج المرأة من رجل آخر، وتجرب حياة جديدة وبيتا آخر، وقد تجد أن زوجها الثاني أفضل من الأول، فتقرر البقاء معه، فيكون هذا خيرا لها. وإن وجدت أن الزوج الأول أفضل من الثاني، فستعود إليه، ولكن العودة هذه المرة ستكون مختلفة لأنها خبرت بشكل عملي الفرق بين الاثنين، وأدركت أن زوجها الأول الذي كانت ناقمة عليه أفضل كثيرا من غيره، ولهذا ستعود وهي أكثر رضا وخضوعا وطاعة، فلا تتعمد معارضته والرد عليه والشجار معه، فتمضي الحياة الزوجية بسلام.

إن **الشريعة هنا تخلق ما يشبه المصفاة التي تفصل الأزواج الذين لا أمل فيهم عن الأزواج الذين يحرصون حقا على الحياة معا.** فالرجل الذي لا يتمسك بزوجته لن يعود إليها مرة أخرى بعد أن مسها رجل آخر. والمرأة التى لا تتمسك بزوجها ستفضل البقاء مع الزوج الجديد الذي يعاملها بشكل أفضل. الإسلام هنا يجري اختبارا عمليا صعبا يهدف لمنع استمرار زواج مآله الفشل.

ونعود لسؤالنا الأساسي: لماذا جعلت الشريعة عدة الطلقة البائنة بينونة كبرى ثلاث حيضات بدلا من حيضة واحدة؟

السبب هو أن **الشريعة في هذه الحالة تجري اختبارا صعبا يفرق بين الزوجين اللذين يمكن أن تنصلح أحوالهما، والزوجين اللذين لن تنصلح أحوالهما أبدا.** ومما يتماشى مع هذا أن تطول

مدة العدة إلى ثلاثة أشهر بدلا من شهر واحد، فالإنسان عادة ما يشعر بالغربة والألم بعد فراق من تعود على العيش معهم، ولكن إن طال الفراق تعود الإنسان على الوضع الجديد، ونسي كل شيء كان يوما ما عزيزا عليه. هذه حقيقة لا تحتاج لبرهان، وانظر إلى كل رجل يموت، ولاحظ كيف تتأقلم أسرته في الغالب على الحياة بدونه، وكأنه كان غريبا عنها. ولهذا السبب جعلت الشريعة العدة أطول حتى يتبين أي الأزواج ينسى شريك حياته بسهولة، وأيهم تبقى ذكراه في قلبه. إن طول فترة العدة تساهم في زيادة درجة صعوبة الاختبار، وتفرز بشكل أدق بين الأزواج، حتى لا يعود زوجان للحياة معا مرة أخرى إلا إذا كانت فرصة نجاحهما هذه المرة كبيرة. ولو جعل الإسلام العدة بعد الطلقة الثالثة قصيرة فسيسعى الزوج (أو يسعى كلاهما) إلى الرجوع للآخر بعد أن يفيق من لحظة الغضب العارم التي جعلته يلقي يمين الطلاق وهو لا يشعر. بيد أن العودة لن تكون مضمونة العواقب إلا إذا استمرت الرغبة فى الرجوع لفترة طويلة، ولم تتآكل بفعل ألفة الفراق المعهودة.

وفضلا عن ذلك فقد **أراد الإسلام أن يضع العراقيل في طريق عودة مثل هذين الزوجين حتى يشعر كل منهما بقيمة الآخر، فالإنسان لا يعرف قيمة الشيء إن كان سهل المنال**. ولهذا فإن أفاق الرجل من سكرة الغضب، وشعر بالندم على الطلاق، وكان فعلا يحب زوجته، وأراد الرجوع، فلن ينال مراده فورا، وسيظل يتألم لفترة طويلة، ويكتوي بلهيب الشوق، فيستديم الزواج إن عاد إليها مرة أخرى.

ولاحظ أيضا أن المرأة إن طلقت من زوجها الجديد فلن تتمكن من الرجوع لزوجها الأول إلا بعد انقضاء العدة، أي بعد مرور ثلاثة أشهر إضافية، أي أن **الزوجين سيبتعدان عن بعضهما ستة أشهر على الأقل**، هذا بفرض أن الزوج الثاني سيطلقها بعد يوم واحد من الزواج.

وإضافة إلى ذلك فإن **وضع العراقيل في طريق عودة الزوجين إلى بعضهما بعد الطلقة الثالثة له هدف وقائي**، فشدة العقوبة كثيرا ما يكون هدفها منع الجريمة، وليس التنكيل بالمجرم. قوانين المرور الصارمة لا يضعها نواب البرلمان لأنهم يكرهون السائقين المتهورين، ولكن لأنهم يريدون من الأصل ألا يفكر هؤلاء المتهورون في مخالفة قوانين المرور. وبالمثل جعل الله تعالى رجوع الزوجين بعد الطلقة الثالثة شديد الصعوبة حتى لا يسعيان إلى الطلاق بسهولة. وإن أقدما على

الطلاق مرة سيكون الخوف من وقوعه أكبر بعد ذلك لأنهما اقتربا بدرجة أكبر من مرحلة الخطر.

يالحكمة الله البالغة! الحمد لله على نعمة الإسلام.

العدة القصيرة

جعلت الشريعة العدة حيضة واحدة فقط في حالة الأسيرة، والجارية المشتراة، والخلع. ففي هذه الحالات جُعلت العدة حيضة واحدة لاستبراء الرحم، وليس ثلاث حيضات. والعدة القصيرة مأخوذة من السنة، فقد صح أن الرسول عليه الصلاة والسلام تزوج السيدة صفية بنت حُيي بعد أسرها في غزوة خيبر، وكان **دخوله بها بعد أن طهرت من حيضها**، وذلك في طريق العودة إلى المدينة. والقصة رواها البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: «قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْبَرَ، فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الحِصْنَ ذُكِرَ لَهُ جَمَالُ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ، وَقَدْ قُتِلَ زَوْجُهَا، وَكَانَتْ عَرُوسًا، فَاصْطَفَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ، فَخَرَجَ بِهَا **حَتَّى بَلَغْنَا سَدَّ الرَّوْحَاءِ حَلَّتْ فَبَنَى بِهَا**...»

(سد الروحاء): موضع قريب من المدينة. (حلت): طهرت من حيضتها. (فبنى بها): البناء هو الدخول بالزوجة.

وفي رواية أخرى للبخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ «فَاصْطَفَاهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ، فَخَرَجَ بِهَا حَتَّى **بَلَغْنَا سَدَّ الصَّهْبَاءِ حَلَّتْ، فَبَنَى بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**». وفي رواية مسلم عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا، «**حَتَّى إِذَا كَانَ بِالطَّرِيقِ جَهَّزَتْهَا لَهُ أُمُّ سُلَيْمٍ، فَأَهْدَتْهَا لَهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَأَصْبَحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرُوسًا**».

وهنا نجد أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم ينتظر حتى مرور ثلاث حيضات كي يتزوج السيدة صفية، بل اكتفي بحيضة واحدة فقط. ويؤيد هذا حديث آخر، فقد روي أن النبي عليه الصلاة والسلام قال فِي سَبَايَا أَوْطَاسٍ: «لَا تُوطَأُ حَامِلٌ حَتَّى تَضَعَ، وَلَا غَيْرُ ذَاتِ حَمْلٍ، **حَتَّى تَحِيضَ حَيْضَةً**» أخرجه الحاكم، وقال صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ[220]، لكنه في الحقيقة صحيح لغيره[221].

---

220) أخرجه أحمد، والدارمى، وأبو داود، والدارقطنى، والحاكم، والبيهقى، والضياء عن أبى سعيد.

221) إسناده حسن كما قال الشوكاني [**نيل الأوطار** (6/ 363)]. وقال محققا سنن أبي داود عن هذا الحديث: صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لسوء حفظ شريك - وهو ابن عبد الله النخعي. انظر: **"سنن أبي داود"** (3/ 486)

والعدة تكون شهرا في حالة أسيرة الحرب الكافرة أو الجارية المشتراة لأنها لم تعد مقيمة مع زوجها الكافر، ولا داع لإطالة العدة لثلاث حيضات لأنه لا أمل في عودة الزوجين.

والعدة تكون حيضة واحدة كذلك في حالة الخلع، لما روي عن الرُّبَيِّعِ بِنْتَ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءَ: أَنَّ امرأة ثَابِتَ بْنَ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ اختلعت منه، «فَأَمَرَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَتَرَبَّصَ حَيْضَةً وَاحِدَةً، فَتَلْحَقَ بِأَهْلِهَا». رواه النسائى[222]، وسنده صحيح على شرط البخاري كما قال الألباني[223].

وروي عن رُبَيِّعَ ابْنَةَ مُعَوِّذِ ابْنِ عَفْرَاءَ أَنَّهَا اخْتَلَعَتْ مِنْ زَوْجِهَا عَلَى عَهْدِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَجَاءَ عَمُّهَا إِلَى عُثْمَانَ فَقَالَ: إِنَّ ابْنَةَ مُعَوِّذٍ اخْتَلَعَتْ مِنْ زَوْجِهَا الْيَوْمَ أَفَنَنْتَقِلُ؟ فَقَالَ عُثْمَانُ: لِتَنْتَقِلْ وَلَا مِيرَاثَ بَيْنَهُمَا لَهَا، وَلَا عِدَّةَ عَلَيْهَا، إِلَّا أَنَّهَا **لَا تُنْكَحُ حَتَّى تَحِيضَ حَيْضَةً** – خَشْيَةَ أَنْ يَكُونَ بِهَا حَمْلٌ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: فَعُثْمَانُ أَخْبَرُنَا وَأَعْلَمُنَا[224].

والقول بأن عدة المختلعة حيضة واحدة هو قول عثمان بن عفان وابن عمر وابن عباس وهو رواية عن أحمد، وإسحاق وابن المنذر، واختيار شيخ الإسلام[225]. **أما قول الجمهور فهو أن عدة المختلعة هي عدَّة المطلَّقة (ثلاثة قروء).** وهو قول الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة – في المذهب – وبه قال سعيد بن المسيب وعمر بن عبد العزيز والحسن والشعبي والنخعي والزهري وغيرهم[226]. **وعلى ذلك فالمسألة خلافية.**

ونحن نقول أنه إن صح أن عدة المختلعة حيضة واحدة، فيمكن تبرير ذلك بالقول أن المرأة دفعت مالا مقابل طلاقها، فلا معنى لإطالة العدة لأن الزوج أخذ المال كي يرفع يده عن المرأة تماما، فكيف تبقي الشريعة في يده سلطة ردها؟ هذا تناقض، كما أنه يمكن أن يفتح بابا للتلاعب بالمرأة، فيأخذ الرجل المال على أنه سيطلقها، وبعد ذلك يردها، فيصيبها بالغم بعد الفرح، وهذا

---

222) قال النسائي: أَخْبَرَنَا أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْمَرْوَزِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي شَاذَانُ بْنُ عُثْمَانَ، أَخُو عَبْدَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ الرُّبَيِّعَ بِنْتَ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءَ، أَخْبَرَتْهُ: أَنَّ ثَابِتَ بْنَ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ ضَرَبَ امْرَأَتَهُ فَكَسَرَ يَدَهَا، وَهِيَ جَمِيلَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ، فَأَتَى أَخُوهَا يَشْتَكِيهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى ثَابِتٍ فَقَالَ لَهُ: «خُذِ الَّذِي لَهَا عَلَيْكَ وَخَلِّ سَبِيلَهَا»، قَالَ: نَعَمْ، فَأَمَرَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَتَرَبَّصَ حَيْضَةً وَاحِدَةً، فَتَلْحَقَ بِأَهْلِهَا. **ورواة هذا الحديث كلهم من رجال البخاري ومسلم، باستثناء شاذان بن عثمان، وهو من رجال البخاري،** وشاذان لقبه، واسمه عبد العزيز بن عثمان بن جبلة بن أبى رواد الأزدى، أبو الفضل المروزى.

223) انظر: **"صحيح سنن أبي داود"** (6/ 430) للألبانى.

224) إسناده صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة، وابن حزم في «المحلي» (10/ 237)، والبيهقي (7/ 450). انظر: **"صحيح فقه السنة وأدلته وتوضيح مذاهب الأئمة"** (3/ 359).

225) صحيح فقه السنة وأدلته وتوضيح مذاهب الأئمة (3/ 360)

226) صحيح فقه السنة وأدلته وتوضيح مذاهب الأئمة (3/ 359)

شيء في منتهي القسوة. وقد يأخذ الرجل المال، ثم يماطل في رده بعد إرجاع المرأة إلى عصمته، فتتعقد المشاكل. ولهذا صارت العدة شهرا واحدا لاستبراء الرحم فقط كي ينسب الولد لأبيه الحقيقي إن كانت المرأة حاملا.

ولا بد من سؤال: هل تكفي عدة واحدة لاستبراء الرحم؟

الإجابة نعم بدرجة كبيرة جدا، فمن الناحية الطبية لا تأتي الدورة الشهرية إن حدث حمل. **ورغم ذلك في أحيان قليلة** (9%−27 من النساء الحوامل) **يحدث نزيف للمرأة في شهور الحمل الثلاثة الأولى**. وفي دراسة كبيرة أجريت مؤخرا[227] بلغت نسبة حدوث النزيف في الفترة المبكرة من الحمل (30.1%)[228]. **وقد استمر ثلثان من نوبات النزيف لفترة قصيرة بلغت يوما أو اثنين فقط. وكانت نوبات النزيف في الغالب خفيفة في 91% من الحالات[229]**، كما حدث **النزيف في فترات مختلفة من الحمل** (قبل الموعد المتوقع للدورة الشهرية، وليس بالضبط عنده)[230].

إذن في الغالب تستطيع المرأة التفريق بين الدم الذي ينزل في الحمل ودم الدورة الشهرية المعتادة. وقد أكدت ذلك دراسة أخرى ضخمة Retrospective، حيث أظهرت وجود أخطاء لدى بعض السيدات في حساب مدة الحمل استنادا إلى الطريقة المعهودة التي تعتمد على تذكر أول يوم في آخر دورة شهرية، ففي بعض الحالات حسبت مدة الحمل أقل من العمر الحقيقي ب 4 أسابيع، واقترح الباحثون أن يكون سبب ذلك هو حدوث نزيف من الرحم أثناء الحمل في الوقت المعتاد للدورة الشهرية، فتظن المرأة أن هذه دورة شهرية عادية، وأن الحمل لم يحدث. لكن **وجدت الدراسة أن هذا حدث في نسبة صغيرة، تبلغ 6 % فقط من حالات الحمل**[231].

---

227) DeVilbiss EA, Naimi AI, Mumford SL, Perkins NJ, Sjaarda LA, Zolton JR, Silver RM, Schisterman EF. Vaginal bleeding and nausea in early pregnancy as predictors of clinical pregnancy loss. Am J Obstet Gynecol. 2020 Oct;223(4):570.e1-570.e14.

228) هؤلاء النسوة سبق حدوث إجهاض لهن مرة أو مرتين، وكانت دورتهن الشهرية منتظمة. وتمت متابعتهن في الفترة من أسبوعين حتى 8 أسابيع من بداية الحمل، أي كانت بداية إدراج كل امرأة في الدراسة بعد مرور أسبوعين من أول يوم في آخر دورة شهرية، أي وقت حدوث التبويض. بلغت نسبة حدوث النزيف لدي هؤلاء الحوامل (30.1%)، ويبدو أن سبب ارتفاع هذه النسبة عن المعتاد يرجع إلى طبيعة هؤلاء الأمهات اللائي حدث لهن إجهاض من قبل، وهو ما يجعلهن أكثر عرضة للنزيف في المرات التالية.

229) كان النزيف على شكل نقاط دم أو سائل خفيف جدا في 78% من نوبات النزيف، وعلى شكل سائل خفيف في 13% من النوبات، وكان النزيف متوسطا أو كثيفا في 9% فقط من النوبات.

230) في الفترة من 2-4 أسابيع من الحمل حدث النزيف عند 5.9 % من النساء. وفي الفترة من 4-6 أسابيع حدث النزيف عند 14.6 % من النساء. وفي الفترة من 6-8 أسابيع حدث النزيف عند 20.8 % من النساء.

231) Gjessing HK, Skjaerven R, Wilcox AJ. Errors in gestational age: evidence of bleeding early in pregnancy. Am J Public Health. 1999 Feb;89(2):213-8. doi: 10.2105/ajph.89.2.213. PMID: 9949752; PMCID: PMC1508525.

وفي دراسة أمريكية مستقبلية Prospective وجد أن 9 % منهن فقط (14 امرأة) حدث لهن نزيف في الأسابيع الثمانية الأولى من الحمل. وفي 8 من هؤلاء بدأ النزيف في الوقت المعتاد للدورة الشهرية (من يوم 27 حتى يوم 31 من الدورة). ولكن **كان هذا النزيف في الغالب خفيفا،** إذ احتاج إلى تغيير حافظة واحدة أو اثنين فقط في اليوم، بينما تحتاج الدورة الشهرية المعتادة عندهن إلى 4–8 حفائظ في أشد أيامها. **واستنتج الباحثون أن من غير المحتمل أن تظن المرأة التي يحدث لها نزيف في الحمل أن هذا النزيف دورة شهرية معتادة.**

ومن المعروف أيضا أن **الحمل يكون مصحوبا في العادة بالقيء أو الغثيان،** وذلك في أغلب الحوامل (84%–94 منهن). **وقد يبدأ القيء والغثيان حتى قبل الموعد المتوقع للدورة الشهرية**[232،233]. وفي دراسة أخرى[234،235] وجد أنه عند 62% تقريبا من النساء يبدأ الشعور بالغثيان والقيء قبل موعد الدورة الشهرية المتغيبة وحتى بعد أسبوعين من تغيبها. وفي بداية الحمل تشعر المرأة أيضا في العادة بأعراض أخرى كالقيء والغثيان وألم الثديين والتعب الشديد، والرغبة المتكررة في التبول

__خلاصة القول__

أغلب النساء لا يحدث لهن نزيف إن حدث حمل. وإن حدث هذا النزيف فإنه يكون في العادة خفيفا جدا، ويستمر لفترة قصيرة، كما يكون مصحوبا بالغثيان والقيء أو أعراض الحمل الأخرى كألم الثديين والانتفاخ والإرهاق والإمساك والدوخة واضطرابات المزاج. وعلى ذلك فببعض التدقيق تستطيع المرأة بمعاونة أهلها أن تتيقن من طبيعة الدم الذي ينزل في أول الحمل، وهل هو حيض أم دم من نوع مختلف، ولهذا فالعدة لمدة حيضة واحدة كافية بشكل كبير جدا لاستبراء الرحم، ومنع اختلاط الأنساب.

---

232) DeVilbiss EA, Naimi AI, Mumford SL, Perkins NJ, Sjaarda LA, Zolton JR, Silver RM, Schisterman EF. Vaginal bleeding and nausea in early pregnancy as predictors of clinical pregnancy loss. Am J Obstet Gynecol. 2020 Oct;223(4):570.e1-570.e14.

233) وجدت الدراسة الأخيرة أنه في الفترة من 2-4 أسابيع من الحمل كان معدل حدوث القيء أو الغثيان 22.7 % من النساء. وفي الفترة من 4-6 أسابيع كان معدل حدوث القيء أو الغثيان 65.9 %. وفي الفترة من 6-8 أسابيع كان معدل حدوث القيء أو الغثيان 87 %

234) Gadsby R, Barnie-Adshead AM, Jagger C. A prospective study of nausea and vomiting during pregnancy. Br J Gen Pract. 1993 Jun;43(371):245-8.

235) تفصيلا وجدت الدراسة أن المرأة أحيانا تشعر بالقيء أو الغثيان حتى قبل أن تلاحظ أن دورتها الشهرية لم تأت. فقد يحدث القيء أوالغثيان لدى 6.9% من الحوامل قبل مرور 21 يوما من بداية آخر دورة (أى قبل موعد الدورة الشهرية الجديدة بأكثر من أسبوع تقربا). وفي 6.5% من الحوامل يحدث القيء والغثيان من يوم 22-28 (أي وقت الدورة أو قبلها بأسبوع). وفي 21.3% من الحوامل يحدث القيء والغثيان عند يوم 29-35 (أي وقت الدورة أو بعدها بأسبوع). وفي 27.1% من الحوامل يحدث القيء عند يوم 36-42 (أي بعد الدورة بأسبوع أو اسبوعين).

ولاحظ أن القرآن تكلم عن فترة العدة باستخدام كلمة (قروء): {وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ} [البقرة: 228]. و(قروء) جمع (قَرء) أو (قُرء). وقد حيرت هذه الكلمة المفسرين والفقهاء، فانقسموا إلى معسكرين، أحدهما يرى أن القرء هو الحيض، والآخر يرى أنه الطهر بين الحيضتين. ولكل فريق أدلته. ولا خلاف بين أهل اللغة على أن القرء يطلق على كل من الحيض والطهر، وهو من الأضداد. والخلاف يتركز حول أي المعنيين قصدته الآية.

ونحن نرى أن القرآن استخدم **كلمة (قروء) لأنها كلمة فريدة، فهي تعبر عن كل من الحيض والطهر**، وهذا هو المراد. **المراد أن تراقب المطلقة الحيض على خلفية من الطهر**، وذلك بألا تسارع حين ترى الدم إلى القول بأنها حاضت، فيظن زوجها أنها ليست حبلى، فيطلقها. **ودور كلمة (قروء) أن تقول للمرأة أن عليها ليس فقط أن تراقب نزول الدم، بل أن تراقب الطهر أيضا**، فإن نزل الدم في وقت يفترض أن تكون طاهرة فيه (قبل الوقت المتوقع للدورة)، أو جاء الطهر بسرعة بعد نزول الدم لفترة قصيرة، أو كانت كمية الدم قليلة جدا بدرجة لا تختلف تقريبا عن الطهر، لم تكن هذه دورة شهرية. معنى هذا أن كلمة (قروء) أعمق مما نظن.

نسأل الله الهداية، ونعوذ به عز وجل من الضلال، ونشكر كل من يصحح لنا خطأنا.

الطلاق

رغم حرص الإسلام الشديد على الحفاظ على كيان الأسرة إلا أن الطلاق لا مفر منه في بعض الأحيان. وتحريم الطلاق سذاجة وقعت فيها بعض الديانات، التي ظنت أن كل البشر ملائكة، ومن المستحيل أن يختلفوا ويتشاجروا. الإسلام يعترف أن الطلاق قد يكون أحيانا نهاية لمشاكل استعصت على الحل، وبداية لحياة أفضل لكل من الرجل والمرأة: {وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا} [النساء: 130]. ولا يعني هذا أن الإسلام يشجع الطلاق أو يرضى عن ظاهرة جنون الطلاق. الإسلام بالعكس شديد الحرص على بقاء العلاقة بين الأزواج. وسنتكلم عن هذا فيما بعد.

لماذا وُضع قرار الطلاق بيد الرجل

"لماذا جعل الإسلام قرار الطلاق بيد الرجل وحده؟ لماذا لا يكون للمرأة نفس الحق؟ لما لا يُسمح لها أن تترك زوجها وقتما تشاء كما يحق له أن يتركها وقتما يشاء؟" هكذا صرخ أنصار المرأة منذ سنوات، وناحو، وأدموا القلوب، لكنهم ما كانوا يوما مخلصين لأننا حين نشاهد الأفلام التي أنتجت في فترة الستينات والسبعينات من القرن الماضى نجد المرأة فى بلادنا تطالب بشيء مختلف تماما، ألا وهو تقييد استخدام الرجل لحقه فى الطلاق، بحيث لا يقع بمجرد كلمة يلقيها الزوج، بل لا بد أن يتخذ القاضى هذا القرار. وطالب بعضهم بأن يكون قرار الطلاق مشتركا بين الرجل والمرأة، فلا يقع إن لم توافق الزوجة عليه أسوة بقرار الزواج الذي لا يتم إلا بموافقتها.

فبالأمس كانت المرأة تريد تقييد حق الرجل فى الطلاق، لكنها اليوم تريد أن تتخلص من كل القيود التى تحول بينها وبين نيل الطلاق. وليس من العسير فهم هذا التناقض، فالمرأة حين كانت ربة بيت معتمدة على زوجها فى النفقة كان الطلاق يمثل لها مشكلة اقتصادية، أما اليوم فقد أصبحت المرأة تعمل خارج البيت، وأصبح بإمكانها الاستغناء عن الرجل. **الحركة النسائية لا تدافع عن المرأة المضطهدة، بل حركة ذات مخالب وأنياب، تفترس بها لحم الرجل الذي خارت قواه، وأنهكته مؤامرت النظام العالمي.** لقد نجحت المرأة فى أن ترسم لنفسها صورة فى مخيلة الرأى العام على أنها الجنس المطحون. ولقد ترسخت هذه الصورة، رغم أن الظروف تغيرت،

وأصبحت المرأة قوية كالرجل، بل أكثر. الحركة النسائية مثل الحركة الصهيونية التى أقنعت العالم أن اليهود أُحرقوا فى أفران الغاز النازية، وأن اليهودى هو الإنسان البرىء المظلوم، رغم أن الزمن تغير، وأصبح اليهود هم حكام العالم الحقيقيون.

والآن نتساءل: **لماذا جعل الله تعالى الطلاق بيد الزوج وحده؟** هناك عدة أسباب تبرر ذلك:

أولا:

المرأة تتسم بالعاطفة والانفعال، وهي أقل تعقلا وقدرة على السيطرة على المشاعر، وهذا يجعلها أسرع فى طلب الطلاق من الرجل. ولو منح الإسلام المرأة حق الطلاق أسوة بالرجل لسارع كثير من النساء إلى طلب الطلاق مع أصغر مشكلة زوجية، ولخربت كثير من البيوت العامرة، وضاع كثير من الأبناء. يقول ابن رشد: [لِأَنَّ الْعِلَّةَ فِي جَعْلِ الطَّلَاقِ بِأَيْدِي الرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ هُوَ لِنُقْصَانِ عَقْلِهِنَّ وَغَلَبَةِ الشَّهْوَةِ عَلَيْهِنَّ مَعَ سُوءِ الْمُعَاشَرَةِ.][236]

وجاء في كتاب الفقه على المذاهب الأربعة أن «المرأة مهما أوتيت من حكمه فإنها سريعة التأثر بطبيعتها فليس لها من الجلد والصبر مثل ما للرجل، فلو كان الطلاق بيدها فإنها تستعمله أسوأ استعمال لأنها لا تستطيع ضبط نفسها كما يستطيع الرجل، فمن العدل والمحافظة على استمرار الزوجية وبقائها أن يكون الطلاق بيد الرجل لا بيد المرأة»[237]

ونحن نؤكد أن المرأة أكثر حساسية من الرجل، وغضبها من زوجها أكبر من غضب زوجها منها، وكثيرا ما تثور من أجل أخطاء تافهة فعلها. والمتزوجون يعرفون هذا جيدا، مع أن الظاهر خلاف ذلك، لأن الرجل يميل إلى استخدام القوة، بينما تغضب المرأة في أغلب الأحيان بشكل صامت أو سلبي، وتعبر عن نفسها من خلال الخصام والمقاطعة وخلق جو من التوتر والنكد والغم بلا سبب معقول. وتلجأ بعض النساء إلى إهمال شئون الزوج، أو تصنع له طعاما لا يحبه، أو تصنع طعاما يحبه بطريقة لا تعجبه، فيندهش الزوج من هذا الجو الغريب، ولا يجد سببا

236) **بداية المجتهد ونهاية المقتصد** (3/ 94).

237) **الفقه على المذاهب الأربعة** (4/ 327). تأليف عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري. دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. الطبعة الثانية، 1424 هـ - 2003 م

معقولا لهذه التغيرات، وفى النهاية يكتشف سببا أحمق كأن تكون زوجته غارت عليه من امرأة أخرى، أو قال لها كلمة عادية حسبتها إهانة مقصودة.

ويحدث في بعض الأحيان أن تسيطر حالة من الهستيريا على المرأة، فتطلب الطلاق، فيجزم كل من حولها بأنها فقدت عقلها. على سبيل المثال تشاجرت امرأة مع زوجها، فطلبت الطلاق، وأصرت على أن تأخذ الأولاد، وكان عددهم سبعة، وهي تعلم جيدا أنها لن تستطيع السيطرة عليهم بسبب كثرة مشاكلهم، كما أنها لن تتزوج مرة أخرى بسبب كبر سنها، إضافة إلى أن سبب المشاجرة أمر تافه. وطبعا لم يستجب الرجل لهذه الزوجة المجنونة.

ولهذا السبب وجدنا الرسول عليه الصلاة والسلام يحذر المرأة من طلب الطلاق بلا سبب معتبر، حيث قال: "أيما امرأةٍ سألتْ زوجَها طلاقاً في غيرِ ما بأسٍ، فحرامٌ عليها رائحةُ الجنةِ". رواه أبو داود بإسناد صحيح[238]. وقوله: "من غير ما بأس" معناه أنها تطلب الطلاق من غير شدة، أى من غير سبب قاهر.

ونحن لا نزعم أن كل الرجل يحسنون استخدام حق الطلاق، فمن الرجال من ابتلوا بالتهور والاندفاع والاستسلام للغضب وإهمال مصائر الأولاد. ومن النساء من كن أكثر حكمة وتعقلا من الرجال. ولكن بشكل عام يتميز أغلب الرجال عن أغلب النساء في هذا الجانب. وعلى الشريعة أن تراعي ما هو غالب وشائع، وليس ما هو قليل ونادر.

ثانيا:

لو كان الطلاق بيد المرأة لكان هذا حكما بالإعدام على قوامة الرجل، وقيادته للأسرة، إذ سيشعر الرجل بالابتزاز لأن زوجته تستطيع أن تنهى بكلمة منها حياتها معه إن لم يجب لها طلباتها. وسيجد نفسه مضطرا للرضوخ لها كى يحافظ على كيان الأسرة، وستتحول المرأة إلى رئيس لا مرءوس، وستكون القوامة عمليا بيدها، وهذا ضد سنة الله تعالى وفطرته. إن منح الرجل

238) رواه أبو داود ، قال: حدَّثنا سليمانُ بنُ حرب، حدَّثنا حماد، عن أيوبَ، عن أبي قِلابةَ، عن أبي أسماءَ عن ثوبانَ، فذكره. وحمّاد: هو ابن زيد الأزدي، وأيوب: هو ابن أبي تميمة كيسان السَّختياني، وأبو قِلابة: هو عبد الله بن زيد الجرمي وأبو أسماء: هو عمرو بن مرثد الرَّحَبي. وأخرجه ابن ماجه من طريق محمد بن الفضل، عن حمّاد بن زيد، بهذا الإسناد. وهو في "مسند أحمد"، و"صحيح ابن حبان". وأخرجه الترمذي من طريق عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، عن أيوب، عن أبي قِلابة، عمَّن حدثه، عن ثوبان. وقال: حديث حسن. وهو في "مسند أحمد" عن إسماعيل ابن علية، عن أبي قلابة، عمن حدثه، عن ثوبان. وهذا المبهم مبين في رواية أبى داود وأحمد وابن ماجه، وهو أبو أسماء الرَّحَبي. انظر تعليق محققي كتاب: **"سنن أبي داود"** (3/ 543).

حق الطلاق دون المرأة يتسق مع النظام العام للأسرة في الإسلام، الذي يجعل الرجل سيدا للمرأة. **ومن العبث أن يكون لك سلطة إيقاع عقاب على مَن بيده التخلص من هذا العقاب.** والرجل الذي يرى من زوجته نشوزا، فيقرر أن يعاقبها كما شرع الله، ستقول له الزوجة: "مع السلامة"، وتترك البيت، وتطلقه. وإن كانت الزوجة حكيمة بعض الشيء ستهدده بالطلاق، فيتراجع المسكين عن عقابها، فتتحول المرأة إلى مركز قوة في البيت، **ويتحول الرجل إلى ملك صورى، يملك ولا يحكم.**

هب أن رجلا، اكتشف في زوجته عيبا خطيرا كالسرقة أو الإدمان أو الإيقاع بين الناس أو إطلاق الإشاعات، أو التبرج، أو الانشغال بالرجال، أو الزنا. في مثل هذه الأحوال يجب على الرجل الفاضل أن يهدد زوجته بالطلاق، أو يطلقها بالفعل إن أخفقت معها النصيحة حتى يتبرأ من خطاياها، فالرجل هو رب الأسرة، وله القوامة على زوجته، وهو مسئول عن تأديبها. وتطليقه لها إعلان أنه غير راض عن سلوكها، وأنه بريء من كل جرائمها، تماما مثلما يقيل المدير موظفا مرتشيا حتى يبريء نفسه أمام العملاء. وفي الحديث الشريف عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « ثَلَاثَةٌ يَدْعُونَ اللَّهَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ: **رَجُلٌ كَانَتْ تَحْتَهُ امْرَأَةٌ سَيِّئَةَ الْخُلُقِ فَلَمْ يُطَلِّقْهَا**، وَرَجُلٌ كَانَ لَهُ عَلَى رَجُلٍ مَالٌ فَلَمْ يُشْهِدْ عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ آتَى سَفِيهًا مَالَهُ». قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين (البخاري ومسلم)، ووافقه الذهبي[239]

إن **منح حق الطلاق للمرأة بدلا من الرجل يشبه مديرا، لا يملك حق إقالة موظف عنده، بينما الموظف هو الذي يملك حق إقالة مديره.** إن قوامة الرجل تحتم أن يكون حق الطلاق بيده، وما عدا ذلك تخبط وتضارب. وشريعة الإسلام متسقة مع نفسها.

ثالثا:

في الأسرة المسلمة الرجل هو القائد، والمرأة ملزمة بطاعته. ولا شك أنه لا أحد من الناس يحب تلقى الأوامر، ولا أحد يرتاح لأن يكون مرءوسا، **وكل واحد يسعى إلى التخلص من السلطة التي تحكمه، حتى لو كانت عادلة. ولهذا سنجد أن هناك ميلا دائما من المرأة للطلاق**، وهذا الميل تختلف شدته من وقت لآخر، ومن امرأة لأخرى. الرجل هو الذي يصدر الأوامر للمرأة، والمرأة

239) **المستدرك على الصحيحين** للحاكم (2/ 331)

عليها أن تطيع، وهذا يجعل المرأة أكثر شعورا بأنها مضطهدة ومظلومة ومضغوطة، حتى لو كان الزوج معه حق في الأوامر التي يوجهها إليها. حقا المرأة تطلب هي الأخرى من زوجها أشياء، لكن الزوج ليس ملزما بطاعتها مثلما هي ملزمة بطاعته. وعلى ذلك فلو مُنح حق الطلاق للمرأة لكانت أسرع من الرجل في استخدامه.

رابعا:

تصل المرأة إلى سن اليأس قبل الرجل، وتفقد في الغالب الرغبة الجنسية قبله. كما أن المرأة من الأصل أقل رغبة في الجماع من الرجل بشكل عام. ولهذا تشعر المرأة الكبيرة السن التي لم تعد تحتاج لزوجها جنسيا أنها لن تخسر كثيرا إن طلقت منه. وهذا أحد العوامل التي تساهم في حدوث الطلاق بين الأزواج الكبار هذه الأيام. ولهذا سلب الله تعالى حق الطلاق من المرأة حتى لا تسارع إلى استخدامه متى كبرت، واستغنت عن زوجها.

خامسا:

الرجل هو الذى يدفع المهر للمرأة قبل الزواج. ولو جعل الإسلام الطلاق بيد المرأة لكان من حقها أن تطلق الرجل بعد يوم أو يومين من الزواج، فيخسر المهر. وإن أراد الرجل الزواج فيما بعد كان عليه أن يعد مهرا جديدا لزوجة جديدة، وهذا ظلم فادح. وهكذا فمنظومة قوانين الأسرة في الإسلام متناغمة.

حالات يُسحب فيها حق الطلاق من الرجل

قلنا أن الإسلام جعل الطلاق بيد الرجل، وليس المرأة. وأثبتنا أن هذا لم يكن بدافع التعصب للرجل، بل لوجود أسباب موضوعية ومبررات عادلة. ومما يثبت عدالة الإسلام أن شريعته تسمح بسحب حق الطلاق من الرجل في بعض الحالات، بحيث يمكن للمرأة أن تُطلق رغما عن زوجها. **الطلاق ليس حقا مطلقا للرجل،** فقد منح الرسول عليه السلام الجارية بريرة الخيار في الطلاق من زوجها الذي يحبها بعد أُعتقت. ولا خلاف على أن الرجل إن ارتد عن الإسلام طلقت الزوجة رغما عنه. وهذه شواهد تثبت أن الطلاق ليس حقا مطلقا للرجل، بل يمكن سحبه منه في بعض الحالات. فلنتكلم عن هذه الحالات:

1- وجود عيب في الزوج

في بعض الأحيان تكتشف المرأة في الرجل عيبا خطيرا، أخفاه قبل الزواج. وقد يحدث هذا العيب بعد الزواج، فيجعل استمرار الزواج مستحيلا. على سبيل المثال قد تكتشف المرأة أن زوجها مصاب بمرض عقلى، أو أنه مصاب بالعُنَّة (العجز عن الجماع)، أو غير ذلك من العيوب المستعصية. فماذا تفعل في هذه الحالة؟ هل تطلب الطلاق؟ وماذا لو رفض الزوج؟ هل تطلب الخلع؟ وماذا لو رفض الرجل الخلع؟ ثم إن من الظلم أن تفقد المرأة المهر بالخلع مع أن العيب في الرجل. فما الحل؟

قال جمهور الصحابة والفقهاء أن للمرأة في هذه الحالات حق فسخ الزواج، وللرجل أيضا نفس الحق. وأغلب العيوب التي توجب الفسخ في رأي الفقهاء هي عيوب الجهاز التناسلي والأمراض الجلدية لدى الزوجين، وهي تشمل ما يلي[240]:

- **(الْجَبّ)**: الرجل المَجْبُوبُ هو الخَصِيُّ، المقطوع الذكَرْ.
- **(العُنَّة)**: هي الضعف الجنسي. والعِنّينُ هو الرجل الَّذِي لَا يأْتي النِّسَاءَ وَلَا يُرِيدُهُنَّ.
- **(الْجُذَام وَالْبَرَص)**: نوعان من الأمراض الجلدية.
- **(الرَّتَقُ)**: هو ضيق فرج المرأة. والرَّتْقاء المرأَة المُنضَمّة الْفَرْجِ الَّتِي لَا يَكَادُ الذَّكَرُ يَجُوزُ فرجَها لشدَّة انْضِمَامِهِ. وفرجٌ أَرْتَقُ: ملتزِق.
- **(العَفَل)**: شيءٌ مُدَوَّر يَخْرُجُ بِالْفَرْجِ، وَلَا يُصيب المرأَة إلا بعدَ ما تَلِد. والمرأة تسمى "عَفْلاء".
- **(القَرْن)**: هو العَفَلة الصَّغِيرَةُ. والقَرْناء هي العَفْلاء، وهي امرأة فِي فَرْجِهَا مَانِعٌ يَمْنَعُ مِنْ دخول الذَّكَرِ فيهِ، إما غُدَّة غَلِيظَةٌ أَو لَحْمَةٌ مُرْتَتِقة أَو عَظْمٌ. والقَرْنُ، بِالسُّكُونِ هو اسْمُ العَفَلة، والقَرَنُ، بِالْفَتْحِ هو اسْمُ الْعَيْبِ.

وقد تعددت آراء الفقهاء في هذه المسألة. ولخصها الشوكاني كما يلي:

«وَقَدْ ذَهَبَ جُمْهُورُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ الصَّحَابَةِ فَمَنْ بَعْدَهُمْ إلَى أَنَّهُ يُفْسَخُ النِّكَاحُ بِالْعُيُوبِ وَإِنْ اخْتَلَفُوا فِي تَفَاصِيلِ ذَلِكَ وَفِي تَعْيِينِ الْعُيُوبِ الَّتِي يُفْسَخُ بِهَا النِّكَاحُ. وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ وَعُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهَا **لَا تُرَدُّ النِّسَاءُ إلَّا بِأَرْبَعَةِ عُيُوبٍ: الْجُنُونُ وَالْجُذَامُ وَالْبَرَصُ وَالدَّاءُ فِي الْفَرَجِ،**

240) انظر في معاني هذه العيوب معجم "**لسان العرب**" و"**الصحاح**".

وَخَالَفَ النَّاصِرُ فِي الْبَرَصِ فَلَمْ يَجْعَلْهُ عَيْبًا يُرَدُّ بِهِ النِّكَاحُ، **وَالرَّجُلُ يُشَارِكُ الْمَرْأَةَ فِي الْجُنُونِ وَالْجُذَامِ وَالْبَرَصِ، وَتَفْسَخُهُ الْمَرْأَةُ بِالْجَبِّ وَالْعُنَّةِ** وَذَهَبَ بَعْضُ الشَّافِعِيَّةِ إلَى أَنَّ الْمَرْأَةَ تُرَدُّ بِكُلِّ عَيْبٍ تُرَدُّ بِهِ الْجَارِيَةُ فِي الْبَيْعِ وَرَجَّحَهُ ابْنُ الْقَيِّمِ وَاحْتَجَّ لَهُ فِي الْهَدْيِ بِالْقِيَاسِ عَلَى الْبَيْعِ وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: يُفْسَخُ النِّكَاحُ بِكُلِّ دَاءٍ عُضَالٍ وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ وَأَبُو يُوسُفَ، وَهُوَ قَوْلٌ لِلشَّافِعِيِّ: إنَّ الزَّوْجَ لَا يَرُدُّ الزَّوْجَةَ بِشَيْءٍ لِأَنَّ الطَّلَاقَ بِيَدِهِ وَالزَّوْجَةُ لَا تَرُدُّهُ بِشَيْءٍ إلَّا الْجَبَّ وَالْعُنَّةَ، وَزَادَ مُحَمَّدٌ: الْجُذَامُ وَالْبَرَصُ، وَزَادَتْ الْهَادَوِيَّةُ عَلَى مَا سَلَفَ: الرِّقُّ وَعَدَمُ الْكَفَاءَةِ فِي الرَّجُلِ أَوْ الْمَرْأَةِ، **وَالرَّتَقُ وَالْعَفَلُ وَالْقَرْنُ** فِي الْمَرْأَةِ، **وَالْجَبُّ وَالْخِصَاءُ وَالسُّلُّ** فِي الرَّجُلِ».[241]

وفى المقابل **رأى بعض الفقهاء أن الزواج لا يفسخ بالعيوب مهما كانت هذه العيوب، ومن هؤلاء أتباع المذهب الظاهرى[242] الذين لم يعثروا على نص صحيح من القرآن أو السنة يفيد ذلك.** وقد وافقهم الشوكاني في هذه النقطة، فقال: «وَمَنْ أَمْعَنَ النَّظَرَ لَمْ يَجِدْ فِي الْبَابِ مَا يَصْلُحُ لِلِاسْتِدْلَالِ بِهِ عَلَى الْفَسْخِ بِالْمَعْنَى الْمَذْكُورِ عِنْدَ الْفُقَهَاءِ».[243]

لقد استند الفقهاء إلى حديث ضعيف جدا[244]«أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي غِفَارٍ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا فَوَضَعَ ثَوْبَهُ وَقَعَدَ عَلَى الْفِرَاشِ أَبْصَرَ بِكَشْحِهَا بَيَاضًا، فَانْحَازَ عَنْ الْفِرَاشِ ثُمَّ قَالَ: خُذِي عَلَيْكِ ثِيَابَكِ، وَلَمْ يَأْخُذْ مِمَّا آتَاهَا شَيْئًا» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَرَوَاهُ سَعِيدٌ فِي سُنَنِه. و(كشحها) يعنى خَصْرها. وَقِيلَ الكَشْحان جَانِبَا الْبَطْنِ مِنْ ظَاهِرٍ وَبَاطِنٍ. و(بياضا) هو البرص. وفضلا عن ضعف هذا الحديث فهو– كما يقول الشوكانى– «لَيْسَ بِصَرِيحٍ فِي الْفَسْخِ لِأَنَّ قَوْلَهُ: "خُذِي عَلَيْكِ ثِيَابَكِ" وَفِي رِوَايَةٍ: "الْحَقِي بِأَهْلِكِ" يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ كِنَايَةَ طَلَاقٍ»[245]. كما أن الرسول عليه السلام لم يطالب بالمهر، بل تركه للمرأة، وهذا ضد الفسخ.

واستند الفقهاء أيضا إلى ما روى عن عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ غُرَّ بِهَا رَجُلٌ بِهَا جُنُونٌ أَوْ جُذَامٌ أَوْ بَرَصٌ فَلَهَا مَهْرُهَا بِمَا أَصَابَ مِنْهَا وَصَدَاقُ الرَّجُلِ عَلَى مَنْ غَرَّهُ» رَوَاهُ مَالِكٌ فِي الْمُوَطَّأِ

---

241) **نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار**(6/ 187). تأليف محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني. تحقيق عصام الدين الصبابطي. دار الحديث، مصر. الطبعة الأولى، 1413هـ - 1993م

242) قال ابن حزم: «لَا يُفْسَخُ النِّكَاحُ بَعْدَ صِحَّتِهِ بِجُذَامٍ حَادِثٍ، وَلَا بِبَرَصٍ كَذَلِكَ، وَلَا بِجُنُونٍ كَذَلِكَ، وَلَا بِأَنْ يَجِدَ بِهَا شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْعُيُوبِ، وَلَا بِأَنْ تَجِدَهُ هِيَ كَذَلِكَ. وَلَا بِعِنَانَةٍ، وَلَا بِدَاءِ فَرْجٍ، وَلَا بِشَيْءٍ مِنْ الْعُيُوبِ». انظر: **"المحلى بالآثار"** (9/ 279)

243) **"نيل الأوطار"** (6/ 187) للشوكاني

244) **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل** (6/ 326). وقال محققو مسند أحمد: [إسناده ضعيف، لضعف جميل بن زيد- وهو الطائي- قال ابن معين: ليس بثقة، وقال ابن حبان: واهي الحديث، وقال البغوي: ضعيف جداً، وقال أبو حاتم: ضعيف، وقال البخاري: لم يصح حديثه. انظر: **مسند أحمد** (25/ 417)

245) **"نيل الأوطار"** (6/ 187) للشوكاني

وَالدَّارَقُطْنِيّ. وَفِي لَفْظٍ: «قَضَى عُمَرُ فِي الْبَرْصَاءِ وَالْجَذْمَاءِ وَالْمَجْنُونَةِ إذَا دَخَلَ بِهَا فُرِّقَ بَيْنَهُمَا وَالصَّدَاقُ لَهَا بِمَسِيسِهِ إيَّاهَا وَهُوَ لَهُ عَلَى وَلِيِّهَا» رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيّ. وكما ترون **فهذه من أقوال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، وليست من أقوال الرسول عليه الصلاة والسلام.** وقد تقرر- كما قال الشوكانى- أن قول الصحابى ليس بحجة[246].

وبحث بعض الفقهاء عن دليل يؤيد الفسخ بسبب العيوب، فقالوا أن الزواج يقاس على البيع، فكما يجوز للمشترى أن يرد البضاعة للبائع إن اكتشف بها عيبا، فكذلك يجوز لأي من الزوجين أن يفسخ الزواج إن اكتشف عيبا في الآخر. **ورد عليهم البعض قائلين بأن القياس فاسد لأنه يجوز للمرء أن يرد البضاعة لأي عيب، وهذا يختلف عن الزواج الذي يفسخ فقط بسبب عدد محدود من العيوب الكبيرة المستعصية:** يقول ابن رشد: «وَأَمَّا الْقِيَاسُ عَلَى الْبَيْعِ: فَإِنَّ الْقَائِلِينَ بِمُوجِبِ الْخِيَارِ لِلْعَيْبِ فِي النِّكَاحِ، قَالُوا: النِّكَاحُ فِي ذَلِكَ شَبِيهٌ بِالْبَيْعِ. وَقَالَ الْمُخَالِفُونَ لَهُمْ: لَيْسَ شَبِيهًا بِالْبَيْعِ لِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَن لَا يُرَدُّ النِّكَاحُ بِكُلِّ عَيْبٍ، وَيُرَدُّ بِهِ الْبَيْعُ»[247]. **وأورد ابن حزم ردا صارما على هذا القياس،** فقال: «مَا نَدْرِي فِي أَيِّ وَجْهٍ يُشْبِهُ النِّكَاحُ الْبُيُوعَ بَلْ هُوَ خِلَافُهُ جُمْلَةً -: لِأَنَّ الْبَيْعَ نَقْلُ مِلْكٍ، وَلَيْسَ فِي النِّكَاحِ مِلْكٌ أَصْلًا. وَالنِّكَاحُ جَائِزٌ بِغَيْرِ ذِكْرِ صَدَاقٍ فِي عَقْدِهِ، وَلَا يَجُوزُ الْبَيْعُ بِغَيْرِ ذِكْرِ ثَمَنٍ. وَالْخِيَارُ جَائِزٌ عِنْدَهُمْ فِي الْبَيْعِ مُدَّةً مُسَمَّاةً، وَلَا يَجُوزُ فِي النِّكَاحِ. وَالْبَيْعُ بِتَرْكِ رُؤْيَةِ الْمَبِيعِ، وَتَرْكِ وَصْفِهِ بَاطِلٌ لَا يَجُوزُ أَصْلًا. وَالنِّكَاحُ بِتَرْكِ رُؤْيَةِ الْمَنْكُوحَةِ وَتَرْكُ وَصْفِهَا جَائِزٌ. وَالنِّكَاحُ عِنْدَ الْمَالِكِيِّينَ جَائِزٌ عَلَى بَيْتٍ وَخَادِمٍ وَوُصَفَاءَ غَيْرِ مَوْصُوفِينَ وَلَا يَجُوزُ ذَلِكَ فِي الْبُيُوعِ – فَبَطَلَ تَشْبِيهُ النِّكَاحِ بِالْبَيْعِ جُمْلَةً»[248]

وتعتبر عدم قدرة الرجل على الجماع من أهم العيوب التي تكلم عنها الفقهاء. ورأى أغلبهم أن الزوج يجب أن يُمنح مهلة مدتها سنة، أملا في أن يتعافى من ضعفه الجنسى، فإن ظل على حاله حكم القاضي بطلاق زوجته. وهذا رأى مالك والشافعى وأبى حنيفة والْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، وَإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيّ وسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، وَحَمَّادِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ، والْأَوْزَاعِيّ، وَاللَّيْثِ، وغيرهم[249].

246) **نيل الأوطار** (6/ 187)
247) **بداية المجتهد ونهاية المقتصد** (3/ 73)
248) **المحلى بالآثار** (9/ 287)
249) **المحلى بالآثار** (9/ 203)

وخالفهم ابن حزم، فأكد أنه لا يجوز للحاكم إجبار الزوج غير القادر على الجماع على تطليق زوجته، فقال: «وَمَنْ تَزَوَّجَ امْرَأَةً فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى وَطْئِهَا – سَوَاءٌ كَانَ وَطِئَهَا مَرَّةً أَوْ مِرَارًا أَوْ لَمْ يَطَأْهَا قَطُّ – فَلَا يَجُوزُ لِلْحَاكِمِ وَلَا لِغَيْرِهِ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا أَصْلًا، وَلَا أَنْ يُؤَجِّلَ لَهُ أَجَلًا، وَهِيَ امْرَأَتُهُ إنْ شَاءَ طَلَّقَ وَإِنْ شَاءَ أَمْسَكَ[250].... وَأَمَّا قَوْلُ أَبِي حَنِيفَةَ، وَمَالِكٍ، وَالشَّافِعِيِّ، فِي تَأْجِيلِ السَّنَةِ، ثُمَّ التَّفْرِيقُ بَيْنَهُمَا، فَقَوْلٌ فَاسِدٌ، لَا دَلِيلَ عَلَى صِحَّتِهِ، لَا مِنْ قُرْآنٍ، وَلَا مِنْ سُنَّةٍ صَحِيحَةٍ وَلَا سَقِيمَةٍ، وَلَا مِنْ شَيْءٍ يَصِحُّ عَنْ أَحَدٍ مِنْ الصَّحَابَةِ، وَلَا مِنْ قِيَاسٍ، وَلَا مِنْ رَأْيٍ لَهُ وَجْهٌ يُعْقَلُ[251].... قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: وَبُرْهَانُ صِحَّةِ قَوْلِنَا هُوَ أَنَّ كُلَّ نِكَاحٍ صَحَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى بَشَرَتَهَا وَفَرْجَهَا عَلَى كُلِّ مَنْ سِوَاهُ، فَمَنْ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا بِغَيْرِ قُرْآنٍ أَوْ سُنَّةٍ ثَابِتَةٍ فَقَدْ دَخَلَ فِي صِفَةِ الَّذِينَ ذَمَّهُمْ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ {فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ} [البقرة: 102] وَنَعُوذُ بِاَللَّهِ مِنْ هَذَا»[252]

واستند ابن حزم إلى حديث رواه البخارى ومسلم عن امرأة جاءت تشكو إلى رسول الله من ضعف القدرة الجنسية لزوجها الجديد، فلم يفرق بينهما: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رِفَاعَةَ القُرَظِيَّ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ فَبَتَّ طَلاَقَهَا، فَتَزَوَّجَهَا بَعْدَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الزَّبِيرِ، فَجَاءَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهَا كَانَتْ عِنْدَ رِفَاعَةَ فَطَلَّقَهَا آخِرَ ثَلاَثِ تَطْلِيقَاتٍ، فَتَزَوَّجَهَا بَعْدَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الزَّبِيرِ، وَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا مَعَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا مِثْلُ هَذِهِ الهُدْبَةِ، لِهُدْبَةٍ أَخَذَتْهَا مِنْ جِلْبَابِهَا، قَالَ: وَأَبُو بَكْرٍ جَالِسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَابْنُ سَعِيدِ بْنِ العَاصِ جَالِسٌ بِبَابِ الحُجْرَةِ لِيُؤْذَنَ لَهُ، فَطَفِقَ خَالِدٌ يُنَادِي أَبَا بَكْرٍ: يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلاَ تَزْجُرُ هَذِهِ عَمَّا تَجْهَرُ بِهِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا يَزِيدُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى التَّبَسُّمِ، ثُمَّ قَالَ: «لَعَلَّكِ تُرِيدِينَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَى رِفَاعَةَ، لاَ، حَتَّى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ، وَيَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ» متفق عليه. و(هدبة الثوب): طرفه الذي لم ينسج. وهى تقصد أن ذكره مسترخ، ولا يقدر على الجماع.

وقد استدل ابن حزم بهذا الحديث على أن الضعف الجنسى للرجل لا يوجب التطليق لأن الرسول عليه السلام لم يحكم به للمرأة: «قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: فَهَذِهِ تَذْكُرُ: أَنَّ زَوْجَهَا لَمْ يَطَأْهَا، وَأَنَّ إحْلِيلَهُ

---

250) **المحلى بالآثار** (9/ 202)

251) **المحلى بالآثار** (9/ 207)

252) **المحلى بالآثار** (9/ 208)

كَالْهُدْبَةِ، لَا يَنْتَشِرُ إلَيْهَا وَتَشْكُو ذَلِكَ إلَى رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَتُرِيدُ مُفَارَقَتَهُ؟ فَلَمْ يَشْكُهَا، وَلَا أَجَّلَ لَهَا شَيْئًا، وَلَا فَرَّقَ بَيْنَهُمَا – وَفِي هَذَا كِفَايَةٌ لِمَنْ عَقَلَ»[253]

وفي رأينا أن هذه الرواية لا يصح الاستدلال بها على أن الضعف الجنسي لا يوجب فسخ النكاح، وذلك لوجود شبهة أن الزوجة كانت تريد الرجوع إلى زوجها الأول كما ورد في الحديث. ولهذا رفض الرسول التحايل على الشريعة، وأصر على أن يحدث الجماع بين الزوجين الجديدين قبل أن تعود المرأة لزوجها الأول. ومن الممكن للمرأة أن تتعمد ألا تتجاوب مع زوجها أثناء الجماع، أو تمتنع عن إثارة شهوته، أو توهمه أن ذكَره صغير، فيصاب الرجل بالإحباط، وتضعف قدرته على جماعها بسبب حالته النفسية رغم أنه من الناحية العضوية سليم تماما (وهذا كلام طبي). ومن الظلم أن يطلق الرسول عليه الصلاة والسلام هذه المرأة رغما عن زوجها لأنها في الحقيقة تتحايل من أجل الرجوع للزوج الأول.

إذن ألا يوجد دليل يعين المرأة على التخلص من زوج لديه عيب حقيقي خطير؟

نحن نرى أن هناك دليلا قويا على فسخ النكاح بالعيوب، فلدينا نص صحيح أباح للجارية أن تفسخ زواجها إن أعتقت، وصارت حرة، بينما بقي زوجها عبدا، وذلك لأن الكفاءة بينهما قد اختلت[254]. وقد حدث ذلك حين أعتقت السيدة عائشة جارية تسمى بريرة، فخيرها الرسول عليه الصلاة والسلام بأن تفارق زوجها العبد أو تبقى معه، فاختارت فراقه. يقول البخاري: (وَخُيِّرَتْ فَاخْتَارَتْ نَفْسَهَا، وَقَالَتْ: لَوْ أُعْطِيتُ كَذَا وَكَذَا مَا كُنْتُ مَعَهُ) يقصد أنها لا تريد البقاء مع زوجها.

---

253) المحلى بالآثار (9/ 209)

254) تخيير الرسول لبريرة بعد عتقها لا يعني أن غياب الكفاءة بين الرجل والمرأة في المكانة الاجتماعية يجعل زواجهما حراما. فلو كان الأمر كذلك لما خيرها الرسول، ولفرق بينهما دون مشورة لها. بل إن الرسول عليه الصلاة والسلام توسط فيما بعد لكي تعود بريرة لزوجها السابق لما رآه قد حزن عليها بشدة، وذلك رغم ما بينهما من فارق كبير في المكانة الاجتماعية لكونها حرة، وكونه عبدا. وقد برهنا في كتابنا "من يحكم الأسرة في الإسلام الرجل أم المرأة" على أن الكفاءة ليست شرطا في الزواج، فقلنا:
[روى أن فتاة شكت إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام أن أباها زوجها من ابن أخيه الخسيس (أى الدنيء الفقير) كى يرفع مكانته بزواجه منها لأنها كانت امرأة كريمة شريفة، فلم يقل الرسول عليه السلام أن زواج المرأة الشريفة برجل غير كفء لها حرام، بل خيرها، فاختارت المرأة البقاء مع زوجها الفقير لأنها كانت فقط تريد أن تثبت أنه ليس من حق الأب إجبار ابنته على الزواج بغير رضاها: عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: جَاءَتْ فَتَاةٌ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَقَالَتْ: إِنَّ أَبِي زَوَّجَنِي ابْنَ أَخِيهِ لِيَرْفَعَ بِي خَسِيسَتَهُ، قَالَ: فَجَعَلَ الْأَمْرَ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ: قَدْ أَجَزْتُ مَا صَنَعَ أَبِي، وَلَكِنْ أَرَدْتُ أَنْ تَعْلَمَ النِّسَاءُ أَنْ لَيْسَ إِلَى الْآبَاءِ مِنْ الْأَمْرِ شَيْءٌ. رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ (واللفظ له)، وأَحْمَدُ وَالنَّسَائِيّ. ورجاله رجال الصحيح كما قال الشوكاني. وهذا الحديث يدل بشكل قاطع على إباحة زواج المرأة برجل أقل منها فى المكانة الاجتماعية. وهذا شيء بديهي، فلو حرم الإسلام زواج المرأة الغنية برجل فقير لكان هذا ظلما للنساء، فكم من امرأة ثرية ودميمة، وليس أمامها فرصة للزواج إلا من رجل فقير]. انظر: كتاب **"من يحكم الأسرة فى الإسلام الرجل أم المرأة"** (صفحة 98).

وهذا النص يقاس عليه العيوب الجنسية والجلدية، بل الحقيقة أن عيوبا مثل عدم قدرة الزوج على الجماع أو إصابته بالجنون أكثر مدعاة لنقض الزواج مقارنة باختلال الكفاءة بين الزوجين كما في قصة بريرة. دليلنا إذن هو القياس، بل شيء أقوى من القياس.

وهناك دليل آخر ينطبق بشكل خاص على حالة الضعف الجنسي للزوج. إن مثل هذه المرأة تصبح معلقة، فلا هي متزوجة، ولا هي أرملة، ولا هي مطلقة، فكيف تشبع شهوتها؟ والإسلام لا يرضى أبدا أن تكون المرأة معلقة بهذا الشكل، قال تعالى: {وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} [النساء: 129].

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

2- التطليق لغيبة الزوج

من الأمور التي رأى الفقهاء أنها تجيز للمرأة الخيار في إنهاء الزواج حالة فقد الزوج. ولا يوجد نص قرآني أو نبوي يتكلم عن ذلك، لكننا نرى أن **التفريق في هذه الحالة ينشأ بسهولة من تطبيق مبدأ القياس، فإذا كان الإسلام قد منح الأمة الخيار في الطلاق إن نالت حريتها وبقي زوجها عبدا (قصة بريرة التي رويناها سابقا)، فالأولى أن تُمنح الخيار إن فقدت زوجها**، ولم تدر أين هو، وهل هو حى أم ميت؟ سليم أم مريض؟ حر أم أسير؟ وليست هذه بدعة فقهية، بل قياس، أو "**قياس فائق**". والقياس الفائق مصطلح نقترحه للتعبير عن إعطاء حكم لحالة لم يرد فيها نص بالنظر إلى حالة مشابهة ورد فيها نص. والحالتان لا تشتركان فقط في علة الحكم، ولكن الحالة التي لم يرد فيها نص أقوى حظا من علة الحكم.

وهناك دليل آخر مشابه لحالة عنة الزوج، ألا وهو أن المرأة التي فقدت زوجها تصبح معلقة، فلا هي متزوجة، ولا هي أرملة، ولا هي مطلقة، فكيف تشبع شهوتها؟ والإسلام لا يرضى أبدا أن تكون المرأة معلقة بهذا الشكل، قال تعالى: {وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} [النساء: 129].

إن أحد أهم أهداف الزواج هو إشباع الغريزة في الحلال وتجنب الزنا. وهذا الهدف لا يمكن أن يتحقق في ظل غياب الزوج. ولهذا اتفق جمهور الفقهاء على أن للمرأة الحق في الطلاق في حالة غياب الزوج.

وقد صَحَّ عن عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب أن امرأة المفقود يطلقها الحاكم بعد مضى أربع سنوات: رُوِي أَنَّ رَجُلًا فَقَدَتْهُ امْرَأَتُهُ فَأَتَتْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ بَعْدَ أَرْبَعِ سِنِينَ فَسَأَلَ قَوْمَهَا فَصَدَّقُوهَا، فَأَمَرَهَا أَنْ تَعْتَدَّ أَرْبَعَ سِنِينَ مِنْ ذِي قَبْلُ – ثُمَّ تَزَوَّجَتْ، فَجَاءَ زَوْجُهَا – وَذَكَرَ الْخَبَرَ. قَالَ: فَخَيَّرَهُ عُمَرُ بَيْنَ الصَّدَاقِ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ فَاخْتَارَ الصَّدَاقَ[255]. وروى أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: امْرَأَةُ الْمَفْقُودِ تَعْتَدُّ أَرْبَعَ سِنِينَ، ثُمَّ يُطَلِّقُهَا الْوَلِيُّ، ثُمَّ تَعْتَدُّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا، فَإِذَا جَاءَ زَوْجُهَا خُيِّرَ بَيْنَ امْرَأَتِهِ وَبَيْنَ الصَّدَاقِ – وَهَذَا صَحِيحٌ عَنْ عَلِيٍّ[256].

وطبعا في ظل غياب نص من القرآن والسنة كان لا بد أن يختلف الفقهاء حول كيفية التصرف في حالة فقد الزوج، **فالتطليق لغيبة الزوج هو مذهب مالك وأحمد**، حتى لو كان للزوج مال تنفق منه المرأة، لكن مالك يرى أنه طلاق بائن، وأحمد يرى أنه فسخ. وكلاهما يرى أنه لا بد من مرور فترة طويلة، يتحقق فيها الضرر بالزوجة وتشعر فيها بالوحشة، وتخشى فيها على نفسها من الوقوع فيما حرم الله. وقُدرت هذه الفترة بسنة، وهو قول عند الامام مالك. وقيل: ثلاث سنين، ويرى أحمد: أن أدنى مدة يجوز أن تطلب التفريق بعدها ستة أشهر، لأنها أقصى مدة تستطيع المرأة فيها الصبر عن غياب زوجها.

ومما يدخل في هذا الباب – عند مالك وأحمد – **التطليق لحبس الزوج،** لأن حبسه يوقع بالزوجة الضرر، لبعده عنها. قال ابن تيمية: وعلى هذا فالقول في امرأة الأسير والمحبوس ونحوهما ممن تعذر انتفاع امرأته به، كالقول في امرأة المفقود بالاجماع[257].

---

255) المحلى بالآثار (9/ 316).
وذكر ابن حزم لفظا آخر لهذه الرواية مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ: فَقَدَتْ امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فَمَكَثَتْ أَرْبَعَ سِنِينَ، ثُمَّ ذَكَرَتْ أَمْرَهَا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَأَمَرَهَا أَنْ تَتَرَبَّصَ أَرْبَعَ سِنِينَ مِنْ حِينِ رَفَعَتْ أَمْرَهَا إلَيْهِ، فَإِنْ جَاءَ زَوْجُهَا وَإِلَّا تَزَوَّجَتْ؟ فَتَزَوَّجَتْ بَعْدَ أَنْ مَضَتْ السَّنَوَاتُ الْأَرْبَعُ وَلَمْ تَسْمَعْ لَهُ بِذِكْرٍ - ثُمَّ جَاءَ زَوْجُهَا فَأُخْبِرَ بِالْخَبَرِ، فَأَتَى إلَى عُمَرَ؟ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: إنْ شِئْت رَدَدْنَا إلَيْك امْرَأَتَك، وَإِنْ شِئْت زَوَّجْنَاك غَيْرَهَا؟ قَالَ: بَلْ زَوِّجْنِي غَيْرَهَا... قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: هَذَا الَّذِي لَا يَصِحُّ عَنْ عُمَرَ غَيْرُهُ أَصْلًا، وَهُوَ أَنْ تَبْتَدِئَ بِتَرَبُّصِ أَرْبَعِ سِنِينَ مِنْ حِينِ تَرْفَعُ أَمْرَهَا إلَى الْإِمَامِ، فَإِذَا أَتَمَّتْ الْأَرْبَعَ سِنِينَ تَزَوَّجَتْ - إنْ شَاءَتْ - فَإِنْ جَاءَ زَوْجُهَا - وَقَدْ تَزَوَّجَتْ - فَهُوَ مُخَيَّرٌ بَيْنَ صَدَاقِهَا الَّذِي أَعْطَاهَا، وَبَيْنَ أَنْ تُرَدَّ إلَيْهِ امْرَأَتُهُ وَيُفْسَخَ نِكَاحُ الْآخَرِ، أَوْ يُزَوِّجُهُ الْإِمَامُ زَوْجَةً أُخْرَى. انظر: **المحلى بالآثار** (9/ 317)

256) المحلى بالآثار (9/ 320)

257) فقه السنة (2/ 291) . تأليف سيد سابق. دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان. الطبعة الثالثة، 1397 هـ - 1977 م.

وخلافا لهؤلاء قال الشافعى وأبو حنيفة والثَّوْرِيُّ: لَا تَحِلُّ امْرَأَةُ الْمَفْقُودِ حَتَّى يَصِحَّ مَوْتُهُ، وَقَوْلُهُمْ مَرْوِيٌّ عَنْ عَلِيٍّ وَابْنِ مَسْعُودٍ. وَالسَّبَبُ فِي اخْتِلَافِهِمْ: مُعَارَضَةُ اسْتِصْحَابِ الْحَالِ لِلْقِيَاسِ، وَذَلِكَ أَنَّ اسْتِصْحَابَ الْحَالِ يُوجِبُ أَنْ لَا تَنْحَلَّ عِصْمَةٌ إِلَّا بِمَوْتٍ أَوْ طَلَاقٍ حَتَّى يَدُلَّ الدَّلِيلُ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ. وَأَمَّا الْقِيَاسُ: فَهُوَ تَشْبِيهُ الضَّرَرِ اللَّاحِقِ لَهَا مِنْ غَيْبَتِهِ بِالْإِيلَاءِ وَالْعُنَّةِ، فَيَكُونُ لَهَا الْخِيَارُ كَمَا يَكُونُ فِي هَذَيْنِ[258].

3- التطليق للضرر

أمر الله تعالى الرجل بأن يعامل زوجته بالمعروف، وإلا طلقها معززة مكرمة: {الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ} [البقرة: 229]، وقال: {فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ} [الطلاق: 2]. وفي نفس الوقت أباحت الشريعة للرجل أن يضرب زوجته عند الضرورة، لكنها نهت عن الضرب المبرح الذي يؤدى إلى إصابات بالغة كالكسور، لقول رسول الله عليه الصلاة والسلام: «فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ» رواه مسلم. ولم تحدد الشريعة عقوبة للزوج الذي يفرط في العنف. ويمكن للبعض أن يقترح سن عقوبه الجلد أو الحبس أو الغرامة. لكن ماذا لو عاود الرجل العدوان على زوجته، فطلبت الطلاق، فهل يطلقها القاضي أم يعاقب الزوج مرة أخرى؟

أرى أن الطلاق هو الصحيح، والتقدير يعود للقاضي. سمعت مرة عن رجل سريع الغضب ضرب زوجته، فأصيبت بنزيف في المخ، فعاشت الزوجة بعدها في رعب خوفا من أن يعاود الرجل الاعتداء عليها مرة أخرى في لحظة غضب، فتفقد حياتها أو تصاب بالشلل. ولما نصحها البعض بأن تصبر عليه، وتطيعه تجنبا لشره، ردت بأنه كثيرا ما يثور فجأة لأشياء شديدة التفاهة. فى مثل هذه الحالة **لا مفر من تطليق المرأة لأن حياتها أصبحت مهددة. حقا الطلاق من حق الزوج وحده، لكن هذا الحق يمكن سحبه في حالة الضرورة، فالضرورات تبيح المحظورات.**

هذا عن العنف المفرط، لكن ماذا عن الإساءات الأخرى من الزوج لزوجته؟

258) بداية المجتهد ونهاية المقتصد (3/ 75)

لا شك أن **من المستحيل وجود زوج لا يسيء لزوجته**. ومن العبث أن تطلب الزوجة الطلاق لأن زوجها رفض أن يشتري لها هدية في عيد زواجها أو رفض طلاء البيت باللون الذي تحبه أو قال لها: "يا حمقاء"، أو رفض الذهاب بها إلى الطبيب حين اشتكت من نزة برد. هذه إساءات بسيطة، لا تخلق حالة ضرورة، تحتم سحب حق الطلاق من الزوج.

وفضلا عن ذلك **فمن الصعب في أغلب الأحيان إثبات أن الزوج لا يعامل زوجته بالمعروف في الأمور الصغيرة**، لكن هذا ممكن في الأمور الفجة مثل سب الزوجة بألفاظ جنسية فاحشة أمام الناس بشكل متكرر، أو كان يتعمد ألا ينفق عليها وعلى أولادها رغم ثرائه. ومن الصعب أن تثبت المرأة أن زوجها يهجرها في الفراش، أو يفضل زوجته الأخرى عليها، أو يظهر العبوس كلما رآها، أو يتعمد أن يخالف رأيها، أو يسخر من أهلها كلما تحدثت عنهم. والحل لمثل هذه المرأة أن تطلب من الأهل التدخل من خلال إرسال حكم من أهله وحكم من أهلها. ويمكن لها أيضا أن تطلب الخلع. لكن لا يصح سحب حق الطلاق من الزوج بسبب ضرر لم يتم ثبوته. وعلينا أن نفهم جيدا أن الله تعالى منح للزوج القوامة على زوجته، والقوامة بطبعها تجعل الزوج كالقاضي، ولا يوجد قاض لا يخطيء. ومن غير المعقول أن تحصل الزوجة على الطلاق مع أي خطأ أو ظلم يقع في حقها من زوجها.

إذن الطلاق للضرر يسمح به في رأينا في حالات محدودة جدا، أهمها العنف المفرط من الزوج ضد زوجته، وسبها بألفاظ فاحشة أمام الناس، وامتناعه عن الإنفاق عليها رغم غناه. وأغلب الأضرار الأخرى التي تقع على الزوجة إما أنها صغيرة، وإما أن من الصعب إثباتها.

ويرى البعض أن الطلاق ليس الحل الوحيد لمواجهة إضرار الرجل بزوجته، فمن الممكن ردعه بالعقاب. لكن نحن نرى أن الزوج إن عوقب بعقوبة بدنية كالجلد فسيدمر هذا علاقته بزوجته لأن كرامته الجريحة ستدفعه للانتقام منها، وما أكثر سبل الانتقام الخفية التي لا يمكن للزوجة أن تثبتها أمام القاضي. وإن سُجن الزوج فلن ينسى أبدا لزوجته أنها أهانته إهانة بالغة لما تسببت في دخوله السجن مع المجرمين، وألحقت العار بأولاده، إذ قال الناس أن أمهم سجنت أباهم. وإن عوقب الزوج بغرامة مالية، يدفعها للحكومة أو لزوجته سيرد على ذلك في الغالب بالتقتير على

زوجته لتعويض خسارته المالية، ولن تربح الزوجة شيئا في النهاية. ولهذا فإن وصل الشقاق بين الزوجين إلى اعتداء الرجل على زوجته بشكل مبالغ فيه، فلا مفر من الطلاق إن طلبته الزوجة.

وقد ذهب الامام مالك إلى أن للزوجة أن تطلب من القاضي التفريق إذا ادعت إضرار الزوج بها إضرارا لا يستطاع معه دوام العشرة بين أمثالهما، مثل: ضربها، أو سبها، أو إيذائها بأي نوع من أنواع الايذاء الذي لا يطاق، أو إكراهها على منكر من القول أو الفعل. فإن ثبتت دعواها لدى القاضي ببينة الزوجة، أو اعتراف الزوج، وكان الايذاء مما لا يطاق معه دوام العشرة بين أمثالهما وعجز القاضي عن الاصلاح بينهما طلقها طلقة بائنة. وإذا عجزت عن البينة، أو لم يقر الزوج رفضت دعواها[259].

والتطليق للضرر يستند إلى الحديث الشريف: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ، مَنْ ضَارَّ ضَارَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ شَاقَّ شَاقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ» رواه الحاكم، وقال: "صحيح على شرط مسلم"، ووافقه الذهبي[260]. ومذهب الإمام أحمد مثل مذهب مالك، لكن خالفهما أبو حنيفة والشافعي، فلم يذهبا إلى التفريق بسبب الضرر، لإمكان إزالته بالتعزير وعدم إجبارها على طاعته[261]. وقد أوضحنا منذ قليل أن التعزير (عقوبة الزوج) لن تجدي، وقد تدمر الزواج.

ويجب ألا يتسرع البعض، فيظن أن المالكية أباحوا التطليق للضرر بسبب أى شيء يغضب المرأة، بالعكس **لم يعتدّ هؤلاء الفقهاء بغضب المرأة إن ضربها زوجها على ترك الصلاة، أو تزوج عليها، أو جامع جارية غيرها، أو حرمها من مظاهر الرفاهية كالتنزه والذهاب إلى الحمامات العامة** (وهي مراكز التجميل في العصور القديمة). قَالَ ابْنُ فَرْحُونٍ: «مِنْ الضَّرَرِ قَطْعُ كَلَامِهِ عَنْهَا وَتَحْوِيلُ وَجْهِهِ فِي الْفِرَاشِ عَنْهَا وَإِيثَارُ امْرَأَةٍ عَلَيْهَا وَضَرْبُهَا ضَرْبًا مُؤْلِمًا وَلَيْسَ مِنْ الضَّرَرِ مَنْعُهَا مِنْ الْحَمَّامِ وَالنَّزَاهَةِ وَتَأْدِيبُهَا عَلَى تَرْكِ الصَّلَاةِ وَلَا فِعْلُ التَّسَرِّي»[262]

---

259) **فقه السنة** (2/ 289)

260) **المستدرك على الصحيحين** للحاكم (2/ 66). وأخرجه الدارقطني، والبيهقي.

261) **فقه السنة** (2/ 289)

262) **مواهب الجليل في شرح مختصر خليل** (4/ 17). تأليف شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي. دار الفكر. الطبعة: الثالثة، 1412هـ - 1992م

وقال الخراشى: «وَمِنْ الضَّرَرِ قَطْعُ كَلَامِهِ عَنْهَا، وَتَحْوِيلُ وَجْهِهِ عَنْهَا، وَضَرْبُهَا ضَرْبًا مُؤْلِمًا لَا مَنْعُهَا الْحَمَّامَ أَوْ تَأْدِيبُهَا عَلَى الصَّلَاةِ وَالتَّسَرِّي، وَالتَّزَوُّجُ عَلَيْهَا»[263]

وقال المجلسى: «ولها التطليق بالضرر يعني أن المرأة لها أن تطلق نفسها بالضرر تطليقة واحدة وتكون بائنة، ومن الضرر قطع كلامه وتحويل وجهه في الفراش عنها وإيثار امرأة عليها وضربها ضربا مؤلما، وليس من الضرر منعها من الحمام وتأديبها على ترك الصلاة والتسري عليها والتزويج عليها.ابن القاسم: وليس من الإضرار البغض لها وإنما هو الأذى بضرب أو إيصال شتم في غير حق أو أخذ مال أو المشارة»[264]

ويرى بعض العلماء أنه يشترط للتطليق بالضرر تكرار الأذى من الزوج، لكن أغلبهم يرى أنه يجوز، حتى لو حدث الأذى من الزوج مرة واحدة، يقول المجلسى: «لا يشترط في تطليقها بالضرر أن تشهد بينة بوقوع الضرر منه لها أكثر من مرة، وإنما يشترط أن تشهد بوقوعه منه لها ولو مرة واحدة، وقيل ليس لها التطليق بالضرر حتى تشهد البينة بتكرره»[265]

وقال الخراشى: [وَلَهَا التَّطْلِيقُ بِالضَّرَرِ وَلَوْ لَمْ تَشْهَدْ الْبَيِّنَةُ بِتَكَرُّرِهِ، يَعْنِي أَنَّهُ إذَا ثَبَتَ بِالْبَيِّنَةِ عِنْدَ الْقَاضِي أَنَّ الزَّوْجَ يُضَارِرُ زَوْجَتَهُ وَهِيَ فِي عِصْمَتِهِ وَلَوْ كَانَ الضَّرَرُ مَرَّةً وَاحِدَةً فَالْمَشْهُورُ أَنَّهُ يَثْبُتُ لِلزَّوْجَةِ الْخِيَارُ فَإِنْ شَاءَتْ أَقَامَتْ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ وَإِنْ شَاءَتْ طَلَّقَتْ نَفْسَهَا بِطَلْقَةٍ وَاحِدَةٍ بَائِنَةٍ لِخَبَرِ «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»][266]

نسأل الله الهداية، ونعوذ به من الضلال.

4- التطليق لعدم النفقة

من واجب الزوج أن ينفق على زوجته. وفي الحديث: (وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) رواه مسلم. وقال عز وجل: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ} [النساء: 34]

---

263) **شرح مختصر خليل للخرشي** (4/ 9). تأليف محمد بن عبد الله الخرشي المالكي. الناشر: دار الفكر للطباعة - بيروت

264) **لوامع الدرر في هتك أستار المختصر** (6/ 644). تأليف محمد بن محمد سالم المجلسي الشنقيطي. تصحيح وتحقيق: دار الرضوان. راجع تصحيح الحديث وتخريجه: اليدالي بن الحاج أحمد. الناشر دار الرضوان، نواكشوط- موريتانيا. الطبعة: الأولى، 1436 هـ - 2015 م

265) **لوامع الدرر في هتك أستار المختصر** (6/ 644)

266) **شرح مختصر خليل للخرشي** (4/ 9)

وذهب الامام مالك والشافعي وأحمد إلى جواز التفريق بين الزوجين لعدم النفقة بحكم القاضي إذا طلبته الزوجة، ولم يكن له مال ظاهر، واستدلوا لمذهبهم هذا بما يأتي[267]:

1 – الزوج مكلف بأن يمسك زوجته بمعروف أو يطلقها بإحسان، لقول الله سبحانه: (فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان). وعدم النفقة ينافي الامساك بمعروف.

2 – قال الله تعالى: (ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا). وفي الحديث: (لا ضرر ولا ضرار). وأي إضرار ينزل بالمرأة أكثر من ترك الانفاق عليها؟ فعلى القاضي أن يزيل هذا الضرر.

3 – وإذا كان من المقرر أن يفرق القاضي من أجل وجود عيب بالزوج فإن عدم الانفاق يعد أشد إيذاءا للزوجة، فكان التفريق لعدم الانفاق أولى.

ويقول ابن ضويان: «ومتى أعسر بنفقة المعسر، أو كسوته أو مسكنه، أو صار لا يجد النفقة إلا يوما دون يوم، أو غاب الموسر وتعذرت عليها النفقة بالاستدانة وغيرها، فلها الفسخ فورا ومتراخيا للحوق الضرر الغالب بذلك بها، إذ البدن لا يقوم بدون كفايته، وهو قول عمر وعلي وأبي هريرة، لقوله تعالى: {فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ}، وقد تعذر الإمساك بالمعروف فيتعين التسريح بالإحسان، لحديث: "لا ضرر ولا ضرار" وعن أبي هريرة مرفوعا: في الرجل لا يجد ما ينفق على امرأته. قال: "يفرق بينهما" رواه الدارقطني. وسئل ابن المسيب عن الرجل لا يجد ما ينفق على امرأته، أيفرق بينهما؟ قال: نعم، قيل: سنة؟ قال: سنة. وقال ابن المنذر: ثبت أن عمر كتب إلى أمراء الأجناد في رجال غابوا عن نسائهم يأمرهم أن ينفقوا أو يطلقوا وقد سبق. ولأن جواز الفسخ بذلك أولى من العنة. لأن الضرر فيه أكثر."ولا يصح بلا حاكم" لأنه فسخ مختلف فيه، فلم يجز بغير الحاكم، كالفسخ للعنة."فيفسخ بطلبها، أو تفسخ بأمره" لأنه لحقها فلم يجز بدون طلبها. وإن امتنع الموسر من النفقة أو الكسوة، وقدرت على ماله: فلها الأخذ منه بلا إذنه بقدر كفايتها، وكفاية ولدها الصغير لأن هندا بنت عتبة، قالت: يا رسول الله: إن أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني من النفقة ما يكفيني وولدي، فقال صلى الله عليه وسلم: خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف" متفق عليه. فرخص لها في أخذ تمام الكفاية بغير علمه، لأنه موضع حاجة

---

267) فقه السنة (2/ 287)

إذ لا غنى عن النفقة، ولا قوام إلا بها، وتتجدد بتجدد الزمن فتشق المرافعة بها إلى الحاكم، والمطالبة بها كل يوم»[268]

وذهب الاحناف إلى عدم جواز التفريق لعدم الانفاق سواء أكان السبب مجرد الامتناع أم الإعسار والعجز عنها[269]، ودليلهم ما يلي:

1 – أن الله سبحانه قال: " لينفق ذو سعة من سعته، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله، لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسرا يسرا ".

2 – أن الصحابة كان منهم الموسر والمعسر، ولم يعرف عن أحد منهم أن النبي صلى الله عليه وسلم فرق بين رجل وامرأته، بسبب عدم النفقة لفقره وإعساره.

3 – وقد سأل نساء النبي صلى الله عليه وسلم النبي ما ليس عنده، فاعتزلهن بعدم النفقة في الحاضر والمستقبل.

وفى رأينا أن حجة الأحناف أقوى كثيرا، بل إنها لتبدو حاسمة. وإننا لنتساءل: **من أين ستنفق المرأة بعد طلاقها من زوجها الفقير؟ ربما سينفق عليها أخوها أو أبوها، وربما ستنفق من مالها الخاص الذي ورثته، إذن المرأة لديها وسائل أخرى للنفقة سواء طلقت أم لم تطلق، فلماذا تهدم الأسرة؟ لماذا لا يعطيها أبوها مالا ليساعدها، وهي فى بيت زوجها بدلا من أن يطلقها ويعطيها نفس المال؟** وإن كان والد الزوجة فقيرا، فستذهب إليه بعد الطلاق ليتسول من أجل النفقة عليها، فلماذا لم تبق مع زوجها ليتسول هو من أجلها بدلا من أن تكون عبئا على أبيها؟

وتكلم ابن رشد عن التطليق بسبب الإعسار بالنفقة **فذكر حجتين لأصحاب هذا الرأى: أولا: أن الزوج المعسر يشبه الزوج المريض بالعنة. ثانيا: أن النفقة على الزوجة مقابل الاستمتاع بها. وبالتالي إن توقف الزوج عن النفقة سقط حقه في الاستمتاع، ووجب تخيير الزوجة.** يقول ابن رشد: «وَأَمَّا الْإِعْسَارُ بِالنَّفَقَةِ: فَقَالَ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ، وَأَحْمَدُ، وَأَبُو ثَوْرٍ، وَأَبُو عُبَيْدٍ وَجَمَاعَةٌ: يُفَرَّقُ

---

[268]) **منار السبيل في شرح الدليل** (2/ 301). تأليف ابن ضويان، إبراهيم بن محمد بن سالم. تحقيق زهير الشاويش. المكتب الإسلامي. الطبعة السابعة 1409 هـ-1989م

[269]) فقه السنة (2/ 288).

بَيْنَهُمَا، وَهُوَ مَرْوِيٌّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ. وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ، وَالثَّوْرِيُّ: لَا يُفَرَّقُ بَيْنَهُمَا، وَبِهِ قَالَ أَهْلُ الظَّاهِرِ. وَسَبَبُ اخْتِلَافِهِمْ: **تَشْبِيهُ الضَّرَرِ الْوَاقِعِ مِنْ ذَلِكَ بِالضَّرَرِ الْوَاقِعِ مِنَ الْعُنَّةِ،** لِأَنَّ الْجُمْهُورَ عَلَى الْقَوْلِ بِالتَّطْلِيقِ عَلَى الْعِنِّينِ، حَتَّى لَقَدْ قَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ: إِنَّهُ إِجْمَاعٌ، وَرُبَّمَا قَالُوا: **النَّفَقَةُ فِي مُقَابَلَةِ الِاسْتِمْتَاعِ، بِدَلِيلِ أَنَّ النَّاشِزَ لَا نَفَقَةَ لَهَا عِنْدَ الْجُمْهُورِ، فَإِذَا لَمْ يَجِدِ النَّفَقَةَ سَقَطَ الِاسْتِمْتَاعُ، فَوَجَبَ الْخِيَارُ.** وَأَمَّا مَنْ لَا يَرَى الْقِيَاسَ فَإِنَّهُمْ قَالُوا: قَدْ ثَبَتَتِ الْعِصْمَةُ بِالْإِجْمَاعِ، فَلَا تَنْحَلُّ إِلَّا بِإِجْمَاعٍ، أَوْ بِدَلِيلٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ، فَسَبَبُ اخْتِلَافِهِمْ: مُعَارَضَةُ اسْتِصْحَابِ الْحَالِ لِلْقِيَاسِ»[270]

ونحن نرى أن هاتين الحجتين باطلتان:

أولا: بالنسبة لقولهم أن الزوج المعسر يشبه الزوج العنين الذى لا يقدر على الجماع: هذا الكلام محض لغو، فلا يوجد وجه معتبر للشبه بين الاثنين. إن ملايين الفقراء في العالم يعيشون مع زوجاتهم، ويتحملون معا قسوة الحياة في صبر وسعادة، لكن خبرنى عن شابة امتنع زوجها عن الجماع معها فعاشت سعيدة؟ إن فقدان القدرة على الجماع يصيب الحياة الزوجية في مقتل. ويمكن للحياة الزوجية أن تمضي في فقر، لكن من الصعب جدا أن تستمر بلا جماع إلا إذا كانت الزوجة كبيرة ومشغولة بأعباء الأولاد؟ وفضلا عن ذلك فالفقر له دواء معروف مباح هو طلب المساعدة من الأقارب وأهل الخير والدولة، أما الشابة التي لا يقترب منها زوجها فممن تطلب العون؟ من رجل آخر؟ ثم إن زوجة الرجل المعسر إن سرقت لتأكل فهذا أهون من زوجة العنين إن زنت، لأن الزنا يؤدى إلى اختلاط الأنساب.

ثانيا: بالنسبة لقولهم أن النفقة مقابل الاستمتاع: نحن نقول هذا المبدأ لم يقل به الله تعالى ولا الرسول عليه الصلاة والسلام. كل ما في القرآن والحديث أن النفقة أحد واجبات الرجل تجاه زوجته، كما أن من واجبات المرأة تجاه زوجها أن تكون مصدر متعة له. لكن **لا يوجد نص يقول أن النفقة بالذات مقابل المتعة بالذات.** إن النفقة ليست الواجب الوحيد على الزوج تجاه زوجته. والمتعة ليست الواجب الوحيد على الزوجة تجاه زوجها. **كل منهما له حزمة من الحقوق، وعليه حزمة من الواجبات. ولا يوجد شىء معين مقابل شيء معين.**

---

[270]) بداية المجتهد ونهاية المقتصد (3/ 74)

وإن نظرنا إلى قوله تعالى {وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ} [الطلاق: 6] لوجدنا أن هذا القول يأمر الرجل بالإنفاق على المطلقة إن كانت حاملا، لكن الآية التالية تبعتها قائلة: {لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا} [الطلاق: 7]. إذن الرجل مكلف بالنفقة على المرأة المطلقة، لكنه لا يطالب بأن ينفق قدرا معينا من المال، بل عليه فقط أن ينفق طبقا لقدرته وثروته، وهذا هو العدل. ويؤكد ذلك آية سابقة من نفس السورة طالبت الرجل بأن يترك مطلقته تقيم في مكان في بيته، وذلك حسب إمكانياته دون اشتراط أن تكون إقامتها في بيت مستقل أو حجرة مستقلة أو طابق كامل، فربما كان الرجل لا يملك إلا بيتا واحدا، وربما كان البيت كله طابق واحد، أو حتى حجرة واحدة: {أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ} [الطلاق: 6]. وقوله (وُجدكم) معناه وسعكم وطاقتكم ومقدرتكم. وبالمثل لا يطالب الرجل بأكثر من طاقته في الإنفاق على أسرته.

أما إن كان الرجل يمتنع عن الإنفاق على زوجته عمدا بهدف الإضرار بها مع أنه ثري، فهنا يجوز للزوجة أن تأخذ من ماله دون علمه، ولكن بحساب شديد، فلا تأخذ أكثر مما تحتاج، وذلك طبقا لما روي من أن هِنْدَ بِنْتَ عُتْبَةَ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ وَلَيْسَ يُعْطِينِي مَا يَكْفِينِي وَوَلَدِي، إِلَّا مَا أَخَذْتُ مِنْهُ وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ، فَقَالَ: «خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ، بِالْمَعْرُوفِ». رواه البخاري. فإن لم تتمكن الزوجة من أخذ حقها بهذه الطريقة كان لها أن تشكوه للقاضي كي يجبره على الإنفاق عليها، فإن امتنع أصبح الحل هو أن يطلقها القاضي إن سألت الطلاق، وهذا يدخل في باب الطلاق للضرر.

5- التطليق بعد الإيلاء

يقدم لنا الإيلاء مثالا آخر يظهر كيف أن المرأة في الإسلام ليست ألعوبة في يد الرجل. والإيلاء يستند إلى قول المولى سبحانه: {لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (226) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: 226، 227].

والإيلاء مصدر لفعل (آلَى)، أي (حلف). ومعناه أن يحلف الرجل على أن يمتنع عن جماع زوجته بشكل مطلق، أو لفترة معينة. والهجر في المضجع حق منحته الشريعة للرجل لتأديب زوجته المتمردة. وثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم، آلَى مِنْ نِسَائِهِ شَهْرًا.

لكن قد يسيء الرجل استغلال هذا الحق. وفى الجاهلية كان الرجل يهجر زوجته كما يشاء دون رادع، فجاء الإسلام، وجعل الحد الأقصى للهجر أربعة أشهر، وهذا معنى قوله: (تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ)، فالتربص هو (الانتظار) و(الترقب). وعَن ابْن عَبَّاس قَالَ: "كَانَ إِيلَاء أهل الْجَاهِلِيَّة السّنة والسنتين وَأَكْثَر من ذَلِك فوقت الله أَرْبَعَة أشهر".[271]

وعلى ذلك فإن أقسم الرجل ألا يقرب امرأته لمدة شهر أو شهرين أو أربعة، ثم زال غضبه، وقرر أن يتراجع عن يمينه، ويعود إلى جماع زوجته قبل انتهاء الفترة التي أقسم ألا يقربها فيها كان عليه أن يكفر عن يمينه، وسيغفر الله تعالى له الحنث في اليمين (فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)[272].

وإن عزم الرجل أن يطلق زوجته، لكنه أخفى هذه النية، واتخذ من الإيلاء وسيلة للانتقام منها قبل أن يطلقها، أو كرر الإيلاء عدة مرات كي يدفعها لأن ترد له المهر كي يطلقها (الخلع)، فليعلم هذا الزوج أن الله سميع عليم، أي أنه عز وجل يسمع كلام الزوج الذي يقوله أمام الناس في الظاهر، ويعلم أنه ما قاله إلا كذبا، وأنه عقد العزم على الطلاق، ويعلم ما يدبره لها في الخفاء هو وأهله من سياسة التنكيل والتضييق لإجبارها على أن تختلع منه.

ولا تخبرنا الآية السابقة كيف يكون التصرف مع رجل استمر في هجر زوجته في المضجع بعد أربعة أشهر. وقد أجمع الفقهاء على اعتبار هذا إضرارا بها، وأن من حق المرأة في هذه الحالة أن تحصل على الطلاق. يقول ابن كثير: «فَأَمَّا إِنْ زَادَتِ الْمُدَّةُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَلِلزَّوْجَةِ مُطَالَبَةُ الزَّوْجِ عِنْدَ انْقِضَاءِ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، إِمَّا أَنْ يَفِيءَ أَيْ يُجَامِعُ، وَإِمَّا أَنَّ يُطَلِّقَ فَيَجْبُرُهُ الْحَاكِمُ

---

271) أخرجه سعيد بن مَنْصُور وَعبد بن حميد وَالطَّبَرَانِيّ وَالْبَيْهَقِيّ والخطيب. انظر: **"الدر المنثور في التفسير بالمأثور"** (1/ 647). تأليف جلال الدين السيوطي. دار الفكر – بيروت.

272) المغفرة هنا معناها مغفرة الله للإنسان لأنه حلف بالله أن يفعل شيئا، ثم حنث. والحنث باليمين فيه استهانة بمقام الله عز وجل، وهذا يوجب العقاب، لكن الله تعالى تنازل عن حقه، وفرض للمسلمين تحلة ايمانهم: {قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} [التحريم: 2]. وكفارة اليمين ورد ذكرها في قوله تعالى: {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [المائدة: 89]. وقد سبق الحديث عن اليمين في الآيتين السابقتين لآية الإيلاء: {وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (224) لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ} [البقرة:224- 225]. ويقول الشيخ محمد أبو زهرة في معنى المغفرة الوارد في آية الإيلاء: «ويغفر لهم سبحانه حنثهم في يمينهم؛ لأن الله سبحانه لَا يريد إلا إصلاح حالهم، ولا ينقص من عظمته وجلاله أن يحنث عبد في قسمه، ما دام الخيرَ يريد والشرَّ يجتنب؛ والله سبحانه وتعالى رحيم بعباده في أن جعل لهم تحلة أيمانهم كفارة يستطيعونها وأن غفر لهم الحنث، وأن دعاهم إلى ذلك الحنث رحمة بالأسرة من أن تتهدم أركانها، وتتقطع أوصالها وتذهب المودة بين العشير وعشيره، والأليف وأليفه؛ ورحيم بهم في أن غفر لهم ما فرط من كل منهما في حق أخيه إذا أعادا المودة إلى سابق أمرها بعد أن كاد الهجر يقطعها». انظر: **"زهرة التفاسير"** (2/ 752). تأليف الشيخ محمد أبو زهرة. دار الفكر العربي. 1987م.

عَلَى هذا، وهذا لِئَلَّا يَضُرَّ بِهَا»[273]. ويقول ابن قدامه: «فَإِذَا مَضَتْ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ، وَرَافَعَتْهُ امْرَأَتُهُ إلَى الْحَاكِمِ، وَقَفَهُ، وَأَمَرَهُ بِالْفَيْئَةِ، فَإِنْ أَبَى أَمَرَهُ بِالطَّلَاقِ»[274].

ونحن نرى أن الطلاق يقع رغم عدم وجود نص يحدد لنا بالضبط ما الذي يجب أن يحدث بعد مرور أربعة أشهر، وذلك **استنادا إلى القياس الفائق** الذي تكلمنا عنه من قبل، فإنه إذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام قد منح الجارية بريرة الخيار في فراق زوجها العبد لما أُعتقت، وفُقدت الكفاءة بينهما، فالأولى أن تُمنح المرأة الخيار إن امتنع الزوج عن جماعها لفترة طويلة. **ومثل هذا الرجل بالنسبة لزوجته كالعنين الذي لا يقرب النساء، بل هو أشد** لأن العنين يستحق الشفقة بسبب مرضه، أما هذا الزوج فيتعمد هجر زوجته لإيذائها.

ورغم اتفاق الفقهاء على حق المرأة في الطلاق إلا أنهم اختلفوا في التفاصيل، فرأى بعضهم أنها تصبح مطلقة تلقائيا (طلاقا بائنا) بمجرد استمرار الزوج في هجرها بعد انقضاء الشهور الأربع، وهذا رأى أبى حنيفة. بينما رأى آخرون أن على المرأة أن تشتكي للحاكم، وسيجبر الحاكم زوجها على الطلاق، وسيكون طلاقا رجعيا[275]. وهذا رأى الشافعى ومالك وابن حنبل. والرأى الأول-كما يقول ابن كثير- «مَرْوِيٌّ بِأَسَانِيدَ صَحِيحَةٍ عَنْ عُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ عُمَرَ وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، وَبِهِ يَقُولُ ابْنُ سِيرِينَ وَمَسْرُوقٌ وَالْقَاسِمُ وَسَالِمٌ وَالْحَسَنُ وَأَبُو سَلَمَةَ وَقَتَادَةُ وَشُرَيْحٌ الْقَاضِي وَقَبِيصَةُ بْنُذُؤَيْبٍ وَعَطَاءٌ وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَسُلَيْمَانُ بْنُ طَرْخَانَ التَّيْمِيُّ وَإِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ وَالسُّدِّيُّ[276]». **والرأى الثانى هو رأى جمهور الفقهاء**، الذين أكدوا على ضرورة وجود دور للحاكم في إيقاع الطلاق. وهذا مروىّ عن عُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ وَعَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ وَابْنِ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَبِهِ يَقُولُ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَمُجَاهِدٌ وَطَاوُسٌ وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ وَالْقَاسِمُ، **وَهُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ** وَأَصْحَابِهِمْ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وَهُوَ اخْتِيَارُ ابْنِ جَرِيرٍ أيضا، وهو قول الليث

---

273) **تفسير ابن كثير** (1/ 454)

274) **"المغني"** لابن قدامة (7/ 553)

275) يقول الشيخ محمد أبو زهرة: «والطلاق الذي يقع يكون رجعيًا عند الأئمة الثلاثة؛ ودليلهم أن كل طلاق رجعي إلا ما ورد النص بأنه بائن، وليس منه ذلك الطلاق؛ وعلى هذا يكون له الرجعة في العدة؛ وقد روي عن مالك رضي الله عنه أنه اشترط للرجعة أن يفيء إلى أهله، فلا تتم بمجرد القول، بل لابد من الدخول، وقال أبو حنيفة: الطلاق بائن لأنه دفع للضرر، ولا يتحقق إلا بالبينونة، وإلا كان تمكينًا للزوج من معاودة الظلم» [**زهرة التفاسير** (2/ 753)]

276) **تفسير ابن كثير** (1/ 454)

وإسحاق بن رَاهْوَيْهِ وَأَبِي عُبَيْدٍ وَأَبِي ثَوْرٍ وَدَاوُدَ، **وَكُلُّ هؤلاء قالوا:إن لم يفيء أُلْزِمَ بِالطَّلَاقِ، فَإِنْ لَمْ يُطَلِّقْ طَلَّقَ عَلَيْهِ الحاكم**، والطلقة تكون رجعية[277].

ويذكر ابن قدامة أيضا أن أصحاب الرأى الأخير اختلفوا، **فقال بعضهم أن الحاكم يطلق رغما عن الزوج، وقال آخرون أن الحاكم لا يطلق بدلا من الزوج، ولكن يعاقبه أو يحبسه كى يضطره إلى إيقاع الطلاق:** «وَجُمْلَةُ الْأَمْرِ أَنَّ الْمُولِيَ إذَا امْتَنَعَ مِنْ الْفَيْئَةِ بَعْدَ التَّرَبُّصِ... أُمِرَ بِالطَّلَاقِ. فَإِنْ طَلَّقَ، وَقَعَ طَلَاقُهُ الَّذِي أَوْقَعَهُ، وَاحِدَةً كَانَتْ أَوْ أَكْثَرَ... وَإِنْ امْتَنَعَ مِنْ الطَّلَاقِ، طَلَّقَ الْحَاكِمُ عَلَيْهِ. وَبِهَذَا قَالَ مَالِكٌ. وَعَنْ أَحْمَدَ، رِوَايَةٌ أُخْرَى، لَيْسَ لِلْحَاكِمِ الطَّلَاقُ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ مَا خُيِّرَ الزَّوْجُ فِيهِ بَيْن أَمْرَيْنِ، لَمْ يَقُمْ الْحَاكِمُ مَقَامَهُ فِيهِ كَالِاخْتِيَارِ لِبَعْضِ الزَّوْجَاتِ فِي حَقِّ مَنْ أَسْلَمَ وَتَحْتَهُ أَكْثَرُ مِنْ أَرْبَعِ نِسْوَةٍ، أَوْ أُخْتَانِ. فَعَلَى هَذَا يَحْبِسُهُ، وَيُضَيِّقُ عَلَيْهِ، حَتَّى يَفِيءَ، أَوْ يُطَلِّقَ»[278].

ويوجز تفسير المنار المسألة، لافتا النظر إلى أن **خلافات الفقهات تخفى وراءها اتفاقا على أن الطلاق حق للمرأة:** «مَنْ حَلَفَ عَلَى تَرْكِ غِشْيَانِ امْرَأَتِهِ فَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَتَرَبَّصَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ؛ فَإِنْ تَابَ وَعَادَ قَبْلَ انْقِضَائِهَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ إِثْمٌ، وَإِنْ أَتَمَّهَا تَعَيَّنَ عَلَيْهِ أَحَدُ الْأَمْرَيْنِ: الْفَيْئَةُ وَالرُّجُوعُ إِلَى الْمُعَاشَرَةِ الزَّوْجِيَّةِ أَوِ الطَّلَاقُ، وَعَلَيْهِ أَنْ يُرَاقِبَ اللهَ تَعَالَى فِيمَا يَخْتَارُهُ مِنْهُمَا، فَإِنْ لَمْ يُطَلِّقْ هُوَ بِالْقَوْلِ كَانَ مُطَلِّقًا بِالْفِعْلِ؛ أَيْ: أَنَّهَا تُطَلَّقُ مِنْهُ بَعْدَ انْتِهَاءِ الْمُدَّةِ رَغْمَ أَنْفِهِ مَنْعًا لِلضِّرَارِ، وَقِيلَ تَرْفَعُ أَمْرَهَا إِلَى الْحَاكِمِ فَيُطَلِّقُ عَلَيْهِ، **وَالْمَسْأَلَةُ خِلَافِيَّةٌ فِي هَذَا، وَلَكِنْ لَا خِلَافَ فِي عَدَمِ جَوَازِ بَقَائِهَا عَلَى عِصْمَتِهِ وَعَدَمِ إِبَاحَةِ مُضَارَّتِهَا»**[279]

والمشكلة الحقيقية في رأينا تكمن في شيء آخر، ألا وهو صعوبة إثبات المرأة أن زوجها يهجرها في الفراش، إذ أنه غالبا سينكر ذلك، فهل تأتي الشرطة لتقيم معهما في البيت حتى تتأكد من حدوث الجماع، أم يأمر القاضي بوضع كاميرات مراقبة وأجهزة تنصت داخل غرفة النوم، أم يأمر بإدخال امرأة من الجيران لتشهد بما يحدث بينهما في الفراش كل يوم؟ وحتى إن أثبتت الزوجة ذلك، واضطر الرجل للرضوخ، فإن من الممكن جدا أن يكرر الإيلاء مرة أخرى بعد يوم أو يومين من جماعها، فيهجرها لمدة أربعة أشهر إضافية. ويستمر الحال على هذا المنوال.

277) تفسير ابن كثير (1/ 455)
278) "المغني" لابن قدامة (7/ 563)
279) تفسير المنار (2/ 293). تأليف محمد رشيد رضا. الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1990 م

ومثل هذه الأمور يحسن حلها بإرسال حكم من أهل الزوج وحكم من أهل الزوجة. كما يمكن للزوجة أن تتخلص من هذا الزوج من خلال الخلع كما سنبين لاحقا.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

6- تطليق الحكمين

أمر الله تعالى بإرسال حكمين للإصلاح بين الرجل وزجته: {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا} [النساء: 35]. **ورأى بعض الفقهاء أن الحكمين يحق لهما أن يوقعا الطلاق رغما عن الزوج، فهما ليسا مجرد وكيلين عن الزوجين، بل يمتلكان سلطة الجمع والتفريق.**

يقول الإمام مَالِك عن الزوجين إن حدثت بينهما خلافات كبيرة لم يتبين فيها الظالم من المظلوم: «فَإِذَا بَلَغَا ذَلِكَ بَعَثَ الْوَالِي رَجُلًا مِنْ أَهْلِهَا وَرَجُلًا مِنْ أَهْلِهِ عَدْلَيْنِ فَنَظَرَا فِي أَمْرِهِمَا وَاجْتَهَدَا، **فَإِنْ اسْتَطَاعَا الصُّلْحَ أَصْلَحَا بَيْنَهُمَا وَإِلَّا فَرَّقَا بَيْنَهُمَا، ثُمَّ يَجُوزُ فِرَاقُهُمَا دُونَ الْإِمَامِ، وَإِنْ رَأَيَا أَنْ يَأْخُذَ مِنْ مَالِهَا حَتَّى يَكُونَ خُلْعًا فَعَلَا**»[280].

ويعبر القاضي عبد الوهاب عن رأى المذهب المالكى قائلا: «إذا بعث الحاكم الحكمين عند حصول الشقاق بين الزوجين **فعلا ما يريانه من صلاح وطلاق أو خلع، ولا يعتبر رضا الزوجين، وكان ذلك حكماً لا وكالة**... ودليلنا قوله تعالى: " وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها " فخاطب غير الزوجين، ولأن الخطاب الوارد بالأحكام وتنفيذها ينصرف إلى الأئمة والحكام دون أهل الخصومات، ولأن تسميتهما بأنهما حكمان ينفي كونهما وكيلين.... **ولأن للحاكم مدخلاً في إيقاع الفرقة بين الزوجين لإزالة الضرر** كالطلاق على المولي، والمعسر بالنفقة والمهر، وغيره، فإذا كان له ذلك في إزالة الضرر عن أحدهما، كان بأن يكون في حقهما أولى»[281].

ويلخص ابن رشد اتجاهات الفقهاء في تلك المسألة، قائلا:

---

280) **المدونة** (2/ 267). تأليف مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى، 1415هـ - 1994م

281) **الإشراف على نكت مسائل الخلاف** (2/ 724). تأليف القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي المالكي. تحقيق الحبيب بن طاهر. دار ابن حزم. الطبعة الأولى، 1420هـ - 1999م

«**وَاخْتَلَفُوا فِي تَفْرِيقِ الْحَكَمَيْنِ بَيْنَهُمَا إِذَا اتَّفَقَا عَلَى ذَلِكَ هَلْ يُحْتَاجُ إِلَى إِذْنٍ مِنَ الزَّوْجِ أَوْ لَا يُحْتَاجُ إِلَى ذَلِكَ؟ فَقَالَ مَالِكٌ وَأَصْحَابُهُ: يَجُوزُ قَوْلُهُمَا فِي الْفُرْقَةِ وَالِاجْتِمَاعِ بِغَيْرِ تَوْكِيلِ الزَّوْجَيْنِ وَلَا إِذْنٍ مِنْهُمَا** فِي ذَلِكَ. **وَقَالَ الشَّافِعِيُّ، وَأَبُو حَنِيفَةَ وَأَصْحَابُهُمَا: لَيْسَ لَهُمَا أَنْ يُفَرِّقَا، إِلَّا أَنْ يَجْعَلَ الزَّوْجُ إِلَيْهِمَا التَّفْرِيقَ**، وَحُجَّةُ مَالِكٍ مَا رَوَاهُ مِنْ ذَلِكَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ قَالَ فِي الْحَكَمَيْنِ: إِلَيْهِمَا التَّفْرِقَةُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ وَالْجَمْعُ. **وَحُجَّةُ الشَّافِعِيِّ، وَأَبِي حَنِيفَةَ أَنَّ الْأَصْلَ أَنَّ الطَّلَاقَ لَيْسَ بِيَدِ أَحَدٍ سِوَى الزَّوْجِ أَوْ مَنْ يُوَكِّلُهُ الزَّوْجُ**.... وَالْأَصْلُ أَنَّ الطَّلَاقَ بِيَدِ الرَّجُلِ إِلَّا أَنْ يَقُومَ دَلِيلٌ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ. وَقَدِ احْتَجَّ الشَّافِعِيُّ وَأَبُو حَنِيفَةَ بِمَا رُوِيَ فِي حَدِيثِ عَلِيٍّ هَذَا أَنَّهُ قَالَ لِلْحَكَمَيْنِ: هَلْ تَدْرِيَانِ مَا عَلَيْكُمَا؟ إِنْ رَأَيْتُمَا أَنْ تَجْمَعَا جَمَعْتُمَا، وَإِنْ رَأَيْتُمَا أَنْ تُفَرِّقَا فَرَّقْتُمَا، فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ رَضِيتُ بِكِتَابِ اللَّهِ وَبِمَا فِيهِ لِي وَعَلَيَّ، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَمَّا الْفُرْقَةُ فَلَا، فَقَالَ عَلِيٌّ: لَا وَاللَّهِ لَا تَنْقَلِبُ حَتَّى تُقِرَّ بِمِثْلِ مَا أَقَرَّتْ بِهِ الْمَرْأَةُ، قَالَ: فَاعْتَبَرَ فِي ذَلِكَ إِذْنَهُ. **وَمَالِكٌ يُشَبِّهُ الْحَكَمَيْنِ بِالسُّلْطَانِ، وَالسُّلْطَانُ يُطَلِّقُ بِالضَّرَرِ عِنْدَ مَالِكٍ** إِذَا تَبَيَّنَ»[282]

وسنتكلم عن الحكمين مرة أخرى إن شاء الله تعالى. ونحن نرى أن **الدور الذي ذكره القرآن للحكمين هو محاولة الإصلاح بين الزوجين، وليس لهما أن يجبراهما على شيء**. وتسميتهما بالحكمين ليس لأن لهما سلطة على الزوج أو الزوجة، ولكن لأنهما يحكمان على سلوك الرجل والمرأة، ويقرران أيهما أساء إلى صاحبه، ووجب عليه أن يغير من معاملته للآخر.

****

أما بعد، فقد كانت هذه هى الحالات التى يمكن فيها إجبار الرجل على طلاق زوجته، أما ما عدا هذه الحالات الخاصة، فلا حق للمرأة فى الطلاق حتى لو كرهت زوجها إلا بالخلع. وهذا ما عبر عنه ابن تيمية فى فتاواه:

«مَسْأَلَةٌ : فِي امْرَأَةٍ مُبْغِضَةٍ لِزَوْجِهَا طَلَبَتْ الِانْخِلَاعَ مِنْهُ، وَقَالَتْ لَهُ : إنْ لَمْ تُفَارِقْنِي وَإِلَّا قَتَلْت نَفْسِي؛ فَأَكْرَهَهُ الْوَلِيُّ عَلَى الْفُرْقَةِ..... **وَإِنْ كَانَ أُكْرِهَ بِالضَّرْبِ أَوْ الْحَبْسِ وَهُوَ مُحْسِنٌ لِعِشْرَتِهَا**

282) بداية المجتهد ونهاية المقتصد (3/ 117)

حَتَّى فَارَقَهَا لَمْ تَقَعْ الْفُرْقَةُ ؛ بَلْ إذَا أَبْغَضَتْهُ وَهُوَ مُحْسِنٌ إلَيْهَا فَإِنَّهُ يَطْلُبُ مِنْهُ الْفُرْقَةَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُلْزَمَ بِذَلِكَ، فَإِنْ فَعَلَ وَإِلَّا أُمِرَتْ الْمَرْأَةُ بِالصَّبْرِ عَلَيْهِ إذَا لَمْ يَكُنْ مَا يُبِيحُ الْفَسْخ»[283]

وليس أمام مثل تلك المرأة التي تكره زوجها دون أن يسيء إليها إلا أن تطلب الخلع، كما سنرى لاحقا.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

الخُلع

الخلع فى الشريعة هو طلاق بعوض[284]، أي **أن المرأة تطلب من زوجها أن يطلقها مقابل مال تدفعه إليه.**

مشروعية الخلع

يستند الخلع إلى قول الله عز وجل: {الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [البقرة: 229].

وهذه الآية تحرم على الرجال أن يأخذوا شيئا من المهر الذى سبق أن آتوه لزوجاتهم (وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا) إلا إذا حدثت خلافات بين الزوجين، وخشى كلا منهما ألا يقيم حدود الله (إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ). فهنا يباح للمرأة أن تعرض على الزوج أن يفارقها مقابل استردا المهر (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ).

ويستند الخلع أيضا إلى ما روى من أن امرأة الصحابى الجليل ثابت بن قيس –المبشر بالجنة[285]– كانت تكره الحياة معه، فاشتكت لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمرها أن ترد له

---

283) الفتاوى الكبرى (334/3). تأليف تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى، 1408هـ - 1987م

284) الشامل في فقه الإمام مالك (1/ 386). تأليف بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز ، أبو البقاء، تاج الدين السلمي الدَّمِيرِيّ الدِّمْيَاطِيّ. ضبطه وصححه: أحمد بن عبد الكريم نجيب. مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث. الطبعة الأولى، 1429هـ - 2008م.

285) كان ثَابِتُ بنُ قَيْسِ بنِ شَمَّاسٍ **مِنْ نُجَبَاءِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ جَهِيْرَ الصَّوْتِ، خَطِيْباً بَلِيْغاً. وعرف بخطيب الأنصار** (كما فى صحيح مسلم)، وقيل **خطيب رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم** (كما فى صحيح البخارى)، كَمَا يُقَال لحسان بن ثَابت: شَاعِر رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ

الحديقة التى كان قد أمهرها إياها عند الزواج. وامرأة ثابت بن قيس هي حبيبة بنت سهل، وقيل هي جميلة بنت عبد الله بن أُبي بن سلول رأس المنافقين، وأخت ابنه عبد الله الصحابي الجليل[286،287]:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ **امْرَأَةَ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ، مَا أَعْتِبُ عَلَيْهِ فِي خُلُقٍ وَلاَ دِينٍ، وَلَكِنِّي أَكْرَهُ الكُفْرَ فِي الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَرُدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْبَلِ الحَدِيقَةَ وَطَلِّقْهَا تَطْلِيقَةً»** أخرجه البخارى[288].

(أكره الكفر): أكره أن أقع في أسباب الكفر من سوء العشرة مع الزوج ونقصانه حقه. (حديقته): الحديقة التى أعطاها إياها كمهر عند الزواج. (تطليقة): طلقة واحدة.

وفى لفظ آخر للبخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: جَاءَتْ امْرَأَةُ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَنْقِمُ عَلَى ثَابِتٍ فِي دِينٍ وَلاَ خُلُقٍ، إِلَّا أَنِّي أَخَافُ الكُفْرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَتَرُدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ؟» فَقَالَتْ: نَعَمْ، فَرَدَّتْ عَلَيْهِ، وَأَمَرَهُ فَفَارَقَهَا.

وَسلم. لم يشهد غزوة بدر، لكنه شهد أحدا وَمَا بعْدهَا. وَقتل في معركة الْيَمَامَة فِي خلَافَة أبي بكر الصديق. انظر: **سير أعلام النبلاء** (1/ 308). **وقد بشره النبى عليه الصلاة والسلام بالجنة،** فقد روى البخارى عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، افْتَقَدَ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أَعْلَمُ لَكَ عِلْمَهُ، فَأَتَاهُ فَوَجَدَهُ جَالِسًا فِي بَيْتِهِ، مُنَكِّسًا رَأْسَهُ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالَ: شَرٌّ، كَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَتَى الرَّجُلُ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَالَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ مُوسَى بْنُ أَنَسٍ: فَرَجَعَ المَرَّةَ الآخِرَةَ بِبِشَارَةٍ عَظِيمَةٍ، فَقَالَ: " اذْهَبْ إِلَيْهِ، فَقُلْ لَهُ: إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَلَكِنْ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ "

286) انظر تعليق الشيخ أحمد محمد شاكر على **تفسير الطبرى** (4/ 553)

287) اخْتلفت طرق الحَدِيث فِي اسْم امْرَأَة ثَابت بن قيس الَّتِي خَالعهَا، **فَفِي أَكثر طرقه أَن اسْمهَا: حَبِيبَة بنت سهل،** هَكَذَا عِنْد مَالك فِي (الْمُوَطَّأ) من حَدِيثهَا وَمن طَرِيقه رَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَالنَّسَائِيّ، وَكَذَا فِي حَدِيث عَائِشَة عِنْد أبي دَاوُد، وَكَذَا فِي حَدِيث عبد الله بن عمر، وَعند ابْن مَاجَه بِإِسْنَاد صَحِيح عَن ابْن عَبَّاس: إِنَّهَا جميلَة بنت سلول... وَوَقع فِي رِوَايَة النَّسَائِيّ وَالطَّبَرَانِيّ من حَدِيث الرّبيع بنت معوذ: جميلَة بنت عبد الله بن أبي، وَبِذَلِك جزم ابْن سعد فِي (الطَّبَقَات) فَقَالَ: جميلَة بنت عبد الله بن أبي، وَوَقع فِي رِوَايَة البُخَارِيّ عَن عِكْرِمَة: أُخْت عبد الله بن أبي، وَهُوَ كَبِير الْخَزْرَج وَرَأس النِّفَاق، وَقع عِنْد النَّسَائِيّ وَابْن مَاجَه بِإِسْنَاد جيد من حَدِيث الرّبيع بنت معوذ أَن اسْمهَا: مَرْيَم المغالية، وَعند الدَّارَقُطْنِيّ وَالْبَيْهَقِيّ من رِوَايَة أبي الزبير: أَن ثَابت بن قيس كَانَت عِنْده زَيْنَب بنت عبد الله بن أبي بن سلول. قَالَ الشَّيْخ: **وَأَصَح طرقه حَدِيث حَبِيبَة بنت سهل** على أَنه يجوز أَن يكون الْخلْع قد تعدد غير مرّة من ثَابت بن قيس لهَذِهِ فَإِن فِي بعض طرقه: أصدقهَا حديقة، وَفِي بَعْضهَا: حديقتين، وَلَا مَانع أَن يكون وَاقِعَتَيْنِ فَأَكْثر. وَقد صَحَّ كَونهَا حَبِيبَة وَصَحَّ كَونهَا جميلَة، وَصَحَّ كَونهَا مَرْيَم، وَأما تَسْمِيَتهَا زَيْنَب فَلم يَصح قلت: لم يذكر أَبُو عمر مَرْيَم وَذكرهَا الذَّهَبِيّ، وَقَالَ: مَرْيَم الْأَنْصَارِيَّة المغالية من بني مغالة امْرَأَة ثَابت بن قيس، لَهَا ذكر فِي حَدِيث الرّبيع انْتهى. انظر: **عمدة القاري شرح صحيح البخاري** (20/ 262). وقال أحمد محمد شاكر فى تعليقه على تفسير الطبرى: [وقد تبين من هذه الأحاديث الأربعة ومن غيرها من الروايات الصحيحة -الاختلاف فيمن اختلعت من ثابت بن قيس بن شماس : أهي جميلة بنت عبد الله بن أبي سلول أم حبيبة بنت سهل؟ فالراجح أنهما كلتاهما اختلعتا منه. وهو الذي رجحه الحافظ في الفتح 9 : 350 وارتضاه . قال : "والذي يظهر أنهما قصتان وقعتا لامرأتين . لشهرة الخبرين وصحة الطريقين واختلاف السياقين"]. انظر: **"تفسير الطبري"** (4/ 556).

ونحن لا نرى أن الخلع وقع مرتين لثابت بن قيس، فهذا أمر غريب جدا، ولو صح لاشتهر، ولاعتبر نقيصة فى حق الرجل، ولذكر الرواة شيئا في شخصيته يجعل النساء تنفر منه، ومن غير المحتمل أن يكون هذا الشيء دمامته لأن المرأة لم تفاجأ بهذه الدمامة بعد الزواج. ومن العجيب حقا أن تحتوى السنة كلها على واقعتين للخلع فقط، فتكون الواقعتان من نصيب رجل واحد . ونحن نرجح أن الاختلاف فى الاسم مرده إلى اختلاف الرواة في دقة الحفظ، وهذا شيء طبيعى، فالكمال لله وحده. وقد أرسى علماء الحديث مبدأ "الشذوذ" في علم الحديث، فقالوا أن الروايات الصحيحة إن تناقضت، وتعذر التفريق بينها، وجب علينا أن نقبل أصحها سندا، وأكثرها طرقا.

288) فى رواية أخرى للبخارى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: جَاءَتْ امْرَأَةُ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَنْقِمُ عَلَى ثَابِتٍ فِي دِينٍ وَلاَ خُلُقٍ، إِلَّا أَنِّي أَخَافُ الكُفْرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَتَرُدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ؟» فَقَالَتْ: نَعَمْ، فَرَدَّتْ عَلَيْهِ، وَأَمَرَهُ فَفَارَقَهَا

(أنقم على ثابت): أعتب عليه

وأورد البخارى رواية تفيد أن امرأة ثابت بن قيس **كانت تكره زوجها، ولاَ تطِيقُهُ:**

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: جَاءَتْ امْرَأَةُ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لاَ أَعْتِبُ عَلَى ثَابِتٍ فِي دِينٍ وَلاَ خُلُقٍ، وَلَكِنِّي لاَ أُطِيقُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَتَرُدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ» قَالَتْ: نَعَمْ.

وفى رواية لابن ماجه عن ابن عباس قالت جميلة: **(لَا أُطِيقُهُ بُغْضًا):**

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ جَمِيلَةَ بِنْتَ سَلُولَ أَتَتْ النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا أَعْتِبُ عَلَى ثَابِتٍ فِي دِينٍ وَلَا خُلُقٍ، وَلَكِنِّي أَكْرَهُ الْكُفْرَ فِي الْإِسْلَامِ، **لَا أُطِيقُهُ بُغْضًا.** فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: "أَتَرُدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ؟ " قَالَتْ: نَعَمْ. فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنْ يَأْخُذَ مِنْهَا حَدِيقَتَهُ وَلَا يَزْدَادَ[289].

وفى روايات أخرى نجد أن امرأة ثابت بن قيس **كرهته لأنه كان دميما:**

روى الطبرى بإسناد صحيح، عَنْ جَمِيلَةَ بِنْتِ أُبَيِّ ابْنِ سَلُولَ، أَنَّهَا كَانَتْ عِنْدَ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ فَنَشَزَتْ عَلَيْهِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «يَا جَمِيلَةُ مَا كَرِهْتِ مِنْ ثَابِتٍ؟» قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا كَرِهْتُ مِنْهُ دِينًا وَلَا خُلُقًا، **إِلَّا أَنِّي كَرِهْتُ دَمَامَتَهُ.** فَقَالَ لَهَا: «أَتَرُدِّينَ الْحَدِيقَةَ؟» قَالَتْ: نَعَمْ فَرَدَّتِ الْحَدِيقَةَ، وَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا"[290]

وروى الطبرى أيضا بإسناد اختلف فى تصحيحه[291]عن أبي حريز " أَنَّهُ سَأَلَ عِكْرِمَةَ، هَلْ كَانَ لِلْخُلْعِ أَصْلٌ؟ قَالَ: كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: " إِنَّ أَوَّلَ خَلْعٍ كَانَ فِي الْإِسْلَامِ أُخْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ،

---

289) إسناده صحيح. ونص الرواية في ابن ماجه كاملا كما يلى: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ جَمِيلَةَ بِنْتَ سَلُولَ أَتَتْ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا أَعْتِبُ عَلَى ثَابِتٍ فِي دِينٍ وَلَا خُلُقٍ، وَلَكِنِّي أَكْرَهُ الْكُفْرَ فِي الْإِسْلَامِ، لَا أُطِيقُهُ بُغْضًا. فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "أَتَرُدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ؟ " قَالَتْ: نَعَمْ. فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ يَأْخُذَ مِنْهَا حَدِيقَتَهُ وَلَا يَزْدَادَ. وقوله: "ولا يزداد" انفرد بها عبد الأعلى بن عبد الأعلى عن سعيد. انظر: **سنن ابن ماجه** (3/ 208)

290) قال أحمد محمد شاكر فى تعليقه على تفسير الطبرى: «هذا الإسناد صحيح. ولم أجده إلا عند الطبري هنا وعند ابن عبد البر في الاستيعاب فرواه ابن عبد البر عن عبد الوارث بن سفيان عن قاسم بن أصبغ عن أحمد بن زهير عن محمد بن حميد الرازي - شيخ الطبري هنا- بهذا الإسناد». انظر: **تفسير الطبري** (4/ 556)

291) رأى البعض أن هذا حديث منكر؛ تفرَّد به أبو حريز عبد الله بن الحسين، قاضي سجستان، قال عنه أحمد: حديثه حديث منكر، روى معتمر عن فضيل عن أبي حريز أحاديث مناكير. وقال ابن عدي: عامَّة ما يَرويه لا يُتابِعه عليه أحدٌ. انظر تعليق المحقق على **"مسند الفاروق"** (2/ 188).

ومن ناية أخرى ذكر الشيخ أحمد محمد شاكر أن هذا الحديث صحيح الإسناد، ففي إسناده أبو حريز، وهو عبد الله بن الحسين الأزدي البصري، قاضي سجستان وهو مختلف فيه، والحق أنه ثقة، وثقه ابن معين وأبو زرعة وغيرهما. و"أبو حريز": بفتح الحاء المهملة وكسر الراء وآخره زاي معجمة.

أَنَّهَا أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا يَجْمَعُ رَأْسِي وَرَأْسَهُ شَيْءٌ أَبَدًا إِنِّي رَفَعْتُ جَانِبَ الْخِبَاءِ فَرَأَيْتُهُ أَقْبَلَ فِي عِدَّةٍ، فَإِذَا هُوَ أَشَدُّهُمْ سَوَادًا، وَأَقْصَرُهُمْ قَامَةً، وَأَقْبَحُهُمْ وَجْهًا. قَالَ زَوْجُهَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَعْطَيْتُهَا أَفْضَلَ مَالِي حَدِيقَةً فَلْتَرُدَّ عَلَيَّ حَدِيقَتِي قَالَ: «مَا تَقُولِينَ؟» قَالَتْ: نَعَمْ، وَإِنَ شَاءَ زِدْتُهُ قَالَ: فَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا"

وفى رواية أخرى أن ثابت بن قيس (**ضَرَبَ امْرَأَتَهُ فَكَسَرَ يَدَهَا**):

عن الرُّبَيِّعَ بِنْتَ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءَ: أَنَّ ثَابِتَ بْنَ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ ضَرَبَ امْرَأَتَهُ فَكَسَرَ يَدَهَا، وَهِيَ جَمِيلَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ، فَأَتَى أَخُوهَا يَشْتَكِيهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى ثَابِتٍ فَقَالَ لَهُ: «خُذِ الَّذِي لَهَا عَلَيْكَ وَخَلِّ سَبِيلَهَا»، قَالَ: نَعَمْ، فَأَمَرَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَتَرَبَّصَ حَيْضَةً وَاحِدَةً، فَتَلْحَقَ بِأَهْلِهَا. رواه النسائى، وسنده صحيح على شرط البخاري كما قال الألباني[292،293].

وروى أبو داود والطبري عن عائشة: «أن حبيبةَ بنتَ سهل كانت عند ثابت بن قيس بن شمَّاس فضربها، فكسر بعضَها[294]، فأتت رسولَ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلم – بعدَ الصُّبْحِ فاشتكته إليه، فدعا النبي – صلَّى الله عليه وسلم – ثابتاً فقال: "خُذْ بَعْضَ مالِها وفارِقها" فقال: ويَصْلُح ذلك يا رسولَ الله؟ قال "نعم" قال: فإني أصدقتُها حديقَتْينِ وهما بيدها، فقال النبي صلَّى الله عليه وسلم: "خُذْهما وفَارِقْها" ففعل». وإسناد هذا الحديث حسن، لكن صححه البعض.[295]

ووقع في المطبوعة وابن كثير وفتح الباري"أبو جرير" وهو تصحيف ووقع في الإصابة"ابن جرير" وهو خطأ إلى خطأ. انظر تعليق أحمد محمد شاكر على "**تفسير الطبري**" (4/ 553)

292) انظر: "**صحيح سنن أبي داود**" (6/ 430) للألبانى. وروى النسائي هذا الحديث، قال: أَخْبَرَنَا أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْمَرْوَزِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي شَاذَانُ بْنُ عُثْمَانَ، أَخُو عَبْدَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ الرُّبَيِّعَ بِنْتَ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءَ، فذكرته. **ورواة هذا الحديث كلهم من رجال البخاري ومسلم، باستثناء شاذان بن عثمان، وهو من رجال البخاري**، وشاذان لقبه، واسمه عبد العزيز بن عثمان بن جبلة بن أبى رواد الأزدى، أبو الفضل المروزى.

293) وفى رواية لأبى داود: عن عائشة: أن حبيبةَ بنتَ سهل كانت عند ثابت بن قيس بن شمَّاس فضربها، فكسر بعضَها، فأتت رسولَ اللهِ - صلَّى الله عليه وسلم - بعدَ الصُّبْحِ فاشتكته إليه، فدعا النبي - صلَّى الله عليه وسلم - ثابتاً فقال: "خُذْ بَعْضَ مالِها وفارِقها" فقال: ويَصْلُح ذلك يا رسولَ الله؟ قال "نعم" قال: فإني أصدقتُها حديقَتْينِ وهما بيدها، فقال النبي - صلَّى الله عليه وسلم -: "خُذْهما وفَارِقْها" ففعل. وهذا اسناد حسن من أجل أبو عمرو السَّدُوسي المديني. انظر: **سنن أبي داود** (3/ 545)

294) يرى الشيخ أحمد محمد شاكر أن الصواب (نِغْضَها) وليس (بعضها): «قوله"فكسر نغضها"- النغض، بضم النون وسكون الغين المعجمة وآخره ضاد معجمة: العظم الرقيق على طرف الكتف. وهذا هو الصواب في هذا الحرف هنا. وثبت في المطبوعة"بعضها" وكذلك في النسخ المطبوعة من سنن أبي داود إلا في نسخة بهامش طبعة الهند ذكرت على الصواب. وهو الصحيح الثابت في مخطوطة الشيخ عابد السندي واضحة مضبوطة لا تحتمل تصحيفا. ويبد ذلك ويقويه: أن رواية البيهقي"فكسر يدها" وأما كلمة"بعضها"- فإنها قلقة في هذا الموضع غير مستساغة» [**تفسير الطبري** (4/ 553)]

295) قال محققو صحيح أبى داود: [هذا الحديث صحيح لغيره، وهذا اسناد حسن من أجل أبي عمرو السَّدُوسي المديني]. وأخرجه الطبري في "تفسيره" من طريق أبي عامر العقدي، بهذا الإسناد. وأخرجه البيهقي في "الكبرى" من طريق عبد الله بن رجاء، عن سعيد بن سلمة بن أبي الحسام، به. وقال الألبانى: [وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين؛ غير أبي عمرو السدوسي المديني- وهو سعيد بن سلمة بن أبي الحسام العدوي مولاهم-، فهو من رجال مسلم، لكن فيه كلام من قبل حفظه، أشار إليه الحافظ بقوله: "صحيح الكتاب، يخطئ من حفظه " قلت: فإن كان حدَث به من كتابه؛ فهو صحيح لذاته؛ وإلا فهو صحيح لشواهده]. وصحح الشيخ أحمد محمد شاكر هذا الحديث، حيث قال عن أبى عمرو السدوسي: [هو ثقة. قال

أما عن **مقدار ما تدفعه المرأة للرجل في الخلع**، فقد قال بعض الفقهاء أنه المهر فقط، بينما رأى آخرون أنه أي قدر يتفق عليه الطرفان. يقول ابن رشد: « أَمَّا مِقْدَارُ مَا يَجُوزُ لَهَا أَنْ تَخْتَلِعَ بِهِ، فَإِنَّ مَالِكًا، وَالشَّافِعِيَّ، وَجَمَاعَةً قَالُوا: جَائِزٌ أَنْ تَخْتَلِعَ الْمَرْأَةُ بِأَكْثَرَ مِمَّا يَصِيرُ لَهَا مِنَ الزَّوْجِ فِي صَدَاقِهَا إِذَا كَانَ النُّشُوزُ مِنْ قِبَلِهَا، وَبِمِثْلِهِ، وَبِأَقَلَّ مِنْهُ. وَقَالَ قَائِلُونَ: لَيْسَ لَهُ أَنْ يَأْخُذَ أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَاهَا عَلَى ظَاهِرِ حَدِيثِ ثَابِتٍ. فَمَنْ شَبَّهَهُ بِسَائِرِ الْأَعْوَاضِ فِي الْمُعَامَلَاتِ رَأَى أَنَّ الْقَدْرَ فِيهِ رَاجِعٌ إِلَى الرِّضَا. وَمَنْ أَخَذَ بِظَاهِرِ الْحَدِيثِ لَمْ يُجِزْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَكَأَنَّهُ رَآهُ مِنْ بَابِ أَخْذِ الْمَالِ بِغَيْرِ حَقٍّ»[296]

طبيعة الخلع

هل الخلع طلاق أم فسخ؟ هذا الفرق ليس فرقا نظريا، ولكن له أهمية عملية كبيرة، فإن كان طلاقا أدى إلى نقص عدد الطلقات التي يملكها الزوج، وأما الفسخ فلا ينقص عدد الطلقات[297]، فإن كان الخلع طلاقا تبقى للمرأة طلقتين، تصبح بعدها محرمة على زوجها حتى تنكح زوجا غيره (أي تبين بينونة كبرى). وإن كان الخلع فسخا تبقى للمرأة ثلاث طلقات قبل البينونة الكبرى.

ويلخص ابن رشد اتجاهات الفقهاء، قائلا: «وَأَمَّا نَوْعُ الْخُلْعِ: فَجُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّهُ طَلَاقٌ، وَبِهِ قَالَ مَالِكٌ. وَأَبُو حَنِيفَةَ سَوَّى بَيْنَ الطَّلَاقِ وَالْفَسْخِ. وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: هُوَ فَسْخٌ، وَبِهِ قَالَ أَحْمَدُ، وَدَاوُدُ وَمِنَ الصَّحَابَةِ ابْنُ عَبَّاسٍ. وَقَدْ رُوِيَ عَنِ الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ كِنَايَةٌ، فَإِنْ أَرَادَ بِهِ الطَّلَاقَ كَانَ طَلَاقًا وَإِلَّا كَانَ فَسْخًا، وَقَدْ قِيلَ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ الْجَدِيدِ: إِنَّهُ طَلَاقٌ. وَفَائِدَةُ الْفَرْقِ: هَلْ يُعْتَدُّ بِهِ فِي التَّطْلِيقَاتِ أَمْ لَا؟ [298]

أبو سلمة التبوذكي: "ما رأيت كتابا أصح من كتابه". وذكره ابن حبان في الثقات. ولم يعرفه ابن معين حق معرفته كما حكى عنه ابن أبي حاتم وضعفه النسائي. ولكن ترجمه البخاري في الكبير 438/1/2 فلم يذكر فيه حرجا. وهذا كاف في توثيقه خصوصا وقد أخرج له مسلم في صحيحه]. انظر: **سنن أبي داود** (3/ 545)، **و"صحيح سنن أبي داود"** للألباني (6/ 428)، **وتفسير الطبري** (4/ 553)

296) **بداية المجتهد ونهاية المقتصد** (3/ 89)

297) **أحكام الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية**. صفحة 173**.** أحكام الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية. تأليف عبد الوهاب خلاف. مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة. الطبعة: الثانية، 1357هـ- 1938م.

298) **بداية المجتهد ونهاية المقتصد** (3/ 91)

وسبب الخلاف كما يقول ابن رشد هو «هَلِ اقْتِرَانُ الْعِوَضِ بِهَذِهِ الْفُرْقَةِ يُخْرِجُهَا مِنْ نَوْعِ فُرْقَةِ الطَّلَاقِ إِلَى نَوْعِ الْفَسْخِ أَمْ لَيْسَ يُخْرِجُهَا؟»[299] بعبارة أخرى: هل حصول الزوج على مقابل مادي للطلاق من الزوجة يغير من طبيعة الطلاق، بحيث يصير فسخا أم لا يغير شيئا من طبيعته؟

واستند القائلون بأن الخلع طلاق إلى حقيقة أن الخلع يقع بالتراضي، بينما الفسخ لا يقع بالتراضي. يقول ابن رشد: «وَاحْتَجَّ مَنْ جَعَلَهُ طَلَاقًا بِأَنَّ الْفُسُوخَ إِنَّمَا هِيَ الَّتِي تَقْتَضِي الْفُرْقَةَ الْغَالِبَةَ لِلزَّوْجِ فِي الْفِرَاقِ مِمَّا لَيْسَ يَرْجِعُ إِلَى اخْتِيَارِهِ، وَهَذَا رَاجِعٌ إِلَى الِاخْتِيَارِ فَلَيْسَ بِفَسْخٍ». **فرد عليهم مخالفوهم قائلين أن «الْفُسُوخَ تَقَعُ بِالتَّرَاضِي، قِيَاسًا عَلَى فُسُوخِ الْبَيْعِ»**[300]

ثم أورد ابن رشد **حجة أخرى للقائلين بأن الخلع فسخ، وذلك استنادا إلى نص الآية، إذ أننا إن اعتبرنا أن الخلع طلاق صار الطلاق أربع مرات لا ثلاث:** «وَاحْتَجَّ مَنْ لَمْ يَرَهُ طَلَاقًا بِأَنَّ اللَّهَ – تَبَارَكَ وَتَعَالَى – ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ الطَّلَاقَ فَقَالَ: {الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ} [البقرة: 229] ثُمَّ ذَكَرَ الِافْتِدَاءَ، ثُمَّ قَالَ: {فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ} [البقرة: 230]. فَلَوْ كَانَ الِافْتِدَاءُ طَلَاقًا لَكَانَ الطَّلَاقُ الَّذِي لَا تَحِلُّ لَهُ فِيهِ إِلَّا بَعْدَ زَوْجٍ هُوَ الطَّلَاقُ الرَّابِعُ»[301].

ورد المخالفون على هذه الحجة الأخيرة قائلين أن «الْآيَةَ إِنَّمَا تَضَمَّنَتْ حُكْمَ الِافْتِدَاءِ عَلَى أَنَّهُ شَيْءٌ يَلْحَقُ جَمِيعَ أَنْوَاعِ الطَّلَاقِ لَا أَنَّهُ شَيْءٌ غَيْرُ الطَّلَاقِ»[302]. ونوضح هذه العبارة الأخيرة، فنقول أن الكلام عن الخلع في قوله تعالى: (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا) ليس مستقلا، بل يتعلق بما قبله (أي بالكلام عن الطلقتين الأوليين) وما بعده (الكلام عن الطلقة الثالثة)، وذلك لأنه يحرم على الرجل أن يسلب مهر زوجته إن أراد طلاقها، فالخلع على هذا فكرة ثانوية في ثنايا الفكرة الرئيسية التي تتكلم عن عدد الطلقات. فالآية لا تعتبر الخلع طلقة ثالثة، بل تعتبره شكلا من أشكال الطلاق، يمكن أن يدخل في أي من الطلقات الثلاث، ففي الطلقة الأولى لا يحل للزوج أن يأخذ المهر إلا إن خاف ألا يقيم حدود الله، وفي الطلقة الثانية لا يحل له أيضا أن يأخذ المهر إلا إن خاف ألا يقيم حدود الله، وفي الطلقة الثالثة نفس الشيء.

299) بداية المجتهد ونهاية المقتصد (3/ 91)
300) بداية المجتهد ونهاية المقتصد (3/ 91)
301) بداية المجتهد ونهاية المقتصد (3/ 91)
302) بداية المجتهد ونهاية المقتصد (3/ 91)

وعلى هذا فليس في الآيات أربع طلقات، بل ثلاث، وفي كل منها لا يحل للرجل أن يأخذ المهر دون حق.

ورجح ابن القيم أن يكون الخلع فسخا، وليس طلاقا، فقال[303]:

[وَفِي أَمْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُخْتَلِعَةَ أَنْ تَعْتَدَّ بِحَيْضَةٍ وَاحِدَةٍ دَلِيلٌ عَلَى حُكْمَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَيْهَا ثَلَاثُ حِيَضٍ بَلْ تَكْفِيهَا حَيْضَةٌ وَاحِدَةٌ، وَهَذَا كَمَا أَنَّهُ صَرِيحُ السُّنَّةِ فَهُوَ مَذْهَبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ والربيع بنت معوذ وَعَمِّهَا وَهُوَ مِنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ لَا يُعْرَفُ لَهُمْ مُخَالِفٌ مِنْهُمْ، كَمَا رَوَاهُ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ نَافِعٍ مَوْلَى ابْنِ عُمَرَ: «أَنَّهُ سَمِعَ الربيع بنت معوذ بن عفراء وَهِيَ تُخْبِرُ عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهَا اخْتَلَعَتْ مِنْ زَوْجِهَا عَلَى عَهْدِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَجَاءَ عَمُّهَا إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ ابْنَةَ معوذ اخْتَلَعَتْ مِنْ زَوْجِهَا الْيَوْمَ أَفَتَنْتَقِلُ؟ فَقَالَ عثمان: (لِتَنْتَقِلْ وَلَا مِيرَاثَ بَيْنَهُمَا وَلَا عِدَّةَ عَلَيْهَا، إِلَّا أَنَّهَا لَا تَنْكِحُ حَتَّى تَحِيضَ حَيْضَةً خَشْيَةَ أَنْ يَكُونَ بِهَا حَبَلٌ») فَقَالَ عبد الله بن عمر: فعثمان خَيْرُنَا وَأَعْلَمُنَا، وَذَهَبَ إِلَى هَذَا الْمَذْهَبِ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي رِوَايَةٍ عَنْهُ، اخْتَارَهَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابن تيمية. قَالَ مَنْ نَصَرَ هَذَا الْقَوْلَ: هُوَ مُقْتَضَى قَوَاعِدِ الشَّرِيعَةِ **فَإِنَّ الْعِدَّةَ إِنَّمَا جُعِلَتْ ثَلَاثَ حِيَضٍ لِيَطُولَ زَمَنُ الرَّجْعَةِ، فَيَتَرَوَّى الزَّوْجُ وَيَتَمَكَّنُ مِنَ الرَّجْعَةِ فِي مُدَّةِ الْعِدَّةِ، فَإِذَا لَمْ تَكُنْ عَلَيْهَا رَجْعَةٌ، فَالْمَقْصُودُ مُجَرَّدُ بَرَاءَةِ رَحِمِهَا مِنَ الْحَمْلِ وَذَلِكَ يَكْفِي فِيهِ حَيْضَةٌ، كَالِاسْتِبْرَاءِ.** قَالُوا: وَلَا يَنْتَقِضُ هَذَا عَلَيْنَا بِالْمُطَلَّقَةِ ثَلَاثًا، فَإِنَّ بَابَ الطَّلَاقِ جَعَلَ حُكْمَ الْعِدَّةِ فِيهِ وَاحِدًا بَائِنَةً وَرَجْعِيَّةً. قَالُوا: وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْخُلْعَ فَسْخٌ وَلَيْسَ بِطَلَاقٍ، وَهُوَ مَذْهَبُ ابْنِ عَبَّاسٍ وعثمان وَابْنِ عُمَرَ والربيع وَعَمِّهَا وَلَا يَصِحُّ عَنْ صَحَابِيٍّ أَنَّهُ طَلَاقٌ الْبَتَّةَ][304].

ونحن نرى أن الخلع طلاق بنص الحديث، فقد ثبت في صحيح البخاري أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال لثابت بن قيس: «اقْبَلِ الحَدِيقَةَ وَطَلِّقْهَا تَطْلِيقَةً». وإذا كان الرسول عليه السلام قد وصفه بأنه طلاق، فليس لنا أن نلتمس له وصفا آخر. قَالَ الْقَاضِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ

303) **زاد المعاد في هدي خير العباد** (5/ 179). تأليف محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية. مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت. الطبعة: السابعة والعشرون- 1415هـ /1994م

304) قال ابن القيم أيضا: [وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِطَلَاقٍ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رَتَّبَ عَلَى الطَّلَاقِ بَعْدَ الدُّخُولِ الَّذِي لَمْ يَسْتَوْفِ عَدَدَهُ ثَلَاثَةَ أَحْكَامٍ كُلُّهَا مُنْتَفِيَةٌ عَنِ الْخُلْعِ. أَحَدُهَا: أَنَّ الزَّوْجَ أَحَقُّ بِالرَّجْعَةِ فِيهِ. الثَّانِي: أَنَّهُ مَحْسُوبٌ مِنَ الثَّلَاثِ فَلَا تَحِلُّ بَعْدَ اسْتِيفَاءِ الْعَدَدِ إِلَّا بَعْدَ زَوْجٍ وَإِصَابَةٍ. الثَّالِثُ: أَنَّ الْعِدَّةَ فِيهِ ثَلَاثَةُ قُرُوءٍ. وَقَدْ ثَبَتَ بِالنَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ أَنَّهُ لَا رَجْعَةَ فِي الْخُلْعِ، وَثَبَتَ بِالسُّنَّةِ وَأَقْوَالِ الصَّحَابَةِ أَنَّ الْعِدَّةَ فِيهِ حَيْضَةٌ وَاحِدَةٌ، وَثَبَتَ بِالنَّصِّ جَوَازُهُ بَعْدَ طَلْقَتَيْنِ، وَوُقُوعِ ثَالِثَةٍ بَعْدَهُ، وَهَذَا ظَاهِرٌ جِدًّا فِي كَوْنِهِ لَيْسَ بِطَلَاقٍ]. انظر: **زاد المعاد في هدي خير العباد** (5/ 181)

إِسْحَاقَ: كَيْفَ يَجُوزُ الْقَوْلُ فِي رَجُلٍ قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: طَلِّقْنِي عَلَى مَالٍ فَطَلَّقَهَا إِنَّهُ لَا يَكُونُ طَلَاقًا، وَهُوَ لَوْ جَعَلَ أَمْرَهَا بِيَدِهَا مِنْ غير شي فَطَلَّقَتْ نَفْسَهَا كَانَ طَلَاقًا![305]

والسؤال الثانى: إذا كان الخلع طلاقا، فهل هو رجعى أم بائن؟

يرى جمهور الفقهاء أنه طلاق بائن لأن المرأة أعطت المال نظير عِوَض، وهو خلاص عصمتها، ولايكون الخلاص إلا إذا كان الطلاق بائنا[306]. يقول ابن رشد: «وَجُمْهُورُ مَنْ رَأَى أَنَّهُ طَلَاقٌ يَجْعَلُهُ بَائِنًا، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ لِلزَّوْجِ فِي الْعِدَّةِ مِنْهُ الرَّجْعَةُ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لِافْتِدَائِهَا مَعْنًى»[307]، لكن «رُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، وَابْنِ شِهَابٍ أَنَّهُمَا قَالَا: إِنْ رَدَّ لَهَا مَا أَخَذَ مِنْهَا فِي الْعِدَّةِ أَشْهَدَ عَلَى رَجْعَتِهَا»[308].

ورأى الظاهرية أن الخلع طلاق رجعي؛ يقول ابن حزم: «قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: قَدْ بَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى حُكْمَ الطَّلَاقِ، وَأَنَّ {وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ} [البقرة: 228] وَقَالَ {فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ} [الطلاق: 2] فَلَا يَجُوزُ خِلَافُ ذَلِكَ. وَمَا وَجَدْنَا قَطُّ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا عَنْ رَسُولِهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – طَلَاقًا بَائِنًا لَارَجْعَةَ فِيهِ، إلَّا الثَّلَاثُ مَجْمُوعَةً أَوْ مُفَرَّقَةً، أَوْ الَّتِي لَمْ يَطَأْهَا، وَلَا مَزِيدَ – وَأَمَّا عَدَا ذَلِكَ فَآرَاءٌ لَا حُجَّةَ فِيهَا. وَأَمَّا رَدُّهُ مَا أَخَذَ مِنْهَا فَإِنَّمَا أَخَذَهُ لِئَلَّا تَكُونَ فِي عِصْمَتِهِ، فَإِذَا لَمْ يَتِمَّ لَهَا مُرَادُهَا فَمَالُهَا – الَّذِي لَمْ تُعْطِهِ إلَّا لِذَلِكَ – مَرْدُودٌ عَلَيْهَا»[309].

ونحن نرى أن الخلع طلاق بائن لأن الرسول عليه الصلاة والسلام أمر امرأة ثابت بن قيس أن تعتد بحيضة واحدة (فَأَمَرَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَتَرَبَّصَ حَيْضَةً وَاحِدَةً، فَتَلْحَقَ بِأَهْلِهَا). رواه النسائى، وسنده صحيح على شرط البخاري[310]. وقصر العدة على حيضة واحدة بدلا من ثلاث معناه أن الشريعة تريد أن تغلق باب الرجعة بعد الخلع، فاتفاق الخلع بطبعه اتفاق دائم، فمن البديهي أن المرأة أعطت زوجها المهر كي يطلقها طلاقا لا رجعة فيه، ولم تعطه المهر كي يطلقها اليوم، ثم يردها غدا إن غير رأيه. واقتصار العدة على حيضة واحدة هدفه

305) **تفسير القرطبي** (3/ 144)
306) **فقه السنة** (2/ 274)
307) **بداية المجتهد ونهاية المقتصد** (3/ 91)
308) **بداية المجتهد ونهاية المقتصد** (3/ 92)
309) **المحلى بالآثار** (9/ 519-518)
310) أخرجه النسائي، وسنده صحيح، على شرط البخاري. انظر: **صحيح سنن أبي داود** (6/ 430) للألباني

استبراء الرحم، أي معرفة هل الأم حامل أم لا كى ينسب الجنين لأبيه الحقيقى حتى لو حدث طلاق.

وإذا كان البعض قد استنتج أن الحيضة الواحدة تدل بالذات على أن الخلع فسخ، فنحن نقول: ولماذا لا يكون مدلولها أنه طلاق بائن؟ كلاهما محتمل. ويرجح كونه طلاقا وصف الرسول عليه الصلاة والسلام للخلع بأنه طلاق.

"الله" في مشهد الخلع

الخلع ليس مجرد اتفاق بين طرفين هما الزوج والزوجة. الله تعالى يجب أن يكون الطرف الثالث في هذا الاتفاق، وهذا ما نفهمه من عبارة (حدود الله) فى آية الخلع: {وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ} [البقرة: 229]. فما معنى (حدود الله)؟

إن عبارة (حدود الله) في غاية الروعة، فهي تعني أن هناك حدودا رسمها الله تعالى لكل من الزوجين، فلا يجوز لأي منهما أن يتخطاها، وأن الزوجين المتصارعين مقيدان بواجبات فرضها الله تعالى على كل منهما تجاه الآخر، ومن يقصر في أداء هذه الواجبات يتعرض لعقاب الله.

وعلينا أن نقول للمرأة التي تطلب الخلع: " **راجعي نفسك، فالخلع لا يباح لك إلا إذا كنت تخشين ألا تقيمي حدود الله**". وهنا ستسأل الزوجة: "وما حدود الله؟" فنقول لها: من أهم حدود الله طاعة الزوج، فهل تشعرين الآن أنك إن بقيت مع زوجك فلن تقدري على طاعته، وستصبحين مستحقة لعقاب الله. وهنا ستكتشف الزوجة أن هناك فريضة كانت غائبة عن بالها اسمها "طاعة الزوج"، فقد كانت تتكبر على زوجها، وتعتقد أن عليه أن يلبي كل رغباتها، ولا يجوز له أن يأمرها وينهاها، ولا يحل له أن يضربها أو يتزوج عليها. في هذه اللحظة ستكتشف الزوجة أنها **تفر من حدود الله لتقع في حدود الله**، فهي إن اختلعت، ثم تزوجت من رجل آخر فسيكون عليها واجب طاعته، وستكرر مشكلتها، ولا حل إلا بأن تغير هي من طبعها. وعلى هذا **فالغالبية العظمى من النساء المختلعات اليوم آثمات لأنهن لم يفكرن في الله ولا في حدود الله حين طلبن الخلع**، وبالعكس هن ما طلبن الخلع إلا لأنهن لا يتقبلن من الأصل مبدأ طاعة الزوج، وتريد الواحدة منهن أن تكون حاكم البيت، الذي يأمر فيطاع.

ومن حدود الله على الزوج معاملة زوجته بالمعروف، كما في قوله: {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ} [النساء: 19]، وقوله: {فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ} [البقرة: 229]. وعلى هذا فإن عرضت المرأة الخلع على الزوج فعليه أن يعلم أنه لا يباح له قبول العرض إلا إذا خشي ألا يقيم حدود الله. وهنا سيكتشف أن هناك شيئا اسمه حدود الله، وربما يدرك أنه حين كان يضرب زوجته بعنف أو يسبها بألفاظ فاحشة كان يتعدى على حدود الله. وهنا قد يثوب إلى رشده، ويحسن معاملتها، فيعود الوئام بين الزوجين.

ومن أهم حدود الله التي يجب مراعاتها بين الزوجين الحذر من الوقوع في الزنا. ولعلكم تذكرون كيف كانت الزوجة في الأفلام العربية القديمة تَلقى من زوجها غلظة في المعاملة أو جفافا في العاطفة، فتقع في غرام رجل آخر، وتخون زوجها، وضميرها في غاية الراحة. وبالمثل كان الرجل يعاني من إهمال زوجته لجمالها، فيخونها مع امرأة جميلة، ملقيا باللوم كله على الزوجة . **لقد** صورت الأفلام العربية الزوج الزاني والزوجة الزانية على أنهما ضحيتان، **أما في الإسلام فسوء طباع الزوج لا يبرر خيانته لأن الخيانة جريمة في حق الله قبل أن تكون في حق الزوج. وكلمة (الخيانة) هي في الحقيقة مرادف علماني للزنا.**

إن **عبارة (حدود الله) فيها إشارة مدهشة إلى أن أحد الزوجين إن كره شيئا من الآخر، فهذه الكراهية لا تبيح له أن يظلمه أو يَحرمه من حقوقه لأنه بهذا يتجاوز حدودا خطها الله، فالخصومة ليست مقتصرة على الزوجين، ولكن الله تعالى طرف ثالث معهما، فمن يتَعَد على زوجه يتعد في نفس الوقت على الله. إن ظهور الله تعالى في المشهد يغير الصورة تماما.**

وعلى ذلك فإن كرهت المرأة زوجها، فلا يجوز لها أن تمتنع عن إجابة طلبه للجماع، أو تهمل تنظيف البيت حتى تؤذى عينيه، أو تتعمد إعداد طعام غير شهى له، أو تسيء تنظيف ملابسه، أو تسكب الشاي على أوراقه، أو تخرج أسراره إلى الناس، أو تعمل على استمالة الأبناء إلى صفها، وتملأ قلوبهم ببغض أبيهم، فتكون سببا فى قطع صلة الرحم. وكم من ابن عق أباه ظنا منه أنه بهذا يبر أمه. وقد تفرح المرأة إن خسر زوجها ماله فى إحدى الصفقات حتى لا يجعله المال يفكر فى الزواج بأخرى، مع أن الواجب على المسلم أن يتمنى الخير للمسلم. وأحيانا يصل

الأمر بالمرأة إلى أن تدعو على زوجها، وتتمنى له الموت إن مرض بدلا من أن تدعو له بالشفاء مع أن ما بينهما من خلافات يدخل في باب التوافه من الأمور.

وإن كره الرجل من زوجته شيئا فليعلم أن هذه الكراهية لا تبيح له أن يحرمها من حقوقها التى فرضها الله تعالى عليه، فلا يهجرها فى الفراش لأكثر من الفترة التى أباحها الله (أربعة أشهر)، ولا يحرمها من النفقة وهو موسر، ولا يضربها ضربا مبرحا، ولا يشتمها بألفاظ فاحشة، ولايميل للزوجة الثانية ويهملها، ولا يمنعها من زيارة أهلها دون مبرر، ولا يمدح جمال النساء الأخريات أمامها كى يوغر صدرها. ووصل الفجور بأحدهم إلى أن حلف بالطلاق على زوجته ألا تصوم رمضان مدى الحياة، فكانت المسكينة تصوم اليوم كله سرا، ثم تفطر قبيل المغرب ببضع دقائق!

إن الخلافات الزوجية تحول الرجل إلى وحش كاسر، وتحول المرأة إلى حية رقطاء، وتخرج من الزوجين أسوأ ما فيهما، فيتعجب من يراهما كيف فعلا ذلك، رغم ما يشهد به الجميع لهما من حسن الخلق؟ أما الزوج ذو الطبع السيء من الأصل فما أسهل أن يزداد سوءا، ويتفنن فى إيذاء زوجته إن اختلف معها. وما أيسر أن تبدع المرأة الخبيثة فى الانتقام من زوجها إن اختلفت معه. وكل هذا مرفوض، **فهناك حدود لله، يجب مراعاتها بين الزوجين حتى مع وجود الشقاق.**

والآن بعد أن اكتشفت الزوجة أن هناك شيئا اسمه "حدود الله" عليها أن تسأل نفسها: "**هل من المستحيل علىَّ أن أقيم حدود الله؟** هل من المستحيل أن أؤدى واجباتى التى فرضها الله علىَّ تجاه زوجى؟" فإن وجدت الزوجة أن هذا شديد الصعوبة (كأن يكون الزوج مدمنا، أو مرتشيا، أو شاذا، أو زانيا، أو فاحش القول، أو يضربها ضربا جنونيا) حق لها أن تطلب الخلع. أما إن وجدت أن هناك أملا، كان عليها أن تصبر على عيوب الزوج، وتنصت إلى انتقاداته لها، وتحاول قدر الإمكان ألا تحرمه من حقوقه الشرعية، وألا تتطلع إلى رجل غيره، فإن أخفقت، وشعرت أنها لن تقدر على الالتزام بحدود الله، فيمكنها حينئذ أن تطلب الخلع، فالخلع أهون من معصية الله.

معنى هذا أن **مجرد غضب الزوجة من زوجها لا يبيح لها الخلع، وعليها أن تراجع نفسها أولا لترى هل هي تخشى ألا تقيم حدود الله أم لا.** وحينئذ ستكتشف– أو تتذكر– أن هناك شيئا اسمه حدود الله، وستكتشف أنها حين ترد على سوء معاملة زوجها فإنها أحيانا تتعدى على تلك

الحدود. وهذا قد يجعلها تثوب إلى رشدها، وتحسن معاملة الزوج، فيحسن إليها في المقابل. كما يجب عليها أن تفتش جيدا في نفسها، وتتساءل عن مدى قدرتها على الحفاظ على حدود الله مع زوجها قبل أن تشرع في طلب الخلع.

ونفس الأمر ينطبق على الزوج الذي تثير زوجته المشاكل باستمرار، فعليه هو الآخر أن يسأل نفسه: "**هل من المستحيل أن أصبر على عيوبها وأراعى حدود الله فيها؟**" فإن وجد أنه لا أمل، وخشى أن يغضب الله فى زوجته، كأن يضربها في سورة غضب ضربا مبرحا، أو يهجرها فى المضجع لفترات طويلة، فتحدثها نفسها بالزنا، إن حدث هذا فعليه أن يرضى بالخلع.

ومن الممكن أيضا أن نفهم أن خوف الزوج المتضمن في قوله تعالى (إلا أن يخافا) يشير إلى حالة الزوجة الجميلة المتطلعة لرغد العيش، والتي ندمت على الزواج من رجل فقير أو دميم، ففى مثل هذه الحالة قد يخشى الزوج أن تنحرف زوجته، وتميل في الحرام إلى رجل يوافق تطلعاتها، وهنا يصبح من الواجب على الزوج أن يقبل الخلع. وقد يجد الزوج أن فقدان العاطفة بينه وبين زوجته جعله يميل إلى امرأة أخرى سعيا إلى استعادة الرومانسية المفقودة، فيوشك أن يقع فى الحرام، وهو لا يقدر على الزواج بامرأة أخرى، فيكون من الأفضل له أن يقبل الخلع، فيأخذ المهر، ويتزوج به من امرأة أخرى.

وعلينا أن نلاحظ أن الخوف من عدم القدرة على إقامة حدود الله هو أمر قلبى، ولا يمكن لنا أن نُكذب أحد الزوجين إن ادعاه. ولهذا فالخلع يقع بمجرد طلب الزوجة وموافقة الزوج، وحسابهما على الله. ولكن ظهور الله تعالى في مشهد الخلع يغيره بشكل جذري، فبدون الإيمان تفقد القوانين قوتها. الوازع الديني الداخلي هو الذي يجعل الإنسان يطبق القانون على الوجه الأمثل دون تحايل.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

هل يقع الخلع رغما عن الزوج؟

لا خلاف على أن الخلع تشريع إسلامى أصيل، لكن الذي حدث هو أن نظام حسنى مبارك فرض علينا قانونا يجعل الخلع يقع دون موافقة الزوج، فيكفي أن تحضر الزوجة إلى المحكمة،

وتقرر صراحة أمام القاضي أنها تبغض الحياة مع زوجها، وأنه لا سبيل لاستمرار الحياة الزوجية، وتخشى ألا تقيم حدود الله بسبب هذا البغض، فيصدر لها حكم بالخلع في خلال شهور قليلة. وكان هذا ضمن حزمة من القوانين التى صيغت لتمكين المرأة، وقلب الأوضاع داخل الأسرة المسلمة، تنفيذا للمخططات الماسونية الهادفة إلى تخريب الحياة البشرية كما وضعها الله. ومن جانبنا نحن نؤكد أن الإسلام حين شرع الخلع فإنه لم يلغ إرادة الرجل، ولم يهمل موافقته.

السُّنة وإكراه الزوج على الخلع

من ينظر إلى الروايات المتعلقة بالخلع لن يجد فيها ما يفيد بأن ثابت بن قيس كان متمسكا بالبقاء مع زوجته. ولو كان حريصا على البقاء معها لأخذ يجادل الرسول عليه الصلاة والسلام، مظهرا حبه لها وحرصه على عدم هدم الأسرة، مثلما فعلت خولة بنت ثعلبة، التى ظاهرها زوجها، فاشتكت لرسول الله عليه السلام، وظلت تجادله حتى نزل القرآن مؤيدا لها.

ولو رأى الرسول عليه الصلاة والسلام من ثابت بن قيس حرصا على التمسك بزوجته لحاول بقوة الإصلاح بينهما، فقد كان الرسول يحرص على عمار البيوت، مثلما حاول الإصلاح بين بريرة جارية عائشة وزوجها الذي كان يبكي على فراقها: روى البخارى [أَنَّ زَوْجَ بَرِيرَةَ كَانَ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ مُغِيثٌ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِي وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى لِحْيَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعبَّاسٍ: «يَا عَبَّاسُ، أَلاَ تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ، وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا» فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ رَاجَعْتِهِ» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ» قَالَتْ: لاَ حَاجَةَ لِي فِيهِ].

بيد أن الرواة لم ينقلوا لنا أى إشارة مماثلة على تمسك ثابت بن قيس بزوجته، بل إن هناك من الروايات ما يفيد خلاف ذلك؛ فقد روي أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لثابت بن قيس: (خذ بعض مالها وفارقها)، فرد عليه: (ويصلح ذلك يا رسول الله)، فقال: (نعم). قال: (فإني أصدقتها حديقتين، وهما بيدها)، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (خذهما وفارقها)[311]. ونلاحظ فى هذه الرواية أن ثابت بن قيس كان تركيزه منصبا على إجراءات الفراق، لا على الفراق نفسه، إذ تراه يسأل ما إذا كان استرداد بعض المهر حلالا أم حراما، كما كان حريصا على استرداد المهر

311) رواه أبو داود بإسناد حسن، وصححه الشيخ أحمد محمد شاكر كما ذكرنا من قبل.

كاملا، وهذا يجعل المرء يعتقد أن ثابت بن قيس كان راضيا بالفراق. ورغم أن الرواية الأخيرة مختلف في صحتها، إلا أنها تقدم دليلا متوسطا على ما نذهب إليه.

ويلوح لنا أن هناك سببا، دفع الرسول عليه الصلاة والسلام إلى أن يكلم ثابت بن قيس بلهجة بدت للبعض على أنها إلزام له بفراق زوجته، وذلك حين قال له: "اقبل الحديقة وطلقها تطليقة". لقد كان ثابت بن قيس مقربا من الرسول عليه الصلاة والسلام، وكان يلقب بخطيب رسول الله كما ذكر البخارى، أي أنه كان يلعب نفس الدور الذي يقوم به اليوم الصحفيون المقربون من الرؤساء والملوك. ودور ثابت بن قيس يناظر دور حسان بن ثابت الذي كان يلقب بشاعر الرسول. وكانت زوجة ثابت بن قيس هي جميلة ابنة زعيم المنافقين عبد الله بن أُبى بن سلول كما ذكرت بعض الروايات. معنى هذا أن الخلاف العائلى المحدود بين ثابت بن قيس وزوجته يمكن أن يتطور، وينفخ فيه الخبثاء، فيتم تصويره على أنه خلاف بين رجل موال لزعيم المسلمين وابنة زعيم المعارضة السياسية (المنافقين)، فتنشب الفتنة، إذ ما أسهل أن يقال أن محمدا يحرض صاحبه ثابت بن قيس كي يسىء معاملة زوجته، نكاية في أبيها وأهلها، أو أن الرسول يسكت على سوء المعاملة، وكأنه يرضى عنه. وقد يترتب على هذه الفتنة أن تشعر الزوجة بالنفور من الرسول اعتقادا منها بأنه لو شاء لحمل زوجها على حسن معاملتها كما يردد المنافقون حولها. وقد يتطور ذلك إلى ارتدادها عن الإسلام. وليس هذا ببعيد، فقد سمعنا في هذا العصر عن نساء أوربيات اعتنقن الإسلام، وتزوجن من رجال مسلمين، فلما حدثت خلافات زوجية ارتددن عن الإسلام.

حقا نحن لا نعرف هل كان عبد الله بن أُبى حيا وقت طلاق ابنته أم لا، كما نعرف أن الزوجة وأخاها كانا مؤمنين مخلصين، لكن من المؤكد أن أغلب أقارب الزوجة كانوا منافقين، فما كان لعبد بن أُبى أن يتمتع بكل هذه الجرأة في معارضة الرسول سياسيا وعسكريا (كما في غزوة أحد حين انسحب بثلث الجيش) لو لم يكن يحظى بالدعم من أهله وعشيرته.

وعلى ذلك فاللهجة التي كلم بها الرسول عليه السلام ثابت بن قيس كى يطلق زوجته لا تعنى بالضرورة أن كل الأزواج لا خيار لهم إن طلبت نساؤهم الخلع. ومن المحتمل أن يكون الرسول

عليه الصلاة والسلام قد رأى أن طلاق المرأة ضرورة لوأد أزمة سياسية في مهدها، فمعظم النار من مستصغر الشرر.

وإذا عدنا إلى رواية البخارى – وهي أصح الروايات– لوجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لثابت: "اقبل الحديقة وطلقها تطليقة". **ولو كان من الجائز شرعا للحاكم أن يجبر الزوج على الخلع لوجدنا الرسول صلى الله عليه وسلم يأخذ المهر من الزوجة، ويعطيه لثابت بن قيس، ويخبره بأنه قد حكم بفراقهما وأنها لم تعد زوجته**. ولكن الرواية تظهر أن رأى ثابت لم يكن تحصيل حاصل. إن **قول الرسول صلى الله عليه وسلم لثابت: "طلقها" لا بد أن يفهم منه أن الزوج لم يفقد سلطة الطلاق، إذ ما الحاجة لأن يطلقها ثابت ما دام لها الحق الكامل فى أن تفارقه رغم أنفه؟ ولماذا لم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم لثابت: " خذ الحديقة وهي طالق"، أو: "خذ الحديقة وهي لم تعد لك زوجا"**، أو غير ذلك من الألفاظ التى تدل على أن الزوج لا يملك من الأمر شيئا؟

وقد فهم البعض من قول الرسول عليه السلام: **(**اقبل الحديقة، وطلقها**)** أن هذا إلزام لثابت بن قيس بأن يفارق زوجته، لكن نحن لا نرى الأمر كذلك، **فمن الجائز جدا أن تفهم هذه العبارة على أنها نصيحة أو مشورة، فقد يقول الرجل لصديقه: (اسمع كلامى)**، وهو لا يقصد أن يلزمه، أو يجبره على طاعته، بل يريد أن ينصحه، ويشير عليه بما فيه مصلحته.

إذن قصة ثابت بن قيس لا تعبر عن حالة عامة، ولكن عن حالة خاصة، ألا وهي حالة الزوجة التى تريد الفراق، وزوجها يوافق مقابل استرداد المهر. **أما الزوجة التى تريد الفراق، بينما يرفضه الزوج، فقصة ثابت بن قيس لا تقول عنها شيئا، ولا يصح الاستشهاد بها.**

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

القرآن وإكراه الزوج على الخلع

سنقدم الآن دليلا قاطعا على أن الخلع لا يقع إلا بموافقة الزوج. لنعد إلى الآية التى شرعت الخلع:{الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ

شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [البقرة: 229]

إن هذه الآية تخبرنا أن الرجل لا يحل له أن يأخذ بالقوة شيئا من المهر الذي سبق أن أعطاه لزوجته إلا إذا طلبت الزوجة منه أن يطلقها مقابل رد المهر له.

ومفتاح الفهم الدقيق لهذه الآية يتطلب ملاحظة استخدام القرآن البديع للضمائر.

انظر**!** إن الله تعالى يقول: **(**إلا أن **يخافا** ألا يقيما حدود الله**)** ولم يقل **(**إلا أن **تخاف** ألا تقيم حدود الله**)**.

وقال: **(**فإن **خفتم** ألا يقيما حدود الله**)**، ولم يقل **(**فإن **خافا** ألا يقيما حدود الله**)**.

وقال: **(**فلا جناح **عليهما** فيما افتدت به**)**، ولم يقل **(**فلا جناح **عليكم** فيما افتدت به**)**.

فهل هذا تلاعب عبثى بالألفاظ، أم أن الله تعالى يريد توصيل رسائل مهمة من خلال إشارات لفظية لطيفة؟

أولا: لماذا قال تعالى: (يخافا) ولم يقل (تخاف)؟

نقول إن وجود ألف الاثنين في (يخافا) يعنى أن الخلع لا يجوز إلا إذا خافت الزوجة ألا تقيم حدود الله، وخاف الزوج أيضا ألا يقيم حدود الله، أى أن خوف الزوجة وحده لا يكفي. وإن أرادت الزوجة أن تختلع، ورفض الزوج (اقناعا منه بأنه يستطيع أن يعيش معها دون أن يتعدى على حدود الله) لم يقع الخلع. هب أن رجلا تزوج فتاة مدللة، فحدثت مشاكل بينهما بسبب شعورها بالوحدة لأنه يقيم معها لمدة أسبوع، ويعمل فى مكان بعيد لمدة أسبوع، لكن الرجل كان يرى أن يصبر عليها أملا فى أن ترزق فى المستقبل القريب بأولاد، فيزول شعورها بالوحدة. وفي نفس الوقت كان الزوج يعلم جيدا أن امرأته مستقيمة، ولن تدفعها غيبته إلى خيانته. فإن أصرت الزوجة على الخلع فهل نجبر الزوج على قبوله رغم أنه لا يخشى ألا يقيم حدود الله فيها، ولا يخشى ألا تقيم زوجته حدود الله فيه؟ الآية لا تبيح ذلك لأن كلمة (يخافا) توجب شعور الرجل بالخوف كي يقع الخلع.

سنجد كذلك أن القرآن يقول: **(فإن خفتم ألا يقيما حدود الله)**. وتأمل كلمة (خفتم) التي استخدمها القرآن بدلا من (خافا). هذا يعني أن الخطاب موجه للمؤمنين عامة. وعلى هذا، **فلا يكفي أن يخاف الزوجان من أن حدود الله لن تقام، بل يجب كذلك أن يخاف المؤمنون –خاصة أقارب الزوجين– من عدم قدرتهما على إقامة حدود الله.** وخوف المؤمنين من ذلك لا يكون إلا إذا فقدوا الأمل فى الصلح بعد بذل جهود جادة للإصلاح. إذن إن اتفق الزوجان على الخلع (خافا ألا يقيما حدود الله) فعلى الأقارب أن يتدخلوا للصلح بينهما عملا بقول الله تعالى:{وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا} [النساء: 35].

ونحب أن ننبه إلى أن **قوله تعالى (فإن خفتم ألا يقيما حدود الله) لا يعنى أن المؤمنين (خاصة أقارب الزوجين أو ولاة الأمور أو القضاة) يمكنهم أن يفرضوا الخلع على الرجل قسرا**، وذلك لسببين: أولهما وجود حرف (الفاء)، فالقرآن قال (فإن خفتم) ولم يقل (وإن خفتم). وحرف الفاء يدل على أن ما بعده نتيجة لما قبله، وهذا يعنى أن خوف المؤمنين ترتب على خوف الزوجين. الزوجان كلاهما يخاف، وبعد ذلك يأتي خوف الأقارب وولاة الأمور، والعكس غير صحيح طبقا لألفاظ الآية. ثانيا: لو كان من حق المؤمنين إنفاذ الخلع رغما عن الزوج لما قالت الآية: (فلا جناح عليهما)، ولقالت: (فلا جناح عليها) لأن الزوج فى هذه الحالة أكره على الخلع، فكيف ينفى القرآن عنه تهمة لم يوجهها أحد إليه؟ إن كلمة (عليهما) في قوله: (فلا جناح عليهما) تنفى عن الرجل الإثم بسبب قبوله الخلع، وتنفى عن الزوجة الإثم بسبب طلب الخلع.

وأحب أن أقول أننى فى بداية حياتى الثقافية كنت أنظر بإعجاب شديد إلى شريعة الخلع التي تمثل برهانا على إكرام الإسلام للمرأة، لكن لما شرعت حكومة مبارك فى سن قانون الخلع تصدى لها الكثيرون، وكانت جريدة الشعب – لسان حال حزب العمل الإسلامى– فى طليعة المعارضين لهذا القانون، حيث شنت عليه حملة جبارة. ورغم تأييدى لأغلب آراء جريدة الشعب إلا أننى لم أستطع أن أجاريهم فى معارضتهم للخلع، فقد لاحظت أنهم لا يقدمون لنا أى دليل شرعى على أن الخلع يشترط فيه موافقة الزوج، وبدا لى أن كلامهم أجوف وبلا سند، ومع ذلك كان لدى تعاطف كبير معهم لأن قانون الخلع طرحه نظام معاد للإسلام، ولا بد أنه لا يريد خيرا من ورائه. واستمر حالي على هذا المنوال إلى أن لاحظت ذات مرة وأنا أستمع إلى آية الخلع (البقرة 229)

فى المذياع أن القرآن قال: (يخافا)، وليس: (تخاف). حينئذ فقط تجلى لى الحق، واستنار السبيل، وعثرت على الدليل الذي لا يقبل الشك فى أن الخلع لا يجوز رغما عن إرادة الزوج، فالحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

ها نحن أولاء قد رأينا كيف أنه لا القرآن ولا السنة يبيحان للمرأة الخلع دون إرادة الزوج. هذا ما تقوله النصوص، هذا كلام القرآن والسنة وليس كلامنا. إننا مجرد أتباع لنصوص الشرع؛ نسير وراءها، ولا نجرها خلفنا؛ ننقاد إليها ولا نقودها.

الفقهاء وإكراه الزوج على الخلع

اختلف الفقهاء في إكراه الزوج على الخلع أو الطلاق. وقديما كان الإكراه يأتي من مصدر واحد هو الحكمين اللذين أمر القرآن ببعثهما للصلح بين الزوجين. وبالنسبة للمذاهب الأربعة رأى **أبو حنيفة والشافعي** أن الحكمين ليس لهما سلطة التفريق بين الزوجين، بينما رأى **مالك** أن التفريق من سلطة الحكمين. **واختلفت الرواية عن الإمام أحمد.**

ورأي الحنفية والشافعية مبني على أن الولاية على الطلاق مختصة بالأزواج أو من ينوب عنهم، فإذا أناب الزوج الحكمين في الطلاق كان لهما ذلك[312]. واتفق معهم الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، فرأى أن للحكمين **أَنْ يُصْلِحَا، وَلَيْسَ لَهُمَا أَنْ يُفَرِّقَا**. وعَنْ قَتَادَةَ: **إِنَّمَا بُعِثَ الْحَكَمَانِ لِيُصْلِحَا، فَإِنْ أَعْيَاهُمَا ذَلِكَ شَهِدَا عَلَى الظَّالِمِ بِظُلْمِهِ، وَلَيْسَ بِأَيْدِيهِمَا الْفُرْقَةُ**، وَلَا يَمْلِكَانِ ذَلِكَ. وعن عَطَاءٍ: أَنَّ إِنْسَانًا قَالَ لَهُ: **أَيُفَرِّقُ الْحَكَمَانِ؟ قَالَ عَطَاءٌ: لَا، إِلَّا أَنْ يَجْعَلَ الزَّوْجَانِ ذَلِكَ بِأَيْدِيهِمَا**. وقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: **لَيْسَ فِي الْآيَةِ، وَلَا فِي شَيْءٍ مِنْ السُّنَنِ: أَنَّ لِلْحَكَمَيْنِ أَنْ يُفَرِّقَا، وَلَا أَنَّ ذَلِكَ لِلْحَاكِمِ.** وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلا عَلَيْهَا} [الأنعام: 164] . فَصَحَّ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُطَلِّقَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ رَجُلٍ وَامْرَأَتِهِ، إلَّا حَيْثُ جَاءَ النَّصُّ بِوُجُوبِ فَسْخِ النِّكَاحِ فَقَطْ، وَلَا حُجَّةَ فِي قَوْلِ أَحَدٍ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.[313]

وخلافا لذلك قال المالكية بأن الحكمين **ليسا مجرد وكيلين عن الزوجين، بل يمتلكان سلطة الجمع والتفريق بينهما، فيجوز لهما أن يحكما بالخلع إن كانت الزوجة هى المسئولة عن**

---

312) الفقه على المذاهب الأربعة (4/ 349)
313) المحلى بالآثار (9/ 247)

حدوث الشقاق، أما إن كان الزوج هو المخطىء كان على الحكمين أن يصدرا حكما بالطلاق، وليس بالخلع. وطبعا يشترط اتفاق الحكمين على نفس الرأي.

يقول الإمام مَالِكٌ عن الزوجين إن حدثت بينهما خلافات كبيرة لم يتبين فيها الظالم من المظلوم: «فَإِذَا بَلَغَا ذَلِكَ بَعَثَ الْوَالِي رَجُلًا مِنْ أَهْلِهَا وَرَجُلًا مِنْ أَهْلِهِ عَدْلَيْنِ فَنَظَرَا فِي أَمْرِهِمَا وَاجْتَهَدَا، **فَإِنْ اسْتَطَاعَا الصُّلْحَ أَصْلَحَا بَيْنَهُمَا وَإِلَّا فَرَّقَا بَيْنَهُمَا، ثُمَّ يَجُوزُ فِرَاقُهُمَا دُونَ الْإِمَامِ، وَإِنْ رَأَيَا أَنْ يَأْخُذَ مِنْ مَالِهَا حَتَّى يَكُونَ خُلْعًا فَعَلَا**[314]».

ويقول ابن عبد البر[315] عن الدور الذي يلعبه الحكمان فى الفقه المالكى:

«إذا ساء ما بين الزوجين وتفاقم أمرهما وتكرر شكواهما ولا بينة مع واحد منهما ولم يقدر على الاصلاح بينهما بعث الإمام أو القاضي أو الحاكم إن ارتفعا إليه حكمين حكما من أهل الرجل وحكما من أهل المرأة من أهل العدالة وحسن النظر والبصر بالفقة .... وهذا إذا لم يدر ممن الإساءة منهما ولم يوقف على حقيقة أمرهما **وأما إن عرف الظالم منهما فإنه يؤخذ منه الحق لصاحبه ويجبر على إزالة الضرر**. وإذا بعث الإمام الحكمين وأمرهما بالإصلاح فإن عليهما أن يسعيا في الإصلاح جهدهما، فإن لم يستطيعا كان عليهما **إن رأيا أن يفرقا فرقا وإن رأيا أن يجمعا جمعا وتفريقهما جائز على الزوجين** وسواء وافق حكم قاضي البلد أو خالفه وكلهما الزوجان أو لم يوكلاهما والفراق في ذلك طلاق بائن. وللزوجين أن يبعثا الحكمين دون السلطان. **فإن كان الظلم من الزوج فرقا بغير شيء وليس لهما أن يأخذا من الزوجة شيئا على أن يطلقها**. وقد قيل ذلك جائز **وإن كان الظلم منها أخذا منها ما رأياه وكان خلعا** وفرقا بينهما والتطليقة بائنة في ذلك على كل حال سواء أخذا له منها شيئا أم لا، وليس لهما الفراق بأكثر من واحدة.... ولو حكم أحدهما بالتفرقة ولم يحكم به الآخر أو حكم أحدهما بمال وأبي الآخر لم يلزم من ذلك شيء إلا ما اجتمعا عليه»[316]

---

314) **المدونة** (2/ 267)

315) ويؤكد ابن رشد الجد على أن رأى الحكمين ينفذ، حتى لو لم يرض به الزوج أو الزوجة، فتراه يقول عن الزوج والزوجة: «وفي حكم الحكمين لم يختر الطلاق بل أجبره عليه الحكمان كما أجبرا الزوجة على إعطاء المال». انظر: **"المقدمات الممهدات"** (1/ 557)

ويقول الشيخ أحمد الدردير: «وَنَفَذَ طَلَاقُهُمَا -أَيْ الْحَكَمَيْنِ- وَيَقَعُ بَائِنًا وَلَوْ لَمْ يَكُنْ خُلْعًا بِأَنْ كَانَ بِلَا عِوَضٍ وَإِنْ لَمْ يَرْضَ الزَّوْجَانِ بِهِ بَعْدَ إيقَاعِهِ». انظر: **"الشرح الكبير للشيخ الدردير وحاشية الدسوقي"** (2/ 344)

316) الكافي في فقه أهل المدينة (2/ 596). تأليف أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر. تحقيق: محمد محمد أحيد ولد ماديك الموريتاني. مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، المملكة العربية السعودية. الطبعة الثانية، 1400هـ/1980م

أما عن رأي الإمام أحمد، فقد قال الفقيه الحنبلى ابن قدامه[317]: «**وَاخْتَلَفْت الرِّوَايَةُ عَنْ أَحْمَدَ – رَحِمَهُ اللَّهُ –، فِي الْحَكَمَيْنِ، فَفِي إحْدَى الرِّوَايَتَيْنِ عَنْهُ، أَنَّهُمَا وَكِيلَانِ لَهُمَا، لَا يَمْلِكَانِ التَّفْرِيقَ إلَّا بِإِذْنِهِمَا.** وَهَذَا مَذْهَبُ عَطَاءٍ وَأَحَدُ قَوْلَيْ الشَّافِعِيِّ وَحُكِيَ ذَلِكَ عَنْ الْحَسَنِ وَأَبِي حَنِيفَةَ لِأَنَّ الْبُضْعَ حَقُّهُ، وَالْمَالَ حَقُّهَا، وَهُمَا رَشِيدَانِ، فَلَا يَجُوزُ لَغَيْرِهِمَا التَّصَرُّفُ فِيهِ إلَّا بِوَكَالَةٍ مِنْهُمَا، أَوْ وِلَايَةٍ عَلَيْهِمَا. **وَالثَّانِيَةُ، أَنَّهُمَا حَاكِمَانِ، وَلَهُمَا أَنْ يَفْعَلَا مَا يَرَيَانِ مِنْ جَمْعٍ وَتَفْرِيقٍ، بِعِوَضٍ وَغَيْرِ عِوَضٍ، وَلَا يَحْتَاجَانِ إلَى تَوْكِيلِ الزَّوْجَيْنِ وَلَا رِضَاهُمَا.** وَرُوِيَ نَحْوُ ذَلِكَ عَنْ عَلِيٍّ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَالشَّعْبِيِّ وَالنَّخَعِيِّ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَمَالِكٍ وَالْأَوْزَاعِيِّ وَإِسْحَاقَ وَابْنِ الْمُنْذِرِ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى {فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا} [النساء: 35]. فَسَمَّاهُمَا حَكَمَيْنِ، وَلَمْ يَعْتَبِرْ رِضَى الزَّوْجَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: {إِنْ يُرِيدَا إِصْلاحًا} [النساء: 35] فَخَاطَبَ الْحَكَمَيْنِ بِذَلِكَ. وَرَوَى أَبُو بَكْرٍ، بِإِسْنَادِهِ عَنْ عَبِيدَةُ السَّلْمَانِيِّ، أَنَّ رَجُلًا وَامْرَأَةً أَتَيَا عَلِيًّا مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِئَامٌ مِنْ النَّاسِ، فَقَالَ عَلِيٌّ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – ابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ، وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا، فَبَعَثُوا حَكَمَيْنِ، ثُمَّ قَالَ عَلِيٌّ لِلْحَكَمَيْنِ: هَلْ تَدْرِيَانِ مَا عَلَيْكُمَا مِنْ الْحَقِّ؟ إنْ رَأَيْتُمَا أَنْ تَجْمَعَا جَمَعْتُمَا، وَإِنْ رَأَيْتُمَا أَنْ تُفَرِّقَا فَرَّقْتُمَا، فَقَالَتْ الْمَرْأَةُ: رَضِيت بِكِتَابِ اللَّهِ عَلَيَّ وَلِي. فَقَالَ الرَّجُلُ: أَمَّا الْفُرْقَةُ فَلَا. **فَقَالَ عَلِيٌّ كَذَبْت حَتَّى تَرْضَى بِمَا رَضِيَتْ بِهِ.وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَجْبَرَهُ عَلَى ذَلِكَ**.... فَإِنْ قُلْنَا: هُمَا وَكِيلَانِ فَلَا يَفْعَلَانِ شَيْئًا حَتَّى يَأْذَنَ الرَّجُلُ لِوَكِيلِهِ فِيمَا يَرَاهُ مِنْ طَلَاقٍ أَوَصُلْحٍ، وَتَأْذَنَ الْمَرْأَةُ لِوَكِيلِهَا فِي الْخُلْعِ وَالصُّلْحِ عَلَى مَا يَرَاهُ، فَإِنْ امْتَنَعَا مِنْ التَّوْكِيلِ، لَمْ يُجْبَرَا. **وَإِنْ قُلْنَا: إنَّهُمَا حَكَمَانِ. فَإِنَّهُمَا يُمْضِيَانِ مَا يَرَيَانِهِ مِنْ طَلَاقٍ وَخُلْعَ، فَيَنْفُذُ ذَلِكَ عَلَيْهِمَا، رَضِيَاهُ أَوْ أَبَيَاهُ**».

وكما ترون، فمن يعتقدون أن للحكمين سلطة التفريق بين الزوجين يستندون إلى ما رواه الطبرى، قال: «جاء رجل وامرأته بينهما شقاقٌ إلى علي رضي الله عنه، مع كل واحد منهما فِئام (جماعة كثيرة) من الناس، فقال عليّ رضي الله عنه: ابعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها. ثم قال للحكمين: تدرِيان ما عليكما؟ عليكما إن رأيتما أن تجمعا أن تجمعا، وإن رأيتما أن تفرّقا أن تفرقا، قالت المرأة: رضيت بكتاب الله، بما عليَّ فيه ولي. قال الرجل: أما الفرقة فلا. فقال عليّ رضي الله عنه: كذبتَ والله، لا تنقلب حتى تقرَّ بمثل الذي أقرَّت به».[318]

---

317) **"المغني"** لابن قدامة (7/ 320)

318) تفسير الطبري (8/ 321). وإسناده صحيح: أخرجه عبد الرزاق، والبغوي في «شرح السنة»، والنسائي في «الكبرى»، وسعيد بن منصور، والشافعي، والبيهقي. انظر: **صحيح فقه السنة وأدلته وتوضيح مذاهب الأئمة** (3/ 229). تأليف أبو مالك كمال بن السيد سالم مع تعليقات فقهية معاصرة: الشيخ/ ناصر الدين الألباني- الشيخ/ عبد العزيز بن باز- الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين. المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، 2003 م

وبخصوص هذه الرواية الأخيرة نحن نقول:

أولا: يجب ألا يختلف اثنان على أن رأى الصحابى يستأنس به، لكنه ليس بملزم لنا، فالصحابى بشر، يصيب ويخطىء. ولو كان علىّ ابن أبى طالب قد أخبرنا أن ما فعله هو وصية سمعها من الرسول عليه الصلاة والسلام لاتبعناه دون تردد.

ثانيا: هذه الرواية أقرب إلى أن تثبت العكس، أى أنها تؤكد أن الحكمين لا يطلقان رغما عن الزوج، وفى هذا المعنى قال الشافعى:[319]

«فَقَوْلُ عَلِيٍّ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – يَدُلُّ عَلَى مَا وَصَفْت مِنْ أَنْ لَيْسَ لِلْحَاكِمِ أَنْ يَبْعَثَ حَكَمَيْنِ دُونَ رِضَا الْمَرْأَةِ وَالرَّجُلِ بِحُكْمِهِمَا وَعَلَى أَنَّ الْحَكَمَيْنِ إنَّمَا هُمَا وَكِيلَانِ لِلرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ بِالنَّظَرِ بَيْنَهُمَا فِي الْجَمْعِ وَالْفُرْقَةِ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ مَا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ؟ قُلْنَا لَوْ كَانَ الْحُكْمُ إلَى عَلِيٍّ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – دُونَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ بَعَثَ هُوَ حَكَمَيْنِ وَلَمْ يَقُلْ ابْعَثُوا حَكَمَيْنِ.... قَوْلَ عَلِيٍّ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – لِلزَّوْجِ كَذَبْت وَاَللَّهِ حَتَّى تُقِرَّ بِمِثْلِ الَّذِي أَقَرَّتْ بِهِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ لِلْحَكَمَيْنِ أَنْ يَحْكُمَا إلَّا بِأَنْ يُفَوِّضَ الزَّوْجَانِ ذَلِكَ إلَيْهِمَا وَذَلِكَ أَنَّ الْمَرْأَةَ فَوَّضَتْ وَامْتَنَعَ الزَّوْجُ مِنْ تَفْوِيضِ الطَّلَاقِ فَقَالَ عَلِيٌّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– كَذَبْت حَتَّى تُقِرَّ بِمِثْلِ الَّذِي أَقَرَّتْ بِهِ يَذْهَبُ إلَى أَنَّهُ إنْ لَمْ يُقِرَّ لَمْ يَلْزَمْهُ الطَّلَاقُ وَإِنْ رَأَيَاهُ وَلَوْ كَانَ يَلْزَمُهُ طَلَاقٌ بِأَمْرِ الْحَاكِمِ أَوْ تَفْوِيضِ الْمَرْأَةِ لَقَالَ لَهُ لَا أُبَالِي أَقَرَرْت أَمْ سَكَتَّ وَأَمَرَ الْحَكَمَيْنِ أَنْ يَحْكُمَا بِمَا رَأَيَا».

انتهى كلام الشافعى، وهو كما ترى ذو منطق متين.

مع الأسف لقد أضاف المالكية إلى الحكمين مهمة جديدة، لم يأت بها القرآن أو السنة، وهي: هل يطلقان أم لا يطلقان؟ وهل يوقعان الطلاق أم الخلع؟ مع أن من يتأمل آية الحكمين يجدها تحصر دور الحكمين في الصلح ومنع الطلاق: {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا} [النساء: 35].

---

319) الأم (5/ 125). تأليف محمد بن إدريس الشافعي. دار المعرفة – بيروت. 1410هـ/1990م.

وتأمل قوله تعالى: (فإن خفتم شقاق بينهما)، وقوله: (إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما). إن دور الحكمين واضح للغاية من كلمات الآية، فهما يحكمان على تصرفات الزوجين، ويستبينان أيهما المخطيء، ويقولان له: "أنت أخطأت في كذا وكذا، ويجب أن تصلح خطأك". **ولا يوجد في الآية ما يفهم منه أن الحكمين يتمتعان بسلطات القضاة الذين نعرفهم** بما في ذلك إجبار الزوج على الخلع.

وبرغم معارضتنا لرأي المالكية إلا أنه يبدو لنا أقل محاباة للمرأة مقارنة بقانون الخلع الذي يطبق حاليا في بلادنا، وذلك من وجهين: أولا: لا يجبر الإمام مالك الزوج على الخلع بمجرد رغبة زوجته كما في القانون الحالي، بل لا بد من موافقة الحكمين معا. ثانيا: جعل مالك أحد الحكمين من أهل الزوج، وسيكون بالتالي متفهما بشكل جيد لوجهة نظره في خلافاته مع زوجته.

ومن المتأخرين وجدنا الشوكانى يقول[320]: «ولا بد من التراضي بين الزوجين على الخلع أو إلزام الحاكم مع الشقاق بينهما .... وأما اعتبار إلزام الحاكم فلارتفاع ثابت وامرأته إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإلزامه بأن يقبل الحديقة ويطلق ولقوله تعالى: {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا} [النساء:35] وهذه الآية كما تدل على بعث حكمين تدل على اعتبار الشقاق في الخلع ويدل على ذلك قوله تعالى: {وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ} [البقرة:229]. ويدل عليه قصة امرأة ثابت المذكورة وقولها أكره الكفر بعد الإسلام وقولها لا أطيقه بغضا فلهذا اعتبرنا الشقاق في الخلع».

انتهى كلام الشوكانى. كما ذكر الشيخ سيد سابق كلاما مشابها.[321] ويبدو كلامهما بلا أي أساس بعد ما ذكرناه منذ قليل (مع احترامنا الكبير لهما).

لقد فهم هؤلاء من قول الرسول عليه السلام لثابت بن قيس: (اقبل الحديقة، وطلقها) أن هذا إلزام من الرسول للزوج بأن يفارق زوجته، لكن من حقنا أن نرفض هذا، فالجملة التي قالها الرسول يجوز جدا أن تفهم على أنها نصيحة، أو رأي، أشار به على ثابت. وهذا كثير في

320) **الدراري المضية شرح الدرر البهية** (2/ 227). تأليف محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى 1407هـ - 1987م.

321) قال الشيخ رحمه الله: "والخلع يكون بتراضى الزوج والزوجة، فإذا لم يتم التراضى منهما فللقاضى إلزام الزوج بالخلع، لأن ثابتا وزوجته رفعا أمرهما للنبى صلى الله عليه وسلم وألزمه الرسول بأن يقبل الحديقة ويطلق كما تقدم فى الحديث" [**فقه السنة** (2/ 299)].

كلامنا، فقد يقول الرجل لصديقه: (اسمع كلامى)، وهو لا يقصد أن يلزمه، أو يجبره على طاعته، بل يريد فقط أن ينصحه، ويشير عليه بالصواب.

وهكذا نجد أن الفقهاء القدامى اختلفوا في إجبار الزوج على الخلع. ورغم ذلك فمن قبلوا إجبار الزوج على الخلع لم يتركوا الأمر لرغبة المرأة وحدها كما في القوانين الحالية، بل أوكلوا المهمة لحكمين، أحدهما من أقارب الزوج. كما نؤكد أن اختلاف الفقهاء لا يعني أن من حقنا أن نختار أي الرأيين، بل لا بد أن نسأل أنفسنا: أي الفقهاء على الحق؟ ومن العار على المسلم أن يقبل أي رأي لمجرد أنه ورد على لسان أحد الفقهاء القدامى. المسلم ينبذ رأي أي فقيه يخالف الكتاب والسنة.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

الإسلام يحافظ على الأسرة

يقولون أن الزواج نظام فاشل لأنه يؤدى إلى خلافات لا تنتهى بين الرجل والمرأة. وهذا هو الهراء بعينه، فالصراعات موجود في كل المؤسسات البشرية كالشركات والنوادي الرياضية والجامعات وقصور الرئاسة. الصراع جزء من طبيعة الإنسان، فالناس يختلفون فى الميول والأهواء والآراء والمصالح، ومن الصعب جدا أن يتطابق اثنان في كل شيء. ومن العبث أن نغلق مؤسسة ما لمجرد وجود صراع فيها، فهذا سيترتب عليه إغلاق كل المؤسسات على وجه الأرض. هب أن هناك مشاكل داخل شركة بين مجلس الإدارة والعمال بسبب مطالبة العمال برفع الرواتب، فهل يكون الحل بأن نغلق الشركة حتى لا نعكر صفو العلاقة بين المواطنين؟

وقد حاول الإسلام بشتى السبل منع الطلاق، وأولى أهمية فائقة للحفاظ على كيان الأسرة. ومن مظاهر ذلك:

1- التوصية **ببعث الحكمين للإصلاح بين الزوجين المتخاصمين:** {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا} [النساء: 35].

2- حث الله تعالى الرجل على معاشرة زوجته بالمعروف، **ورغبه فى الإبقاء عليها كزوجة حتى إن كان يكرهها:** {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا} [النساء: 19].

3- من الأحاديث الرائعة **حديث يأمر فيه الرسول الرجل بأن يتجاوز عن عيوب زوجته،** وذلك بأن ينظر إليها نظرة شاملة، فإن رأى فيها نقيصة بحث فيها عن مزايا غيرها: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ» أَوْ قَالَ: «غَيْرَهُ». رواه مسلم. وكلمة (يفرك) تعني (يبغض). إن الإنسان الكامل لا وجود له، والرجل نفسه به عيوب، ومن الضروري أن يغفر المؤمن للآخرين كي يغفر الله تعالى له: {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور: 22].

4- الأحاديث التي تدعو لحسن معاملة الرجل لزوجته كثيرة، ومنها حديث: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خيركم لأهلي**» أخرجه الترمذي، وقال حديث حسن صحيح.[322]

5- **نهى رسول الله عليه الصلاة والسلام أن تطلب المرأة الطلاق دون أن تكون غير مضطرة إليه، ودون أن يسيء زوجها معاملتها:** «أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا الطَّلَاقَ مِنْ غَيْرِ بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ» وإسنادة صحيح[323]. وفي رواية: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا الطَّلَاقَ مِنْ غَيْرِ بَأْسٍ، حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهَا أَنْ تُرِيحَ رَائِحَةَ الْجَنَّةَ» أخرجه الحاكم، وقال صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي[324]. وهذا النوع من النساء منتشر بشدة هذه الأيام، حيث تسارع المرأة إلى الطلاق مع أبسط مشكلة تقع بينها وبين زوجها، وذلك لأن لها حياتها المستقلة، وعملها المستقل، وراتبها المستقل، ولن تخسر كثيرا إن طلقت. وطبعا ليس المقصود أن هذه المرأة لن تدخل الجنة، ولكنها كناية عن أن طلبها للطلاق بلا مبرر عمل سيء، يبعدها عن الجنة. وكثيرا ما يكون الأسلوب المجازي بهدف المبالغة.

6- **نهى رسول الله عليه الصلاة والسلام عن أن يفسد الإنسان امرأة على زوجها، ويحرضها على عصيانه والطلاق منه:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ خَبَّبَ امْرَأَةً عَلَى زَوْجِهَا**» أخرجه الحاكم، وقال: صَحِيحٌ عَلَى

---

322) وأخرجه أيضا ابن حبان، وصححه شعيب الأرنؤوط. انظر: **"الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان"** (9/ 484)

323) مسند أحمد (37/ 62). وأخرجه الطبري في "التفسير"، والترمذي، والطبراني في "الأوسط"، وابن أبي شيبة

324) المستدرك على الصحيحين للحاكم (2/ 218).

شَرْطِ الْبُخَارِيِّ، ووافقه الذهبي.[325] و(خبب) يعني خدع، أي خدع المرأة كي يفسد بينها وبين زوجها. وفي رواية أحمد: «**مَنْ أَفْسَدَ امْرَأَةً عَلَى زَوْجِهَا فَلَيْسَ منا**» وإسناده قوي[326].

وهذا الحديث في غاية الأهمية. ويجب على كل امرأة أن تتذكره، وهي توغر صدر صديقتها على زوجها، وتحرضها على التمرد عليه والطلاق منه. وهذه مصيبة المصائب هذه الأيام، فالمرأة تلقي سمعها لصديقتها، وتخبرها بكل أسرارها، وهي لا تدري أن قلب الصديقة يحترق غيظا مما هي فيه من نعمة، ولن يهدأ لها بال حتى تراها مطلقة.

7- **نهى الله تعالى ولى المرأة عن أن يمنعها من العودة إلى زوجها بعد طلاقها وانتهاء عدتها** ما دام الزوجان قد تراضيا بينهما بالمعروف: {وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: 232].

والقرآن يختتم الآية بعبارة رائعة هى: (والله يعلم وأنتم لا تعلمون)، والمعنى أنه إن كانت حساباتكم تؤكد أن الخلافات ستستمر بعد عودة الزوجين، فاعلموا أن حسابات الله تعالى أدق وأصدق، فاتركوا الزوجين يجربا مرة أخرى، وعسى الله أن يصلح بينهما.

8- **منح الإسلام الزوج فرصة للتراجع عن قرار الطلاق، وذلك من خلال فترة العدة (ثلاثة أشهر تقريبا)، التي يجوز له فيها أن يعود إلى زوجته:** {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ} [الطلاق: 1].

9- **أعطى الإسلام الزوج فرصتين للطلاق الرجعي بدلا من فرصة واحدة**، فقال تعالى: {الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ} [البقرة: 229].

10- **أخبرنا القرآن أن من أعمال الشياطين والسحرة التفريق بين الرجل وزجته: {فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ}** [البقرة: 102]. وهذه الحقيقة نلقيها في وجوه أنصار المرأة الذين يحرضون النساء ليلا ونهارا على الطلاق، وهم بذلك ينفذون مخطط الشيطان بإخلاص شديد.

---

325) نص الحديث كاملا عند الحاكم: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ خَبَّبَ امْرَأَةً عَلَى زَوْجِهَا، أَوْ عَبْدًا عَلَى سَيِّدِهِ». انظر: **المستدرك على الصحيحين** للحاكم (2/ 214).

326) نص الحديث كاملا في مسند أحمد: **" مَنْ خَبَّبَ خَادِمًا عَلَى أَهْلِهَا فَلَيْسَ مِنَّا، وَمَنْ أَفْسَدَ امْرَأَةً عَلَى زَوْجِهَا فَلَيْسَ منا".** والحديث صحيح، وهذا إسناد قوي، رجاله رجال الصحيح. وأخرجه البيهقي في "السنن" 13/8، وفي "الشعب" (5432) و (11115) ، وفي "الآداب" (74) من طريق الأحوص بن جواب، بهذا الإسناد. وأخرجه البخاري في "التاريخ الكبير" 396/1، وأبو داود (2175) و (5170) ، والبيهقي في "الشعب" (5433) من طريق زيد بن الحباب، والنسائي في "الكبرى" (9214) ، وابن حبان (568) و (5560) من طريق معاوية بن هشام، كلاهما عن عمار بن رزيق، به. وأخرجه ابن عدي في "الكامل" 2589/7، والخطيب في "تاريخه" 11/123-124 من طريق هارون بن محمد. انظر تعليق محققي **"مسند أحمد"** على الحديث (15/ 81)

11- **حذرنا الرسول عليه الصلاة والسلام من الشيطان، الذي يعتبر أن من أعظم إنجازاته التفريق بين الزوجين:** عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ» قَالَ الْأَعْمَشُ: أُرَاهُ قَالَ: «فَيَلْتَزِمُهُ». رواه مسلم. و(يلتزمه) أي يضمه إلى نفسه ويعانقه.

كل هذه مؤشرات على حرص الإسلام على الحفاظ على تماسك الأسرة. وهذه الحقيقة توجب علينا أن نفكر مليا قبل أن نفتح باب الخلع أمام النساء على مصراعيه.

حقا أباح الإسلام الطلاق، إلا أن هذا يجب أن يُفهم على أنه حالة استثنائية، وشر، لا بد منه. أما ما يحدث اليوم، فهو أن الطلاق تحول إلى القاعدة، لا الاستثناء. وصار الناس يتعجبون إن رأوا زوجين متحابين، بلا مشاكل، ولا طلاق.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

ظاهرة جنون الطلاق

استمعت إلى برنامج على إذاعة القرآن الكريم بدأته المذيعة قائلة أن مشكلة الطلاق تفاقمت وأصبحت ظاهرة مجتمعية خطيرة. استبشرتُ وقلت أخيرا سنسمع كلاما طيبا، يعيد الهدوء إلى البيوت، لكنى فوجئت بالضيف يتكلم بحماس عن ضرورة أن نترك المرأة تختار الطلاق كما تشاء، ومن الخطأ أن يضغط عليها أبوها وأمها كى تتحمل زوجها من أجل الأولاد، لأن هذا يؤثر بشدة على صحتها النفسية، وقد يجعلها تقتل زوجها أو يجعل زوجه يقتلها. إى والله هذا الكلام سمعته فى إذاعة القرآن الكريم مع ملاحظة أن المذيعة وضيفها لم يذكر أى منهما آية أو حديث يبرهن به على صدق كلامه. ولم يتكلما عن حث الإسلام على الصلح بين الزوجين، ولا عن بعث حكم من أهله وحكم من أهلها، ولا عن أهمية حسن معاملة الرجل لزوجته وضرورة طاعة المرأة لزوجها، ولا عن قطيعة الرحم التي تحدث بين الرجل وأولاده عقب الطلاق، ولا عن انحراف الأولاد بسبب غياب الأب. كانت المذيعة وضيفها يتكلمان، وكأن هناك غولا يقف وراءهما إن لم

يقنعا المرأة بمزايا الطلاق! هل كنت أستمع لإذاعة القرآن، أم إذاعة نوال السعداوى؟ يؤسفني أن أقول أن هناك سياسة واضحة وخطة صارخة لتخريب أكبر عدد من البيوت بالطلاق كى ينهار المجتمع.

وتشير التقارير المتوالية للجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء في مصر إلى ارتفاع كبير في معدل الطلاق. وفي عام 2021 م وصل عدد حالات الطلاق إلى 254 ألفا و777 حالة، مقابل 222 ألفا و39 حالة سجلت في عام 2020م[327].

والخلع هو السبب الرئيسي لانفصال الأزواج هذه الأيام. تقول تقارير الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء أن 70% من إجمالى أحكام الطلاق النهائية التى صدرت خلال عام 2016م كانت **بسبب الخلع**[328]. وفي عام 2020م مثل **الخلع 87% تقريبا** من إجمالي أحكام الطلاق النهائية[329]. وفي عام 2021م بلغت نسبة الخلع **82.2% من أحكام الطلاق النهائية**[330]. إذن لو جعلنا الخلع بموافقة الزوج فقط لأنقذنا آلاف البيوت من الخراب، وحمينا ملايين الأبناء من الضياع.

لقد ابتليت مجتمعاتنا اليوم بجنون الطلاق، بل انتشرت مؤخرا بشكل واسع ظاهرة حفلات الطلاق في بلد كالأردن الذي يحتل المرتبة الأولى عربيا في معدل الطلاق. وفي هذه الحفلات تحتفل النساء خاصة بالطلاق عن طريق الورود والحلوى والرقص ونشر مظاهر الاحتفال على مواقع التواصل الاجتماعي[331].

أصبح الطلاق يقع لأسباب شديدة التفاهة. لم يعد أحد يطيق أحد. والعيب فينا نحن، فلعلكم تلاحظون أن الزواج الثانى (الذي يتم بعد الطلاق) يكون فى الغالب زواجا ناجحا، وذلك لأن كل طرف يكون قد تعلم الدروس من الزواج السابق، فيتمهل ويتعقل في المرة الثانية. وكم سمعنا عن امرأة وجدت فى زوجها الثاني عيوبا أشد من عيوب زوجها الأول، ولكنها صبرت على هذه

---

327) **الطلاق: ما أسباب ارتفاع معدلاته في مصر في الفترة الأخيرة؟** تقرير لعاطف عبد الحميد. موقع "بي بي سي عربي". 2 سبتمبر 2022م. https://www.bbc.com/arabic/middleeast-62760116

328) **بالإنفوجراف.. 7 أسباب للطلاق فى مصر منها الخلع والخيانة..تعرف عليها**. بقلم هبة حسام. جريدة اليوم السابع. 20 سبتمبر 2017م.

329) **«الإحصاء»: الخلع يستحوذ على نصيب الأسد من حالات الطلاق النهائي في 2020.** تحقيق كتبه ماهر هنداوي. صحيفة الوطن. 23 أكتوبر 2021م. https://www.elwatannews.com/news/details/5762617

330) **إحصائيات الطلاق والزواج في مصر.. أرقام صادمة لـ"أبغض الحلال".** تحقيق بقلم عبده سالم. موقع العين الإخبارية. 24 أغسطس 2022م. https://al-ain.com/article/divorce-marriage-statistics-egypt

331) **حفلات الطلاق في الأردن: انتقام أم تحرر من القيود؟** بقلم طارق ديلواني. موقع "اندبندنت عربية". 5 يوليو 2022.

العيوب، لأنها أدركت أن من غير الممكن أن تمر بتجربة طلاق ثانية. وإذا كنا نستطيع الصبر والتكيف فلماذا لم نفعل ذلك منذ البداية؟

وعلى ذلك فلو أعطينا المرأة الحق الكامل في الطلاق دون موافقة الزوج فنحن نعطيها مفتاح خراب بيتها، خاصة أنها فى السنوات الأولى من الزواج تكون فى قمة جمالها وشبابها، كما تكون غير مثقلة بالأبناء، وهذا يسول لها أن تندفع للطلاق غير مبالية بعواقبه.

وفي أغلب حالات الطلاق لا تكون الزوجة مظلومة ظلما فادحا، وكل ما فى الأمر أن الزواج فى البداية يتطلب بعض التكيف، ولهذا **فوضع بعض العراقيل أمام الطلاق ليس ظلما للمرأة، بل شرطا ضروريا كي تتأقلم مع حياتها الجديدة**. وما أحمق من يهاجر إلى بلد أجنبي للعمل، فينهار مع أول مشكلة تواجهه، ويسارع بالعودة إلى بلده. إنه سيكون أضحوكة بين الناس، لأنه لم يقدر على التحمل والصبر.

إن البناء أصعب من الهدم، ومن الأسهل للمرأة أن تطلب الطلاق مع أول شجار مع الزوج، أما البديل الآخر وهو الصبر على عيوب الزوج (وكل إنسان له عيوب) والتنازل عن بعض الحقوق (ولا أحد يحصل على كل ما يريد)، فهو يتطلب الكثير من التعقل والصبر. والزوجة الجديدة تشبه الماء الذي يسير فى قناة صغيرة ليروى الزرع، وفى طريقه يواجه مضايقة من الحشائش التى تعوقه عن الانسياب، فإن فتحنا له فتحة جانبية اندفع بسهولة إلى أرض منخفضة خالية من النبات. فلو تكلم الماء لعبر عن فرحته لأنه صار يتحرك بحرية، لكنه فى الحقيقة قد خسر كل ما كان له من قيمة، فقيمته كانت تكمن فيما يحمله من حياة للزرع.

نكرر: إن عرقلة اندفاع المرأة نحو الطلاق لا يمثل ظلما للمرأة، بل يمنحها فرصة للتعود على الحياة الزوجية الجديدة.

وأحيانا تطلب المرأة الطلاق لأسباب لا يرضى عنها الله، كأن تغضب إن أمرها زوجها بارتداء ملابس واسعة خارج البيت. وكم من بيت خُرب لما طلب الرجل من زوجته أن تستقيل من عملها، وتتفرغ لبيتها وأولادها. ومن الشائع أن تسمع عن طبيبة تركت زوجها يعمل بدول الخليج، لتعود وحدها إلى مصر للحصول على شهادة الماجستير أو الدكتوراة، ليس لأنها تحب العلم، ولكن حتى لا تكون أقل من زميلتها فلانة وفلانة، فيجد الرجل أن أسرته قد تمزقت بين بلدين،

وأنه يعيش كالأعزب، فيبحث عن زوجة أخرى، فتطلب الزوجة الأولى الطلاق لأنه تزوج عليها. وإن عارض سفرها للدراسة طلبت الطلاق أيضا لأنه يقف في طريق مستقبلها. ما هذا الجنون؟

وأذكر أننى شاهدت برنامجا، استضافت فيه المذيعة امرأة، حكت تجربتها مع الطلاق، وكانت اعترافاتها مثيرة جدا، فقد أبدت ندما على ما فعلته مع زوجها، الذي كان يحبها، ويحسن معاملتها، بينما كانت تتكبر عليه، وتسيء عشرته، وتتشاجر معه دون سبب. ويبدو أنها كانت من ذلك النوع من النساء الذي يكره الرجل الطيب المسالم. ومما قالته أن زوجها كان يعد لها صينية البطاطس انتظارا لعودتها من العمل حتى يأكل معها، فترضى عنه. واستمرت المرأة على هذا المنوال حتى تحايلت عليه، وحصلت على الطلاق، ثم ندمت فيم بعد. وقد زاد انتشار مثل هذه الحالات فى السنوات الأخيرة بعد أن **استقلت المرأة، واستغنت عن الزواج بالعمل، ولم يعد الطلاق كابوسا تفزع منه.**

ومن مآسى هذا العصر انتقال **عدوى جنون الطلاق إلى كبار السن،** فأصبح من الشائع أن نسمع عن امرأة في سن الخمسين أو الستين ترفع قضية خلع على زوجها. لقد كان التفكير في الطلاق في مثل هذه السن أمر لا يمكن تخيله منذ سنوات قليلة، ولكنه أصبح الآن واقعا. وصدمت لما قرأت يوما عن امرأة تقول أنها طلبت الطلاق لأنها لم تعد قادرة نفسيا وجسديا على تلبية رغبة زوجها الجنسية بسبب كبر سنها. مثل هؤلاء النساء كن في الماضي يرضخن للأمر الواقع، ويرضين بسنة الله في خلقه، فتقبل الواحدة منهن الزواج الثاني لزوجها، وتعيش بعدها معه معززة مكرمة كأم لأولاده، أدت رسالتها، وحق لها في النهاية أن ترتاح. أما اليوم فالمرأة تعرف أنها مقصرة في تلبية رغبة زوجها، ومع ذلك ترفض بشكل صارم أن يتزوج بأخرى. جنون على جنون!

وللعلماء الذين يؤيدون الخلع دون موافقة الزوج على اعتبار أن هذا يمثل دليلا على إنصاف الإسلام للمرأة نقول: "على رِسلكم. **إن إنصاف المرأة ليس السبب الوحيد الذي من أجله نزل الإسلام من السماء. ومن الوقاحة اختزال الإسلام– ذلك الدين الشامل– في قضية واحدة هي قضية المرأة.** الإسلام جاء لنصر كل مظلوم، والدفاع عن كل مضطهد. **الإسلام لا يرضى أن تُظلم المرأة، لكنه أيضا لا يرضى أن يُظلم زوج المرأة، أو أن يُظلم أبناء المرأة، أو أن يتفكك**

المجتمع بسبب المرأة المدللة. الإسلام ينظر للأمور نظرة شاملة، ويضع الأسرة نصب عينيه، ويعرف ما لها من قيمة كبرى ودور محورى. **وحين سلبت الشريعة من المرأة الحق المطلق في فراق الزوج فما هذا بظلم، ولكنه تضييق. نعم هو تضييق، لكنه ليس تضييقا كبيرا فى أغلب الحالات، كما أنه تضييق ذو هدف نبيل، ألا وهو حماية الأسرة والمحافظة عليها، فبدون الأسرة ينهار المجتمع كله.** ومن الحكمة أن **يقع ضرر قليل على المرأة فى مقابل تحقيق منفعة كبيرة للأسرة والمجتمع**، وما هذا بمنطق مجحف، فالمرأة –على سبيل المثال– يقع عليها ضرر جسدى بسبب الحمل والولادة، لكنها تحتمل ذلك راضية من أجل المجتمع والإنسانية. والطالب يحرم نفسه من الرحلات قبل الامتحان كي يتفرغ للمذاكرة. **وبهذا المنطق يجب أن ننظر إلى وضع العراقيل أمام المرأة التي تريد الخلع بحيث نجعله يتم فقط بعد موافقة الزوج. إنه ليس حرمانا، بل كبحا لجماح العاطفة التي تسيطر على المرأة، وتعميها عن مصلحتها ومصلحة أسرتها.**

إن الأسرة بطبعها "مشروع مشاكل"، فأى علاقة وثيقة بين اثنين –حتى لو لم يكونا زوجين– لا بد أن يصاحبها مشاحنات وصراعات. ولا بد أن تبذل المرأة الجهد كى يسير المركب. أما ما يحدث اليوم فهو أن المرأة المدللة القوية فقدت الرغبة فى الصبر، وأصبحت تقدس ذاتها، وتضع شخصها فوق كل اعتبار.

ومن المواقف التي جعتنى أقتنع تماما بضرورة تقييد حق المرأة في الطلاق طبيبة، نشأت في أسرة كريمة مرفهة، فكانت بطبعها مدللة، وغير معتادة على تحمل المسئولية، فلما تخرجت والتحقت بوظيفة طبيب مقيم في أحد أقسام مستشفى جامعي كان العمل مرهقا لها، ولما تزوجت وحملت زادت المصاعب بدرجة أكبر. لجأت الطبيبة لاستخدام نفوذ أسرتها للضغط على أساتذتها كى يخففوا العمل عنها، فرفض الأساتذة لأنهم لا يمكن أن يعاملوها معاملة خاصة تختلف عن بقية زملائها، فشعرت الطبيبة أنها أهينت، وجعلها الكبرياء تتحدى رؤسائها، وتتغيب عن العمل بشكل متكرر، وفكرت في الاستقالة، فاضطر الأساتذة لعقابها بتأخيرها في دخول الامتحان وفى التسجيل للماجستير، وكادوا يقيلونها. وبعد سلسلة من العقوبات المؤلمة التي استمرت حوالي عامين تغيرت شخصية الطبيبة، وفهمت طبيعة المكان الذي تعمل به، وأن التدليل الذي تربت عليه لا يجدى نفعا في العمل بالمستشفى، وأن الطاعة واحترام الكبير من أهم مبادئ العمل.

ويبدو أن هذه الطبيبة وعت الدرس بحذافيره، فأصبحت شديدة الخضوع لأساتذتها، بل أصبحت تبالغ في التقرب إليهم، وفى إحدى المرات ذهبت لزيارة مريض في القسم الذي تعمل به، فشاهدتها، وهي تجامل أستاذا كانت على عداوة شديدة معه، مجاملة تصل إلى حد النفاق، فقلت: سبحان الله! ما سر هذا الانقلاب؟ فوجدت أن كل ما حدث هو أنها **أعادت برمجة ذهنها كى يتقبل وضعها الجديد باعتبارها "مرءوسا"**، عليه واجبات والتزامات، وليست فتاة مدللة تأمر فتطاع كما كانت في بيت أبيها. وبنفس الطريقة **تحتاج المرأة المعاصرة إلى إعادة برمجة ذهنها، فتسعى لإرضاء زوجها بدلا من أن تسارع إلى طلب الطلاق منه.**

إن الغالبية العظمى من الأمور التي تجعل المرأة اليوم تطلب الطلاق يمكن تلافيها إن غيرنا طريقة تفكير المرأة، وجعلناها تربَّى على أنها جندي في الأسرة يجب عليه طاعة قائده. إن فكرت المرأة بهذه الطريقة لما طلبت الطلاق من زوجها إلا نادرا.

ولو غير المجتمع طريقة تفكيره، وأعاد فهم دور المرأة في الأسرة كمرءوس – وليس كمنافس للزوج– لما شعر بأى تعاطف مع المرأة في عشرات الآلاف من قضايا الطلاق والخلع المرفوعة أمام المحاكم اليوم.

إن الطبيبة المذكورة قررت أن تنحنى لرؤسائها حتى لا يعرقلوا مسيرة نجاحها في العمل، لكن ما الذي يدفع الزوجة المعاصرة إلى طاعة زوجها في ظل منظومة قوانين جائرة تحابي المرأة، ونظام عالمى يهودي ماسوني يمَكِّن لها؟ إنه الخوف من الله. وهنا نضع أيدينا على جوهر المشكلة: **إن المرأة المعاصرة لم تعد تخشى الله، وهذا سر تمردها على الرجل.** وما انتشار الفكر النسوي إلا مظهر من مظاهر تراجع الإيمان في العصر الحديث.

أخيرا: ما أغبى امرأة تؤيد القوانين التى تحابى المرأة! إن ابنها سيتعرض للظلم من زوجته بسبب نفس القوانين التي أيدتها. نسأل الله العافية.

هل تكون العصمة في يد الزوجة

نظرة عامة

هل يجوز للعصمة أن تكون بيد المرأة بحيث تطلق نفسها متى شاءت؟

أولا كلمة (العصمة) في اللغة تعنى "النكاح"، كما في قوله تعالى: {وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ} [الممتحنة: 10]. وَالْعِصَمُ جَمْعُ (عِصْمَةٍ)، وَهِيَ– كما يقول الزمخشري– مَا يُعتَصم به من عقد وسبب[332]. والكلمة مشتقة من فعل (عصم) بمعنى (منع) و(حفظ).

ويجب أن نعرف أن الرجل إن فوض زوجته أو وكلها في تطليق نفسها فإن هذا لا يسقط حقه في إيقاع الطلاق عليها متى شاء[333]، وذلك خلافا لما قد يتبادر إلى أذهان العامة الذين يحسبون أن الرجل إن أراد أن ينفصل عن زوجته التى تملك العصمة فإن عليه أن يقول لها: "طلقينى"!

وقد انصب أغلب جدل الفقهاء على تمليك الرجل لزوجته حق الطلاق أو تخييرها فيه "**بعد الزواج**"، غالبا عند حدوث مشكلة بينهما، لكن قال بعضهم بأن المرأة إن اشترطت على زوجها "**قبل الزواج**" أن يمنحها حق تطليق نفسها جاز لها أن تطلق نفسها متى شاءت.

واختلف الفقهاء في الطلاق بالتفويض: هل يكون رجعيا أم بائنا؟

أغلب الصحابة والفقهاء (مالك والشافعى وابن حنبل) على أنه طلاق رجعي لأن هذا هو الطلاق طبقا للعرف الشرعى[334]، وخالفهم أبو حنيفة، فقال أنه طلاق بائن لأن الزوج إن كان له الحق في إرجاع الزوجة إلى عصمته بعد أن طلقت نفسها، فماذا استفادت هي إذن من تفويض الطلاق لها؟ يقول ابن قدامة:«الْمُمَلَّكَةَ وَالْمُخَيَّرَةَ إذَا قَالَتْ: اخْتَرْت نَفْسِي. فَهِيَ وَاحِدَةٌ رَجْعِيَّةٌ. وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنْ عُمَرَ، وَابْنِ مَسْعُودٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ. وَبِهِ قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَالثَّوْرِيُّ، وَابْنُ أَبِي لَيْلَى، وَالشَّافِعِيُّ، وَإِسْحَاقُ، وَأَبُو عُبَيْدٍ، وَأَبُو ثَوْرٍ. وَرُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ أَنَّهَا وَاحِدَةٌ بَائِنَةٌ. وَبِهِ

---

332) **تفسير الزمخشري** (4/ 518)

333) **فقه السنة** (2/ 281)

334) يقول ابن حزم: (وَلَا يَكُونُ طَلَاقًا بَائِنًا أَبَدًا إلَّا فِي مَوْضِعَيْنِ لَا ثَالِثَ لَهُمَا. أَحَدُهُمَا - طَلَاقُ غَيْرِ الْمَوْطُوءَةِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا} [الأحزاب: 49] . وَالثَّانِي - طَلَاقُ الثَّلَاثِ مَجْمُوعَةً أَوْ مُفَرَّقَةً، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ} [البقرة: 230] . وَأَمَّا مَا عَدَا هَذَيْنِ فَلَا أَصْلًا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ} [البقرة: 228] . وَلِقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ} [البقرة: 231] وَقَالَ تَعَالَى: {فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ} [الطلاق: 2] فَجُعِلَ إلَى الزَّوْجِ فِي الْعِدَّةِ أَنْ يُرَاجِعَهَا أَوْ يَتْرُكَ). انظر: **المحلى بالآثار** (9/ 483)

قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ وَأَصْحَابُهُ؛ لِأَنَّ تَمْلِيكَهُ إِيَّاهَا أَمْرَهَا يَقْتَضِي زَوَالَ سُلْطَانِهِ عَنْهَا، وَإِذَا قَبِلَتْ ذَلِكَ بِالِاخْتِيَارِ، وَجَبَ أَنْ يَزُولَ عَنْهَا، وَلَا يَحْصُلُ ذَلِكَ مَعَ بَقَاءِ الرَّجْعَةِ».[335]ويقول ابن رشد: «وَإِنَّمَا رَأَى مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ أَنَّهُ إِذَا طَلَّقَتْ نَفْسَهَا بِتَمْلِيكِهِ إِيَّاهَا طَلْقَةً وَاحِدَةً أَنَّهَا تَكُونُ رَجْعِيَّةً، لِأَنَّ الطَّلَاقَ إِنَّمَا يُحْمَلُ عَلَى الْعُرْفِ الشَّرْعِيِّ وَهُوَ طَلَاقُ السُّنَّةِ. وَإِنَّمَا رَأَى أَبُو حَنِيفَةَ أَنَّهَا بَائِنَةٌ، لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ لَهُ عَلَيْهَا رَجْعَةٌ لَمْ يَكُنْ لِمَا طَلَبَتْ مِنَ التَّمْلِيكِ فَائِدَةٌ وَلِمَا قَصَدَ هُوَ مِنْ ذَلِكَ»[336].

ويحسم الشيخ محمد أبو زهرة الجدل قائلا أن المرأة إن طلقت نفسها بالتفويض «**يكون الطلاق رجعيا** إلا إذا كان قبل الدخول، أو كان مكملا للثلاث، أو كان على مال، **لأن الزوج لا يملك إلا الطلاق الرجعى، فما تملكه منه يكون رجعيا أيضا،** ولو كانت صيغة التفويض تحتمل إرادة للبائن، لأن البائن لا يقع بإرادته، بل بحكم الشارع[337]».

واختلف الفقهاء أيضا: هل تطلق المرأة نفسها طلقة واحدة أم ثلاثا؟

رأى أغلب الفقهاء أنها تكون طلقة واحدة. وقال مالك: إن اختارت نفسها فهي ثلاث، وإن اختارت زوجها يكون واحدة[338].

وحجة من قال أنها تطلق ثلاثا هي أن ذلك يجعل التمليك تمليكا بمعنى الكلمة، وليس تمليكا زائفا، يمنحه الرجل للمرأة، ثم يأخذه منها إن شاء. وحجة من قال أنها طلقة واحدة هي الشفقة على الرجال من رعونة النساء. يقول ابن رشد: «وَأَمَّا مَنْ رَأَى أَنَّ لَهَا أَنْ تُطَلِّقَ نَفْسَهَا فِي التَّمْلِيكِ ثَلَاثًا وَأَنَّهُ لَيْسَ لِلزَّوْجِ مُنَاكَرَتُهَا فِي ذَلِكَ: فَلِأَنَّ مَعْنَى التَّمْلِيكِ عِنْدَهُ إِنَّمَا هُوَ تَصْيِيرُ جَمِيعِ مَا كَانَ بِيَدِ الرَّجُلِ مِنَ الطَّلَاقِ بِيَدِ الْمَرْأَةِ، فَهِيَ مُخَيَّرَةٌ فِيمَا تُوقِعُهُ مِنْ أَعْدَادِ الطَّلَاقِ. وَأَمَّا مَنْ جَعَلَ التَّمْلِيكَ طَلْقَةً وَاحِدَةً فَقَطْ أَوِ التَّخْيِيرَ: فَإِنَّمَا ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ أَقَلُّ مَا يَنْطَلِقُ عَلَيْهِ الِاسْمُ، وَاحْتِيَاطًا لِلرِّجَالِ، لِأَنَّ الْعِلَّةَ فِي جَعْلِ الطَّلَاقِ بِأَيْدِي الرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ هُوَ لِنُقْصَانِ عَقْلِهِنَّ وَغَلَبَةِ الشَّهْوَةِ عَلَيْهِنَّ مَعَ سُوءِ الْمُعَاشَرَةِ».[339]

---

335) **المغني** لابن قدامة (7/ 404).

336) **بداية المجتهد ونهاية المقتصد** (3/ 94)

337) **الأحوال الشخصية**. تأليف الشيخ محمد أبو زهرة. صفحة 326.

338) **فقه السنة** (2/ 282)

339) **بداية المجتهد ونهاية المقتصد** (3/ 94)

تفويض المرأة في الطلاق بعد الزواج

منح الرجل زوجته حق الطلاق بعد الزواج أمر قليل الخطورة من حيث المبدأ، لأنه لا أحد يجبر الزوج عليه، لا الزوجة ولا القانون الوضعى. لذا فإن فعل الرجل ذلك من تلقاء نفسه، فليتحمل عاقبة خطئه. المشكلة أن ترفض عامة النساء الزواج من الرجال إلا بعد جعل العصمة فى أيديهن، أو أن تسن الحكومات الموالية للغرب قوانين تسمح لهن بذلك.

وتفويض المرأة في الطلاق قد يكون **بألفاظ صريحة**، كأن يقول الرجل لزوجته: "طلقي نفسك"، أو "طلقي نفسك إذا شئت"، **وقد يكون التفويض بألفاظ غامضة أو كنايات**، بعضها يفيد **التمليك** (تمليك المرأة للطلاق، كقول الرجل لزوجته: "ملكتك أمرك") أو **التخيير** (كقوله: "اختارى"، أو "اختارى نفسك") أو **الأمر باليد** (جعل الرجل أمر زوجته بيدها، قائلا: "أَمْرُك بِيَدِك"). وقد سببت هذه الألفاظ بعض الارتباك لأنها كنايات، يمكن أن تفيد تفويض الطلاق، ويمكن أيضا أن تفيد معاني عامة[340]. ولا بد لكي يتم تفويض الطلاق بهذه الألفاظ من وجود النية لدى الزوج[341]. وبشكل عام نقول أن أغلب الفقهاء قالوا بأن الرجل إن منح زوجته حق تطليق نفسها بعد الزواج **فهذا الحق ليس مطلقا أو أبديا، بل يمكن للرجل أن يتراجع عنه** أحيانا، كما أن هذا الحق ينتهي بانتهاء المجلس أو اللقاء الذي منحه فيه[342]. وقد اختلفت المذاهب في هذه المسائل. وإليك بعض التفاصيل:

الحنفية

قال الحنفية بأنه يجوز للرجل أن ينيب عنه شخصا آخر في تطليق امرأته، وقد تكون امرأته هي هذا الشخص. وهناك ثلاثة أشكال لذلك:

1- **الرسالة:** وهي أن يرسل الرجل لزوجته رسولاً، قائلا لها أن زوجك يقول لك: "اختاري".

---

340) على سبيل المثال قول الرجل: (اختاري نفسك) يصح أن يراد به اختاري نفسك بالطلاق، أو اختاري نفسك في عمل من الأعمال، وكذلك (أمرك بيدك) يصح أن يراد به أمرك بيدك في الطلاق أو في تصرفاتك المختصة بك. ويصح تفويض الطلاق بهذه الألفاظ بشرط أن ينوي الزوج الطلاق لها، أو يدل الحال على أنه فوض، كما إذا طلبت منه أن يطلقها في حالة الغضب. انظر: **الفقه على المذاهب الأربعة** (4/ 287)
وورد فى "المدونة": [قُلْت: أَرَأَيْتَ إنْ قَالَ لَهَا اخْتَارِي فَقَالَتْ قَدْ اخْتَرْت نَفْسِي، فَقَالَ: إنِّي لَمْ أُرِدْ الطَّلَاقَ وَإِنَّمَا أَرَدْت أَنْ تَخْتَارِي أَيَّ ثَوْبٍ أَشْتَرِيه لَكِ مِنْ السُّوقِ؟ قَالَ: هَلْ كَانَ كَلَامٌ قَبْلَ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى قَوْلِ الزَّوْجِ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَهِيَ طَالِقٌ ثَلَاثًا]. انظر: **المدونة** (2/ 275).
341) **الأحوال الشخصية** للشيخ محمد أبو زهرة. صفحة 326.
342) **المغني** لابن قدامة (7/ 403)

2- **التوكيل:** وهو أن يقيم الزوج شخصا غيره مقام نفسه في تطليق امرأته، إلا أن المرأة لا يمكن أن تكون وكيله، لأن الوكيل يعمل عملاً للغير، أما المرأة، فإنها تطلق نفسها، فلا تعمل لغيرها، وعلى هذا يكون توكيلها في حقيقته "تفويضاً" **(**ولو صرح الزوج بالتوكيل**)**. والفرق بين الرسول والوكيل أن الرسول ينقل عبارة الزوج ولا ينشئ عبارة من نفسه، أما الوكيل فإنه يعبر بعبارته، فلم ينقل عبارة موكله.

3- **التفويض،** وهو تمليك الطلاق للغير.

ويفرق بين الوكالة والتفويض، بأن المفوَّض مالك، يعمل بمشيئته، بخلاف الوكيل فإنه يعمل لمشيئة موكله، كما أن الزوج لا يملك الرجوع بعد التفويض، فإن قال لامرأته: "طلقي نفسك" فإنها تملك الطلاق بمجرد قوله هذا، ولو لم تقل: قبلت، وليس له أن يقول: قد رجعت أو قد عزلتك بخلاف التوكيل، فإن **له أن يعزل الشخص الذي وكله لتطليق زوجته، بأن يطأ الزوجة.** ويضاف إلى ذلك أن **التفويض يتقيد بالمجلس، فإن قامت المرأة من المجلس قبل أن تطلق أو تختار بطل التفويض،** أي أن **الزوج إن قال لها:** "**طلقي نفسك**" **لزمها أن تطلق نفسها في المجلس الذي شافهها، وهي جالسة فيه**[343].

ويقول السرخسى[344] معبرا عن رأى الحنفية في هذه النقطة الأخيرة:

«رُوِيَ عَنْ عُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عُمَرَ وَجَابِرٍ وَزَيْدٍ وَعَائِشَةَ قَالُوا فِي الرَّجُلِ يُخْبِرُ امْرَأَتَهُ أَنَّ **لَهَا الْخِيَارَ مَا دَامَتْ فِي مَجْلِسِهَا ذَلِكَ فَإِنْ قَامَتْ مِنْ مَجْلِسِهَا فَلَا خِيَارَ لَهَا** وَلِأَنَّ الزَّوْجَ مُخَيَّرٌ بَيْنَ أَنْ يَسْتَدِيمَ نِكَاحَهُمْ أَوْ يُفَارِقَهَا فَيَمْلِكَ أَنْ يُسَوِّيَهَا بِنَفْسِهِ فِي حَقِّهِ بِأَنْ يُخَيِّرَهَا. وَقَدْ خَيَّرَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – نِسَاءَهُ حِينَ نَزَلَ قَوْله تَعَالَى {فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ} [الأحزاب: 28]. ثُمَّ كَانَ الْقِيَاسُ أَنْ لَا يَبْطُلَ خِيَارُهَا بِالْقِيَامِ عَنْ الْمَجْلِسِ؛ لِأَنَّ التَّخْيِيرَ مِنْ الزَّوْجِ مُطْلَقٌ وَالْمُطْلَقُ فِيمَا يَحْتَمِلُ التَّأْبِيدَ مُتَأَبِّدٌ وَلَكِنَّا تَرَكْنَا هَذَا الْقِيَاسَ لِآثَارِ الصَّحَابَةِ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ – وَلِأَنَّ الْخِيَارَ الطَّارِئَ لَهَا عَلَى النِّكَاحِ مِنْ جِهَةِ الزَّوْجِ مُعْتَبَرٌ بِالْخِيَارِ الطَّارِئِ شَرْعًا وَهُوَ خِيَارُ الْمُعْتَقَةِ وَذَلِكَ يَتَوَقَّتُ بِالْمَجْلِسِ فَكَذَلِكَ هَذَا **لَهَا الْخِيَارُ مَا بَقِيَتْ فِي الْمَجْلِسِ** وَإِنْ تَطَاوَلَ يَوْمًا أَوْ أَكْثَرَ؛ لِأَنَّ الْمَجْلِسَ قَدْ يَطُولُ وَقَدْ يَقْصُرُ».

---

343) الفقه على المذاهب الأربعة (4/ 328)

344) المبسوط (6/ 211). تأليف محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي. دار المعرفة – بيروت. 1414هـ - 1993م

ورغم ذلك **قال الحنفية بأن تفويض المرأة في الطلاق يمكن أن يستمر لفترات طويلة أو إلى الأبد إن حدد الرجل له مدة معينة**، فإذا «شافهها بقوله: طلقي نفسك لزمها أن تطلق نفسها في المجلس الذي شافهها وهي جالسة فيه... هذا إذا لم يؤقت التفويض بوقت، فإذا أقته بوقت، كأن قال لها: طلقي نفسك أثناء شهرين أو نحو ذلك فإن لها أن تطلق نفسها في خلال المدة، وإذا قال لها: طلقي نفسك متى شئت، أو متى ما شئت، أو إذا شئت، أو إذا ما شئت فإن لها أن تطلق نفسها في أي وقت شاءت، ولا يصح رجوعه على أي حال، لأنه قد ملكها الطلاق».[345]

المالكية

قال المالكية بأن للرجل أن يفوض زوجته في إيقاع الطلاق. **وتفويض الطلاق ثلاثة أنواع: توكيل** (مثل: "وكلتك في طلاقك")، **وتخيير** (مثل: "اختاريني" أو "اختاري نفسك")، **وتمليك** (مثل: "أمرك بيدك" أو "طلاقك بيدك" أو"ملكتك أمرك")[346،347].

وقد ذكر المالكية فرقا بين التمليك والتخيير، فقالوا أن التمليك هو تَمْلِيكُ الْمَرْأَةِ إِيقَاعَ الطَّلَاقِ، فَهُوَ يَحْتَمِلُ طلقة واحدة أو اثنتين أو ثلاثة، أما التخيير فيَقْتَضِي إِيقَاعَ طَلَاقٍ تَنْقَطِعُ مَعَهُ الْعِصْمَةُ، بحيث لا يكون للزوجة إِلَّا أَنْ تَخْتَارَ زَوْجَهَا أَوْ تَبِينَ مِنْهُ بِالثَّلَاثِ؛ قال الإمام مالك: «فَإِذَا خَيَّرَهَا فَإِنَّمَا لَهَا أَنْ تُطَلِّقَ نَفْسَهَا ثَلَاثًا أَوْ تَرُدَّ ذَلِكَ، وَلَيْسَ لَهَا أَنْ تُطَلِّقَ وَاحِدَةً وَلَا اثْنَتَيْنِ». ويستثنى من ذلك أَنْ يَكُونَ تَخْيِيرًا مُقَيَّدًا، مِثْلَ أَنْ يَقُولَ لَهَا: اخْتَارِي نَفْسَكِ أَوِ اخْتَارِي تَطْلِيقَةً أَوْ تَطْلِيقَتَيْنِ[348،349،350].

---

345) **"الفقه على المذاهب الأربعة"** (4/ 330)
346) **"الشامل في فقه الإمام مالك"** (1/ 425)
347) قال المالكية: للزوج أن ينيب عنه الزوجة أو غيرها في الطلاق، وتنقسم النيابة في الطلاق إلى قسمين:
الأول: رسالة، وهي أن يرسل الزوج إلى امرأته رسولاً يعلمها بالطلاق بعبارة الزوج نفسه. **القسم الثاني: تفويض الطلاق**، وهو **ثلاثة أنواع: توكيل، وتخيير، وتمليك**، والفرق بين الأمور الثلاثة أن **التوكيل هو** جعل إنشاء الطلاق للزوجة أو لغيرها مع بقاء حقه في المنع من الطلاق، ومعنى ذلك أن التوكيل لا يسلب حق الموكل في عزل الوكيل أو رجوعه عن توكيله قبل تمام الأمر الذي وكله فيه، فلو وكلها في تطليق نفسها ففعلت وقع الطلاق وليس له حق الرجوع حينئذ، إنما له الرجوع والعزل قبل أن تطلق نفسها، على أنه إذا وكلها بالطلاق مع تعلق حق لها به زائد على التوكيل فإنه لا يملك عزلها، مثال ذلك أن يقول لها: إن تزوجت عليك فقد جعلت أمرك بيدك وأمر من أتزوجها بيدك توكيلاً عني، ففي هذه الحالة لا يملك عزلها من التوكيل ولا عزله لأن لها حقاً فيه وهو دفع الضرر عنها..... **أما التخيير**، فهو جعل الزوج إنشاء الطلاق ثلاثاً حقاً لغيره نصاً أو حكماً، فالمخيرة إذا اختارت الطلاق وجب عليها أن تطلق ثلاثاً، وإلا سقط خيارها. **أما التمليك**، فهو عبارة عن جعل إنشاء الطلاق حقاً للغير راجحاً في الثلاث لا نصاً في الثلاث ولا حكماً، فيخص بأقل من الثلاث بالنية. إذن الفرق بين التخيير والتمليك أن المخيرة إذا كانت مدخولاً بها وطلقت نفسها ثلاثاً فإنه ينفذ ولا يسمع من الزوج دعوى أنه نوى أقل من ذلك. أما المملكة فإن له أن يعترض على ما زاد على الواحدة. هذا هو المقرر المنقول عن مالك[نقلا باختصار عن: **"الفقه على المذاهب الأربعة"** (4/ 333)]
348) **"المدونة"** (2/ 271).
349) ورد فى **"المدونة"**(2/ 272): « أَرَأَيْتَ إنْ قَالَ لَهَا: اخْتَارِي تَطْلِيقَةً فَقَالَتْ: قَدْ اخْتَرْتُهَا، أَيَكُونُ ثَلَاثًا أَمْ وَاحِدَةً فِي قَوْلِ مَالِكٍ، أَوْ قَالَتْ قَدْ اخْتَرْتُ نَفْسِي؟ قَالَ: سَمِعْت مَالِكًا يَقُولُ إذَا قَالَ لَهَا اخْتَارِي فِي تَطْلِيقَةٍ: إنَّهُ لَيْسَ لَهَا أَكْثَرُ مِنْ تَطْلِيقَةٍ وَاحِدَةٍ. قُلْتُ: وَيَمْلِكُ رَجْعَتَهَا أَمْ تَكُونُ بَائِنًا؟ قَالَ: بَلْ يَمْلِكُ رَجْعَتَهَا».
350) **بداية المجتهد ونهاية المقتصد** (3/ 94).

وقد خالف المالكية بذلك جمهور الفقهاء الذين جعلوا للتمليك والتخيير حكما واحدا «لِأَنَّ مِنْ عُرْفِ دَلَالَةِ اللُّغَةِ أَنَّ مَنْ مَلَّكَ إِنْسَانًا أَمْرًا مِنَ الْأُمُورِ إِنْ شَاءَ أَنْ يَفْعَلَهُ أَوْ لَا يَفْعَلَهُ فَإِنَّهُ قَدْ خَيَّرَهُ. وَأَمَّا مَالِكٌ: فَيَرَى أَنَّ قَوْلَهُ لَهَا اخْتَارِينِي أَوِ اخْتَارِي نَفْسَكِ أَنَّهُ ظَاهِرٌ بِعُرْفِ الشَّرْعِ فِي مَعْنَى الْبَيْنُونَةِ بِتَخْيِيرِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – نِسَاءَهُ، لِأَنَّ الْمَفْهُومَ مِنْهُ إِنَّمَا كَانَ الْبَيْنُونَةَ»[351]. والظاهر أن المنقول عن الإمام مالك من أن التخيير للمدخول بها يملكها الثلاث بدون نية مبني على عرف زمانه، وإلا فالواقع أن التخيير ليس صريحاً في الطلاق، فهو كناية لا يلزم به شيء لغة، كما هو الحال عند الأئمة الثلاثة، ولكن المالكية يعتبرون العرف ويقدمونه على اللغة، فإذا نقل العرف لفظاً من معناه اللغوي إلى مفهوم آخر واستعمله فيه كان صريحاً فيه، وهذا هو الذي كان في عهد مالك رضي الله عنه في تخيير المرأة، أما إذا كان عرف زماننا على أنه لا يقع طلاق بالتخيير إلا بالنية، فإنه يعمل به لأن الحكم يتغير بتغير العرف.[352]

أما الْفَرْقُ بَيْنَ التَّمْلِيكِ والتوكيل فهو أن الرجل إن وكل زوجته فله أَنْ يَعْزِلَهَا قَبْلَ أَنْ تُطَلِّقَ، وَلَيْسَ لَهُ ذَلِكَ فِي التَّمْلِيكِ.[353]

ومن صيغ التخيير: "اختاري نفسك"، أو "اختاريني" أو "اختاري أمرك".أما صيغ التمليك فتشمل:"طلقي نفسك"، أو "ملكتك أمرك"، أو "وليتك أمرك"، أو "أمرك بيدك"، أو "طلاقك بيدك"، وغيرها[354].

وقد تشدد المالكية في هذه المسألة، فقالوا أن **الرجل إن** "**خيَّر**" **زوجته في الطلاق أو** "**ملَّكها**" **وجب عليه أن يعتزلها ولا يقربها حتى تقرر هل تطلق منه أو تبقى معه، وذلك لأن العصمة في هذه الحالة مشكوك في بقائها، ولا يحل الاستمتاع بامرأة مشكوك في بقاء زوجيتها**. ويصح تقييد التمليك أو التخيير بزمن، كأن يقول لها: خيرتك إلى سنة، أو خيرتك في البقاء معي أو مفارقتي إلى سنة، أو إلى أي زمن يبلغه عمرهما ظاهراً، فإن التخيير يصح، **ولكن بمجرد علم الحاكم بتخييرها أو تمليكها على هذا الوجه يجب عليه أن يطلب منها الجواب بدون مهلة، فعليها أن تطلق نفسها حالاً أو ترد ما بيدها من التمليك أو التخيير، فإن قضت فذاك وإلا**

---

351) **بداية المجتهد ونهاية المقتصد** (3/ 94)].
352) **الفقه على المذاهب الأربعة"** (4/ 333)
353) **"بداية المجتهد ونهاية المقتصد"** (3/ 93).
354) **الفقه على المذاهب الأربعة** (4/ 334).

أسقط الحاكم تخييرها أو تمليكها، حتى ولو رضي الزوج بالإمهال، وذلك لأن فيه حقاً لله تعالى، وهو حرمة التمادي على الاستمتاع بالمرأة المشكوك في بقاء عصمتها[355].

ونفس القاعدة تسري على التوكيل الذي يتعلق به حق الزوجة، كأن يقول لها: إن تزوجت عليك فأمرك بيدك توكيلاً، ثم تزوج عليها، ففي هذه الحالة لا يحق له الاستمتاع بها حتى تقول ما إذا كانت قد طلقت نفسها أو ردت الطلاق. أما إن وكَّل الرجل المرأة في الطلاق توكيلا لا يتعلق به حق لها (كأن يقول فقط: "وكلتك في طلاق نفسك") فإنه لا يمنع قربانها، فلو استمتع بها بعد التوكيل، ولو مكرهة كان ذلك الاستمتاع عزلاً لها من التوكيل، حتى ولو كان الزوج قاصداً بقاءها على التوكيل.[356]

الشافعية

رأى الشافعية أنه يجوز للرجل أن يفوض الطلاق لزوجته: **ومعناه تمليكها الطلاق**، كقوله لها: "طلقي نفسك". ويشترط لإيقاعها الطلاق بالتفويض شرطان: أحدهما: أن يكون الطلاق منجزاً، فإذا كان معلقاً (كما إن قال لها: إن جاء رمضان فطلقي نفسك) فإنه لا يصح، ولا تملك الطلاق بذلك. ثانيها: **أن تطلق نفسها فوراً**، فلو أخرته بقدر ما ينقطع به القبول عن الإيجاب، لا يقع الطلاق. **لكن إن قال الرجل لزوجته: (طلقي نفسك متى شئت) كان لها الحق في تطليق نفسها في أي وقت دون اشتراط للفورية**[357]. **والتفويض للمرأة عند الشافعية كالتوكيل، فيجوز للزوج الرجوع عنه قبل تطليق نفسها**[358]، فالتفويض ككل العقود لا يتم إلا بالإيجاب والقبول، وللزوج أن يرجع فى إيجابه قبل قبول الطرف الآخر لأنه لم يعتبر إيجابه تعليقا»[359]

الحنابلة

رأى الحنابلة أن من حق الزوج أن ينيب زوجته عنه فى الطلاق. **وتعتبر النيابة في الطلاق عندهم توكيلا فى جميع صورها**، سواء كانت بلفظ يدل على تمليك الطلاق (كقوله لها: طلقي

---

355) **الفقه على المذاهب الأربعة** (4/ 335)
356) **الفقه على المذاهب الأربعة** (4/ 335)
357) **الفقه على المذاهب الأربعة** (4/ 339)
358) **الفقه على المذاهب الأربعة** (4/ 339)
359) **الأحوال الشخصية**. للشيخ محمد أبو زهرة. صفحة 328-329

نفسك، أو أمرك بيدك)، أو بلفظ يدل على التخيير. **وللزوج فى جميع الأحوال أن يرجع عن النيابة قبل تطليق المرأة نفسها بأن يعزلها**، أو يعمل عملاً يدل على الرجوع، كأن يطأها.

وإن قال الرجل لزوجته: (أمرك بيدك) أو (طلاقك بيدك) أو (وكلتك في الطلاق) فهذا **يجعل لها الحق في أن تطلق نفسها في المجلس وبعد المجلس ولو مضى زمن طويل ما لم يرجع قبل أن تطلق نفسها، فكأنه قال لها: طلقي نفسك ما شئت. أما إذا قال لها: (طلقي) ولم يقل متى شئت، فإنه يكون لها الحق في أن تطلق نفسها متى شاءت، لأنه لا يشترط فيه الفور، وهو توكيل من الزوج، فله أن يرجع عنه بفسخه أو وطئها**[360]. يقول الفقيه الحنبلي ابن قدامة:

«**وَإِذَا قَالَ لَهَا: أَمْرُك بِيَدِك. فَهُوَ بِيَدِهَا، وَإِنْ تَطَاوَلَ، مَا لَمْ يَفْسَخْ أَوْ يَطَأْهَا.** وَجُمْلَةُ ذَلِكَ أَنَّ الزَّوْجَ مُخَيَّرٌ بَيْنَ أَنْ يُطَلِّقَ بِنَفْسِهِ، وَبَيْنَ أَنْ يُوَكِّلَ فِيهِ، وَبَيْنَ أَنْ يُفَوِّضَهُ إلَى الْمَرْأَةِ، وَيَجْعَلَهُ إلَى اخْتِيَارِهَا؛ بِدَلِيلِ أَنَّ النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – خَيَّرَ نِسَاءَهُ، فَاخْتَرْنَهُ. وَمَتَى جَعَلَ أَمْرَ امْرَأَتِهِ بِيَدِهَا، فَهُوَ بِيَدِهَا أَبَدًا، لَا يَتَقَيَّدُ ذَلِكَ بِالْمَجْلِسِ. رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ عَلِيٍّ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ –. وَبِهِ قَالَ الْحَكَمُ، وَأَبُو ثَوْرٍ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ. **وَقَالَ مَالِكٌ، وَالشَّافِعِيُّ، وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ: هُوَ مَقْصُورٌ عَلَى الْمَجْلِسِ، وَلَا طَلَاقَ لَهَا بَعْدَ مُفَارَقَتِهِ**؛ لِأَنَّهُ تَخْيِيرٌ لَهَا، فَكَانَ مَقْصُورًا عَلَى الْمَجْلِسِ، كَقَوْلِهِ: اخْتَارِي. وَلَنَا، قَوْلُ عَلِيٍّ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – فِي رَجُلٍ جَعَلَ أَمْرَ امْرَأَتِهِ بِيَدِهَا، قَالَ: هُوَ لَهَا حَتَّى تُنْكِلَ. وَلَا نَعْرِفُ لَهُ فِي الصَّحَابَةِ مُخَالِفًا، فَيَكُونُ إجْمَاعًا. وَلِأَنَّهُ نَوْعُ تَوْكِيلٍ فِي الطَّلَاقِ، فَكَانَ عَلَى التَّرَاخِي، كَمَا لَوْ جَعَلَهُ لِأَجْنَبِيٍّ»[361]

أما إذا قال الرجل لزوجته: (اختارى نفسك) فلها أن تطلق نفسها، لكن بشرط أن تطلق نفسها في المجلس، فإن تفرقا قبل اختيار نفسها بطل تخييرها. كما يشترط ألا يتشاغل الزوجان في المجلس بقول أو فعل أجنبي يقطع الخيار، إلا أن يجعل الزوج الخيار في زمن موسع كأن يقول لها: اختاري نفسك أسبوعاً، أو يوماً، أو شهراً، أو نحو ذلك فإنها تملك الخيار في المدة التي حددها. **وإذا جعل لها الخيار على التراخي، بأن قال لها: اختاري متى شئت، فإنه يصح**[362]. يقول ابن قدامة:

---

360) **الفقه على المذاهب الأربعة** (4/ 340)
361) **المغني** لابن قدامة (7/ 403)
362) **الفقه على المذاهب الأربعة** (4/ 340)

«أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّ التَّخْيِيرَ عَلَى الْفَوْرِ، إنْ اخْتَارَتْ فِي وَقْتِهَا، وَإِلَّا فَلَا خِيَارَ لَهَا بَعْدَهُ. رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ عُمَرَ، وَعُثْمَانَ، وَابْنِ مَسْعُودٍ، وَجَابِرٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ –، وَبِهِ قَالَ عَطَاءٌ، وَجَابِرُ بْنُ زَيْدٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَالشَّعْبِيُّ، وَالنَّخَعِيُّ، وَمَالِكٌ، وَالثَّوْرِيُّ، وَالْأَوْزَاعِيُّ، وَالشَّافِعِيُّ، وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ[363]...... وَلَنَا، أَنَّهُ قَوْلُ مَنْ سَمَّيْنَا مِنْ الصَّحَابَةِ. رَوَى النَّجَّادُ، بِإِسْنَادِهِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، أَنَّهُ قَالَ: قَضَى عُمَرُ وَعُثْمَانُ، فِي الرَّجُلِ يُخَيِّرُ امْرَأَتَهُ، أَنَّ لَهَا الْخِيَارَ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا. وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: مَا دَامَتْ فِي مَجْلِسِهَا. وَنَحْوُهُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَجَابِرٍ، وَلَمْ نَعْرِفْ لَهُمْ مُخَالِفًا فِي الصَّحَابَةِ، فَكَانَ إجْمَاعًا[364]......فَإِنْ جَعَلَ لَهَا الْخِيَارَ مَتَى شَاءَتْ، أَوْ فِي مُدَّةٍ، فَلَهَا ذَلِكَ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ. وَإِذَا قَالَ: اخْتَارِي إذَا شِئْت أَوْ مَتَى شِئْت. فَلَهَا ذَلِكَ؛ لِأَنَّ هَذِهِ تُفِيدُ جَعْلَ الْخِيَارِ لَهَا فِي عُمُومِ الْأَوْقَاتِ[365]»

لقد رفض الحنابلة **اعتبار تفويض الزوجة في الطلاق نوعا من"التمليك"، ورأوا بدلا من ذلك أنه "توكيل"**، ويترتب على هذا أن **من حق الزوج التراجع عن تفويض زوجته فى الطلاق**. ولا أظن أن أنصار المرأة يعجبهم ذلك. يقول ابن قدامه:

«فَإِنْ رَجَعَ الزَّوْجُ فِيمَا جَعَلَ إلَيْهَا، أَوْ قَالَ: فَسَخْت مَا جَعَلْت إلَيْك. بَطَلَ. وَبِذَلِكَ قَالَ عَطَاءٌ، وَمُجَاهِدٌ، وَالشَّعْبِيُّ، وَالنَّخَعِيُّ، وَالْأَوْزَاعِيُّ، وَإِسْحَاقُ. وَقَالَ الزُّهْرِيُّ، وَالثَّوْرِيُّ، وَمَالِكٌ، وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ: لَيْسَ لَهُ الرُّجُوعُ؛ لِأَنَّهُ مَلَّكَهَا ذَلِكَ، فَلَمْ يَمْلِكْ الرُّجُوعَ، كَمَا لَوْ طَلُقَتْ. وَلَنَا، أَنَّهُ تَوْكِيلٌ، فَكَانَ لَهُ الرُّجُوعُ فِيهِ كَالتَّوْكِيلِ فِي الْبَيْعِ، وَكَمَا لَوْ خَاطَبَ بِذَلِكَ أَجْنَبِيًّا. **وَقَوْلُهُمْ: تَمْلِيكٌ. لَا يَصِحُّ؛ فَإِنَّ الطَّلَاقَ لَا يَصِحُّ تَمْلِيكُهُ، وَلَا يَنْتَقِلُ عَنْ الزَّوْجِ، وَإِنَّمَا يَنُوبُ فِيهِ غَيْرُهُ عَنْهُ، فَإِذَا اسْتَنَابَ غَيْرَهُ فِيهِ كَانَ تَوْكِيلًا لَا غَيْرَ**، ثُمَّ وَإِنْ سُلِّمَ أَنَّهُ تَمْلِيكٌ، فَالتَّمْلِيكُ يَصِحُّ الرُّجُوعُ فِيهِ قَبْلَ اتِّصَالِ الْقَبُولِ بِهِ، كَالْبَيْعِ. وَإِنْ وَطِئَهَا الزَّوْجُ كَانَ رُجُوعًا؛ لِأَنَّهُ نَوْعُ تَوْكِيلٍ، وَالتَّصَرُّفُ فِيمَا وَكَّلَ فِيهِ يُبْطِلُ الْوَكَالَةَ. وَإِنْ رَدَّتْ الْمَرْأَةُ مَا جُعِلَ إلَيْهَا بَطَلَ، كَمَا تَبْطُلُ الْوَكَالَةُ بِفَسْخِ الْوَكِيلِ»[366]

الظاهرية

---

363) المغني لابن قدامة (7/ 407)
364) المغني لابن قدامة (7/ 408)
365) المغني لابن قدامة (7/ 408)
366) المغني لابن قدامة (7/ 403)

شن الظاهرية حملة ضارية على المذاهب الأربعة لأنهم أحلوا للمرأة أن تطلق نفسها إن خيرها زوجها فى الطلاق أو ملكها إياه، وأنكروا كل شرعية للصيغ المستخدمة في هذا الشأن من قبيل "أَمْرُك بِيَدِك"، أَوْ "مَلَّكْتُك أَمْرَك"، أَوْ "اخْتَارِي". يقول ابن حزم:

«وَمَنْ خَيَّرَ امْرَأَتَهُ فَاخْتَارَتْ نَفْسَهَا، أَوْ اخْتَارَتْ الطَّلَاقَ، أَوْ اخْتَارَتْ زَوْجَهَا، أَوْ لَمْ تَخْتَرْ شَيْئًا، فَكُلُّ ذَلِكَ لَا شَيْءَ، وَكُلُّ ذَلِكَ سَوَاءٌ، وَلَا تَطْلُقُ بِذَلِكَ، وَلَا تُحَرَّمُ عَلَيْهِ، وَلَا لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ حُكْمٌ، وَلَوْ كَرَّرَ التَّخْيِيرَ وَكَرَّرَتْ هِيَ اخْتِيَارَ نَفْسِهَا، أَوْ اخْتِيَارَ الطَّلَاقِ أَلْفَ مَرَّةٍ. وَكَذَلِكَ إنْ مَلَّكَهَا أَمْرَ نَفْسِهَا، أَوْ جَعَلَ أَمْرَهَا بِيَدِهَا وَلَا فَرْقَ»[367]

وحجة الظاهرية أنه لا يوجد نص فى القرآن ولا السنة يعطى المرأة الحق فى تطليق نفسها. أما ما ورد عن الصحابة فكثير منه ضعيف السند، كما أن الصحابة اختلفوا، ولم يجمعوا على رأى واحد، فضلا عن أن رأى الصحابى لا حجة له من الأصل لأنهم غير معصومين.

وقال ابن حزم بعد أن أورد الأخبار التى تتكلم عن تطليق المرأة لنفسها بصيغ التخيير أو التمليك أو الأمر باليد: «قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: قَدْ تَقَصَّيْنَا كُلَّ هَذِهِ الْآثَارِ، وَأَرَيْنَا عَظِيمَ كَذِبِ مَنْ ادَّعَى الْإِجْمَاعَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَوَقَفْنَا عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ **فِي التَّخْيِيرِ** شَيْءٌ إلَّا عَنْ عُمَرَ، وَعَلِيٍّ، وَزَيْدٍ: أَقْوَالٌ خَالَفَ فِيهَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ صَاحِبَهُ وَأَثَرٌ لَا يَصِحُّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَآثَارٌ سَاقِطَةٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَالثَّابِتُ عَنْهُ كَقَوْلِنَا: أَنَّهُ لَا مَعْنَى لِلتَّخْيِيرِ أَصْلًا، وَأَنَّهُ لَيْسَ **فِي التَّمْلِيكِ** إلَّا أَقْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ عَنْ زَيْدٍ، وَابْنِ عُمَرَ فَقَطْ، لَا ثَالِثَ لَهُمَا مِنْ الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - إلَّا قَوْلًا ذُكِرَ عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ فِيهِ: أَنَّ الْقَضَاءَ مَا قَضَتْ. وَأَثَرَانِ: مِنْ طَرِيقِ عُثْمَانَ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، مُوَافِقَانِ لِقَوْلِنَا، وَأَنَّهُ لَيْسَ "**فِي أَمْرِك بِيَدِك**" إلَّا أَقْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ عَنْ عُمَرَ، وَعَلِيٍّ، وَزَيْدٍ، وَعُثْمَانَ وَابْنِ عُمَرَ، وَابْنِ عَمْرٍو، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَابْنِ مَسْعُودٍ، وَابْنِ الزُّبَيْرِ، وَرِجَالٍ لَمْ يُسَمُّوا مِنْ الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ»[368]

ويختم ابن حزم بحثه بعبارة صارمة:

«قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: **لَا حُجَّةَ فِي أَحَدٍ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَإِذْ لَمْ يَأْتِ فِي الْقُرْآنِ، وَلَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّ قَوْلَ الرَّجُلِ لِامْرَأَتِهِ: "أَمْرُك بِيَدِك، أَوْ**

---

367) المحلى بالآثار (9/ 291)

368) المحلى بالآثار (9/ 301)

قَدْ مَلَّكْتُك أَمْرَك، أَوْ اخْتَارِي " يُوجِبُ أَنْ تَكُونَ طَالِقًا، أَوْ أَنَّ لَهَا أَنْ تُطَلِّقَ نَفْسَهَا، أَوْ أَنْ تَخْتَارَ طَلَاقًا، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَحْرُمَ عَلَى الرَّجُلِ فَرْجٌ أَبَاحَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ وَرَسُولُهُ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِأَقْوَالٍ لَمْ يُوجِبْهَا اللَّهُ تَعَالَى وَلَا رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[369]

تفويض المرأة في الطلاق وقت عقد الزواج

عند الحنفية يصح التفويض في الطلاق قبل الزواج، ويصح عند إنشائه، ويصح بعده. وقد خالف الحنفية، بذلك أكثر الأئمة[370]. **في رأى الحنفية أن المرأة إن اشترطت على الرجل أن يفوضها في تطليق نفسها متى أحبت كى تقبل الزواج منه فإن هذا مباح**، أي أنه يشترط أن يكون البادئ بالتفويض«هو الزوجة، مثل أن تقول المرأة للرجل: زوجت نفسي منك على أن يكون أمري بيدي أطلق نفسي كلما أريد. فيقول لها: قبلت، فبهذا القبول يتم الزواج، ويصح التطليق، ويكون لها الحق في أن تطلق نفسها كلما أرادت، لأن قبوله ينصرف إلى الزواج ثم إلى التفويض. أما إذا كان البادئ بالايجاب المقترن بالتفويض هو الزوج كأن يقول رجل لامرأته: تزوجتك على أن تكون عصمتك بيدك تطلقين نفسك كلما أردت. فتقول: قبلت، فبهذا يتم الزواج ولا يصح التفويض، ولا يكون للزوجة الحق في أن تطلق نفسها»[371].

«والفرق أنه في الصورة الأولى قَبِلَ الزوج التفويض بعد تمام العقد فيكون قد مَلَّك التطليق بعد أن ملَكَه بتمام عقد الزواج، وأما في الثانية فإنه مَلَّك التطليق قبل أن يَملكه؛ لأنه مَلَّكه قبل تمام عقد الزواج إذ لم يصدر إلا الإيجاب وحده».[372، 373]

الحنفية إذن يبيحون أن تكون العصمة في يد المرأة إن اشترطت هي ذلك، لكنهم يحرمون أن يتطوع الرجل بمنحها العصمة وقت عقد الزواج دون أن تطلب. وقد برر البعض ذلك على أساس حكمة غريبة، هى «أن الطلاق في الواقع ونفس الأمر من اختصاص الرجل وحده،

---

369) **"المحلى بالآثار"** (9/ 302)

370) **"الأحوال الشخصية "** للشيخ محمد أبو زهرة. صفحة 326

371) **"فقه السنة"** (2/ 286- 287).

372) **"أحكام الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية"**. صفحة: 156.

373) ويقول ابن عابدين: «وَإِنْ ابْتَدَأَتْ الْمَرْأَةُ فَقَالَتْ: زَوَّجْت نَفْسِي مِنْك عَلَى أَنِّي طَالِقٌ أَوْ عَلَى أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ بِيَدِي أُطَلِّقُ نَفْسِي كُلَّمَا شِئْت فَقَالَ الزَّوْجُ: قَبِلْت جَازَ النِّكَاحُ وَيَقَعُ الطَّلَاقُ وَيَكُونُ الْأَمْرُ بِيَدِهَا لِأَنَّ الْبُدَاءَةَ إذَا كَانَتْ مِنْ الزَّوْجِ كَانَ الطَّلَاقُ وَالتَّفْوِيضُ قَبْلَ النِّكَاحِ فَلَا يَصِحُّ. أَمَّا إذَا كَانَتْ مِنْ الْمَرْأَةِ يَصِيرُ التَّفْوِيضُ بَعْدَ النِّكَاحِ لِأَنَّ الزَّوْجَ لَمَّا قَالَ بَعْدَ كَلَامِ الْمَرْأَةِ قَبِلْت، وَالْجَوَابُ يَتَضَمَّنُ إعَادَةَ مَا فِي السُّؤَالِ صَارَ كَأَنَّهُ قَالَ: قَبِلْت عَلَى أَنَّك طَالِقٌ أَوْ عَلَى أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ بِيَدِك فَيَصِيرُ مُفَوَّضًا بَعْدَ النِّكَاحِ». انظر: **"رد المحتار على الدر المختار"** (10/ 483). تأليف ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي. دار الفكر-بيروت. الطبعة الثانية، 1412هـ - 1992م

فينبغي أن يكون بيده لا بيد المرأة، فلا يصح أن يشترط بنفسه ما يجب أن يكون له لا لها، ومقتضى هذا أنه لا يصح له أن يقبله منها لما فيه من قلب النظم الطبيعية في الجملة، ولكن لما كان قبول مثل هذا الشرط قد يترتب عليه مصلحة الزوجية وحسن المعاشرة ودوام الرابطة أحياناً، اعتبره المشرع صحيحاً مقبولاً، خصوصاً إذا لوحظ أنه في كثير من الأحيان تخشى المرأة الاقتران بالرجل عند عدم وجود ضمان كهذا، فيكون مثل هذا الشرط من مصلحة الزوجين معاً فيكون صحيحاً، فكأن الشريعة قد سهلت بذلك الجمع بين الزوجين اللذين قد يتوقف الجمع بينهما على هذا الشرط، ولكنها من جهة أخرى حظرت على الرجل أن يكون هو الساعي في نقض ما تقتضيه الطبيعة من كون الطلاق بيده لا بيدها، فلا يصح إن اشترطه هو لها، ويصح أن يقبله منها إذا اشترطته»[374]

وهذا المنطق حقا عجيب، فهم يتضمن الاعتراف بأن وضع الطلاق بيد الرجل هو الأصل في الشريعة، لكنه يستحسن مخالفة ذلك في بعض الأحوال من أجل التوفيق بين رجل وامرأة. وهذا شيء غريب، **فالمفروض أن نطالب الناس بالرضوخ للشريعة، لا أن نغير الشريعة كى توافق أهواءهم.** إن الخمر حرام، وإن أحب رجل امرأة تشرب الخمر، فاشترطت عليه أن يسمح لها بشربها كي تتزوجه، فهل نفتى له بقبول هذا الشرط كى نوفق بين رأسين في الحلال؟ يبدو أن الحنفية هنا يمارسون هواية "الاستحسان". والاستحسان مصطلح في علم أصول الفقه شاع استخدامه بين الحنفية والمالكية، وهو يشير إلى إصدار حكم فقهى، ليس بناء على وجود نص أو قياس، ولكن لأن الفقيه يراه حسنا. وهذه مهزلة لأن هذا ينقل سلطة التشريع من الله إلى هوى الفقيه، ولهذا قال الشافعى قولته المشهورة: "من استحسن فقد شرَّع". والاستحسان يسبب فوضى فقهية عارمة لأن الإنسان قد يستحسن ما يستقبحه الآخرون، ومن الصعب أن تجتمع أهواء الناس على شيء واحد.

يقول ابن حزم: «لا يجوز أصلا أن يتفق استحسان العلماء كلهم على قول واحد على اختلاف هممهم وطبائعهم وأغراضهم فطائفة طبعها الشدة وطائفة طبعها اللين وطائفة طبعها التصميم وطائفة طبعها الاحتياط ولا سبيل إلى الاتفاق على استحسان شيء واحد مع هذه الدواعي

---

374) الفقه على المذاهب الأربعة (4/ 81).

والخواطر المهيجة واختلافها واختلاف نتائجها وموجباتها ونحن نجد الحنفيين قد استحسنوا ما استقبحه المالكيون ونجد المالكيين قد استحسنوا قولا قد استقبحه الحنفيون فبطل أن يكون الحق في دين الله عز وجل مردودا إلى استحسان بعض الناس وإنما كان يكون هذا وأعوذ بالله لو كان الدين ناقصا فأما وهو تام لا مزيد فيه مبين كله منصوص عليه أو مجمع عليه فلا معنى لمن استحسن شيئا منه أو من غيره ولا لمن استقبح أيضا شيئا منه أو من غيره والحق حق وإن استقبحه الناس والباطل باطل وإن استحسنه الناس فصح أن الاستحسان شهوة واتباع للهوى وضلال».[375]

ويقول الغزالى: «الْعَالِمَ لَيْسَ لَهُ أَنْ يَحْكُمَ بِهَوَاهُ وَشَهْوَتِهِ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ فِي دَلَالَةِ الْأَدِلَّةِ، وَالِاسْتِحْسَانُ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ فِي أَدِلَّةِ الشَّرْعِ حُكْمٌ بِالْهَوَى الْمُجَرَّدِ وَهُوَ كَاسْتِحْسَانِ الْعَامِّيِّ وَمَنْ لَا يُحْسِنُ النَّظَرَ، فَإِنَّهُ إنَّمَا جُوِّزَ الِاجْتِهَادُ لِلْعَالِمِ دُونَ الْعَامِّيِّ؛ لِأَنَّهُ يُفَارِقُهُ فِي مَعْرِفَةِ أَدِلَّةِ الشَّرِيعَةِ وَتَمْيِيزِ صَحِيحِهَا مِنْ فَاسِدِهَا، وَإِلَّا فَالْعَامِّيُّ أَيْضًا يَسْتَحْسِنُ»[376]

وبالنسبة للمالكية فقد ذكروا أن تمليك الرجل للمرأة حق الطلاق وقت عقد الزواج يدخل في باب الشروط المفسدة للعقد: «ومنها: أن يشترط شرطاً يناقض العقد، كما إذا قال للولي: زوجني فلانة، على ....**أن أمرها بيدها**، فإن كل هذه الشروط لا يقتضيها العقد، فإن وقع شرط منها فسخ العقد قبل الدخول، أما بعد الدخول فإن العقد لا يفسخ، بل يثبت بمهر المثل ويلغو الشرط»[377].

وقَالَ اللَّخْمِيُّ لَمَّا تَكَلَّمَ عَلَى أَقْسَامِ الشُّرُوطِ: «السَّادِسُ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا عَلَى أَنْ لَا يَأْتِيَهَا إلَّا نَهَارًا، أَوْ عَلَى أَنْ يُؤْثِرَهَا عَلَى غَيْرِهَا، أَوْ عَلَى أَنْ لَا يُعْطِيَهَا الْوَلَدَ، أَوْ لَا نَفَقَةَ لَهَا، أَوْ لَا مِيرَاثَ بَيْنَهُمَا، **أَوْ عَلَى أَنَّ أَمْرَهَا بِيَدِهَا** فَهَذِهِ شُرُوطٌ لَا يَصِحُّ الْوَفَاءُ بِهَا وَاخْتُلِفَ فِي النِّكَاحِ فَقِيلَ: يُفْسَخُ قَبْلُ وَبَعْدُ وَقِيلَ: يُفْسَخُ قَبْلُ وَيَثْبُتُ بَعْدُ وَيَمْضِي عَلَى سُنَّةِ النِّكَاحِ وَيَسْقُطُ الشَّرْطُ[378]».

375) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (6/ 17). تأليف أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي. تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر. قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس. دار الآفاق الجديدة، بيروت

376) المستصفى من علم الأصول. صفحة 172. تأليف أبو حامد الغزالي. تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى، 1413هـ - 1993م.

377) الفقه على المذاهب الأربعة (4/ 83)

378) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل (3/ 446).

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة: [الأصل أن الطلاق بيد الزوج ومن يفوض إلى ذلك من طريق الزوج، هذا إذا كان الزوج أهلا لصدور الطلاق منه، وأما إذا لم يكن أهلا فإن وليه يقوم مقامه، وإذا فوض الزوج إلى زوجته أن تطلق نفسها منه فلها أن تطلق نفسها منه ما لم يفسخ الوكالة، **وأما جعل الزوج العصمة بيد الزوجة بشرط في العقد متى شاءت طلقت نفسها فهذا الشرط باطل؛ لكونه يخالف مقتضى العقد**، وقد قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: «كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل، وإن كان مائة شرط»][379]

لماذا نرفض جعل العصمة بيد الزوجة

نحن نرى أن جعل العصمة بيد الزوجة ليس من الشريعة في شيء، وذلك لعدة أسباب:

أولا:

جعل العصمة بيد المرأة وقت عقد الزواج يتناقض مع الخط العام للشريعة التي جعلت الطلاق بيد الرجل لا المرأة، وذلك للأسباب العديدة التي ذكرناها آنفا، ومن أهمها مبدأ القوامة. لقد نصَّب الله تعالى الرجل حاكما للمرأة، ورقيبا على سلوكها، وآمرا لها طبقا لقوله تعالى: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ} [النساء: 34]، ولغير ذلك من الأحاديث كقول رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا، وَلَا تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ زَوْجِهَا حَتَّى لَوْ سَأَلَهَا نَفْسَهَا عَلَى قَتَبٍ لَأَعْطَتْهُ». وهذا حديث صحيح على شرط مسلم.[380] وقوله: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ مَا يُكْنَزُ؟ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ، وَإِذَا أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِذَا غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ». قال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ".

ولو كان للزوجة حق الطلاق لما استطاع زوجها أن يأمرها بشيء لأنها تستطيع أن تتركه بسهولة إن لم تعجبها أوامره. **وسينقلب المشهد التقليدي، فبدلا من أن تسارع الزوجة إلى طاعة**

379) **فتاوى اللجنة الدائمة -المجموعة الأولى** (20/ 10) بعضوية: عبد الله بن قعود-عبد الله بن غديان-عبد الرزاق عفيفي-عبد العزيز بن عبد الله بن باز

380) قال الألباني: أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير". وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات رجال البخاري؛ غير القاسم الشيباني، وهو صدوق يغرب؛ كما قال الحافظ في "التقريب "، وهو من رجال مسلم. وموسى بن هارون ثقة حافظ مشهور، مترجم في "تاريخ بغداد"، و"تذكرة الحفاظ " وغيرهما. ثم رواه الطبراني من طريق صدقة عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به. انظر: **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها** (7/ 1097) للألباني.

زوجها خوفا من أن يطلقها سيسارع الرجل إلى طاعة زوجته حتى لا تتركه. وستصبح المرأة الحاكم الفعلى للأسرة، وهذا ضد القرآن والسنة.

يقول الدكتور حسام الدين بن موسى عفانة: «جعل الله سبحانه وتعالى القوامة للرجل على المرأة فقال الله تعالى: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ). والطلاق فرع عن جعل القوامة للرجل وبالتالي فإن الطلاق في الأصل هو من حق الرجل وبيده وهذا هو الذي يتفق مع الفطرة فالرجل هو المسؤول الأول عن الأسرة وبيده مفاتيح الحل والعقد **والرجل أقدر من المرأة في الغالب على ضبط عواطفه وانفعالاته وتحكيم عقله** وخاصة عندما تقع المشكلات بين الزوجين ويثور الغضب بينهما. كماأن الرجل يدرك ما يترتب على إيقاع الطلاق من تبعات مختلفة كالأمور المالية وما يتعلق بالأولاد وتربيهيتم والعناية بهم وغير ذلك. لذلك كله فإن أكثر فقهاء الإسلام يمنعون جعل العصمة بيد الزوجة فيكون لها الحق في أن تطلق نفسها متى شاءت وهذا هو الراجح وهو الذي ينسجم مع الفطرة ومع مبدأ القوامة».[381]

ثانيا:

لم يحدث قط أن شهد الرسول عليه الصلاة والسلام زواجا اشترطت فيه المرأة أن يكون لها حق الطلاق متى شاءت. ولا توجد آية قرآنية تبيح ذلك.

وإن استشهد البعض بتخيير الرسول عليه الصلاة والسلام لزوجاته فهو مغالط. لقد أخبرنا القرآن بهذه الواقعة، فقال: {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (28) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 28، 29]. وهذه الآية تتكلم عن طلب نساء النبي لمزيد من النفقة، فرفض الرسول، وأمره الله تعالى أن يخيرهن بين الحياة معه في فقر وبين الطلاق. **وهذا التخيير لم يكن قبل الزواج، ولم يكن شرطا لإتمام الزواج، بل جاء بعده.** فما فعله الرسول عليه السلام يختلف تماما عن جعل العصمة في يد الزوجة وقت عقد الزواج، بحيث تطلق نفسها متى شاءت. **ولو أراد الرسول عليه الصلاة والسلام أن يقول للعالم: "أنا من أنصار المرأة،**

---

381) "فتاوى يسألونك" (149/1). تأليف دكتور/حسام الدين بن موسى عفانة. الطبعة الأولى. الناشر: مكتبة دنديس، الضفة الغربية – فلسطين (جزء 1-10)، والمكتبة العلمية ودار الطيب للطباعة والنشر، القدس - أبو ديس (جزء 11-14). 1427 - 1430 هـ

وصاحب فكر نسوي مستنير" لجعل العصمة بيد بعض زوجاته وقت العقد عليهن حتى يقتدي به المسلمون من بعده، أو لحث أصحابه على عمل ذلك.

كما ذكر ابن حزم أن هذه الآية لا تثبت حق المرأة في تطليق نفسها لأنها تفيد أن زوجات النبى إن اخترن الدنيا فهذا لن يجعلهن مطلقات بشكل تلقائى، بل سيكون على الرسول عليه السلام أن يطلقهن، طبقا لعبارة (فتعالين أمتعكن وأسرحكن):

(وَاحْتَجَّ مَنْ رَأَى أَنَّ التَّخْيِيرَ لَهُ تَأْثِيرٌ فِي الطَّلَاقِ بِأَنَّ «رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيَّرَ نِسَاءَهُ»..... والْآيَةُ نَفْسُهَا تُبْطِلُ دَعْوَاكُمْ لِأَنَّ نَصَّهَا: {إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلا} [الأحزاب: 28]. **فَإِنَّمَا نَصَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إنْ أَرَدْنَ الدُّنْيَا، وَلَمْ يُرِدْنَ الْآخِرَةَ: طَلَّقَهُنَّ حِينَئِذٍ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ مُخْتَارًا لِلطَّلَاقِ، لَا أَنَّهُنَّ طَوَالِقُ بِنَفْسِ اخْتِيَارِهِنَّ الدُّنْيَا. وَمَنْ ادَّعَى غَيْرَ هَذَا فَقَدْ حَرَّفَ كَلَامَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَقْحَمَ فِي حُكْمِ الْآيَةِ كَذِبًا مَحْضًا لَيْسَ فِيهَا مِنْهُ نَصٌّ وَلَا دَلِيلٌ)**[382].

إن وضع العصمة فى يد الزوجة لا يوجد دليل شرعى عليه، وإنما هو من رأى بعض الفقهاء الذين يجب أن ينظر إليهم على أنهم بشر يصيبون ويخطئون.

<u>ثالثا:</u>

من الخطأ أن تمنح إنسانا حقا، لا تدري كيف سيستخدمه. هب أن رجلا قال لابنه بعد أن نجح في الامتحان: "اطلب مني أي شيء، وسأحققه لك على الفور"، فطلب منه الابن أن يسمح له بالزواج من راقصة، فهل يوافق الأب حتى لا يقال أنه أخلف وعده؟ قطعا لا.**وبالمثل من الخطأ أن يمنح الرجل لزوجته شيكا على بياض بالطلاق متى شاءت، فمن أدراه أنها لن تهدده في يوم من الأيام بالطلاق إن لم يقاطع أخاه، أو يتركها تعمل كعارضة أزياء؟ وحتى لو كانت المرأة إنسانة فاضلة، فمن أدرانا أنها لن تستسلم لعاطفتها الغلابة،** فتفقد صوابها في لحظة غيرة حمقاء، أو تقع في أسر نصائح صديقة خبيثة، أو تتأثر بمنشور على الفيسبوك؟ الرجل بهذا الشكل يغرس بيديه بذرة خراب بيته.

---

382) المحلى بالآثار (9/ 300)

رابعا:

جعل العصمة بيد الزوجة *وقت* عقد الزواج هو رأى تبناه الحنفية، وخالفهم فيه جمهور الفقهاء. ونحن لا نقول أن رأي الأقلية دائما خطأ، ولكن الخطأ أن يقدم البعض رأي الأقلية للمسلم البسيط على أنه رأي فقهي ثابت، لا يختلف علي صحته اثنان.

وحتى إن استشهد أنصار المرأة بالفقهاء القدامى، الذين أباحوا تفويض المرأة في الطلاق بعد الزواج، فإنهم يتجاهلون أن **آراء هؤلاء الفقهاء لا تتفق مع الطموحات الجامحة للمرأة المعاصرة.** على سبيل المثال ذهب الشافعية والحنابلة إلى أن الرجل إن فوض الطلاق إلى زوجته بعد الزواج **فهذه ليست منحة أبدية، بل يحق له أن يتراجع عن ذلك متى شاء.** كما رأى المالكية أن تفويض الطلاق للمرأة إن تم على شكل توكيل كان من حق الزوج التراجع عنه.

ورأينا أيضا أن **أغلب الصحابة والفقهاء قالوا بأن تفويض المرأة فى الطلاق يترتب عليه طلقة واحدة رجعية، وهذا قطعا لا يرضى أنصار المرأة الذين يريدون تحررا كاملا من الرجل،** بحيث لا يكون للرجل سلطان في أن يردها إلى عصمته[383].

خامسا:

قال البعض أنه إن اشترطت المرأة على الرجل أن تكون العصمة بيدها، فالزوج ملزم بالوفاء بالشرط طبق لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن أحق ما أوفيتم به من الشروط ما استحللتم به الفروج". وبهذا أفتى بعض الصحابة مثل عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما." وقد ردت عليهم اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء قائلة: **[وأما جعل الزوج العصمة بيد الزوجة بشرط في العقد متى شاءت طلقت نفسها فهذا الشرط باطل؛ لكونه يخالف مقتضى**

383) يقول الشيخ محمد أبو زهرة: «ومن الفقهاء من جعل اختيارها نفسها تطليقة واحدة رجعية، ومنهم من جعلها بائنة، ومنهم من أجاز لها الاثنتين والثلاث إن لم يكن في لفظ التفويض ما يمنع. والمعمول به كما رأيت أن يكون واحدة رجعية. وعلى ذلك إذا راجعها بعد تطليق نفسها ينتهي التفويض إذا لم يشترط لها التكرار، ولو كان التفويض بقوله متى شاءت لأنها بهذه ليست إلا واحدة. وقد فهم بعض القضاة أنه إذا كانت الصيغة لعموم الأوقات يكون لها التكرار لأن الحال تفيد ذلك. وليس هذا الفهم سليما لأن العبرة بما يدل عليه اللفظ، ولأنه يعمل بالقرائن التي تتنافى مع اللفظ، ولأن العبرة بمقصده لأنه مصدر القول، ولأن منطق القوانين الخاصة بالطلاق تجعل المرجح نيته كالشأن في كنايات الطلاق، ولأن هذا حق استثنائى لا يتوسع فيه». انظر: **"الأحوال الشخصية"** لمحمد أبو زهرة. صفحة 328

العقد، وقد قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: «كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل، وإن كان مائة شرط»][384].

ونحن نتفق تماما، ونؤكد أن حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: " كل شرط ليس في كتاب الله تعالى فهو باطل"، هذا الحديث يرسى مبدأ مهما فى التعامل بين الناس: فليشترط أى منهم على الآخر ما يشاء من شروط، لكن ليحذر أن تكون هذه الشروط مخالفة للقرآن والسنة. وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا عن أن تشترط المرأة على الرجل أن يطلق ضرتها: عن أبي هريرة قال «نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن تشترط المرأة طلاق أختها» وفي لفظ «أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا تسأل المرأة طلاق أختها لتنكح».

إن الشروط التي يمكن أن يأخذها الناس على بعضهم البعض قبل الزواج كثيرة جدا، ومن المحال أن يذكرها القرآن والسنة كلها. ومن أفدح الأخطاء أن يظن البعض أنه طالما أن الشريعة سكتت عن شرط معين فهذا يعنى بصورة آلية أن هذا الشرط مباح. وهل من المباح أن تشترط المرأة على زوجها أن يقاطع أبويه بعد الزواج لأنهما فقراء؟ هذا الشرط لم يرد نص يحرمه، ولكنه مع ذلك باطل شرعا لأن الإسلام نهى عن عقوق الوالدين. وكذلك إن اشترطت امرأة على رجل أن يتركها بعد الزواج تعمل في بيت دعارة فهذا الشرط باطل مع العلم أنه لا يوجد نص ديني يقول أنه شرط باطل. وبالمثل نقول أن اشتراط المرأة أن تكون العصمة في يدها قبل الزواج باطل رغم عدم وجود نص صريح يفيد ذلك، وذلك لأنه يتناقض مع الشريعة التي جعلت الطلاق ملكا للرجل وليس المرأة.

سادسا:

قد يهون البعض من الأمر بحجة أن النساء اللائى بيدهن العصمة لا يمثلن إلا أقلية. ونحن نرفض هذا التهوين لأن لدينا تخوفا حقيقيا من أنه فى المستقبل سيتحول الأمر من مجرد تفويض يمنحه قلة من الرجال لزوجاتهم إلى تقليد يفرضه المجتمع (أو تفرضه الدولة) على عامة الرجال قهرا لأن النساء يقلد بعضهن بعضا، والآباء يقلد بعضهم بعضا. وستشعر الفتاة المقدمة على

---

384) فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الأولى (20/ 10) بعضوية عبد الله بن قعود وعبد الله بن غديان وعبد الرزاق عفيفي وعبد العزيز بن عبد الله بن باز

الزواج بالحرج لأن زميلتها فلانة اشترطت أن تكون العصمة فى يدها، وقريبتها فلانة فعلت نفس الشيء. وستجد نفسها واقعة تحت ضغط اجتماعى لمحاكاة الأخريات. وبمرور الزمن ستنتشر البدعة، كما انتشرت غيرها من بدع الزواج وتقاليعه.

وهذا الخوف النظرى من جانبنا بشأن مسألة العصمة قد تحقق بالفعل حيث تزايدت فى السنوات الأخيرة أعداد النساء اللائى يملكن حق الطلاق (العصمة فى أيديهن) حتى وصل منذ عدة سنوات إلى خمسين ألف سيدة فى مصر طبقا لتقرير الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء[385]. وقارن هذا الانتشار الواسع لتلك الظاهرة مع فيلم قديم لاسماعيل ياسين، اسمه على ما أذكر "صاحبة العصمة"، كان يحكى قصة امرأة اشترطت أن تكون العصمة فى يدها، وكان الأمر وقتها غريبا وغير مألوف بما جعله مستحقا لإنتاج فيلم سينيمائي عنه.

سابعا:

فكر بعض قدامى الفقهاء بالمنطق التالى: بما أن الطلاق ملك للرجل فمن حقه أن ينيب عنه غيره، سواء كان النائب زوجته أو غيرها[386]. ونحن نؤكد أن تفويض المرأة فى تطليق نفسها مهزلة. **لقد عامل جمهور الفقهاء الطلاق على أنه سلعة يمتلكها الإنسان** مثل سيارة أو قطعة أرض، ومن حقه أن ينقل ملكيتها لزوجته دون مقابل.

ونحن نؤكد أن **هذا قياس فاسد لأن هناك حقوقا يمتلكها الإنسان، ولا يمكن أن ينقلها للآخرين. على سبيل المثال يمتلك الرجل حق جماع زوجته، فهل يحق له أن يُمَلك صديقه نصيبا من هذا الحق، فيبيت كل منهما مع الزوجة ليلة؟** وهل يحق لصديقي الحاصل على الدكتوراة من جامعة هارفارد أن يتنازل لي عن شهادته دون أن أدرس أو أمتحن؟ وهل يحق لرئيس أمريكا المنتخب أن يتنازل عن منصب الرئاسة لصديقته عارضة الأزياء؟ طبقا لشريعة الإسلام لا يجوز، وهذا يثبت أن الإنسان ليس حرا في التصرف في كثير مما يملك، وليس له أن يهب للآخرين كل ما يشاء. هناك ممتلكات تختلف عن الأراضي والعقارات. والطلاق أحد هذه الأشياء، التي يملكها الرجل، ولا يجوز له أن ينقلها لأحد غيره.

---

385) مجلة اللواء الإسلامى. العدد 1270 - 27 من ربيع الآخر 1427هـ - 25 من مايو 2006م
386) الفقه على المذاهب الأربعة (4/ 328)

واعتبار الطلاق كالسلعة جعل الفقهاء يقولون أيضا بجواز أن "يوكل" الرجل زوجته في إيقاع الطلاق كما يوكل الرجل شخصا يدير له مزرعة أو متجر. ونحن نقول أن من الممكن لرجل مسافر أن يعطى توكيلا لأحد أقاربه أو لمحام كى يطلق امرأته فى غيابه. هذا شيء لا غبار عليه لأن الوكيل هنا لا يتصرف من نفسه، بل ينفذ إرادة الزوج الذي يتعذر حضوره لإيقاع الطلاق بنفسه. لكن الفقهاء جعلوا للرجل الحق في أن يوكل زوجته في طلاق نفسها مع أن الزوج موجود بجوارها وحاضر معها، ويستطيع إيقاع الطلاق بكل سهولة، فلماذا يبحث عن وكيل؟ هذا تعسف في قياس الطلاق على السلع والممتلكات.

وبفضل الله تعالى[387] يرد ابن حزم على هؤلاء ردا لا يبقي ولا يذر: «وَلَا تَجُوزُ الْوَكَالَةُ فِي الطَّلَاقِ، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: {وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلا عَلَيْهَا} [الأنعام: 164] فَلَا يَجُوزُ عَمَلُ أَحَدٍ عَنْ أَحَدٍ إلَّا حَيْثُ أَجَازَهُ الْقُرْآنُ، أَوْ السُّنَّةُ الثَّابِتَةُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَلَا يَجُوزُ كَلَامُ أَحَدٍ عَنْ كَلَامِ غَيْرِهِ مِنْ حَيْثُ أَجَازَهُ الْقُرْآنُ أَوْ سُنَّةٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَأْتِ فِي طَلَاقِ أَحَدٍ عَنْ أَحَدٍ بِتَوْكِيلِهِ إيَّاهُ قُرْآنٌ وَلَا سُنَّةٌ؛ فَهُوَ بَاطِلٌ. وَالْمُخَالِفُونَ لَنَا أَصْحَابُ قِيَاسٍ بِزَعْمِهِمْ، وَبِالضَّرُورَةِ يَدْرِي كُلُّ أَحَدٍ أَنَّ **الطَّلَاقَ كَلَامٌ، وَالظِّهَارَ كَلَامٌ، وَاللِّعَانَ كَلَامٌ، وَالْإِيلَاءَ كَلَامٌ. وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِي أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُظَاهِرَ أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ، وَلَا أَنْ يُلَاعِنَ أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ، وَلَا أَنْ يُولِيَ أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ، لَا بِوَكَالَةٍ، وَلَا بِغَيْرِهَا، فَهَلَّا قَاسُوا الطَّلَاقَ عَلَى ذَلِكَ**؟ وَلَكِنْ لَا النُّصُوصُ يَتَّبِعُونَ، وَلَا الْقِيَاسُ يُحْسِنُونَ. وَكُلُّ مَكَان ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ " الطَّلَاقَ " فَإِنَّهُ خَاطَبَ بِهِ الْأَزْوَاجَ لَا غَيْرَهُمْ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَنُوبَ غَيْرُهُمْ عَنْهُمْ –لَا بِوَكَالَةٍ وَلَا بِغَيْرِهَا– لِأَنَّهُ كَانَ تَعَدِّيًا لِحُدُودِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»[388].

<u>وإذا كان بعض الفقهاء قد اعتبر الطلاق "سلعة"، فلماذا لا نعتبره بدلا من ذلك "أمانة"</u>، استودعها الله تعالى لدى الرجل بالذات لأنه يعلم أنه سيحافظ عليها بشكل أفضل من المرأة التي تنصاع لعاطفتها. أيحق للرجل حينئذ أن ينقل ملكية الطلاق لزوجته؟ هذه خيانة للأمانة، وتبديد للوديعة.

---

387) إن أعجبتك ردود ابن حزم الصاعقة فتذكر أن من ألهمه الحق هو الله، وأن عقل أي مفكر ليس من صنعه، بل من صنع ربه. فلا تنشغل بعبقرية ابن حزم، واحمد الله أن أجرى الحق على لسان أحد عباده.

388) المحلى بالآثار (9/453-454)

ماذا تظن نفسك أيها الفقيه كى تغير الشريعة، وتمنح المرأة حقا أبى الله تعالى أن يمنحه لها؟ أنت لست أكثر تحضرا من الله.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

هل تبقى الزوجة أسيرة

بعد أن أعدت قراءة الفصول السابقة سألت نفسي: "وماذا بقي للمرأة بعد أن أحاطت بها قيود الرجل، وكبلتها أغلال الحياة الزوجية إلى الأبد؟ كيف تتخلص من زوج شرير فاسق، وهي قد سُلبت حق الخلع وحق امتلاك العصمة؟" وللرد على هذا السؤال نورد النقاط التالية:

أولا:

نحن لم نسلب من المرأة حق الخلع. نحن فقط نقول أن موافقة الزوج ضرورية. ولا شك أن **أغلب الأزواج يوافقون على الخلع طالما أن الزوجة ستتنازل عن حقوقها بعد الطلاق**. وإضافة إلى ذلك فرغم أن الطلاق بيد الزوج إلا أن القاضي من حقه أن يطلق الزوجة رغما عن زوجها. وقد سبق أن قلنا أن عيوب الزوج الفجة الكبيرة توجب على القاضي إيقاع الطلاق دون إرادة الزوج. ومن أمثلة ذلك عدم قدرة الرجل على الجماع، أو فقده، أو سجنه، أو هجره لفراش الزوجة لفترة طويلة، أو ضربها بشكل يؤدى إلى إصابات بالغة، أو سبها بألفاظ فاحشة. وهذا سينقذ المرأة من أغلب المظالم الحقيقية التى تتعرض لها.

وليست هذه ابتكارات تشريعية، تفتقت عنها أذهان الفقهاء، ولكنها تستند إلى أدلة قوية، أهمها قصة بريرة التي كانت جارية، أعانتها السيدة عائشة على التحرر من الرق، فلما أُعتقت خيرها الرسول عليه الصلاة والسلام بين أن تبقى مع زوجها – وكان عبدا أسود اسمه مغيث – وبين أن تنفصل عنه، فاختارت بريرة أن تفارقه. والقصة مذكورة في صحيح البخاري[389]. ولقصة بريرة مدلول في غاية الأهمية[390]، ألا وهو أن فسخ الزواج جائز في شريعة الإسلام، وهذا يعنى

---

389) عَنِ الأَسْوَدِ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، اشْتَرَتْ بَرِيرَةَ لِتُعْتِقَهَا ... فَاشْتَرَتْهَا فَأَعْتَقَتْهَا، قَالَ: وَخُيِّرَتْ فَاخْتَارَتْ نَفْسَهَا، وَقَالَتْ: لَوْ أُعْطِيتُ كَذَا وَكَذَا مَا كُنْتُ مَعَهُ (تقصد ما كنت مع زوجي). وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «كَانَ زَوْجُ بَرِيرَةَ عَبْدًا أَسْوَدَ، يُقَالُ لَهُ مُغِيثٌ، عَبْدًا لِبَنِي فُلاَنٍ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ وَرَاءَهَا فِي سِكَكِ المَدِينَةِ» (أي كان الزوج يطوف وراء زوجته في شوارع المدينة أملا في أن تعود إليه بعد أن اختارت فراقه). وعن القَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ: كَانَ فِي بَرِيرَةَ ثَلاَثُ سُنَنٍ، وذكر منها: (وَأُعْتِقَتْ فَخُيِّرَتْ فِي أَنْ تَقِرَّ تَحْتَ زَوْجِهَا أَوْ تُفَارِقَهُ). وفى لفظ آخر للقاسم بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَائِشَةَ أن بريرة: (عَتَقَتْ فَخُيِّرَتْ). وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ زَوْجَ بَرِيرَةَ كَانَ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ مُغِيثٌ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِي وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى لِحْيَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعبَّاسٍ: «يَا عَبَّاسُ، أَلاَ تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ، وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا» فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ رَاجَعْتِهِ» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ» قَالَتْ: لاَ حَاجَةَ لِي فِيهِ.

390) هناك اختلاف بين الرواة فيما إذا كان زوج بريرة عبدا أم حرا. وقد اختار البخارى أنه كان عبدا، فقال في صحيحه: [قَالَ الأَسْوَدُ: وَكَانَ زَوْجُهَا حُرًّا " قَوْلُ الأَسْوَدِ مُنْقَطِعٌ. وَقَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ: رَأَيْتُهُ عَبْدًا، أَصَحُّ]. **ولا يعنينا كثيرا هل منح الرسول عليه السلام بريرة خيار الطلاق لأنها أعتقت وبقي زوجها عبدا أم لمجرد أنها أعتقت مع كون زوجها حرا، فالمهم أنه يجوز من حيث المبدأ فسخ الزواج إن تضررت المرأة حتى لو لم يوافق الزوج. وقد أنكر ابن حزم إمكان معرفة العلة التي من أجلها فرق الرسول عليه السلام بين بريرة وزجها،** فقال: [هَبْكُمْ أَنَّهُ لَمْ يَرْوِ أَحَدٌ أَنَّهُ كَانَ حُرًّا، بَلْ لَمْ يَخْتَلِفْ الرُّوَاةُ فِي أَنَّهُ كَانَ عَبْدًا حِينَ أُعْتِقَتْ؟ هَلْ جَاءَ قَطُّ فِي شَيْءٍ مِنْ الْأَخْبَارِ الثَّابِتَةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: إنَّمَا خَيَّرْتُهَا؛ لِأَنَّهَا تَحْتَ عَبْدٍ، وَلَوْ كَانَ زَوْجُهَا حُرًّا مَا خَيَّرْتهَا - هَذَا أَمْرٌ لَا يَجِدُونَهُ أَبَدًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - لَا فِي رِوَايَةٍ صَحِيحَةٍ وَلَا سَقِيمَةٍ، فَإِذْ لَا سَبِيلَ إلَى وُجُودِ هَذَا أَبَدًا فَقَدْ صَحَّ أَنَّهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - لَمَّا أُعْتِقَتْ بَرِيرَةُ خَيَّرَهَا فِي الْبَقَاءِ مَعَ زَوْجِهَا أَوْ فِرَاقِهِ، فَهَذَا - لَا شَكَّ فِيهِ، فَلَا يَجُوزُ تَعَدِّيهِ، وَلَا زِيَادَةُ حُكْمٍ فِيهِ. وَلَا فَرْقَ بَيْنَ مَنْ ادَّعَى أَنَّهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - إنَّمَا خَيَّرَهَا؛ لِأَنَّهُ كَانَ عَبْدًا، وَبَيْنَ آخَرَ ادَّعَى أَنَّهُ لَمْ يُخَيِّرْهَا إلَّا لِأَنَّهُ كَانَ أَسْوَدَ، وَبَيْنَ ثَالِثٍ ادَّعَى أَنَّ تَخْيِيرَهَا إنَّمَا كَانَ، لِأَنَّ اسْمَهُ مُغِيثٌ. وَكُلُّ هَذِهِ ظُنُونٌ كَاذِبَةٌ لَا يَحِلُّ الْقَوْلُ بِهَا، وَلَا الْحُكْمُ بِهَا، وَإِنَّمَا الْحَقُّ أَنَّ الْمُعْتَقَةَ خَيَّرَهَا

أن سلطة الزوج في الطلاق ليست مطلقة، ومن الجائز في بعض الحالات أن يسحب القاضي هذا الحق منه.

وإذا كان من الجائز أن تفارق المرأة زوجها لسبب هين نسبيا كحصولها على الحرية بعد الرق، فالقياس يحتم أن تُمنح المرأة نفس الحق في الحالات الأشد. وقد ذكر ابن حزم ست حالات أخرى توجب فسخ الزواج. وفكرة فسخ الزواج لا يختلف عليها اثنان من المسلمين، ومدلولها أن الرجل ليس وحده الذي يملك حق الطلاق، ومن الممكن للقاضي – من حيث المبدأ– أن يفرق بين الزوجين حتى لو كره الزوج. يقول ابن حزم:

«مَسْأَلَةٌ: **مَا يَقَعُ بِهِ فَسْخُ النِّكَاحِ بَعْدَ صِحَّتِهِ:** وَهِيَ ثَمَانِيَةُ أَوْجُهٍ فَقَطْ –: أَحَدُهَا أَنْ تَصِيرَ حَرِيمَةً بِرَضَاعٍ وَقَدْ ذَكَرْنَا ذَلِكَ. وَالثَّانِي أَنْ يَطَأَهَا أَبُوهُ، أَوْ جَدُّهُ بِجَهَالَةٍ؛ أَوْ بِقَصْدٍ إلَى الزِّنَا، وَقَدْ ذَكَرْنَا ذَلِكَ. وَالثَّالِثُ أَنْ يَتِمَّ الْتِعَانُهُ وَالْتِعَانُهَا. وَالرَّابِعُ أَنْ تَكُونَ أَمَةً فَتُعْتَقَ، فَلَهَا الْخِيَارُ فِي فَسْخِ نِكَاحِهَا مِنْ زَوْجِهَا أَوْ إبْقَائِهِ. وَالْخَامِسُ اخْتِلَافُ الدِّينَيْنِ إلَّا فِي جِهَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهِيَ أَنْ يُسْلِمَ الزَّوْجُ وَهِيَ كِتَابِيَّةٌ، فَإِنَّهُمَا يَبْقَيَانِ عَلَى نِكَاحِهِمَا.... وَالسَّادِسُ أَنْ يَمْلِكَهَا، أَوْ بَعْضَهَا. وَالسَّابِعُ أَنْ تَمْلِكَهُ أَوْ بَعْضَهُ. وَالثَّامِنُ مَوْتُهُ أَوْ مَوْتُهَا، وَلَا خِلَافَ فِي ذَلِكَ»[391].

وقد أوردنا عددا من الحالات التي قال الفقهاء أنها توجب الطلاق كغيبة الزوج أو عجزه الجنسي أو إضراره بالزوجة. وستجد أنه في أغلب هذه الحالات **يفقد الزواج ركنا أساسيا من أركانه، يجعله زواجا باطلا، فالعبرة بالمسمى، وليس بالإسم.** ومن صلى دون أن يقرأ الفاتحة فصلاته باطلة، حتى لو قام وركع وسجد. ومن حج في شهر رجب فحجه باطل، حتى لو وقف بعرفة، وطاف بالبيت الحرام. وبالمثل **إن فقد الزواج ركنا أساسيا من أركانه، كان على الحاكم أن يتدخل لإنهائه بالقوة رغما عن الزوج.**

<u>ثانيا:</u>

رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - بَيْنَ فِرَاقِ زَوْجِهَا، وَالْبَقَاءِ مَعَهُ وَلَا مَزِيدَ، فَوَاجِبٌ أَنْ تُخَيَّرَ كُلُّ مُعْتَقَةٍ وَلَا مَزِيدَ]. انظر: **المحلى بالآثار** (9/ 351).

391) **المحلى بالآثار** (9/ 329).

ليس كل الرجال شياطين؛ أغلب الرجال – مثل أغلب النساء – لديهم قدر متوسط من الإيمان والأخلاق، ولهذا لن يكون من الشائع أبدا أن يتعمد الرجل إذلال زوجته، ويمتنع عن الطلاق والخلع كي يتركها كالمعلقة. وفي الغالب إن وجد الزوج أن كل محاولات تطويع زوجته قد فشلت، وأنها تكرهه كل الكره، وتصر على فراقه، وتثير المشاكل، وتنغص عليه حياته، فسيقبل بالطلاق أو الخلع. **ومن الخطأ تصوير الأمر، وكأن كل النساء أسرى في سجن وحش اسمه الرجل.**

<u>**ثالثا:**</u>

يشكل أهل الزوجة قوة ضغط على الرجل، الذي إن شعر أن المرأة ليست وحدها، وأن هناك من يقف وراءها، ويطالب بحقوقها، استسلم وطلقها.

<u>**رابعا:**</u>

شريعة الإسلام لا تعول على نصوص القانون وحده، بل تعتمد كذلك بشكل أساسى على أخلاق الناس الذين شرع القانون من أجلهم. ومن يقرأ القرآن يلاحظ أنه كثيرا ما يذكر قوانين الشريعة وفي نفس الوقت يخاطب ضمائر الناس، ويوقظ في قلوبهم الإيمان والتقوى. وإن افترضنا أن **نصوص القانون الجامدة يمكن أن تحقق العدل بنسبة خمسين في المائة، ففي ظل الإيمان والتقوى يمكن أن ترتفع هذه النسبة لتقترب من مائة في المائة، وذلك لأن الخبثاء يستطيعون دوما التحايل على أرقى النصوص القانونية.**

وبالنسبة للزوج الذي يسىء معاملة زوجته، ويرفض طلاقها، هذا الزوج إن كان عنده حس إيمانى لتأثر بالموعظة الأخلاقية في قوله تعالى: {وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } [البقرة: 231].

إن هذه الآية الأخيرة تنهى الرجل عن الامتناع عن طلاق زوجته بغية إساءة معاملتها. **وهذه الآية تنقسم إلى قسمين: أولا: إخبار المسلمين أن العدوان على الزوجة حرام. ثانيا إيقاظ الوازع الإيماني في قلب المؤمن** من خلال قوله: (وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ

عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ). وهذا الوازع الإيمانى قادر في حالات كثيرة على جعل الزوج يتراجع، ويترك زوجته تمضي لحالها.

قد يبدو هذا الكلام ساذجا، لكن الخلل يكمن في مجتمعاتنا الإسلامية المعاصرة، وليس في الشريعة نفسها. لقد ابتعد الناس عن الدين، وهووا إلى حضيض الأخلاق، وبلغت معدلات الجرائم حدا لا يعقل، وأصبحت المخدرات تباع علنا في الشوارع والمقاهى وحفلات الزفاف، وسقط في فخها المتعلمون وأساتذة الجامعة. كما أصبحت شخصية "البلطجى" هي الشخصية المحببة لنفوس الكبار، والقدوة التي يقلدها الصغار. كما تفشى التبرج، وعم الزنا، وغزت الأفلام الإباحية كل البيوت. وأصبحت الغالبية العظمى من المسلمين يستحلون الربا. ولن أتكلم عن انتشار المحسوبية والواسطة. لقد أصبحت جملة (اتق الله) لا تهز مشاعر أحد، بل صار الناس يسخرون ممن يقول أنه فعل شيئا بدافع تقوى الله، صائحين: (يا ولد يا مؤمن!)

أمثل هذا المجتمع يمكن أن يحسن تطبيق الشريعة؟ طبعا سيخلق هؤلاء الأوغاد ألف ثغرة وثغرة في كل بند من بنود شريعة الإسلام، وأى شريعة غيرها.

إن شريعة الله يجب أن تؤخذ كحزمة واحدة، فلا يجوز أن نطبق منها شيئا، ونترك شيئا آخر. الشريعة جاءت بأمرين: قوانين وأخلاق. ومن يتصور أن الشريعة ستحل للمرأة كل مشاكلها من خلال القوانين وحدها فهو واهم. والقسم الأعظم من مخاوف المرأة يتبدد في ظل المجتمع المسلم الفاضل الذي يختلف تماما عن مجتمعاتنا المعاصرة التي أهملت الدين. إن أطعنا الله، وربينا أولادنا، وحاربنا مظاهر الانحطاط الأخلاقى في المجتمع لكان من النادر أن نسمع عن امرأة تعرضت لاضطهاد حقيقى، ولم تتمكن من الطلاق.

واللوم الأكبر في فساد الأخلاق يقع على عاتق الحكومات العلمانية التي تحارب الدين، وتضطهد المسلمين المخلصين، وتتعمد نشر الرذائل، حتى أصبح الناس يفرون من كل شخص يذكرهم بالله حتى لو لم يكن يتكلم في السياسة، فقد فهموا أن النظم الحاكمة لا ترتاح للدين كدين، وأن المواطن الصالح في نظرها هو المواطن المنحل العلماني الذي لا يصلي ولا يصوم ولا يعرف لله حقا، وحبذا لو كان ملحدا!

خامسا:

هناك قوة أدبية للمجتمع، فالإنسان لا يعيش وحده منعزلا، ومن المهم أن تكون صورته حسنة أمام الناس. وهذه القوة الأدبية للمجتمع تمثل مانعا قويا للإنسان من التمادى فى الظلم، **فالمرء يخشى كلام الناس، ويكره أن يقال عنه: "هذا ظالم، هذا هو الذي أذل امرأته، ورفض أن يطلقها، وهي له كارهة."**

حقا القوة الأدبية للمجتمع ليست ناجحة تماما، ولكنها مع ذلك ذات تأثير هائل. ومن يشك فى ذلك فليسأل نفسه: لماذا يكثر الزنا فى المدن ويقل فى القرى؟ أحد أسباب ذلك هو العار الذي يلحق بالفتاة القروية إن زنت أو تصرفت بشكل غير لائق، فالخوف من الفضيحة يجعل الفتاة تفكر ألف مرة قبل أن تقدم على هذه الأمور التي يراها المجتمع مشينة.

وهذه القوة الأدبية التي يمتلكها المجتمع يمكن أن نسميها بقوة "العرف". وهي ذات أثر هائل على الفرد، فكل مجتمع لديه آداب عامة وأعراف وتقاليد، يتعرض من يخالفها للاحتقار والإدانة. **وكلما كان المجتمع صلبا زاد ضعف الأفراد أمامه، وشعروا بأن عليهم أن يفكروا كثيرا قبل أن يخرجوا على أعرافه لأن هذا يعرضهم للعزلة والنبذ،** حتى لو كانت نصوص القانون في صفهم. ولكن مع الأسف أصابت المدنية مجتمعاتنا بالتفكك ، فانعزلت كل أسرة، وعاشت وحدها، ثم انعزل كل فرد داخل الأسرة منفردا بهاتفه المحمول وعالمه الافتراضى، وكل هذا أصاب العرف في مقتل.

ولكن ما علاقة قوة العرف بموضوعنا؟ المفترض أن ندافع عن الشريعة، لا العرف.

العلاقة واضحة: إن أعراف المجتمع المسلم تستمد أساسا من دينه، أو على الأقل يجب أن يكون الدين حدا لا تتجاوزه أعراف الناس. وبما أن الأفراد مسلمون، فمن الطبيعي أن تكون أعرافهم إسلامية. ثانيا يناويء الإسلام تفسخ المجتمع، وانعزال الأفراد. وفي الحديث الشريف: «المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ. رواه البخاري. وفي حديث آخر: «تَرَى المُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى» متفق عليه. وإذا ترابط المسلمون قوي المجتمع، وقويت سيطرته على آحاده.

إذن لتطبيق شريعة الله، وإقامة العدل لا بد من وجود وازع إيمانى لدى الأفراد، ولا بد من أن يكون المجتمع قويا كى يفرض سيطرته على من تحدثه نفسه بمخالفة الشريعة. فإن حدث يوما أن أساء رجل إلى زوجته، ورفض طلاقها، ولم يكن لديه ضمير يهتز بمواعظ القرآن، **فسيهتز ضمير المجتمع المسلم**، الذي يهب ليأخذ على يديه. وسيستجيب لهم الزوج في الغالب لأن كل فرد في هذا المجتمع المتماسك يخاف على صورته العامة، ويعمل ألف حساب لرأى المجتمع فيه.

سادسا:

البطء الشديد لإجراءات التقاضى فى بلادنا أحد أكبر العوائق أمام المرأة التى تريد الطلاق. وحل هذه المشكلة سيرفع كثيرا من الظلم الواقع على المرأة التى تريد الطلاق لسبب وجيه. حقا نحن لا نشجع الطلاق، لكن فى بعض الحالات تكون المرأة مظلومة، ويكون من أكبر الخطايا أن نتركها فريسة لطابور المحاكم الذي لا يرى له آخر. ولابد من إيجاد وسائل لسرعة الفصل فى الأمور التى تمس صميم حياة الناس، ولا شىء أهم من حل مشاكل الأسرة. لقد وقع أنصار المرأة فى خطأ مشين حين توهموا أنه ما دامت المرأة تعاني الأمرين كى تحصل على الطلاق فإن الحل هو منحها الحق في تطليق نفسها من خلال الخلع دون موافقة الزوج، مع أنه لو كانت إجراءات التقاضى سريعة لنالت المرأة المظلومة الطلاق بشكل أسرع دون إخلال بالبناء الهرمي داخل الأسرة (قوامة الرجل).

سابعا:

لماذا نذرف الدمع كلما سمعنا عن امرأة تريد الخلع؟ **هل كل امرأة تطلب الخلع مظلومة؟ أليس من المحتمل أن تكون المرأة هى التى تنغص حياة زوجها، وتتمرد عليه، وتسيء عشرته بلا سبب؟** وسنجد على الأقل أن نصف النساء اللائي يطالبن بالخلع لا يستحقن إلا كل ازدراء. ولكن مع الأسف يعتقد الكثيرون أن كل امرأة ملاك، وكل رجل شيطان.

ثامنا:

أحيانا يكون مع المرأة كل الحق فى طلب الطلاق؛ فبالإضافة إلى الحالات المعروفة من قبيل الطلاق لغيبة الزوج أو عجزه عن الجماع، فقد وجدت أن من أصعب الأشياء على امرأة مؤمنة أن تعيش كزوجة للص أو مرتش أو زان أو قاتل.

ونحن نرى أن المرأة تتحمل فى كثير من الأحيان المسئولية عما يجرى لها بعد الزواج. على سبيل المثال قد تكتشف المرأة أن لزوجها علاقات آثمة مع أخريات بعد الزواج، فتندم على الزواج منه، لكنها لو تذكرت أن أول مرة قابلته فيها كانت فى صالة ديسكو أو فى أحد الأفراح حيث كان يرقص بطريقة خليعة، أو أنها لم تمتعض حين كانت تراه يحتفل كل عام بعيد الحب، ويتمادى فى تقربه إليها فى فترة الخطبة بما لا يليق باثنين غير متزوجين، لو تذكرت المرأة كل هذا لأيقنت أنها هى المخطئة، فقد كان سلوكه قبل الزواج ينطق بأنه لا يعرف لله حقا، ومن كان هذا شأنه فلن يتورع عن المبالغة في إساءة معاملة زوجته إن اختلف معها.

والمرأة التى تكتشف بعد الزواج أن زوجها أدمن المخدرات فلتتذكر أنها كانت تعلم قبل الزواج أنه يدخن ويجلس على المقاهي، يشرب الشيشة. كما أنه لم يكن يصلى، ولا يقرأ القرآن، ولا توجد صلة روحية بينه وبين الله، وهذه عوامل تجعل المرء ينزلق بسهولة إلى فخ المخدرات.

ومن تكتشف أن زوجها مرتش أو ناهب للمال العام فلتتذكر أنها رأت عليه قبل الزواج بعض أمارات الانحراف، فقد كان يهمل عمله، ويلقى بالأعباء على زملائه، ولا يراعى الله فى الراتب الذي يتقاضاه، ويسيء معاملة الجمهور، ولا يخاف على مال صاحب العمل.

إن الطيور على أشكالها تقع، والفتاة الخبيثة لن تكترث بفساد خطيبها ما دام هذا الفساد لا يمسها. وسيظل في نظرها رجلا صالحا حتى تكتوي بناره.

لكن علينا أن نعترف أن المرأة لا تمتلك أحيانا ترف الاختيار، فقد تكون قليلة الجمال، أو وتقدم بها العمر، فتقبل بأى رجل يخطبها رغم أنها تأخذ على سلوكه بعض المآخذ الخفيفة أو المتوسطة[392]. وعلينا أن نعترف أيضا أن الإنسان ليس مادة صلبة، ونفسه معرضة للتقلب، وقد

392) أما الرجل الذى يكون من البين سوء خلقه كأن يكون معروفا أنه تاجر مخدرات أو مرتش فعلى المرأة أن ترفض الزواج منه حتى لو كان آخر رجل في العالم لأنه سيطعمها من مال حرام.

يتبدل حاله من التقوى إلى الفساد في يوم من الأيام. وهنا لا يمكن أن نلوم مثل هذه المرأة على إساءة اختيار الزوج.

الواقع أن أحكام الشريعة الإسلامية يجب أن تؤخذ ككل، فلا نقبل بعضها، ونترك البعض الآخر. **وحين نقول أن المرأة لا يحق لها أن تطلق نفسها فإن هذا يجب أن ينظر إليه على أنه تشريع وضع لمجتمع مسلم، والمجتمع المسلم لا يتهاون مطلقا إزاء الكبائر وعظائم الذنوب. المجتمع المسلم لا يتساهل مع تاجر مخدرات، ولا شارب خمر، ولا زان، ولا مرتش، ولا ساحر. المجتمع المسلم يبطش بكل هؤلاء، ويطبق عليهم حدودا في غاية القسوة،** فالسارق تقطع يده، والزاني يجلد مائة جلدة أو يرجم، وشارب الخمر يجلد. وبقية الجرائم تواجه بجزم شديد. وستقل أعداد الفاسدين كثيرا، فتختفي مشاكل كثير من النساء اللائى يطلبن الطلاق بسبب جرائم أزواجهن. وليس هذا مجرد كلام. تخيل مثلا أن الدولة أصدرت قانونا بإعدام تجار المخدرات، ونفذت هذا القانون بجدية، فهل ستشكو بعد ذلك امرأة من إدمان زوجها؟ هذا سيكون أمرا نادرا. إن الدولة التي توجه طاقاتها لمحاربة الجريمة ستنقذ النساء من كثير من المآسي.

والمرأة المؤمنة حقا لا تقبل أن ترى مجرما، وتسكت عنه حتى لو كان زوجها، فلا مجاملات في دين الله، وقد قال عز وجل: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ} [المجادلة: 22]. **فعلى المرأة أن تبلغ الشرطة عن زوجها إن علمت أنه يرتكب جرائم مشينة، ولم يستجب للنصح. وإن أُدين زوجها سيطلقها القاضي بسهولة.** وفي النهاية سنجد أنه لن تتبقى امرأة مظلومة إلا نادرا. وإن سخرتَ من كلامي قائلا: "أين تلك الشرطة التي ستهتم ببلاغات المواطنين؟" فأنت بهذا تدين الشرطة، ولا تدين شريعة الله.

أعترف أن اشتراط موافقة الزوج على الخلع سيتسبب في ظلم بعض النساء، لكن الإسلام منظومة متكاملة، ومن أهم أركان هذه المنظومة نشر الفضيلة ومحاربة الجريمة. وإن طبقنا بعض أركان الشريعة دون البعض الآخر، فسنكون كمن يدعونا إلى الجلوس على كرسي ذي ثلاثة أرجل.

<u>تاسعا:</u>

هناك من النساء من ستبقى مع زوج يرفض الطلاق والخلع. وقد يكون هذا الرجل طيبا، ويعاملها معاملة حسنة، أو يسيء إليها إساءات طفيفة، لا تكفي لإقناع القاضى بأن يطلقها. فى ظل شريعة الإسلام ستحصل أغلب النساء اللائى يتعرضن لظلم شديد على الطلاق، ومع ذلك ستبقى هناك بعض النساء اللائى لا يستطعن التخلص من زوج متوسط الظلم مثل ذلك الذي يهتم بأصحابه أكثر من اهتمامه بها، أو ينفق على إخوته أكثر مما ينفق عليها، أو يقاطع أهلها، أو يسكت على إيذاء أمه لها، أو يعايرها بقلة جمالها، أو يعنفها كلما أخطأت خطأ صغيرا، أو غير ذلك من الأمور.

نعم سنَلقى نساء مظلومات بدرجة خفيفة ومتوسطة، لكن هل من المحتم على المجتمع أن يلبى رغبات كل أفراده؟ قطعا لا، فالمجتمع الذي يُرضى أفراده جميعا لن يوجد حتى قيام الساعة لأن رغبة الفرد كثيرا ما تتعارض مع رغبة الجماعة، وفى هذه الحالة يقضى العدل أن **نغلب مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد.** وإذا كنا أمام ضررين، فلنختر أخفهما. أولا ترى أن من المشروع أن تعرض الدولة جنودها لخطر الموت كي يحيا بقية الشعب في كرامة؟ ألا يقتل جسد الجنين بعض خلاياه بآلية الموت المبرمج (Apoptosis) من أجل تكوين عضو سليم يؤدي وظيفته؟

لا تكونوا قصار النظر، فتبكوا على قلة من الزوجات الراغبات في الطلاق دون مبرر قوي، وانظروا بدلا من ذلك إلى المآسى التي حطت على عشرات الآلاف من الأسر بعد أن تركتم للمرأة الحبل على الغارب، وسهلتم لها سبل الطلاق، فأخرجتم لنا جيلا من الأبناء الضائعين الذين تربوا كاليتامى في بيت أُم حرمتهم من رعاية أبيهم، بل منعته حتى من رؤيتهم والتودد إليهم، تحت حماية مطلقة من قوانين مشبوهة، سنتها حكومات تسبح بحمد النظام العالمى اليهودي–الماسونى. وأذكر جيدا أنه منذ عشرين سنة أو أقل كان من النادر أن تسمع عن امرأة مطلقة، أما اليوم فكل منا يعرف بشكل شخصى عشرات من المطلقات. والإحصاءات الرسمية تثبت أن الطلاق وصل إلى معدلات مرعبة. لقد منحوا المرأة حق الخلع دون إرادة الزوج، فأنقذوا عشرات أو مئات الزوجات من ظلم حقيقي كن يتعرضن له، لكن هذا أدى في نفس الوقت إلى خراب ملايين أخرى من البيوت.

وانظروا كذلك إلى الخراب الذي حدث للهيكل الطبيعى للأسرة حين فقد الرجل القوامة، وصار عاجزا عن قيادة زوجته وأسرته لأن الزوجة قادرة على رفع قضية خلع مضمونة في أي لحظة، فأصبحت البيوت تدار بعقلية النساء التي تفتقر للحكمة وبعد النظر في كثير من الأحيان. **إن منح المرأة حق الطلاق كاملا سيرفع الظلم عن عدد قليل من النساء، لكنه فى نفس الوقت سيظلم المجتمع ككل.**

ومن العجيب أن تسارع المرأة المعاصرة إلى الطلاق بسبب وجود خلافات بسيطة بينها وبين زوجها، مع أن نفس هذه المرأة تعاني الأمرين من قسوة رؤسائها فى العمل دون أن تفكر أبدا في الاستقالة، بل تحاول بالعكس التكيف لأن العمل نفسه أهم في نظرها من المتاعب التي يجرها. فلماذا لا تنظر المرأة المعاصرة إلى الأسرة على أنها أهم من متاعبها مع زوجها؟

إن وجود احتمال لإساءة استخدام السلطة يجب ألا يكون ذريعة لإلغاء السلطة من الأساس. الظلم لا ينفك عن السلطة، فالحاكم العادل تماما لا وجود له. ولو قام كل شعب بثورة على حاكمه لمجرد أنه ظلمه في أمور خفيفة أو متوسطة، فلن يكون هذا قصاصا للمظلوم من الظالم، وإنما ستكون فوضى عارمة، ولن تنعم دولة بالاستقرار أبدا. وهكذا فبعض الظلم أهون من الفوضى. وليس هذا تحريما للثورة، ولكنها دعوة لقصر الثورات على الظلم الفج الشامل.

وفى النهاية أورد خبرا وصفه البعض بالطريف لكنه مثل بالنسبة لى مأساة. يقول الخبر[393] أن إحدى الزوجات تخرجت من الجامعة الأمريكية، وعملت مترجمة، وتعرفت على زوجها فى أحد المؤتمرات العلمية، وشاهدته وهو يتحث الإنجليزية بطلاقة، ووافقت على الزواج منه بشرط أن يتحدثا سويا بالإنجليزية، إلا أن حاله تبدل بعد الزواج، وفوجئت به يتحدث بالعربية، ويجبرها على الكلام بها معه، وكانت الطامة الكبرى عندما تحدث بالعربية مع زملائها فى حفل عيد ميلادها، فتحاملت على نفسها شهرين كاملين، بينما كلماته العربية تفتك بصدرها وتمزق قلبها، إلا أنها سئمت الحياة معه، ورفضت الزوجة كل محاولات الصلح، فقضت المحكمة بخلع الزوجة.

---

393) جريدة الأهرام المصرية عدد 2006/11/9

يالها من مهزلة! لقد جاء اليوم الذي أصبحت فيه المرأة تترك زوجها متى شاءت، حتى لو كان السبب فى غاية التفاهة، وحتى لو كان الرجل يريد منها مطلبا شرعيا، فاللغة العربية لغة القرآن والتحدث عمدا بغيرها دون مبرر خيانة للإسلام. أفإن طلب الرجل من زوجته أن تعود للصواب نأتى لنقف معها ضده؟ وما رأيكم في رجل عارض ارتداء زوجته للملابس الضيقة، فرفضت، ورفعت قضية خلع بحجة أخرى كاذبة؟ هل هذا يرضى الله؟ اللهم عليك بمن بدل شريعتك.

الطلاق: من ظلم المرأة إلى قهر الرجل

ركبت الحافلة يوما، فجلست بالقرب من فلاح في الستين، كان يتكلم بشكل معتاد مع محصل الأجرة (الكُمسرى). كنت مشغولا بمطالعة بعض الأوراق إلى أن انتبهت حين صاح الفلاح فجأة: **(أقسم بالله في هذا الزمان أصبح الرجل امرأة، وأصبحت المرأة رجلا)**. وهنا انخرط الرجال والنساء من الركاب في سجال عنيف، اختلط فيه الحابل بالنابل، لكن لم يكن هناك أصدق من كلام هذا الشيخ الذي لخص الوضع القانوني للرجل في بلادنا الآن.

لقد ظلت المرأة عشرات السنين تلعب دور المضطهد، وظل الإعلاميون ورجال الدين يهدأون من روعها، حتى انقلبت الأوضاع، وتحولت المرأة من ضحية إلى جلاد، ووقف الرجل ذليلا بعد أن حطمت كرامته قوانين الأحوال الشخصية، التي سنها حكام لا يتورعون عن عمل أي شي من أجل إرضاء النظام العالمي اليهودي.

لقد ظل المشرعون يدللون المرأة، حتى تمكنت من رقبة الرجل، **وصار من الجنون أن يفكر الرجل في الطلاق حتى لا يجر على نفسه ويلات، لا طاقة للبشر بها. وفي نفس الوقت فتح المشرعون باب الطلاق على مصراعيه أمام المرأة من خلال قانون الخلع.** كما تم **تجريد الرجل تماما من القوامة على زوجته،** فإن تركت له البيت، ورفع عليها قضية طاعة لم يصل إلى شيء، وإن عاقبها بالضرب كما سمحت له الشريعة شكته للشرطة. وإن أراد أن يمنعها من العمل أو السفر من أجل الأسرة وقف القانون في صفها. وإن أراد هو أن يسافر مُنع من السفر بسبب قضية نفقة.

ولا يقتصر الأمر على جور القوانين، **فالقضايا التى ترفعها المرأة تكسبها كلها، وتقوم الشرطة بتنفيد أحكامها بكل حزم،** وفي نفس الوقت تُترك الجرائم الكبرى كخطف الأطفال وتجارة الأعضاء وتجارة المخدرات وتهريب الآثار والسطو والاختلاسات والرشاوى والعمولات وحيازة السلاح وتسريب الامتحانات دون أي ردع، وكأن هناك خطة غير مكتوبة، تقضي بتطبيق كل قانون فاسد، وتعطيل كل قانون عادل.

لقد حان الوقت لأن نغير من الطريقة التي بُرمجت عليها عقول الدعاة. إن كل الدعاة نشئوا، وهم يتعلمون كيف يبرهنون على تكريم الإسلام للمرأة ورده لحقوقها المسلوبة. لكن اليوم نحن بحاجة لتغيير الأولويات. يجب أن نهاجم بكل صرامة تلك القوانين المشبوهة التي نصرت المرأة، ودمرت الأسرة. ولا خير فينا إن لم نفعلها، فالإسلام دين العدل. ولا عدل فيما يحدث الآن.

في تحقيق بصحيفة أخبار اليوم المصرية[394] ذكر المستشار محمد الطوخي أن أحد المشكلات الأساسية فى قضايا الطلاق هى "القائمة" التى يشترط أهل الزوجة أن يُكتب فيها كل شيء سواء أحضرته هى أو زوجها وهذا مخالف للشرع. ويشير الطوخى إلى أن **هناك أكثر من 26 قضية يحق للزوجة أن ترفعها على زوجها** منها: نفقة زوجية، نفقة صغار، منقولات زوجية شاملة الذهب، نفقة عدة، مطالبة متعة، مؤخر الصداق، تمكين من مسكن زوجية، أجر حضانة، ملابس صيف وشتاء، مصاريف دراسية، أجر رضاعة، أجر حمل مستكن، فرش وغطاء، الطلاق بأنواعه.. إلخ، **وفى المقابل لا يحق للزوج إلا رفع قضية رؤية أو قضية طاعة فقط، فينفذ الرؤية بمقابلة طفله ساعتين أو ثلاث ساعات مرة أسبوعيا، وبعد عمر 15 سنة يتم تخيير الطفل مع من يفضل أن يكمل حياته، وبالطبع سيختار أمه التى عاش معها كل حياته،** ويحدث ما نشاهده من كراهية وتفكك نتيجة التعنت فى الأحكام التى صدرت ضد الرجل.

وتقول آية صيام المحامية المتخصصة فى قضايا الأحوال الشخصية، إن الرجل المصرى مقهور ومظلوم بسبب قانون الأحوال الشخصية، **وأغلب الأزواج حاليا لا يرغبون فى الطلاق لأنهم يقدرون حجم الخسائر التى ستقع عليهم** وأولها أنها تأخذ منه شقته، فأغلبهم إما مختلعون أو محولون فى رول المحكمة الذى يضم أكثر من 400 قضية إلى محكمة الجنح، فعلى سبيل المثال زوج يعمل فى مكان حساس يفاجأ أن عليه قضية نفقة ويتم توقيفه فى كمين مثلا بسبب نفقة بخمسين جنيها أو أجر مسكن أو أجر لعب أطفال، وليس للزوج الحق إلا فى رؤية أطفاله ولا يراهم بالسنوات.

ويتكلم التقرير عن رجل اسمه مصطفى وردة، هو أول أب يضرب عن الطعام بسبب قانون الأسرة، ويعرض كليته للبيع حتى يسدِّد دين النفقة. يقول هذا الرجل: قانون الأحوال الشخصية

---

394) قانون الأحوال الشخصية: الرجال يصرخون: أين حقوقنا؟ تحقيق كتبته إيثار حمدي. بوابة أخبار اليوم. 4 يونيو 2022م. تم الدخول إلى الموقع يوم 21 نوفمبر 2022م.

فى مصر يتلخص فى أن الرجل بمجرد انفصاله عن زوجته يكون قد دخل حربًا...وهدف النساء الرئيسى هو التنكيل بالرجل. إذ **يفاجأ الزوج بعد الطلاق بوابل من القضايا ينهال على رأسه، وفى المقابل ليس من حقه سوى رفع قضيتى الرؤية والطاعة وغالبا يتم رفضهما.** ويؤكد: مراكز الشباب مكان غير مؤهل لتنفيذ الرؤية، مما دفعنى لرفع قضية على قانون الأحوال الشخصية –وبالأخص المادة 76 التى تفيد بحبس الرجل– وتقضى بأن **النفقة عينية وليست مادية** تخوفا من عدم صرف النفقة فى هدفها. وهناك الكثير من الحالات التى تشير إلى أن المرأة تنفقها على زوجها العرفى ولا تعطى أى شيء منها للأطفال. وطالب وردة، بتعديل بعض بنود قانون الأحوال الشخصية: يجب أن يصبح سن الحضانة 7 سنوات للولد و9 للبنت، مع تطبيق حق الاستضافة، وأن تصبح الولاية التعليمية للأب، والرعاية المشتركة للأبناء، وإلغاء الخلع لأنه غير شرعى (من وجهة نظره)، وتوحيد قضايا النفقات فى قضية واحدة واستبدال عقوبة الحبس فى قضايا النفقات إلى الخدمة العامة حفاظا على الأطفال، حيث إنه **عندما يكبر الأبناء ستكون وصمة عار عليهم أن أمهم حبست والدهم،** وتجريم الزواج العرفي، وإلغاء قائمة المنقولات أو إثباتها كمقدم عقد الزواج، وقبل كل ذلك **ترتيب حضانة الأب ليصبح رقم ٢.**

وفي مقال مفعم بالحماسة والعاطفة بصحيفة الوفد نفهم أكثر كيف أذلت القوانين الرجل. وإليكم المقال مع بعض الاختصار والتصرف[395].

«**لقد بنيت قوانين الأحوال الشخصية على خرافات، أولها أن الطلاق جريمة يرتكبها الزوج فى حق زوجته** مع أن الأصل هو أن الطلاق حق للزوج يوقعه متى شاء بدون أى سبب – حديث (أبغض الحلال إلى الله الطلاق) حديث ضعيف– **أما الآن فقد اعتبرنا الطلاق جريمة، يجب أن يعاقب عليها الزوج، وقَرَنَّاه زورا بالتخلى عن الأبناء**، وصورت المرأة نفسها كضحية للطلاق بالرغم من مسؤلية الكثيرات منهن عنه، بل سعيهن اليه فى بعض الأحيان.

ومن هذه الخرافات أننا أعتبرنا أن ألام وحدها هى الأمينة على أولادها ومن بعدها أقاربها، فاعتبرنا والد الأم وأخاها مثلا أحن على الطفل من أبيه رغم أنهم رجال وربما كانوا متهمين فى أولادهم أيضا، وهذا يدل على أن **رابطة الأبوة هى المستهدفة،** وأشعنا أن الأب أنانى بطبعه وقاس وشهوانى لأنه غالبا ما يتزوج بعد الطلاق، وهو لا يحب أولاده بل يريدهم فقط للانتقام من مطلقته والكيد لها. كما

395) **"قوانين الأحوال".. بين حق النساء وقهر الرجال**. بقلم م. أمجد المنذر. صحيفة الوفد (البوابة الإلكترونية). 10 يونيو 2011م. تم الدخول إلى الموقع يوم 21 نوفمبر 2022م.

أشعنا أن المرأة مظلومة، وأن كرامتها مهدرة، وأنه لابد من تشريعات لحمايتها من استبداد الرجال، وأفهموها أن والد أولادها هو العدو فاحذريه، وأن أبويه هما أبو لهب وحمالة الحطب.

ثم جاء مشرعون جهلاء وصلوا الى مقاعدهم فى مجلسى الشعب والشورى بالنفاق والتزوير فحملوا الأبخرة، ودقوا الدفوف، ومشوا خلف فرعونهم الذى كان له ملك مصر وأنهارها تجرى من تحته، فلا يرون إلا ما يرى، فشرعوا من الدين ما لم يأذن به الله بل أذن به ساداتهم وسيداتهم الذين كان جل همهم إرضاء أعداء الأمة –الذين يحفظون لهم كراسيهم– والتباهى الكاذب أمام المجتمع الدولى بتحرير المرأة، فما حررورها إلا من دينها، وما وهبوها الا معاول لتهدم بها بيتها.

لقد جعل المشرعون الطلاق غنيمة باردة للمرأة، وزينوه لها، وملأوه بالفوائد التى لا تعد ولا تحصى، **فالشقة من حق الزوجة الحاضنة حتى لو كانت ملك الزوج حتى تتزوج أصغر بناتها**، وكل ما تحتويه الشقه من أثاث وأجهزة ومستلزمات هى ملك لها لو كانت فى القائمة التى غالبا ما يوقع عليها الزوج، ولو نقص منها مكنسة يدوية فهى جريمه تسجن بها والد أولادها. **والنفقة مقطوعة من دخل زوجها نصيبا مفروضا حتى لو فاضت عن حاجتها وحاجة أولادها، وتكون بأثر رجعى لمدة سنة**، وإما الدفع أو الحبس. **أما نفقة المتعة فبحد أدنى سنتين** حتى لو أذاقت زوجها الأمرين، وتزيد بزياده مدة الزواج ومؤخر الصداق. **أما الاطفال فهم ملكية خاصة للزوجة، تتصرف فيهم كيف تشاء**، فلها الحضانة للولد حتى الخامسة عشر، ثم يخير **أما الحضانة بالنسبة للبنت فتستمر حتى تتزوج، أى حضانة شبه أبدية. والولاية التعليمية** التى كانت ورقه التوت الأخيرة التى تعطى للأب إحساسا ولو بسيطا بأنه يلعب دورا فى حياة أبنائه تم نزعها منه، وأعطيت للأم، فهى تختار المدرسة التى تريدها حتى لو كانت امرأة أمية، لا تحسن الاختيار. **والأب عليه أن يدفع، وممنوع عليه الاقتراب من المدرسة، أو متابعة أولاده أو حتى إبداء رأيه فى اختياراتهم الدراسية، التى تحدد مستقبلهم.**

لا أنكر أن بعض الأزواج عديمى الضمير قد يتنكرون لأولادهم وزوجاتهم، ويتخلون عنهم، ولا ينفقون عليهم، لكن فى المقابل بعض النساء يتعمدن الإيقاع بأزواجهن فى فخ النفقة خاصة إذا كان الزوج غنيا، ويسهل إثبات دخله، ففى هذه الحالة **ينصحها محامى السوء بأن تتعمد عدم أخذ النفقة لأشهر قليلة حتى تتمكن من رفع دعوى النفقة. والقضاء فى دعاوى النفقة على عكس الجرائم الأخرى يصدر أحكاما سريعة نسبيا، وواجبة النفاذ من الحكم الابتدائى**، وتستطيع الزوجة الذهاب لقاضى الأمور الوقتية (المستعجلة)، وتأخذ حكما سريعا فى أيام معدودة، **وتسطيع أن تمنع الأب من السفر. وعند الحكم النهائى تستطيع أن تحجز على أمواله فى البنوك بكل سهولة**، وفى هذه الحالة تحقق الزوجة عدة أهداف أولها إلحاق أذى بسمعة الزوج، وثانيا أنها تضمن نفقة دائمة بحكم محكمة حيث لا تكون مضطره فيها لطاعة الزوج أو إرضائه إن كانت لا تزال على ذمته، ولا تكون تحت رحمة مطلقها إن كانت مطلقة. وإن كان الزوج موسرا أو يعمل فى الخارج فإن **النفقة التى تحكم بها المحكمة قد تصل الى 40% من دخل الزوج**، وهو ما قد يفيض كثيرا عن حاجة الأم وأطفالها. ولا أنكر فى ذات

الوقت أن هذا القانون يكون أحيانا ظالما جدا للزوجة التى تعجز عن إثبات دخل زوجها أو يكون زوجها محدود الدخل. لكنى أود التنبيه على أن التذرع بعدم إنفاق الزوج لا يجب أن يؤخذ على عمومه بل يجب التحقق منه لأن من النادر جدا أن تجد مطلقة أو زوجة ناشز تعترف بأن مطلقها أو زوجها يقوم بواجب الانفاق حتى لا تخسر تعاطف المجتمع والحائط الذى تهوى البكاء عليه.

تردد كثيرات من ناشطات حقوق المرأه بأن مصلحة الأطفال أولا، وأنه يجب ألا يكون الاطفال وسيلة للضغط من أى طرف، ثم يناقضون أنفسهم، ويقولون أن الأب الذى لا ينفق لا يستحق رؤية أولاده، أي أنهم يسوغون لأنفسهم استخدام الأطفال كوسيلة ضغط وابتزاز لزياده النفقة، ويحرمون هذا الأسلوب على الطرف الآخر. وأنا أقول لهم أن رؤية الأب والتمتع برعايته هو حق الطفل فى المقام الأول، ولا يجب حرمانه منه بذنب يرتكبه الأب. **ولو سلمنا بما تدعيه الناشطات بأن الرؤية مقابل الإنفاق للزم أن يكون الإنفاق مقابل الرؤية، ولحق لملايين الآباء الامتناع عن الإنفاق لأنهم محرومون من الرؤية الطبيعية لأبناءهم.** وإضافة الى ذلك فإن الله سبحانه و تعالى أمر الأبناء بأن يبروا حتى آباءهم الكفار، وأن يصاحبوهم فى الدنيا معروفا، فهل تتحق الصحبة بأن **يذهب الأب ذليلا لرؤية ابنه تحت حراسة فى مكان عام 3 ساعات فى الأسبوع؟ وكيف تتحقق للأجداد والجدات من الأب وهم محرومون مدى الحياة من رؤية أحفادهم.** أين عقولكم وبصائركم أم أن هذا مصداق للآية الكريمة: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ} [محمد: 22]؟

استطاعت منظمات حقوق المرأة المشبوهة نشر دعوتها الباطلة بين العوام، بل المصيبة الكبرى أنها أقنعت رجال الدين والقانون بتلك الخرافات حتى أصحبوا يكيلون بمكيالين، **فالقانون الحالى مبنى على الأصل فيما يتعلق بأخلاق الأم وطباعها، ومبنى على الشذوذ فيما يتعلق بصفات الأب وأخلاقه،** فالأم لها الحضانة لأن الأصل فى الأم الحنان ورعاية الأولاد، وهذا الحق الأصيل لا ينقصه ما قد ترتكبه بعض الأمهات من جرائم فى حق أولادهن أو حق المجتمع، فالنادر لا حكم له كما يقولون. أما إذا طالب الأب بأبسط حقوقه وهو رؤية أولاده فى ظروف طبيعية نظر القانون إليه نظرة المجرم الآثم، وافترض أن كل أب يريد أن يخطف أولاده ويدمر مستقبلهم، فسمح له برؤية مهينة لمده 3 ساعات تحت حماية أمنية، وأعطى للأم فرصة للتلاعب فى هذا الحق أيضا. و**حتى لو نزعت منها الحضانة لتعنتها فى الرؤية فإن الحضانة تنتقل لأمها، أى تعود إليها من جديد بشكل غير مباشر.** وتخيلوا ماذا سوف يظن الطفل بأبيه، وهو يرى المجتمع يعامله كمجرم خطر على أولاده، هذا غير ما تسقيه الزوجة وأمها لأطفالهم من جرعات الكراهية للأب وعائلته. **وتجد الطفل يذهب الى المدرسة أكثر من ست ساعات يوميا، ويخرج مع أصدقائه، بل قد يسافر فى رحلة مع المدرسة لعدة أيام فى رعاية غرباء، وطبعا لو بات عند أخواله فهو من البر وصلة الأرحام، أما إذا تجرأ الأب، وطالب بحقه فى استضافة ابنه سويعات قليلة صرخت الأم ومن وراءها المنظمات المشبوهة:** "انظروا الى هذا المجرم الذي يريد أن ينتزع الطفل من حضن أمه ". أما فى شأن الولاية التعليمية **فإذا اختارت الأم أغلى**

المدارس فهى الأم الحنون الحريصة على مستقبل أولادها، وإن اعترض الأب فهو المجرم الذى لا يهمه مستقبل أولاده. لقد كان الأب بالأمس يتفانى فى العمل للإنفاق على أولاده، ويريد أن يجعلهم أحسن الناس، فهل انقلب على عقبيه، وانتكست فطرته بمجرد أن تجرأ وطلق زوجته؟

ورغم أن المصريين يتزوجون على مذهب الإمام أبي حنيفة فإن الحضانة تم استثناؤها، وعدل فيها الى قول الامام مالك، الذى جعل الحضانة للبلوغ بخلاف الجمهور، الذى أقرها بسبع سنوات للولد وتسعة للبنت، أما حق الرؤية الذى أجمع الفقهاء على أنه يكون فى كل حين بما لا يتعارض مع مصلحة الطفل، وأن الاب له أن يأخذ ابنه نهارا متى شاء، وأن الحضانة لا تعنى الامتلاك، بل ذهب بعضهم أنها ليلية فقط، وتكون بقدر حاجة الصغير الى الرعاية فقد حرفوا مفهوم الرؤية، وسطحوه لينزعوا من الأب حتى حقه فى إدخال السرور على أولاده، وأن يسعد بهم ويسعدوا به.

وإذا كان هناك خلاف حول سن الحضانة فهل اختلف العلماء بل حتى الجهلاء فى حق الجد والجدة من الأب فى رؤية أحفادهم؟ كيف يقبل ضميركم ودينكم أن تذهب جدة (والدة الأب) جاوزت السبعين لرؤيه أحفادها فى مكان عام تجلس فيه كالغريبة، تنظر إليهم من بعيد، بينما تتلاعب بها زوجة ملأها الحقد والرغبة فى الانتقام. فهل صلة الأرحام قاصرة على الأم و أقاربها فقط؟

لقد مارست المحاكم على الرجل ألوان الإذلال بحجة نصرة المرأة الضعيفة، **فقضايا النفقة وتبديد الأثاث لها الأولوية، ويحكم فيها بأوهن الأدلة، وعلى الرجل أن يشقى لإثبات العكس، أما إذا طالب الرجل زوجته الناشز بالدخول فى طاعته فالتأجيل المستمر هو كل ما يراه فى المحاكم.** وبعد أن تم إلغاء الطاعة الإجبارية لم يعد يصيب الزوجة ضرر كبير إن ثبت نشوزها. **وبعد أن كانت الزوجة تحتاج إلى إذن زوجها للسفر تم الغاء ذلك، وأصبحت الزوجة هى التى تمنع زوجها من السفر بحكم النفقة أو تبديد الأثاث. وبقدر ما صعبنا الطلاق على الرجل وجعلناه دمارا لنفسيته واغتصابا لماله فتحنا للمرأة باب الخلع على مصراعيه».**

انتهى المقال. ونحن نسأل: كل يمكن وقف هذه المهازل القانونية؟ نحن نطالب بما يلي:

1. **يجب فورا تغيير قانون الحضانة المزري، والذي يتلخص فى جملة واحدة (موت الأب).** الطفل بعد الطلاق أو الخلع يتحول حرفيا إلى يتيم بلا أب، فهو يبقى مع أمه، حتى سن 15 سنة، وبعد ذلك يخير بين الأم والأب، وطبعا يختار الأم لأنه لا أحد يحب أن يغير المكان الذي ألفه، ويمضي إلى مكان مجهول خاصة إن كانت أمه ظلت تسقيه كراهية الأب لسنوات طويلة. إن هذا القانون يحارب الله ورسوله، فهو يفترض أن وجود الأب في الأسرة لا ضرورة له، وأن كل دوره أن يوفر المال، فإن فعل ذلك صار وجوده كعدمه. هؤلاء يريدون استنساخ

النموذج الغربي حيث تعيش المرأة مع أولادها من الزنا دون أب، وهو ما يسمى "عائلة ذات والد واحد" Single-parent family. إن للأب دورا في التعليم والتوجيه والإرشاد ونقل الخبرة. ووجود شخصين يعلمان الأولاد أفضل من وجود شخص واحد. كما أن من المهم أن يتعلم الأولاد من الأب الحكمة والتعقل والتمهل لأن المرأة تفتقد لهذه الصفات في كثير من الأحيان. ووجود الأب ضروري للرقابة على ابنته حتى لا تفكر في الانحراف. ودوره أهم بالنسبة لأولاده الذكور الذين يتعلمون منه صفة اسمها الرجولة ضرورية لعمارة الأرض، وحماية الأسرة، والدفاع عن الوطن. كما أن الابن المنحرف لن يرده إلا الأب الذي يتسم بالشدة والحزم. وفي أحيان كثيرة لا تستطيع الأم السيطرة على الأولاد أو التعامل مع مشاكلهم بسبب ضعف شخصيتها، فيتحتم اللجوء إلى الأب حتى يخاف الجميع. ولا تقولوا لنا أن فكرة العقاب بالية، فمثل هذه الفلسفة الغثة لم تأت لنا إلا بجيل ساقط مدلل مستهتر لا يحترم أحدا.

وإن جاز للمشرعين أن يميلوا للمرأة على حساب الرجل في مسألة حضانة الأولاد، **فأي منطق يقول أن الحضانة إن انتزعت من الأم (إن تزوجت مثلا) ذهبت إلى أمها (أم الأم)، وليس الأب؟ هل الجدة أقرب للأولاد من أبيهم؟ علم الجينات والشرع يقولان غير هذا. ثم إن هذا المنطق الشاذ يوجب علينا أن نسلب الأولاد من كل رجل تموت زوجته وهي على ذمته، ونعطيهم لجدتهم أم أمهم كي تربيهم لأنها أولى من أبيهم.** هل فكر حتى المجانين في هذا؟

وبأي عقل يجبر القانون الرجل على أن يتحمل كل صغيرة وكبيرة في نفقات أولاده، ثم يكون عليه أن يعاني الأمرين كي يراهم؟ هل هناك شيء بلا ثمن؟ هل هناك معروف بلا كلمة شكر؟ **إن أراد الأب المسكين رؤية أولاده بعد الطلاق فعليه أن يذهب إلى المحكمة لرفع دعوى رؤية،** وبعد أن يكسب القضية **فالمدة المتاحة للقاء ثلاث ساعات فقط** أسبوعيا في مكان عام كحديقة أو مكتبة عامة. **وإن منعت الأم الأب من رؤية أولاده، عاقبها القضاء بغرامة هزيلة،** بلغت في إحدى القضايا 30 ألف جنية، وفي قضية أخرى 10 آلاف

جنيه[396،397]. تخيلوا ثمن الأولاد أصبح هذا المبلغ البخس! وإن رفع الأب قضية إسقاط حضانة عن الأم لهذا السبب، وكسبها يذهب الأولاد إلى حضانة جدتهم أم أمهم، أي يظلون فعليا مع أمهم! ما هذه الوقاحة التشريعية؟

وبأي منطق يجوز للقانون الحالي سحب الولاية من الأب على أولاده. **الشريعة تقول أن الأب هو صاحب السلطة على كل أفراد الأسرة. والقانون الحالي يضرب بهذا عرض الحائط.** فلعل هذا رضوخا للمادة 16 من اتفاقية "سيداو" التي تقول أن للزوجين «نفس الحقوق والمسؤوليات فيما يتعلق بالولاية والقوامة والوصاية على الأطفال»؟ لا أظن، فاتفاقية سيداو تطالب بالمساواة بين الأب والأم في الوصاية على الأولاد، لكن قوانين بلادنا تلغي دور الأب، وتعطي الوصاية كاملة للأم. ما هذا الانحطاط؟

والأدهى أن المرأة من حقها أن تختار المدارس التي تلحق بها أولادها، ويجبَر الأب على دفع المصاريف الباهظة دون أن ينبس ببنت شفة. هذا إذلال متعمد، وكأن القانون يمنح المرأة سوطا، ويقول لها: "اقتصي من عدوك بقلب ميت، فهذا المخلوق لا يستحق الرحمة". حتى الكلاب لا يُفعل بها هذا!

ونحن لا نزعم أن الرجال ملائكة ولا أن النساء شياطين. كثير من الرجال يظلمون نساءهم عند الطلاق، ويلقون أولادهم بلا نفقة. نحن لا نطالب بتغيير القوانين كي يتسنى للرجل ظلم المرأة. نحن نطالب أن تكون القوانين عادلة. والعدل هو ما جاءنا من الله. وما نراه الآن لا يمكن أن يسمى عدلا، ولو بمنطق الكفرة.

2. **يجب إلغاء "القائمة" أو "قائمة المنقولات"**. والقائمة لمن لا يعرف هي وثيقة تحرر قبل الزواج، ويتم فيها تسجيل كل محتويات الشقة (من أثاث وأواني ومفروشات وأجهزة وذهب وحلى) كأمانة يجب على الرجل أن يحافظ عليها إلى أن تأخذها الزوجة إن حدث طلاق. وهذه القائمة تشمل الأشياء التي اشترتها الزوجة، وتلك التي اشتراها الزوج، وتبلغ قيمتها في

---

396) يهم ملايين الأسر.. أول حكم قضائى بإلزام الجدة والأم بدفع تعويض للأب مقداره 30 ألف جنيه لعدم تنفيذ حكم الرؤية.. المحكمة استندت على إنذارات التنبيه وشهادة الشهود.. والحيثيات: التعويض لجبر الضرر المادى والمعنوى. تقرير كتبه علاء رضوان. صحيفة اليوم السابع. 24 يونيو 2020م.

397) يهم ملايين الأسر.. حكم نهائى بالتعويض لصالح أحد الآباء لعدم تنفيذ حكم الرؤية.. المحكمة تلزم الزوجة بسداد مبلغ 10 آلاف جنيه لتجاهل حكم تمكين الوالد من رؤية طفليه..والحيثيات: المحكمة المختصة بالحكم مختصة بالتعويض. تقرير كتبه علاء رضوان. صحيفة اليوم السابع. 5 يوليو 2020م.

الطبقات المتوسطة حوالي نصف مليون جنيه، وهو مبلغ كبير، يكفي لشراء شقة صغيرة. فإن طلقت الزوجة رفعت قضية للمطالبة بالقائمة مع أنها لم تشتر إلا نصفها تقريبا. وكثيرا ما ترفض المطلقة استلام القائمة، وترفع قضية تتهم فيها الزوج بتبديد قائمة المنقولات التى تغيرت بفعل استعمالها لشهور أو سنوات، ويصبح الرجل مهددا بالسجن. والقائمة تمثل قيدا يكبل الرجل، فهو إن أراد أن يطلق زوجته وجد أنه سيفقد الأثاث الذي اشتراه، فإن أراد أن يتزوج مرة أخرى بعد الطلاق سيكون عليه أن يشتري أثاثا جديدا بمبالغ طائلة، وهذا صعب جدا بالنسبة لأغلب الرجال.

3. **يجب أن يلغى القانون الذي يفرض على الزوج أن يوفر لمطلقته بيتا تقيم فيه مع أولادها بعد الطلاق**. هذا ليس من الإسلام في شيء. لم يحدث أبدا على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام أن كان الرجل يشتري لزوجته وأولاده دارا ليقيموا فيها بعد الطلاق، وذلك لسبب بسيط هو أن **المسلمة لا تستقل بنفسها، ولا تقيم وحدها دون أحد من أوليائها إلا إذا كانت وحيدة بلا أقارب**. ليس من الرجولة أن يترك أبو المطلقة ابنته تعيش وحدها مع أولادها. هذا الواقع المريض الذي ارتضاه الناس اليوم يستحيل قبوله من المجتمع الإسلامي الحقيقي، **ففي الإسلام يجب فرض وصاية وحماية على المرأة باستمرار من أوليائها**. لقد تغيرت مجتمعاتنا كثيرا، فصارت تتقبل بصدر رحب إقامة امرأة مطلقة مع أطفالها بعيدا عن بيت أهلها. **وهذه الخطوة هي البداية التي سيعقبها حتما تقبل المجتمع لترك الفتاة غير المتزوجة لبيت أهلها**، وإقامتها في بيت مستقل، وحدها أو مع صديقتها، وربما صديقها كما يحدث في أوربا.

وعلى ذلك فبعد الطلاق يجب أن يذهب الأولاد ليعيشوا مع أمهم في بيت جدهم أو جدتهم أو خالهم. فإن لم يكن لدى هؤلاء متسع لاستضافة الأولاد ردوهم إلى أبيهم ليربيهم هو. لكن أن يضطر الزوج للتنازل عن شقة أو عن تكلفة إيجار شهري لإقامة مطلقته وأولاده فهذه مهزلة لا علاقة للإسلام بها. **الإسلام فرض على الرجل أن يوفر السكن للمرأة بعد الطلاق في فترة العدة فقط:** {أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى} [الطلاق: 6]. فإن كانت المرأة حاملا ظل لها السكن حتى تضع حملها. وإن كان المرأة مطلقة طلاقا بائنا لم يكن لها حق النفقة ولا السكن

لما رواه مسلم عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ، أَنَّ أَبَا عَمْرِو بْنَ حَفْصٍ طَلَّقَهَا الْبَتَّةَ، وَهُوَ غَائِبٌ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا وَكِيلُهُ بِشَعِيرٍ، فَسَخِطَتْهُ، فَقَالَ: وَاللهِ مَا لَكِ عَلَيْنَا مِنْ شَيْءٍ، فَجَاءَتْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «**لَيْسَ لَكِ عَلَيْهِ نَفَقَةٌ**». وفي رواية أخرى لمسلم: «**لَا نَفَقَةَ لَكِ، وَلَا سُكْنَى**».

4. **من الظلم البين أن يتم الفصل بسرعة في القضايا التى ترفعها الزوجة، ويتم تطبيق الحكم الصادر فيها بسرعة وحسم، لكن يتم** التراخي والتباطؤ في القضايا الأخرى التي يرفعها الزوج أو عامة المواطنين، وكأن بلادنا قد خلت تماما من المظالم، ولم يبق بها أحد بحاجة إلى الإنصاف إلا المطلقات. هذا انحياز في تطبيق العدالة.

5. **إن طلق الرجل امرأته فهو معرض لعقوبة مهينة هي دخول السجن أو المنع من السفر** إن لم يؤد التزاماته القانونية نحوها (كالنفقة أو قائمة المنقولات)، أما إن قصرت المرأة في واجباتها القانونية نحو مطلقها لم **تُسجن، أو تُمنع من السفر**. على سبيل المثال إن منعت المرأة الرجل من رؤية أولاده عوقبت بغرامة هزيلة، أو سلبت منها الحضانة، ومنحت لأمها (أي تظل الحضانة عمليا معها)، ولا يمكن أبدا أن تُحبس. معنى هذا أن **القانون يعتبر أن حرمان الأب من رؤية أولاده أقل أهمية من حرمان المرأة من قائمة منقولاتها** (التي لم تشتر إلا نصفها). **القانون يعتبر المال أغلى من الأولاد.**

6. **جعل القانون المصري نفقة المتعة مساوية لنفقة سنتين**. وهذا كثير، مع العلم أن هناك شكا حول مشروعة النفقة. لقد اختلف الفقهاء في متعة المطلقة، فقال بعضهم أنها لا تجب إلا للمرأة التى طلقت قبل أن يدخل بها زوجها، ولم يكن قد فرض لها مهرا، فهنا تعطى مبلغا من المال ليخفف عنها الحزن على قدر سعة الرجل طبقا لقوله تعالى: {لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ} [البقرة: 236]. ويرى فقهاء آخرون أن المتعة حق لكل مطلقة، وهذا ما رجحه الطبري[398]، وهو ما نميل إليه، لأن القرآن كرر في موضع

398) قال الطبري في تفسير قوله: {وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ} [البقرة: 241] : «والصواب من القول في ذلك ما قاله سعيد بن جبير، من أن الله تعالى ذكره أنزلها **دليلا لعباده على أن لكل مطلقة متعة**. لأن الله تعالى ذكره ذكر في سائر آي القرآن التي فيها ذكر متعة النساء، خصوصا من النساء، فبين في الآية التي قال فيها: (لا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً) [سورة البقرة: 236] ، وفي قوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ) [سورة الأحزاب: 49] ، ما لهن من المتعة إذا طلقن قبل المسيس، وبقوله: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ) [سورة الأحزاب: 28] ، حكم المدخول بهن، وبقي حكم الصبايا

آخر بعد الآية السابقة بقليل الأمر بإعطاء المتاع للمطلقة: {وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ} [البقرة: 241]. وهذه الآية الآخرة ذات صياغة عامة، وهذا يجعلها تشمل كل المطلقات. لكن **لا يختلف أحد من الفقهاء أن المتاع يجب أن يكون "بالمعروف" طبقا لنص الآيتين.** وكلمة (المعروف) تشير إلى الشيء الذي لا يختلف الناس حول صلاحه، والمقصود هو العدل الواضح الذي يتفق عليه الجميع. لكن الآن نفقة المتعة مرهقة لأغلب الرجال، فأي معروف هذا؟

7. **يجب إلغاء مؤخر الصداق.** في الإسلام يوجد شيء واحد اسمه "الصداق" أو المهر يعطى للمرأة قبل الزواج كهدية تفرح بها. وفي أيامنا هذه المهر هو "الشبكة" أو الذهب الذي يشتريه الرجل لعروسه قبل الزواج. ولا يوجد للمهر في الإسلام مقدم قبل الزواج ومؤخر بعد الطلاق أو الموت. لماذا ندخل في دين الله ما ليس فيه؟ لماذا لا نلتزم بما في الشريعة دون أن نضيف؟ وإن قيل أن هذا يدخل في باب الشرط المباح قلنا أن هذا **يعوق الرجل عن الطلاق إن أراده. وليس لنا أن نضع عراقيل لو شاء الله تعالى لوضعها أمام الرجال حتى لا يطلقوا زوجاتهم،** فمن الضروري أن يكون الرجل قادرا على تطليق زوجته إن اكتشف بعد الزواج أنها سيئة الخلق أو زانية.

إن الغرض من موخر الصداق الذي ابتدعه الناس أحد أمرين: إما أنه كابح يمنع الرجل من الطلاق، وإما أنه هدية للمرأة بعد الطلاق لمواساتها. **وكلا الأمرين لا يمكن قبوله شرعا.** فليس من الإسلام أن نضع قيودا مبدئية على الطلاق تمنع الرجل من ممارسة مهامه الرقابية على زوجته. وفي الحالة الثانية سنجد أن مواساة المرأة بعد الطلاق أمر لم تغفله الشريعة، لكنها جعلت له اسما آخر هو "المتاع". وعلى ذلك فمن الخطأ أن تجمع المطلقة بين "مؤخر الصداق" و"نفقة المتعة". كما أن اعتبار مؤخر الصداق نوعا من المتعة فيه ظلم لأن المتعة يجب أن تكون بالمعروف كما أمر القرآن، والمعروف يتحدد بناء على درجة ثراء الرجل وقت الطلاق، وليس على درجة ثرائه وقت الزواج –حين يتم الاتفاق على المؤخر– فقد يبدأ الرجل حياته غنيا، ثم يفتقر.

إذا طلقن بعد الابتناء بهن، وحكم الكوافر والإماء. فعم الله تعالى ذكره بقوله:" وللمطلقات متاع بالمعروف" ذكر جميعهن، وأخبر بأن لهن المتاع، كما خص المطلقات الموصوفات بصفاتهن في سائر آي القرآن، ولذلك كرر ذكر جميعهن في هذه الآية» [**تفسير الطبري** (5/ 264)]

****

وكما ترون، فوضع كل هذه العراقيل أمام الرجل تجعله يفكر ألف مرة قبل أن يطلق زوجته لأنه سيضطر في الغالب للتنازل عن أغلب ممتلكاته، وسيبقى أبد الدهر عاجزا عن الزواج.

وعمليا تم سحب حق الطلاق من الرجل، وتسليمه للمرأة على طبق من ذهب، وهذه طعنة في قلب شريعة الله. الشريعة تقول أن الرجل هو الذي يطلق المرأة، لكن مشرعي القوانين في بلادنا جعلوا المرأة تفارق زوجها من خلال الخلع رغم أنفه، فلا تخسر غالبا إلا المهر (عمليا مؤخر الصداق)، وتأخذ منه فى المقابل الأولاد، كما تأخذ نفقة شهرية، ومسكنا تقيم فيه، وتسترد قائمة المنقولات (أو تسجن الرجل بسببها)، وتحتفظ بالشبكة الذهبية. أما الرجل فإن أراد تطليق زوجته خسر الأولاد، وخسر الشقة، وخسر نفقة متعة سنتين، وخسر قائمة المنقولات الزوجية، وخسر مؤخر الصداق وخسر الشبكة الذهبية (لأنه سيضطر لشراء شبكة أخرى كي يتزوج). **أى أن الرجل يتحمل غرامات مالية كبيرة، ويخسر الأولاد، بينما تخسر المرأة قدرا أقل من المال، وتفوز بالأولاد. تلك إذن قسمة ضيزا.**

لقد صدق الفلاح الفصيح حين قال أن الرجل تحول لامرأة، والمرأة تحولت لرجل.

ولا تتوقف الخطورة عند ظلم الرجل فحسب، فالقوانين الحالية تضرب قوامة الرجل في مقتل. فالمفترض أن الله تعالى عين الرجل حاكما للمرأة، وأمر المرأة بطاعته، وأمر الرجل بتأديب زوجته وتقويمها إن عصته. وأحد أهم أهداف قوامة الرجل هو فرض الرقابة على المرأة التي تمثل نصف المجتمع (مع العلم أن من المستحيل أن يُسمح للمرأة أن تراقب الرجل في نفس الوقت الذي يراقبها الرجل فيه، لأن كليهما سيكون رئيسا ومرءوسا، وهذا تضارب يؤدي للفوضى)[399]. وهذه الرقابة لها فائدة عظمى لأنها تحافظ على الفضيلة، فلو تحررت المرأة من الرقابة لتبرجت وتزينت، وخرجت من بيتها كما تشاء، وقابلت من الرجال من تشاء. ولا يقتصر الأمر على الرقابة الجنسية فقط، فالزوج بالنسبة للمرأة يلعب نفس الدور الذي يلعبه الأب حين يراقب سلوك أولاده، ويعاقبهم إن كذبوا أو سرقوا أو سبوا الآخرين. وكانت التقاليد الراسخة تمنع الرجل من أن يضرب امرأة غريبة أخطأت في حقه أو حق أسرته، بل يذهب ليشكوها لزوجها، فيقوم الزوج

---

399) ناقشنا هذه النقطة بإسهاب في كتابنا: (**من يحكم الأسرة في الإسلام: الرجل أم المرأة**)، صفحة 57.

بتأديب زوجته، وتحل المشكلة. حقا بعض الرجال يسيئون استخدام السلطة على النساء، لكن أغلبهم كان يستخدمها بالحق، ووجود رجال شرطة فاسدين لا يبرر إلغاء مؤسسة الشرطة كلها. اليوم ضاع كل هذا، فيمكن للمرأة أن تترك بيتها، وتعيش في بيت أبيها أو حتى في بيت وحدها، فلا يقدر زوجها على أن يجبرها على طاعته. **وإن شعر بالحمية لأنه لا يدري ماذا تفعل زوجته وحدها في غيبته لم يكن أمامه إلا أن يعض أنامله من الغيظ في صمت لأن القانون لا يقيم للزوج اعتبارا**، ويعامل المرأة على أنها مخلوق حر، لا سلطة لأحد عليه.

ولقد صعقت حين قرأت منذ عدة سنوات –على موقع "الإسلام سؤال وجواب"– استفسارا من **رجل ثبت لديه أن زوجته زانية (أو على الأقل على علاقة قوية برجل غريب)، لكنه يخشى أن يطلقها لأن عواقب الطلاق ستكون وخيمة قانونا**. يقول السائل باختصار:

«أنا متزوج منذ 13 سنة ، ولي بنتان. قبل عدة أسابيع اكتشفت بالصدفة حدوث مكالمات تليفونية طويلة المدة ، ومجهولة ، على هاتف المنزل ، ثم علمت فيما بعد أن مع زوجتي هاتفاً محمولاً سرّاً ، والأخطر هو خروجها من المنزل بدون علمي ، وعندما أواجهها إما أن تنكر ، أو ترد بتبريرات واهية. أخيراً تلقيت عدة مكالمات تليفونية على محمولي تفيد أنها سرقت مبلغاً كبيراً من المال من عشيقها ، ثم قابلني هذا الشخص ، وادعى أنه زنى بها مرات عديدة داخل منزلي ! ووصف لي البيت بدقة ، وأدق الأسرار الزوجية التي لا يعرفها ألا أنا وهي – أسرار عني ، وعن البنات ، وعن أسرتها ، و فَرش حجرة النوم , وكذلك رقم هاتفها المحمول الذي لم أكن أعلم أنها تمتلكه أصلاً ، وتفاصيل خلافاتنا الزوجية ، وصفات كاذبة عني ، وعن أهلي ، ثم ادعى أنها في إحدى المرات سرقت منه المال بعد أن زنى بها ، الأدهى أنها لا تزال على الإنكار دون إبداء أي تفسير عن تلك المعلومات السليمة والمفصلة !! وترفض الطلاق على اعتبار أنها ضحية مكيدة من هذا الرجل اللعين. المشاكل بيننا تتفاقم، واستمرار الحياة الزوجية مستحيل ، البنات في حالة انهيار كامل ، حالتي النفسية سيئة جدّاً ، وكذلك مستوى أدائي في العمل الآن , وبعد أدائي صلاة الاستخارة عشرات المرات لا أريد الإبقاء عليها كزوجة ، وعليه : ليس أمامي إلا التفاهم معها على الطلاق بالتراضي ، ولكن شروطها المادية مبالغ فيها جدّاً ؛ على اعتبار أنها بريئة ، وترفض الطلاق ، وطلباتها كالآتي : 30000 نفقة متعة ، وحسبتها كالآتي : (500 شهريّاً – 12 شهر ، 5 سنوات –) + نفقة عدة 3000 (1000 ، 3 شهور) + 5000 مؤخر صداق + 1200 نفقة شهرية للبنات !! + كل محتويات شقة الزوجية + مصاريف العلاج والدراسة والكسوة + شقة تمليك جديدة لحضانة البنات !! فهل من حق تلك المرأة أن تطلب مثل تلك الطلبات؟»

هذا الرجل ديوث؟ نعم ديوث. لكن المشرعين في بلادنا هم الذين أجبروه على أن يكون كذلك. نحن تحكمنا قوانين الدياثة. ولا أجد لها اسما آخر.

إن الله تعالى لو أراد أن يحرم الطلاق على الرجل لفعل، ولو أراد أن يسلب حق الطلاق من الرجل، ويمنحه للقاضي لفعل، ولكنه عز وجل لم يفعل ذلك، فهل نحن أكثر حكمة من الله؟ **وهل نحن أكثر كرما من الله كي نغرق المرأة في عطايا بعد الطلاق، ونمنحها حقوقا لم يمنحها لها** ؟ لقد أحدثنا بحماقتنا خللا رهيبا في ميزان القوى داخل الأسرة، فلم نحصد إلا شوكا.

وقد تفوق التلميذ على الأستاذ! **لقد كانت أقصى آمال اتفاقية سيداو المشبوهة أن تحقق المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة في أمور الزواج، فأوصت في المادة 16 بأن يكون للزوجين «نفس الحقوق والمسئوليات أثناء الزواج وعند فسخه»**. وطبعا هذه المساواة تتناقض مع الشريعة الإسلامية التي جعلت للرجل حقوقا زوجية أكبر طبقا لقوله تعالى: {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ} [البقرة: 228]. **لكن قوانين بلادنا لم تكتف بتجاهل الشريعة، بل تجاوزت أهداف سيداو، وجعلت الرجل عبدا، يئن من لهيب سوط المرأة.**

يجب وقف تدخل حكام الدول الإسلامية في شئون الناس الدينية لأنهم ببساطة لا يفهمون في الدين. كما يجب إيجاد برلمان حقيقي، يتمتع أعضاؤه بالثقافة الدينية والنزاهة، ولا يقبلون أبدا بالخضوع لنفوذ السلطة التنفيذية. ولن يتحقق كل هذا إلا إذا تخلصت بلاد المسلمين من الاحتلال الصامت الذي تفرضه عليها الدول العظمي الخاضعة لحكومة العالم الخفية الماسونية اليهودية.

وأنت أيتها المسلمة؟ ما دورك؟ ماذا فعلت لدينك؟ وكيف انتصرت لشريعتك التي مزقوها أمام عينيك؟ كيف تقبلين هديتهم؟ كيف تأخذين رشوة من إبليس؟ كيف تضعين يدك في أيدي الملحدين والماسون واليهود؟ **أمن أجل أمان كاذب تبيعين شريعة الله؟ أمن أجل الانتقام من زوج ظالم أو حماة حاقدة تدوسين على دين الله؟** يا للعار! لم أعد أرى مسلمة مخلصة. كلهن بعن أنفسهن للشيطان. كلهن سقطن في بئر الخيانة. كلهن فرحن بنصر الطغاة للمرأة. كلهن نسين أنهن مسلمات إلا من رحم ربي. فليذهب الجميع إلى الجحيم، فدين الله باق. أزفت الآزفة. ليس لها من دون الله كاشفة. رب إما تريني ما يوعدون. رب فلا تجعلني في القوم الظالمين.

الباب الرابع: المرأة والمناصب المرموقة

داء حب الشهرة

الحياة العامة! وما أدراك ما الحياة العامة؟ إنها حياة الإعلام والشهرة والأضواء. إنها حياة الرياء. و**المسلم الذي يحرص على الانخراط في الحياة العامة يجب أن يكون هدفه الوحيد خدمة المجتمع من أجل إرضاء الله عز وجل**، وبدون ذلك يكون الإنسان مرائيا. إن تولّي المنصب العام يجب أن ينظر إليه على أنه تكليف، لا تشريف. **ومن يزعم أنه لا يبغى إلا خدمة الجماهير، بينما هو فى الحقيقة يريد تحقيق ذاته وبناء مجده الشخصي، فما هو إلا منافق.** و**كل ساع إلى الشهرة آثم**: {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} [لقمان: 18].

ولا يجوز للإنسان أن يفرح بما أوتي من خير في الدنيا، قال تعالى عن قارون الذى كان من أغنى أغنياء الأرض: {إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (76) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} [القصص: 76، 77]

وكيف يفرح الإنسان بالنعمة، وهي لم تهبط عليه بفضل علمه ومهارته، وإنما جاءته على سبيل الاختبار، قال تعالى: {فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [الزمر: 49]، وقال: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ} [القصص: 77]. **وإن أخفق الإنسان فى اختبار النعمة أخذها الله تعالى منه، ولن ينفعه حينئذ علمه**: {قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ} [القصص: 78]

وعلى الإنسان ألا يفرح بما أوتي من خير، ولا يحزن على ما أصابه من شر، قال تعالى: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (22) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} [الحديد: 22، 23]. وإذا كان من العسير على الإنسان أن يتوقف كلية عن الفرح بالدنيا، فأقل

شيء أن يحاول باستمرار تذكير نفسه بأن الدنيا ليست جديرة بأن يفرح بها، وأن خير الآخرة أعلى وأعظم.

إن من يعمل ابتغاء نيل استحسان الناس فسيحصل على الشهرة في الدنيا، لكن ليس له في الآخرة نصيب، قال تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ} [الشورى: 20]، وقال أيضا: { مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (15) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [هود: 15، 16]. ومَثَلُ هذا المرائي كمثل مطر غزير، سقط على حجر أملس، فمحا كل ما عليه من تراب: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} [البقرة: 264].

ومن أروع الأحاديث التى تدين العمل من أجل مدح الناس ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى الْعِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ جاثيةٌ فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ وَرَجُلٌ يُقتل فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ فَيَقُولُ اللَّهُ تبارك وتعالى للقارىء: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهارِ فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: كذبتَ **وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كذبتَ وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يقال: فلان قارىء فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ**. وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَالِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَمْ أوسِّع عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ قَالَ: فَمَاذَا عَمِلت فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: **كَذَبْتَ وَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ لَهُ: كَذَبْتَ وَيَقُولُ اللَّهُ: بل إنما أردت أن يقال: فُلَانٌ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ**. وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فيُقال لَهُ: فِي مَاذَا قُتِلْتَ؟ فَيَقُولُ: أُمِرْتُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: **كَذَبْتَ وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أردت أن يقال: فلان جريء فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ**). ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُكْبَتِي فقَالَ: (يَا أَبَا هُرَيْرَةَ **أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**). قَالَ أَبُو عُثْمَانَ الْوَلِيدُ: وَحَدَّثَنِي الْعَلَاءُ بْنُ أَبِي حَكِيمٍ أَنَّهُ كَانَ سَيَّافًا لِمُعَاوِيَةَ قَالَ: فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فَحَدَّثَهُ بِهَذَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

فقَالَ مُعَاوِيَةُ: **قَدْ فُعِلَ بِهَؤُلَاءِ مثلُ هَذَا فَكَيْفَ بِمَنْ بَقِيَ مِنَ النَّاسِ؟** ثُمَّ بَكَى مُعَاوِيَةُ بُكَاءً شَدِيدًا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ هَالِكٌ وَقُلْنَا: قَدْ جَاءَنَا هَذَا الرَّجُلُ بِشَرٍّ ثُمَّ أَفَاقَ مُعَاوِيَةُ وَمَسَحَ عَنْ وَجْهِهِ فقَالَ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (15) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [هود: 15، 16] [400].

لقد أصبح **السعي لتحقيق الشهرة واحدا من أخطر الأمراض العصرية**، فكل واحد يؤدى عمله، وعينيه على الناس، لا على الله. كما اشتد التقاتل على المناصب، ونادرا ما تسمع أن شخصا زهد في منصب، وتركه لشخص آخر أفضل منه.

وقد كان خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم غير ذلك، فبعد وفاته اجتمع المسلمون في سقيفة بنى ساعدة لاختيار خليفة لهم، وهمَّ أبو بكر أن يبايع عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة بن الجراح، فلم يفرح عمر بالمنصب، وبسط يده ليبايع أبا بكر. والمرء حقا ينبهر بالرواية التي أوردها ابن إسحاق على لسان عمر بن الخطاب، والتي تظهر كيف كان سيدنا عمر يزهد في الخلافة، ويعتبرها مغرما، لا مغنما. يقول عمر:

[فَلَمَّا سَكَتَ أَرَدْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ، وَقَدْ زَوَّرَتْ فِي نَفْسِي مَقَالَةٌ قَدْ أَعْجَبَتْنِي، أُرِيدُ أَنْ أُقَدِّمَهَا بَيْنَ يَدَيْ أَبِي بَكْرٍ، وَكُنْتُ أَدَارِي مِنْهُ بَعْضَ الْحَدِّ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: عَلَى رِسْلِكَ يَا عُمَرَ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُغْضِبَهُ، فَتَكَلَّمَ، وَهُوَ كَانَ أَعْلَمَ منى وأوقر، فو الله مَا تَرَكَ مِنْ كَلِمَةٍ أَعْجَبَتْنِي مِنْ تَزْوِيرِي إِلَّا قَالَهَا فِي بَدِيهَتِهِ، أَوْ مِثْلَهَا أَوْ أَفْضَلَ، حَتَّى سَكَتَ، قَالَ: أَمَّا مَا ذَكَرْتُمْ فِيكُمْ مِنْ خَيْرٍ، فَأَنْتُمْ لَهُ أَهْلٌ، وَلَنْ تَعْرِفَ الْعَرَبُ هَذَا الْأَمْرَ إِلَّا لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ، هُمْ أَوْسَطُ الْعَرَبِ نَسَبًا وَدَارًا ، وَقَدْ رَضِيتُ لَكُمْ أَحَدَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ، **فَبَايِعُوا أَيَّهما شِئْتُمْ، وَأَخَذَ بِيَدَيْ وَبِيَدِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ، وَهُوَ جَالِسٌ بَيْنَنَا، وَلَمْ أَكْرَهْ شَيْئًا مِمَّا**

---

400) أخرجه ابن حبان. والحديث صحيح كما قال الألباني. انظر: **التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان** (1/ 417). وأخرجه أيضا مسلم في صحيحه: عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ لَهُ نَاتِلُ أَهْلِ الشَّامِ: أَيُّهَا الشَّيْخُ، حَدِّثْنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ "،

قَالَهُ غَيْرُهَا، كَانَ وَاَللَّهِ أَنْ أُقَدَّمَ فَتُضْرَبُ عُنُقِي، لَا يُقَرِّبُنِي ذَلِكَ إلَى إثْمٍ، أَحَبُّ إلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَأَمَّرَ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ.... فَقُلْتُ: اُبْسُطْ يَدَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، فَبَسَطَ يَدَهُ، فَبَايَعْتُهُ، ثُمَّ بَايَعَهُ الْمُهَاجِرُونَ، ثُمَّ بَايَعَهُ الْأَنْصَارُ][401].

(زورت مقَالَة): أصلحتها وحسنتها. **(مَا تَرَكَ مِنْ كَلِمَةٍ أَعْجَبَتْنِي مِنْ تَزْوِيرِي إلَّا قَالَهَا فِي بَدِيهَتِهِ)**: يقصد عمر أنه كان يجهز الكلام الذي سيقوله في ذهنه، ويرتبه، لكنه فوجيء بأبى بكر يقول نفس الكلام وأحسن بفطرته وبديهته دون سابق تجهيز وإعداد. **(أداري منه بعض الحد)**: معناه أن عمر كان يخفى عن أبي بكر حدة في نفسه. **(على رسلك)**: أمهل ولا تتعجل

لا أحسب الآن أن من الممكن لأى مسلم أن ينظر بإعجاب للحركة النسائية. ويمكن أن أقول بلا تردد أن الحركة النسائية "**حركة رياء**" أو "**حركة نفاق**"، فهى لا تريد المناصب العامة كى تنفذ منهج الله على الأرض، ولكن لانتزاع الإشادة والاعتراف بالقيمة من أفواه البشر، فتراهن لا يتوقفن عن القول بأن المرأة قد نجحت فى إثبات وجودها فى كافة الميادين، وتمكنت من الوصول إلى أعلى المراكز، فها هى قد أصبحت رئيسة جمهورية ورئيسة وزراء ووزيرة وأستاذة جامعة وعميدة وقاضية، ولم تعد هذه المناصب حكرا على الرجل كما كانت طوال التاريخ. والمديح الذى تكيله المرأة كل يوم لنفسها لا يعنى إلا شيئا واحدا وهو أنها تعمل من أجل مجدها، وليس من أجل الله.

لقد جعلت الحركة النسائية من الفخر حكمة ، ومن الخيلاء فلسفة. لقد انقلبت القيم، فأصبح المعروف منكرا، والمنكر معروفا، ولم يعد هناك من يخجل من الجهر بالذنب مع أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: " كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا المُجَاهِرِينَ" رواه البخاري.

إن حب الشهرة مرض حتى بمقاييس الدنيا، **فمن المضحك أن تجد مخرجا يغار من نجوم أفلامه، ويصر على أن يظهر معهم في كل مشهد على الشاشة.** هذا المخرج شخص مريض، ويجب أن يفهم أن **قيمة الإنسان لا علاقة لها بشهرته. وأن هناك أدوارا جليلة يستطيع الإنسان أن يؤديها من وراء الستار**. وبالمثل ابتليت المرأة بداء حب الشهرة ، وهذا ما جعلها تصر –مثل هذا المخرج الخفيف– على الظهور في كل مشهد بجوار الرجل. فما أحمقها!

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

401) **السيرة النبوية لابن هشام** (659/2).

أختي الكريمة: علم أقل من فضلك

سيكون من المفاجىء أن آتى اليوم لأنادي بقدر أقل من التعليم للمرأة! نعم إنني أدعو المرأة للتمهل في هذا السير الجنوني على طريق العلم.

وقطعا ليس من السهل على المسلم أن يَحرم المرأة من التعلم، فالعلم بالنسبة للمسلمة ليس ترفا، بل ضرورة دينية.

أهمية العلم للمرأة

1. التعليم ضروري لجعل المرأة مثقفة، وعلى وعى بما يجرى حولها من شئون الأمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية. والأمة الإسلامية واسعة مترامية الأطراف، ومعرفة أحوالها يتطلب ثقافة كبيرة. ومن واجب كل مسلم العمل على تغيير واقع هذه الأمة الضخمة إلى الأفضل، فليس مسلما من لا يمد يد العون إلي المسلمين. والخطوة الأولى للإصلاح هي إدراك وجود واقع فاسد، وهذا يتأتى بالتعلم، بل التعلم الغزير. ولا مناص من أن يكون لكل مسلم رأى في شئون أمته كي ينصر الحق، ويعادي الباطل، وهذا يتطلب قدرا كبيرا من التعليم، خاصة في هذا العصر الذي تعقدت فيه الأمور، وأصبح الكلام في السياسة والأمور العامة يتطلب قراءة الكتب والصحف والأبحاث. وعلى ذلك فالثقافة بالنسبة للمسلم ليست وسيلة للتباهي، ولكنها فرض، وهذا يجعل النظرة الإسلامية للثقافة أرقى من النظرة العلمانية، فالعلمانية ترى أن على المرء أن يطلب المعرفة كوسيلة لكسب المال، أو الاستزادة من القوة، أو نيل للشهرة، أو إشباع الفضول. وقد ترتب على وجهة النظر العلمانية أخطاء فادحة، ففى الغرب ترى أغلب المواطنين يعزفون عن السياسة، ولا يذهبون للانتخابات، ولا يهتمون إلا بالعمل والترفيه والسياحة وتربية القطط والكلاب. حقا كثير من المسلمين يسيرون على نفس المنوال ، لكن الفرق أن العلمانية لا تدين سلبية الإنسان وأنانيته، أما الإسلام فيرى في هذه النزعة الفردية جريمة.

2. التعليم ضروري لكى تعرف المرأة المسلمة دينها، وتلم بأحكامه، وتفهم فلسفته. القراءة ضرورية لكى تكون المرأة ذات عقيدة قوية، وما أكثر الشبهات التي تثار حول الدين، والتي يسهل أن ينزلق إليها من ورثوا الدين دون أن يدرسوه.

3. من المهم أن يكون لدى المسلم قدر من المعرفة في العلوم الطبيعية التي تقدم أساسا للإيمان بالله ودليلا على وجوده، فكلما تعمق الإنسان في دراسة قوانين الكون وأحوال الكائنات الحية أصبح أقرب للإيمان بالله. وبالنسبة لي فقد التحقت بكلية الطب لسبب واحد هو الرغبة في دراسة جسم الإنسان كي أزداد إيمانا بالله. ولكى يفهم المسلم ما يقال اليوم حول الإعجاز العلمي في القرآن أن يكون على دراية معقولة بالعلوم الطبيعية الأساسية. ومن العبث أن يتعرض المسلم لتفسير آية كونية، فيقول فقط: "قال الزمخشري.. وقال القرطبي.." فمع تقديرنا لمكانة المفسرين القدامى إلا أن من المستحيل اليوم أن نتجاهل حقائق العلم الحديث.

4. من الضروري أن تكون المرأة متعلمة حتى تستطيع أن تجارى زوجها، وتكون عقليتها مقاربة لعقليته، وتفهم أفكاره، فتنجح الحياة الزوجية.

5. المرأة المتعلمة أقدر على تربية أبنائها من المرأة غير المتعلمة (بفرض تساوى الاثنين في الخلق والتدين). المرأة المتعلمة تعلم أولادها القرآن وفرائض الدين وسير الأنبياء. المرأة المتعلمة تفهم عقول أبناءها، وتجيب على أسئلتهم. ومن المهم أن يشعر الابن أن أمه أكبر منه عقلا، وأوسع منه ثقافة حتى يكون مهيئا للإنصات إليها والعمل بنصائحها.

6. المرأة المتعلمة تسهل على أبنائها التعلم. وأغلب الأمهات المتعلمات يساعدن أولادهن على استذكار الدروس، ويثبتن في كثير من الأحيان كفاءة، تفوق كفاءة المدرسين المحترفين.

7. المرأة المتعلمة أقل احتمالا لأن تقع في الخرافة مقارنة بالمرأة الجاهلة. وقديما كانت المرأة تحكى لأولادها حكايات "أمنا الغولة" و" أبو رجل مسلوخة". وكانت المرأة هى العميل الأكبر للسحرة والدجالين، والمتردد الأول على قبور الأولياء، وكانت كل أم تضع لابنها حجابا على صدره ظنا منها أنه يحميه من الحسد. وقد قلت بشدة هذه الظواهر بعد انتشار التعليم.

كيف توفق المرأة بين الأسرة والتعليم

أصبح للعلم أهمية قصوى للمرأة، أكثر من أي شيء آخر. أصبحت البنت لا تتزوج إلا بعد أن تتخرج من الجامعة، أو توشك على التخرج منها. ولم يعد أحد يفكر في تزويج ابنته وهى في المرحلة الإعدادية أو الثانوية، فالزواج المبكر يُنظر إليه على أنه نهاية مأساوية لمستقبل الفتاة العلمي، بل إن بعضهن ترفض الزواج والإنجاب قبل أن تكمل الدراسات العليا.

كيف توفق المرأة إذن بين البيت والتعلم؟،

سيكون من حيث المبدأ للفتيات الحق الكامل في الالتحاق بالتعليم الثانوي والجامعي. وفى نفس الوقت سنكثف من دور وسائل الإعلام فى توعية الآباء بخطورة تأخير سن الزواج[402]. وهكذا ستتزوج البنت قبل أن تكمل تعليمها، وستظل تدرس بعد الزواج، وطبعا ستجد صعوبة في استمرار الحياة الزوجية بشكل طبيعي بسبب الدراسة. ونحن نطرح بعض الحلول كي توفق المرأة بين البيت والدراسة (وطبعا نحن نقصد الدراسة في مدارس البنات، وليس المدارس المختلطة):-

من الممكن أن نطيل أمد التعليم، فنسمح للفتيات مثلا بالحصول على الشهادة الجامعية على مدى ثمان سنوات أو عشر بدلا من أربع، بحيث يمكن للمرأة أن تؤدي الامتحان كل عام فى مادة واحدة أو اثنتين فقط ، فلا تطغى الدراسة على واجباتها نحو أسرتها. وسيكون من حق الفتاة التي لم تتزوج أو طلقت أو تلك التى يسافر زوجها لفترات طويلة، سيكون من حق هؤلاء أن يكثفن الدراسة، ويكملن التعليم فى فترة أقل من المعتاد. ولا شك أن إطالة أمد الدراسة بهذا الشكل سيجعل استيعاب الطالبة للمواد الدراسية أفضل، خلافا لما نراه اليوم من نسيان الطلبة الكامل لكل ما درسوه بعد أيام قليلة من الامتحان. وبهذه الطريقة سيكون لدينا امرأة متعلمة وفى نفس الوقت لا تقصر في حق أسرتها. **إن عدد سنوات الدراسة أمر ورثناه من الغرب، وقد حدده الغرب بناء على افتراض أن العلم وسيلة للعمل. لكن المرأة المسلمة عملها الأساسي هو رعاية أسرتها،** فلماذا نضغط عليها كى تنهى الدراسة فى نفس الموعد مثل الذكور، الذين هم فى حاجة للعمل والكسب؟

---

402) انظر كتابنا **"الزواج المبكر بين حقائق الإسلام وأساطير الإعلام"**. الناشر منصة أمازون للكتب الرقمية. رقم أمازون: ASIN: B0B924R91P. 2022م-1444هـ

يمكن أيضا أن نسمح للفتيات بالحصول على الشهادة من المنزل دون حضور المدرسة أو الجامعة إلا للضرورة. والمستقبل يحمل في جعبته وسائل غير مسبوقة للتعلم، فقد جاء الإنترنت ليحمل لنا إمكانية الاستماع للمدرس ومشاهدته والتحاور معه من خلال الإنترنت، وهو تقدم مذهل ينبيء باختفاء المدارس التقليدية.

إننا لا نقول شططا، ولا نعود بعقارب الساعة للوراء، فمنذ حوالي 15 عاما أصبت بالذهول حين قرأت أنه في بلد متقدم مثل الولايات المتحدة الأمريكية يوجد 1.5 مليون طفل (2.9 % من إجمالي عدد الأطفال طبقا لإحصاء عام 2007) لا يلتحقون بالمدارس، ويتعلمون بنجاح فى البيت، وهو ما يعرف ب Home schooling. وسيذهلك أكثر إن علمت أن هؤلاء الأطفال يبتعدون عن المدارس لأسباب دينية في الغالب، حيث يرى آباؤهم أن المدرسة لها آثار سيئة على أخلاق الأبناء ودينهم، ففيها يختلط الطفل بأصدقاء السوء، ويتعلم الجنس والمخدرات والجريمة، ويتشرب الأفكار المتحررة والآراء المضادة للدين. يا إلهى! إن أدعياء الثقافة فى بلادنا ثارت ثائرتهم حين علموا أن أحد رجال الدين المشهورين جعل ابنته تترك التعليم خوفا على أخلاقها، فما قولهم فيما يفعله الأمريكان؟

ولما حلت بالعالم جائحة كورونا عام ٢٠١٩ م اتجهت كل دول العالم للتعليم الإلكتروني في البيت خوفا من انتشار الوباء. وبالنسبة لى فقد لاحظت أن إقبال طلبة الدراسات العليا على المحاضرات قد زاد بشكل كبير بعد أن أصبح من السهل على الواحد منهم أن يستمع إلى المحاضر، ويناقشه، وهو جالس فى بيته أو عيادته دون حاجة لتكبد مشاق الانتقال إلى الجامعة. والتعليم الإلكتروني يلائم تماما ربة البيت التي تحرص على إكمال التعليم دون تقصير في واجباتها نحو أسرتها.

هل تحصل المرأة على الدكتوراة

نحن نسأل المرأة: لماذا تريدين الحصول على الماجستير أو الدكتوراة؟

نقول بوضوح أن **المرأة التي تريد الماجستير أو الدكتوراة من أجل الشهرة والمكانة الاجتماعية بين الناس آثمة**، فالله تعالى لا يحب كل مختال فخور: {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} [لقمان: 18]

والذى لا شك فيه أن الغالبية العظمى من النساء يبتغين من وراء الدكتوراة المظهر الاجتماعي فقط، وهذا ما لا يخفينه، بل يفتخرن به. فعلى كل امرأة تريد أن تضحى ببيتها وزوجها من أجل الدكتوراة أن تراجع نيتها، وتسبر أغوار قلبها حتى لا تشترى زخرف الدنيا بغضب ربها.

لكن قد تقول المرأة أنها تريد الدكتوراة حبا في العلم. وهنا نقول لها: إن حبك للعلم أمر طيب، لكنه سيعوقك عن تقديم الرعاية لأسرتك، فالدكتوراة تتطلب كثيرا من الوقت والجهد لكتابة الرسالة، والاطلاع على المراجع، والتردد على المكتبات، والبحث عن المخطوطات. وكل هذا يتطلب الكثير من الوقت. ومن المعروف أن الأساتذة المشرفين على الدكتوراة لا بد أن يقرأوا البحث ويراجعوه ويبدوا ملاحظاتهم، فيقوم الباحث بإعادة الكتابة، وينقح، ويضيف، ويحذف إلى أن يصل البحث إلى الصورة المثلى. ولا يتم هذا إلا بعد جهد جهيد ووقت طويل. وزاد الطين بلة أن بعض العلوم الأدبية أصبحت تنحو منحى تجريبيا مثل علم الاجتماع وعلم النفس، فيصبح على الباحث مثلا أن يجرى دراسة اجتماعية على عادات مجتمع من المجتمعات مثل البدو أو أهل الريف أو غيرهم أو يقوم باستقصاء عن ظاهرة معينة لدى طلبة الجامعة، أو يقوم باحث نفسى بالتردد على العيادات النفسية لدراسة حالة مرضية معينة.

ولهذا فالمرأة العاقلة تدرك بسهولة أن من الصعب الجمع بين الدراسات العليا ورعاية الأسرة. وقرأت ذات مرة فى مجلة "نيوزويك" عن امرأة أمريكية تخلت عن دراسة الدكتوراة كي تتفرغ لرعاية بيتها.

وفضلا عن ذلك فالدكتوراة ليست نهاية المطاف، **فهي مجرد خطوة صغيرة على درب العلم الذى لا ينتهي إلا بالموت. وانظر إلى العلماء الكبار تجد أن أعظم إنجازاتهم تأتي في العادة بعد الدكتوراة.** ومن يحب العلم أو يبتغى به وجه الله فسيظل حريصا على التعلم حتى لو كان فى سن التسعين. والمرأة التى تحب العلم، وتقرأ بمعدل مكثف، ستصبح فى سن الخمسين أكثر علما

من امرأة حصلت على الدكتوراة في الثلاثين، ثم نسيت ما تعلمته بعد أن اكتفت بالوجاهة الاجتماعية التى نالتها بالشهادة.

وعلينا كذلك أن نفرق بين العلوم المادية (كالفيزياء والكيمياء والأحياء) **والعلوم الأدبية** (كالتاريخ والسياسة والفلسفة والدين).

العلوم المادية لا يمكن التفوق فيها إلا من خلال الذهاب إلى الجامعات ومراكز البحث العلمي. وكيف لعالم في الكيمياء أو الفيزياء أو الأحياء أن يصل إلى القمة فى تخصصه دون أن يدخل المعمل؟ أما **العلوم الأدبية فيمكن للمرأة أن تتفوق فيها دونما حاجة لترك بيتها**[403].

إن دور مدرس العلوم الأدبية هو جعل التعلم أسهل، لكن يبقى التعليم ممكنا دون معلم. حقا سيكون الأمر أبطأ بعض الشيء، لكن من الممكن التغلب على ذلك بتوافر الحب للشديد للمادة المقروءة. ولعلكم تذكرون كيف تربع الشيخ أحمد ديدات على هرم علم مقارنة الأديان دون ماجستير ولا دكتوراة. وعباس العقاد كان المفكر العربي الأول رغم أنه لم يحصل إلا على الشهادة الابتدائية. ومن أشهر الدعاة الإسلاميين في العصر الحديث الأستاذ سيد قطب والدكتور مصطفى محمود، ولم يحصل كلاهما على الدكتوراة فى العلوم الإسلامية.

وعلى ذلك فالجهد المطلوب للحصول على الماجستير والدكتوراة يختلف من مجال لآخر. وهناك تفاوت في ظروف كل أسرة، ومدى حاجتها للمرأة، فامرأة لا تنجب تختلف عن امرأة لديها خمسة أولاد. ولذا فنحن لا ندعو لإصدار قانون يقضي بحرمان كل النساء من دراسة الماجستير والدكتوراة، ولكن نطالب بأن تكون موافقة الزوج شرطا لقبول المرأة في هذه الدراسات.

التدريس بالجامعة

الخطوة التالية بعد الماجستير والدكتوراة هى أن تلتحق المرأة بسلك التدريس بالجامعة، فتكون معيدا ثم مدرسا ثم أستاذا. وهذا مرفوض لأننا نرفض بشكل عام عمل المرأة[404].

---

403) أنا لا أغض أبدا من قدر أساتذة الجامعات المتخصصين فى العلوم الأدبية، ولا أزعم أنهم بلا فائدة ، فالذى لا جدال فيه أن وجود الدراسات الأدبية فى الجامعات يمثل وسيلة منظمة لرعاية هذه العلوم والحفاظ عليها بدلا من تركها لاجتهادات المجتهدين الذين قد يوجدون وقد لا يوجدون ، وكفى بهذه قيمة.

404) انظر كتابنا **"من يحكم الأسرة في الإسلام: الرجل أم المرأة"**

إن المرأة إن كانت حقا حريصة على العلم وعلى رضا الله فلترض بأن تكون حاملة للعلم دون أن تلهث وراء لقب الدكتوراة. وهذا شأن العلماء الحقيقيين الذين **يضعون نصب أعينهم على العلم، لا على المناصب الإدارية المضيعة للوقت.** العالم الحقيقي أكبر من منصب رئيس قسم أو عميد كلية. **العالم الحقيقي يشرف المنصب، ولا يسعى للتشرف بالمنصب. العلماء الكبار يذكر الناس علمهم وينسون مناصبهم.** وإن رفضت المرأة هذا الكلام وأصرت على أن تكون أستاذا فى الجامعة بصورة كاملة كما هو الحال اليوم، فقد أثبتت أنها طالبة شهرة، وما هذا من الإسلام فى شىء، فالله تعالى لا يحب كل مختال فخور كما قال فى كتابه الكريم.

وإن كانت المرأة تريد الالتحاق بالجامعة بغرض إفادة الآخرين بعلمها، فهذا الغرض يمكن أن يتحقق بوسائل أخرى كتأليف الكتب، والكتابة في الصحف والمجلات ومواقع الإنترنت، وإلقاء الأبحاث في المؤتمرات، والمشاركة في الندوات. والفرق بين هذه الأنشطة العلمية وبين الجامعة هو أن هذه أنشطة حرة يمكن للمرأة أن تختارها حسب وقتها، فإن وجدت لديها فراغا ازداد نشاطها العلمي، وإن زادت متطلبات بيتها قل نشاطها العلمي مؤقتا، أما المرأة فى الجامعة فهي مجبرة على النشاط العلمي والإداري الدائمين بما يعوق مهمتها الأساسية المتمثلة في رعاية أسرتها.

وقد انتبهت لأول مرة إلى أن النشاط العلمي يمكن أن يترعرع خارج الجامعات حين قرأت عن الدكتور جمال حمدان عالم الجغرافيا الشهير الذى استقال من الجامعة بعد أن تعرض للظلم، فجلس في بيته، ليبدع موسوعته الفريدة "شخصية مصر" التى كتب لها الخلود، أما منافسوه الذين بقوا فى الجامعة فلا يعرف أحد أسماءهم. لقد وجد الرجل محبسا ضيقا في الجامعة، ووجد فضاء واسعا في بيته، فانطلق وأبدع.

هل المجتمع بحاجة ماسة للمرأة العاملة؟

الإجابة القاطعة هي: لا، فالرجال المتفوقون كثر، ولا أظن أنهم يكرهون الدراسات العليا، أو يرفضون الالتحاق بالجامعة لو كان العلم سيعود عليهم بدخل أكبر. وما حدث فى العقود الأخيرة أن حكوماتنا أهملت العلماء، فوجد الذكور أن الدراسة لن تأتي لهم بالطعام والشراب، فانصرفوا عنها. ويضاف إلى ذلك أن المغريات التى تلهي الذكور عن الدراسة أكبر فى عصر الفواحش الذى نعيش فيه، وقلما تجد اليوم شابا نجا من فتنة النساء. ولو اهتمت الدول بتشجيع العلم

وحاربت الإباحية لرأينا إقبالا مشهودا من الذكور على العلم، وسيكون التنافس بينهم على أشده، وستكون الأسرة أكثر تشجيعا لأبنائها على التعلم لأنها سترى ارتباطا وثيقا بين العلم والثراء.

وعلى ذلك فتراجع النساء بعض الشيء عن العلم يمكن تعويضه بكل سهولة من خلال تشجيع الذكور على التعلم. لكن الذى يحدث الآن أن المرأة تهتم بالعلم أكثر من الرجل حتى ترتفع مكانتها الاجتماعية، فتتزوج من رجل ثري، خاصة أنها غير مطالبة بأعباء مالية مثل الرجل، ولا يضيرها رواتب العلماء الهزيلة. وليس عيبا أن تبحث المرأة عن الزواج، لكن الخطأ أن تفضل العلم على أسرتها بعد الزواج، أو تتخذ من العلم سلاحا يقويها في صراع آثم ضد زوجها.

إن المجتمع لن ينهار إن تركت المرأة العلم. والدليل على ذلك أن **حركة العلم كانت تسير بصورة نشطة منذ بداية عصر النهضة حتى منتصف القرن العشرين فى ظل غياب شبه كامل للنساء.** لقد حدثت الثورات العلمية الكبرى على أيدى العلماء من الرجال مثل كوبرنيكوس وجاليليو ونيوتن وبلانك وباستير ورزرفورد وهايزنبرج وبوهر وشرودنجر وآينشتين وستيفين هوكنج. حقا هناك أسماء بارزة من النساء مثل مارى كورى ، لكن عددهن أقل كثيرا. إذن المجتمع لم يستفد من تحول المرأة للعلوم لأن الرجل كان يقوم بنفس الدور فى الماضي. **لقد شجعت الحضارة الحديثة المرأة على إهمال أسرتها كي تلعب دورا جديدا، لم يكن المجتمع في حاجة إليه. كل ما حدث هو تبديل للأدوار الطبيعية دون مكسب حقيقي للمجتمع في النهاية.**

والحقيقة أن **عدد العلماء لا يتوقف على قرار المرأة بالمشاركة فى العلم، وإنما يتحدد بأشياء مختلفة تماما، أهمها المال.** من يملك المال يمكنه تجنيد العلماء واجتذاب العقول اللامعة من داخل البلاد وخارجها. وكثير من النابغين لا يستفيد المجتمع منهم بسبب عزوفهم عن العلم، فهم يرون بؤس العلماء، ويقارنونه بنجومية لاعبي الكرة والفنانين، فيكتشفون أن العالم يعيش حياة، تقل كثيرا عن حياة أي موظف في شركة خاصة. فلماذا يتعب الشاب نفسه في التعليم، وهو على يقين من أنه سيتخرج لينضم إلى صفوف العاطلين، وأنه إن وجد عملا فلن يكون بسبب شهادته؟

وبإمكاننا أن نزيد عدد العلماء إن حاربنا الإباحية. إن المغريات أمام الشباب أصبحت كثيرة جدا بما يفوق قدرة أشدهم عفة وتقى. ومن أهم الأسباب التي تجعل البنات يتفوقن على البنين فى مراحل التعليم المختلفة هو هذه المغريات التى يقابلها الشباب أينما ذهبوا. ففى المدرسة مغريات،

وفى الجامعة مغريات، وفى الطريق مغريات، وفى التلفاز مغريات، وفى الإنترنت مغريات. وعلى الجانب الآخر نجد أن البنات يتعرضن لضغوط أقل لأن الرغبة الجنسية لديهن أقل عنفا مقارنة بالرجال، وهذه حقيقة طبية معروفة. كما أن الناس في بلادنا يتشددون فى الرقابة على البنات أكثر من تشددهم فى الرقابة على البنين بسبب ما تبقى لديهم من حمية وغيرة، وهذا يجعل البنت لا تجد أمامها في كثير من الأحيان اهتماما آخر غير الدروس. ولو حاربنا الرذائل في بلادنا لاستغنينا بسهولة عن المرأة فى مجال العلم. وحتى الدول الأوربية المتقدمة أهدرت نبوغ كثير من الرجال بسبب السقوط في وحل الإباحية والمخدرات. وصار كثير من الشباب هناك يفضلون اللهو، ولا يطيقون حرمان النفوس من الملذات من أجل العلم.

إن انخراط المرأة فى مجال العلم ليس هو الذى سيحدث نهضة علمية فى بلدنا، بدليل أن نصف العلماء على الأقل اليوم من النساء، ومع ذلك لم نزدد تقدما، وإنما ازددنا تأخرا. إن قادتنا – الذين يرفعون أصواتهم ليلا ونهارا مدافعين عن المرأة– يعرفون جيدا أن النهضة العلمية تتطلب أشياء أخرى غير المرأة. إنها تتطلب فى المقام الأول الرغبة الصادقة في تحقيق النهضة، وما يستتبعه ذلك من توجيه موارد المجتمع للعلم بدلا من تبديدها بشكل سفيه على مظاهر الأبهة والترف والمشروعات التي لا طائل من ورائها.

يجب أن تكون الأولوية للعلم. لكن الحكومات اليوم جعلت محاربة الإرهاب هي الأولوية المطلقة مع أن الإرهاب لا وجود له إلا في مخيلتهم. **وقد ترتب على إهمال العلم أن انشغل العلماء بكل شىء إلا العلم، وصار كل منهم يبحث عن وظيفة أخرى بجوار الجامعة يطعم منها أولاده. وصار أساتذة الجامعات يذهبون إلى الجامعات كي يمارسوا رياضة الشجار وهواية الغيبة والنميمة. وإن تبقى لديهم بعض الوقت أجروا بعض الأبحاث التافهة كي يكونوا مؤهلين للترقية، فتزيد رواتبهم بضع مئات من الجنيهات.**

والتقدم العلمي يتطلب أيضا محاربة المحسوبية، وإيقاف تسريب الامتحانات، والتلاعب بالنتائج، ومجاملة أولاد الأساتذة على حساب الطلبة النابغين.

إن كارثة تسريب الامتحانات –التي تحدث بشكل منظم ومنتظم كل عام دون محاسبة من أحد– كفيلة وحدها بتدمير العلم لمدة خمسين سنة قادمة. وكارثة تبديل نتائج الطلبة في الامتحانات

كفيلة بتدمير معنويات أي طالب محب للعلم. **التقدم العلمي يتطلب أشياء كثيرة جدا، آخرها المرأة.**

لسنا دعاة تخلف

سيقال حتما: هل جننت؟ كيف تتجرأ، وتحرم المرأة من علوم الكيمياء والفيزياء وغيرها من العلوم الطبيعية؟ ونحن ننفي هذه التهمة في النقاط التالية:

أولا:

نحن لم نحرم المرأة من هذه العلوم، بل أوجبنا دراستها في المرحلة الإعدادية والثانوية. وهذا كاف جدا كي يجعلها امرأة عصرية مسايرة للعلم الحديث، بل هو أكثر من اللازم بكل المقاييس. والدليل على ذلك أن المجلات العلمية الشعبية المرموقة مثل "ساينتفك أمريكان" Scientific American والكتب العلمية المبسطة مثل كتب ستيفن هوكنج وميشيو كاكو تخلو بشكل شبه تام من التفاصيل العلمية الدقيقة جدا والمعادلات الرياضية كي يستوعبها عامة القراء رغم أن أغلب هؤلاء القراء درسوا في المرحلة الثانوية مناهج علمية أصعب من ذلك بكثير جدا. وهذا دليل على أن المرأة التى تحرم من الماجستير والدكتوراة لن تكون متخلفة، بل ستظل مسايرة للجديد في العلم.

ثانيا:

ليس مطلوبا من كل إنسان متحضر أن يكون حاصلا على الماجستير والدكتوراة، بدليل أن أغلب نجوم المجتمعات الغربية من فنانين وأدباء وساسة وصحفيين وإعلاميين ورياضيين غير حاصلين على هذه الشهادات العليا. **إن الحصول على الماجستير والدكتوراة "فرض كفاية"، وليس "فرض عين" على كل مواطن.** وطالما أن الرجال يسدون الفراغ العلمي الذي تتركه المرأة، فلا داع لأن تهمل المرأة بيتها من أجل مهمة، يمكن لغيرها أن يؤديها.

ثالثا:

لا مفر من حرمان كل إنسان من أغلب العلوم. والرجل أيضا يُحرم من دراسة أغلب العلوم. أذكر أنني في المرحلة الثانوية كنت أحب بعض المواد الدراسية أكثر من غيرها، خاصة علم الفيزياء. لكنني فيما بعد اخترت كلية الطب بالتحديد. وشعرت وقتها بأسف شديد لأني ضحيت بالعلوم الأخرى، خاصة الفيزياء. لكن لم يكن أمامي خيار آخر، فكل طالب لا بد أن يلتحق بكلية واحدة. ولو أصر كل طالب على أن يلتحق بكل الكليات لما برع في شيء، ولما تقدم العلم خطوة واحدة. نحن نعيش في عصر التخصص، بل التخصص الدقيق. **إن الحرمان من بعض التخصصات العلمية يدخل في صميم طبيعة التعليم نفسه. وإذا كانت الفتاة اليوم تتخرج من الثانوية العامة، فتجد نفسها مضطرة للابتعاد عن بعض التخصصات العلمية التي تحبها، أو تختار تخصصا لا تحبه لأنه مطلوب في سوق العمل، فما الغرابة في أن تنصرف عن دراسة الدكتوراة في العلوم المادية كي تتخصص في رعاية أسرتها؟** أليس كل طلبة الثانوية العامة – ذكورا وإناثا– يفعلون نفس الشيء كل عام دون أن نسمع أحدا يشكو من الظلم، أو يئن من الحرمان.

رابعا:

نحن لن نحرم كل النساء من الدكتوراة في الفيزياء والكيمياء وبقية العلوم المادية. هب أن امرأة حرمها الله تعالى من نعمة الزواج والإنجاب، أو طلقت، أو توفى زوجها، أو كان زوجها مسافرا، فستجد وقت فراغ كبير، وستتمكن في الغالب من الحصول على الدكتوراة بسهولة في العلوم المادية أو الأدبية. كل المطلوب إذن هو موافقة الزوج على الدكتوراة إن كانت المرأة متزوجة.

خامسا:

حين تخدم المرأة أسرتها فهى تخدم مجتمعها. وتماسك الأسرة لا يقل أهمية للأمم عن تقدم العلم. وانظر إلى أوربا تجد شعوبها مهددة بالانقراض رغم تقدمها العلمي الكبير، وذلك لأن الأسرة هناك توشك أن تختفي، ولا أحد يحرص على الإنجاب. **إن من الممكن للدولة أن تعيش وهي متأخرة علميا، لكن تفكك الأسرة يعقبه حتما انهيار أخلاقي، يليه انهيار سياسي. واسألوا رجال الاستخبارات الذين يعرفون كيف يسقطون الدول من خلال تدمير الأخلاق.** إن العلم ليس هو الميدان المثالى الذى يمكن للمرأة المسلمة أن تخدم من خلاله مجتمعها.

سادسا:

هناك ظاهرة يعرفها جيدا الباحثون الاجتماعيون[405] ، ألا وهي **تفوق الذكور على الإناث فى مجالات الرياضيات والهندسة والعلوم والتكنولوجيا**[406]، والتى تسمى اختصار STEM ، وهي الأحرف الأولى لكلمات Science, Technology, Engineering, Mathematics. وهذه المجالات هي المجالات التي صنعت الحضارة الحديثة بلا جدال.

لقد أظهرت مثلا دراسة ضخمة[407]، شملت مليون ونصف طالب في عمر 15 عاما من 75 دولة أن **الذكور يحصلون على درجات أعلى من الإناث فى اختبارات الرياضيات في أغلب الدول المتقدمة**. وبرغم أن المتوسط الدولي للفرق بين الذكور والإناث صغير نسبيا **إلا أنه يزداد بين الطلبة الأعلى إنجازا:** بالنسبة للطلبة الذين كانت درجاتهم أعلى من 95% (95^{th} percentile) بلغت نسبة عدد الذكور للإناث (1.7–1.9) إلى 1. وبالنسبة للطلبة الذين كانت درجاتهم أعلى من 99% (99^{th} percentile) كانت نسبة عدد الذكور للإناث (2.3–2.7) إلى 1. معنى هذا أن **عدد الذكور الذين وصلوا للقمة كان ضعف عدد الإناث. ونفت الدراسة العثور على أي دليل يربط بين هذا الفرق في الرياضيات ومؤشرات المساواة بين الجنسين فى الدول المختلفة.**

وبرغم أن مشاركة المرأة في مجالات التكنولوجيا والرياضيات تزايدت فى العقود الأخيرة إلا أن تفوق الرجل فيها لا يزال واضحا، ولا ينازع فيه أحد. وهذه الظاهرة تصيب الباحثين بحرج بالغ لأنها تتحدى عقيدة الحركة النسائية التى صارت أكثر رسوخا من كروية الأرض. والأكثر من ذلك أن دراسة كبيرة، أجريت فى عام 2016م على أكثر من 760 ألف طالب من 68 دولة حول العالم[408] **قد اكتشفت نتائج لم تكن أبدا على الحسبان: لقد وجدت أن الفروق بين الذكور والإناث فى مستوى القلق من الرياضيات Mathematics anexiety كانت أشد وضوحا فى الدول الغنية المتقدمة مقارنة بالدول الفقيرة.** وهذا يعني أن **الذكور لم يتفوقوا على الإناث**

---

405) هذا الموضوع منقول من كتابنا **"من يحكم الأسرة في الإسلام: الرجل أم المرأة"**- صفحة 269-271.

406) Tolley K. The Science Education of American Girls: A Historical Perspective. London: Routledge; 2003.

407) Stoet G, Geary DC. Sex differences in mathematics and reading achievement are inversely related: within- and across-nation assessment of 10 years of PISA data. PLoS One. 2013;8(3):e57988. doi: 10.1371/journal.pone.0057988.

408) Stoet G, Bailey DH, Moore AM, Geary DC (2016) Countries with Higher Levels of Gender Equality Show Larger National Sex Differences in Mathematics Anxiety and Relatively Lower Parental Mathematics Valuation for Girls. PLoS ONE 11(4): e0153857. doi:10.1371/journal.pone.0153857

بسبب تمييز المجتمعات لهم، فلو كان الأمر كذلك لانخفض الفرق بين الذكور والإناث في الدول الغنية التى ألغت التمييز بين الجنسين. وبرغم أن نسبة أكبر من الأمهات فى الدول المتقدمة يعملن فى مجالات العلوم والتكنولوجيا والرياضيات والهندسة مقارنة بالدول الفقيرة إلا أن تقييم الوالدين لأولادهم تضمن بشكل عام اعترافا بتفوق الأولاد على البنات في مجال الرياضيات. والقلق من الرياضيات ظاهرة تعبر عن إحساس الفرد بمشاعر سلبية أثناء دراسة الرياضيات أو الإعداد لها. ويؤدي هذا إلى قله استمتاع المرء بالرياضيات، وانخفاض عزمه على مواصلة دراستها والتفوق فيها، وانصرافه عن المهن التي تتطلب براعة فيها.

وهكذا نرى أن **الحضارة الحديثة قامت – ولا تزال تقوم– على أكتاف الرجل لأنه يقود المسيرة في أهم مجالاتها (التكنولوجيا والهندسة والعلوم).** ونحن لا نقول هذا كي نفخر بعبقرية الرجل، فالله تعالى هو الذي خلق عقل الرجل وعقل المرأة ليختبر كل منهما فيما آتاه: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ} [الأنعام: 165]. فرجل عبقري مثل ستيفن هوكنج سيلقى فى جهنم لأنه كفر بالله، بينما امرأة أمية لا تعرف جدول الضرب ستدخل الجنة إن آمنت واتقت. إننا نقصد القول بأن **الله تعالى خلق الرجل، وجعله مهيئا للعمل والإنجاز بدرجة أفضل من المرأة. وعلى أى عاقل أن يستغل هذا التفوق الطبيعي للرجل، وينميه، ويشجعه، لكن الذي يحدث في بلادنا أن الحكومات أهملت العلم والعلماء، ففقد الذكور النابغون الحماس للعلم لأنه لا يطعم ولا يسقي.** وفي نفس الوقت تقوم هذه الحكومات بإغراق الذكور فى مستنقع الإباحية والانحلال، فيزدادون زهدا في العلم. **وفي المقابل يتم تشجيع المرأة وحثها على التفوق، والالتحاق بكليات الهندسة والعلوم،** والاشتغال بالأعمال التي لا تتميز فيها بحسب طبيعة خلقتها، فتكون **المحصلة خسارة المجتمع للجنس المتفوق في العلم، وإحلال الجنس الأقل تفوقا محله. وهذه ضربة مؤكدة لمسيرة الحضارة.** حقا ستواصل الحضارة التقدم بانخراط النساء في مجالات التكنولوجيا والهندسة والعلوم والرياضيات، ولكن كان من الممكن أن تكون الحضارة أكثر تقدما لو استمر الرجل فى قيادة مسيرتها.

وعلى ذلك فنحن نرفض أن نُتهم بأننا حرمنا المرأة من العلم. إن الأحمق هو من يتهم الآخرين دون أن يفكر في وجهة نظرهم.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

لا احتقار لعقلية المرأة

لسنا من أولئك الرجال المتعصبين، الذين يحتقرون المرأة، ويحاولون بشتى السبل إثبات أنها مخلوق غبى، يحفظ ولا يفهم، وأن السبب الوحيد لتفوقها هو أنها تنكب على الكتب ليلا ونهارا على عكس الرجل الذى لو ذاكر نصف مذاكرتها لأطاح بها من حلبة المنافسة.

نحن نرفض مثل هذا الجدل القائم على أسس غير دينية. المسلم لا يصارع المسلم كي يثبت أنه أذكي منه. المسلم يدرك جيدا أن الأتقى هو الأفضل: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات: 13]. لا يمكن لمسلم أن يفرح بالذكاء لأنه لم يصنعه بيديه، بل تلقاه كهبة من الله تعالى ليختبره به. نحن لا نشعر بالغيرة من نجاح المرأة المعاصرة لأن نبوغها كما قلنا مجرد منحة من الله. **وإن افترضنا جدلا أن الرجل والمرأة يتساويان تماما في العبقرية في كل فروع العلم**، فهذا **لا ينفي أن المرأة أصلح من الرجل لرعاية الأسرة، وأنها خلقت لتكون زوجة وأما. وأن أهمية الأسرة بالنسبة للمجتمع لا تقل عن أهمية العلم.**

إن تشجيع المرأة على أن تهمل أسرتها كي تكون عالمة أشبه بمدرب كرة أحمق، يشجع لاعبي خط الدفاع على تنفيذ الهجمات بشكل مكثف، مظهرا احتقاره لوظيفتهم الطبيعية في الزود عن مرماهم، بحجة أن الجماهير تهتف فقط لمن يحرزون الأهداف، وفي نفس الوقت يفرض على لاعبي خط الهجوم أن يتحملوا مناصفة مهمة حماية مرمامهم مع لاعبي خط الدفاع. والمجتمع العالمي المعاصر يتصرف بنفس الحماقة الغريبة، فهو يحرض المرأة على إهمال البيت كي تتعلم وتعمل، وفي نفس الوقت يدعو الرجل إلى العمل في البيت مناصفة مع زوجته. **هذا إلغاء للتخصص**، ووضع للأفراد في أماكن لا تناسب مؤهلاتهم.

وحين يتصور كل عضو في فريق أنه قادر على أداء كل الأدوار فلن يكون هذا الفريق فريقا، وسيسقط في الفوضى. والفريق الناجح هو الذي يعتقد كل فرد من أفراده أن له دورا محددا، يكمل الأدوار الأخرى، وأن نجاح الفريق ككل أهم من نجاح هذا الفرد أو ذاك.

ومشكلة المرأة المعاصرة أنها فقدت الإحساس بأنها عضو في أسرة، وأخذت تتصرف على أنها كائن مستقل، له مشاريعه المستقلة وأحلامه الخاصة، وهذا جعلها تدوس على أي شيء يقف

في طريق نجاحها حتى لو كان زوجها وأولادها. **نحن أمام جيل من النساء الأنانيين. والأسوأ أن الأنانية صارت فضيلة تُمدح بها المرأة.**

نصف عالم ونصف ربة بيت

العلم يأكل الوقت كما تأكل النار الحطب. المعارف تتضخم، والعلماء يلهثون وراء الجديد دون بارقة أمل تنبىء بأن العلم سيكتمل قريبا. العلم لا يحب الشريك. ولكى يبرع العالم فى مجاله فلا بد أن يتفرغ للعلم تفرغا شبه كامل ويغض الطرف عن كثير من أمور الحياة الأخرى.

وفى بلادنا هناك نوعان من العلماء: نوع يجتهد في تحصيل العلم قبل امتحان الماجستير والدكتوراة بأشهر قليلة، فإذا حصل على الشهادة نسى كل شيء، وتفرغ لأمور أخرى كالتجارة والمناصب وإدمان الفيسبوك. ومع الأسف هذا النوع هو الشائع حتى أن نسبة كبيرة من أساتذة الجامعات لديهم من العلم ما يقل عن طلبتهم، وكثير منهم تجمد به تيار الزمن عند عشرين سنة مضت، فلا يدري إلى أين وصل قطار العلم الآن. أما النوع الثانى من العلماء فهو قليل. إنهم أولئك الذين يصرون على ملاحقة الجديد، ولا يملون من القراءة والبحث. وبعض العلماء وسط بين هذا وذاك.

وسؤالنا هو: أى النموذجين يتطلع إليه أنصار المرأة حين ينادون بالاندماج التام للمرأة فى مجالات العلوم المختلفة؟ إنهم سيختارون قطعا نموذج العالم النشط. حسنا، ولكن هل هذا ممكن؟

الواقع أن المرأة لكى تكون عالمة متفوقة فلن يتأتى لها ذلك إلا على حساب بيتها. **والمرأة فى الغرب كثيرا ما تعيش بلا أسرة ولا زوج ولا أولاد، وهذا يتيح لها التفرغ التام للعلم والعمل.** أما عندنا فالمرأة وراءها التزامات البيت والأولاد. ومن واقع عملى فى مجال الطب وجدت أن لدينا طبيبات **لا تقل الواحدة منهن عن الذكور ذكاء ومهارة ، ولكنهن تأخرن علميا بسبب اهتمامهن بأسرهن وأولادهن.** وقد كنت أحس بالمعاناة الشديدة لهؤلاء الزميلات بسبب الحيرة القاتلة بين مطرقة العمل وسندان البيت. لكن ليس كل النساء من هذا النوع العاقل نسبيا، **فمن النساء من تحسم أمرها، وتكرس حياتها للعلم والعمل والنجاح، وتترك أولادها فى رعاية**

الخادمة، وصحبة رفاق السوء، وصفحات الفيسبوك، وطوفان المواقع الإباحية. كما تترك زوجها لزميلته فى العمل لتقدم له طعام الفطور وشاي الصباح، ثم الحب، وأشياء أخرى.

المرأة التى تريد أن تكون عالمة مخيرة بين أمرين: إما أن تنحاز لأسرتها على حساب العلم، وإما أن تنحاز للعلم على حساب أسرتها. فأيهما تختار؟

إن تخلت المرأة عن العلم حمل غيرها من الرجال الراية، وساروا بها خفاقة، أما إن تخلت المرأة عن أسرتها، فمن يقوم مقامها؟ سيصير أولادها كاليتامى، ويصبح زوجها كالأرمل.

إننا نريد التقدم العلمى لبلادنا الإسلامية، ونريد فى نفس الوقت أن نحفظ الأخلاق والدين. والتقدم العلمي لن يتأثر بغياب المرأة ، لكن الأسرة ستهتز بشدة إن أهملتها المرأة في غمرة انشغالها بالعلم. واهتزاز الأسرة يتبعه بالضروة انهيار الأخلاق، وضياع الدين، وانهيار الدولة.

وأنصار المرأة يصرون على القول بأن **المرأة تستطيع التوفيق بين الأسرة والعلم. وهذا قول خيالى،** فالعلم كما قلنا لا يرحم، **والمرأة التى تحير نفسها بين البيت والجامعة لن تكون سوى نصف ربة بيت ونصف عالمة،** نعم هذا هو عين الواقع، وكلنا نعرف ذلك، وندرك أن المجتمع لا يستفيد علميا من أغلب النساء المشتغلات بالعلم بسبب حياتهن الزوجية، **وما كان لامرأة أن تتفوق علميا إلا بعد أن أوكلت رعاية أسرتها لامرأة أخرى، فتبا له من نجاح.**

ولا يزال أنصار المرأة يحاولون ويحاولون، **فتفتقت أذهانهم عن حل نهائي للمشكلة، ألا وهو فرض تحديد النسل بالقانون،** فقد نادت بعض الجمعيات النسائية بسن قانون يحدد عددا معينا للأبناء للأسرة أسوة بسياسة الطفل الواحد التى انتهجتها الصين ، مع العلم أن الصين تخلت عن هذه السياسة. وهدف الجمعيات النسائية من وراء ذلك واضح: إنهم يريدون تخفيف الأعباء الأسرية عن المرأة حتى تتفرغ لعملها وعلمها. إنهم يخالفون فطرة الله وشريعته، ويتجاهلون المخاطرة المفزعة لتناقص أعداد السكان على مستقبل الأمة، ويريدون منا أن نكرر الخطأ القاتل الذى وقعت فيه أوروبا التى تعيش الآن فى رعب خوفا من انقراض السكان الأصليين وكثرة المهاجرين من المسلمين الذين يتناسلون بمعدل كبير.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

المرأة ورئاسة الدولة

نعم للعمل السياسي، لا لرئاسة الدولة

هناك فرق كبير بين مشاركة المرأة فى الحياة السياسية وبين تولى المرأة للمناصب السياسية. **المشاركة فى الحياة السياسية واجب على كل مسلم ومسلمة**، لأن المسلمين كالجسد الواحد، يفرحون معا، ويحزنون معا لقول رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَرَى المُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى» متفق عليه. وقال عليه الصلاة والسلام أيضا: «إِنَّ المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ. متفق عليه.

والسبب في عزوف كثير من الناس عن السياسة هو اعتقادهم بأن الاهتمام بأمورها لن يعود عليهم بالنفع، وأن العمل السياسي ترف ورفاهية ووسيلة تسلية لقوم شبعوا. وهذه النظرة خاطئة تماما، فالسياسة في الإسلام "فرض" لأنها وسيلة لإصلاح أحوال المسلمين.

اهتمام المسلم بالسياسة ينبع تلقائيا من فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، التي يشترك فيها الرجال والنساء، قال تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} [التوبة: 71] ، وقال: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [آل عمران: 104]:

المرأة المسلمة إذن عليها واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وهذا يفرض عليها الاهتمام بالسياسة، فتذهب لصناديق الانتخاب، وتقرأ الصحف، وتكتب المقالات. لكن الحقيقة أن الحركة النسائية لا يعنيها كل هذا، فلا يهمها مشاركة المرأة فى السياسة إلا باعتبارها ضرورة لتولي المناصب السياسية، خاصة المناصب العليا، التي تثبت تفوقها ومساواتها بالرجل. الحركة النسائية لا تريد للمرأة أن تكون جنديا فى جيش، بل تريد منها أن تكون قائدا للجيش، وأفكار كالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومصالح المسلمين تبدو لها هراء. وهذا يفسر لنا لماذا تتحالف الحركات النسائية مع الأنظمة القمعية، التى تدمر بلادها سياسيا واقتصاديا، ولعلكم تذكرون كيف كانت سوزان زوجة الرئيس السابق حسنى مبارك هي الراعى الرسمى للحركة

النسائية فى مصر، وكيف تغاضى أنصار المرأة فى المقابل عن فساد عائلة مبارك. وكما يقول المثل: "أطعم الفم تستحى العين"

وفى بعض البلاد الإسلامية خرجت النساء إلى الشوارع للتنديد بالقمع والاستبداد، فتعرضن للضرب والاعتقال والاغتصاب دون إدانة من منظمات حقوق المرأة، بل ظلت تلك المنظمات تدافع باستماتة عن تلك الأنظمة المتوحشة.

نحن إذن نؤيد بقوة مشاركة المرأة في الحياة السياسية، لكن عليها ألا تنسى أنها زوجة وأم وراعية بيت، ولتحذر أن تتخذ من العمل السياسى العام ذريعة لتبرير كسلها وإهمالها لبيتها. **والظروف السياسية هى التى تحدد متى يجب تقديم البيت على السياسة، ومتى يجب تقديم السياسة على البيت،** فمثلا إن أرادت الحكومة فى بلد معين سن قانون مخالف للشريعة الإسلامية، فهنا تكون الأولوية للاجتماعات والندوات والاحتجاجات، ويؤجل البيت إلى حين، لكن يجب أن يؤخذ فى الاعتبار أن أعداد الرجال المعارضين للقانون إن كانت كبيرة بما يكفى لثنى الحكومة عن عزمها فلا ضرورة لخروج النساء، أما إن كانت أعداد الرجال قليلة فالواجب على المرأة أن تخرج لسد الفراغ، فالخروج في هذه الحالة يصبح فرض عين على الجميع رجالا ونساء، وشريعة الله أهم من أى شىء آخر.

لكن ما القول فى تولى المرأة للمناصب السياسة العليا؟

هناك سؤال جوهرى لا بد من طرحه وهو: ماذا تبغى المرأة من وراء سعيها لرئاسة الدولة؟

الهدف الوحيد الذي يتفق مع الإسلام هو الإصلاح، ومحاربة الفساد، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر. أما إن كانت المرأة تحب الظهور، وتسعى إلى إثبات التفوق والمساواة بالرجل فهى تستند إلى مبادىء غير مبادىء الإسلام، وتهتدى بنور غير نوره.

فلنفترض أن المرأة تبغى فعلا إصلاح أحوال المسلمين، ففي هذه الحالة سنجد أنها **ليست مضطرة لتولى منصب الرئاسة.** الرئيس أو الوزير لا يصل للسلطة هابطا من السماء، ولكنه يأتى محمولا على أعناق تيار سياسى قوى، **فالتيار السياسى أهم من الزعيم الذى يمثله.** ففى الولايات المتحدة الأمريكية مثلا هناك تياران: المحافظون والليبراليون، والرؤساء يخرجون من

عباءة هذين التيارين، فالتيار يعلو على الزعيم، وفى أغلب بلدان العالم تصدق نفس الفكرة. وكلما ازداد التيار السياسى قوة كان أكثر قدرة على البقاء رغم موت زعمائه.

ويمكن للمرأة أن تشارك فى تأييد التيار السياسى الذى ترى أنه يمثل الحق، وتقف بجوار الزعيم الذى يرشحه هذا التيار للرئاسة. **الإنسان المخلص لا يهمه أن يجلس في قصر الرئاسة بقدر ما يهمه أن يجلس في قصر الرئاسة من يحقق أهدافه. لا ضرورة لتولى المرأة منصب رئاسة الدولة طالما أن هناك رجلا آخر سيقوم بالمهمة.** مثلا إن كانت المرأة تهدف إلى توحيد بلاد المسلمين، فيمكنها أن تنتخب مرشحا يرفع شعار الخلافة الإسلامية،[409] وتسانده بالمقالات والهتافات واللافتات.

إن تغيير العالم سياسيا لا يتم فقط بالسلطة، ولكن بالفكر أيضا، فكارل ماركس مثلا غير وجه العالم لقرن من الزمان عن طريق كتابه "رأس المال" الذى جعل نصف سكان الأرض شيوعيين. لم يكن ماركس رئيس دولة، ولكنه كان مفكرا، وساهم فى صنع التاريخ بالفكر، وليس بالمنصب (رغم احتقارنا لفكر ماركس).

والتابعون للحركة النسائية يؤيدون أي امرأة ترشح نفسها لأى منصب سياسي مهما كانت أفكارها، فالمهم عندهم أنها امرأة. المرأة عندهم تستحق التأييد لو كانت في الحزب الحاكم أو في المعارضة؛ المرأة تستحق التأييد لو كانت مع رفع الضرائب أو خفضها؛ المرأة تستحق التأييد سواء كانت مثقفة أو جاهلة؛ المرأة تستحق التأييد سواء كانت ناجحة أو فاشلة. وهذا هو الضلال بعينه.

ويقول أنصار المرأة أنهم لا يريدون أن يضيعوا الفرصة على المجتمع للاستفادة من جهود المرأة. ونحن نرفض هذا لأن الساحة لا تخلو من الزعماء السياسيين الرجال، والمجتمع لا ينقصه قادة، بل المشكلة أنه في أغلب الأحيان يتنافس عدد كبير من القادة، ولا نعرف دولة بها رجل واحد يصلح كقائد، ولإن خلت أمة كبيرة يوما من الزعماء الرجال فاعلم أن نهايتها قد اقتربت لأن هذا مؤشر على قلة الكفاءات وندرة الخبرات.

---

409) طبعا نحن لا نؤيد تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) الذي تبين للجميع أنه لا يعبر عن الإسلام، وأن من صنعته إسرائيل. ولدينا دلائل كثيرة.

1. حكم الدولة أصعب من حكم الأسرة

حكم الدولة أصعب من حكم الأسرة. وإذا كان الله عز وجل قد جعل حاكم الأسرة رجلا، فالأولى أن يكون حاكم الدولة رجلا؟ الأسرة تتكون من بضعة أفراد، أما الدولة فتتكون من الملايين، وحكم الملايين أصعب كثيرا من حكم خمسة أشخاص أو ستة. كما أن الصراعات بين السياسيين في العادة أشد ضراوة من الصراعات بين أفراد الأسرة.

2. الرجل أقدر على قيادة الجيوش

من أهم الصفات التى أهلت الرجل تاريخيا للحكم قوته وشجاعته، وقدرته على قيادة الجيوش. ومن أشهر الملوك المقاتلين رمسيس الثاني، والإسكندر الأكبر، ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام، وصلاح الدين الأيوبي، وقطز، وبيبرس، ومحمد الفاتح، ونابليون. وطبعا من الصعب جدا أن تقود المرأة الجيوش، وتخوض غمار الحروب. وأحيانا لا يتمكن الملك من الاشتراك في الحرب بنفسه، لكنه يكون في العادة ذو خبرة حربية سابقة. واليوم أكثر الرؤساء من المدنيين، لكن يبقى أفضل الرؤساء هم العسكريون السابقون إذا ما جاءوا بانتخابات نزيهة. وكثير من قادة إسرائيل من هذا النوع.

الحروب تتطلب تقديرا دقيقا للموقف السياسي والعسكري. ورئيس لا يفهم في العسكرية قد يلقي بجيشه إلى التهلكة، أو يجبره على الاستسلام في مهانة وهو قادر على المقاومة. كما أن الخبرة العسكرية السابقة تجبر قادة الجيش على احترام الرئيس، وتوحد الجبهة الداخلية ضد العدو. وإن كان الرئيس مدنيا، فسيستهين به قادة الجيش، وسيتعاملون معه على أنه طفل يقود أستاذه، وقد يتعمدون معارضته حتى إن صح رأيه لمجرد الاستكبار. ومن المعروف أن القرارات الاستراتيجية الكبرى في دولة كأمريكا يجب أن توافق عليها وزارة الدفاع. وفي هذا السياق نقرأ تصريحا لإليوت كوهين – وهو شخصية من الحزب الجمهوري الأمريكي– حول "ماتيس" وزير الدفاع والدور المحوري الذى يمكن أن يقوم به في السياسة الخارجية، وكأنه مركز قوة يناطح الرئيس الأمريكي:

«إن الوزير ماتيس سيكون بمثابة قوة استقرار واعتدال، تحول دون وقوع أشياء شديدة الغباء

والخطورة والافتقاد للشرعية، وتساعد بمرور الوقت على توجيه السياسة الخارجية والأمنية الأمريكية في اتجاه سليم وحكيم».[410]

3. الرجل يمتلك مؤهلات القيادة

قلنا من قبل أن الرجل يمتلك مؤهلات نفسية وجسدية تجعله أصلح لقيادة الأسرة[411]. ونفس القاعدة تسرى على قيادة الدولة.

الرجل أكثر عقلا وأقل عاطفة من المرأة، وهذا يجعله أقرب للعدل في حكمه.

الرجل أكثر جرأة وأقل خوفا من المرأة، وهذه الصفات ضرورية لرئاسة الدولة خاصة في أوقات الأزمات والحروب. وأذكر أنني قرأت أن الرئيس السادات في خضم معركته مع مراكز القوى كان ينام ومعه مسدسه لأنه كان يتوقع من لحظة لأخرى وقوع انقلاب من رجال عبد الناصر عليه. ورئيس آخر لإحدى الدول هددوه كي يتنازل عن السلطة أمام وسائل الإعلام لزعماء الانقلاب، فأبي بكل شمم. ولو كان مكانه امرأة لاستسلمت بعد أول صفعة، أو بمجرد تمزيق ملابسها الخارجية. **وليس الأمر مقتصرا على الدول الديكتاتورية، فهناك ثمانية من رؤساء أمريكا تعرضوا لمحاولة اغتيال، ومات أربعة منهم**. كان أولهم الرئيس أبراهام لنكولن، الذي اغتيل عام 1865م، وقتل القاتل بعد 12 يومًا من اغتياله للرئيس ليدفن السر معه. كما تعرض الرئيس جيمس جارفيلد للاغتيال عام 1881م[412]، وكذلك الرئيس ويليام مكنلي عام 1901م. وفي 1914م تعرض تيودور روزفلت لمحاولة مماثلة، حيث أُصيب بجروح خطرة. وفي 1950م حاول شخصان اغتيال الرئيس هاري ترومان، لكنه نجا بعد إصابته بجراح. وفي 1963م قُتل الرئيس جون كنيدي، عندما أطلق عليه شخص النار، وهو في سيارته. وما لبث القاتل أن قتل بعد يومين من إلقاء القبض عليه، في حادثة مشابهة لاغتيال الرئيس لينكولن، ليترك لغز الاغتيال بدون حل. وتعرض الرئيس جيرالد فورد لمحاولتي اغتيال عام 1975م. وفي عام

---

410) The role of Pentagon in the Trump administration. By David Barno and Nora Bensahel. January 17, 2017. https://warontherocks.com/2017/01/the-role-of-the-pentagon-in-the-trump-administration/; accessed September 16, 2021.

411) انظر كتابنا (من يحكم الأسرة في الإسلام: الرجل أم المرأة). صفحة 49 وما بعدها.

412) اغتاله تشارلز جيتو، وهو رجل غريب الأطوار، طالب بتعيينه سفيرًا للولايات المتحدة في فرنسا لكن طلبه رفض، فقتل الرئيس انتقامًا، وأثناء محاكمة تشارلز جيتو كان يدعي الجنون تارة، ويغني تارة أخرى، إلى أن حكم عليه بالإعدام.

1981م تعرض الرئيس ريجان لمحاولة اغتيال برصاصة اخترقت صدره، لكنه نجا.[413،414] ولا شك أن من يحاول اغتيال رئيس أمريكا – مخترقا أجهزة الحراسة الحديدية– لا يمكن أن يكون من الهواة، وهو يقينا مدفوع من حكومة العالم السرية التي تهيمن على أمريكا.

وبالله عليكم **ماذا يكون شعور رئيسة الدولة بعد نجاتها من محاولة اغتيال؟** إنها ستحيا في رعب، وسيصاب فكرها بالشلل، لأن المرأة بطبعها أقل شجاعة من الرجل، وستضطر حتما لتقديم التنازلات للقوى السياسية الخفية التي حاولت اغتيالها.

والرجل أيضا أقوى جسدا وتحملا من المرأة، وهذا شيء ضروري لرئيس الجمهورية، الذى يجب أن يعمل أغلب ساعات اليوم. أما المرأة فهى كثيرة الشكوى، وسريعة التعب، وتبالغ في التعبير عن إحساسها بالألم، وقد ينعكس هذا على قراراتها، ويجعلها أكثر عصبية وتهورا. هب أن امرأة كانت تحكم مصر أثناء حرب أكتوبر. هل كان بإمكانها أن تصل الليل بالنهار لأسابيع متوالية دون نوم لمتابعة تطورات العمليات القتالية، ومقابلة الوسطاء السياسيين؟

والرجل أقدر على الخطابة، وإلهاب المشاعر مقارنة بالمرأة. إن هدد الرئيس وتوعد أرهب أعداءه. وإن حث شعبه على الجهاد والمقاومة تأثر الناس بكلامه. وفي أوقات الأزمات تعلو خشونة الرجل على رقة المرأة. وتَذَكر خطب جمال عبد الناصر والسادات وصدام حسين وهتلر ومارتن لوثر الرنانة، التي كانت تلهب مشاعر الملايين. وفي المظاهرات التي تنقلها الشاشات نلاحظ تناقضا عميقا بين صوت المرأة وهتافاتها الحماسية، فصوتها الرقيق، وجمال وجهها لا يتماشى مع حالة الغضب والثورة التى يراد للهتاف أن يخلقها في النفوس. حقا كان القدماء يصطحبون النساء في المعارك لإثارة الحماسة، لكن هذا لم يكن يحدث إلا بأن تصرخ المرأة، وتنوح، فيهب الرجل للقتال دفاعا عن شرفه. ولا أظن أن من المناسب لرئيسة دولة أن تفعل ذلك أمام الكاميرات.

والرجل أيضا أقل إحساسا بالحزن والاكتئاب من المرأة، وهذا ضروري لمنصب الرئاسة لأن الاكتئاب يجعل المرء مفتقدا للرغبة في العمل والإنجاز.

---

413) **1981| محاولة اغتيال ريغان وإصابته بجراح خطرة.. واستدعاء جورج بوش لتولي رئاسة الولايات المتحدة بالنيابة.** جريدة القبس الكويتية: ذاكرة الأخبار. 18 أبريل 2021م. https://www.alqabas.com/

414) **أبراهام لينكولن الأول وكينيدى الأخير.. 4 رؤساء أمريكيين تعرضوا للاغتيال.** بقلم محمد عبد الرحمن. جريدة اليوم السابع. 2 يوليو 2022م.

والرجل أقوى شخصية، وأكثر عنفا، وأعلى صوتا، وأقل خجلا من المرأة. وهذه صفات لا غنى عنها لمن يحكم الدولة. ففي أغلب دول العالم توجد قوى خفية وأجهزة حديدية، تعمل من وراء الستار لمناوئة رئيس الدولة. ولكي ينجح الرئيس، فعليه أن يتمتع بشخصية أقوى من شخصية وزير الدفاع، ورئيس الأركان، ومدير الاستخبارات، ورجال الأعمال، والسفراء، والصحفيين، والإعلاميين المدعومين من الدول الكبرى. وأي ضعف في شخصية رئيس الدولة أمام واحد من هؤلاء يمكن أن يتسبب في الإطاحة بحكمه. قيادة الدولة تحتاج لشخص حديدي، وهذا ينطبق حتى على الدول التي يقال أنها ديمقراطية، والتي هي في الحقيقة خاضعة لقوى ضغط جهنمية لا تحيا إلا في الظلام. مثلا يبدو للكثيرين أن رئيس أمريكا هو من يحكم أمريكا، لكن الحقيقة أن هناك قوى جبارة، تمارس النفوذ من وراء الستار، أهمها اليهودية العالمية وذراعها الماسونية، بمختلف أطيافها السرية. وهذه الحقائق يعرفها المشتغلون بالسياسة جيدا.

إن الديمقراطية الحقيقية أمر معدوم أو قليل الوجود في العالم، وهذا يفرض على رئيس الجمهورية أن يكون شديد القوة، وإلا أكلته الذئاب. وهذا يجعل الرجل بلا ريب أفضل من المرأة لتولى هذا المنصب. ومن الصعوبة بمكان أن تنجح امرأة فى قيادة دولة، تعصف بها حرب أهلية أو فتنة طائفية أو صراعات طاحنة بين مراكز القوى.

إن المرأة لكى تنجح في الرئاسة، فيجب أن تتصف بالشدة والقوة والخشونة مثل الرجال، وإلا ضاعت. على سبيل المثال حكمت الإمبراطورة بوراندوخت فارس عام 629م، فانتهجب أسلوب اللين، إذ حاولت تحقيق الاستقرار للدولة من خلال عقد معاهدة مع بيزنطة، كما سعت لإقامة العدل، وتجديد البنية التحتية، وخفض الضرائب، وسك العملات، ولكنها أخفقت في مساعيها. يقول الطبرى عن بوراندخت: «ثم ملكت بوران بنت كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى انوشروان، فذكر أنها قالت يوم ملكت: البر أنوي وبالعدل آمر... وأحسنت السيرة في رعيتها، وبسطت العدل فيهم، وأمرت بضرب الورق ورم القناطر والجسور، ووضعت بقايا بقيت من الخراج على الناس عنهم، وكتبت إلى الناس عامة كتبا أعلمتهم ما هي عليه من الإحسان إليهم، وذكرت حال من هلك من أهل بيت المملكة، وأنها ترجو أن يريهم الله من الرفاهة والاستقامة بمكانها ما يعرفون به

أنه ليس ببطش الرجال تدوخ البلاد، ولا ببأسهم تستباح العساكر، ولا بمكايدهم ينال الظفر وتطفأ النوائر، ولكن كل ذلك يكون بالله عز وجل، وأمرتهم بالطاعة وحضتهم على المناصحة»[415].

ولما رأت بوراندخت أنها لا تستطيع الحيلولة دون تدهور إيران تركت الحكم بعد سنة وخمسة أشهر[416].

4. رئيس ومرءوس!

لا يمكن للمرأة أن تكون رئيسا للدولة لأنها في هذه الحالة ستكون رئيسا لزوجها، وهذا مخالف لشريعة الله التي منحت القوامة للرجل، وجعلته رئيسا للمرأة. المرأة في هذه الحالة ستكون رئيسا ومرءوسا في نفس الوقت، وهذا تناقض، فمن يتنازل لمن؟ الرجل يتنازل للشعب عن زوجته، أم يتنازل الشعب للرجل عن رئيسته؟ وهل سيكون من حق الرجل مثلا أن يمنع زوجته من الذهاب لاجتماع مع مجلس الوزراء حتى ترحب بضيوف جاءوا لزيارته في بيته؟ هل سيجرؤ الزوج على أن يعاتب رئيسة الجمهورية، أو يقول لها: افعلي هذا، ولا تفعلي ذلك؟ وهل ستسمح له زوجته الرئيسة أن يطلقها، فتكون فضيحة أمام الرأي العام؟

5. الرئاسة تحول المرأة إلى ذكر

نحن لا ننكر أن **المرأة يمكن أن تنجح في منصب الرئاسة، لكن مثل هذه المرأة ستفقد طبيعتها كأنثى، وستتحول إلى ذَكَر (أو ستكون من الأصل كالذكر)، وهذا شيء قبيح جدا**. المرأة مخلوق رقيق حنون لطيف. والمرأة القوية الخشنة تثير الاشمئزاز، وتبعث أحيانا على السخرية والضحك.

وتخيل رجلا يقضي يومه كله في مداعبة الأطفال، والعناية بملابسهم، وإعداد الطعام لهم (رغم أنه زوجته موجودة). وتخيل رجلا آخر يقف بالساعات أمام المرأة حرصا على وسامته وأناقته. مثل هذا الرجل مثير للاشمئزاز لأنه يشبه المرأة.

الرجل السوي يشترك مع المرأة في بعض الاهتمامات (كرعاية الأطفال والاهتمام بالجمال)، لكن ليس من المقبول أبدا أن تسيطر عليه اهتمامات النساء، وتطغى على شخصيته سماتهن.

---

415) تاريخ الطبري (2/ 231)

416) تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساسانى. صفحة 378. تأليف حسن بيرنيا. ترجمة محمد نور الدين عبد المنعم و السباعى محمد السباعى. المركز القومى للترجمة. القاهرة. الطبعة الأولى 2013م.

وبالمثل لا ننكر أن الجدية والخشونة تكون مطلوبة من المرأة أحيانا، كأن تتعرض للتحرش، أو تواجه بحزم تصرفات أطفالها، أو تغضب لانتهاك حرمات الله، **لكن رئيسة الدولة ستكون الخشونة طابعها العام، وستتصرف كالرجال أغلب ساعات اليوم.**

لقد كان الإعلام العالمي يلقب مارجريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا **بالمرأة الحديدية، وهو لقب في الحقيقة لا يشرف أي أنثى.** وإذا عدنا لبلاد الفرس القديمة لوجدنا أن ابنة كسرى أبرويز الثانية التي حكمت البلاد كان اسمها آزرميدخت، التي قالت حين ملكت: «منهاجنا منهاج أبينا كسرى المنصور، فإن خالفنا أحد هرقنا دمه». ويقال أن أحد عظماء فارس يومئذ أرسل إليها يسألها أن تزوجه نفسها، فدبرت له خدعة، وقتلته، فانتقم ابنه رستم بقتل الملكة[417]. لقد كانت الملكة آزرميدخت من أجمل نساء الفرس، لكنها أرادت أن تظهر بمظهر القسوة والعنف مثل الرجال كي تعيد مجد أبيها كسرى، فأي شيء يبقى للمرأة إن فقدت أنوثتها؟

وهناك ملكة أخرى اضطرت لتقليد الرجال كي تنجح. إنها الملكة المسلمة "رضية" ابنة ألتمش[418] التي حكمت دولة المماليك في الهند لمدة أربع سنوات تقريبا (من 634–638 هجرية). **وقد بذلت رضية جهدا كبيرا كى تظهر بمظهر الرجال، فارتدت أزياءهم، وخرجت أمام الناس سافرة، تكشف وجهها، وتقود جيشها على ظهر فيلها.**[419،420] وهنا يندهش المرء: لقد بذلت هذه الملكة قصارى جهدها لتبدو كالرجال، وكان عليها أن تسأل نفسها: « لماذا لم يخلقني الله ذكرا من الأصل؟ هل الأنوثة بلا فائدة للبشرية كي أتنصل منها بهذا الشكل؟»

والملكة سوبيكنفرو التى تولت الحكم في نهاية الأسرة الفرعونية الثانية عشرة شعرت بغرابة وضعها كفرعون، فكانت ترتدي ملابس الملوك الذكور فوق ملابسها النسائية.

أما **الملكة الفرعونية حتشبسوت** فقد أمرت أن تُرسم صورتها على هيئة رجل، يقول ويل ديورانت: «وأرادت الملكة العظيمة بعد إذ أن تُرضي أهواء شعبها ولعلها أرادت أيضا أن تشبع رغبة كامنة في صدرها، فعملت على أن ترسم على الآثار في **صورة محارب ملتح من غير**

---

417) تاريخ الطبري (2/ 232)

418) يسمى ألتمش أو التتمش أو إيتامش

419) "فى التاريخ الأيوبى والمملوكى". صفحة 15-16. تأليف الدكتور أحمد مختار العبادى. كلية الآداب جامعة الإسكندرية. الناشر مؤسسة شباب الجامعة. 1992م.

420) تاريخ الإسلام في الهند. صفحة -149-150

ثديين؛ ومع أن النقوش الباقية من عهدها تتحدث عنها بضمير المؤنث، فإنها تسميها "ابن الشمس" و "سيد القطرين". وكانت حين تظهر أمام شعبها تلبس ملابس الرجال، وتلتحي لحية مستعارة»[421].

واليوم لا تستطيع رئيسة الدولة في أي بلد في العالم أن تظهر أمام وسائل الإعلام إلا وهي ترتدي زيا يشبه زي الرجل، وكأن أزياء النساء عارا يجب التبرؤ منه!

تذكروا ما روي عن ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُتَشَبِّهَاتِ بِالرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ وَالمُتَشَبِّهِينَ بِالنِّسَاءِ مِنَ الرِّجَالِ. رواه الترمذى، وقال حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

6. الرئيسة المتوحشة

يقال أن المرأة تتميز على الرجل بالرقة والحنان والحب، ولكن لما أصبحت المرأة رئيسة دولة غيرت جلدها، ونسيت شخصيتها، وتصرفت بقسوة كالرجال، فلم تجلب للعالم خيرا، بل صارت مشتركة مع الرجال في العنف والشر والتآمر. وانظروا إلى تجارب النساء فى الحكم، ولن تجدوا أى اختلاف بين الرجل والمرأة، ولن تقابلوا إلا صورة نمطية للحاكم ذي القلب الميت، دون أثر للرحمة والشفقة. ولعلكم تذكرون أن من أكثر السياسيين الأمريكيين الذين كرهناهم **مادلين أولبرايت** وزيرة الخارجية اليهودية **وكوندوليزا رايس** صاحبة شعار "الفوضى الخلاقة". وليس ببعيد ما فعلته **رئيسة وزراء بورما** "أونغ سان سو تشي" التي تعاونت مع الجيش في اضطهاد أقلية الروهينجا المسلمة في ميانمار. وفي الصين القديمة حكمت الإمبراطورة "لو" الصين حكما صارما من عام 195 إلى عام 180 ق. م، فكانت **قاسية، لا تلين، وقتلت منافسيها وأعداءها أو قضت عليهم بالسم، وكانت تغتبط بتقتيلهم وتسميمهم**، وكانت **تختار الملوك وتخلعهم عن عرشهم وتصلم آذان محظيات زوجها وتفقأ عيونهن ثم تلقيهن في المراحيض**[422]. وفي مصر ارتقت **كليوبطرة** عرش مصر، وخربت كما يحكم الملوك ويخربون كما يقول ويل ديورانت[423]. ويقول يوسيفوس عن كليوباترا: «نظرا لأنها كانت عرضة للجشع بطبيعتها، فإنها لم تترك عملا غير قانوني إلا فعلته؛ فقد ارتكبت أعمال قتل عندما **قتلت أخاها بالسم** ولم يتعد 15 عاما من

421) قصة الحضارة (2/ 77).
422) قصة الحضارة (4/ 271).
423) قصة الحضارة (2/ 96)

عمره لعلمها بأنه سيصير ملكا. كذلك **جعلت أنطونيو يقتل أختها أرسينوي في أثناء تعبدها** في معبد أرتميس في إفسوس»[424]

لقد جلست المرأة على العرش، لكننا لم نجد لها بصمة خاصة بها. لقد دفعت المرأة ثمنا غاليا للمنصب هو التنازل عن شخصيتها. لقد انتحرت المرأة كى تثبت نجاح المرأة!

أذكر مقالا بالإنجليزية، قرأته منذ عدة سنوات، واحتفظت به، لكنى لا أذكر كاتبه. لقد احتفظت بالمقال ليس لأنه أعجبني، ولكن لأنه استفزني، فقد كان يطالب بإزاحة الرجال من حكم العالم، وترك الدفة للنساء لأنهن أكثر رحمة. اقرأوا معي المقال:

«إن الرجال يرتكبون الفظائع في حكمهم للعالم، لذا حان الوقت لنسمح للنساء بالحكم بدلا من الرجال كي نرى ما إذا كن سيثبتن كفاءة أكبر. لقد حكم الرجال العالم عبر كل التاريخ المسجل، الذي كان عبارة عن قصة من الحروب المتواصلة والإبادة الجماعية والظلم والاضطهاد والفقر. وقد أثبت التاريخ مرة بعد مرة ارتكاب الرجال لهذه الفظائع. إن غريزة الرجل مثل غريزة ذكور الحيوان، التي تقاتل بعضها من أجل الهيمنة والفوز بالأنثى. والذكور من البشر يفعلون نفس الشيء، ولكنهم يستخدمون أسلحة أشد فتكا مثل الحراب والسيوف والبنادق والبنادق الآلية والطائرات والقنابل والصواريخ. وقد أوشك الرجال فى القرن العشرين على ارتكاب انتحار كونى بالسلاح النووى أثناء الحرب الباردة بين أمريكا والاتحاد السوفيتي. وقد أخفق الرجال أيضا في خلق مجتمع عادل بسبب غريزة التنافس الذكورية التي تشبه مثيلتها في الحيوان، وفى كل مجتمع يحكمه الرجال تجد فجوة كبيرة بين الأغنياء والفقراء. وإذا كان الأمر كذلك فهل يمكن أن تتفوق النساء؟ كما نرى في كل إناث الحيوانات فإن نساء البشر لديهن غريزة أمومة قوية. ولولا هذه الغريزة القوية التي تدفع للتربية والرعاية لانقرضت معظم الحيوانات والطيور. وستجد بالمثل أن أغلب نساء البشر يكرسن حياتهن لرعاية الأطفال والمرضى والعاجزين وكبار السن والحيوانات. ولو كان لدينا حكومات أمومية حقيقية لأبدت الرعاية والتربية للشعوب التي تحكمها».

---

424) كليوباترا ملكة مصر. صفحة 51. تأليف سالي-آن أشتون. ترجمة زينب عاطف. مراجعة نيفين عبد الرءوف. الناشر مؤسسة هنداوي سي آي سي. المملكة المتحدة. 2008م.

هذا المقال وأمثاله قد ينطلى على السذج، لكنه ملىء بالأكاذيب. وأظهر أخطائه أن الشخصيات النسائية التي وصلت للمناصب العليا سارت على نفس نهج القتل والتدمير والظلم أسوة بالرجل كما أوضحنا منذ قليل.

إن هذا المقال يفترض أن المرأة ملاك، والرجل شيطان، وهذا عبث. حقا الرجل يرتكب جرائم أكثر من المرأة كالقتل والسرقة والاغتصاب، لكن **النساء يرتكبن نفس الجرائم من وراء الستار دون أن يشعر بهن أحد. المرأة قليلا ما تقتل، لكنها تحرض على القتل.** ومن المعروف أن الجيوش كانت تصطحب النساء في الحروب بهدف إثارة حمية الرجال، وحثهم على الاستبسال. وفي القرى كانت صرخة واحدة من المرأة تجعل عشرات الرجال يشهرون السلاح في وجوه بعضهم البعض. **والمرأة قليلا ما تسرق، لكنها تحرض على السرقة**، فهى تلح على زوجها كى يشترى لها الهدايا، وتعايره لأن مستواها الاجتماعي أقل من صديقاتها، فلا يجد أمامه من سبيل إلا أن يسرق أو يرتشى، وبعد ذلك تشاركه في التمتع بما سرق. **والمرأة نادرا ما ترتكب جريمة الاغتصاب الجنسى، لكنها تتبرج وتتزين**، وهى تعلم جيدا أن آلاف الرجال الجائعين سيصابون بالهوس حين يرونها، وسيترتب على إثارتهم اغتصابها أو اغتصاب نساء غيرها. **والمرأة قليلا ما تهجر أولادها، لكنها لا تتورع عن إغواء رجل، فتدفعه لهجر زوجته وأولاده.**

ولما هاجم القرآن أبا لهب ذكر امرأته معه، ووصفها بحمالة الحطب. ومن المعروف أن الحطب يستخدم لإشعال النار. والنار التى تشعلها امرأة أبي لهب قد تكون في الدنيا وقد تكون في الآخرة. فإن حرضت زوجها على تعذيب المسلمين، فهي تشبه من يشعل نارا في الدنيا، تحرق الأبرياء. وإن كان المقصود نار الآخرة فزوجة أبي لهب ستكون سببا في حرقه في جهنم لأنها كانت تحرضه على اضطهاد المسلمين. ومع الأسف نال أبو لهب كل اللعنات، ولولا القرآن ما انتبه أحد إلى مسئولية امرأته.

وقد لاحظت شيئا غريبا، ألا وهو أن إبليس لا يقتل، ولا يسرق، ولا يغتصب، ولا يقبل الرشوة، ولا يدك المدنيين بالقنابل النووية، ولا يعذب الأبرياء في المعتقلات، ولا يشن حملات التطهير العرقي، ولا يسرق أموال الدولة. **إبليس عادة لا يفعل أيا من هذه الجرائم، لكنه مع ذلك أول الداخلين إلى النار لأنه يحرض البشر على ارتكابها.** وبالمثل لا تنفذ المرأة أغلب الجرائم بيديها،

بل تحرض الرجل عليها. وطبعا لا أقصد أن المرأة شيطان، ولكن أعني أنها تمارس دور الشر من وراء الستار مثل الشيطان، مع اختلاف في مستوى الشر بين الاثنين.

إن الرجل يمتلك القوة، ومن الطبيعى أن يستخدم القوة الجسدية في تحقيق أهدافه غير المشروعة، لكن المرأة ضعيفة، وهذا يجعل جرائمها من النوع الخفى الصامت. المرأة يمكن أن **تقتل بحقدها وغيرتها وحسدها**، وكم من امرأة تمنت من أعماقها أن تموت ابنة جارتها لأنها تزوجت قبل ابنتها. وكم من امرأة فرحت لما سمعت بنبأ وفاة زوج صديقتها حتى تصبح صديقتها أرملة مثلها. المرأة تقتل بالغيبة والنميمة والوشاية. **وإشاعة تنطلق من فم امرأة يمكن أن تتسب في طلاق امرأة، وانتحار أخرى.** المرأة تذهب للسحرة لتجعل بنات قريبتها لا يتزوجن مدى الحياة. **ولا أحد يفرق بين الإخوة إلا زوجاتهم،** فالزوجة توغر صدر الأخ على أخيه، والابن على أمه، وتعتبر حماتها عدوها اللدود، وحماها سبب تعاستها. والأم هي الأخرى تحاول تفريق ابنها عن زوجته. ومقولة "الأقارب عقارب" ما كان لها أن توجد لولا أن المرأة تمارس هواية قطع الأرحام. وقد لا تمتلك المرأة القوة لضرب زوجها، لكنها يمكن أن تؤلمه بما هو أقوى من العضلات: قوة"النكد".

وفي مصر القديمة لعبت المرأة دورا مهما في القصور، فكانت **تحيك الدسائس، وتشترك في تدبير المؤامرات** التي كانت تدور في (حريم الملك) حول وراثة العرش، بل لقتل الملوك أنفسهم. وأمثلة ذلك كثيرة، فالملك أمنمحات الأول قتل على أيدي حريم قصره اللاتي اشتركن في تدبير مؤامرة قتله رغم أنه كان رجلا فاضلا يساعد المحتاجين. كما قُتل رمسيس الثالث على أيدي إحدى زوجاته، بمعاونة أبنائها وبعض نساء القصر ورجاله وحراسه وشيعته الأقربين[425]. وشجرة الدر اغتالت زوجها أيبك لأنه فكر في الزواج بامرأة غيرها.

ويقول الدكتور مصطفى محمود: «إذا كان الرجل قد انفرد بالحكم في مرحلة من التاريخ فقد كانت المرأة تحكم من خلفه. وقد كان ماوتسي تونج جبارا وكذلك كان تيتو، فلما مات الاثنان ظهر أن أرملة الأول كانت أكبر مركز قوة في الصين، وكانت رئيسة عصابة الأربعة، وكانت وراء حوادث الاعتقال والسجن والإعدام للألوف. أما أرملة الثاني فقد ظهر أنها كانت تدبر لعمل

---

425) موسوعة الحضارة المصرية القديمة. صفحة 725.

انقلاب.»[426] وحديثا رأينا كيف كانت سوزان زوجة الرئيس السابق مبارك تحكم مصر داخليا من وراء الستار، وكيف تآمرت لتوريث الحكم لابنها، مستغلة كبر سن زوجها.

وفضلا عن ذلك فالمرأة كثيرا ما ترتكب جرائم في غاية البشاعة. ومن الأخبار المتكررة قتل امرأة لزوجها بالاتفاق مع عشيقها. واشتهرت منذ سنوات المرأة التي قتلت زوجها، ومزقت جثته، ووزعتها على أكياس بلاستيك. ومن حين لآخر نقرأ عن **امرأة قطعت العضو الذكري لزوجها**[427،428]. وقرأت في صحيفة ديلى ميل (11 سبتمبر 2014) أن **امرأة مكسيكية خلعت عيني طفلها** أثناء ممارسة طقوس عبادة الشيطان.

وإذا عدنا إلى المقال السابق لوجدنا أنه قد اضطر للاعتراف بأن النساء ارتكبن نفس حماقات السياسيين الرجال، ولكنه قدم تبريرا مضحكا وحلا سخيفا. اقرأوا معى:

«حقا أغلب الساسة من النساء – مثل مارجريت تاتشر– في هذه الأيام يظهرن قليلا من الشفقة تجاه الآخرين، لكن هذا سببه أن أغلب النساء عندما يلتحقن بأحزاب سياسية يجدن أن عليهن أن يتصرفن مثل الرجال من أجل نيل الاحترام والترقي. ولذا ففي ظل هذا النظام سنجد أن أشد النساء عنفا وقسوة هن فقط من يتمكن من الحصول على المناصب والسلطة. ولهذا السبب فنحن في حاجة إلى أحزاب سياسية أمومية ينضم فيها النساء وحدهن، وبالتالي تصبح المرأة هي نفسها، وتتصرف كراعية ومربية للدولة التي تحكمها».

والمقال كما ترون يتهم الرجل بأنه السبب في الفساد السياسى للمرأة، وأن المرأة لو كان لها حزب مستقل يضم النساء فقط لكان حزبا ملائكيا. **وهذا كلام مضحك لأن صراعات النساء مع النساء أشد فتكا من صراعات النساء مع الرجال، فحقد المرأة على المرأة أقوى.** ومثل هذا الحزب النسائي الملائكي سيشتعل نارا لمجرد أن إحدى زعيماته تغار من جمال زعيمة أخرى في نفس الحزب. ولا شك أن كلا منا قد شهد في عمله فصول صراع دموي بين امرأتين بلا سبب وجيه سوى أن إحداهما أكثر أناقة من الأخرى.

---

426) قراءة للمستقبل. صفحة 49-50.
427) مصرية تقطع العضو الذكري لزوجها وتقتله: "كان صاحب قوة جنسية مفرطة وزهقت من تعبه ليا. العين الإخبارية. 2021/5/29م.
428) خيط الجريمة.. قصة سيدة قطعت عضو زوجها الذكرى فى الإسكندرية بسبب "الواتس". بقلم سليم على. صحيفة اليوم السابع. 9 مايو 2020م

7. نجاح سياسي وفشل اجتماعي

نحن نرفض بشكل عام عمل المرأة، ونرى أنه غير جائز في الإسلام إلا في حالة الضرورة. وهذا سبب آخر يجعلنا نرفض تولي المرأة لمنصب الرئاسة. وقد سبق أن تكلمنا بالتفصيل عن أسباب معارضتنا لعمل المرأة[429]، ومن أهمها أنه يجعل المرأة تهمل بيتها وزوجها وأولادها، فما بالك إن تولت المرأة رئاسة الدولة، وهي وظيفة تلتهم الوقت بشكل كامل؟ إن مثل هذه المرأة لن تجد وقتا لتلتفت جانبا، وستئن أسرتها من إهمالها لها. ولا ضرورة لتضحية المرأة بأسرتها لأن رئاسة الدولة ليست فرض عين على كل مسلم، وكثير من الرجال يمكنهم القيام بنفس المهمة.

وإذا كان بعض النساء قد نجحن فى السنوات الأخيرة فى إدارة الدولة اقتصاديا وسياسيا، فبمزيد من التعمق سنجد أن المرأة ما كان لها أن تصل إلى منصب الرئاسة إلا بعد أن استمرأ المجتمع مبدأ عمل المرأة، وتقبل تخليها عن وظيفتها الطبيعية، وسعيها لتقليد الرجل، وإهمالها لدورها الطبيعي في البيت. **فترتب على ذلك تدمير المجتمع، وانتشار المشاكل النفسية، والصراعات الزوجية، وضياع الأخلاق، وقلة النسل، والاكتئاب، والقلق، وتقطع الأواصر بين الأفراد، وبرودة العلاقات الإنسانية.**

إن من المهم جدا أن نوسع نظرتنا للأمور. وبفرض أن المرأة نجحت كزعيمة سياسية، فالنظرة الأعمق تثبت أن هذا نجاح محدود، وأن الإخفاق فى الدنيا والآخرة هو الأرجح، وهذا يذكرنا بالخمر التي اعترف القرآن أن لها بعض الفوائد مثل كونها سببا لنسيان الهموم وتحقيق الأرباح المالية، لكنه أكد فى نفس الوقت أن أضرارها أكبر من منافعها لأنها تدمر صحة الإنسان وتنشر الفواحش والبغضاء، ولهذا كان الأمر الإلهى بتحريمها: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا } [البقرة: 219]

إن نجاح مارجريت تاتشر وأنجيلا ميركل وغيرهما من النساء هو نجاح شكلي محدود، يخفى وراءه كوارث اجتماعية ونفسية ودينية خطيرة. ومن يضحك من كلامنا، فهو يشبه من يضحك على مقولة: "**لن يبارك الله في المال الحرام**"، لكنه إن تأمل قليلا فسيجد أن من يسرق سيشترى سيارة وقصرا، لكنه سيبتلى بمصائب فى أولاده وصحته وحالته النفسية.

---

429) انظر كتابنا **"من يحكم الأسرة في الإسلام: الرجل أم المرأة"**. صفحة 216-296.

وإذا نظرت إلى أنجيلا ميركل على سبيل المثال لوجدت أنها ربما تكون قد نجحت فى إدارة الدولة سياسيا، لكن **مبدأ عمل المرأة الذى أوصلها للحكم هو نفسه الذى ثبط المرأة الألمانية عن الحمل والإنجاب، وجعل ألمانيا مضطرة لاستقبال مئات الآلاف من المهاجرين الأجانب** كل عام لأن نسبة كبيرة من الألمان هم من كبار السن الذين لا يقدرون على العمل والإنتاج. وهكذا **فأنجيلا ميركل أخفقت فى حل أخطر مشكلة تواجه ألمانيا، ألا وهى المشكلة السكانية. ولو أحسنت ميركل لبدأت بنفسها، واستقالت من منصبها كى توصل رسالة إلى المرأة الألمانية، مفادها أن المرأة مكانها البيت، وأن هجر المرأة لبيتها أوقع ألمانيا في مشكلة ديمغرافية (سكانها) تهدد بمحوها من الوجود.**

وأتقدم خطوة فأقول لكم أننى **أتوقع أن تزداد قوة المرأة فى السنوات القادمة بشكل لم يحدث من قبل عبر التاريخ، وليس ببعيد أن تحكم المرأة العالم،** ويصبح كل الرؤساء من النساء، ويصرخ الرجل شاكيا من الظلم الواقع عليه من المرأة. فى هذه الحالة سينجح النساء فى السياسة، لكن المجتمع فى مجمله سيصاب بالمرض والتسوس لأنه انقلب على فطرة الله، وستبتلى البشرية بكوارث اجتماعية وأمراض نفسية وعلل أخلاقية لم تحدث على مر العصور. إن نجاح المرأة كرئيس للدولة **أشبه بوزير زراعة نجح فى زيادة إنتاج الحاصلات الزراعية، لكن بعد سنوات قليلة ازداد معدل الإصابة بالسرطان من جراء استخدام مبيدات حشرية خطرة لزيادة إنتاج المحاصيل.** أيسمى هذا نجاحا؟ باختصار: **لكي تنجح المرأة كرئيس للدولة فلا بد من هدم منظومة الإسلام الأسرية والاجتماعية بشكل شبه كامل.** والإسلام لا يناقض نفسه.

8. جمال رئيسة الدولة

هناك احتمال كبير لأن يؤثر جمال المرشحة لوظيفة الرئاسة على إرادة الناخبين، فتُختار بسبب جمالها، ويُترك رجل أصلح منها. وبعد أن تتولى المرأة منصب الرئيس قد تؤدى جاذبيتها إلى إقناع الشعب بسياساتها الخاطئة. حقا المرشح الذكر الوسيم قد يؤثر هو الآخر على رأى الناخبات، ولكن كلنا نعرف أن افتتان الرجل بالمرأة أكبر كثيرا من افتتان المرأة بالرجل، وجمال المرأة يؤثر على الرجل أكثر من تأثير وسامة الرجل على المرأة.

9. الاختلاط والخلوة والإشاعات

رئيسة الدولة ستقضي أغلب يومها مع الرجال، لأن أكثر المشتغلين بالسياسة من الرجال. ومنصب الرئاسة يحتم على المرأة الجلوس في اجتماعات مغلقة وجلسات سرية مع الرجال، خاصة حين يتعلق الأمر بأسرار الدولة العليا. وهذا أمر لا يقبله مسلم يغار على زوجته أو ابنته، حتى لو كانت الخلوة في هذه الحالات مأمونة.

وحتى لو لم ترتكب الرئيسة المسلمة الزنا **فستكون هدفا للقيل والقال لأنها ستضع ثقتها في بعض المسئولين أكثر من غيرهم** لحنكتهم السياسية، أو لخبرتهم ببعض الملفات، أو لوطنيتهم. على سبيل المثال كان الرئيس مبارك يثق في أسامة الباز وعمر سليمان رئيس المخابرات، وكان السادات يثق بالصحفي موسى صبرى، وكان عبد الناصر يثق في الصحفي محمد حسنين هيكل. وسيفسر البعض العلاقة القوية بين رئيسة الدولة وبعض مستشاريها تفسيرا عاطفيا حتى لو لم يكن بينهما أي شيء، وذلك لأن الناس بطبعهم يحبون مثل هذه المواضيع. وسيتسرب الكلام من داخل قصر الرئاسة إلى الشوارع بأن رئيسة الدولة ترتاح للكلام مع الصحفي فلان، أو معجبة بأناقة مستشارها فلان. ولا أحد يرضى بهذا لامرأة مسلمة، وقطعا لن يرضاه أهلها لها.

الخلوة بين الرجل والمرأة حرام: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ، وَلاَ تُسَافِرَنَّ امْرَأَةٌ إِلَّا وَمَعَهَا مَحْرَمٌ» متفق عليه. وعن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أَلَا لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ». رواه الحاكم، وقال صحيح على شرط البخاري ومسلم، ووافقه الذهبي[430،431].

وقد يقول البعض أن من الصعب جدا أن يقع الزنا بين رئيسة دولة وأحد الرؤساء أو السياسيين فى لقاء منفرد. ولكن نحن لا نستبعد ذلك. ألا تذكرون مثلا كيف تم تسريب فيديو لواقعة أشبه بالزنا داخل مصعد بين رجل وقور وامرأة وقورة من كبار المسئولين في إيران؟ من كان يظن أن

---

430) نص الحديث كاملا: عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: خَطَبَنَا عُمَرُ بِالْجَابِيَةِ، فَقَالَ: إِنِّي قُمْتُ فِيكُمْ كَمَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِينَا، فَقَالَ: «أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ حَتَّى يَحْلِفَ الرَّجُلُ وَلَا يُسْتَحْلَفُ، وَيَشْهَدَ وَلَا يُسْتَشْهَدُ، فَمَنْ أَرَادَ مِنْكُمْ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، أَلَا لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ - قَالَهَا ثَلَاثًا - وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، أَلَا وَمَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ» [**المستدرك على الصحيحين للحاكم** (1/ 197)]

431) وأخرجه أحمد بإسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير علي بن إسحاق - وهو المروزي - فقد روى له الترمذي، وهو ثقة. والحديث أيضا في " مسند عبد الله بن المبارك " (241) . ومن طريق عبد الله بن المبارك أخرجه الطحاوي 4 / 150، وابن حبان (7254) ، والحاكم 1 / 113، والبيهقي 7 / 91. وأخرجه أبو عبيد في " الخطب والمواعظ " (133) ، والترمذي (2165) ، وابن أبي عاصم في " السنة " (88) و (897) ، والبزار (166) ، والنسائي في " الكبرى " (9225) من طريق النضر بن إسماعيل، عن محمد بن سوقة. قال الترمذي: حسن صحيح غريب من هذا الوجه. انظر تعليق المحققين على: **مسند أحمد** (1/ 269)

هذا يمكن أن يحدث؟ وقرأت أيضا أن مساعدي أحد رؤساء أمريكا كانوا أحيانا يتركون المصعد مغلقا حتى يكمل الرئيس مواقعته لامرأة ركبت معه في المصعد. إن الرجال الأجانب لا يجدون حرجا في أن يقولوا للمرأة كلمة غزل على سبيل المجاملة. وقد تفرح رئيسة مسلمة بمثل هذه الكلمات، فتجعلها أشد حرصا على جمالها أمام وسائل الإعلام، وهذا شيء لا يرضي الله. وقد تؤثر كلمات أحد الرؤساء الأجانب على الرئيسة المسلمة فتجعلها تتساهل في حقوق بلدها إرضاء له.

ومن المعروف أن **كثيرا من كبار المسئولين الأمريكيين على سبيل المثال لهم فضائح جنسية،** أشهرهم الرئيس الأمريكي بيل كلينتون الذي افتضحت علاقته باليهودية مونيكا لوينسكي. والرئيس الأمريكي كيندي كان هو الآخر على علاقة بممثلة الإغراء الشهيرة مارلين مونرو، والممثلة انجي ديكنسون، والصحفية الدنماركية الشقراء إيفا ارفاد، وراقصة التعري بلازي ستار، وعارضة الأزياء جوديث إكسز كامبيل، وسكرتيرة البيت الأبيض بربسيلا فاير، وأيضاً سكرتيرة البيت الأبيض جيل كوان. وقالت ستورمي دانيالز إنها مارست الجنس مع الرئيس الأمريكي ترامب، خلال دورة لألعاب الجولف، على بحيرة تاهو في كاليفورنيا عام 2006. وتعرض الرئيس جورج دبليو بوش للشبهات. ومما لا يخفي علي الجميع ولع جورج بوش بالخمر. وقد سبق أن حدثت محاولتان لفتح محضر بواسطة شرطة ولاية تكساس ضد جورج بوش، الأول كان عندما تقدمت مارجي شويدينجر باتهام بوش أمام الشرطة باغتصابه لها، وقبل أن تكتمل اجراءات التحقيق وجدت مارجي مقتولة وتم قفل محضر مقتلها على أنه بسبب الانتحار، والمرة الثانية عندما قامت تامي فيليب راقصة التعري بالحديث عن علاقتها مع بوش، وبعد ذلك مباشرة اختفت الراقصة تامي في ظروف غامضة ولم يعرف أثرها حتى الآن. وأندرو كومو حاكم نيويورك اتهم بالتحرش بمائتى امرأة، وثبتت عليه التهمة. وثالث رئيس للولايات المتحدة الامريكية ، توماس جيفرسون، انكشفت علاقته مع أخت زوجته، التي أنجب منها ستة أطفال. كذلك حدثت مشاكل كثيرة بين الرئيس جيفرسون وأصدقائه، بسبب تحرشه بزوجاتهم، ومن أبرزهم جون ووكر، صديق العمر للرئيس جيفرسون. وكان هذا الرئيس يشتهي الكثير من أنواع النساء بدءاً من الخادمات

وحتى سيدات القصور الباريسية، ناهيك عن الممثلات، وموظفات البيت الأبيض والخارجية الأمريكية[432].

وأي رئيسة مسلمة ستجد نفسها مضطرة للجلوس والكلام والتعامل مع أمثال هؤلاء الرؤساء والسياسيين الساقطين. فمن يرض بهذا لمسلمة؟

وفضلا عن ذلك فمن المعروف أن السياسيين كثيرا ما يروجون إشاعات تضر بسمعة خصومهم. **ومن المحتمل جدا أن تطلق المعارضة إشاعة عن علاقة غرامية بين الرئيسة وأحد المسئولين** أو الإعلاميين. وأمثال هذه الإشاعات تسري كالنار في الهشيم. وإن أمكن للرجل أن يتغاضى عنها، فكيف تحتملها المرأة؟

10. تقبل النقد

رئيس الدولة بحكم منصبه معرض للنقد من ملايين المواطنين. الناس فى البيوت والشوارع والمقاهي يهاجمون رؤساء الجمهورية، ويسخرون منهم، ويطلقون عليهم النكات والطرائف. ومن الممكن للرجل أن يتحمل السخرية، لكن من الصعب جدا أن تتحملها المرأة. ومن العسير أن تتقبل الرئيسة انتقاد الناس لشكلها، وقوامها، وملابسها، وصوتها، وطريقة كلامها وعمرها. وهذا سيجعلها أكثر عصبية، وسينعكس حتما على قراراتها. الرئيس العاقل يمضي في طريقه دون أن يعبأ بالإهانات. ومن الصعب على المرأة أن تكون كذلك.

11. لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة

هناك حديث شريف يُفهم منه أن تولى المرأة للرئاسة حرام، فقد روى عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: لَقَدْ نَفَعَنِي اللَّهُ بِكَلِمَةٍ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيَّامَ الجَمَلِ، بَعْدَ مَا كِدْتُ أَنْ أَلْحَقَ بِأَصْحَابِ الجَمَلِ فَأُقَاتِلَ مَعَهُمْ، قَالَ: لَمَّا بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أَهْلَ فَارِسَ، قَدْ مَلَّكُوا عَلَيْهِمْ بِنْتَ كِسْرَى، قَالَ: «**لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً**» رواه البخارى.

لكن قد يقال: من المحتمل أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يكن يفكر حين قال هذا الحديث في مسألة إباحة أو تحريم تولي المرأة للحكم، وإنما كان يقصد فقط أن يستقريء المشهد السياسي

432) **كومو ليس الأول.. أشهر فضائح الساسة الأمريكيين.** بقلم سامح فواز. بوابة أخبار اليوم. 5 أغسطس 2021م.

في دولة الفرس، ويتنبأ بسقوطها لأن المرأة في ذلك العصر لم تكن قادرة على الإمساك بزمام السلطة. ويترتب على هذا الاحتمال أن الزمن إن تغير، وتعلمت المرأة، واكتسبت خبرة، وصارت قادرة على قيادة الدولة، جاز لها أن تتولي الحكم لأن الحديث السابق لا يقصد تحريم ذلك.

ونحن نقول: من أدراكم أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يكن يقصد في هذا الحديث تحريم رئاسة المرأة؟ لماذا تفسرون عبارة (لن يفلح) على أنها تشير إلى الفلاح في الدنيا؟ لماذا لا يكون المقصود هو الفلاح في الآخرة؟ **الأحوط بالنسبة للمسلم أن يفترض أن الحديث يحرم رئاسة المرأة درءا للشبهات**، عملا بحديث: «الحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَةٌ، فَمَنْ تَرَكَ مَا شُبِّهَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ، كَانَ لِمَا اسْتَبَانَ أَتْرَكَ، وَمَنِ اجْتَرَأَ عَلَى مَا يَشُكُّ فِيهِ مِنَ الإِثْمِ، أَوْشَكَ أَنْ يُوَاقِعَ مَا اسْتَبَانَ، وَالمَعَاصِي حِمَى اللَّهِ مَنْ يَرْتَعْ حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ» متفق عليه. وقد أوضحنا في الصفحات السابقة كيف أن هناك شبهات قوية كثيرة تحيط بمبدأ تولي المرأة لمنصب الرئاسة. **ثم هب أن محللا سياسيا سئل عن رئيس دولة يعتمد في إدارته للبلد على مسئولين فاسدين، فقال المحلل السياسي: (لن تفلح دولة تعتمد على الفاسدين). فهنا نجد أن الجملة الأخيرة تمثل نبوءة سياسية، وفي نفس الوقت تمثل إدانة للاستعانة بالفاسدين. وبالمثل من المحتمل تماما أن يكون حديث (لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) نبوءة سياسية بسقوط دولة الفرس، وتحريما لتولي المرأة للحكم.**

وقد يزعم البعض أن هذا الحديث ذو مدلول خاص، ويقولون: حقا ألفاظ الحديث ذات طابع عام (كلمة "قوم" وكلمة "امرأة" نكرة)، لكن المراد منها مدلولا خاصا، تماما مثلما كان الرسول يقول: (ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا) وهو يقصد في الحقيقة أقواما بعينهم؟

ونحن نقول ردا عليهم: لقد قال الرسول عليه السلام مثلا: (مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ)[433]، وهو يقصد إدانة أولياء الجارية بريرة التي أرادت السيدة عائشة شراءها. فهل يحق لنا أن نستنتج من الحديث أنه إن اشترط قوم آخرون –غير أولياء بريرة– شروطا ليست في

433) عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: أَتَتْهَا بَرِيرَةُ تَسْأَلُهَا فِي كِتَابَتِهَا، فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتِ أَعْطَيْتُ أَهْلَكِ وَيَكُونُ الوَلاَءُ لِي، وَقَالَ أَهْلُهَا: إِنْ شِئْتِ أَعْطَيْتِهَا مَا بَقِيَ - وَقَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً: إِنْ شِئْتِ أَعْتَقْتِهَا، وَيَكُونُ الوَلاَءُ لَنَا - فَلَمَّا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَّرَتْهُ ذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ابْتَاعِيهَا فَأَعْتِقِيهَا، فَإِنَّ الوَلاَءَ لِمَنْ أَعْتَقَ» ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى المِنْبَرِ - وَقَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً: فَصَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى المِنْبَرِ - فَقَالَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا، لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَنِ اشْتَرَطَ شَرْطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَلَيْسَ لَهُ، وَإِنِ اشْتَرَطَ مِائَةَ مَرَّةٍ» رواه البخاري.

كتاب الله، فسيكون هذا حلالا لهم؟ قطعا لا، **فالحديث صيغ بعبارة عامة، والعبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب.**

وفضلا عن ذلك **فالسنة كلها تؤكد أن هذا الحديث ذو مدلول عام،** فقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يعلم أن المرأة يمكن أن تكون أكثر تقوى من الرجل، ومع ذلك لم يعين يوما امرأة كقائد لأحد جيوشه، أو كأمير على إحدى القبائل، أو كعامل على الصدقات، وهذا يدل على أن الرسول تصرف بما يدل على أنه ضد تولي النساء لأمور السياسة والحكم. وهذا يعني أن حديث **(**لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة**)** يعبر عن قاعدة شاملة. والأمر لا يقتصر على النساء، فقد كان الرسول يحجم عن تولية القيادة العسكرية والسياسية للمسلمين الأتقياء إن كانوا ضعافا، فلم يسند مثلا منصبا لصاحبه عبد الله بن مسعود الذي كان شديد التقوى غزير العلم، ولكنه كان ضعيفا، نَحِيْفاً، قَصِيْراً.[434]

لماذا لم **يول الرسول عليه السلام بعض النساء مناصب سياسية أو عسكرية بهدف توصيل رسالة مفادها أن المرأة قادرة على النجاح في القيادة إن أتيحت لها الفرصة؟** ألأنه كان يفتقر إلى الجرأة؟ لا أظن، لأنه مثلا عين أسامة بن زيد كقائد لجيش يضم كبار الصحابة رغم أنه كان شابا صغيرا. الرسول لم يعين النساء في المناصب العليا لأن هذا ببساطة حرام.

والسؤال الذى يتكرر: **وماذا عن ملكة سبأ؟ ألم تحكم قومها بمنتهى العقل والحكمة؟**

ونحن نقول: **حقا من الممكن للمرأة أن تحكم شعبها بالعدل والرشاد، لكن في الغالب سيكون الأمر خلاف ذلك للأسباب الكثيرة التي سبق أن أوردناها،** والتي تثبت عدم صلاحية المرأة لرئاسة الدولة. **والشرائع تبنى على الشائع والغالب، وليس على القليل والنادر**[435]. **إن من الممكن لطفل صغير أن ينجح في قيادة السيارة، لكن لو استند المشرعون إلى هذه القدرة الاستثنائية في إصدار قانون يبيح قيادة الأطفال للسيارات لوقعت حوادث لا تحصى.** وبالمثل يحرم الإسلام على المسئولين في الدولة تلقي الهدايا لأن هذه الهدايا ستكون في الغالب على

---

434) **سير أعلام النبلاء** (1/ 462)

435) قاعدة (الشرائع تبنى على ما هو غالب وشائع) ليست مطلقة، ففي بعض الأمور يجب أخذ الاستثناءات بجدية واهتمام؛ على سبيل المثال لم يضع الإسلام حدا أدنى لسن زواج البنات. فلو جعل الإسلام الحد الأدنى مثلا 13 عاما حتى يضمن عدم زواج الأطفال قبل البلوغ لحُرمت الفتاة التي تبلغ في سن التاسعة والعاشرة من الزواج، وقد تقع في الزنا، وهو من الكبائر في الإسلام. وهنا بنى الإسلام تشريعه على الحالات الاستثنائية، وليس على الغالب والشائع.

سبيل الرشوة، فقد روى الشيخان أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَعْمَلَ عَامِلًا، فَجَاءَهُ العَامِلُ حِينَ فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي. فَقَالَ لَهُ: «أَفَلاَ قَعَدْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ، فَنَظَرْتَ أَيُهْدَى لَكَ أَمْ لاَ؟» وهنا نجد أن الإسلام يحرم على العمال (المسئولين) تلقي الهدايا من رعاياهم رغم أن من الممكن في بعض الأحيان أن تكون الهدية خالصة لوجه الله. والسبب أن الهدية في الغالب ستكون بغرض الرشوة. **وبالمثل حرم الإسلام منصب الرئاسة على المرأة رغم أن المرأة يمكن في بعض الأحيان أن تحسن سياسة شعبها.** وعلى ذلك فإن شعرت إحدى النساء بالامتعاض من حرمانها من الترشح للرئاسة، فلتعلم أن هذه ليست إهانة شخصية لها، فالإسلام في بعض الأحيان يعمم حكما على بعض الأشخاص رغم إدراكه أن هناك فئة لا ينطبق عليها هذا الحكم.

وإضافة إلى ذلك، **فالإسلام لم يحرم رئاسة المرأة بسبب نقص الخبرة والحنكة السياسية فقط، ولكن لأسباب أخرى** منها أنه جعل وظيفة المرأة بشكل عام في البيت؛ ومنها أنه نهى عن اختلاط الرجال بالنساء؛ ومنها أن المرأة لا تقدر على قيادة الجيوش، ومنها أن المرأة إن صارت رئيسة للدولة أصبحت رئيسة لزوجها، وهذا ضد القرآن؛ ومنها أن الرئاسة تحول الأنثى لذكر؛ ومنها أن جمال المرأة قد يؤثر على قرارات الناخبين؛ ومنها أن من الصعب على المرأة أن تتحمل النقد. وعلى ذلك **فمن الخطأ إيقاف عمل حديث (لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) لمجرد أن إحدى النساء – كملكة سبأ – أظهرت خبرة عملية وحنكة سياسية. هناك أكثر من سبب يفسر لماذا نهى الإسلام عن تولي المرأة للحكم، فإن اختفي أحدها بقيت الأخرى، وبقي النص ساريا.**

ملحوظة: نود أن نشير إلى أن **قاعدة (الشرائع تبنى على ما هو غالب وشائع) ليست مطلقة**، ففي بعض الأمور يجب أخذ الاستثناءات بجدية واهتمام؛ على سبيل المثال لم يضع الإسلام حدا أدنى لسن زواج البنات. فلو جعل الإسلام الحد الأدنى مثلا 13 عاما حتى يضمن عدم زواج الأطفال قبل البلوغ لحرمت الفتاة التي تبلغ في سن التاسعة والعاشرة من الزواج، وقد تقع في الزنا، وهو من الكبائر في الإسلام. وهنا بنى الإسلام تشريعه على الحالات الاستثنائية، وليس على الغالب والشائع.

وبفرض أن المرأة نجحت فى منصب الرئاسة على المدى القريب، فلن يكون هذا فى صالح المجتمع على المدى البعيد لأن الإسلام رسم دورا للمرأة يختلف عن دور الرجل، وتطلع كل جنس للدور المرسوم للآخر يؤدى لخلل خطير بالطبيعة البشرية التى فطر الله الناس عليها.

ونكرر القول بأن **النظرة السطحية تقول أن المرأة قد نجحت فى السنوات الأخيرة فى إدارة الدولة اقتصاديا وسياسيا، لكن بمزيد من التعمق سنجد أن المرأة ما كان لها أن تصل إلى منصب الرئاسة إلا بعد أن استمرأ المجتمع عمل المرأة**، وتقبل تخليها عن وظيفتها الطبيعية، وسعيها لتقليد الرجل، وإهمالها لدورها الطبيعي في البيت. **فترتب على ذلك مرض المجتمع، وانتشار المشاكل النفسية، والصراعات الزوجية، وضياع الأخلاق، وقلة النسل، والاكتئاب، والقلق، وتقطع الأواصر بين الأفراد، وبرودة العلاقات الإنسانية.**

إن من المهم جدا أن نوسع نظرتنا للأمور. وبفرض أن المرأة نجحت كزعيمة سياسية، فالنظرة الأعمق تثبت أن هذا نجاح محدود، وأن الإخفاق فى الدنيا والآخرة هو الأرجح، وهذا يذكرنا بالخمر التي اعترف القرآن أن لها بعض الفوائد، لكنه أكد فى نفس الوقت أن أضرارها أكبر من منافعها، ولهذا صدر الأمر الإلهى بتحريمها: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا} [البقرة: 219]

إن نجاح مارجريت تاتشر وأنجيلا ميركل وغيرهما من النساء هو نجاح شكلي محدود، يخفى وراءه كوارث اجتماعية ونفسية ودينية خطيرة. ومن يضحك من كلامنا، فليعلم أنه يشبه من يضحك على مقولة: "لن يبارك الله في المال الحرام"، لكنه إن تأمل قليلا فسيجد أن من يسرق سيشترى سيارة وقصرا، لكنه سيبتلى بمصائب فى أولاده وصحته وحالته النفسية.

وإذا نظرت إلى أنجيلا ميركل على سبيل المثال لوجدت أنها ربما تكون قد نجحت فى إدارة الدولة سياسيا، لكن **مبدأ عمل المرأة الذى أوصل ميركل للحكم هو نفسه الذى ثبط المرأة الألمانية عن الحمل والإنجاب، وجعل ألمانيا مضطرة لاستقبال مئات الآلاف من المهاجرين الأجانب** كل عام لأن نسبة كبيرة من الألمان هم من كبار السن الذين لا يقدرون على العمل والإنتاج. وهكذا **فأنجيلا ميركل أخفقت فى حل أخطر مشكلة تواجه ألمانيا، ألا وهى المشكلة السكانية. ولو أحسنت ميركل لبدأت بنفسها، واستقالت من منصبها كى توصل رسالة إلى الشعب، مفادها أن**

المرأة مكانها البيت، وأن هجران المرأة لبيتها أوقع ألمانيا في مشكلة ديمغرافية (سكانها) تهدد بمحوها من الوجود.

وأتقدم خطوة فأقول لكم أننى **أتوقع – بل أجزم– أن قوة المرأة ستتعاظم فى السنوات القادمة بشكل لم يحدث من قبل عبر التاريخ، وليس ببعيد أن تحكم المرأة العالم**، ويصبح كل الرؤساء من النساء، وتصدر قوانين تمنع جنس الرجال المتوحش من الترشح للرئاسة تماما مثلما حُظر على النازيين والفاشيين العمل السياسي، فيصرخ الرجل شاكيا من الظلم والاضطهاد. وفى هذه الحالة سينجح النساء فى السياسة والحكم لكن المجتمع فى مجمله سيصاب بالمرض والتسوس لأنه انقلب على فطرة الله التى فطر الناس عليها، وستبتلى البشرية بكوارث اجتماعية وأمراض نفسية وعلل أخلاقية لم تحدث على مر العصور.

إن من يظن أن نجاح المرأة كرئيسة للبلاد يحقق الخير للمجتمع فهو واهم، **فالمرأة أشبه بوزير زراعة نجح فى زيادة إنتاج البلاد من الحاصلات الزراعية عن طريق استخدام مبيدات حشرية مسرطنة.** أيسمى هذا نجاحا؟

باختصار من الخطأ أن نقصر كلمة (يفلح) الواردة فى الحديث على الفلاح الظاهر المباشر فى إدارة شئون الدولة السياسية والعسكرية، **فالفلاح أعم من ذلك وأوسع لأنه يشمل الفلاح الأخلاقي والاجتماعي والديني، وهذا ينعكس بدوره على النجاح السياسي والعسكري، ورجال الاستخبارات كما قلنا مرارا يدركون جيدا أن تدمير أخلاق الشعوب ودينها هو أول خطوة لإسقاطها سياسيا دون طلقة رصاص واحدة.**

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

نجاح المرأة أم نجاح الحكومة الخفية

القول بأن المرأة نجحت في السنوات الأخيرة في منصب رئاسة الدولة تحوم حوله الشبهات. **إن العالم لا يحكمه رؤساء الدول، بل تحكمه قوة خفية. ووصول المرأة لمنصب الرئاسة في كثير من الدول تم فقط لأن الحكومة العالمية الخفية أرادت ذلك.**

هذه القوة الخفية تتغلغل داخل مراكز صنع القرار، فتجند السياسيين، وتستميل المسئولين، وتشتري الإعلاميين. هذه القوة تأمر فتطاع، بل تعين رؤساء الدول الكبرى. القوة الخفية هي اليهودية العالمية وعملائها من الماسونيين[436]. وهؤلاء يدعمون بشدة كل أنواع الشذوذ والإباحية والعدمية والإلحاد. وقد وصل من سطوة الحكومة الخفية أن أجبرت العالم على احترام الشذوذ الجنسي، ومن يجرؤ على التململ يجعلونه عبرة لمن لا يعتبر. ودورهم في تأييد الحركة النسائية وتأجيج الصراع بين الرجل والمرأة لا يخفى على أريب. فإن انتهى هذا الصراع بتدمير المجتمع فرحوا، وإن انتهي بانتصار المرأة على الرجل فرحوا لأنهم أفسدوا فطرة الله، وغيروا خلقه، وعطلوا شريعته، وهذا يسعد إبليس الذي يعبدونه بالمعنى الحرفي للكلمة. وعلى ذلك **فوصول المرأة لقمة السلطة لا يعبر عن تطور حضاري بقدر ما يعبر عن خطة لحكومة كونية شريرة. وواجب المسلم أن يواجه قوى الشر.**

وفي كتاب خطير عنوانه (الحكم بالسر) Rule by secrecy يتحدث "جيم مارس" عن التنظيمات السرية التي تحكم أمريكا والعالم منذ أكثر من قرنين. وسيصاب القاريء بالذهول حين يكتشف أن **رؤساء الدول في العصر الحديث لا حول لهم، ولا قوة، وأنهم ألعوبة في أيدي منظمات سرية مرعبة، يمولها أباطرة المال، وعلى رأسهم اليهود، الذين يرتعد مؤلف الكتاب، وهو يلمح من بعيد إلى دورهم في السيطرة على العالم.** ومن الشواهد على وجود جكومة خفية ما يلي[437]:

436) **"أحجار على رقعة الشطرنج: التطبيق العملى للبروتوكولات".** تأليف ويليام غاى كار. دار الحرية للنشر والتوزيع. القاهرة. 2013.

437) **"الحُكم بالسر: التاريخ السري بين الهيئة الثلاثية والماسونية والأهرامات الكبرى"**. صفحة 30-33. تأليف جيم مارس. ترجمة محمد منير إدلبي. الطبعة الخامسة 2009م. دار الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية- دمشق.
وهذه الترجمة العربية تتضمن بعض الأخطاء البسيطة التي تلافيناها في هذا الكتاب، وذلك بالرجوع إلى النسخة الإنجليزية الأصلية

كتب المفكر الكبير آر بكمينستر فوللر قبل موته بفترة قصيرة عام 1983م: «إن الولايات المتحدة لا تدار من قِبل الحكومة الديمقراطية المزمعة». وقال: «**لا شيء يبعث على الشفقة والأسى أكثر من الدور الذي يجب أن يلعبه رئيس الولايات المتحدة، الذي قوته هي تقريبا صفر**».

وصرح فيليكس فرانكفورتر من محكمة العدل العليا الأمريكية: «**إن القوانين الحقيقية في واشنطن خفية، وإن القوى تمارَس من وراء المشاهد والأحداث**».

وعمدة نيويورك السابق جون إف هايلان صرح عام 1922م: «**إن الخطر الحقيقي على جمهوريتنا هو الحكومة الخفية التي -كأخطبوط عملاق- يبسط استطالاته اللزجة على مدينتنا ودولتنا وأمتنا**....على رأس هذا الأخطبوط تقف المصالح النفطية لمجموعة روكفلر ستاندرز، ومجموعة صغيرة من مؤسسات البنوك القوية التي يشار إليها عموما باعتبارها المصارف العالمية التي في واقع الأمر **تدير حكومة الولايات المتحدة** لخدمة مصالحها الأنانية الخاصة».

في عام 1909م، قال وولتر راثينو من شركة جنرال إليكتريك في ألمانيا: «**ثلاثمائة رجل، كل واحد منهم يعرف الآخر، يدبرون القَدَر الاقتصادي لأوربا، ويختارون خلفاءهم من بين أنفسهم**». إن رقم راثينو ربما قد زودنا بأساس لمؤلف المؤامرة وهو تصريح الدكتور جون كولمان بأن منظومة من ثلاثمائة **تسيطر على حكومة سرية موازية ذات مستوى أعلى، تدير بريطانيا والولايات المتحدة، وتسيطر عليهما**. وجوزيف بي كينيدي -سيد عائلة كينيدي المشهورة- قال مرة: "خمسون رجلا قد أداروا أمريكا. وهذا رقم كبير".

في 1856 أخبر رئيس الوزراء البريطاني بنيامين دزرائيلي مجلس العموم البريطاني قائلا: "لا فائدة من الإنكار، ومن المستحيل الإخفاء. إن جزءا كبيرا من أوربا، وجميع إيطاليا وفرنسا، وقسما كبيرا من ألمانيا المجزأة -بغض النظر عن بلدان أخرى- إنما هي **مغطاة بشبكة من هذه المنظمات السرية**.

وهذه الحكومة الخفية ليست حكومة عادية، بل حكومة مرعبة، فقد كتب الرئيس وودرو ويلسون: «**إن بعض أكبر الرجال في الولايات المتحدة في مجال التجارة والتصنيع خائف من**

بعض آخر، ومن شيء آخر. هم يعلمون أن ثمة قوة في مكان ما، منظمة جدا، حاذقة جدا، يقظة جدا، متشابكة جدا، كاملة جدا، منتشرة ومتخللة جدا بحيث أن من الأفضل للناس أن يتكلموا فوق أنفاسهم عندما يتكلمون عن شجبها».

وفي رسالة كتبها الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت للكولونيل إدوارد هاوس عام 1933م: «إن الحقيقية الصحيحة للمسألة كما تعلم أنت وأنا **هي أن عنصرا ماليا في المراكز الكبيرة قد ملك الحكومة منذ أيام أندرو جاكسون**». وكتب إليوت ابن روزفلت: «**يوجد في عالمنا ربما فقط 12 منظمة، تشكل مقادیرنا المختلفة بالصرامة نفسها التي تقوم بها الحكومات الدستورية**»

ويصاب المرء بالدوار حين يعلم أن أهم المسئولين في الولايات المتحدة – أكبر دول العالم- يتم اختيارهم من بين أعضاء في هذه الحكومة الخفية، بما في ذلك رئيس أمريكا، ووزير الدفاع، ورئيس المخابرات المركزية، ورئيس الاحتياطي الفيدرالي، ورجال الكونجرس.

يقول جيم مارس: «في الوقت الذي نظر فيه الكثير من الأمريكيين إلى **الرئيس بيل كلينتون كعازف ساكسيفون شاب ذو عَيْن من أجل النساء، فإن معظمهم لم يكن على علم بصلته بثلاثة من أشهر المنظمات السرية الحديثة**، وهي الهيئة الثلاثية Trilateral Commission، ومجلس العلاقات الخارجية The Council on Foreign Relations (CFR)، وما يسمى بال"بيلدربيرجرز" Bilderbergers».

وذكر جيم مارس أن أعضاء بارزين في إدارة كلينتون كانوا ينتمون إلى **مجلس العلاقات الخارجية** CFR، منهم الرئيس السابق ل CFR بيتر تارنوف بالإضافة إلى أنتوني ليك، وآل جور، وورين كريستوفر، وكولن باول، وليس آسبين، وجيمس وولسي، ووليام كوهين، وآخرون. **أعضاء سابقون للجنة الثلاثية** كان منهم بروس بابيت، وستيفن دبليو بوسوورث، ووليام كوهين، وآلان جرينسبان، وغيرهم. وأشار الناشر جون إف. ماكانوس إلى أنه في 1998م أسرع كلينتون إلى نيويورك ليحصل على الدعم من أصدقائه في مجلس العلاقات الخارجية بعد أن حامت حوله

الاتهامات. وكتب ماكانوس قائلا: «**يعلم بيل كلينتون جيدا بأنه يخدم كرئيس لأن أعضاء المنظمة السرية التي ينتمي إليها قد اختاروه، ويتوقعون منه أن ينفذ خططها**»[438].

و**الرئيس الأمريكي جورج بوش** كان عضوا في الهيئة الثلاثية، وعضوا فى مجلس العلاقات الخارجية، وأخاً في النظام الغامض **لمنظمة الجمجمة والعظام**. وكتب الباحث لوري ك. ستراند: إن مجسات الهيئة الثلاثية قد وصلت إلى مدى بعيد جدا في المجالين السياسي والاقتصادي بحيث إنها قد وُصفت من قبل البعض بأنها **مجموعة سرية من الرجال الأقوياء الذين خرجوا للسيطرة على العالم** من خلال خلق مجتمع خارق **مهيمَن عليه من قبل مؤسسات متعددة الجنسيات**[439].

وإدارة الرئيس الأمريكي جيمي كارتر كانت مليئة بأعضاء الهيئة الثلاثية السرية. وأهم واحد من هؤلاء هو زبيغنيو بريجنسكي Zbigniew Brzezinski مؤسس الهيئة الثلاثية، ومديرها الإداري منذ عام 1973م حتى 1976م، وذلك عندما **عينه الرئيس كارتر كمساعد للرئيس لشئون الأمن القومي**. و**كان بريزينسكي هو الذي جند كارتر للهيئة الثلاثية** عام 1973م. كما عين كارتر بول فولكر **كرئيس البنك المركزي لأمريكا والاحتياطي الفيدرالي**، وهو عضو في الهيئة الثلاثية ومجلس العلاقات الخارجية وبيلدربيرج. **وقد تم استبداله فيما بعد في إدارة الرئيس الأمريكي ريجان بآلان جرينسبان الذي كان عضوا في نفس المؤسسات السرية**. وفي عام 1977م كتبت صحيفة واشنطن بوست: "ولكن ها هنا الشيء غير المستقر حول الهيئة الثلاثية. وهو أن **الرئيس المنتخب كارتر عضو فيها، وهكذا نائب الرئيس المنتخب** وولتر ف. منونديل. وكذلك الجدد من **وزراء الخارجية والدفاع والمالية:** سايروس آر فانس، وهارولد براون، ودبليو مايكل بلومنتال. وكذلك زبيغنيو بريجنسكي الذي هو مدير سابق للهيئة الثلاثية ومستشار الرئيس الأمريكي لشئون الأمن القومي، وكذلك مجموعة من الآخرين الذين سيصنعون السياسة الخارجية لأمريكا في السنين الأربع التالية.[440]

وكي لا يظن أحد أن الهيئة الثلاثية كانت مجرد جزء من الحزب الديمقراطي، فقد أوردت صحيفة أخبار الولايات المتحدة والعالم U.S News & World Report عام 1978م **لائحة**

438) **"الحُكم بالسر"**. صفحة 39-40.
439) **"الحُكم بالسر"**. صفحة 40-46
440) **"الحُكم بالسر"**. صفحة 40-48

جمهوريين بارزين كانوا أعضاء فيها، على رأسهم **هنري كيسنجر وزير الخارجية الشهير، وجورج بوش مدير المخابرات المركزية الخارجية والرئيس المستقبلي**، إضافة إلى وزراء آخرين وأعضاء في الكونجرس[441]. وعلق جاري آلان قبل الانتخابات الرئاسية عام 1972م: "لم يكن في الحقيقة ثمة ما يساوي بنسات قليلة من الاختلاف بين المرشحَيْن الرئاسييْن. فإن **الناخبين قد أُعطوا الخيار بين نيكسون المدافع عن عالم حكومة مجلس العلاقات الخارجية وهمفري المدافع عن عالم حكومة مجلس العلاقات الخارجية ذاته.** فن الخطابة فقط هو الذي تم التغيير فيه بغية خداع الرأي العام الشعبى[442].

وخلال الحملة الرئاسية لعام 1980م وفي الوقت الذي كان فيه المرشح الجمهوري رونالد ريجان يتنافس مع جورج بوش، **هاجم ريجان عضوية بوش في منظمة الهيئة الثلاثية ومجلس العلاقات الخارجية**، وتعهد بألا يسمح لبوش بأي منصب في حكومة ريجان. لكن بعد ذلك **حدثت سلسلة غريبة من الأحداث، فعين ريجان جورج بوش في منصب نائب الرئيس. ولم ينبس ريجان بعد ذلك بكلمة ضد الهيئة الثلاثية أو مجلس العلاقات الخارجية.** وبعد انتخابه كان الفريق الانتقالي ذو ال 59 عضوا مؤلفا من 22 من أعضاء مجلس العلاقات الخارجية، 10 أعضاء من منظمة بيلدربيرج، وعلى الأقل 10 أعضاء من الهيئة الثلاثية. كما **عين أعضاء بارزين في مجلس العلاقات الخارجية في ثلاثة من أكثر مراكز الأمة حساسية**: وزير الخارجية إليكساندر هيج، **وزير الدفاع** كاسبر واينبيرجر، ووزير المالية دونالد ريجان. كما عين جيمس إيه بيكر (مدير حملة بوش) **كرئيس للأركان**، وهو من عائلة ذات صلة مديدة بمصالح النفط التابعة لروكفلر[443].

وذكر الصحفي جيمس بيرلوف أن **كل الحكومات الأمريكية منذ ابتداء مجلس العلاقات الخارجية كانت مكتظة بأعضاء من هذا المجلس.** وحتى عام 1988م كان ثمة **14 وزير خارجية، و14 وزير مالية، و11 وزير دفاع** أعضاء في مجلس العلاقات الخارجية. ويقول جيم مارس: **تقريبا كل مدير لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية CIA** منذ دوليس قد كان عضوا في مجلس العلاقات الخارجية[444]وإلى ذلك أشار الباحث لوري ستراند قائلا: "الكثير من أعضاء المجلس لهم

---

441) "**الحُكم بالسر**". صفحة 47-48

442) "**الحُكم بالسر**". صفحة 63

443) "**الحُكم بالسر**". صفحة 50-51

444) يشمل هؤلاء ريتشارد هيلمز، ويليام كولبي، جورج بوش، ويليام وبيستر، وجيمس وولسي، جون دويتش، ووليام كيسي.

مصالح مالية شخصية في العلاقات الخارجية". وأضاف: "لأنها ممتلكاتهم واستثماراتهم هي التي تُحمى من قبل دوائر الدولة والجيش ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية".[445]

مجلس العلاقات الخارجية كانت له يد في كل صراع رئيسي في القرن العشرين. الكثير من الكتاب يرون المجلس على أنه **مجموعة من الرجال نصبوا للسيطرة على العالم** من خلال التجارة المتعددة الجنسيات والمعاهدات الدولية والحكومة العالمية [446].

لقد سيطر مجلس العلاقات الخارجية على سياسات أمريكا عبر القرن الماضي بأكمله، لكنه تقاسم النفوذ في النصف الثاني من القرن مع منظمة فائقة السرية هي منظمة بيلدربيرج Bilderberg، التي ظهرت عام 1954م، وسميت باسم فندق بيلدربيرج بهولندا الذي كانت تجتمع فيه حينئذ. ومنظمة بيلدربيرج تضم مجموعة من الشخصيات القوية من أمريكا وأوربا. ويعتقد الكثيرون أنهم **يتآمرون بغية صناعة وإدارة أحداث العالم**[447]. وقد أنشأ مجموعة بيلدربيرج الأمير الهولندي بيرنارد جوليوس **بتشجيع من روتشيلد** (اليهودي) وريتينجر. ومنذ عام 1991م ترأس مجموعة بيلدربيرج اللورد البريطاني بيتر كارينجتون السكرتير العام للناتو، **وصاحب الصلة الوثيقة بإمبراطورية روتشيلد** المصرفية من خلال الزواج والأعمال التجارية[448].

وتكلمت البي بي سي عن اجتماع بلدربيرج عام 2019، فقالت أنه ضم 130 شخصية من أمريكا وأوربا. ومن بين الضيوف الأمريكيين زوج ابنة الرئيس ترامب جاريد كوشنر، والرئيس التنفيذي لمايكروسوفت ساتيا ناديلا، ورئيس غوغل السابق، إريك شميت، ومؤسس "باي بال" الملياردير بيتر ثييل، ووزير الخارجية الأمريكي السابق، هنري كيسنجر[449].

ومن دلائل نفوذ اجتماع بيلدربيرج أن هارولد ويلسون كان أحد أعضاء منظمة بيلدربرج، وأصبح فيما بعد **رئيس وزراء بريطانيا** في الستينات والسبعينات. وفي عام 1991م تم تكريم **بيل كلينتون** حاكم ولاية أركانساس في بيلدربيرج، وفي العام التالي رشح رئيسا لأمريكا، وفاز[450].

---

445) "الحُكم بالسر". صفحة 61
446) "الحُكم بالسر". صفحة 58
447) "الحُكم بالسر". صفحة 65
448) "الحُكم بالسر". صفحة 68-67
449) بيلديربيرغ: منظمة غامضة تضم صفوة العالم. بي بي سي نيوز عربي. 30 مايو 2019م.
https://www.bbc.com/arabic/features-48457530
450) "الحُكم بالسر". صفحة 66

وهناك أيضا منظمة فائقة السرية اسمها **الجمجمة والعظام** Skull and Bones، يعتقد أنها فصيل من فصائل المتنورين (الإلوميناتي) المنتمين إلى الماسونيين عبدة الشيطان [451]. وقد أسس التنظيم عام 1832م في جامعة يال. والمثير أن **ثلاثة من أعضاء هذا التنظيم السري – كما تؤكد الموسوعة البريطانية– أصبحوا فيما بعد رؤساء للولايات المتحدة، وهم ويليام هاورد تافت، وجورج بوش الأب، وجورج بوش الابن**[452]. **والأكثر إثارة أنه في انتخابات الرئاسة عام 2004م تنافس كل من جورج بوش الابن والسيناتور جون كيري على مقعد الرئاسة، مع أن كليهما عضو في نفس المنظمة السرية (الجمجمة والعظام) كما تقول صحيفة الجارديان**[453]. هذا يؤكد أن الاختلافات بين رؤساء أمريكا خلافات سطحية أو وهمية، وأن الحاكم الحقيقي قابع في الظلام.

وعلى رأس التنظيمات السرية يأتي تنظيم "**المتنورون**" **(إلوميناتي Illuminati)** الذي أسسه آدم وايزهاوبت عام 1776م. وعقيدة هذا التنظيم هي عبادة الشيطان (لوسيفر). وقد اندمج المتنورون مع الماسونيين، وانتقلوا من منشأهم في ألمانيا إلى فرنسا وإيطاليا وانجلترا وأمريكا[454]. ويعتقد معظم المثقفين أن الثورة الفرنسية اشتعلت احتجاجا على الظلم، لكن الحقيقة أنها كانت من تدبير الماسونية الفرنسية والإلوميناتي[455]. والماسونيون الفرنسيون يتفاخرون بهذه الحقيقة. وكتب إيبرسون: «**اليد الخفية التي قادت الثورة الفرنسية بأكملها كانت الإلوميناتي**، ولها فقط 13 سنة في الوجود، ومع ذلك فهي قوية بما يكفي لتثير ثورة في واحدة من البلدان الرئيسية في العالم». والثورة الأمريكية كانت أيضا ثورة ماسونية، فبين 56 شخصا وقعوا على إعلان الاستقلال كان واحد فقط غير ماسوني[456].

وعقائد هذه التنظيمات السرية وأهدافها مجهولة إلى حد كبير. **وأعضاؤها يقسمون على عدم إفشاء أسرارها، وإلا تعرضوا للموت**[457].

---

451) **"الحُكم بالسر"**. صفحة 137

452) Encyclopedia Britannica. "Skull and Bones". 9 Dec. 2022, https://www.britannica.com/topic/Skull-and-Bones-Yale. Accessed 21 January 2023.

453) Suzanne Goldenberg. Skeletons in the closet. The Guardian. May 20, 2004. https://www.theguardian.com/world/2004/may/20/usa.internationaleducationnews. Accessed January 21, 2023.

454) **"الحُكم بالسر"**. صفحة 336 وما بعدها.

455) **"الحُكم بالسر"**. صفحة 315 وما بعدها.

456) **"الحُكم بالسر"**. صفحة 331

457) في يوم ما شذ واحد من الماسونيين مقتحما الصفوف. فلقد أصبح مشهورا أن الكابتن ويليام مورغان من باتافيا، نيويورك كان **يخطط لنشر كتاب يكشف الرموز السرية للماسونيين**، ومصافحاتهم، وعهودهم، وأهدافهم. مورجان الذي كان عضوا لمدة ثلاثين عاما في النظام كتب يقول: "إن مصدر

ومن البديهي أن كل هذه التنظيمات السرية بحاجة إلى المال. والمال في أيدي اليهود. وأغنى ثلاث عائلات فى العالم هي عائلة روتشيلد، وعائلة روكفيلر Rockfeller، وعائلة مورجان.

ديفيد روكفيلر هو مؤسس الهيئة الثلاثية عام 1973م كما ورد في صحيفة هاآرتس الإسرائيلية، وذلك لتعزيز العلاقات بين أمريكا الشمالية واليابان وغرب أوربا[458]. ويقال أن عائلة روكفيلر مسيحية، لكن دورها في التأثير على السياسة الأمريكية ورعاية مصالح اليهود مريب لأقصى حد. وزادت شكوكي حين علمت أن ابنة ديفيد روكفيلر المسماة إيلين تزوجت من يهودي[459]. وتضاعفت الظنون حين اطلعت على كتاب عنوانه (النبلاء: نخبة السفارديم الأمريكية) من تأليف ستيفن برمنجهام، وهو يهودي متخصص في تاريخ اليهود، وفيه يذكر أن عائلة روكفلير من أصل يهودي[460] حيث يقول المؤلف في المقدمة: «من كان يتوقع على سبيل المثال أن يجد عائلة روكفيلر في الكتاب. إنهم موجودون..... ». ثم عثرت على موقع مريب[461] على الشبكة العنكبوتية، يؤكد هذه الحقيقة، ويذكر أن عائلة روكفيلر من اليهود (المارانو) Marrano، وهم اليهود الذين تظاهروا بدين غير دينهم، وظلوا يمارسون شعائر اليهودية سرا. وكلمة مارانو –كما يقول ستيفن برمنجهام– تعني (الخنزير) في اللغة الإسبانية، وقد سموا بذلك لأن اليهود كانوا مطاردين من محاكم التفتيش بعد سقوط الأندلس، فتظاهروا بأنهم نصارى، وأكلوا لحم الخنزير أمام الناس حتى لا يشك أحد في نصرانيتهم. وبعد طرد اليهود من الأندلس مع المسلمين هاجروا إلى تركيا. وكان من هؤلاء عائلة روكفيلر، التى هاجرت فيما بعد إلى فرنسا، ثم انتقلت إلى أمريكا. ولا أحد يعرف –كما يقول الموقع السابق– من أين حصلت عائلة روكفيلر على ثروتها الطائلة أثناء تواجدها في فرنسا. ويرى البعض أن جون دي روكفيلر الأكبر كان

خراب دستورنا المدني يوجد في الماسونية، التي هي قوية مسبقا، وتزادا قوة بشكل يومي، وأنا مدين لبلدي بكشف أخطارها". **وقبل أن يتم طبع الكتاب تعرض مورجان وناشر كتابه للاختطاف، وأُنقذ الناشر، لكن مورجان لم يعد أبدا**. وبعد سنوات اعترف أحد الماسونيين وهو على فراش الموت إلى طبيبه أنه -بمساعدة اثنين من الماسونيين- ألقوا بمورجان في نهر نياجرا. وفى عام 1869م كتب تشارلز جي فيني متهما الماسونيين بأنهم أبطأوا عجلات العدالة من خلال التأثير على المحاكم والشهود والمحلفين. واندلعت فضيحة كبرى بأن مورجان قد اختطف واغتيل من قبل الماسونيين. فترتب على ذلك ترك آلاف من الناس للماسونية، وإغلاق أكثر من ألفي محفل ماسوني. وتم نشر كتاب مورجان بعد وفاته عام 1827م وكان بعنوان بين حول الماسونية، فكان لأول مرة بإمكان غير الماسونيين أن يعلموا عن آليات عمل النظام من الداخل. وكشف مورجان أن المبايع للدخول في بداية النظام الماسوني أو الدرجة الأولى من المحفل الأزرق كان يتعهد قائلا: **أتعهد أن أقيد نفسي بعقوبة ليست أقل من قطع حنجرتي** من طرف إلى طرف، وباقتلاع لساني من جذوره، ودفن جسدي في رمال البحر الخشنة في مستوى ماء منخفض حيث يرتفع المد وينخفض مرتين كل 24 ساعة. وأما العقوبات في الدرجات الأعلى فقد تنامت بتزايد شنيع ورهيب. واضطر مجلس الشيخ تحت ضغط الجماهير إلى التحقيق فى أمر الماسونية، وانتقد مجلس الشيوخ صمت الإعلام كالقبور، وقيل وقتها أن الماسونيين الأثرياء والأقوياء موجودون في كل مستوى من مستويات الحكومة. وأسس خصوم الرئيس أندرو جاكسون (وهو ماسوني) حزبا مناهضا للماسونية.(انظر: **"الحكم بالسر":** صفحة 309 حتى 311)

458) David Rockefeller, Philanthropist Banker, Dies at 101 of Heart Failure, Haaretz. March 20, 2017. https://www.haaretz.com/us-news/2017-03-20/ty-article/david-rockefeller-philanthropist-banker-dies-at-101/0000017f-e057-d568-ad7f-f37f52b40000

459) Jewish Telegraphic Agency. Where Judaism and Rockefellerism Join: Meet the Rockefeller-growalds. https://www.jta.org/archive/where-judaism-and-rockefellerism-join-meet-the-rockefeller-growalds

460) Stephen Birmingham. The grandees: America’s Sephradic elite. Open Road Integrated Media New York.

461) The Rockefeller family secret Jews! http://www.israelect.com/reference/WillieMartin/NEWS-11.htm

بمثابة وكيل لأسرة روتشيلد اليهودية في السيطرة على اقتصاد أمريكا. وكانت "الصاعقة" Thunderbolt أول منشور يلفت انتباه الرأي العام إلى **الأصل اليهودي لنائب الرئيس الأمريكي السابق نيلسون روكفيلر. وهذا يفسر لماذا كان يخدم دائما مصالح اليهود على طول الخط، ولماذا كانت إدراته مكتظة باليهود من القمة إلى القاع لما كان حاكما لنيويورك، ولماذا كان مديرو حملته الانتخابية على الدوام من اليهود.**

ومجلس العلاقات الخارجية أنشيء بتمويل من عائلة مورجان. فقد كان الرئيس المؤسس له (جون دابليو ديفيز) هو المحامي الشخصي لجي بي مورجان. وكان أول رئيس له رَسِل ليفينجويل، الذي يعد أحد شركاء مورجان. وأغلب أعضاء مجلس العلاقات الخارجية الأوائل كاونوا على صلات بمورجان بطريقة أو بأخرى. وكان التمويل للمجلس يأتي من المصرفيين والممولين مثل مورجان وروكفلر وبرنارد باروخ[462] وجاكوب شيف[463] وبول واربيرج[464] وأوتو كاهن[465]. **وآخر أربعة من هؤلاء الممولين من اليهود.** واليوم يأتي التمويل من المؤسسات الكبرى مثل زيروكس وجنرال موتورز وبريستول ميار ومؤسسة فورد وصندوق الإخوة روكفلر وغيرهم[466].

وقد لعبت أسرة روتشيلد اليهودية دورا رئيسيا في إنشاء منظمة بيلدربرج، فالقوة الدافعة الرئيسية لاجتماعات بيلدربرج جاء من الأمير الهولندي بيرنارد جوليوس الذي كان مالك أسهم رئيسيا، وموظفا رئيسا في شركة "شل أويل" **مع البريطاني لورد فيكتور روتشيلد.** وبعد أن غزا الألمان هولند انتقل إلى لندن. وهناك بعد الحرب **شجع روتشيلد** وريتينغر الأمير بيرنارد على خلق مجموعة بيلدبيرج. وقد ترأس الأمير شخصيا هذه المجموعة حتى عام 1976م. ومنذ عام 1991م ورئاسة بيلدربرج في قبضة البريطاني اللورد بيتر كارينجتون، الوزير السابق، والسكرتير العام للناتو، ورئيس المعهد الملكي للشئون الدولية، وهي منظمة شقيقة لمجلس العلاقات الخارجية. وكان كارنجتون على **ارتباط بإمبراطورية روتشيلد المصرفية من خلال أعماله**

---

462) Bernard Baruch. Jewish Virtual Library. https://www.jewishvirtuallibrary.org/bernard-baruch
463) Jacob Henry Schiff. Jewish Virtual Library. https://www.jewishvirtuallibrary.org/jacob-henry-schiff
464) The U.S. Federal Bank Reserve's Jewish Origins. HAARETZ. November 30, 2015. https://www.haaretz.com/jewish/2015-11-30/ty-article/u-s-federal-bank-reserve-a-jewish-story/0000017f-f42c-d47e-a37f-fd3cdd110000
465) Otto Hermann Kahn. Jewish Virtual Library. https://www.jewishvirtuallibrary.org/kahn-otto-hermann
466) الحكم بالسر. صفحة 57.

التجارية والزواج[467]. وكتب الصحفي جيمس بي تاكار الذي تابع بإلحاح البيلدربيرجرز لسنوات فقال: إن برامج بيلدربيرج هي إلى حد كبير ذاتها الخاصة بالمجموعة الأخوية "الهيئة الثلاثية"...المنظمتان لهما قيادة وشيجة ومعشقة بعضها مع بعض ورؤية مشتركة للعالم. **ديفيد روكفلر** أسس الهيئة الثلاثية، ولكنه أيضا يشارك في السلطة والنفوذ في منظمة بيلدربرجرز الأقدم **مع آل روتشيلد** البريطانيين والأوربيين[468]. وتؤكد الموسوعة البريطانية أن **ديفيد روكفلر** حضر اجتماع بيلدربرج وساهم فيه ماليا.[469]

وذكر المؤلف وضابط المخابرات السابق الدكتور جون كولمان أن مؤتمر بيلدربرج إنما هو من إنشاء المخابرات الحربية البريطانية (إم آى سيكس MI6)[470]بالتعاون مع المخابرات المركزية الأمريكية. [471] وهنا يجب أن نتذكر ما قلناه منذ قليل من أن كل مديري المخابرات الأمريكية تقريبا ينتمون للمنظمات السرية. ويمكننا أن نستشف البرنامج الحقيقي لبيلدربرج من خلال تصريح الأمير برنارد: «إن من الصعب إعادة تثقيف الناس الذين تمت تربيتهم على القومية وإقناعهم بفكرة التخلي عن جزء من سلطانهم الخاص من أجل جسد فوق قومي....» [472] **وهذا التصريح يدل على أن بيلدربرج ترمي لتحقيق فكرة الحكومة العالمية التي يتبناها اليهود.**

وكما لوحظ فإن أهم المنظمات السرية السياسية (مجلس العلاقات الخارجية والهيئة الثلاثية ومؤتمر بيلدربيرج) تتفق على المناداة بفكرة الحكومة العالمية، وهي فكرة يهودية ماسونية معروفة. **وتوحيد العالم من وجهة نظرهم لا يعني تجميع الشعوب المتنافرة، وتحقيق التآلف بينها، بل يعني توحيد الشعوب تحت سلطة حاكم واحد هو اليهود، ودين واحد هو عبادة الشيطان**[473].

إن **الناس لا تدرك مدى خطورة الحكومة العالمية أو العولمة.** العولمة تعني إلغاء الهوية الوطنية. وهذا **سيجعل الإنسان مهيئا لتقبل حكم الأجنبي حتى لو كان يهوديا أو عابدا**

---

467) **الحكم بالسر.** صفحة 67-68.
468) **الحكم بالسر.** صفحة 68.
469) Encyclopedia Britannica. "David Rockefeller". 8 Jun. 2022, https://www.britannica.com/biography/David-Rockefeller. Accessed 20 January 2023.
470) Military Intelligence, section 6
471) **الحكم بالسر.** صفحة 68.
472) **الحكم بالسر.** صفحة 69.
473) في إطار هذه الحكومة العالمية يقوم اليهود بمحاربة الأديان الكبرى، وهدم الأخلاق، ونشر الشذوذ، والفكر النسوي. وبهذا يحقق إبليس هدفه من خلال اليهود، ويحقق اليهود هدفهم من خلال إبليس لأن عبادة الشيطان ستدمر البشرية روحيا وماديا. وهكذا استعمل اليهود الشيطان، واستعمل الشيطان اليهود. وصدق الله تعالى حين أخبرنا أن الشيطان استمتع بالإنسان، والإنسان استمتع بالشيطان: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَامَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} [الأنعام: 128].

للشيطان. والعولمة تعني أن هناك منظومة عالمية للقيم ستُفرض على كل الشعوب، ومن واجب كل إنسان أن ينسى دينه الذي رباه عليه والداه، ليخضع للمبادىء التي أقرتها المنظمات والمواثيق الدولية. فإن كان دينه يحرم الزنا، فعليه أن يتقبل الزنا لأن المواثيق الدولية تبيحه. وإن كان دينه يجعل الرجل قواما على المرأة، بينما تقولة اتفاقية السيداو الدولية أن المرأة والرجل ندان داخل الأسرة، فعلى المسلم أن يكذب دينه، ويصدق السيداو. ومن خلال العولمة ستجبر كل الشعوب على تقبل الشذوذ الجنسي.

وهكذا فالكل يخضع للحكومة الخفية المرعبة بما فيهم رؤساء الدول، الذين **ينجحون إن أرادت الحكومة الخفية أن ينجحوا، ويسقطون إن أرادت لهم الحكومة الخفية أن يسقطوا.** وكثيرا ما تساند الحكومة الخفية حاكما –رجلا أو امرأة– ثم تسقطه إن تمرد عليها. وإليكم بعض الأمثلة:

1– **بيل كلينتون:**

في عام 1991م تم تكريم **بيل كلينتون** حاكم ولاية أركانساس في اجتماع بيلدبرج الفائق السرية. وفي العام التالي رُشح كلينتون رئيسا لأمريكا، وفاز في الانتخابات[474].

2– **هيلاري كلينتون:**

كانت هيلاري كلينتون زوجة بيل كلينتون. وطبقا لصحيفة سبوتلايت The Spotlight – التى تغطي مؤتمرات بيلدربيرج السرية– فإنه في عام 1997م حضرت هيلاري كلينتون (زوجة بيل كلينتون) اجتماع بيلدربيرج باعتبارها أول سيدة أمريكية تنال هذا الشرف، وبعد ذلك صعد نجمها في عالم السياسة، وأوشكت أن تصبح رئيسا لأمريكا[475].

3– **توني بلير:**

حضر توني بلير اجتماع بيلدربرج. وبعدها صار رئيسا لوزراء بريطانيا. في تقرير ل (بي. بي. سي) عن اجتماع بيلدربرج نقرأ: «ولا توجه دعوة الحضور كل عام إلى من يتربعون على قمة المجتمع فحسب، **بل أيضا إلى من هم في طريق الصعود إلى القمة.** وعندما **حضر بيل كلينتون** في عام 1991، لم يكن من الواضح آنذاك أنه سيفوز بترشيح الحزب

474) الحكم بالسر. صفحة 66.
475) الحكم بالسر. صفحة 66.

الديمقراطي في انتخابات الرئاسة في العام التالي، وبغض النظر أيضا عن أنه كان سيحل محل جورج دبليو بوش في البيت الأبيض. وحضر توني بلير في عام 1993، ولم يكن بعد زعيما لحزب العمال البريطاني، وهو المنصب الذي تولاه في العام التالي، عقب وفاة جون سميث، ثم إنه انتخب بعد ذلك بثلاث سنوات رئيسا للوزراء»[476]. ووصف ماكبث لائحة ضيوف بيلدربرج بأنها «لائحة دولية من أبرز الأثرياء ذوي النفوذ والقوة.... مرة في السنة يجتمع ال 120 رجل وامرأة من الذين لهم مصداقية لوضع بيل كلينتون في المكتب الرئاسي البيضوي وبإخراج الليدي مارجريت تاتشر من رقم 10 داونيننج سترتي؛ يجتمعون لمناقشة أحداث العالم، أو كما يزعم البعض لاحتكارها». وقد نقل بأن واحدا من قرارات اجتماعات بيلدربيرج لعام 1998م كان تشجيع رئيس الوزراء البريطاني توني بلير ليضغط بشكل أشد من أجل دخول بريطانيا في الاتحاد الأوربي المتنامي، الخطوة التي نظر إليها بارتياب من قبل سلفه مارجريت تاتشر. وربما مضى بلير بعيدا في هذه الخطة ليقلل من استقلال بريطانيا[477].

4- الرئيس الفرنسي ماكرون:

يعتقد الكثيرون أن إيمانويل ماكرون عميل لعائلة روتشيلد اليهودية، التي لولاها ما وصل إلى الحكم، إلى حد أن أطلق البعض على ماكرون لقب "الرئيس روتشيلد"[478]. وقد تزعم الحملة ضد ماكرون الزعيمة اليمينية مارين لوبان التي اتهمت ماكرون بأنه عميل لروتشيلد لأنه عمل في إحدى شركات روتشيلد من عام 2008 حتى 2012م. وهجوم مارين لوبان بدأ على ماكرون لأول مرة حين أصبح فجأة وزيرا للاقتصاد في حكومة ساركوزي عام 2012م. حينئذ قالت لوبان لأنصارها الملوحين بالأعلام: «عدو الشعب الفرنسي اليوم هو عالم المال. لكن هذه المرة هذا العالم لديه وجه، ولديه اسم...هو يدعو إيمانويل ماكرون».[479] وما يجعلنا نميل لتصديق هذه الاتهامات أن ماكرون من أكثر رؤساء فرنسا كرها للإسلام. والمسلمون

---

476) بيلديربيرغ: منظمة غامضة تضم صفوة العالم. بي بي سي نيوز عربي. 30 مايو 2019م.
https://www.bbc.com/arabic/features-48457530

477) الحكم بالسر. صفحة 70.

478) JTA. French Jewish leader blasts politician whocalled Macron ‘President Rothschild’. *The Times of Israel*. 31 August 2018

479) David Clay Large. Emmanuel Macron Is About to Face Five Years of Crazy Rothschild Conspiracy Theories. *Foreign Policy.* MAY 18, 2017. https://foreignpolicy.com/2017/05/18/emmanuel-macron-is-about-to-face-five-years-of-crazy-conspiracy-theories/

في العالم كله يبادلونه نفس الشعور. وهذا يجعلنا نصدق ما قيل عن علاقته بعائلة روتشيلد اليهودية، فلا أحد يكره الإسلام بهذا الشكل الغريب أكثر من اليهود، ومن شايعهم. وفضلا عن ذلك فمارين لوبان لا تهاجم ساركوزي وروتشيلد حبا في الإسلام، فعلاقتها بالمسلمين ليست على ما يرام[480].

5-نابليون:

هل تتصور أن نابليون بونابرت كان صنيعة اليهود؟ في كتاب خطير اسمه "حكومة العالم الخفية"[481] ذكر "شيريب سبريدوفيتش" كيف أن إنجازات نابليون ترجع أساسا لتأييد اليهود والماسونيون له في البداية، وأن خيانة اليهود له فيما بعد كانت السبب في هزيمته في معركة "ووتر لو" الشهيرة، والقضاء على مستقبله.

كان نابليون فقيرا إلى درجة أنه كان لا يستطيع أن يدفع أجرة غسيل ملابسه. وفي الوقت الذي كان يطرق جميع الأبواب مفتشا عن عمل كان أمشيل (روتشيلد) قد سئم من عدم قدرة وايزهاوبت (زعيم الماسون عبدة الشيطان) على القتل الجماعي، وأخذ يبحث عن مقاتل موهوب، فوجد له تاليران نابليون. فالمزاج الكورسيكي الملتهب **والاستعداد لقتل أي عدد من البشر حربا أو سلما جعلا نابليون البطل المحبب للأسرة اليهودية الحاكمة الجديدة**، لا سيما وأن الشعب الفرنسي قد بدأ يمج قتل بعضه بعضا وينبغي إيجاد ذريعة أخرى للقتل الجماعي بجانب "الحرية والمساواة والإخاء".

ويقول سبيريدوفيتش أن إمكانية تنفيذ رغبة الشيطان بقتل ملايين المسيحيين بواسطة نابليون والرغبة في إسقاط الكنيسة المسيحية أسكرتا أمشيل، لذلك أعطى أوامره في الأقطار الخمسة التي أورثها لأبنائه من بعده، إلى **أصحاب البنوك اليهود وكل الجمعيات السرية لمساعدة نابليون بشتى الوسائل...** وبذلك أصبح تدمير الكنيسة المسيحية العالمية وإذلال البابا بواسطة نابليون رغبة ملحة عند كل اليهود في كل الأقطار كشرط ضروري لظفر الشيطان

---

480) **مارين لوبان تحدث ضجة كبيرة بتصريحاتها المناهضة للمسلمين.** فرانس 24. 2010/12/13.
https://www.france24.com/ar/20101213-france-marine-lepen-far-right-racist-statement-islam-nazism-regime

481) **"حكومة العالم الخفية".** تأليف شيريب سبيريدوفيتش. ترجمة مأمون سعيد. تقديم وتحرير: أحمد راتب عرموش. صفحة 92-108، وصفحة 54-65. دار النفائس. بيروت- لبنان. الطبعة التاسعة.

بكل الممالك. وهذا ما يفسر **لم بدت نجاحات نابليون كالمعجزات، وكأنما هو رجل فوق البشر.**

وقد ساعدت شهرة نابليون بالقسوة وعدم الرحمة على اختياره من قبل أمشيل. وبفضل المجازر التي قام بها أحرز الدرجة الثالثة والثلاثين في الحركة الماسونية. وهكذا **خلقت قسوة نابليون منه صنما ماسونيا معبودا.** وقد انتخب نابليون قنصلا أول بأغلبية كاسحة. **وتلك الأكثرية الساحقة في الأصوات هي نتيجة ما دفعه روتشيلد من مال.**

ومما يؤكد العلاقة الخفية بين نابليون واليهود الخدمات الجليلة التي قدمها نابليون لهم. ففي مقال جاد لأنتوني جى جيروليس (جامعة شيكاغو) وجون فورنير (جامعة نورثويستيرن)[482] يقول كاتبا المقال أن **نابليون قدم للشعب اليهودى أكثر مما قدمه أي زعيم سابق كما أكد الكولونيل الكندي اليهودي بِن وَيدر الذي شارك في الحرب العالمية الثانية.** لقد ألغى نابليون الضرائب الخاصة التي كانت مفروضة في ألمانيا على اليهود، ومنحهم لأول مرة المساواة المدنية والدينية والسياسية. وفي خطاب بتاريخ 1799م موجه للشعب اليهودي من الزعيم الفرنسي أعلن نابليون الحق غير المحدود لعبادة يهوا (اسم الله عند اليهود) بما يتفق مع عقيدتهم. وقد اعترف يهود فرنسا بفضل نابليون، الذي أعاد حقوقهم بعد أن كانوا يعيشون منبوذين، يقاسون الفصل العنصري داخل "الجيتو"، فقاموا بطباعة صلاة خاصة تتضمن مدحا وتقديرا لإمبراطور فرنسا. **وفي الخطاب الذي وجهه نابليون للشعب اليهودي عام 1799م توقع نابليون خلق دولة إسرائيل،** وهو ما تحقق بعد قرن ونصف في عام 1948م. يقول نابليون: «**إن شعبا بقى متمسكا بهذا الشكل بجذوره وماضيه، وظل لقرون طويلة يشعر بالفاجعة على فقدها سينتهي به الحال بالتأكيد إلى استعادة ما سُلب منه)**» .

وفي ختام المقال السابق يقول المؤلفان: «إن حلم نابليون بنجاح اليهود، وتوقعه تأسيس وطن يهودي أمر موثق. فشكرا لبن ويدر لانه جعلنا نعرف أن نابليون كن حقا أفضل أصدقاء اليهود في أوربا».

---

482) **Anthony J Geroulis and John Fournier.** Napoleon, the Liberator of the Jewish People. The American Journal of Cosmetic Surgery Vol. 26, No.1, 2009

ورغم أن المقال ورد في المجلة الأمريكية لجراحة التجميل إلا أنه مقال تاريخي بحت، وعلاقته بالطب تتمثل في أن أحد مؤلفي المقال يتبنى نظرية اغتيال نابليون بسم الزرنيخ.

وفي كتاب (الحروب ضد نابليون: دحض أسطورة الحروب النابليونية)[483] للجنرال "ميشيل فرانسيشي" و "بِن وَيدر" ذُكر أن نابليون تمنى إعادة بناء هيكل اليهود، حيث قال في أحد خطاباته: «إن سياستي أن أحكم البشر بالطريقة التي تتمنى الأغلبية أن تُحكم بها. وهذه وسيلة للاعتراف بسيادة الشعب. فحين انتصرت في موقعة "فيندي" كنت كاثوليكيا. وحين سيطرت على مصر كنت مسلما. وعندما توليت حكم إيطاليا كنت ألترامونتين ultramontaine (مؤيدا لسلطة البابا في العقيدة). **وإن حكمت اليهود سأعيد تأسيس هيكل سليمان».**

وقليل من يعرف أنه في مدينة عكا في أبريل عام 1799م أوشك نابليون على خلق دولة يهودية في فلسطين قبل تأسيس دولة إسرائيل ب 150 عاما. فقط نقص النجاح العسكري منعه من تنفيذ هذا المخطط، الذي إن حدث فربما غير وجه العالم. وفي عام 1708م أعاد نابليون تكوين المجلس اليهودي الديني الأعلى المسمى "السنهادرين" The Great Sanhedrin (الذي لم يجتمع منذ عام 70م)، فتعرض نابليون لعداء شديد من الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الأرثوذكسية وقيصر روسيا، ودفع ثمنا باهظا لذلك. وبعد سقوط نابليون عاد اليهود للأوضاع المزرية، ولم يستردوا حقوقهم في فرنسا إلا عام 1830م[484].

لكن نابليون بعد هنيهة فهم –كما أكد كتاب حكومة العالم الخفية– أن اليهود جبلوا على الأذى الرهيب، فأصبح لا ساميا. لقد اكتشف آمشيل روتشيلد نابليون بواسطة ميرابو وتاليران، **ودعمه دعما شديدا لما رآه عدوا صلبا للكثلكة، وقاتلا للمسيحيين لا مثيل له. غير أن آمشيل استاء عندما وجد نابليون في التنظيمات الكاثوليكية وسيلة صالحة لتقوية سلطته، فاعاد الكنيسة الكاثوليكية إلى فرنسا،** وبدأ يخدم الله والإنسان. ولما أصبح امبراطورا رغب في معاملة الأمم كأبنائه المحبوبين. لقد فهم الامبراطور الصغير سريعا أن محاربة الكنيسة ستدمر وطنه، ولهذا رغب في نقل مركز البابوية إلى باريس، وجعل البابا رئيسا للمجلس الامبراطوري حتى يصهر كل فتوحاته في بوتقة واحدة مما أثار غضب الماسونيين، فعملوا

---

483) General Michel Franceschi and Ben Weider. The Wars Against Napoleon: Debunking the Myth of the Napoleonic Wars. Translated by Jonathan M. House. Published by Savas Beatie. New York and California.2008.

484) The Wars Against Napoleon: Debunking the Myth of the Napoleonic Wars.

على توريط نابليون في صراع مع البابا وإفساد مخطط التقارب الفرنسي الإيطالي الذي يستطيع أن يوقف مخطط اليد الخفية. "لقد أدى البربري غرضه، فيجب أن يذهب" هكذا كان تفكير عنكبوت فرانكفورت.

كان نابليون واقعا تحت تأثير الماسونية في أيامه الأولى، ووعدهم بتنفيذ جميع رغبات اليهود، وأصبح رجلهم المفضل، ولما أصبح امبراطورا ظن نفسه "رجل القدر"، ووجد من الخير إصلاح اليهود واستيعابهم. وفي آذار 1808م أوضح نابليون أنه لن يتبع نصائح الماسونية الخاضعة لسيطرة اليهود في مخططاتها المعادية للمسيحيين، وطلب من الحاخامين أن يعاونوه، وذلك بأن يعملوا كنوع من ضباط الشرطة. **ثم عدد نابليون جرائم اليهود البشعة في المجلس الامبراطوري بطريقة قاسية، فكان ذلك تحديا لليد الخفية التي قبلت التحدي. ومما قاله نابليون: "يجب ألا ننظر إلى اليهود كعنصر متميز بل كغرباء، وسيكون إذلالا مرا لنا أن نُحكم بهؤلاء، وهم أذل شعب على وجه الأرض**". وكتب إلى أخيه جيروم ملك وستفاليا: "**ما من عمل أكثر خسة يمكنك فعله أكثر من استقبالك لليهود... لقد قررت إصلاح اليهود، ولكنني لا أريد زيادتهم في مملكتي، ولقد فعلت كل ما يمكن أن يبرهن عن احتقاري لأحط شعب على الأرض**". وقد قام النورانيون بمحاولة اغتيال نابليون مرتين، لكنهم فشلوا.

وقد سبب الروتشيلديون عن طريق عدد لا يحصى من شيعتهم والماسونيون صعابا لا يستهان بها ومشاكل مستمرة لنابليون، ليس فقط مع البابا، وإنما مع ملوك أوربيين آخرين أيضا. وقد أفسد الروتشيلديون على نابليون حملة سنة 1812م بسوء تنظيم إمدادات طعامه. وفي الوقت الذي بدأ جيشه تراجعه عن موسكو أمر اليهود بقتل الجرحى ومتضرري الصقيع من جنوده. وقد نفذت الأوامر بكل قسوة، وقتل مئات الألوف من المسيحيين.

وهناك وثائق في دار المحفوظات الوطنية بباريس تثبت أن جيمز وناثان الروتشيلديين كانا منهمكين في وضع كل أنواع المؤامرات والخطط للقضاء على نابليون، فنصحه الأمير دي اكموهل باعتقال كل الروتشيلديين الذين يعبرون حدود امبراطوريته. وكان لدى وزير الشرطة هذا مراسلات لا تحصى عن نشاط الروتشيلديين الذين استغلوا نفوذ المنتخب الهسي في

ألمانيا. لقد كانت مؤامرة واضحة استهدفت نابليون، بيد أنه برحمة مستغربة لم يرغب في اعتقال المدبرين الأساسيين لها في فرانكفورت وقتلهم مثل ما فعل مع الدوق دانجين.

وقد بقيت معركة واترلو سرا غامضا بالنسبة للرابحين والخاسرين على السواء، يحار المؤرخون في تفسيرها، ذلك لأنهم أهملوا في تفسيرها أعمال الروتشيلديين الذين حفروا كالأرانب الأساسات التي كانت تقوم عليها قوة نابليون. ولم ينتبه كثيرون منهم إلى تصريحات نابليون في منفاه، ومنها قوله: "**لم يساعدني سولت نائبي في القيادة في معركة واترلو كثيرا... فمعاونوه بالرغم من كل أوامري لم ينظموا... لِمَ لم يحفظ النظام في غيماب؟**"

لقد أهمل نابليون دور الروتشيلديين، ومهد الطريق أمام اليهود، فاحتلوا المناصب العليا في امبراطوريته. **إن ما يوضح تصرفات سولت كونه يهوديا، فهو يطيع أوامر الروتشيلديين، لا أوامر نابليون.** لقد منحه نابليون رتبة مارشال، وعينه دوقا لدالماسيا، وأغدق عليه الملايين، ورغم ذلك فقد خان سولت امبراطوره.

لقد ساعد الروتشيلديون نابليون طالما كان يشعل الحروب، ويعمل على تحطيم الكنيسة، ولما أصبح حاكما صالحا، وقبض على السلطة، وحارب اليهود قرروا تدميره، وباعتبارهم إحدى ركائزه سهل عليهم القضاء عليه كما فعلوا بقيصر ألمانيا.

6- **هتلر:**

لم أكن أتخيل يوما أن الزعيم النازي هتلر -ذلك الطاغية المرعب- كان مجرد واجهة دفع بها تيار خفي ليحقق أهدافه. كانت البداية حين **قرأت لحنا أبي راشد -عميد الطرق الماسونية المثالية العالمية- يقول أن هتلر كان ماسونيا**[485]. والماسونية كما نعرف أكبر تنظيم سري في العالم. معنى ذلك أن هناك جهة خفية هي التي أوصلت هتلر للحكم.

---

485) **دائرة المعارف الماسونية المصورة: صفحات جديدة في تاريخ الإنسانية.** تأليف حنا أبي راشد. صفحة 27. منشورات مكتبة الفكر العربي ومطبعتها. الطبعة الأولى- بيروت- 1961م.

وفيما بعد عثرت على كتاب شديد الأهمية لنيكولاس جودريك كلارك عنوانه "**الجذور الخفية للنازية**"[486] Occult Roots of Nazism، وعنوانه الفرعي (الطوائف الآرية السرية وتأثيرها على الأيدلوجية النازية). ويروي هذا الكتاب بالتفصيل كيف أن ألمانيا في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين شهدت انتشارا واسعا لتيار قومي، يتمسك بالقومية الألمانية، ويمجد الجنس الآري، ويكفر بالمسيحية، ويعادي اليهود، ويدعو للعودة إلى الأديان الألمانية الوثنية القديمة، التي تؤمن بتعدد الآلهة وتناسخ الأرواح، وتتضمن ممارسة السحر. ومن أهم رواد هذه النزعة الخرافية الأديب "لِيست"[487] Guido von List و"لانز"[488] Jorg Lanz von Liebenfels. وانتشرت جمعيات كثيرة تؤمن بهذه الخرافات[489]. **ومن أهم الجمعيات الشيطانية التي انتشرت في ألمانيا جمعية (ثول) Thule، التي نشأ من رحمها الحزب النازي، الذي تزعمه هتلر.**

ومؤسس منظمة ثول هو رجل ماسوني يدعى سيبوتيندورف[490] Baron Rudolf von Sebottendorff الذي ولد عام 1875م. وقد استهواه التصوف المنحرف في تركيا وكذلك أسرار الأهرامات الفرعونية. ثم تعرف على أسرة ترمدي Termudi، **وهي أسرة يهودية ماسونية** من أصل يوناني، تمتلك بنكا. وكان عائل الأسرة الأكبر متفرغا لدراسة القبالا (نوع من التصوف اليهودي)، فقام بإدخال سيبوتيندورف إلى المحفل الماسوني التي تنتمي إليه الأسرة في بيرسا[491]. ومن الناحية السياسية مال سيبوتيندورف إلى معاداة الديمقراطية والشيوعية. وفي عام 1916م التحق سيبوتيندورف بجمعية اسمها "النظام الألماني"[492]. وقد أثار زعيم هذه الجمعية في نفسه افتتانا بالحروف الرونية Runes (الأبجدية الألمانية القديمة)، وقال له أن أسرار هذه الحروف وقواها السحرية خفيت عن الألمان لأن عرقهم تلوث بالاختلاط بالشعوب الأخرى، خاصة اليهود، وأن نقاء العرق الألماني سيعيد إليهم هذه المعرفة الباطنية. وقد عمل سيبوتيندورف بنشاط كبير في الدعوة لجمعية النظام الألماني.

---

486) Nicholas Goodrick-Clarke. The Occult Roots of Nazism: Secret Aryan Cults and their Influence on Nazi Ideology. Published in 2004 by Tauris Parke Paperbacks. Reprinted in 2005. London.

487) The Occult Roots of Nazism. Page 33.

488) The Occult Roots of Nazism. Page 90.

489) يلاحظ المرء تعدد هذه العقائد، وكثرتها، وتداخلها، وتنقل معتنقيها بحرية بين شتى أنواع المذاهب الباطنية كالقبالا اليهودية، والهندوسية والماسونية والعقائد المصرية القديمة والباطنية والتصوف. وكأنهم يقولون أهلا بكل عقيدة تتضمن الكفر والسحر، وتخلو من العقل والمنطق.

490) The Occult Roots of Nazism. Page 135.

491) ربما كان هذا المحفل الماسوني - كما يقول نيكولاي جودريك كلارك- أحد كوادر جماعة الاتحاد والترقي التركية التي أسست على النموذج الماسوني بواسطة أتراك سالونيكا. وفي القسطنطينية بتركيا كان سيبوتيندورف يعطي دروسا في موضوعات باطنية في منزلة، ثم أسس محفلا صوفيا في عام 1910، وكتب دراسة عن الطريقة البختشية الصوفية، التي يعتقد أنها على علاقة بالماسونية الأوربية.

492) Germanenorden

وفي عام 1918م أصدرت الجمعية – بناء على اقتراح سيبوتيندورف– مجلة شهرية تابعة لها، كما عُين سيبوتيندورف سيدا لإقليم بافاريا[493].

ومع زيادة أعضاء هذه الجمعية السرية في عام 1918م تم تبني اسم (جمعية ثول) كبديل لاسم (جمعية النظام الألماني)، تجنبا لغضب الاشتراكيين وأنصار الجمهوريين. وفي عام 1918 قامت ثورة شيوعية في ألمانيا، يتزعمها صحفي يهودي[494]، فهب سيبوتيندورف **ليلقي خطبة حماسية، تضمنت تأكيده على الإيمان بالآلهة الألمانية الوثنية القديمة.** وقاومت جمعية ثول بالصحافة والسلاح تلك الثورة التي أطاحت بحكام من جنس ألماني على أيدي أعداء ألمانيا من اليهود،[495]. وتعرضت ثول للقمع والملاحقة إلى أن سقط الانقلاب عام 1919م. وأثناء الثورة الشيوعية استضافت جمعية ثول أعضاء المنظمات السرية القومية völkisch الأخرى، ومنهم جوتفريد فيدر، وألفريد روزنبرج، وديتريش إيكارت، ورودلف هيس، **وكلهم سيبرزون كقادة في الحزب النازي.**

وفي عام 1918م حاول سيبوتيندورف أن يستميل لعضويل ثول الطبقات العاملة بأن أوكل إلى محرر رياضي اسمه كارل هارير مهمة تكوين دائرة عمالية، فأصبح كارل هارير هو رئيس هذه الدائرة، وكان أنشط أعضائها أنتون دريكسلر، الذي حث على **تكوين حزب اسمه "حزب العمال الألمان"** عام 1919م، الذي تحول عام 1920 إلى **"حزب العمال الألمان القومي الاشتراكي" أو الحزب النازي.** ثم ترك سيبوتيندورف جمعية ثول في يونيو 1919م بسبب اتهام أعضائها له بالإهمال والتسبب في مقتل سبعة من أعضائها أثناء الثورة. وعند هذه النقطة توقف نشاطه السياسي، فاتجه للتأليف في العقائد الخرافية.

---

493) في نفس العام التقى سيبوتيندورف بفنان اسمه والتر نوهوس Walter Nauhaus، الذى كان معجبا بالقبالاه اليهودية والاعتقادات الهندوسية والمصرية القديمة. وقد لعب والتر نوهوس دورا كبيرا في تجنيد الشباب للمنظمة السرية.

494) قاد الثورة صحفي يهودي من دعاة السلام اسمه كيرت إيسنر Kurt Eisner

495) ألقى سيبوتيندورف الخطبة الحماسية التالية عقب وقوع الانقلاب: «بالأمس شهدنا انهيار كل شيء مألوف وعزيز وغال علينا. فبدلا من أمرائنا من ذوي الدم الألماني حكم عدونا القاتل: يهوذا. ماذا سيأتي من وراء هذه الفوضى؟ لا نعرف بعد. لكن يمكننا أن نتكهن. سيأتي زمن يتسم بالصراع، وبأقسى درجات الحاجة، إنه قت الخطر.... وطالما أنني أمسك بالمطرقة الحديدية فأنا مصمم على أن أعد جمعية ثول بهذا الصراع. إن نظامنا نظام ألماني، وولاؤنا أيضا ألماني. وإلهنا هو (والفاتر) Walvater، والحرف الروني الخاص به هو آر (Ar-rune)، والثالوث: (وتان Wotan)، و(ويلي Wili)، و(وي We) هو وحدة الثالوث. وحرف الآر الروني يشير إلى النار الآرية البدائية والشمس والنسر. وطائر العُقاب هو شعار الآريين. ومن أجل تصوير قدرة العُقاب على التضحية بالنفس بواسطة النار فإنه يُلون باللون الأحمر. ومن الآن فصاعدا سيكون رمزنا هو النسر الأحمر الذي ينبهنا أننا يجب أن نموت لكي نعيش».

وإشارة سيبوتيندورف إلى حرف الآر الروني (Ar-rune) والبعث الصوفي لطائر العقاب، الذي يجب أن يكون الشعار العسكري للآريين هي دليل على وجود تأثير لا ينكر ل (ليست). ففي عام 1908 زعم ليست أن حرف الآر الروني يدل على الشمس، والنار البدائية، والآريين، والعقاب. أما التلميح إلى موت العقاب وبعثه فهو رمز ألماني إلى إعادة البعث. كما وصف "ليست" الثالوث (ولتان وويلى ووي) في دراسته الكونية عام 1910م.

وبعد عدة شهور من سيطرة النازيين على الحكم عام 1933م ألف سيبوتيندورف كتابا عنوانه (قبل أن يأتي هتلر: السنوات المبكرة للحركة النازية)، وفيه يروي تفاصيل نشاطه في بافاريا أثناء الحرب والثورة، ويؤكد أن **النازية كانت تتويجا لرحلة كفاح طويلة بدأتها الجمعيات السرية**، حيث قال: «**كان أعضاء جمعية ثول هم الأشخاص الذين اتجه إليهم هتلر أولا، وهم الذين تحالفوا أولا مع هتلر.** وقد تكون سلاح الزعيم القادم – بالإضافة إلى جمعية ثول نفسها– من رابطة العمال الألمان Deutsckr Arbeiterverein التى أُسست في جمعية ثول بواسطة الأخ كارل هارير في ميونيخ والحزب الاشتراكي الألماني –Deutsch Sozialistische Partei الذي رأسه هانز جورج جراسينجر، وكان لسان حاله صحيفة المراقب الألماني Miinchener Beobachter التى أصبحت فيما بعد صحيفة "المراقب القومي" Volkischer Beobachter. ومن هذه المصادر الثلاثة خلق هتلر حزب العمال الاشتراكى الوطنى (الحزب النازي)»

ويصدق نيكولاس جودريك كلارك على هذا الكلام قائلا: "**ولا شك أن تصريح سيبوتندورف بأنه قدم الأساس الصحفي للحزب النازي صحيح تماما**"[496].

ومن الخطأ أن يتصور البعض أن جماعة ثول شيء والحزب النازي شيء مختلف تماما، فقد لاحظ الدارسون للشأن الألماني وجود تناغم فكري واضح بينهما، **وهذا يتجلى في اتفاقهما على نفس الشعار، ألا وهو الصليب المعقوف.** وقد اشتهر فريدريك كروهن Friedrich Krohn عضو حزب العمال الألمان (الذي صار فيما بعد الحزب النازي) والعضو السابق في جمعية ثول وجمعية النظام الألماني كخبير في الأدبيات القومية، وقد جمع أكثر من 2500 كتاب من هذه الأدبيات كي يستخدمها أعضاء الحزب. وفي عام 1919م اقترح كروهن في مذكرة أن يكون شعار الحزب هو الصليب المعقوف لليسار (أى مع اتجاه عقارب الساعة) مثل شعار المنظمات السرية الألمانية الأخري. واختار كروهن أن يكون لون الصليب المعقوف أسود، داخل دائرة بيضاء، على خلفية حمراء. وكان كروهن يؤمن بالتفسير البوذي لهذا الرمز، والقائل بأن الصليب المعقوف لليسار تعويذة تجلب الحظ والصحة، بينما الصليب المعقوف لليمين (ضد عقارب الساعة) ينذر بالشر والهلاك. لكن

496 **) The Occult Roots of Nazism**. Page 146.

هتلر فضل الصليب المعقوف لليمين لأنه كان الشعار المستخدم في جمعية ثول، وهو الذي استخدمه الماسوني المعروف " لِيست". وقد تغلب رأي هتلر على كروهن. وفي عام 1920 ظهر هذا الشعار علنا لأول مرة على علم الحزب النازي.

والحقيقة أن من المتوقع تماما أن يوجد اختلاف بين جماعة سرية وحزب سياسي، فالحزب يفترض أنه موجه لقاعدة عريضة من الشعب، وسيكون عليه أن يجتذب أكبر عدد من الأعضاء، وهذا مستحيل إن تتبى الحزب اعتقادات خرافية فجة لأن أغلب المواطنين في أغلب الشعوب لا تصدق الخرافات. ولهذا **فليس من الغريب أن تخفف جمعية ثول من طبيعتها الماسونية الشيطانية حين تتحول إلى حزب سياسي.**

وقد تقدم هتلر داخل حزب العمال الألمان بسرعة الصاروخ. فقد تعرف على الحزب لأول مرة في سبتمبر عام 1919م حين كان يتجسس على أنشطته لصالح الجيش. ثم التحق به، وكان وقتها حزبا صغيرا. وفي نوفمبر من نفس العام بدأ هتلر يلقي محاضرات في حضور جماهيري حاشد. وفي ديسمبر كتب مسودة بتنظيمات تمنح سلطات كاملة للجنة الحزب، وتمنع تدخل أي محفل أو دائرة أو حكومة جانبية. وكان ذلك يهدف إلى الإطاحة بهارير، الذي تنحى في يناير 1920م.

وقد تكلمت الموسوعة البريطانية[497] عن التنافس بين هتلر وزعماء حزب العمال الألمان، فقالت عن هتلر أن «دعايته وطموحه الشخصي تسببا في حدوث احتكاك مع زعماء الحزب الآخرين. وقد عارض هتلر محاولاتهم لكبح جماحه بالتهديد بالاستقالة». وذكرت الموسوعة البريطانية الأسباب التي من أجلها هزم هتلر خصومه، فقالت عن هتلر: «وبما أن مستقبل الحزب اعتمد على قدرته على تنظيم الدعاية، **والحصول على التمويل** فإن خصومه لانوا. وفى يوليو 1921 أصبح هتلر قائدهم بسلطات غير محدودة تقريبا».

وبفحص كلام الموسوعة البريطانية نجد أنها تقدم سببين لسيطرة هتلر على الحزب: أولا قدرته على تنظيم الدعاية، ثانيا قدرته على الحصول على التمويل. والسبب الأول مستبعد

---

497) **Bullock, Alan, Bullock, Baron, Knapp, Wilfrid F. and Lukacs, John.** "Adolf Hitler". Encyclopedia Britannica, 4 October 2022, https://www.britannica.comhttps://www.britannica.com/biography/Adolf-Hitler. Access Date: January 24, 2023

لأنه غير واقعي، ففي عالم السياسة لا يتنازل سياسي عن طموحاته ومركزه ومنصبه لسياسي آخر حتى إن شعر أن هذا السياسي أكثر قدرة على خدمة الحزب. هذا أمر شبه مستحيل لأنه يتطلب قدرا هائلا من إنكار الذات، لا يتوفر إلا لدي الأتقياء والنساك، ولا أظن أن أعضاء الحزب النازي من هذا النوع. والواقع يخبرنا أن الواحد من هؤلاء السياسيين سيتمسك حتى آخر رمق بزعامته للحزب اعتقادا منه بأنه أفضل من هتلر مهما بدا للآخرين خلاف ذلك. والأرجح أن زعماء الحزب قد نظروا إلى هتلر على أنه شخص غريب، وافد، متطفل على حزب، كان لهم الفضل في تأسيسه عبر ثلاثين سنة من الكفاح الفكري في جمعية النظام الألماني ثم جمعية ثول. الأرجح أن يستقيل هتلر أو يقال مع أي خلاف مع رجال الحزب. لكن الذي حدث كان غير ذلك، حيث انفرد هتلر بالحزب في غضون سنة ونصف تقريبا، وكأنه اشترى الحزب لحسابه الخاص. وهذا يؤكد أن **السبب الحقيقي لتقدم هتلر هو السبب الثاني الذي ذكرته الموسوعة البريطانية، أي قدرته على جلب التمويل للحزب.**

المال هو الشيء الوحيد القادر على إسكات الجميع. ومن شبه المؤكد أن حزب العمال الألمان ومن قبله جمعية ثول وغيرها من الجمعيات السرية كانت تتلقي تمويلا كاملا من اليهودية العالمية. ورجال هذه الأحزاب والجمعيات يدركون جيدا أنهم مجرد خدام للسيد الكبير الذي ينفق عليهم، وأنه لا قبل لهم بمعارضته إن أمر. وتقول الموسوعة البريطانية بعد ذلك أن **هتلر طلب دعما من كثير من أثرياء رجال الأعمال والصناعة الذين كانوا يتحكمون في التمويلات السياسية، وكانوا متلهفين على استخدامها لإنشاء حكومة يمينية قوية معادية للاشتراكية. وهذه المساعدات المالية التي تلقاها هتلر من رجال الصناعة وضعت حزبه على أساس مالي آمن، ومكنته من تفعيل مناشدته العاطفية** للطبقة المتوسطة الدنيا والعاطلين استنادا إلى إعلانه عن إيمانه بأن ألمانيا ستتعافي من معاناتها كي تعيد تأكيد عظمتها الطبيعية. **وصفقات هتلر مع هوجنبيرج ورجال الصناعة تقدم نموذجا على مهارته في استخدام أولئك الذين سعوا لأن يستخدموه.**

وفي كتاب (الحكم بالسر) ذكر جيم مارس أن هتلر كان مجرد رسام فاشل، تلقفه "ديتريش إيكارت"، الذي ينتمي لتنظيم ثول السري. كان إيكارت واحدا من أوائل أعضاء حزب العمال الألمان. ورغم أن دور إيكارت في تأسيس الحزب النازي قد تم تهميشه من قبل معظم

المؤرخين إلا أن هتلر قد فهم بوضوح أهمية إيكارت حيث أنهى كتابه الشهير (كفاحي) مشيدا بدوره كواحد من أفضل الرجال الذين خدموا أمته. رأى إيكارت في هتلر القائد المطواع الذي كان يبحث عنه، وسرعان ما قام بتقديمه إلى الدوائر الاجتماعية وأصدقائه المثقفين في منظمة ثول[498]. وكان من مباديء منظمة ثول معاداة اليهود، والإيمان بالعقائد الشيطانية. كتب تيرفور رافينسكروفت (وهو ضابط كوماندو سابق): "**كانت النواة الداخلية في مجموعة ثول جميعا من عبدة الشيطان، الذين يمارسون السحر الأسود**.... وكان الخبير السيد في هذه الدائرة ديتريش إيكارت"[499]. ولقد وثق جيدا كيف أن **هتلر شارك اهتمامات إيكارت في الغيبيات والعقائد الخرافية**.... وكفنان معدم في فيينا قبل الحرب العالمية الأولى سكن هتلر المكتبات ومخازن الكتب القديمة مصنفا عقله **بالمعارف والمعتقدات الغامضة** والدعاية المعادية لليهود. وكمعجب بهيجل وفلسفته درس أيضا التاريخ القديم، والديانات الشرقية، **واليوجا، والأوكلتية (عقيدة القدرة على تسخير الكائنات الخارقة)، والتنويم المغناطيسي،** والثيوسوفية والتنجيم. وبحسب رافينسكروفت فإن هتلر قد بحث عن التنوير من خلال **تناول عقاقير الهلوسة**[500]. ذكر رافينسكروفت أنه هتلر – بينما كان في فيينا– أصبح **مسكونا بما يُدعي** "**رمح القدر**". وقد قيل أنه سهم جندي روماني استخدم الرمح ليطعن به خاصرة المسيح على الصليب، ليس كعقاب، ولكن ليقصر أمد معاناته. ويزعم أن الرمح ما يزال معروضا في متحف في فيينا. لقد **تعلم هتلر من الأسطورة أن من يملك الرمح المقدس فإنه يسيطر على قدر العالم.** وعزا رافينسكروفت معرفته بهذه المعلومات إلى معلمه الدكتور جوهانسون شتاين، وهو فيلسوف من فيينا كان يعرف هتلر. وأخبر شتاين كيف أن **هتلر دخل في نشوة وغشية بينما كان يقوم بالتواصل مع هوية غير بشرية في مكان مقارب من الرمح**[501]. مهما كان العلم الذي تعلمه هتلر في فيينا فقد غيره ذلك العلم بشكل عنيف. فالذي كان فيما سبق صبي جوقة كاثوليكيا ورعا، يفكر بأن يصبح كاهنا، صار بشكل علني ضد التدين، ولقد اتهم حتى بأنه اشتغل بالشيطانية. عرض المؤلف إيبرسون تقديم هذه الصلات

---

498) "**الحُكم بالسر**" صفحة 231.
499) "**الحُكم بالسر** ". صفحة 223.
500) "**الحُكم بالسر**". صفحة 227.
501) "**الحُكم بالسر**". صفحة 228.

قائلا: "وهكذا فإن **الصليب المعقوف كان رمزا للحزب النازي. ولقد كان بشكل ما متصلا برمز لإله الشمس. وإله الشمس كان رمزا ل "لوسيفر" أو الشيطان**" [502،503].

وبينما كان إيكارت على فراش الموت عام 1923م قال: «اتبعوا هتلر. إنه سيرقص. ولكننى أنا الذي ضبطت اللحن. أنا الذي أدخلته إلى العقيدة السرية، وفتحت مراكزه في الكشف، وأعطيته الوسيلة للاتصال بالقوى». [504]

وقد كسب هتلر بسرعة إمكانية السيطرة على حزب العمال الألمان الذي سرعان ما وصلت عضويته إلى ثلاثة آلاف، وذلك بدعم من قبل تمويل وحدة المخابرات العسكرية التابعة للكابتن مائير، بالإضافة إلى أعداء الشيوعيين من منظمة ثول من خلال إيكارت. وفي 1920 غير هتلر اسم الحزب إلى حزب العمال الألمان الاشتراكيين الوطنيين، الذي تم اختصاره إلى (نازي). ثم اشترى الحزب صحيفة بتمويل من الجيش السري، ونصب إيكارت مسئولا عنها وصارت فيما بعد صحيفة يومية. منذ تلك اللحظة فصاعدا تابعت الآلة النازية طحنها بشكل عنيد لا يرحم. **ومن الواضح أن النازيين ما كان يمكن أن يوجدوا من غير دعم ومساعدة الرايخ سويهر الألماني (الجيش الألماني) ومنظمة ثول السرية**[505].

وفي الحقيقة كان رجال الأعمال الثرياء في الصناعة الغربية والدوائر المصرفية هم الذين ضمنوا نجاح هتلر. و**بعد أن خسر هتلر انتخابا شعبيا** لصالح بطل الحرب الهرِم الفيلد مارشال بول فون هيندينبرج في عام 1932م فإن **39 من قادة رجال الأعمال بأسماء مألوفة مثل كروب وسيمنس وتايسن وبوش وقعوا التماسا لهيندينبرج ملحين عليه أن يعين هتلر كمستشار لألمانيا**. هذه الصفقة التي جلبت هتلر إلى الحكومة كانت قد فصلت في بيت المصرفي بارون كيرت فون شرودر عام 1933م. وبحسب يوستيس مولينز فقد كان حاضرا أيضا في هذا الاجتماع جون فوستر وآلن دالاس من المؤسسة القانونية "سوليفان وكرومويل" التي كانت تمثل بنك شرودر[506]. شرودر –الرأس القوي لشركة البيت المصرفي

---

502) يقول المؤلف أن مما يقدم الدعم لاتهام هتلر بعبادة الشيطان قصيدة كتبها عام 1915م بينما كان يخدم في الجيش الألماني على الجبهة الغربية. ولقد تم إعادة إنتاج هذه القصيدة في كتاب (أدولف هتلر) من قبل جون تولاند: غالبا ما أمضي في الليالي المريرة. إلى شجرة بلوط فوتان في وسعة الغابة الهادئة. بقوى مظلمة لأقوم بالاتحاد. الرسالة الطنانة التي يصنعها القمر بتعويذته السحرية. وجميع من كانوا ممتائين بالوقاحة خلال النهار. صاروا صغارا بأثر الصيغة السحرية.

503) "الحُكم بالسر". صفحة 229.

504) "الحُكم بالسر". صفحة 232.

505) "الحُكم بالسر". صفحة 234.

506) طوال الحرب العالمية الثانية عمل بنك شرودر كوكلاء تمويل لألمانيا في بريطانيا والولايات المتحدة كليهما (الحكم بالسر صفحة 235).

جيه إتش شتاين في كولن– **كان قد زود ولمدة طويلة الدعم المالي للنازيين على أمل أن يصدوا انتشار الشيوعية**. وكان هتلر قد تعهد لفون شرودر بأن الاشتراكية الوطنية لن تشغل نفسها بأية تجارب اقتصادية، وبكلمات أخرى إنه لن يهاجم الممارسات البنكية إلا في الظاهر وبشكل خطابي. **بهذا التأكيد وبمباركة شرودر تم تعيين هتلر كمستشار لألمانيا**. وبعد أسبوع احترق مبنى الرايخستاج (البرلمان) بنار ألقي اللوم في إشعالها على الشيوعيين. وبعد بضعة أيام أعطي هتلر سلطة ديكتاتورية مع تمرير قانون الطوارئ دعي باسم قانون التمكين[507]. وبموت هيندينبرج عام 1934م عن عمر 87 عاما، دمج هتلر مكتبي الرئيس والمستشار، وأعلن نفسه القائد العام للقوات المسلحة، والقائد المطلق لكامل ألمانيا[508].

وهنا تثور مسألة: إن صح أن هتلر ماسونيا، فلماذا اصطدم بالماسونيين؟

يتنصل الماسونيون اليوم من علاقتهم بهتلر حتى لا تتلوث سمعتهم بجرائمه[509]، لكن يكفينا اعترافا قديما لشخصية ماسونية كبيرة مثل حنا أبى راشد بأن هتلر كان ماسونيا. وأهم من ذلك **اعتراف منظر العقائد الشيطانية الألماني الشهير** "**لانز**" **الذي كتب عام 1932م: «هتلر هو أحد تلاميذنا»**. كما أشاد بهتلر كل من فرنر فان بيلو Werner von Bulow (وهو أحد أهم دعاة الباطنية الألمانية وأحد تلاميذ ليست) وهربرت رايخشتاين Herbert Reichstein (وهو مؤلف وناشر كتب لانز وليست) [510]. **وشهادة هؤلاء الماسونيين الذين عاصروا هتلر** أصدق ولا شك من شهادة الماسونيين اليوم.

ورغم ذلك لا يمكننا أن ننكر وقوع صدام بين هتلر والماسونيين، ففي عام 1933م عاد سيبوتيندورف إلى ميونيخ محاولا إحياء جمعية ثول، لكنه اصطدم بالسلطات النازية في عهد هتلر بسبب ادعاءاته أنه كان طليعة الاشتراكية الوطنية، فتم اعتقاله لفترة قصيرة عام 1934م، ثم غادر إلى تركيا[511].

507) بدأ الجيش والموظفون الكبار يرتاعون من سلطة هتلر خاصة مع وجود ثلاثة ملايين من كتيبة القمصان البنية التي تعمل تحت إمرة القائد إرنست روهيم العامل تحت قيادة هتلر. اقترح الجيش صفقة: إذا ما انكسرت قوة كتيبة أصحاب القمصان البنية فإن الجيش يتعهد بالولاء لهتلر. وافق هتلر. وفي 1934م أطلق بوق وجود مؤامرة كانت بشكل ثورة، تسببت في تطهير روهيم ومئات معه من أصحاب القمصان البنية بشكل مميت.
508) "الحُكم بالسر". صفحة 235-236.
509) Rudolf Glandeck von Sebottendorff. Website of “Grand Lodge of British Columbia and Yukon”. https://freemasonry.bcy.ca/anti-masonry/sebottendorff_r.html. Accessed January 27, 2023.
510 **) The Occult Roots of Nazism**. Page 192.
511 **) The Occult Roots of Nazism**. Page 152.

وهذا الصدام بين هتلر والماسونيين يظهر في ثنايا كتاب هتلر "كفاحي"، الذي هاجم فيه النازيين بطريقة، يسهل على المرء أن يفهم منها أنها تمثل خلافا بين صديقين على قيادة نفس التيار. لقد تفاخر هتلر بأنه نجح في تحقيق ما عجز عنه الماسون لمدة أربعين عاما، وأكد أن المسار السياسي الذي انتهجه أدى إلى نجاح عملي على أرض الواقع (وصول النازيين إلى الحكم)، بينما اعتمد الماسون على الفكر والطرائق الروحانية غير ذات الجدوى. **لقد كان هجوم هتلر منصبا على المنهج، وليس على الغاية والهدف**، فتراه يقول: «كان عليَّ أن أحذر مرارا وتكرار من أولئك العلماء الألمان الشعبيين الهائمين (يقصد الماسونيين)، الذين كان إنجازهم الإيجابي دائما صفر، ومع ذلك كان من الصعب التفوق على غرورهم. لقد كان على الحركة الفتية – ولا يزال عليها– أن تحمي نفسها من تدفق الأشخاص الذين ليس لهم توصية إلا إعلانهم أنهم حاربوا من أجل نفس الفكرة لثلاثين أو حتى أربعين سنة. لكن شخصا دافع عما يسمى فكرة لأربعين عاما دون أن يقدر شخصيا على تحقيق حتى أقل النجاح، ولو حتى منع انتصار الخصوم، هذا الشخص قد قدم الدليل القاطع على عجزه في نشاط أربعين عاما». ويقول هتلر أيضا: «إن كان هناك أي شيء مضاد لروح الشعب فإنه هذه الشعوذة خصوصا بتعبيرات ألمانية قديمة ليس لها مكان في هذا العصر، ولا تمثل أي شيء محدد، لكنها يمكن بسهولة أن تقود إلى قياس أهمية حركة بواسطة مفرداتها الخارجية»[512].

وقد اصطدم هتلر بالنازيين عام 1933 و1934م حين أصدرت حكومته قرارات بحل المحافل الماسونية ومصادرة أصولها، واعتبرتها جزءا من المؤامرة اليهودية، وأنها تمثل مع اليهود أكبر خطر على الجنس الألماني. وفي الفترة السابقة للحرب العالمية الثانية قامت حكومة هتلر بتخفيف القيود على الماسونيين، وأعيد كثير منهم إلى وظائفهم. وبعد أن غزا هتلر أوربا قام بحل المحافل الماسونية في أي مكان ذهب إليه. واتهمت الدعاية الألمانية اليهود والماسون بإشعال الحرب العالمية الثانية، وأنهم وراء سياسة الرئيس الأمريكي روزفلت الماسوني[513].

---

512) Adolf Hitler. Mein Kampf. Page 498. Editorial sponsors: John Chamberlain, Sidney B. Fay, John Gunther et al. REYNAL A HITCHCOCK. New York. USA, 1941.
513) Holocaust Encyclopedia. Freemasonry under the Nazi regime**.** Author: United States Holocaust Memorial Museum, Washington, DC. Last Edited: Oct 27, 2005.

ويقول هتلر عن اليهودي: «وفي الماسونية المتدهورة تماما يمتلك أداة ممتازة للمحاربة من أجل أهدافه وأيضا لتأجيلها. وبواسطة خيوط الماسونية فإن دوائر الحكومة والطبقات العليا من البرجوازية السياسية والاقتصادية تسقط في شباكه بدون حتى أن يخمنوا هذا».[514]

ومن الطبيعي أن يتساءل المرء: كيف يهاجم هتلر اليهود والماسون كل هذا الهجوم، ثم تأتي لتتهمهم أنهم هم من صنعوه؟ وهذا السؤال لا يسأله من له علم بالسياسة. ألا ترون كيف دعم الغرب الخوميني، ووفرت له فرنسا ملاذا آمنا حتى انتصرت ثورته، وعاد لإيران بعد خلع الشاه الموالي للغرب، ليهتف الملالي: (الموت لأمريكا. الموت لإسرئيل)؟ وهكذا فمعادادة حكومة إيران الشيعية الحالية للغرب لا تنفي أن الغرب هو الذي خلقها وساعدها. وبشار الأسد أثار إعجابنا بخطبه الحماسية ضد إسرائيل، لكن لما ثار الشعب ضده، وكاد يخلعه جاء الطيران الروسي بضوء أخضر من إسرائيل ليدمر سوريا كي يبقى بشار في الحكم، فوجود ديكتاتور غير مسلم أفضل لإسرائيل من حاكم ديمقراطي مسلم. وهنا نجد إسرائيل تؤيد حاكما يبدو في الظاهر شديد العداء لها. وهناك حاكم آخر، إسلامي التوجه، سمح له الغرب بالوصول إلى الحكم كي يدمره، ويدمر الإسلام معه. ولن أستطرد فالحديث يطول. والمؤكد أن عداء هتلر الشديد لليهود والماسون لا يعنى أنه وصل للحكم ضد إرادتهم. **والسياسة مليئة بالمواقف المتناقضة**. وأعداء اليوم هم أصدقاء الأمس، والعكس صحيح. وحياتنا اليومية على المستوى الشخصي مليئة بمثل هذه التناقضات. ولنلاحظ دائما أن **اليهود لا ينحازون أبدا لطرف واحد في أي صراع، فتراهم يقيمون علاقات مع كل الأطراف المتصارعة، بعضها سري، وبعضها معلن، فهذه أفضل وسيلة تمكنهم من البقاء ممسكين بكل خيوط اللعبة**، وتجعلهم قادرين على التأثير على كل الخصوم وخلق الصراعات بالشكل الذي يريدونه. وهذا يفسر كيف تكلموا بثقة في بروتوكولات حكماء صهيون عن قدرتهم على إشعال حرب عالمية إن أرادوا[515].

---

https://encyclopedia.ushmm.org/content/en/article/freemasonry-under-the-nazi-regime; accessed Janurary 27, 2023.

514) Adolf Hitler. Mein Kampf. Page 433.

515) في البروتوكول السابع نقرأ: ويجب علينا أن نكون مستعدين لمقابلة كل معارضة باعلان الحرب على جانب ما يجاورنا من بلاد تلك الدولة التي تجرؤ على الوقوف في طريقنا. ولكن إذا غدر هؤلاء الجيران فقروا الاتحاد ضدنا ـ فالواجب علينا أن نجيب على ذلك بخلق حرب عالمية. [**الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون**]

وقد حصر هتلر مبدئيا هجماته الشفوية على المصرفيين الدوليين خصوصا آل روتشيلد، الذين مولوا الحروب والثورات، وأوقعوا الناس تحت عبودية فوائد القروض. وبرغم هذه الهجمات استمرت القوة النازية الصاعدة في إيجاد دعم في بريطانيا وحتى في المصارف المسيطر عليها من قبل آل روتشيلد في انجلترا. وفي سنة 1924م وافق حاكم بنك انجلترا على قرض لألمانيا، وأقنع المصرفيين اللندنيين بقبول كمبيالات تتجاوز القرض إلى حد بعيد[516]. **وقد قام رجال الأعمال الأقوياء –وهم على صلات قوية بامبراطورية روتشيلد الهائلة– بدعم نظام هتلر،** وعى رأسهم جوزيف بي كنيدي وهنري فورد. وقيل أن سبب دعم روتشيلد لهتلر أن والد هتلر ابن غير شرعي لطباخة ريفية كانت خادمة في بيت البارون روتشيلد في فيينا. فهل كان هتلر حقا يهوديا؟ ربما. وقد لوحظ أن معاناة آل روتشيلد أثناء محرقة الإبادة الهتلرية كانت قليلة جدا [517]. كما أوضح روجيه جارودي بالوثائق تعاون هتلر مع قادة الصهيونية لتهجير اليهود من أوربا إلى إسرائيل، وذلك منذ عام 1933 حتى 1941م. وظلت السلطات النازية حتى في أشد لحظات اضطهاد اليهود تحافظ على صلاتها بقادة الصهاينة الألمان، فكانت تتعامل معهم معاملة خاصة، تختلف تماما عن تعاملها مع غيرهم من اليهود[518].

وحين يفكر المرء في المحرقة يكتشف ببساطة أنها قدمت خدمة جليلة لدولة إسرائيل، لأنها دفعت اليهود للهجرة إلى فلسطين بعد أن كان كثير منهم محجمين عن ترك أوطانهم إلى بلد مسلم مجهول، محاط بأعداء من كل مكان. كما **خلقت المحرقة مبررا صلبا لقبول حق إسرائيل في الوجود، وإنشاء دولة يهودية في فلسطين** عام 1948م بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، فقد بدا اليهود كالحمل الوديع، الذي فر من وحش اسمه هتلر، فلم يجد مأوى إلا في أرض فلسطين. والأسوأ أن المحرقة جعلت معاداة السامية جريمة غير عادية، لأنها تذكر الضمير العالمي بجرائم هتلر، مع أن الشعوب الأخرى تعرضت لما هو أشد.

وبنظرة شاملة نجد أن هتلر قدم لليهود خدمة جليلية فضلا عن وجود مبالغة هائلة في تقدير أعداد ضحايا المحرقة، في الوقت الذي أظهرت فيه إحصاءات الأمم المتحدة ثبات

---

516) "الحُكم بالسر". صفحة 237-238.
517) "الحُكم بالسر". صفحة 240-243
518) الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية. صفحة 85. تأليف روجيه جارودي. ترجمة محمد هشام. تقديم محمد حسنين هيكل. الطبعة الرابعة 2002م-1422ه. دار الشروق- القاهرة.

أعداد اليهود قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها، كما أكد الصحفي البريطاني البارز دوجلاس ريد، الذي قضى اليهود على مستقبله، ودفنوه حيا[519].

ونختم بعبارة واضحة لجيم مارس: «**بتأثير آل روتشيلد أو بدونه فليس ثمة مجال للتساؤل حول حقيقة أن صعود هتلر للسلطة قد اعتمد بقوة على دعم البنوك الألمانية الرئيسية**- شركة شرودر المصرفية في كولن، والبنك الألماني، ودويتش كريديت غيسلشافت، وشركة التأمين العملاقة آليانز»[520]

خلاصة القول: لقد وصل هتلر للسلطة لأنه ولد من رحم حركة ماسونية، وتلقى دعما من كبار رجال المال. والمال والماسونية أملاك يهودية.

****

وعلى ذلك **فنجاح بعض النساء في منصب الرئاسة ليس دليلا على جدارتهن بقدر ما هو نتيجة خطة خفية تستهدف خلق نماذج ناجحة من النساء، ينبهر بها العالم، وتساهم في إتمام مشروع تغيير خلق الله، وتحويل المرأة إلى رجل، وإزالة التمايز الطبيعى بين الذكر والأنثى**. ومن يظن أن السياسة يعمل بها مجموعة من الساذجين فهو الساذج في الحقيقة. يقول الرئيس فرانكلين روزفلت (المتصل بالكثير من الأعضاء البارزين للمنظمات السرية): «**في السياسة لا شيء يحدث بالصدفة. فإذا ما حدث شيء، يمكنك أن تراهن بأنه كان مخططا له أن يحدث بذلك الشكل**»[521]

إن وصول الرؤساء في العصر الحديث للسلطة لا يتوقف فقط على الكفاءة. وقد رأينا بأعيننا كيف تبنى الغرب حكاما جهلاء فاسدين، وأعانهم على الاستقرار على عروشهم ليحلوا محل حكام لا غبار على نزاهتهم وكفاءتهم. والرئيس الأمريكي ترامب أحد هؤلاء الصغار، الذين أوصلهم اليهود إلى السلطة. وتمويل اليهود لحملات مرشحي الرئاسة الأمريكيين ليست سرا. وفي الفيلم المخيف المسمى "الماعز الأليف" ظهر الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش الابن، كالدمية التي يمسك بخيوطها يد إبليس، محركا إياها على رقعة الشطرنج، في إشارة إلى أن الماسون عبدة

519) انظر المقدمة التي كتبها محمد حسنين هيكل لكتاب **الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية**. صفحة 7.

520) "الحُكم بالسر". صفحة 243

521) الحكم بالسر. صفحة 33

الشيطان هم من يحكمون أمريكا، ويحددون مصائر العالم. كما تنبأ فيلم الماعز الأليف عام 2012م بأن الرئيس الذي سيأتي بعد أوباما هو "دونالد ترامب" بالإسم، وبشعره الشهير المائل للون البرتقالي، وهو ما تحقق بالفعل[522]. فهل يستعصى على هذه العصابة العالمية أن توصل أنجيلا ميركل أو تاتشر إلى الحكم؟

إن القوى الخفية تصدر الأوامر للشخصيات القيادية المؤثرة الخاضعة لها بأن تتعاون مع هذا الرئيس أو ذاك، فينصاع الجميع، ويرى العالم نموذجا مبهرا لقيادة ناجحة، مع أن الحقيقة مختلفة تماما. إن القوى العالمية الخفية بارعة في تحويل الشيطان لملاك والملاك لشيطان.

ومن يتابع أحوال السياسة والإعلام اليوم يدرك أن نجوم المجتمع يتم صنعهم وتلميعهم بواسطة قوى لا تظهر على السطح. على سبيل المثال في بلدنا مصر **هناك ميثاق غير مكتوب يقضى بألا يشتهر في الإعلام إلا من كان فاسقا أو فاسدا أو مرتشيا أو شاذا أو علمانيا أو جاسوسا أو ملحدا أو مدمنا.**

إن أقل ما يمكن أن يقال حول نجاح المرأة في منصب الرئاسة هو أنه نجاح تحيط به الشبهات. والقول بوجود قوى خفية عالمية تدعم المرأة لا يحتاج لبرهان، ويكفى أن كل وسائل الإعلام وكل المنظمات المؤثرة تدعم قضية المرأة بكل قوة وحماس ومثابرة، أما الرجل فلا أحد يسأل عنه. ولا تقل لى أن هذا الدعم سببه اقتناعهم بأن المرأة مظلومة، فعالم السياسة لا يعرف الأخلاق، والغالبية العظمى من السياسيين هم من الانتهازيين والأوغاد والخونة والمرتشين، وأهون ما يقال فيهم أنهم يعبدون إلها واحدا اسمه "المنفعة".

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

المرأة لم تختبر بشكل جاد كرئيس

يمكننا أن نقول بكل ثقة أن **المرأة العاصرة لم تُختبر بشكل جاد كرئيس دولة.** إن النماذج الناجحة للمرأة التي قدموها لنا تأتي من أوربا. وأنظمة الحكم في هذه الدول تتمتع باستقرار نسبي، فكل واحد هناك يعرف دوره، وتغيير الرئيس يتم غالبا بالانتخابات، وثقافة الانقلابات لا وجود

522) **"الماعز الأليف" والنبوءات التي تتوالى.** بقلم أشرف عبد المنعم. جريدة الأهرام. 7 مايو 2019م

لها، والرئيس مجرد موظف، سيبقى فترة رئاسة واحدة أو اثنتين، ثم يمضي كما مضى من سبقه. **وهذا يسهل كثيرا من قدرة الرئيس على السيطرة على الحكم**، وسيجلس في مكتبه مطمئنا لأن وزير الدفاع لا يفكر في إنزال قوات الجيش إلى الشوارع للانقلاب عليه، ووزير الداخلية لن يتواطأ مع المتظاهرين بحيث يتركهم يهاجمون مؤسسات الدولة. وإن أقال الرئيس أحد وزرائه الأقوياء فلن يضع يده على قلبه خوفا من أن يرفض الوزير القرار. وإن خرجت مظاهرات معارضة للرئيس، فلن تزيحه بالقوة من السلطة إلا إذا استقال من تلقاء نفسه. ولهذا **فلو انتخب الشعب طفلا لدان له الجميع**. حقا في بلاد الغرب توجد مؤامرات دموية، تصل أحيانا إلى درجة الاغتيال، والتدمير المعنوي، لكن الوضع هناك أهدأ كثيرا مقارنة بالدول الديكتاتورية.

وإضافة إلى ذلك، فكل وزير من الوزراء في هذه الدول سياسي محترف مسئول أمام الرأي العام عن أي تقصير في وزارته، وسيريح رئيس الدولة من التفكير في كل صغيرة وكبيرة، وسيقتصر دوره على الإشراف العام، والتنسيق بين الوزرارت.

وفضلا عن ذلك فطموحات الرؤساء في الدول الديمقراطية متواضعة، **فأقصى ما يمكن أن يفعله الواحد منهم أن يحدث تموجات خفيفة في بحر لجي، فيفرح بنجاح وهمي، مع أنه في الحقيقة لم يحقق شيئا**. الرئيس في هذه الدول يعرف جيدا أن **دوره ينحصر في إدارة نظام موجود بالفعل، وليس خلق نظام جديد**. وإن فكر في إحداث تغيير جذري في النظام المستقر عبر عشرات السنين فستكون المهمة شبه مستحيلة لأن **السياسات العامة لهذه الدول هي نتاج لتوازنات قوى (داخلية وخارجية) راسخة، تترك هامشا محدودا، يتحرك داخله رؤساء الدول**. على سبيل المثال لا يستطيع مستشار ألمانيا أو رئيس وزراء اليابان أن يسعى لصنع السلاح النووي دون موافقة أمريكا. ورئيس وزراء انجلترا لا يستطيع أن يخرج من فلك حلف الأطلنطي، وينضم لمعسكر روسيا والصين. ورئيس أمريكا إن كان من المحافظين المتدينين لا يستطيع أن يغلق الحانات ويفرض الصلوات. ولا يجرؤ رؤساء الدول الغربية على انتقاد اليهود، واتهامهم بالسيطرة الخفية على العالم[523].

523) من الممكن بشيء من الشجاعة أن يهاجم البعض الماسونية، لكن من يفكر في اتهام اليهود بأنهم يقفون وراء الماسونية، فعليه أن يقرأ الفاتحة على روحه.

ثم إن سلطات الرئيس محدودة بالدستور، ولكي يحدث الرئيس تغييرا جذريا في النظام فعليه أن يغير الدستور، وهذا يتطلب موافقة الشعب، لكن الشعوب في هذه البلاد لا تعنيها هذه الأمور لأنها مشغولة بالشهوات وجمع المال، ومغيبة بفعل إعلام تسيطر عليه القوى الخفية، والنخبة السياسية التي تحرك الأمور الراكدة واقعة بين فكي كماشة لحكومة العالم الخفية. وحتى رجب طيب أوردغان – الذي يوصف بأنه أحد أقوى رؤساء العالم وأكثرهم نجاحا وأطولهم بقاء– حين حاول أن يقلل سعر الفائدة أملا في القضاء على النظام الربوي اليهودي الراسخ أجبره انخفاض العملة التركية على أن يتمهل. ولولا قوة شخصيته لما واصل تخفيض سعر الفائدة حتى بلغ 9% فقط حاليا. ولا يزال أوردغان كذلك غير قادر على تحويل بلده لدولة إسلامية حقيقية رغم كثرة ما فعله على هذا السبيل.

وعلى ذلك **فالملعب الذي حققت فيه المرأة بطولاتها ملعب شديد الضيق، ولا يعبر قط عن مهارة حقيقية.** رئيس الدولة في البلاد الديمقراطية –سواء كان رجلا أو امرأة– يعيش على الفتات الذي تلقيه له سباع الحكومة الخفية. **ومن أراد أن يكون رئيسا بمعنى الكلمة، فعليه أن يكون وحشا. وما هذه بصفات النساء.**

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

حاكمات فاشلات

الأسطوانة المحفوظة التي يرددونها دائما هي: (المرأة أصبحت وزيرة ورئيسة، ووصلت لأعلى المناصب)، لكنهم لا يكملون بقية القصة، ولا يخبرونا: هل نجحت المرأة أم أخفقت؟ وهل تفوقت على الرجل أم تفوق الرجل عليها؟

يقوم الإعلام دائما بتصدير قصص نجاح المرأة كرئيس للدولة، لكن **حين فشلت رئيسة الوزراء البريطانية "ليز تراس" فشلا ذريعا، واستقالت من منصبها بعد 44 يوما فقط، مر الخبر في بلادنا بهدوء تام دون أن يشعر أحد.** لقد تعالت الأصوات داخل حزب المحافظين الحاكم للتخلص من ليز تراس بعد أن تسببت في تراجع شعبية الحزب إلى مستويات غير مسبوقة في تاريخ بريطانيا وفي حدوث اضطراب كبير في سوق المال، وانخفاض قيمة الجنيه الاسترليني.

وكانت سويلا برفرمان وزيرة الداخلية في حكومة ليز تراس قد استقالت من منصبها، وقد تضمنت رسالة استقالتها نقدا لاذعا لسياسة تراس، واتهمتها بالتراجع عما تعهد به الحزب في الانتخابات الماضية. وهذه المدة هي أقصر فترة حكم لرئيس وزراء فى بريطانيا عبر التاريخ، ويليها بفارق كبير جورج كانينغ الذي استمر في الحكم 119 يوما في عام 1827م.[524]

وبالمثل رأينا نساء أوربيات في مناصب وزير الداخلية ووزير الحربية وغيرها من المناصب العليا، فجئن، ومضين دون أن يتركن أثرا. آخر هؤلاء النساء وزيرة الداخلية الألمانية التي لم يتحاكي أحد ببطولاتها في مكافحة الجرائم، ولم يسمع عنها أحد إلا حين ارتدت خلسة إشارة الشواذ في مبارة ألمانيا واليابان بكأس العالم في قطر عام 2022م كتعبير عن تأييد دولتها للشذوذ الجنسي.

وفي مصر القديمة فشلت النساء في الحكم بوجه عام كما يؤكد القاموس التاريخي لمصر القديمة: «إن القلة من الملكات اللائي وصلن للحكم مثل نيتوكريس Nitocris وسوبيكنيفرو Sobeknefru وتاوسرت[525] Tewosret كن بمثابة حلول مؤقتة، وكن علامات على نهاية أسرهن الحاكمة»[526].

وبالنسبة لسوبيكنيفرو فهي تعد أول امرأة نعرف يقينا أنها جلست على عرش مصر. وهي تعد آخر حكام الأسرة الثانية عشرة. ويبدو أنها جلست على العرش عقب وفاة أخيها وزوجها أمنمحات الرابع، على ما يبدو لعدم وجود ولي عهد ذكر في العائلة المالكة. وقد استمرت سوبيكنيفرو في الحكم لفترة وجيزة. وبانتهاء حكمها دخلت مصر في العصر الوسيط الثاني الذي بدأ مع الأسرة الثالثة عشرة. وكانت هذه مرحلة عدم استقرار وضعف وتمزق[527].

وتكلم الدكتور محمد على سعد الله عن **فشل الملكة تاوسرت، فقال:** «أما عن نهاية الملكة "تاوسرت" فلا زالت الأدلة غير مؤكدة. ويبدو أن حالة من الاضطرابات والفوضى والتنازع على العرش أعقبت "تاوسرت"، مما أدى إلى فوضى شاملة، وصفتها بردية "هاريس" التي تؤرخ نهاية الأسرة التاسعة عشرة ومجيء الأسرة العشرين حتى نهاية حكم رمسيس الثالث: «أرض مصر قد

---

524) ليز تراس: صاحبة أقصر مدة حكم في تاريخ بريطانيا. موقع "بي بي سي نيوز عربي". آخر تحديث 20 أكتوبر، 2022م.
https://www.bbc.com/arabic/world-62353034

525) تكتب أيضا Twosret

526) Historical Dictionary of Ancient Egypt. **Morris L. Bierbrier.** Second edition. The Scarecrow Press, In, USA, 2008. Page 257-258.

527) Historical Dictionary of Ancient Egypt. Page 222-223.

اضطربت، وأصبح كل رجل يعتقد أنه على صواب، ولم يكن لهم حاكم لعدة سنين يتحدث باسمهم، وأصبحت البلاد في أيدي الأمراء وحكام المدن، أصبح الرجل يذبح صاحبه»[528]. وتقول موسوعة مصر القديمة أن الملكة تاوسرت Twosret حكمت مصر من عام 1198 قبل الميلاد حتى وفاتها. وهي أرملة سيتي الثانى وقد كانت زوجته الثانية. وكانت تاوسرت وصية على ولي العهد "سِبتاح" الذي اختفي بعد خمس أو ست سنوات، فحكمت تاوسرت بنفسها بمساعدة مستشارها "باي" الذي كان أجنبيا مغتصبا للسلطة. **ولم تدم تاوسرت طويلا في السلطة لأنها لم تكن تحظى بدعم شعبي**، وأطاح الرعامسة فيما بعد باسمها من الملفات الملكية.

أما عن الملكة نيتوكريس، فقد تولت الحكم من عام 2183 حتى 2181 قبل الميلاد كما يقول القاموس التاريخي لمصر القديمة. وذكر هيرودت أنها خلفت زوجها بعد اغتياله، وأعدمت قتلته قبل أن تنتحر. وهي آخر حكام الأسرة السادسة، لكن تاريخيا لا يُعرف شيء عن هذه الحاكمة، التي ربما كانت رجلا[529]. وذكرت موسوعة مصر القديمة أن نيتوكريس وصلت إلى السلطة بعد اغتيال زوجها وأخيها ميرينري الثاني. ولكي تنتقم نيتوكريس من قتلته دعت مئات من المسئولين الذين اعتقدت أنهم تسببوا في موت أخيها إلى وليمة في غرفة تحت الأرض، ثم أغرقتها بالماء. وقد بقيت في الحكم لمدة عام واحد فقط[530].

وفي بلاد الفرس تولت الحكم ابنة كسرى[531] التي تسمى بوراندوخت Purandukht ، واستمرت فى السلطة من عام 630 حتى 631 م، فأعقبها ملك لمدة شهر واحد[532] ثم **أعقبتها أختها التى تسمى أزارميدوخت** Azarmidukht من عام 631 حتى 632م. وكان من أسباب فشلهما معارضة كهنة الزرادشتية لهما. وقد قُبل ملكهما على مضض لعدم وجود وريث للحكم من الذكور[533]. لقد بلغت دولة الفرس أوج قوتها فى عهد كسرى أبرويز الذى وجه ضربات ساحقة للروم، واستولى على أملاكهم في الشام ومصر، ثم انشغل باللهو والترف، مما تسبب فى دخول

---

528) في تاريخ مصر القديمة. صفحة 204. دكتور/ محمد علي سعد الله. مركز الإسكندرية للكتاب. 2001م

529) Historical Dictionary of Ancient Egypt. Page 164.

530) Margaret R. Bunson. Encyclopedia of ancient Egypt. Revised edition. Facts, On File, Inc. 2002, USA. Page 279.

531) كسرى الثانى أو خسرو برويز Khosrow Parviz

532) يقول الطبرى أنه ملك بعد بوراندزخت رجل يقال له: جشنسده، من بني عم أبرويز الأبعدين. وكان ملكه أقل من شهر. انظر: **تاريخ الطبري** (232 /2)

533) **Jomepour, Rahele,** "Women in Iran: ancient history to modern times, and back" (2015). *Graduate Theses and Dissertations*. 14396. https://lib.dr.iastate.edu/etd/14396 ; [A thesis submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of MASTER OF FINE ARTS]

دولة الفرس في حالة من التدهور[534]، فقام هرقل زعيم الروم بشن حملة على الفرس، فهزمهم هزائم متوالية. وانقلب زعماء الفرس على كسرى، وسجنوه، وذبحوا ثمانية عشر من أبنائه أمام عينيه، وقُتل كسرى على يد ابنه شيرويه الذي تولى الحكم مكانه[535]. وذكر الطبرى أن عظماء الفرس حرضوا شيرويه على قتل أبيه، مستغلين معارضة الابن لسياسة أبيه الظالمة طوال 38 عاما[536]. وذكر أيضا أن شيرويه هو الذى قتل 17 من إخوته، وأباد من قدر عليه من أهل بيته. وقد ندم شرويه على أفعاله، وفشا الطاعون في عهده، ومات بعد ثمانية أشهر[537].

وبعد موت شيرويه قام عظماء فارس بتولية ابنه أردشير، وكان طفلا في السابعة، لكن قائدا يدعى شهربراز استولى على الحكم غصبا، وقتل أردشير الذى بقى في الحكم سنة ونصف. ولم يهنأ شهربراز بالحكم أكثر من أربعين يوما حيث قُتِل بأيدي جنوده، وجرّ أولئك الجنود جثته في شوارع المدائن وهم يصيحون: "هذا مصير كل من جلس على عرش بلاد فارس ولم يكن يجري في عروقه الدم الملكي"، ذلك أن الجماهير أكثر ملكية من الملوك. وسادت وقتئذ الفوضى في تلك البلاد التي أنهكتها الحروب على مدى ستة وعشرين عاماً، وفشا فيها التفكك الاجتماعي بعد أن عمها الفساد الأخلاقي بتأثير الثروة التي جاءت في أعقاب النصر الحربي، **وقام تسعة من الحكام يتنازعون عرش البلاد في خلال أربع سنوات**، ثم اختفوا كلهم مقتولين أو هاربين أو ميتين ميتة طبيعية أو شاذة. وأعلنت بعض الولايات، بل بعض المدن نفسها، استقلالها عن الحكومة المركزية. ووضع التاج في عام 634 على رأس يزدجرد الثالث سليل بيت ساسان وابن جارية زنجية[538].

---

534) " قصة الحضارة" (12/ 295)

535) "قصة الحضارة" (12/ 296)

536) ذكر الطبرى أن شيرويه لما ملك دخل عظماء الفرس عليه بعد حبسه أباه، فقالوا له: إنه لا يستقيم أن يكون لنا ملكان اثنان، فإما أن تقتل كسرى ونحن خولك الباخعون لك بالطاعة، وإما أن نخلعك ونعطيه الطاعة على ما لم نزل نعطيه قبل أن تملك فهدت هذه المقالة شيرويه وكسرته،......... جمع شيرويه من كان بالباب من العظماء وأهل البيوتات، فقال: إنا قد رأينا أن نبدأ بالإرسال إلى الملك أبينا بما كان من إساءته في تدبير. [**تاريخ الطبري** (2/ 218)]

537) قال الطبرى: **وقتل شيرويه سبعة عشر أخا له ذوي أدب وشجاعة ومروءة**، بمشورة وزيره فيروز، وتحريض ابن ليزدين- والى عشور الآفاق كان لكسرى، يقال له شمطا- اياه على قتلهم، فابتلي بالأسقام ولم يلتذ بشيء من لذات الدنيا، وكان هلاكه بدسكرة الملك، وكان مشئوما على آل ساسان، فلما قتل إخوته جزع جزعا شديدا ويقال: إنه لما كان اليوم الثاني من اليوم الذي قتلهم فيه، دخلت عليه بوران وآزرميدخت أختاه فأسمعتاه وأغلظتا له، وقالتا: **حملك الحرص على ملك لا يتم، على قتل أبيك وجميع إخوتك، وارتكبت المحارم!** فلما سمع ذلك منهما بكى بكاء شديدا، ورمى بالتاج عن رأسه، ولم يزل أيامه كلها مهموما مدنفا ويقال: **إنه أباد من قدر عليه من أهل بيته**. [**تاريخ الطبري** (2/ 229)]

538) قصة الحضارة (12/ 304)

وفى سياق هذه الفوضى السياسية تولت -كما قلنا- ابنتان لكسرى أبرويز الحكم، كانت **الأولى اسمها بوران (أو بوراندوخت)** التي حاولت إقامة العدل وإصلاح أحوال البلاد[539]. ولما رأت بوراندخت أنها لا تستطيع الحيلولة دون تدهور بلاد فارس تركت الحكم بعد سنة وخمسة أشهر[540]. **ثم ملكت آزرميدخت ابنة كسرى أبرويز** (وأخت بوراندوخت)[541] التي قالت حين ملكت: "منهاجنا منهاج أبينا كسرى المنصور، فإن خالفنا أحد هرقنا دمه. وقد عرض عليها أحد عظماء الفرس الزواج، فخدعته، وقتلته، فلما علم ابنه رستم (الذى حارب المسلمين فيما بعد) أقبل في جند عظيم، فسمل عيني آزرميدخت، وقتلها. وقال بعضهم: بل سمت. وكان ملكها سته أشهر[542]. وبعد موت آزرميدخت كان من الصعب العثور على ملوك للفرس، لكن تعاقب عليهم أربعة ملوك، استمر كل منهم لفترة وجيزة، وكان آخرهم يزدجرد، الذي هزمه المسلمون[543].

هذا هو السياق السياسي الذى قال فيه الرسول عليه الصلاة والسلام: (لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة. **لقد تعرض ذكور العائلة الفارسية المالكة لمذبحة** على يد شيرويه ابن كسرى، فتمزقت بين قتيل وفار ومختبيء، فوجد كبار القوم أنهم مضطرون لتنصيب إناث في بعض الأحيان، فقد كان الفرس يعتقدون أن الملك حق مقدس للعائلة المالكة، ولا يمكن لأحد من خارجها أن ينازعها فيه، **وأنثى ضعيفة من العائلة المقدسة أفضل في نظرهم من ذكر من خارجها** مهما بلغت قوته. ولكن كان للرسول عليه الصلاة والسلام رأى آخر، وهو أن تتويج النساء على العرش لن يجر فلاحا. والفلاح يمكن أن يكون في الدنيا أو الآخرة. وأحد أسباب إخفاق الحاكمة في الدنيا أن المرأة ضعيفة، وضعفها يغرى مراكز القوى من النبلاء والعظماء والقادة ورجال القصر بالعمل من ورائها، والتمرد عليها، فهى في نظرهم بلا خبرة ولا قوة ولا علم بما يجرى من ورائها، فيتضخم نفوذهم، وتزداد شراستهم. وستجد الملكة أنها ليست الحاكم الفعلي للبلد، وأن المملكة قد تمزقت فعليا بين قوى تعمل في الظلام، وأن عليها أن تسترضي هذه القوى كلما عزمت على فعل شيء.

---

539) **تاريخ الطبري** (2/ 231)

540) **تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساسانى**. صفحة 378.

541) ملك بعد بوراندوخت رجل يقال له: جشنسده، من بني عم أبرويز الأبعدين. وكان ملكه اقل من شهر.[**تاريخ الطبري** (2/ 232)].

542) **تاريخ الطبري** (2/ 232)

543) بعد موت آزرميدخت تولى الحكم لأيام قليلة كسرى بن مهراجشنس (وقيل خرزاد خسروا من ولد أبرويز). وبعدها طلب عظماء فارس من يملكونه من أهل بيت المملكة، ولو من قبل النساء، فأتوا برجل، يقال له فيروز بن مهرانجشنس، فملكوه كرها، ثم قتلوه بعد أن ملك أياما. وقد عثر بعض عظماء فارس على ابن لكسرى، اسمه "فرخزاذ خسروا"، وكان قد فر إلى أحد القصور حين قتل شيرويه أولاد كسرى، فانقاد له الناس ستة أشهر، ثم انقلبوا عليه، وقيل قتلوه. وبعد ذلك آل الأمر ليزدجرد، الذي كان قد هرب إلى مدينة إصطخر بعد أن قتل شيرويه إخوته. وقد توجه عظماء أهل إصطخر ملكا، وأتوا به إلى المدائن العاصمة. وكان العظماء والوزراء يدبرون ملكه لحداثة سنه. وضعف أمر مملكة فارس، وغزت العرب بلاده بعد أن مضت سنتان من ملكه وقيل بعد أربع سنين [**تاريخ الطبري** (2/ 229 حتى 234)]

والمشكلة أن هذه القوى لن يرضيها شيء لأن ضعف الملكة يرفع سقف أطماعها، فتكون النتيجة فشلا ذريعا للدولة التي تصبح كالفريسة التي تتنازعها أنياب السباع.

ولدينا أمثلة تاريخية على أن المرأة إن حكمت فستكون مضطرة للخضوع للرجال أصحاب القوة والنفوذ، ومجبرة على استرضائهم. ومن أمثلة هؤلاء الملكة اليهودية سالومي ألكساندرا، من الأسرة الحشمونية، التي وعدت طائفة الفريسيين بأنها لن تفعل أي شيء إلا بعد الرجوع إليهم، فكانت ملكة في الظاهر، والفريسيون حكاما في الحقيقة. وبالمثل اضطرت ملكة سبأ لمصانعة رجال الدولة، فقال القرآن عنها: {قَالَتْ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ} [النمل: 32]. وقد تؤتى هذه السياسة ثمارها، فتمتص غضب الرجال: {قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ} [النمل: 33]. لكن في أغلب الأحيان يكون المحيطون بالملكة من الأوغاد، فيفهمون من تواضعها أنها محتاجة إليهم، وأنهم أصحاب القوة الحقيقية، فيزدادون غرورا، ويتعمدون معارضة قراراتها لمجرد أن يثبتوا أنهم أصحاب الكلمة العليا. وهؤلاء الرجال لا يضيرهم إخفاق سياسات الملكة لأنها هي التي تتصدر المشهد، وهى صاحبة القرارات في الظاهر، ولن يلومهم أحد من الناس، فتكون المحصلة وقوع الدول بين ملكة مرتعشة ومراكز قوى لا يعنيها نجاح الدولة، فتكون الخسارة محققة.

ونورد الآن أمثلة لنساء قد ينبهر القاريء حين يسمع أسماءهن بفعل الدعاية النسوية التي تبالغ في إطراء المرأة لمجرد أنها امرأة، مع أن النظرة الفاحصة قد تقود لغير ذلك:

<u>حتشبسوت</u>

جلست الملكة الفرعونية حتشبسوت على العرش لمدة واحد وعشرين عاما تقريبا. وكانت حتشبسوت زوجة تحتمس الثاني، الذي عين ابنه تحتمس الثالث كوريث للعرش. ولما كان تحتمس الثالث صغيرا، فقد أمسكت حتشبسوت زوجة أبيه بمقاليد الأمور، وحكمت من وراء الستار، ثم سرعان ما أظهرت نواياها الحقيقية، يعاونها مجموعة من الموظفين المخلصين، قلدتهم أعلى مناصب الدولة، وأعلنت نفسها ملكا على مصر، وخلعت على نفسها الألقاب الخمسة كاملة مثل أي ملك. وهناك ما يشير إلى أنه رغم إعلان حتشبسوت ملكا فإن تحتمس الثالث ظل له الحكم الاسمي، ولم تقم حتشبسوت بإقصائه عن العرش. وهناك ما يشير إلى أنها كانت تضع

ألقاب وأسماء تحتمس الثالث إلى جانب ألقابها وأسمائها. ولعلها بذلك أرادت أن تنال رضا كهنة آمون الذين كانوا فيما يبدو إلى جانب تحتمس الثالث. وعلى المنبهرين بحتشبسوت أن يعلموا أن بعض العلماء يرون أنها **اغتصبت السلطة، وعطلت كثيرا حكم تحتمس الثالث، وبالتالي إنجازاته الهامة**[544].

كانت سياسة حتشبسوت سلمية، فلم تخض حروبا خارجية. وكل إنجازاتها كانت في البناء والتشييد. ومن أشهر ما شيدت معبدها الجنائزي المسمى معبد الدير البحري. كما أقامت مسلتين عظيمتين في الكرنك. وبنت لنفسها مقبرة في وادي الملوك. وبنت معابد في النوبة في فرس وفي قصر أبريم. ولها عدة آثار في كوم أمبو ووادي مغارة بسيناء والقوصية ومدينة هابو وابيدوس والكاب وغيرها.

لقد اتبعت حتشبسوت سياسة سلمية، ترمي إلى التوغل التجاري والثقافي وتحقيق أمجاد داخلية بدلا من الانتصارات العسكرية الخارجية، وذلك عكس سياسة تحتمس الثالث الذي كان يرى اتباع سياسة حربية خارجية من أجل إنشاء امبراطورية مصرية عن طريق التوسع وراء حدود مصر الجغرافية، وضمان السيطرة على التجارة الخارجية عن طريق الجيش والأسطول.[545]

ومن أشهر الإنجازات التي تنسب إلى حتشبسوت الرحلة إلي بلاد بُنت، وهي على الأرجح عند الجزء الشرقي للأرض الواقعة بين عطبرة والنيل الأزرق. وكانت هذه حملة بحرية سلمية مكونة من خمس سفن كبيرة، ذهبت لاستكشاف بلاد بنت، التي تسمى أرض الإله، التي تحتوي على الأشجار التي ينتج منها البخور والصبر والمر واللبان العطرى، التي تكشف جميعها عن التجلي الإلهي. وقد تم توثيق الروابط التجارية بين مصر وبلاد بنت، وتمت مقايضة البضائع، وقابل المصريون وجهاء بلاد بنت، وتلقوا منهم الجزية والضرائب[546].

وهب أن حتشبسوت نجحت حقا في إدارة البلاد، فهل كانت ستنجح في ظروف تاريخية أخرى لو كانت مصر مهددة عسكريا؟ هل كانت حتشبسوت قادرة على إدارة الأزمات السياسية وقيادة

---

544) **الدور السياسي للملكات في مصر القديمة**. صفحة 75-76. تأليف دكتور/ محمد على سعد الله. تقديم الدكتور محمد جمال الدين مختار. مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع- الإسكندرية- مصر- 1988م.

545) **الدور السياسي للملكات في مصر القديمة**. صفحة 76 حتى 82.

546) **حتشبسوت. عظمة وسحر وغموض**. تأليف كريستيان ديروش نوبلكور. ترجمة فاطمة عبد الله محمود. مراجعة وتقديم محمود ماهر طه. صفحة 177- 195. المجلس الأعلى للثقافة- القاهرة. 2005م.

الجيوش وخوض الحروب؟ حتشبسوت لم تُختبر بشكل حقيقي. ومن الخطأ الإشادة بكل حاكم لا يحيد عن السلم، ففي عالم السياسة لن يتركوك في حالك إن تركتهم في حالهم. كل بلاد المسلمين الآن مسالمة، ولا تسعى لتهديد الغرب، ومع ذلك يتكالب الأعداء عليها كما الذئاب حتى دمروا أهم الدول الإسلامية تدميرا. والأسوأ أننا كلما زدنا سلمية زادوا نهما، وطمعا.

ونحن نرى أن حتشبسوت – طبقا لما لدينا من معلومات– لم تفعل شيئا يستحق الاحترام. كل ما فعلته أنها شيدت مظاهر للأبهة. حتشبسوت لم تفعل شيئا للفلاحين أو الصناع أو أصحاب الحرف. حتشبسوت لم تساعد الفقراء. حتشبسوت لم تنصر المظلومين. حتشبسوت وجدت نفسها تجلس على عرش دولة غنية، فأخذت **تنفق ببذخ على مظاهر الترف والأبهة.** إنها تذكرنا بدول حمقاء ليس لديها ما تتباهى به إلا أفخم المبانى وأكبر الإنشاءات، وهي في الحضيض سياسيا. والرحلة إلى بلاد بُنت ليس فيها ما يستحق الانبهار، ولا يمكن اعتبارها من قبيل الإنجازات، فهي ليست أكثر من رحلة استكشافية لتبادل البضائع، وضمان مصادر توريد المنتجات الضرورية لشعائر الآلهة.

باختصار: حتشبسوت ملكة غير مُلهِمة للمسلم المعاصر.

كليوباترا

ولدت كليوباترا (كليوباترا السابعة) عام70 ق.م. وهي من أصل مقدوني. وتعتبر آخر ملوك البطالمة، الذين حكموا مصر بعد الإسكندر الأكبر لمدة ثلاثة قرون. وفي عام 52 ق.م جعل بطليموس الثاني عشر ابنته كليوباترا –البالغة من العمر 17 عاما– شريكا له في الحكم، كعادة البطالمة الذي كانوا يضعون اثنين أو ثلاثة على العرش، وكانوا أحيانا رجالا مع نساء. وأوصي بطليموس الثاني عشر قبل وفاته (51 ق.م) بملك مصر لابنه الصغير بطليموس الثالث عشر بالاشتراك مع أخته كليوباترا (التي كانت أكبر منه بعشر سنوات)[547].

547) **كليوباترا ملكة مصر**. صفحة 43، 51.

وقد انتهى حكم كليوباترا بسقوط دولة البطالمة، وتحول مصر إلى ولاية رومانية. فكيف حدث ذلك؟ [548،،549،550،551]

يشمل العصر الذهبي للبطالمة فترة حكم أول ثلاثة ملوك. وبعدها بدأ الضعف يدب في الدولة[552] وكان حكم بطليموس الثامن مضطربا، **فطلب من روما التدخل دفاعا عنه، وتعهد بضم مملكته إلى روما لو مات دون وريث.** وكان **بطليموس الثاني عشر أيضا شديد الاعتماد على الرومان** مقابل المال. وبعد 18 عاما من توليه الحكم خُلع من السلطة، ونُفي لثلاث سنوات، **ثم عاد إلى العرش عام 55 ق.م بدعم من الرومان.** إذن اعتمد بطليموس الثاني عشر على روما في الحصول على المكانة والسلطة. **وورثت كليوباترا هذا الدَّين، وسرعان ما وجدت نفسها تعتمد على روما في قمع ثورة هائلة شنها أهالى الإسكندرية.** وكان مجلس الشيوخ الروماني قد أخذ يقوي سلطانه في مصر، ويملي عليها إرادته، وأقام حامية رومانية في الإسكندرية.

وأي حاكم محترم يفترض أن يحاول التخلص من تبعيته للدول العظمى التي تتحكم فيه. **لكن طريقة مقاومة كليوباترا للنفوذ الروماني كانت غريبة، إذ كان سلاحها الأساسي هو الإيقاع بالقادة الرومان في حبها،** فكانت علاقتها الشهيرة مع اثنين من زعمائهم هما يوليوس قيصر ثم مارك أنطونيوس (أنطونيو)، اللذين أنجبا منها أطفالا غير شرعيين.

وصف شكسبير كليوباترا في مسرحيته بأنها عاهرة، واعتبر برنارد شو أنها لعوب في سن المراهقة. وقد جمعت كليوباترا –كما يقول ويل ديورانت– إلى فتنة أسبازيا الذهنية فتنة المرأة المتحللة إلى أقصى حد من القيود الخلقية. **وكانت ذات شهوة جسدية قوية، ووحشية عنيفة** تصب على أعدائها العذاب والموت صباً، وكان لها مطامع سياسية بعيدة، وتحلم ببناء إمبراطورية واسعة، ولا تحترم في سبيل الوصول إلى غايتها قانوناً إلا قانون النجاح.

---

548) كليوباترا ملكة مصر. صفحة 43، 51.

549) قصة الحضارة (9/ 381)- (413/9)

550) مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي. تأليف هـ.آيدرس بل. نقله إلى العربية، وأضاف إليه عبد اللطيف أحمد على. صفحة 84. دار النهضة العربية لطباعة والنشر-بيروت- 1973م.

551) Tyldesley, J. (2022, November 3). *Cleopatra*. *Encyclopedia Britannica*. https://www.britannica.com/biography/Cleopatra-queen-of-Egypt

552) بعدهم جاء بطليموس الرابع، الذي كان ضعيفا وخليعا وألعوبة في يد عصابة من الفاسقين. وبعده جاء بطليموس الخامس والسادس اللذان كانا صغارا، فتلاعب بهما رجال البلاط الملكي. وبعد بطليموس السادس جاء بطليموس الثامن.

وكان جلوس كليوباترا الشابة الصغيرة مع أخيها الصبي الصغير على العرش كفيلا بإثارة أطماع مراكز القوي، فنفيت كليوباترا إلى سوريا بعد عام واحد من توليها الحكم بواسطة "بوثينس" الذي نصب نفسه نائباً عن بطليموس الشاب. في هذا الوقت كان يوليوس قيصر القائد الروماني في الإسكندرية مع قوة عسكرية رومانية صغيرة، أرسلها مجلس الشيوخ إلى مصر. أرسل قيصر إلى كليوباترا سراً، وجاءته متخفية داخل فراش حمله أحد أتباعها. وذهل القائد الروماني بشجاعتها وسرعة بديهتها، ووفق بينها وبين أخيها بطليموس، وأجلسهما على عرش مصر كما كانا من قبل. ودبر قيصر اغتيال بوثينس الذي كان ينوي الهجوم عليه هو والقائد المصري أخلاس. وفر أخلاس، واتصل بالجيش المصري، وحرضه على الثورة. وسرعان ما امتلأت الإسكندرية بالجنود ينادون بالويل والثبور لقيصر، ويحرضون ضباط الحامية الرومانية التي وضعها مجلس الشيوخ في تلك المدينة على الانضمام إلى الجيش الثائر ضد هذا الدخيل الخائن الذي سولت له نفسه أن يقرر وراثة عرش البطالمة، وأن يعمل على أن يولد من صلبه من يرث هذا العرش في المستقبل. وحوصر قيصر وكليوباترا في الإسكندرية إلى أن وصل المدد إلى قيصر، فانهزم المصريون، وفر بطليموس الثالث عشر، وغرق في النيل. **وكافأ قيصر كليوباترا على إخلاصها له في هذه الأزمة بأن أعادها إلى العرش، لتحكم مصر مع أخيها الأصغر بطليموس الرابع عشر، فصارت حاكمة البلاد الحقيقية.**

وكان قيصر يخرج مع كليوباترا في موكب، يتكون من 400 سفينة عبر نهر النيل. وكثيراً ما كان يقضي الليل كله حتى مطلع الفجر يلهو معها، وكان بوده أن يسير معها في قاربها حتى يصلا إلى بلاد الحبشة لولا أن هدده جنوده بالخروج عليه. وقد **وضعت كليوباترا طفلاً في عام 47 ق.م سمي قيصريون، وأكد مارك أنطونيوس لمجلس الشيوخ أن قيصر اعترف بأنه ولده.** ولا يبعد أن تكون كليوباترا قد أسرت إليه تلك الفكرة الجميلة فكرة أن يكون ملكاً ويتزوجها فيجتمع بذلك عالم البحر الأبيض المتوسط تحت فراش واحد. وبعد أن عاد قيصر إلى روما عام 46 ق.م ذهبت كليوباترا إليه لزيارته، **واستضافها في قصره الخاص هي وزوجها (بطليموس الرابع عشر) وابنها غير الشرعي منه**[553]. وكانت كليوباترا في روما لما اغتيل قيصر عام 44 ق.م.

553) ليس معروفا على وجه اليقين ما إذا كان ابنها قد ولد قبل هذه الزيارة.

وبعد عودتها إلى مصر مات بطليموس الرابع عشر (ويقال أن كليوباترا قتلته)، فحكمت البلاد مع طفلها بطليموس الخامس عشر (قيصريون) الذي أنجبته من علاقتها غير المشروعة مع قيصر.

وبعد اغتيال قيصر نشبت حرب أهلية في روما بين فريقين: (أنطونيوس وأُكتافيان وليدس) ضد (بروتس وكاسيوس). وقسم المنتصرون الإمبراطورية فيما بينهم[554]، **فاختار أنطونيوس (أو أنطونيو) مصر وبلاد اليونان والشرق. وكان لأنطونيوس شأن مع كليوباترا، فقد وقع في حبها** بعد أن كان في البداية يتهمها بمساعدة أعدائه، وأرسل إليها يدعوها للمثول بين يديه في طرسوس لتجيب عما اتهمت به من مساعدة أعداء الحكومة الثلاثية. **وجاءت كليوباترا، ولكنها** –كما يقول ويل ديورانت– **جاءت في الوقت الذي اختارته وعلى الطريقة التي اختارتها**. فبينما كان أنطونيوس جالساً على عرش في السوق العامة، ينتظر منها أن تحضر وتدفع عن نفسها ما اتهمت به، **ركبت هي نهر سندس في قارب ذي أشرعة أرجوانية، وسكان مذهب، ومجاديف من فضة، تضرب الماء على أنغام الناي والمزمار والقيثار. وكانت وصيفاتها هن بحارة القارب، ولكن في زي حور البحار وربات الجمال. أما هي فقد تزينت بزي الزهرة (فينوس) ورقدت تحت سرادق من قماش موشي بالذهب**. ولما انتشر بين أهل طرسوس هذا المنظر الفتان أقبلوا على شاطئ النهر زرافات ووحداناً، وتركوا أنطونيوس وحده جالساً على عرشه. ودعته كيلوباترا إلى العشاء معها في قاربها، فأقبل عليها ومعه حاشيته، فأولمت وليمة فاخرة، وأعجب بها، وبدأ حديثه معها يلومها على ما فعلت؛ واختتمه بأن **أهدى إليها فينيقيا، وسوريا الوسطى، وقبرص، وأجزاء من قليقية وبلاد العرب واليهود. وكافأته هي بما يشتهي، ودعته إلى الإسكندرية، فأجاب الدعوة، وقضى في تلك المدينة شتاء بعيداً عن الهموم والأكدار يعب حب الملكة عبا. أما هي فلم تكن أسيرة حبه. بل كانت تعرف أن مصر الغنية الضعيفة لن تلبث أن تجتذب إليها رومه الشرهة القوية، وأن السبيل الوحيد لنجاة بلادها وعرشها هي أن تتزوج بسيد رومه. ولقد حاولت من قبل أن تفعل هذا بقيصر**، وهي تحاول الآن أن تفعله بأنطونيوس، ولم يكن له هو سياسة غير سياسة قيصر. فمال إلى تحقيق الحلم القديم، وهو توحيد رومه ومصر، ونقل عاصمته إلى بلاد الشرق الفتان الجميل.

---

554) أعطى ليدس أفريقيا وأخذ أكتافيان الغرب

ويقول المؤرخ يوسيفيوس إن **كليوباترا جعلت مارك أنطونيوس أسيرا لحبها. وهذه العاطفة جلبت الدمار عليهما وعلى مصر كلها أيضا.** وكانت كليوباترا دوما السبب في القرارات السيئة التي يتخذها أنطونيوس. وبمجرد فوز كليوباترا بحب أنطونيو **استخدمت مكانتها في معاقبة أعدائها بما فيهم أختها أرسينوى الرابعة التي نفيت إلى أفسس.** ويقول يوسيفوس أن كليوباترا عقب قتلها لعائلتها الواحد تلو الآخر، أصبحت متعطشة لدماء الأجانب، إذ عرضت على أنطونيو اتهامات ملفقة ضد مسئولين كبار في سوريا، ثم حثته على إعدامهم، اعتقادا منها أنها لن تجد صعوبة في الاستيلاء على ممتلكاتهم.

ولما ضم أنطونيوس أرمينيا إلى الإمبراطورية الرومانية أقام لنفسه موكب نصر، وصدم مشاعر الإيطاليين بإقامة هذا الموكب في الإسكندرية، ثم طلق زوجته أكتافيا (أخت أُكتافيان)، **وتزوج كليوباترا، وثبتها هي وقيصريون حاكمين معاً على مصر وقبرص، وخلع الولايات الشرقية من الإمبراطورية على ابنه وابنته من كليوباترا.** وشجعته كليوباترا على أن يغامر آخر مغامرة في سبيل السلطة العليا، وساعدته على حشد جيش وأسطول ضخم. وكان أكتافيان منافس أنطونيوس يدرك أنه هو وإيطاليا مقضي عليهما إذا نجح أنطونيوس في خططه، فأخذ يعمل على أن تدرك إيطاليا أن أنطونيوس قد تزوج ملكة مصر، وأنه وهبها هي وأطفالها غير الشرعين أكثر ولايات الإمبراطورية خراجاً، وأنه سيضع رومه وإيطاليا بأجمعها في المقام الثاني بعد مصر. وسرت الإشاعات بأن أنطونيو سينقل عاصمة الامبراطورية من روما إلى الإسكندرية. ولجأ أكتافيان إلى الأساليب الخداعة، فأعلن الحرب على كليوباترا لا على أنطونيوس، ليجعلها بذلك كفاحاً مقدساً في سبيل استقلال إيطاليا[555].

وأبحر أسطول أنطونيوس وكليوباترا، والتحم مع جيش أكتافيان في معركة من المعارك الحاسمة في التاريخ (موقعة أكتيوم البحرية) عام 31 ق.م التي انهزم فيها أنطونيو وكليوباترا، وهربا إلى مصر، وكانت هذه الموقعة كارثة على المصريين. ثم اتجه أكتافيان فيما بعد نحو الإسكندرية. وكان أنطونيوس قد ترك كليوباترا، وأرسل رسلاً يطلب الصلح، ولكن أكتافيان لم يعبأ بهم، **وأرسلت كليوباترا إلى أكتافيان على غير علم من أنطونيوس صولجاناً وتاجاً وعرشاً من الذهب**

---

555) يرى بعض العلماء عدة أسباب لإعلان أُكتافيان الحرب على كليوباترا، منها طلاق أنطونيو لأخته (أُكتافيا)، والأراضي التي تنتمي فعليا لروما وأعطاها أنطونيو لكليوباترا، والأسلوب السافر الذي احتفي به أنطونيو بعلاقته بكليوباترا على سبيل المثال بظهورهما معا على العملات. كما أعلن أنطونيو أمام الجماهير في حفل "عطايا الإسكندرية" أن قيصريون ابن كليوباترا هو ابن يوليوس قيصر، وهذا يمنحه شرعية مقارنة بأوكتافيوس الذي كان ابن قيصر ووريثه بالتبني.

دليلاً على خضوعها له. وكان جوابه لها- على حد قول ديو- أنه يتركها ويترك مصر دون أن يمسها بأذى إذا قتلت أنطونيوس. وكتب الحاكم المهزوم إلى أكتافيان مرة أخرى يذكره بصداقتهما الماضية، وقال إنه يرضى بأن يقتل نفسه إذا عفا هو عن كليوباترا، ولم يرد عليه أكتافيان في هذه المرة أيضاً. **وجمعت كليوباترا كل ما استطاعت جمعه من أموال مصر في أحد أبراج القصر ثم أبلغت أكتافيان أنها ستتلف هذه الأموال كلها وتقتل نفسها إذا لم يعقد معها صلحاً شريفاً.**

ويذكر ديو أن كليوباترا تركت مدينة الفرما تسقط في يد أوكتافيان لأنها **كانت تعتقد أن أوكتافيان يحبها.** وعندما دخل أكتافيان مدينة الإسكندرية منعت كليوباترا الأهالي من مهاجمته لأنها لم تتوقع الحصول على عفوه والسيادة على المصريين فحسب وإنما على الإمبراطورية الرومانية بأكملها.

وسار أنطونيوس على رأس القوة الصغيرة التي كانت باقية لديه ليحارب عدوه في المعركة الأخيرة، واستطاع بشجاعة اليائس أن يكسب نصراً مؤقتاً، ولكنه أبصر في اليوم الثاني **جنود كليوباترا المرتزقة تستلم للعدو، وتراءى إليه أن كليوبطرة قد ماتت، فطعن نفسه طعنة قضت على حياته.** ولما علم أن الخبر مكذوب طلب إلى أتباعه أن ينقلوه إلى الملكة، فأدخل إليها، ومات بين ذراعيها. وسمح لها أكتافيان أن تخرج من البرج، وتدفن حبيبها، ثم أجاز لها المثول بين يديه. ولم يتأثر بما كان باقياً من المفاتن في امرأة محطمة مهزومة في التاسعة والثلاثين من عمرها، وعرض عليها شروطاً للصلح بدت معها الحياة عديمة القيمة لمن كانت من قبل ملكة. **ولم يخالجها شك في أنه يعتزم أخذها أسيرة إلى روما** لتزين موكب نصره، فما كان منها إلا أن انتحرت، بعد أن جلست على العرش 22 عاما.

وبنظرة عامة لسيرة كليوباترا نقول أنها كانت من أخس أنواع السياسيين، وذلك للأسباب التالية:

- **لم تكن كليوباترا مصرية،** بل كانت تنتمي لأسرة حاكمة أجنبية.
- **كانت كليوباترا تحكم مصر ضد رغبة الشعب المصري** الذي ثار عليها، وثار على البطالمة قبلها (في مصر العليا ومدينة طيبة بالأخص)، لأن البطالمة اعتبروا المصريين مواطنين من الدرجة الثانية، واعتبروا الإغريق مواطنين من الدرجة الأولى. وكانت مدينة الإسكندرية التي

اهتم بها البطالمة تعتبر بلدا أجنبيا بالنسبة للمصريين، وكان توصف رسميا بعبارة "المتاخمة لمصر".[556]

- **كانت كليوباترا تتصرف كتابع صغير لدولة عظمى**، هي روما، التي دعمتها ضد ثورة المصريين في بداية حكمها، كما دعمتها مرة أخرى لما خلعها أوصياء أخيها من العرش. وكان معظم جيشها مكونا من الرومان، وسمحت بوجود ثلاثة فيالق أجنبية رومانية في الإسكندرية لحماية ملكها الضعيف[557]. وأحقر الحكام هو الذي يفتقر للكرامة، والاستقلال، ويعتبر نفسه مجرد لاعب في فريق ترأسه دولة عظمى.
- **لم تكن كليوباترا صاحبة رسالة تسعى لنشرها**، بل امرأة كل غايتها الحفاظ على عرشها. وأحقر إنسان هو من يعبد السلطة لذاتها، وليس باعتبارها وسيلة لإقامة العدل، وإحقاق الحق، وخدمة الناس.
- **لم تكن كليوباترا تعرف الأخلاق**، فقد قتلت أفراد أسرتها، ونفتهم.
- المرأة التي تستغل جسدها وجمالها لتحقيق مآربها لا تستحق الاحترام. وكليوباترا كانت من هذا النوع. وأنا في غاية الدهشة من المؤرخين الذي مدحوا كليوباترا بسبب طموحها، وذكائها، ونجاحها في ضم أراض لدولتها، وتهديدها لروما. ولكنهم يتغاضون عن أن كل ذلك تم من خلال بيع جسدها للقادة الرومان. **إنها أشبه براقصة تتباهى بأنها أصبحت وزيرة، مع أن ذلك تم بعد أن باعت جسدها لرئيس الوزراء**. رئيس الدولة الذي يستحق الاحترام هو ذلك الذي يحقق مصلحة بلاده عن طريق الحرب أو السياسة أو الاقتصاد، لكن الرئيس الذي يحقق مصلحة بلادة من خلال الجنس لا يستحق إلا كل ازدراء.
- **كانت كليوباترا تفتقر للكبرياء**، فلما دعاها أنطونيوس لمحاسبتها على دعم أعدائه لم ترفض هذا الاستدعاء المذل، بل ذهبت إليه بطريقة أكثر مذلة، فقد تقمصت دور بائعة هوى كي تمتص غضبه. إن الزعيم الجدير بالاحترام إن انهزم ظل محتفظا بكبريائه، أما كليوباترا فحين هُزمت في موقعة أكتيوم أخذ تتذلل إلى أكتافيان كي يصفح عنها، بل حاولت إغرائه

---

556) لما حاول بطليموس الرابع صد هجوم أنطيوخس الأكبر على مصر اضطر لتجنيد المصريين وتدريبهم، ولما انتصر في معركة رفح عام 217 ق.م. فشعر المصريون بأنهم أنداد للإغريق من الناحية العسكرية، وتكررت ثوراتهم. وفي القرن الأخير من الحكم البطلمي ظفر المصريون الوطنيون بمكانة جعلتهم أقرب للمساواة مع الإغريق عما كانوا عليه في عهد البطالمة الأوائل، وذلك بفضل الضعف المضطرد الذي أصاب الحكومة واحتياج الملوك المتنافسين على العرش إلى التأييد الشعبي. ولهذا نسمع عن مصريين يحتلون مراكز رفيعة في السلك المدني والعسكري. ومنح الجنود المصريون المسرحون إقطاعات من الأرض مثل زملائهم الإغريق، وإن كانت أقل منها مساحة. ولم يؤد هذا إلى تحسين العلاقات بين المصريين والإغريق، بل أدى إلى شعور المصريين بأهميتهم، وتضاؤل احترامهم للأجانب. انظر: **"مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي"**. صفحة 79-82.

557) **كليوباترا ملكة مصر**. صفحة 158-159.

بجمالها كما فعلت مع سابقيه، فلم يأبه لها. الزعيم البطل يظل صامدا حتى وهو في أسر أعدائه.

- **حين نقارن كليوباترا بزوجة أنطونيوس (أوكتافيا) نجد أن أوكتافيا -التي لم تكن ملكة- كانت تستحق كل الاحترام والتبجيل**، فقد جعلت زوجها يعيش حياة الفضيلة معها، ويترك اللهو. ورفضت أن تتركه بسبب علاقته بكليوباترا، وطلبت من أخيها أكتافيان ألا يشن حربا على زوجها السابق. كما اعتنت أكتافيا بأطفال أنطونيوس من زوجته السابقة فولفيا وبأطفاله من كليوباترا بعد انتحاره[558]. **وعلى ذلك فنجاح المرأة سياسيا لن يجلب لها الاحترام. ويمكن للمرأة أن تجبرنا على تقديرها بعمل يبدو بسيطا كرعاية الأطفال أو الصفح عن الآخرين.**

ونلفت النظر في النهاية إلى أن **كليوباترا لم تكن أول امرأة تجلس على العرش في أسرة البطالمة**، فقد سبقتها كليوباترا الثانية وكليوباترا الثالثة وكليوباترا ترايفينا وكليوباترا برنيكي، لكنهن ينتمين إلى عصر الضعف والاضمحلال، ولم يكن لأي منهن إنجازا مشرفا، وكان حكمهن في الغالب مشتركا مع الذكور[559]. أما العصر الذهبي للبطالمة فهو يشمل أول ثلاثة ملوك، وكلهم من الذكور.

السلطانة "رضية"

الملكة المسلمة "رضية" أو "رضية الدين" هي ابنة السلطان ألتمش (يسمى أيضا التتمش أو إيتامش)، المؤسس الحقيقي لدولة المماليك في الهند. قال ابن بطوطة أنه بعد موت السلطان ألتمش بويع ابنه ركن الدين، فعمد إلى قتل أخيه، مما جعل أخته تثير عليه الشعب، فيقتله، وتجلس هي على العرش[560]. ويقول الذهبي أن سبب ملكها أن أخاها ركن الدين تملك في السنة الماضية بعد والده، فلم ينهض بتدبير الرعية، وتفرقت عليه عساكره. فقبضت عليه أخته هذه، وملكت، وأطاعها الأمراء، ولقبت رضية الدنيا والدين[561].

558) **كليوباترا ملكة مصر**. صفحة 156.
559) **كليوباترا ملكة مصر**. صفحة 38، 43.
560) **"تاريخ الإسلام في الهند"**. تأليف الدكتور عبد المنعم النمر. صفحة -149-150. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. البعة الأولى 1981م- 1401 هجرية. بيروت لبنان
561) **"تاريخ الإسلام"** للذهبي (14/ 17)

وإذا جئنا لبعض التفاصيل لقلنا أن ألتمش يعتبر المؤسس الحقيقي لأسرة المماليك الأتراك في الهند (سلطنة دلهي). وقد كان ملكا صالحا، ذا إيمان عميق، راعيا للعلماء، محبا للزهاد. **وقبل وفاته وجد أن أبناءه الذكور مستهترين، ولا يصلحون لحكم البلاد، فأوصى بالملك من بعده لابنته رضية.** لكن بعد وفاته **رفض الأمراء تعيين امرأة في السلطة، فعينوا بدلا منها أخاها ركن الدين** ابن ألتتمش، الذي **كان فاسقا، غارقا في الشهوات**، فقامت والدته شاه توركان بإدارة الدولة من وراء الستار. لكن لما دبر ركن الدين وأمه جريمة اغتيال وحشية لأحد الأمراء انقلب الولاة والأمراء ضده. ثم حاولت الملكة الأم اغتيال رضية، لكن المؤامرة وئدت في مهدها، وقامت الحشود الغاضبة بالقبض على ركن الدين وأمه، وألقي بهم في السجن. **وتجمع الأشراف حول رضية، ونصبوها ملكة عليهم،** لكنها في البداية قوبلت بمعارضة من وزير المملكة وحكام الأقاليم الذين رفضوا تولي امرأة للحكم. وبفضل وقوف أحد الإقطاعيين بجوارها، وبفضل دبلوماسيتها وشجاعتها دان لها أخيرا كل الأمراء[562].

وكانت رضية امرأة موهوبة. وقد وصفها مؤرخ معاصر لها بأنها كانت عظيمة، ذات سيادة، حكيمة، عادلة، محسنة، راعية للعلماء، مقيمة العدل، معزة لرعاياها، ذات موهبة حربية، وحبيت بكل الصفات الحميدة والمؤهلات الضرورية لملك. لكن بما أنه لم يقدر لها عند الخلق أن تعد من الرجال، فبم انتفعت بكل هذه المؤهلات الممتازة؟ لقد حاولت قدر طاقتها أن تلعب دور الملك، فخلعت ملابس النساء، وانفصلت عن الحريم، وارتدت عمامة كالرجال. ولعبت دورا نشطا في الحملات العسكرية، وقادت بنفسها حملة ضد والي لاهور الذي اضطر للخضوع لحكمها[563].

لكن تبين فيما بعد أن **أنوثة رضية ستكون سببا في الإطاحة بها، فقد أظهرت رضية مجاملة غير طبيعية لمدرب الخيول الخاص بها، والذي كان مملوكا حبشيا اسمه ياقوت، فغضب الأمراء الأحرار من تفضيل الملكة لهذا العبد، وظنوا بها السوء** (والله أعلم بالحقيقة). كما صدم العامة من ظهورها في العلن خلافا لسنة النساء. وثار والي سرهند ضدها، فخرجت بجيش لرده، فقام الأمراء الأتراك بقتل عبدها ياقوت، وقبضوا عليها، وسجنوها في القلعة. **لكن رضية اتفقت مع والي سرهند على أن تتزوجه،** فقبل، وقاد جيشه متجها إلى دلهي لاستعادة المملكة، فتصدى

562) A short history of Muslin rule in India. By Ishwari Prasad. Page 81-83. Published by the Indian Press, limited, ALLAHABAD. Second edition. 1931.
563) A short history of Muslin rule in India. Page 83.

له "**معز الدين بهرام شاه**" أخو رضية، الذي **نصبه الأمراء حاكما بدلا منها**، فهُزم جيش أخته وزوجها، وانفض جيشهما من حولهما، وفرا، فوقعا في أيدي الهندوس الذين قتلوهما عام 1240م بعد أن **استمر حكمها ثلاث سنوات ونصف**[564]. وإذا وضعنا الملكة رضية في الميزان لقلنا ما يلي:

- كانت رضية أفضل خلقا ودينا وحكمة وشجاعة من أخيها ركن الدين المستهتر الفاسق.
- **تخلت رضية عن طبيعتها ودورها كامرأة، فقد كانت ترتدي ملابس الرجال، وتتصرف مثلهم**. ليس هذا فقط بل إنها لم تتبع فطرة الله، فلم تتزوج، ولم تنجب، ولم تكون أسرة. لقد انشغلت بالملك، وكان من الأفضل أن تترك الأمر للأمراء الرجال، وهم كثيرون. ويبدو أنها خافت من أن تتزوج حتى لا يسلب زوجها العرش منها. وحين فكرت في الزواج كان ذلك من أجل إغراء أحد الأمراء كي تتخلص من السجن، وتسترد العرش. وكل هذا يؤكد ان المرأة لكي تنجح في الرئاسة فسيكون عليها أن تضحي بحياتها العائلية.
- لا نصدق أن رضية كان تبغي الملك لأن أخاها كان فاسقا مستهترا، ولكن لأنها تحب الملك، وتعشق السلطة، **فأصحاب القوة الحقيقية في البلاد كانوا هم جماعة الأمراء والأشراف**، وهم الذين تمردوا قبلها على أخيها ركن الدين، وهم الذين عينوها مكانه، **فهي في الحقيقة لم تفعل الكثير**، ولو تخلت رضية عن الملك لصالح أحد الأمراء لكان خيرا للجميع. **وكان بإمكانها أيضا أن تتزوج أحد هؤلاء الأمراء، وتتركه يدير شئون البلاد بدلا منها**، وسيمضي ركن الدين الفاسق في جميع الأحوال. ومن الخطأ تضخيم دور رضية لمجرد أنها أفضل خلقا وحمة من أخيها.
- **بمعايير السياسة لا يمكن اعتبار رضية من الملوك العظام، فقد أزيحت من على السلطة سريعا**، ولم تكن مثل أولئك الملوك الكبار، الذين استقر حكمهم، ونجحوا في البقاء في السلطة لسنوات طويلة، مثل ألتمش الذي استمر 25 عاما (من 1210-1236م، 607-633هـ)، وناصر الدين محمود بن ألتمش الذي استمر عشرين عاما (من 1246-1266م، 644- 664هـ)، وغياث الدين بلبان الذي استمر 21 عاما

---

564) **A short history of Muslin rule in India**. Page 84.

(1266-1287، 664-686هـ).[565] وأقوى ملوك دولة المماليك في الهند هم ألتمش، المؤسس الحقيقي للدولة، وصاحب معظم الفتوحات، التي وسعت المملكة في بلاد الهند. وفي عهد ناصر الدين محمود تم صد الخطر المغولى مع انتزاع بعض الأراضي للدولة من يد الهندوس عبر معارك كثيرة. وبقية حكام هذه الدولة لم يفعلوا شيئا غير قمع التمرد الداخلي[566]. ويعد غياث الدين بلبان (أو بلبن) أحد أقوى ملوك هذه الدولة، وكان وزيرا لناصر الدين محمود لمدة عشرين عاما، وكان له الفضل في إدارة الحكم. وبعد وفاته تولى الحكم، وسيطر علي الدولة بقوة، وقضى على نفوذ جماعة الأربعين، وكان حاكما ورعا عادلا حكيما[567].

مما سبق يتبين أن نجاح الملكة رضية كان نجاحا محدودا أو نسبيا، لكن **بمقاييس السياسة** نقول أنها كانت رئيسة فاشلة، لأنها لم تدم فى الحكم أكثر من ثلاث سنوات ونصف، وأزيحت من السلطة، ثم قُتلت بطريقة مهينة. **وبمقاييس الدين** نقول أنها تخلت عن دور الأنثى والأم، وتشبهت بالرجال دون ضرورة، فقد كان الرجال الأقوياء في عصرها كثيرون.

شجرة الدر

موقف السلطانة رضية يشبه موقف السلطانة شجرة الدر (أو شجر الدر) التي حكمت مصر بعدها بعشر سنوات سنة 1250م، والتي أثار حكمها استياء الرأي العام الإسلامي، وانتهى الأمر بمقتلها أيضا.[568]

ونلخص قصة شجرة الدر[569،570] ، فنقول أنها كانت في الأصل جارية تركية (أو أرمينية)، اشتراها الملك الصالح نجم الدين أيوب، وأعتقها، وتزوجها، وكان لا يفارقها سفرا ولا حضرا. ولما توفي نجم الدين أيوب كانت مصر تمر بظروف حرجة بعد أن هاجمها الصليبيون. **فأخفت شجر**

---

565) **الهند في ظل السيادة الإسلامية (دراسات تاريخية).** تأليف دكتور أحمد محمد الجوارنه - صفحة 170. جامعة اليرموك. مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع.
566) **الهند في ظل السيادة الإسلامية (دراسات تاريخية).** صفحة 106-107.
567) **تاريخ الإسلام في الهند.** صفحة -149-150
568) **"فى التاريخ الأيوبى والمملوكى".** صفحة 15-16. تأليف الدكتور أحمد مختار العبادى. كلية الآداب جامعة الإسكندرية. الناشر مؤسسة شباب الجامعة. 1992م.
569) **الأيوبيون والمماليك: التاريخ السياسي والعسكري.** تأليف دكتور قاسم عبد قاسم و دكتور على السيد على. صفحة 107 حتى 133. الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. القاهرة. 1995م.
570) **السلوك لمعرفة دول الملوك** (1/ 444)- (445/1). تأليف تقي الدين المقريزي. تحقيق محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت. الطبعة الأولى، 1418هـ - 1997م

الدر نبأ وفاة السلطان، واستدعت الْأَمِير فَخر الدّين بن شيخ الشُّيُوخ والطواشي جمال الدّين محسن، واتفقت معهما على كتمان الخبر، وإدارة الدولة باسم السلطان حتى لا تدب الفوضى، أو يطمع الصليبيون. وتولى الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ – الذي كان عاقلا ومحبوبا من الناس– **قيادة الجيش وتدبير أمور الدولة.** وفي نفس الوقت أرسلت شجرة الدر إلى تورانشاه ابن السلطان نجم الدين كي يعود إلى مصر[571] ليتولي الحكم بعد أن أخذت له البيعة من كبار رجال الدولة والجيش، مدعية أن السلطان المريض هو الذي طلب ذلك منهم[572].

وفي المنصورة دارت معركة بين المماليك بقيادة بيبرس (بدعم شعبي من الأهالي) والصليبيين، وانتهت بهزيمة الصليبيين. ثم وصل تورانشاه إلى مصر، وذهب ليتولي قياش الجيش بنفسه، وأعد خطة ماكرة لمواجهة الصليبيين، ثم دارت المعركة الرهيبة في فارسكور، وانهزم الصليبيون هزيمة نكراء. لكن تورانشاه كان متهورا، فدفعه الحقد للصدام مع المماليك البحرية الذين كان لهم الفضل في الانتصار على الصليبيين. وفي نفس الوقت **أخذ تورانشاه يضيق على شجرة الدر**، ويطالبها بأموال أبيه، فخافت منه، وهربت إلى القدس، **وتحالفت مع المماليك ضده.** وانتهي الصراع بقتل زعماء المماليك البحرية (بيبرس وأقطاي) لتورانشاه.

وبعد ذلك اختار زعماء المماليك شجرة الدر لتتولى حكم مصر. لكن الشعب وعلماء الدين رفضوا تولي امرأة للحكم. حاولت شجر الدر أن تمتص الغضب، وتعرض نفسها كأم ولد، ونسبت نفسها إلى زوجها السابق (الملك الصالح)، والي الخليفة المستعصم العباسي، ونقشت على العملة التي سكتها عبارة (المستعصمية الصالحية ملكة المسلمين والدة خليل أمير المؤمنين). ومع ذلك سادت المظاهرات والاضطرابات جميع أنحاء العاصمة. وألفت الرسائل والكتب من العلماء –بزعامة عز الدين بن عبد السلام– التي تعارض تولي امرأة للحكم. ورفض

---

571) كان توران شاه وقتها في ولايته في حصن كيفا بأطراف العراق.

572) يقول المقريزي: «فَلَمَّا مَاتَ السُّلْطَان أحضرت زَوجته شجر الدَّرّ الْأَمِير فَخر الدّين بن شيخ الشُّيُوخ والطواشي جمال الدّين محسن - وَكَانَ أقرب النَّاس إِلَى السُّلْطَان وَإِلَيْهِ الْقيام بِأَمْر مماليكه وحاشيته - وأعلمتهما بِمَوْت السُّلْطَان ووصتهما بكتمان مَوته خوفًا من الفرنج. وَكَانَ الْأَمِير فَخر الدّين عَاقِلا مُدبرا خليقاً بِالْملكِ جواداً محبوباً إِلَى النَّاس فاتفقا مَعَ شجر الدَّرّ على الْقيام بتدبر المملكة إِلَى أَن يقدم الْملك الْمُعظم تورانشاه فأحضرت شجر الدَّرّ الْأُمَرَاء الَّذين بالمعسكر وَقَالَت لَهُم: إن السُّلْطَان قد رسم بِأَن تحلفُوا لَهُ ولابنه الْملك الْمُعظم غياث الدّين تورانشاه صَاحب حصن كيفا أَن يكون سُلْطَانا بعده وللأمير فَخر الدّين يُوسُف بن شيخ الشُّيُوخ بالتقدمة على العساكر وَالْقِيَام بالأتابكية **وتدبير المملكة** فَقَالُوا كلهم سمعا وَطَاعَة ظنا أَن السُّلْطَان حَيّ وحلفوا بأسرهم وحلفوا سَائِر الأجناد والمماليك السُّلْطَانِيَّة. وَكتب على لِسَان السُّلْطَان إِلَى الْأَمِير حسام الدّين بن أبي عَليّ الهذباني بِالْقَاهِرَةِ أَن يحلف أكَابِر الدولة وأجنادها بِالْقَاهِرَةِ فَحَضَرَ إِلَى دَار الوزارة قَاضِي الْقُضَاء بدر الدّين يُوسُف بن الْحسن قَاضِي سنجار وَالْقَاضِي بهاء الدّين زُهَيْر بن مُحَمَّد كَاتب الْإِنْشَاء .... وَقَامَ الْأَمِير فَخر الدّين **بتدبير المملكة**.... فَكَانَت الْكتب ترد من المعسكر وَعَلَيْهَا عَلامَة السُّلْطَان الْملك الصَّالح نجم الدّين أَيُّوب فَقيل إِنَّهَا كَانَت بِخَط خَادِم يُقَال لَهُ سُهَيْل وَلَا يشك من رَآهُ أَنه خطّ السُّلْطَان.....هَذَا **وَشَجر الدّرّ تدبر الْأُمُور** حَتَّى لم يتَغَيَّر شَيْء وَصَارَ الدهليز السلطاني على حَاله والسماط فِي كل يَوْم يمد والأمراء تحضر الْخدمَة وَهِي تَقول: السُّلْطَان مَرِيض مَا يصل إِلَيْهِ أحد». انظر: **"السلوك لمعرفة دول الملوك"** (1/ 444).

الخليفة العباسي في بغداد الاعتراف بشجرة الدر، وأرسل ردا ساخرا: (إن كانت الرجال قد عدمت عندكم، فأعلمونا حتى نسير إليكم رجلا). فأدرك المماليك أنهم يسبحون ضد تيار قوي. كما لاح تهديد خارجي من الملك الناصر في الشام، **فخلع المماليك شجرة الدرة، وعينوا عز الدين أيبك التركماني، ليصبح "الملك المعز"**. وقيل أن شجرة الدر تنازلت عن السلطة لأيبك[573]. وقد وافق أمراء المماليك على اختيار أيبك **لأنهم ظنوا أنه شخص ضعيف، يسهل خلعه فيما بعد إن حسم الصراع لصالح أحد المماليك الأقوياء** مثل أقطاي وبيبرس وقلاوون.

وكان أيبك رجلا صالحا باتفاق المؤرخين[574]. يقول ابن تغري: «ومال الناس إلى أيبك المذكور، وهو من أوسط الأمراء، ولم يكن من أعيانهم؛ غير أنّه كان معروفا بالسّداد وملازمة الصلاة، ولا يشرب الخمر؛ وعنده كرم وسعة صدر ولين جانب. وقالوا أيضا: هذا متى أردنا صرفه أمكننا ذلك لعدم شوكته. وكونه من أوسط الأمراء. فبايعوه وسلطنوه»[575]. **لكن أيبك ثبت أقدامه في الحكم**، وأنشا فرقة من المماليك الموالين له (المماليك المعزية)، ونجح في صد هجوم الملك الأيوبي الناصر يوسف، وقمع تمرد البدو، كما اغتال أقطاي أكبر منافسيه من المماليك لما أفسد

---

573) ذكر بعض المؤرخين أن المماليك خلعوا شجرة الدر، لكن قال آخرون بأنها تنازلت عن الحكم. وهذا التضارب نلحظه مثلا لدى المقريزي (463/1)، الذي ذكر أولا أن أيبك تزوج شجرة الدر، فتنازلت له عن الملك: «وَتزَوج الْأَمِير عز الدّين أيبك بشجر الدّرّ فِي تَاسِع عشري شهر ربيع الآخر وخلعت شجر الدّرّ نَفسهَا من مملكة مصر وَنزلت لَهُ عَن الْملك فَكَانَت مُدَّة دولتها ثَمَانِينَ يَوْمًا». وبعد قليل ذكر المقريزي ما يفيد أن قرار تعيين أيبك ملكا جاء من المماليك، وليس من شجرة الدر، وذلك لما رفض الخليفة العباسي جلوس امرأة على العرش، ولما شعر المماليك بوجود تهديد خارجي من الملك الناصر: «وَوصل الْخَبَر بذلك إِلَى بَغْدَاد فَبعث الْخَلِيفَة المستعصم بِاللَّه من بَغْدَاد كتابا إِلَى مصر وَهُوَ يُنكر على الْأُمَرَاء وَيَقُول لَهُم: إِن كَانَت الرِّجَال قد عدمت عِنْدكُمْ فأعلمونا حَتَّى نسير إِلَيْكُم رجلا. وَاتفقَ وُرُود الْخَبَر باستيلاء الْملك النَّاصِر على دمشق فَاجْتمع الْأُمَرَاء والبحرية للمشورة وَاتَّفَقُوا على إِقَامَة الْأَمِير عز الدّين أيبك مقدم الْعَسْكَر فِي السلطنة ولقبوه بِالْملكِ المعز، وَكَانَ مَشْهُورا بَينهم بدين وكرم وجودة رَأْي».
والحقيقة أن هناك خلافا حول متى تزوج أيبك من شجرة الدر: هل تزوجها قبل أن يصبح سلطانا أم بعد أن أصبح سلطانا؟ يقول ابن تغري: «وبقيت على ذلك مدّة ثلاثة أشهر إلى أن خلعت نفسها، واستقرّ زوجها الملك المعزّ أيبك التّركمانيّ الصالحيّ.... وقيل: إنه تزوّجها أيبك بعد سلطنته». انظر: "**النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة**" (6/ 374). تأليف يوسف بن تغري بردي. الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.
وذكر كل من ابن خلدون وابن كثير أن أيبك تزوج شجرة الدر بعد أن تمكن من الحكم: قال ابن خلدون بعد أن حكى كيف تخلص أيبك من أقطاى: «وانفرد المعز أيبك بتدبير الدولة وخلع موسى الأشرف وقطع خطبته وخطب لنفسه وتزوّج شجرة الدر زوجة الصالح التي كانوا ملكوها من قبل». انظر: **"ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"** (5/ 433). تأليف عبد الرحمن بن محمد بن خلدون. تحقيق خليل شحادة. دار الفكر، بيروت. الطبعة الثانية، 1408 هـ - 1988 م.
وقال ابن كثير: «ثُمَّ دخلت سنة خمس وخمسين وستمائة فِيهَا أَصْبَحَ الْمَلِكُ الْمُعَظَّمُ صَاحِبُ مِصْرَ عِزُّ الدين أيبك بداره ميتاً وقد ولي الملك بعد أستاذ الصَّالِحِ نَجْمِ الدِّينِ أَيُّوبَ بِشُهُورٍ. كَانَ فِيهَا ملك توران شاه المعظم بن الصالح، ثم خلفته شجرة الدُّرِّ أَمُّ خَلِيلٍ مُدَّةَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ ثُمَّ أُقِيمَ هُوَ فِي الْمُلْكِ، وَمَعَهُ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ مُوسَى بْنُ النَّاصِرِ يُوسُفَ بْنِ أَقْسِيسَ بْنِ الْكَامِلِ مُدَّةً، ثُمَّ اسْتَقَلَّ بِالْمُلْكِ بِلَا مُنَازَعَةٍ، وَكَسَرَ النَّاصِرَ لَمَّا أَرَادَ أَخْذَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَقَتَلَ الْفَارِسَ أَقْطَايَ فِي سِنَةِ ثِنْتَيْنِ وَخَمْسِينَ، وَخَلَعَ بَعْدَهُ الْأَشْرَفَ وَاسْتَقَلَّ بِالْمُلْكِ وَحْدَهُ، ثُمَّ تزوج بشجرة الدر أم خليل». انظر: **"البداية والنهاية"** (13/ 228). تأليف أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير. تحقيق علي شيري. دار إحياء التراث العربي. الطبعة الأولى 1408، هـ - 1988 م.
ومن الممكن التوفيق بين الرأيين بالقول أن المماليك ضغطوا على شجرة كي تتنازل طواعية حتى لا يقول الناس أنها أُكرهت على ترك الحكم، فتبقى كرامتها محفوظة.

574) يقول المقريزي: «وَاتَّفَقُوا على إِقَامَة الْأَمِير عز الدّين أيبك مقدم الْعَسْكَر فِي السلطنة ولقبوه بِالْملكِ المعز، وَكَانَ مَشْهُورا بَينهم بدين وكرم وجودة رَأْي» [**السلوك لمعرفة دول الملوك** (464/1)]. وقال ابن كثير عن أيبك: "وكان كريماً شجاعاً حيياً دَيِّنًا" [**البداية والنهاية** (13/ 228)].
وأشاد ابن تغري بحسن أخلاق أيبك، ولكن كان المصريون يعارضونه لأنه كان في الأصل مملوكا، وليس حرا: «وكان ملكا شجاعا كريما عاقلا سيوسا كثير البذل للاموال، أطلق فى مدّة سلطنته من الأموال والخيول وغير ذلك ما لا يحصى كثرة حتّى رضى الناس بسلطان مسّه الرّقّ. وأمّا أهل مصر فلم يرضوا بذلك إلى أن مات، وهم يسمعونه ما يكره، حتّى فى وجهه إذا ركب ومرّ بالطرقات، ويقولون: لا نريد إلّا سلطانا رئيسا مولودا على الفطرة. على أنّ الملك المعزّ كان عفيفا طاهر الذّيل بعيدا عن الظلم والعسف كثير المداراة لخشداشيته والاحتمال لتجنّيهم عليه وشرّ أخلاقهم، وكذلك مع الناس. انظر: **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** (7/ 13).

575) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة (7/ 4).

في الأرض، وطغى، وتحول إلى مركز قوة[576،577]، ففر رجال أقطاي من المماليك البحرية إلى الشام طلبا لحماية الأيوبيين. ثم تزوج أيبك من شجرة الدر (وقيل أنه كان زوجها وهي سلطانة)[578].

لكن بعد فترة **دبرت شجر الدر مؤامرة لاغتيال أيبك لما علمت أنه يسعي للزواج من أميرة أيوبية.** وذكر المقريزي أن **شجرة الدر بعثت سرا برسالة إلى عدو أيبك الملك الناصر يوسف في الشام، ووعدته بقتل أيبك، ثم الزواج منه، بحيث يصبح ملكا لمصر الشام.** ولكن أيبك علم بهذه الرسالة، فازداد ما بينهما من جفاء. وفي نفس الوقت **بدأت شجرة الدر تخفي بعض أمور الدولة عن أيبك، كما أجبرته على طلاق زوجته الأولي أم ابنه، وأخفت عنه ممتلكات الملك الصالح**[579]. والحقيقة أن سبب الخلاف بين أيبك وشجرة الدر أعمق من ذلك، **فقد كانت شجرة الدر امرأة متمردة،** تضع رأسها برأس زوجها، وتتصرف كملكة في مواجهة ملك، وليس كزوجة عليها واجب الطاعة لزوجها. وأول حل يلجأ إليه الرجل في مثل هذه الحالات أن يتزوج بامرأة أخرى. وهذا الحل قد تراه المرأة قاسيا، إلا أنه حل سلمي وشرعي، لكن **شجرة الدر ردت على أيبك بحل دموي.** يقول ابن تغري: «**وكانت مستولية على أيبك فى جميع أحواله ليس له معها كلام،** وكانت تركيّة ذات شهامة ونفس قويّة وسيرة حسنة، شديدة الغيرة. فلمّا بلغها أنّ زوجها الملك المعزّ أيبك يريد أن يتزوّج ببنت الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، وقد عزم على ذلك، فتخيّلت منه أنه ربّما عزم على إبعادها أو إعدامها بالكليّة **لأنّه سئم من حجرها عليه**

576) قال ابن كثير عن طغيان أقطاي: «وفيها قدم الفارس أقطاي من الصعيد ونهب أَمْوَالَ الْمُسْلِمِينَ وَأَسَرَ بَعْضَهُمْ، وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْبَحْرِيَّةِ الْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ، وَقَدْ بَغَوْا وَطَغَوْا وَتَجَبَّرُوا، وَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى الْمَلِكِ الْمُعِزِّ أَيْبَكَ التركماني، ولا إلى زوجته شجرة الدر. فشاور المعز زوجته شجرة الدُّرِّ فِي قَتْلِ أَقَطَّايَ، فَأَذِنَتْ لَهُ، فَعَمِلَ عَلَيْهِ حَتَّى قَتَلَهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ بِالْقَلْعَةِ المنصورة بمصر، فاستراح المسلمون من شره» انظر: **"البداية والنهاية"** (13/ 217)

577) قال ابن خلدون: كان أقطاي الجامدار من أمراء البحرية وعظمائهم ويلقب فارس الدين وكان رديفا للمعز أيبك في سلطانه وأتابكه وكان يغض من عنانه عن الطموح إلى الكرسي وكان يخفض من جناحه للبحرية يتألفهم بذلك فيميلون له عن أيبك فاعتز في الدولة واستفحل أمره وأخذ من المعز الإسكندرية اقطاعا وتصرف في بيت المال وبعث فخر الدين محمد بن الناصر بهاء الدين بن حياء إلى المظفر صاحب حماة في خطبة ابنته فتزوّجها وأطلق يده في العطاء والإقطاع فعم الناس وكثر تابعه وغص به المعز أيبك وأجمع قتله فاستدعاه بعض الأيام للقصر للشورى سنة اثنتين وخمسين وقد أكمن له ثلاثة من مواليه في ممرّه بقاعة الأعمدة وهم قطز وبهادل وسنجر فوثبوا عليه عند مروره بهم وبادروه بالسيوف وقتلوه لحينه واتصلت الهيعة بالبحرية فركبوا وطافوا بالقلعة فرمى إليهم برأسه فانفضوا واستراب أمراؤهم فاجتمع ركن الدين بيبرس البندقداري وسيف الدين قلاون الصالحي وسيف الدين سنقر الأشقر وبدر الدين بنسر الشمسي وسيف الدين بلبان الرشيديّ وسيف الدين تنكر وأخوه سيف الدين موافق ولحقوا بالشام فيمن انضم إليهم من البحرية واختفى من تخلف منهم واستصفيت أموالهم وذخائرهم وارتجع ما أخذه أقطاي من بيت المال ورد ثغر الإسكندرية إلى أعمال السلطان. انظر: **"ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"** لابن خلدون (5/ 432)- (5/ 433)

578) انظر: **"ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"** لابن خلدون (5/ 433) وكذلك**"البداية والنهاية"** لابن كثير (13/ 228).

579) يقول المقريزي: «وَكَانَت شجر الدّرّ قد بعثت نصرا العزيزي بهدية إِلَى الْملك النَّاصِر يُوسُف وأعلمته أَنَّهَا قد عزمت على قتل الْمعز والتزوج بِهِ وتمليكه مصر. فخشي الْملك النَّاصِر يُوسُف أَن يكون هَذَا خديعة فَلم يجبها بِشَيْء. وَبعث بدر الدّين لُؤْلُؤ صَاحب الْموصل يحذر الْملك الْمعز من شجر الدّرّ وَأَنَّهَا باطنت الْملك النَّاصِر يُوسُف فتباعد مَا بَينهمَا وعزم على إنزالها من القلعة إِلَى دَار الوزارة. وَكَانَت شجر الدّرّ قد استبدت بِأُمُور المملكة وَلَا تطلعه عَلَيْهَا وتمنعه من الِاجْتِمَاع بِأم ابْنه وألزمته بِطَلَاقِهَا وَلم تطلعه على ذخائر الْملك الصَّالح» **السلوك لمعرفة دول الملوك** (1/ 493).

واستطالتها، فعاجلته وعزمت على الفتك به وإقامة غيره فى الملك»[580]. **وسلطت شجرة الدر خمسة من المماليك، فقتلوا أيبك في الحمام**[581].

ولما علم المماليك الموالون لأيبك (المماليك المعزية) بنبأ موته **قبضوا على شجرة الدر، وحملوها إلى ضرتها –زوجة أيبك الأولى وأم الملك الصبي الجديد– فأمرت جواريها، فضربوا شجرة الدر بالقباقيب، إلى أن ماتت، وألقوا بها من سور القلعة إلى الخندق**، وليس عليها سوى سروال وقميص، فبقيت أياما في الخندق حتى أنتنت جثتها، ثم دفنت[582،583]، فانتقمت زوجة أيبك السابقة من شجرة الدر التي تسببت في تدمير أسرتها.[584] لكن شجرة الدر قبل أن تموت انتقمت هي الأخرى ممن قتلوها، فقد **أتلفت ما لديها من جواهر حتى لا يتمتع به أعداؤها:** قال ابن كثير: "وَكَانَتْ قَوِيَّةَ النَّفْسِ، لَمَّا عَلِمَتْ أَنَّهُ قَدْ أُحِيطَ بِهَا أَتْلَفَتْ شيئاً كثيراً من الجواهر النفيسة واللآلىء المثمنة، كَسَرَتْهُ فِي الْهَاوُنِ لَا لَهَا وَلَا لِغَيْرِهَا"[585،586]. وقال ابن تغري: «ولما تيقّنت شجرة الدرّ أنّها مقتولة أودعت جملة من المال والجواهر، وأعدّت أيضا جملة من الجواهر النفيسة فسحقتها فى الهاون لئلا يأخذها الملك المنصور ابن المعزّ أيبك وأمّه، فإنّها كانت تكره المنصور ووالدته»[587]

ومن قصة شجر الدر نجد ما يلي:

- **تولت شجرة الدر الحكم لفترة قصيرة جدا**، لم تتجاوز ثمانين يوما.

---

580) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة (6/ 374)-(6/ 375)

581) يقول المقريزي: « فَأَقَامَ الْملك الْمعز بمناظر اللوق أَيَّامًا حَتَّى بعثت شجر الدّرّ من حلف عَلَيْهِ. فطلع القلعة وَقد أعدت لَهُ شجر الدّرّ خَمْسَة ليقتلوه: مِنْهُم محسن الْجَوْجَرِيّ وخادم يعرف بنصر العزيزي ومملوك يُسمى سنجر. فَلَمَّا كَانَ يَوْم الثُّلَاثَاء رَابِع عشري شهر ربيع الأول ركب الْملك الْمعز من الميدان بِأَرْض اللوق وَصعد إِلَى قلعة الْجَبَل آخر النَّهَار. وَدخل إِلَى الْحمام لَيْلًا فأغلق عَلَيْهِ الْبَاب محسن الْجَوْجَرِيّ وَغُلَام كَانَ عِنْده شَدِيد الْقُوَّة ومعهما جمَاعَة. وقتلوه بِأَن أَخذه بَعضهم بأنثييه وبخناقه فاستغاث الْمعز بشجرة الدّرّ فَقَالَت اتركوه فَأَغْلَظ لَهَا محسن الْجَوْجَرِيّ فِي القَوْل وَقَالَ لَهَا: مَتى تَرَكْنَاهُ لَا يبقي علينا وَلَا عَلَيْك ثمَّ قَتَلُوهُ» **السلوك لمعرفة دول الملوك** (1/ 493)

582) يقول المقريزي: «وَأشيع أَن الْمعز مَاتَ فَجْأَة فِي اللَّيْل وَأَقَامُوا الصائح فِي القلعة فَلم تصدق مماليكه بذلك: وَقَامَ الْأَمِير لَهُم الدّين سنجر الغتمي - وَهُوَ يَوْمئِذٍ شَوْكَة البحرية وشديدهم - وبادر هُوَ والمماليك إِلَى الدّور السُّلْطَانِيَّة وقبضوا على الخدام والحريم وعاقبوهم فأقروا بِمَا جرى. وَعند ذَلِك قبضوا على شجر الدّرّ ومحسن الْجَوْجَرِيّ نَاصِر الدّين حلاوة وَصدر الباز وفر العزيزي إِلَى الشَّام. فَأَرَادَ مماليك الْمعز قتل شجر الدّرّ فحماها الصالحية ونقلت إِلَى البرج الْأَحْمَر بالقلعة ثمَّ لما أقيم ابْن الْمعز فِي السلطنة حملت شجر الدّرّ إِلَى أمه فِي يَوْم الْجُمُعَة سَابِع عشريه فضربها الْجَوَارِي بالقباقيب إِلَى أَن مَاتَت فِي يَوْم السبت. وألقوها من سور القلعة إِلَى الخَنْدَق وَلَيْسَ عَلَيْهَا إلا سَرَاوِيل وقميص فبيت فِي الخَنْدَق أَيَّامًا وَأخذ بعض أراذل الْعَامَّة تكتة سراويلها. ثمَّ دفنت بعد أَيَّام - وَقد نتنت وحملت فِي قفة - بتربتها قريب الشهد النفيسي. » [**السلوك لمعرفة دول الملوك** (1/ 494)]

583) ذكر بعض المؤرخين أن المماليك الصالحية حموا شجرة الدر لفترة بعد قتلها ايبك لأنها كانت زوجة أستاذهم الملك الصالح. يقول ابن تغري: «واستمرّت شجرة الدرّ بالبرج الأحمر بقلعة الجبل، والملك المنصور علىّ ابن الملك المعز أيبك ووالدته يحرّضان المعزية على قتلها، والمماليك الصالحيّة تمنعهم عنها، لكونها جارية أستاذهم، ولا زالوا على ذلك إلى يوم السبت حادى عشر شهر ربيع الآخر وجدت مقتولة مسلوبة خارج القلعة» **[النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة** (6/ 378)].

584) يقول ابن تغري عن تفريق شجرة الدر بين أيبك وبين زوجته الأولى وابنها المنصور: « فإنّها كانت تكره المنصور ووالدته، وكانت غير متجمّلة فى أمرها لمّا تزوّجها أيبك حتّى منعته الدخول إليهما بالكليّة، فلهذا كان المنصور وأمّه يحرّضان المماليك المعزيّة على قتلها» **[النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة** (6/ 378)].

585) "البداية والنهاية (13/ 232)

586) يقول المقريزي: "وَكَانَت من قُوَّة نَفسهَا لما علمت أَنَّهَا قد أحيط بهَا أتلفت شَيْئا كثيرا من الْجَوَاهِر واللآلئ كَسرته فِي الهاون". انظر: **السلوك لمعرفة دول الملوك** (1/ 494)

587) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة (6/ 378)

- بطولة شجرة الدر الرئيسية في نظر المؤرخين تتمثل في تكتمها على نبأ وفاة زوجها، وتدبيرها لشئون الحكم حتى لا تنهار الدولة في مواجهة الصليبيين. وهنا نجد أنها ما كان لها أن تفعل ذلك لولا اتفاقها مع الْأَمِير فَخر الدّين بن شيخ الشُّيُوخ والطواشي جمال الدين محسن على التكتم على الخبر. فإن كانت هذه بطولة، فشريكها فيها رجلان، وبطولتها أقل مما نظن. وهي على أي حال أقل بطولة من الجنود البواسل (من المماليك والمدنيين) الذين سحقوا الصليبيين في المنصورة وفارسكور.
- **من أوصل شجر الدر إلى الحكم هم زعماء المماليك البحرية الأقوياء**. ومن الواضح أنهم اختاروها لأنها امرأة، لا تملك قوة حقيقية على الأرض، وستواجه بالمعارضة من الشعب، وستكون أضعف من أن تحاول الإطاحة بهم في المستقبل. ويبدو أن هذه سياسة عامة للماليك، فقد اختاروا أيبك ليكون ملكا بعدها لنفس السبب، ألا وهو اعتقادهم بأنه شخص ضعيف. وأيبك نفسه فيما بعد لما واجه خطر الأيوبيين في الشام بقيادة الناصر يوسف عين طفلا صغيرا من الأيوبيين ملكا على مصر، حتى يبطل حجة الأيوبيين الذين زعموا أن مصر جزء من الدولة الأيوبية، ثم خلعه فيما بعد لما استتب له الأمر. ولما مات أيبك عين المماليك ابنه الصبي سلطانا على مصر وكان عمره 15 عاما. وكان جلوس الصبي على العرش مسألة قصد بها كسب الوقت –كما يقول دكتور قاسم عبده قاسم– حتى يمكن لواحد من الأمراء المتنافسين أن يحسم الصراع لصالحه. وكان هذا مشهدا تكرر كثيرا طوال عصر سلاطين المماليك، بل إننا لا نبالغ حين نقول أن هذه كانت ممارسة سياسية حظيت باعتراف الجميع طوال عصر سلاطين المماليك[588].
- كانت شجرة الدر امرأة شديدة متمردة. وكان معها حق في تمردها على تورانشاه المتهور، لكن بأي وجه نبرر تمردها على أيبك؟ إن خطأها هنا من وجهين، فقد **تمردت على زوجها، وكان عليها شرعا أن تطيعه كواجب كل امرأة على زوجها، كما تمردت على أيبك رئيس الدولة، الذي يجب على الرعية – ومن بينهم شجرة الدر– طاعته** طالما أنه كان حسن الخلق باعتراف كل المؤرخين، ولم يأمر بما يغضب الله.

588) **الأيوبيون والمماليك: التاريخ السياسي والعسكري**. صفحة 133

- ارتكبت شجرة الدر أبشع جريمة في الكون، وهي جريمة القتل. **والجريمة هنا غير عادية لأن المقتول زوجها ورئيس الدولة. وإن تعاطفتَ مع شجرة الدر، واعتبرتها مظلومة لأنها كرهت زواج أبيك عليها، فما قولك فيها حين منعت أبيك عن أم ابنه، وأجبرته على طلاقها؟ لقد فُعِل بشجرة الدر نفس ما فعلته بضرتها.**
- **كانت شجرة الدر سياسية انتهازية،** تغير مبادئها وتحالفاتها تبعا لتغير مصالحها، فقد تخلت عن ولائها للمماليك، وعرضت التحالف على أعدائهم الأيوبيين في الشام لمجرد علمها أن زوجها سيتزوج عليها.
- لما علمت شجرة الدر بقرب القبض عليها أتلفت ما كان في حوزتها من جواهر ولآليء حتى لا ينعم بها أعداؤها. وما هذه إلا حماقة على حماقة، فالإنسان الصالح إن علم بدنو أجله تاب عن معاصيه، وعمل خيرا قبل مماته لعل الله يغفر له. **ولو كان لشجرة الدر حق في إخفاء الجواهر عن أعدائها، فقد كان من الممكن أن تعطيها لبعض الفقراء** داخل القصر أو خارجه، أو تعطيهم حتى لبعض جواريها ليتحرروا بها من العبودية.

ونقول أخيرا: إن التاريخ لم يشهد ظالما أكبر من التاريخ نفسه، فكثير من الشخصيات الصالحة شُوهت، وكثير من الطغاة مدحوا لأغراض في نفوس المؤرخين، وكثير من الأشرار حاكوا المؤامرات دون أن يكتشفها أحد. وقد تكون شجرة الدر في الحقيقة أفضل مما وصلنا عنها، وربما تكون قد تعرضت لضغوط عنيفة في خضم الصراعات السياسية الدموية. الله تعالى أعلم، لكن ما يجعلنا نميل لتصديق ما قيل عنها أن المؤرخين المسلمين الذين عاصروها ونقلوا لنا جرائمها لم يهاجموها أكثر مما هاجموا من هم في مستواها من السياسيين الذكور المنحرفين، بل تكلموا عنها بكل أدب، ولم يتوقفوا طويلا أمام رأي الشرع في تولي المرأة للحكم، وهو ما ينفي شبهة التحيز ضدها. **ونحن لا تعنينا شجرة الدرة نفسها بقدر ما نرفض تفسير قصتها بشكل يظهرها كواحدة من أبطال التاريخ بغرض تمجيد المرأة.** وطبقا لمعطيات التاريخ فإن شجرة الدر ليست بطلة، بل مجرمة.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

سالومى ألكساندرا

ولدت سالومي ألكساندرا Salome Alexandra عام 139 ق.م[589،590،591]. وكانت ألكساندرا امرأة يهودية متزوجة من ألكساندر جانيوس Alexander Janneus ، أحد أقوى ملوك الأسرة الحشمونية التي كانت تحكم فلسطين. وقد أوصى هذا الملك بالعرش لزوجته ألكساندرا ، وليس لأولاده الذكور حين حضره الموت بعد 27 عاما من الحكم. وكانت ألكساندرا معروفة بالتقوى والبعد عن القسوة والاحترام الشديد للشريعة اليهودية. ويقول يوسيفوس المؤرخ اليهودى أن زوجها قبيل موته نصحها بأن تستدعى كبار زعماء الفريسيين الذين يثق فيهم الشعب ثقة عمياء، وتظهر لهم التقدير والاحترام وعدم الرضا عن اضطهاد زوجها للفريسيين، وتمنحهم الحق في أن يفعلوا ما يريدون بجثته بعد موته، فيدفنوها أو يدنسوها أو يتركوها بلا دفن عقابا على ما فعله. وفعلا نفذت ألكساندرا الخطة، فكسبت على الفور ولاء الفريسيين، الذين نصبوها كملكة عليهم، ونظموا جنازة كريمة لزوجها، مقابل منحهم النفوذ والسلطة على الشعب، **ووعدتهم بأنها لن تفعل أي شيء إلا بعد الرجوع إليهم، فكانت ألكساندرا ملكة في الظاهر، والفريسيون حكاما في الحقيقة.**

عينت ألكساندرا ابنها الأكبر هيركانوس Hyrcanus في منصب الكاهن الأعظم لأنه كان ضعيفا، ويميل للهدوء والبعد عن الصراعات وشئون الدولة. أما الابن الأصغر أريستوبولس Aristobulus فكان يتميز بالنشاط والجرأة والحمية.

وقد مالت الملكة إلى اليهود من طائفة الفريسيين الذين ازداد نفوذهم بشكل كبير في عهدها بعد أن كانوا يتعرضون لاضطهاد شديد في عهد زوجها. وقد وصل الأمر إلى أن **أصبح الفريسيون يتحكمون في كل شيء يتعلق بالدولة**، فينفون هذا، ويستدعون ذاك، ويحررون هذا، ويقيدون ذاك. وضغطوا على الملكة للانتقام من رجال العهد السابق الذين اضطهدوهم. وكانت الملكة تستجيب لهم. ويقول المؤرخ يوسيفوس أن **سالوم حكمت الآخرين، لكن الفريسيين حكموها.**

---

589) Flavius Josephus. The Antiquities of the Jews**.** Translated by William Whiston. Book XIII, chapter 16. Release Date: January 4, 2009 [EBook #2848]. Project Gutenberg. https://www.gutenberg.org/ebooks/2848

590) **Louis Ginzberg.** ALEXANDRA (SALOME; full Jewish name Shalom Zion). Jewish Encyclopedia. https://www.jewishencyclopedia.com/articles/1167-alexandra

591) Etka Liebowitz. Queen Alexandra: The Anomaly of a Sovereign Jewish Queen in the Second Temple Period. Thesis submitted for the degree of “Doctor of Philosophy”. Under the supervision of Professor Daniel R. Schwartz. Submitted to the Senate of the Hebrew University of Jerusalem. November 2011

وقد كان ابن الملكة الأصغر أريستوبولوس شديد القلق من قوة الفريسيين المتنامية التى ستجعل الدولة تقع في أيديهم بسهولة إذا ما ماتت أمه خاصة أن وريث العرش- أخاه الأكبر- كان ضعيف الشخصية. وفي أحد الأيام جاء رجال العهد السابق – ومعهم أريستوبولوس- لاستدرار عطف الملكة كي تحميهم من انتقام الفريسيين منهم بعد أن دافعوا عن الشعب في عهد زوجها السابق، وقالوا لها أن من العار عليهم أن يلجأوا لأعداء زوجها من الملوك الأجانب، الذين يتمنون لو بذلوا أي أموال من أجل الفوز بهم باعتبارهم رجالا تسبق أسماؤهم أصواتهم. وفي هذا اللقاء أسمع أريستوبولوس أمه كلاما عنيفا حيث قال لها الحق أن **الشعب الذي يرجو خيرا من ترك امرأة تتسلط عليه ضد منطق العقل في ظل وجود رجال في ريعان الشباب –وأقدر منها على الحكم- هذا الشعب قد كتب على نفسه فواجعه.** فلم تدر الملكة ما تقول، فسمحت لرجال العهد السابق بالذهاب للحصون كما طلبوا.

وفى أيام الملكة الأخيرة تعرضت الدولة للاضطراب بعد أن مرضت ألكساندرا مرضا شديدا، فقام ابنها أريستوبولس –بمساعدة أصدقائه القدامى وآل بيته- بالاستيلاء على الحصون واحدا بعد الآخر بسرعة غريبة، حتى أن 22 حصنا قويا سقطوا في 15 يوما فقط، فأخذوا ما بالحصون من أموال، وجندوا المرتزقة من مختلف الممالك، وأعلنوا أريستوبولوس ملكا على اليهود، وبايعه الناس من كل مكان. فقامت الملكة بسجن زوجة ابنها أريستوبولوس وأولاده كرهائن، ولكن المنية عاجلتها قبل أن تمضي في حربه. وهكذا ماتت الملكة ميتة طبيعية قبل أن يخلعها ابنها من على العرش

وتبالغ الموسوعة اليهودية في الثناء على سالوم بشكل يخدع القاريء، فتقول أن سالوم نجحت في تحقيق ما عجز عنه زوجها بكل عبقريته الحربية، ألا وهو جلب احترام الخارج للدولة اليهودية، فقد زادت عدد الجيش من خلال تجنيد المرتزقة، واهتمت بتحصين المدن وبناء القلاع حتى اندهش ملوك الدول المجاورة من كثرة المدن اليهودية المحكمة التحصين. كما أرسلت ابنها أريستوبولوس بجيش لرفع الحصار عن دمشق (الذى ضربه بطليموس مينيوس)، ولكن الحملة لم تحقق شيئا، فعادت. وفى عام 70 قبل الميلاد تعرض اليهود لخطر من الملك الأرمينى، الذى اجتاح سوريا بجيش قوامه خمسمائة ألف مقاتل، وتأهب للهجوم على فلسطين، لكن الملكة نجت من هذا الخطر بفضل كثير من الهدايا القيمة والسفراء الذين توسلوا للملك الأرميني ألا يؤذي

شعبهم وملكتهم، فطمأنهم الملك، وأثنى على احترامهم له. ثم وردت أبناء للملك الأرميني بأن مدن بلاده تتعرض للحصار، فانصرف بجيشه عائدا من حيث أتى.

وكما ترون، **فهذه في الحقيقة أقرب إلى الإخفاقات والمهادنات منها إلى الإنجازات. لقد كانت سياست ألكساندرا العسكرية دفاعية بشكل واضح،** والاهتمام بتحصين المدن يخفي الخوف من مواجهة العدو، فهو تعبير عن ضعف نفسي حقيقي، وهو ما ذكره القرآن: {لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ} [الحشر: 14]. ويذكر المؤرخ اليهودي يوسيفوس – المتعاطف مع سالومي– أنها جندت جيشا كبيرا من المرتزقة حتى صار جيران اليهود يرهبون الملكة وجيشها، فعاش الشعب في سلام تام، ورضي عن الملكة بسبب هذا السلام. **ويلوح لنا أن الشعب رضي لأن الملكة جعلته يخلد للدعة والسلام، وأوكلت مهمة حمايته إلى المرتزقة الأجانب** بدلا من أن تبث في نفوس شعبها روح الحماسة والشجاعة والقوة. والحقيقة أن من الصعوبة بمكان أن ترفع ملكة الروح المعنوية لشعبها، فهي ستأمرهم بالخروج، وهي جالسة في قصرها، بينما يمتطي الملك الرجل جواده، ويتقدم الصفوف، فيتحمس الجنود، ويتبعونه كالأسود.

ثم إننا لم نلمس على الأرض أي فائدة لهذا الجيش الكبير الذي لم ينتصر في معركة واحدة، فقد أخفق في رفع الحصار عن دمشق. ولما تعرض اليهود للخطر من ملك أرمينيا **درأت الملكة الخطر من خلال الهداية والسفراء، الذين توسلوا إلى الملك حتى لا يجتاح بلادهم. وهذه ليست بطولة، بل ضعف وخنوع واستستلام،** فالبطل يموت وسيفه في يده، ولا يستسلم لعدوه. ثم إن **أي مبتديء في السياسة لا بد أن يفهم أن ملك أرمينيا لم يكن صادقا مع اليهود،** فالملك الذي يأتي بهذا الجيش الكبير لا بد أن يكون في نيته إخضاع الممالك بالقوة كي يجبرها على دفع جزية سنوية ضخمة طبقا لسياسة هذا العصر. وسيكون في غاية السذاجة إن رضي ببعض الهدايا التي تمنحها له الملكة مرة واحدة. لقد كان الملك على الأرجح يكسب وقتا حتى يفرغ مما هو فيه، ثم يتجه لليهود، فيأخذهم على غرة. **ومن الكذب القول بأن الملكة نجت من ملك أرمينيا بالسياسة والدبلوماسية، فقد رأينا أن الملك اضطر للعودة لبلده بسبب الاضطرابات الداخلية. ولو بقي في سوريا لما منعه ضميره من أن يلتهم فريسة سهلة كاليهود.**

وبعد وفاة ألكساندرا تقاتل ولداها على العرش، فانهزم هيركانوس. ثم تدخل القائد الروماني بومباي الأكبر (الذي سيطر قبلها بقليل على دولة السلوقيين) للتوسط بين الأخوين. وفي النهاية حاصر بومباي أورشليم، واستولى عليها، وفرض عليها الضرائب. وخضع اليهود للحكم الروماني.

وبنظرة عامة على سيرة الملكة ألكساندرا نجد أن **إنجازاتها تم تضخيمها**. كما أنها **اعتمدت في حكمها بشكل أساسى على تأييد الفريسيين لها، ولولا دعمهم لها لما وصلت إلى العرش، ولما بقيت عليه.** ولم يقتصر عمل الفريسيين على التأييد فقط، بل **كانوا أصحاب الأمر والنهى والحل والعقد الحقيقيين، وكان حكم الملكة إلى حد كبير صوريا.** إن هذا يثبت أن المرأة لكى تحكم فلا بد أن يكون حكمها منقوصا، ولا بد أن تخضع لمراكز قوى، تمارس عملها من وراء الستار، وهذا يقلل من قوة الدولة ورسوخ حكمها.

وإذا قارنا إنجازات ألكساندرا العسكرية بأسلافها من ملوك الأسرة الحشمونية لوجدنا أنها مثلت نكسة لتلك الأسرة التي جلب حكامها الأولون الاستقلال والكرامة لليهود، وانتهت بتمزق الدولة، واحتلال الرومان لها.

بدأ حكم الأسرة الحشمونية مع الثورة الدينية التي تزعمها رجل الدين اليهودي ماتاثياس مع أولاده الخمسة، وعلى رأسهم يهودا المكابي[592] ضد الدولة السلوقية، التي أراد حاكمها أنطيوخس الرابع (إبيفانيوس) توحيد شعوبها غير المتجانسة على عبادة الإله زيوس، فاضطهد اليهود بعنف، ومنع قراءة التوراة، وأحرق نسخها، ومنع الختان، وحرم الاحتفال بالأعياد اليهودية، ومنع عطلة السبت، ثم غزا القدس، ودنس الهيكل عام 168 ق.م، وفي العام التالي اجتاح أورشليم مرة أخرى، ونهبها، وحول هيكل اليهود إلي معبد للإله زيوس. رضخ كثير من اليهود للأمر الواقع، لكن الكاهن ماتاثياس قاوم، وقتل أحد ضباط الملك، وفر مع أولاده إلى الجبال، فالتحق بهم عدد من اليهود، وخاضوا حرب عصابات مع السلوقيين.

وبعد موت ماتاثياس خلفه ابنه يهودا، الذي نجح في أول معاركه في أخذ سيف حاكم السامرة الذي، كان يقود جيش العدو. وفي عام 164 ق.م نجح يهودا في استرداد أورشليم من الأعداء (باستثناء قلعة أكرا)، وطهر الهيكل، وأعاد بناءه، وعقد مع الوصي على عرش السلوقيين اتفاقا

---

592) لقب (مكابي) - كما تقول الموسوعة البريطانية- منح ليهودا كلقب شرفي. وليس هناك اتفاق على معناه، لكنه على الأرجح يعني بالعبرية "المطرقة"

حصل بموجبه اليهود على حريتهم الدينية. لكن الحرب استؤنفت، وحقق يهودا نصرا كبيرا على القائد السلوقي نيكانور الذي قُتل في المعركة. وبعد شهرين استشهد البطل يهودا في اشتباكات مع قوات أرسلها الملك السلوقي عام 160 ق.م، فخلفه يوناثان، الذي عقد صلحا كريما مع ملك السلوقيين. ثم استؤنفت الحرب، ومات يوناثان غدرا. فخلفه سيمون، الذي اعتُرف به كحاكم لليهود من قبل السلوقيين. وفي عام 141–142 ق.م نجح سيمون في إجبار الحامية السورية في حصن أكرا على الاستسلام، فكرمه اليهود بإصدار قرار يمنحه الحق في الولاية الدائمة له ولذريته من بعده حتى يبعث نبي جديد لليهود. واعترف الملك السلوقي بهذا، ومنح سيمون الحق في إصدار عملة خاصة به. وبعد سيمون جاء جون هيركانوس الأول (134–104 ق.م) الذي وسع الدولة اليهودية وغزا السامرة. وبعد ذلك جاء أريستوبولوس الأول (103–104 ق.م) الذي زاد من رقعة أراضى الدولة الحشمونية شمالا. وبعد ذلك جاء ألكسندر جينيوس (زوج ألكساندرا)، فكانت فترة حكمه طويلة (من 103–76 ق.م) ومليئة بالحروب. وقد نجح هذا الملك في مد رقعة دولته بشكل متزايد لتشمل مدن الساحل والمناطق شرق نهر الأردن[593،594].

وهكذا تتواضع أعمال ألكساندرا مقارنة بمن سبقها من الملوك الحشمونيين.

****

وبنظرة عامة **نحذر القراء من الانسياق وراء الإعلام الذي يضخم من إنجازات كل ملكة لمجرد أنها امرأة.** على سبيل المثال أنا شخصيا لم أكن أعرف شيئا عن الملكة حتشبسوت. وكان انطباعي عنها أنها شخصية فذة، لكن لما درست سيرتها عن قرب لم أجد شيئا يدعو إلى الإعجاب.

ومع ذلك نحن نؤكد أن **من الشطط الزعم بأن كل النساء فشلن في حكم شعوبهن**، و**من السذاجة أن يتصور البعض أن المرأة إن وصلت إلى الحكم فستفسد كل شيء، ولن تحقق أي إنجازات.** نعم هناك نساء ناجحات، لكن هؤلاء قلة. **ولو أبحنا ترشح النساء للرئاسة، لتقدمت الكثيرات لشغل هذا المنصب، ولأخفقن في الغالب.**

593) Bugh, Glenn Richard, Faris, Nabih Amin , Khalidi, Walid Ahmed , et al. "Palestine". Encyclopedia Britannica, 5 Jan. 2023, https://www.britannica.com/place/Palestine/From-Alexander-the-Great-to-70-ce. Accessed 17 January 2023.

594) Knight, George Angus Fulton. "Maccabees". Encyclopedia Britannica, 5 Jan. 2023, https://www.britannica.com/topic/Maccabees. Accessed 17 January 2023.

إن اللوائح تشترط على من يعين في وظيفة "استشارى جراحة" أن يكون حاصلا على الدكتوراة. ومع ذلك من المحتمل وجود طبيب لم يحصل على الدكتوراة، لكنه يضارع الاستشاريين في مهارته الجراحية. فهل وجود أمثال هؤلاء النوابغ مدعاة لإلغاء شرط الحصول على الدكتوراة؟ قطعا لا، لأن هذا سيفتح الباب أمام صغار الأطباء، وأمام قليلي العلم وناقصي الخبرة للترشح لهذا المنصب الخطير، الذي يؤثر على صحة المرضى.

نخلص من هذا إلى أن **القوانين تراعي الغالب والشائع، وتترك القليل والنادر.** ولو لم تفعل القوانين ذلك لما كان هناك أي قانون على الإطلاق لأن أغلب القواعد في حياة البشر لها استثناءات، وسيصبح في النهاية كل شيء مباحا لكل شخص.

وحتى لو نجحت المرأة كرئيس فستنتهك كثيرا من المباديء والقواعد الإسلامية الأخرى التي تكلمنا عنها منذ قليل. **رئاسة المرأة للدولة مرفوضة لعدة أسباب، وليس لسبب واحد. وغياب واحد من هذه الأسباب لا يبطل قولنا بأن رئاسة المرأة حرام.** فإن كانت المرأة مثلا ذات خبرة سياسية، وتمتلك شخصية قيادية، فهي لا تصلح للرئاسة لأنها ستتحول إلى ذكر، وستهمل بيتها، وستصبح رئيسة لزوجها، وستختلط بالرجال...إلخ.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

نائب البرلمان إنسان بائس حقا. كان أحد أقاربي عضوا بمجلس الشعب، وكنت أتابع عن قرب حملاته الانتخابية، واتصالاته بالمواطنين، وجهوده لحل مشاكل الناس، فكنت أشفق عليه لأنه يكاد لا يرى النوم. ولا يمكن لمسلمة أن تقوم في هذا المقام لأنها حتما ستهمل بيتها، وسيكون أولادها في حكم اليتامى، وزوجها كالأرمل، خاصة أن المرأة بطبعها ضعيفة الجسد، قليلة الصبر. وإن صبرت على متاعب المنصب فستعود إلى بيتها بهدف واحد هو الراحة، ولن تكون سكنا لزوجها، ولن تقدم لأسرتها أي شيء يُنتظر من زوجة وأم.

ولهذا نحن نعارض انضمام المرأة للبرلمان. **ولن يخسر المجتمع بسبب ذلك، فدور البرلمان أن يسن القوانين، ويراقب الحكومات. ومن الممكن للمرأة– ولكل مواطن– أن يفعل هذا من خلال وسائل أخرى، أهمها الانضمام لحزب أو تيار سياسي معين**[595]، وتأييده في الانتخابات حتى يحصل مرشحوه على عدد كبير من المقاعد، فيحققوا أهدافه بالنيابة عنه.

ونواب البرلمان في الغالب يعكسون اتجاهات الرأي العام، **وعادة ما تثار القضايا أولا على الصحف والمجلات والقنوات الفضائية، فيستجيب البرلمان لاتجاهات الشارع**. ولهذا السبب تسمى الصحافة "السلطة الرابعة"، فى إشارة إلى أن لها من القوة مثل ما للسلطات الثلاثة الأخرى: السلطة التنفيذية والقضائية والتشريعية. ومن الممكن أن يشتعل الشارع بفعل مقال أو تدوينة أو برنامج أو فيديو، فيضطر البرلمان للتحرك من أجل سن تشريع يرضي تطلعات المواطنين.

وعلى ذلك **فبرغم أهمية البرلمان إلا أنه ليس الوسيلة الوحيدة لمراقبة الحكومة وسن التشريعات. ومن الممكن للمرأة أن تقوم بنفس دور أعضاء البرلمان وهى داخل بيتها**، ترعى زوجها وأولادها، بدلا من الارتباط باجتماعات البرلمان اليومية، والاضطرار لترك بلدها، والسفر للعاصمة، والمبيت بعيدا عن أسرتها.

---

595) الأحزاب في الدولة الإسلامية يجب أن تكون كلها أحزابا إسلامية، ويُحظر قيام حزب علماني أو ليبرالي أوأي حزب على أساس يتعارض مع الإسلام. كما يجب تشجيع المواطنين على ألا يكون ولاؤهم مطلقا للأحزاب التي ينتمون إليها، بمعنى أن حزبهم إن تبنى يوما موقفا يخالف تعاليم الإسلام فعليهم أن يعارضوه، ويعلنوا عن مواقفهم الخاصة (دون أن يستقيلوا بالضرورة من أحزابهم) لأن إنكار المنكر يجب أن يكون باللسان إن لم يكن باليد.

وإن قالت امرأة أنها تريد أن تدخل البرلمان كي تطالب بسن تشريع لا أحد غيرها يطالب به رغم أهميته القصوى، فهل هذا يبيح لها الترشح للبرلمان باعتبار أن الضرورات تبيح المحظورات؟
لا هذه ليست حالة ضرورة، لأن المرأة إن دخلت البرلمان ستكون وحدها التي تدعو لهذا القانون، ولن يتم تمريره. ولهذا فلا بد أولا أن يكون الرأي العام على وعي بأهمية القانون، وأن تتعالى الأصوات في وسائل الإعلام مطالبة البرلمان بالتدخل، فإن اقتنع الأعضاء بأهمية القضية، وصاروا أغلبية صدر القانون.

باختصار: دخول البرلمان يقطع صلة المرأة بأسرتها دون وجود حاجة حقيقية للمجتمع.

وإذا كانت دخول المرأة إلى البرلمان خطأ، فالخطأ الأكبر أن تفرض الدولة حصة للنساء في مقاعد البرلمان. هذا ظلم، فالمفترض أن يقوم الناخبون باختيار المرشح الأصلح للبرلمان، فكيف نفرض عليهم المرأة حتى لو وُجد من الرجال من هم أفضل منها؟ والموافقة على هذا المبدأ ستؤدي بالضرورة إلى الموافقة على تخصيص حصة من مقاعد البرلمان للشباب وحصة للمسيحيين وحصة للعمال وحصة للفلاحين وحصة لأهل النوبة؟ نحن بهذا نقسم مجتمعنا بأيدينا. وإن قالوا أن الحصة هدفها تشجيع المرأة على العمل السياسي، قلنا: أوليست طوائف المجتمع الأخرى بحاجة مماثلة للتشجيع؟ بل إن تشجيع الشباب في الحقيقة أولى كي نستفيد من طاقاتهم في خدمة وطنهم بدلا من جلوسهم على المقاهي. وتشجيع الخبراء وحملة الدكتوراة والصحفيين أولى لأنهم أكثر الناس دراية بمشاكل البلد. ثم ما رأيكم إن اقترحنا عليكم تخصيص حصة للذكور في هيئة التدريس بكلية الاقتصاد المنزلي بحيث لا يقل عدد المعيدين عن 30% مثلا؟ **هل سترحبون أم ستلطمون الخدود لأننا نعطي للذكور حقا في كلية هم بطبعهم غير ميالين إليها؟** نحن في عصر الجنون.

الحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

المرأة والقضاء

قضية بلا داع

حين يتم تناول مسألة المرأة والقضاء فإن الأنصار والخصوم يركزون اهتمامهم على شيء أساسي وهو: **هل تصلح المرأة للقضاء أم لا تصلح؟**

ولكننا سننظر للمسألة من زاوية أخرى ألا وهى: هل عمل المرأة كقاضية ضرورة للمجتمع بما يبرر أن تجور على وظيفتها الطبيعية فى البيت أم لا؟

لقد قلنا أننا **نعارض عمل المرأة إلا في بعض الحالات الاستثنائية كموت الزوج أو عجزه، وكذلك بعض المهن الخاصة** التي لا يمكن للرجل أن يحل فيها محل المرأة مثل الطبيبات، **فهل وظيفة القاضي من بين هذه المهن التي لا تستغنى عن المرأة؟**

حين استمعت لأول مرة إلى آراء الفريقين المتصارعين لم يكن لي وجهة نظر محددة. ورغم هذه الحيرة فإن **إثارة الموضوع كانت تصيبني بالغيظ الشديد لأنه بفرض أن المرأة تصلح حقا للعمل كقاضية فإنه لا توجد ضرورة لهذا العمل.** لا توجد ضرورة تبرر إهمال المرأة لأسرتها وزوجها من أجل عمل ليست هي الوحيدة التي تحسن القيام به. إن عمل المرأة كقاضية ليس من الضرورات التي بدونها تتوقف حياة الناس، **فمن السهل – إن كنا نحرص على تسهيل إجراءات التقاضي– أن نزيد أعداد القضاة الرجال** عن طريق قبول أعداد أكبر من خريجى كليات الحقوق، وبناء محاكم أكثر.

وكان يزيدني غيظا أن أرى أنصار المرأة يخضن معركة حياة أو موت من أجل نيل شرف القضاء، وهو ما يتنافى تماما مع الإسلام، **فليس من الدين أن يكون محور حياة المسلم هدف دنيوي محض.** المسلم لا يلهث وراء إنجازات الدنيا، وينسى أن عليه أن يصنع لنفسه مجدا فى الآخرة.

والعدل في بلاد المسلمين غائب، ليس بسبب غياب المرأة عن وظيفة القضاء، ولكن بسبب القوانين الظالمة التي تسنها البرلمانات التي جاءت بانتخابات مزورة، وبسبب اختراق الحكومات

للسلطة القضائية، واستمالتها لبعض القضاة، وتهاون بعض الحكومات فى تنفيذ أحكام القضاء، وبطء إجراءات التقاضي، وقصر تنفيذ قانون الطواريء على الساسة دون عتاة المجرمين. ولو كان هؤلاء النساء يحرصن فعلا على تحقيق العدل لغضبن لأن تاجر المخدرات في بعض الدول الإسلامية يأوي إلى فراشه مطمئنا كل يوم، بينما يخشى المصلون المبيت بين أهليهم.

المسألة ببساطة أن منصب القاضي منصب براق، ومن المستحيل من وجهة نظر الحركة النسائية أن يُترك للرجل لينفرد به. إنه حسد وصراع من أجل الدنيا ليس إلا.

إنني أحتقر كل من سعى لمنصب من أجل مجده الشخصي. وبينما كان الناس يمدحون شابا ذكيا، بذل جهدا خرافيا لجمع الأنصار لترشيحه في مجلس الشعب كنت أحتقره لأنه يظن أن النجاح في الدنيا هو كل شيء، ولا مكان في حياته للآخرة. **لقد كرهت طلاب المناصب، ولهذا لم أسترح أبدا لكل امرأة تنادي بمنصب القضاء.**

الرجل أصلح من المرأة للقضاء

يتطلب القضاء توافر الذكاء والمهارات العقلية لمعرفة أى المتخاصمين على الحق. وهذه الصفات موجودة لدى المرأة مثلما هى موجودة لدى الرجل تقريبا، كما أنها قابلة للاكتساب والتنمية. وقد أجاز ابن جرير الطبري قضاء المرأة في جميع الأحكام على أساس أنها شرعا يجوز أن تفتى في جميع الأمور. **لكن فى المقابل هناك عدة أسباب ترجح كفة الرجل فى مهنة القضاء:**

1. القضاء يتطلب الحياد والنظرة الموضوعية المجردة من العاطفة، وهنا يتفوق الرجل على المرأة، **فالمرأة مشهورة بالعاطفة على عكس الرجل، وهذا يجعلها عرضة لأن تقف ظلما في صف أحد المتخاصمين.** على سبيل المثال إن اختصم تاجر ثري مع أحد العاملين في شركته، فقد تشفق القاضية على الموظف الفقير، وتحكم له لأنه فقد عمله، ولم يعد يجد ما يطعم به أسرته، مع العلم أن صاحب الشركة كان معه كل الحق حين فصله لأنه كان يسيء معاملة الزبائن، ويتلقى الرشا، ويتطاول على رؤسائه. والإسلام أمرنا بالعدل المطلق، وتنحية العاطفة جانبا، وإن هممنا أن نحكم لصالح فقير إشفاقا عليه، أو لصالح غني خوفا من نفوذه، فلنعلم أن الله أولى بهما، وهو المتكفل برزق الفقير، ورد أذى الغني: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} [الفاتحة: 135]

2. **تتصف المرأة بأنها أقل قدرة من الرجل على تحمل الضغوط النفسية والبدنية، ومن السهل أن تصاب بالتوتر والغضب والثورة** وخاصة في فترات الحمل والدورة الشهرية. وكثيرا ما تنهار، وتصرخ، ولا تعرف كيف تتصرف إن تكاثرت عليها الضغوط. من العسير على المرأة أن تدخل ساحة المحكمة بعد أن تلقى عن كاهلها كل مشاكل البيت والزوج والأولاد وغيرها. المرأة تتأثر بسهولة بهذه المشاكل، ومن المحتمل أن تأتى قراراتها غير صائبة نتيجة لذلك. أما الرجل فهو أكثر جمودا وعقلانية، وهذا يجعله أقدر من المرأة على إقامة العدل.

ولكن من الشطط أن نقول بأن المرأة إن تولت القضاء فستأتي أحكامها شديدة الجور. هذا شيء بعيد نسبيا، وذلك لأن القاضي ملزم بقوانين عليه تنفيذها. **ومع ذلك فأحكام القضاء ليست موضوعية تماما إذ يبقى بها قدر غير قليل من الرأي الشخصي والهوى،** ولو لم يكن الأمر كذلك لتشابهت أحكام القضاة فى نفس المواقف، ولما سمح لأي متهم أن يستأنف الحكم، على اعتبار أن كل القضاة سيفتون بنفس الحكم.

3. **ليس من المقبول أن تختلط نساؤنا العفيفات بالمجرمين واللصوص والقتلة والمدمنين والقوادين والعاهرات، ويخضن في تفاصيل وروايات لا يجوز لامرأة أن تسمعها.** إننى أتعجب كيف يقبل الرجل لامرأته أن تجلس فى حضرة زان أو مغتصب أو تاجر مخدرات؟ وكيف تقبل امرأة عفيفة ذلك لنفسها؟ إنه حتى وإن كانت القاضية فى أمان من شر هؤلاء المجرمين إلا أن مجرد حضورها هذه المشاهد أمر لا يمكن قبوله. **كيف تحقق المرأة في قضية اغتصاب أو إنكار نسب أو طلاق بسبب عجز جنسي؟ كيف تحقق المرأة في قضية طالبة قتلت زميلتها لأنها دعتها إلى الشذوذ الجنسي؟**

أعرف أن كثيرا من النساء سيقلن :"وماذا فى ذلك؟ القاضية تقوم بعمل شريف، لا يدعو للخجل". ونحن نؤكد أن **فطرة النساء والرجال فى بلادنا قد فسدت، وغريزة الخجل محيت، وعصر الحياء ولى،** وأصبحت مقدمة البرامج تتكلم أمام ملايين المشاهدين عن تفاصيل ما

يحدث داخل غرف النوم دون ذرة حياء، فهل لمثل هؤلاء أن يقتنعن بكلامنا؟ **إن مجرد نظر أحد البلطجية المجرمين إلى القاضية في المحكمة شىء فظيع**، ولكن ماذا تقول لامرأة تخرج من بيتها كل يوم متزينة متعطرة لعيون كل غاد ورائح، أمثل هذه تأبه لما نقول؟

إننا ننحدر إلى الحضيض، والكارثة أننا لا نشعر بما وصلنا إليه لأن الانحدار تم ببطء شديد عبر عشرين سنة تقريبا من المؤامرة اليهودية لتدمير شعوبنا دينيا كمقدمة لسحقها سياسيا. **وقد استمعت مؤخرا مصادفة لمشهد من مسلسل "هند والدكتور نعمان" الذى عرض لأول مرة منذ ٣٧ عاما تقريبا، ومؤلفه الكاتب المسيحى العلمانى لينين الرملى.** سمعت فى المسلسل حوارا يظهر كيف يتحرج كمال الشناوى من حضور رجاء الجداوى لاجتماع لسكان العمارة لأنها ستكون السيدة الوحيدة الحاضرة. بدا لى هذا المشهد شديد الغرابة بالنظر إلى الاختلاط الكامل بين الرجال والنساء الذى نشهده اليوم فى كل مكان. أدركت فى هذه اللحظة كم تغيرنا. ولهذا فلن أندهش إن قال قائل: "هل نحرم المرأة من القضاء لسبب تافه كالخجل؟" لقد انتشرت الرذيلة فى جوانب حياتنا كلها حتى بات شىء من قبيل اختلاط القاضية مع اللصوص والمجرمين من توافه الأمور. إن انتشار الرذائل الكبيرة يجعل الرذائل الصغيرة أكثر قبولا، وهذه كارثة فالرذائل رذائل، كبيرة كانت أم صغيرة. وهل من المنطق أن تكف الشرطة عن ملاحقة النشالين بحجة أن ما يسرقونه قليلا مقارنة بما يسرقه كبار اللصوص.

وإن قال قائل أن نساء النبي كن يتكلمن أحيانا في المسائل الجنسية قلنا أن هذا قياس خاطىء، أولا لأنه لم يكن هناك بديل آخر لنساء النبي لتبليغ ما كان يدور داخل بيوت النبي، فهذه حالة ضرورة، والضرورات تبيح المحظورات. أما بخصوص منصب القضاء فهناك من الرجال كثيرون يصلحون كقضاة. ثانيا نساء النبى كن بالنسبة لبقية المؤمنين كالأمهات، وكان من المحرم عليهن الزواج بعد الرسول، ومن المحرم على الرسول أن يطلقهن، وهذا جعلهن فى مكانة أكثر قداسة حتى من الأمهات الحقيقيات. قال تعالى: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} [الأحزاب: 6]، وقال: {لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا} [الأحزاب: 52]. ثالثا نساء النبى كن يخفين وجوههن عن كافة الرجال ، فهل يرضى أنصار المرأة بفرض النقاب على القاضيات؟ لا أظن.

4. **قد يُفرض على القضاة العمل فى مناطق بعيدة عن محل إقامتهم** حتى لا تتأثر أحكامهم بعلاقاتهم، كما أنهم لا يبقون فى مكان واحد فترة طويلة، فهل ظروف العمل هذه تناسب المرأة؟ هل من الملائم أن تعمل المرأة فى مكان بعيد عن بيتها، فتضطر إما لسفر طويل مرهق كل يوم، أو تقيم بعيدا عن أسرتها لأيام طويلة دون محرم، أو تضطر زوجها لتغيير عمله حتى يكون بجوارها؟

5. **يفترض في القاضي الوقار والجدية والهيبة والحزم**، وهذه الصفات متوافرة لدى الرجل أكثر من المرأة حتى لو كانت المرأة كبيرة السن.

ويضاف إلى كل ما سبق أن القاضية ستقصر حتما في رعايتها لبيتها كما أوضحنا من قبل.

وهكذا فمن يرى أن المرأة تصلح للقضاء فليعلم أن العوامل التى تقف ضدها أقوى، ولنتذكر أن الخمر والميسر فيهما إثم كبير ومنافع للناس، ولكن إثمهما أكبر من نفعهما: **(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نّفْعِهِمَا)** [البقرة: 219].

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

هل هناك نص يحرم قضاء المرأة؟

إذا قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «**لا ضرر ولا ضرار**»[596] فهل يحق لأحد بعد ذلك أن يقول أن أبا حنيفة أو أن الطبرى أباح عمل المرأة كقاضية؟ فليثبتوا لنا أن عمل المرأة نفعه أكبر من ضرره، ونحن مستعدون لمتابعتهم. ليُعمل كل واحد عقله بدلا من أن يردد كالببغاء كلام بعض الفقهاء، وكأنه كلام مقدس، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

والأغرب أن يلجأ بعضهم للقياس، فيقول بما أن الشريعة الإسلامية أجازت للمرأة تولي المناصب العليا كالوزراة، فكذلك يجوز لها أن تتولى القضاء. من قال لهؤلاء الحمقى أن الشريعة أجازت للمرأة تولي المناصب العليا؟ لا يوجد نص يبيح ذلك، فكيف يستخدمون القياس؟ القياس هو استنتاج حكم لأمر لم يرد فيه نص بالرجوع إلى أمر آخر ورد فيه نص، كتحريم المخدرات التي

---

596) أخرجه الحاكم، وقال صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي. [**المستدرك على الصحيحين للحاكم** (2/ 66)]
وَقَوْلُهُ: (وَلَا ضِرار) يعني لَا يُضَارّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، فالضِرَارُ مِنْهُمَا مَعًا والضَّرَر فِعْلٌ وَاحِدٌ. انظر: **لسان العرب** (4/ 482)

لم يرد بشأنها نص قياسا على الخمر التي ورد فيها نص. فأى نص يقول أنه يحق للمرأة المسلمة أن تكون وزيرة أو رئيسة؟ إنهم يقيمون بيتا على الماء!

العلمانيون لا يفهمون العلمانية!

لا أدرى لم هذه اللهفة غير المعقولة من المرأة على منصب القضاء. إنه حتى وجهة النظر العلمانية المحضة تخذلهم، فالتفكير العلمانى يقول أن من المهم للإنسان أن ينجح فى حياته وأن يحقق مكانة مرموقة فى الدنيا لأن الدنيا هى كل شىء والآخرة لا تستحق الاهتمام.

والمرأة التى تريد أن تحقق مكانة مرموقة فى الدنيا فستجد أمامها وسائل أخرى أفضل بكثير من القضاء لأن **القاضى سيبقى فى النهاية ذا شهرة محدودة، ومن الممكن للإنسان أن يحظى بمكانة أعظم من القضاة إن كان من المفكرين والمبدعين** والشعراء والأدباء والممثلين. ولاحظوا أن **أكثر من اشتهر من القضاة كانوا من أهل الفكر مثل طارق البشرى وسعيد العشماوى، إضافة إلى بعض القضاة المعارضين سياسيا**. وقد **كان ابن رشد فيلسوفا وقاضيا، بيد أن سبب خلود اسمه فى الشرق والغرب هو فلسفته.**

المرأة إمام مسجد

استيقظ العالم الإسلامي كله عام 2005م على نبأ قيام امرأة مسلمة اسمها آمنة ودود –أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة فرجينيا كومنولث– بإمامة جمع مختلط من الرجال والناس في صلاة، أقيمت بمدينة نيويورك بكاتدرائية القديس يوحنا في مانهاتن أمام حشد كبير من الصحفيين. كانت الضجة التي أحدثتها آمنة ودود هائلة، واستمرت لعدة شهور، ثم خمدت بعد أن قوبلت بسخط هائل من الرأي العام الإسلامي، بما في ذلك بعض الصحف الكبيرة المقربة من نظام الرئيس مبارك، والتي كانت تخصص عناوين صفحاتها الأولى للهجوم على الدعم الأمريكي لقضايا المرأة، الرامي إلى تغيير معالم الإسلام.

ولا أحد الآن يتحدث عن موضوع إمامة المرأة، لكنه مرشح للانفجار في أي لحظة، فنحن الآن نعيش حالة من "جنون التجديد"، حيث يخرج علينا كل يوم صوت، ينقض أحد ثوابت الإسلام. كل شيء أضحى قابلا للتأويل وإعادة التفسير، وحتى اليهود والنصارى جعلوهم من أهل الجنة، وبات الكثيرون يترحمون على الملحدين والشواذ.

لقد كان نابليون متهورا حين دفع بخيوله إلى الأزهر الشريف، فما ازداد المسلمون إلا إصرارا على المقاومة. وبعد نابليون وعى أعداء الإسلام الدرس، فلما شرعوا في إعادة تخريب المساجد كانت الخطة أن يكون التفجير دون دم، وذلك من خلال قنبلة فكرية، تلقيها امرأة تظهر الإسلام، وتخفي الكفر.

شخصية مشبوهة

ولدت آمنة ودود عام 1952م، وكانت في الأصل مسيحية بروتستانتية من أصول إفريقية، ثم اعتنقت الإسلام حين كان عمرها عشرين عاما، وهي تعيش الآن في إندونيسيا، وعمرها سبعون عاما.

كان أول شيء جعلني أشك في هذه المرأة أنها أقامت الصلاة في كاتدرائية. وموافقة الكنيسة على إقامة تلك الصلاة بها معناها أنها راضية عن آمنة ودود، وهنا تظهر علامة استفهام كبيرة،

فالكنيسة لا يمكن أن تسمح أبدا للشيخ الغزالي أو القرضاوي أو الحويني بأن يقيموا صلاة بداخها.

لاحظنا أيضا وقتها أن **صفوف المصلين كانت مختلطة، حيث يقف الرجال بجوار النساء**. وهذا سلوك إباحي، ولا وصف له غير ذلك. كما لاحظنا أيضا أن بعض النساء كن يصلين بدون حجاب. كانت صورة المصلين كافية في ذلك الوقت كي يرفض المسلمون عن بكرة أبيهم بدعة آمنة ودود.

واستوقفني أيضا تقرير مطول لتلميع آمنة ودود، أعده موقع "بي بي سي نيوز" العربي بالتعاون مع موقع "بي بي سي نيوز إندونسيا"[597]. وقد ورد في ثنايا التقرير أن جامعة بوسطن الأمريكية أعدت كتابا عن آمنة ودود عام 2020م، شارك فيه ثلاثون كاتبا ممن عرفوها. وهذه الإشادة الغربية بآمنة ودود توجب علينا أن نشك فيها ألف مرة، فالغرب لا يحتفي بأحد إلا إذا كان يخدم مصالحه.

ونجد في تقرير "بي بي سي" أن **آمنة ودود ترفض الحجاب، مقدمة مبررا شديد الغرابة، فهي لا ترى بأسا في عري المرأة طالما كان مصحوبا بالتقوي، وهذا إنكار لنصوص القرآن**. تقول آمنة ودود: «الوصية الأساسية في القرآن هي التقوى، وذلك لا يمكن تحقيقه بواسطة أي قطعة ملابس، يمكنكِ أن تكوني عارية تماماً وأن تبقي شخصاً محتشماً».

وصرت على يقين بخطورة آمنة ودود حين ورد في التقرير أنها تتكلم عن الله عز وجل أحيانا بصيغة المؤمنث. يقول التقرير: «لذلك، تدعو آمنة للنظر إلى الله خارج ثنائيات التذكير والتأنيث اللغوية. فالخالق، صاحب الجمال والجلال، لا يمكن حصره في ضمائر أو صياغات لغوية ضيقة. من هنا، تجدها **تشير إلى الخالق بضمير "هو" حيناً، وبضمير "هي" أحياناً أخرى**». وهذه الوقاحة تفوق وقاحة مشركي مكة، الذين زعموا أن الملائكة إناث، فوصف القرآن قولهم بأنه قول عظيم: {أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا} [الإسراء: 40]. وقال: {وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ} [الزخرف: 19]. ما بالكم إذن بمن تكلم عن الله عزو جل نفسه بصيغة المؤمنث؟

597) آمنة ودود الليدي إمام التي وقعت في حب القرآن. تقرير سناء الخوري. موقع بي بي سي نيوز عربي. تم الدخول إلى الموقع يوم 27 سبتمبر 2022م. https://www.bbc.com/arabic/extra/2u2wxvplne/amina-wadud-arabic

وآمنة ودود تؤمن بالبدعة الشيطانية الحديثة التي ترفض تصنيف البشر إلى ذكر وأنثي كما قال الله. وهذه هي نظرية الشواذ Queer theory التي تؤصل لكل ألوان الشذوذ الجنسي المنتشرة حاليا[598]. تقول آمنة ودود: «حين انخرطت في جهاد الجندر، كما أسميته، كنت أنطلق من ثنائيات مغلقة وضيقة. الآن **أعرّف عن نفسي كشخص خارج الثنائية الجندرية وكويري**. فبعد تقصي الأمر في النص وفي السياق المعاش، بتّ على قناعة **بأننا نحتوي جميعاً عنصري الذكورة والأنوثة، الين واليانغ، الجمال والجلال، كما في أسماء الله الحسنى»**

و**آمنة ودود تمارس تمارين التأمل البوذية، وتشاهد مسلسلات نتفليكس المشبوهة التي تروج للعري والشذوذ.** يقول التقرير السابق عنها: «ولكن، من يتعرّف إليها عن قرب سيجد فيها متصوّفة خَفِرة، تنشر صور أولادها وأحفادها على إنستغرام، تقرأ ابن عربي، **تمارس تمارين التأمل البوذية** منذ عقود، تتبع طريقة المراقبة الصوفية، تتأمل حركة النجوم والكواكب، **وتنتظر أحدث المسلسلات على نتفليكس**».

هذه هي آمنة ودود. فتعالوا بنا ندخل إلى قلب بدعتها.

قضية خاسرة من البداية

لا أحتقر أحدا كما أحتقر رجلا يتسابق كي يؤم الناس في الصلاة. الإمامة لها بريق غريب، يطيح بعقول الناس. كان معنا زميل طبيب، لا يحفظ من القرآن إلا قليلا من السور القصيرة، وكانت مخارج الحروف عنده في غاية السوء، وكان يخطيء في الإعراب. ومع ذلك كان الرجل يتصرف كما لو كان أحد أعضاء هيئة كبار العلماء، فيتقدم بإصرار للإمامة في كل صلاة تقام في مسجد المستشفى. الشيء العجيب أن هذا الطبيب كان في عمله معنا في المستشفي يتصرف بشكل طبيعي جدا، ولم يكن يتكبر علي أحد، وكان رجلا في غاية الوقار. وهذا يدل على أن بريق الزعامة الدينية قادر على إفساد أي إنسان.

إننا في غاية الدهشة: كيف يجوز للمرأة أن تحرص على أن تكون إمام مسجد؟ هذا هو المنصب الوحيد الذي يستحيل أن يتباهى به الإنسان أمام أحد لأن الإمام يجب أن يكون أول العارفين أن

---

598) انظر كتابنا **"ما بعد الحداثة تجتاح ديار الإسلام"**. صفحة 124. الناشر منصة أمازون للكتب الرقمية. 2020م. رقم أمازون ASIN: B08HC6WL1J

الله تعالى لا يحب كل مختال فخور، وأنه مطلع على القلوب، ولا تغره المظاهر. فالتنافس على هذا المنصب بالذات عار.

ثم ما الذي تريد المرأة أن تثبته من خلال منصب إمام المسجد؟

إنها قادرة على أن تكتسب كل مؤهلات إمام المسجد، وهي في بيتها. إمام المسجد يَحفظ القرآن، وهي قادرة على أن تحفظ القرآن. إمام المسجد يَدرس العلوم الدينية، وهي قادرة على أن تَدرس علوم الدين، ولم يقل مخبول يوما بأن الإسلام يحرم على المرأة قراءة صحيح البخارى أو تفسير الطبرى. الإسلام بالعكس يحث المرأة على نشر الدين، وتعليمه للناس. وقد أمر الله تعالى نساء النبي بأن ينقلن للناس ما يسمعنه من كلام الرسول ومواعظه: {وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ} [الأحزاب: 34]. وقد كانت السيدة عائشة أفضل من طبق هذه الآية، فنقلت لنا كل صغيرة وكبيرة من أقوال الرسول وأفعاله. ويبلغ عدد الأحاديث التي روتها كما يقول الذهبي «أَلْفَيْنِ وَمائَتَيْنِ وَعَشْرَةِ أَحَادِيْثَ. اتَّفَقَ لَهَا البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَلَى مائَةٍ وَأَرْبَعَةٍ وَسَبْعِيْنَ حَدِيْثاً. وَانْفَرَدَ البُخَارِيُّ بِأَرْبَعَةٍ وَخَمْسِيْنَ. وَانْفَرَدَ مُسْلِمٌ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّيْنَ»[599].

وبعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام لم يجد رجال الدين حرجا في نقل العلم عن النساء. لم يستنكف أحدهم أن يقول "سمعت من فلانة، أو حدثتني فلانة، أن رسول الله قال كذا وكذا". على سبيل المثال يعتبر هشام بن عروة أحد أشهر رواة الحديث على الإطلاق، ومع ذلك لم يشعر بالحرج من أن يروي عن زوجته فاطمة بنت المنذر بْن الزُّبَيْر بْن العوَّام. كما روي عنها أيضا محمد بن إسحاق (مؤرخ السيرة الشهير)، وكذلك مُحَمَّد بْن سوقة (وهو تابعي من رجال الشيخين).[600،601]

ومن حق المرأة أن تؤلف الكتب في علوم الدين كما تشاء، فالمهم أن يكون هدفها نصر الحق. وكتب امرأة مثل مريم جميلة (مارجريت ماركوس) أفضل وأعمق من كتب سيد القمني وجابر عصفور. إن نصر الحق فرض على كل مسلم. ولا يجوز لمسلم أن يجد في ذهنه أفكارا يمكن

---

599) **سير أعلام النبلاء** للذهبي (2/ 139)

600) **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام** (3/ 296). تأليف شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي. تحقيق الدكتور بشار عوّاد معروف. دار الغرب الإسلامي. الطبعة الأولى، 2003 م

601) أنكر هشام بن عروة أن يكون ابن إسحاق قد سمع من زوجته فاطمة بنت المنذر: [قالَ ابْن المديني: سَمِعْت يحيى يَقُولُ: قُلْتُ لهشام: ابْن إسْحَاق يحدّث عَن فاطمة بِنْت المنذر، فَقَالَ: أهو كَانَ يصل إليها؟] **تاريخ الإسلام** للذهبي (4/ 197).
ولا يهمنا ما إذا كان سماع ابن إسحاق من فاطمة بنت المنذر صحيحا أم لا، فالمهم أن العلماء لم يكونوا يتحرجون من أخذ العلم عن النساء. ولو كان الأمر خلاف ذلك لأخفى ابن إسحاق أنه سمع من فاطمة بنت المنذر بعض الروايات، هذا بفرض أن ابن إسحاق كان كذابا.

أن تخدم دينه، فيحجم عن توصيلها للناس. هذه جريمة. إذن يمكن للمرأة أن تكون عالمة ذائعة الصيت، لكن ليس لها أن تكون إمام مسجد.

وتذكروا أن أم السيدة مريم –خير نساء العالمين– كانت تتمني أن تلد ذكرا، فتهبه للهيكل ليكون رجل دين، فلما جاء المولود أنثى لم تتمكن الأم من تحقيق أمنيتها، لكن **هذه الأنثى شقت طريقها في العبادة الفردية بعيدا عن الهيكل، فاستحقت أن يصطفيها الله تعالى على نساء العالمين، وبقي اسمها خالدا، ونسي الناس ذكر كل رجال الهيكل في عصرها. وهذا دليل قاطع على أن في وسع الإنسان أن يصل إلى أعلى منزلة عند الله دون أن يكون رجل دين.**

إن السعي للمناصب بغرض إثبات الذات له في الإسلام اسم قبيح هو "الرياء"، والرياء من صفات المنافقين: {يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا} [النساء: 142]. ولتتذكر المرأة التى تريد أن تكون إماما قول الله تعالى: {وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} [لقمان: 18]، وقوله تعالى أيضا: {وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا} [الإسراء: 37]. وفي الآخرة لن يكون للمرائي نصيب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ» رواه مسلم. إن تسابق المرأة على إمامة المصلين فضيحة دينية.

المساجد ليست بيوتا للشهوات

المرأة فى حاجة لصلاة الجماعة أسوة بالرجل. المرأة تحتاج لأن تترك بيتها قليلا، وتذهب إلى مكان، لا شغل لها فيه إلا بالعبادة بعيدا عن هموم الدنيا. ومن أحب إنسانا حرص على أن

يزوره، وارتاح بالقرب منه، وبالمثل من أحب الله أحب بيوت الله. والمرأة أيضا بحاجة لأن تشعر أنها عضو ينتمي إلى المجتمع المسلم الكبير، وأنها قطرة فى سيل المؤمنين الجارف، وأنها بذهابها إلى المسجد ترفع راية الإسلام، فإقامة الشعائر فى المساجد أشبه بالمظاهرات السياسية التي نراها اليوم. وكلما زاد عدد المصلين شعر الكفار بالخزي والخيبة. وفى المسجد أيضا يجتمع المسلمون، ويتناصحون، ويتعلمون الدين، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويبحثون مشاكلهم. ومع الأسف قلصت الحكومات من الدور الاجتماعى والتعليمى للمساجد فى السنوات الأخيرة. والمدهش أن حكومات الدول الإسلامية الأكثر تأييدا لقضايا المرأة هي التي منعت النساء من صلاة الجماعة لشهور طويلة أثناء جائحة كورونا، بينما فتحت –على مضض– المساجد أمام الرجال، وكأن فيروس كورونا يصيب المرأة دون الرجل. وطبعا لم يغضب هذا التصرف العنصري أنصار المرأة على الإطلاق لأن الحركة النسائية في الحقيقة تعادي الدين أكثر مما تحب المرأة، وما هذا بغريب على حركة يدعمها اليهود.

وفى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام كانت المرأة تحرص على الذهاب للمسجد، بل إن **الرسول نهى الرجال عن أن يمنعوا نساءهم من المساجد**، فعن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا اسْتَأْذَنَتِ امْرَأَةُ أَحَدِكُمْ إِلَى المَسْجِدِ فَلاَ يَمْنَعْهَا**» متفق عليه.

ورغم ذلك شدد الإسلام على أهمية الوقار والحياء، والبعد عن إثارة الغرائز داخل المساجد. وفى هذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**لا تمنعوا إماءَ الله مساجدَ الله، ولكن لِيَخرُجْنَّ وهنَّ تَفِلاتٌ**"[602]. و(تفلات) معناها (غير متعطرات). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِذَا شَهِدَتْ إِحْدَاكُنَّ الْمَسْجِدَ فَلَا تَمَسَّ طِيبًا**» رواه مسلم.

وفى المسجد يجب أن يكون هناك فصل بين الرجال والنساء، فالرجال فى الصفوف الأولى، يليهم الصبيان، ثم النساء. والهدف من ذلك أن يكون النساء فى الخلف حتى لا يراهن الرجال أثناء الصلاة، فينشغلون بمفاتنهن خاصة أثناء الركوع والسجود. كما أن وجود صفوف الصبيان بين صفوف الرجال والنساء يعمل كحاجز، يحول بين المرأة وبين النظر عن قرب للرجال أثناء الصلاة، كما يمنع الرجل من الانشغال أثناء الصلاة بالتفكير فى أن النساء اللائى يقفن خلفه

602) رواه أبو داود، وهو صحيح لغيره، وإسناده حسن من أجل محمَّد بن عمرو -وهو ابن علقمة الليثي- وباقي رجاله ثقات. وأخرجه أيضا الإمام أحمد وعبد الرزاق والشافعي والحميدي وابن أبي شيبة والدارمي وابن الجارود وأبو يعلى وابن حبان وابن خزيمة والبيهقي والبغوي من طرق مختلفة عن محمد بن عمرو. انظر: تعليق المحققين على **"سنن أبي داود"** (1/ 423)

ينظرن إليه، ويعجبن بأناقته ورجولته. ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا، وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا، وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا**» رواه مسلم.

وحتى بعد هذه الضوابط فإن الإسلام يميل إلى تفضيل صلاة المرأة في بيتها درءا للفتنة، فقد روى ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمُ الْمَسَاجِدَ، وَبُيُوتُهُنَّ خَيْرٌ لَهُنَّ». رواه أبو داود بإسناد صحيح[603]. وأخرجه الحاكم، وقال صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، ووافقه الذهبي[604].

وعن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها، وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها** "رواه أبو داود بإسناد صحيح على شرط مسلم كما ذكر النووي، ووافقه الألباني[605].

(صلاة المرأة في بيتها) في موضع مبيتها، أي مسكنها الذى تسكنه وتأوى إليه (حجرتها) أى صحن دارها. قاله ابن الملك، أراد بالحجرة ما تكون أبواب البيوت إليها وهى أدنى حالا من البيت في الستر (مُخدعها) البيت الصغير الذى يكون داخل البيت الكبير تحفظ فيه الأمتعة النفيسة مأخوذ من أخدعت الشئ إذا أخفيته. والحديث يدلّ على أن صلاة المرأة في هذه الأمكنة أفضل من صلاتها في المساجد[606].

والحديث الأخير معناه أن صلاة المرأة تكون أفضل كلما كانت فى الخفاء بعيدا عن أعين الناس. وقال ابن الأثير: " المُخدع ": هو البيْت الصغير الذي يكون داخل البيْت الكبير". وإنما كانت صلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها ومن صلاتها في حجرتها، لأنها أستر لها، وأمنع لها من نظر الناس، ومَبْني حالهن على الستر ما أمكن[607].

وتفضيل الإسلام لصلاة المرأة فى بيتها يوحي بأنه لا يرحب بالاختلاط داخل المساجد، وحريص على ألا تتحول بيوت الله إلى بيوت للرذائل. وإن حدث فى بعض الأحيان أن انتشر التبرج فى المساجد فواجب رجال الدين أن يدينوا ذلك، ويدعوا أولياء الأمور إلى أن يوقفوا هذه المخالفات.

---

603) سنن أبي داود (1/ 424)

604) المستدرك على الصحيحين للحاكم (1/ 327).

605) صحيح سنن أبي داود (3/ 108)

606) انظر: **"المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي داود"** (4/ 270). تأليف محمود محمد خطاب السبكي. تحقيق أمين محمود محمد خطاب. مطبعة الاستقامة، القاهرة. الطبعة الأولى، 1351 - 1353 هـ

607) شرح سنن أبي داود (3/ 56). تأليف أبو محمد محمود بن أحمد بدر الدين العينى. تحقيق أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري. مكتبة الرشد – الرياض. الطبعة الأولى، 1420 هـ -1999 م

وليت آمنة ودود –التي استندت إلى حديث ضعيف لتبرير إمامة المرأة –تذكرت حديث صحيحا يظهر غيرة أم المؤمنين عائشة على الفضيلة داخل المساجد، وذلك حين قالت: «**لَوْ أَدْرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَحْدَثَ النِّسَاءُ لَمَنَعَهُنَّ كَمَا مُنِعَتْ نِسَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ**» متفق عليه.

علينا أن نقول بوضوح أن الإسلام لا يتخذ موقفا وسطيا فى أمور الفضيلة والعفة داخل المسجد، هنا يبدو الإسلام متشددا، وحق له أن يكون متشددا. إن من القبيح أن تقف أمام الله، فتنشغل عنه بما حولك، فالواحد منا إن قدر له أن يجلس فى مكتب وزير فإنه يغلق هاتفه المحمول حتى لا يعكر صفو اللقاء شىء، فمن الإهانة للوزير أن تنشغل عنه بعد أن تواضع وخصص من وقته الثمين دقائق من أجلك. وبالمثل سيكون من الإهانة لله أن ينشغل الناس عنه وهم بيته. وليتهم انشغلوا بالتجارة أو الزراعة، وإنما انشغلوا بالنساء.

إن للمساجد حرمة، لأنها بيوت الله، والله تعالى أحق أن نستحيى منه. إن المذيعة إن أجرت حوارا مع رئيس الجمهورية فلا يمكنها أن تجلس أمامه، وهي تضع ساقا على ساق، فما يباح فى مكان لا يباح فى مكان آخر. فلتلتزم المرأة بأقصى درجات الأدب، وهى فى بيت الله.

إن الإسلام ينظر للمسجد على أنه بيت غير عادى، ولهذا **أمرنا بالذهاب إليه ونحن متوضئون، وفي أبهى صورة،** قال تعالى: {يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} [الأعراف: 31]. كما **نهى الرسول عليه الصلاة والسلام عن الذهاب إلى المسجد بعد أكل الثوم أو البصل:** «مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا فَلْيَعْتَزِلْنَا، أَوْ لِيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا، وَلْيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ» متفق عليه. **والمسجد يجب أن يكون مطهرا من كل رجس كالبصاق ونحوه،** وفى هذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «البُزَاقُ فِي المَسْجِدِ خَطِيئَةٌ وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا» متفق عليه. والبزاق هو البصاق. وروي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «رَأَى فِي جِدَارِ القِبْلَةِ مُخَاطًا أَوْ بُصَاقًا أَوْ نُخَامَةً، فَحَكَّهُ» متفق عليه، واللفظ للبخاري. **وأمر رسول الله المسلمين بتنظيف المسجد وتجميله،** فعن عائشة قالت: «أَمَرَ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – ببناء المَساجِدِ في الدُّورِ وأن تُنَظَّفَ وتُطَيَّبَ» رواه أبو داود بإسناد صحيح.[608]

608) وأخرجه أيضا الترمذي، وابن ماجه من طرق عن هشام بن عروة. وهو في "مسند أحمد"، و"صحيح ابن حبان". وأخرجه الترمذي (601) و (602) من طرق عن هشام بن عروة، عن أبيه: أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم... فذكره مرسلاً.
وقوله: ببناء المساجد في الدور. قال البغوي في "شرح السنة": يريد المحال التي فيها الدور، لأنهم كانوا يسمون المحلة التى اجتمعت فيه قبيلة داراً، ومنه الحديث "ما بقيت دار إلا بنيت فيها مسجد". وقال علي القاري في "المرقاة" الدور جمع دار، وهو اسم جامع للبناء

وفى المسجد يجب أن ينسى المؤمن كل ما يتعلق بالدنيا، حتى لو كان حلالا، فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَبِيعُ أَوْ يَبْتَاعُ فِي الْمَسْجِدِ فَقُولُوا: لَا أَرْبَحَ اللَّهُ تِجَارَتَكَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَنْشُدُ ضَالَّةً فِيهِ فَقُولُوا: لَا رَدَّ اللَّهُ عَلَيْك». أخرجه الحاكم، وقال صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، ووافقه الذهبي[609].

وليس من المقبول أبدا أن ترتفع الأصوات في المساجد، فعَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: كُنْتُ قَائِمًا فِي المَسْجِدِ فَحَصَبَنِي رَجُلٌ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، فَقَالَ: اذْهَبْ فَأْتِنِي بِهَذَيْنِ، فَجِئْتُهُ بِهِمَا، قَالَ: مَنْ أَنْتُمَا – أَوْ مِنْ أَيْنَ أَنْتُمَا؟ – قَالاَ: مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ، قَالَ: «لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ البَلَدِ لَأَوْجَعْتُكُمَا، تَرْفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» أخرجه البخاري. و(**حصبني**) تعني رماني بالحجارة الصغيرة.

من هذه النصوص ندرك أن المسجد مكان ذو طبيعة خاصة. **فى المسجد يتشدد الإسلام، ويضيق على الناس، فيحرم عليهم أشياء يحلها لهم خارجه. ولهذا نحن نقول لأولئك المجانين، الذين يريدون للمرأة أن تؤذن وتؤم الجماعة وتقف جنبا إلى جنب فى صف واحد مع الرجل فى المسجد: أنتم تلعبون بالنار لأن الأمر يتعلق ببيوت الله، التي هي أقدس البقاع على الأرض.** وما تفعلونه إن جاز قبوله فى الشارع، فمن المستحيل قبوله داخل جدران المساجد.

ثم كيف تؤم المرأة المصلين؟ هذه كارثة. إن الرجل سيقف وراءها، فيقع بصره عليها من الخلف، ويجد نفسه تلقائيا يتأمل في تفاصيل جسدها، وهي واقفة وراكعة وساجدة. وما يمنع الرجل من إطالة النظر إلى المرأة في الأحوال العادية خوفه من أن تلاحظ هي– أو يلاحظ الناس– أنه ينظر إليها، لكن في الصلاة لا أحد ينظر إلى عين الآخر، فتكون النتيجة أن يطلق الرجل بصره بحرية كاملة، وسيصبح المسجد ملتقى للفساق. وإن حاول الرجل غض بصره مرة فسيخفق مرات، وسينشغل عن صلاته بخواطر شيطانية، وستحدثه نفسه: "ما أجل هذه المرأة! كم عمرها؟ وهل هي متزوجة؟ وهل زوجها يقدر جمالها؟ وهل عندها أولاد؟

والعرصة والمحلة، والمراد المحلات، فإنهم كانوا يسمون المحلة التى اجتمعت فيها قبيلة داراً. وحكمة أمره لأهل كل محلة ببناء مسجد فيها أنه قد يتعذر أو يشق على أهل محلة الذهاب للأخرى فيحرمون أجر المسجد، وفضل إقامة الجماعة فيه، فأمروا بذلك ليتيسر، هل كل محلة العبادة في مسجدهم من غير مشقة تلحقهم. انظر: تعليق المحققين على **"سنن أبي داود"**(1/ 342).

609) المستدرك على الصحيحين للحاكم (2/ 65). وأخرجه الدارمي والتِّرمِذي والنَّسائي وابن خزيمة وابن حبان. قال أبو عِيسَى التِّرمِذي: حديثُ أبي هُرَيرة حديثٌ حسنٌ غريبٌ. انظر: **"المسند الجامع"** (16/ 612)

إن مبدأ غض البصر يحول تماما دون إمامة المرأة للرجال: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} [النور: 30]. **ولئن كان تحديق الرجل في جسد امرأة تسير في الطريق جريمة، فالجريمة الأكبر أن يحدق في جسدها داخل المسجد وأثناء الصلاة.** نحن نأتي بالشيطان إلى عقر دارنا، ونقول له: "تفضل".

إننا نقول لأمينة ودود ومن على شاكلتها: اعلموا أن الفضيلة روح يسرى فى جسد الإسلام. ولئن أردتم لنا إسلاما بلا فضيلة فكأنكم تصدرون حكما بالإعدام على هذا الدين العظيم، وهذا ما لن نسمح لكم به مهما كان الثمن.

وإن أردت نصا واضحا، يحرم إمامة المرأة في الصلاة فهاك حديث: «خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا، وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا، وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا» رواه مسلم. إن هذا الحديث يوجب وقوف النساء خلف الرجال في الصلاة، بل يجعل شر صفوف النساء أولها، مع أنها تكون خلف الرجال، ولذا فالأولى القول بأن المرأة لا تصلح كإمام لأن الإمام يقف أمام كل المصلين. **وفضلا عن ذلك فوقوف الرجال والنساء بجوار بعضهم فى صف واحد محرم حتى لو كان في الشارع، فما بالك إن حدث هذا في الصلاة؟** قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «لأنْ يُطْعَنَ فِي رأَسِ أحِدِكُمْ بِمِخْيَطٍ مِنْ حَدِيدٍ خيرٌ لهُ مِن أَنْ يَمَسَّ امْرأَةً لَا تَحِلُّ لَهُ»[610]

وإن قالوا: "**سنجعل الإمام امرأة عجوزا**"**، قلنا لماذا لم يفعلها رسول الله قبلكم؟ ولماذا لم يجعل الرسول للنساء العجائز صفا أمام صفوف الرجال أو وسطها، أو يسمح لهن** بالوقف بجوار الرجال في نفس الصف؟

والحقيقة أن كثيرا من الرجال ينظرون بشهوة إلى جسد المرأة في ذاته بصرف النظر عن وجه صاحبته أو سنها. حقا يفقد جسد المرأة كل ما له من جاذبية إن كانت المرأة قد صارت طاعنة في السن، وانحنى ظهرها، وأصابها الهزال، وضعفت حركتها، وخفت صوتها، لكن من الذي يحكم أن المرأة فقدت كل ما لها من جاذبية؟ هل نشكل لجنة من الخبراء لتحكم على جسد كل امرأة تسعى لشغل منصب إمام مسجد؟ ثم ألا تذكرون كيف اعتبر الإسلام أن ستر المرأة العجوز

---

610) قال المناوى: رواه الطبراني في الكبير وكذا البيهقي عن معقل بن يسار وقال: قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، وقال المنذرى: رجاله ثقات. انظر تعليق المحققين على **«جمع الجوامع» (الجامع الكبير)** (6/ 536)

لجسدها أفضل: {وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [النور: 60]؟

ولو كان الرسول عليه الصلاة والسلاة رجلا تقدميا مؤمنا بقضية المرأة، فلماذا لم يأمر قبل وفاته بأن تؤم السيدة عائشة – وهي العالمة الفقيهة– الناس في الصلاة بدلا من أبي بكر حتي يوجه رسالة للأجيال التالية بأن المرأة تصلح للإمامة؟[611]

أخيرا إن صارت المرأة إماما فستضطر للانقطاع عن المسجد بشكل دوري مرة كل شهر تقريبا، وسيفهم الناس حتما أن الحيض هو السبب. ولا أظن أن امرأة كريمة يمكن أن تقبل أن يكون عامة الناس على علم بموعد دورتها الشهرية، وهل هي طويلة أم قصيرة، وهل تأخرت بسبب الحمل أم بسبب بلوغها سن اليأس.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

حديث أم ورقة

استندت آمنة ودود إلى رواية عن صحابية اسمها أم ورقة، طلبت من الرسول عليه الصلاة والسلام يوما أن تخرج معه لمداواة الجرحى في غزوة بدر، فرفض خروجها (على الأرجح لأنها كانت عجوزا)، ووعدها بالشهادة، وهو ما تحقق فيما بعد[612]. كما سمح لها الرسول عليه السلام بأن تجعل من بيتها مسجدا مصغرا، وجعل له مؤذنا. وكانت أم ورقة تؤم المصلين من أهل بيتها لأنها كانت تحفظ القرآن.

والرواية كما وردت في سنن أبي داود[613] عن أمِّ ورقة بنت نَوفَل: أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم لمَّا غزا بدراً قالت: قلت له: يا رسول الله، ائذَن لي في الغَزْوِ معك، أُمَرّضُ مَرضاكم، لعلَّ الله يرزُقُني شهادةً، قال: "قِرّي في بَيتِكِ، فإنَّ الله عز وجل يرزُقُكِ الشَّهادة"، قال: فكانت تُسمَّى الشَّهيدة. قال: وكانت قد قرأتِ القُرآنَ، **فاستأذَنَتِ النبي – صلى الله عليه وسلم – أن تتَّخِذَ في**

---

611) **تاريخ الإسلام** للذهبي (2/ 475)

612) نالت أم ورقة الشهادة بعد أن تآمر عبد وأمة لها على قتلها لأنها كانت قد وعدتهما بالعتق بعد وفاتها، فعجلا بقتلها كي ينالا حريتهما، فصلبهما عمر بن الخطاب. روى أبو داود: «وكانت قد دَبَّرَت غلاماً لها وجاريةً (أي جعلتهما من الأحرار بعد موتها)، فقاما إليها بالليل فغمَّاها بقَطِيفةٍ لها حتَّى ماتت وذهبا، فأصبَحَ عمرُ فقام في الناس، فقال: مَن عندَه من هذين عِلمٌ، أو مَن رآهما فليَجِيءُ بهما، فأمر بهما فصُلِبا، فكانا أوَّلَ مَصلوبٍ بالمدينة»

613) وأخرجه مطولاً ومختصراً ابن سعد في "الطبقات"، وابن أبي شيبة، وأحمد، وابن أبي عاصم في "الآحاد والمثانى"، والطبرانى، والحاكم، والبيهقي في "السنن" وفي "الدلائل" من طرق عن الوليد بن عبد الله بن جميع، بهذا الإسناد. انظر تعليق المحققين على **سنن أبي داود** (1/ 442)

دارها مُؤَذناً، فأذِنَ لها. وفي رواية أخرى لأبي داود: وكان رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – يزورُها في بيتها، **وجعلَ لها مُؤَذناً يُؤذّنُ لها، وأمرَها أن تَؤُمَّ أهلَ دارِها**. قال عبد الرحمن (راوي الحديث): فأنا **رأيتُ مُؤَذّنَها شيخاً كبيراً**.

وفي رواية أحمد أن أُمِّ وَرَقَةَ بِنْتِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ الْأَنْصَارِيِّ «كَانَتْ قَدْ جَمَعَتِ الْقُرْآنَ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ **أَمَرَهَا أَنْ تَؤُمَّ أَهْلَ دَارِهَا، وَكَانَ لَهَا مُؤَذِّنٌ، وَكَانَتْ تَؤُمُّ أَهْلَ دَارِهَا**».

وروى الحاكم أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ، يَقُولُ: «انْطَلِقُوا بِنَا إِلَى الشَّهِيدَةِ فَنَزُورُهَا» **وَأَمَرَ أَنْ يُؤَذَّنَ لَهَا وَتُقَامَ، وَتَؤُمَّ أَهْلَ دَارِهَا فِي الْفَرَائِضِ**».

وروى الطبرانى عَنْ أُمِّ وَرَقَةَ بِنْتِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ الْأَنْصَارِيِّ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزُورُهَا وَيُسَمِّيهَا الشَّهِيدَةَ، وَكَانَتْ قَدْ جَمَعَتِ الْقُرْآنَ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ غَزَا بَدْرًا قَالَتْ لَهُ: " تَأْذَنُ لِي فَأَخْرُجَ مَعَكَ أُدَاوِي جَرْحَاكُمْ، وَأُمَرِّضَ مَرْضَاكُمْ لَعَلَّ اللهَ يَهْدِي لِي شَهَادَةً، قَالَ: إِنَّ اللهَ يَهْدِي لَكِ شَهَادَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أَمَرَهَا أَنْ تَؤُمَّ أَهْلَ دَارِهَا، وَكَانَ لَهَا مُؤَذِّنٌ، وَكَانَتْ تَؤُمُّ أَهْلَ دَارِهَا** حَتَّى عَدَا عَلَيْهَا جَارِيَةٌ، وَغُلَامٌ لَهَا كَانَتْ دَبَّرَتْهُمَا فَقَتَلَاهَا فِي إِمَارَةِ عُمَرَ. وفي رواية أخرى للطبراني عَنْ أُمِّ وَرَقَةَ بِنْتِ نَوْفَلٍ، قَالَتْ: " لَمَّا غَزَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَدْرًا قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي أَنْ أَغْزُوَ مَعَكَ أُدَاوِي جَرْحَاكُمْ، وَأُمَرِّضَ مَرْضَاكُمْ لَعَلَّ اللهُ يَرْزُقَنِي شَهَادَةً، فَقَالَ: قَرِّي فِي بَيْتِكِ، فَإِنَّ اللهَ يَرْزُقُكِ الشَّهَادَةَ، وَكَانَتْ تُسَمَّى الشَّهِيدَةَ، وَكَانَتْ قَدْ قَرَأَتِ الْقُرْآنَ، فَاسْتَأْذَنَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي **أَنْ يَتَّخِذَ فِي دَارِهَا مَوْضِعًا تُصَلِّي، فَأَذِنَ لَهَا**"

وروى البيهقي عن أُمِّ ورَقَةَ الأنصاريَّةِ، أن رسولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – كان يقولُ: "انطَلِقوا بنا إلى الشَّهيدَةِ فنَزورُها". **وأَمَرَ أن يُؤَذَّنَ لها ويُقامَ وتَؤُمَّ أهلَ دارِها في الفَرائضِ**.

وقال محققا سنن أبى داود عن هذا الحديث: إسناده ضعيف لجهالة عبد الرحمن بن خلاد وجدة الوليد بن عبد الله بن جميع، واسمها ليلى بنت مالك[614]. ولم يرو الحديث من طرق أخري غير هذين المجهولين. ويرى الشيخ الألبانى أيضا أن الحديث ليس صحيحا، ففى سنده عبد الرحمن بن خلاد وهو مجهول الحال، ولكن الحديث روى من طريق آخر من خلال جدة الوليد بن جميع

614) سنن أبي داود (1/ 442)

واسمها ليلى بنت مالك، وهى كذلك لا تعرف. والطريقان يقوى بعضهما بعضا مما يرفع الحديث لمرتبة الحسن[615]، مع العلم أن الحديث الحسن أقل مرتبة من الحديث الصحيح.

ثم تعالوا بنا نفترض أن الرواية صحيحة. إننا لن نعثر على أي لفظ لها يفهم منه أن أم ورقة كانت تؤم الرجال، فعامة الروايات تقول أنها كانت (تؤم أهل دارها). ولا يوجد ما يفيد أن رجالا من أهل بيتها كانوا من المأمومين، بل بالعكس نحن نجد ما يفيد أنها كانت تؤم النساء خاصة، وهذا ما يستفاد من رواية للدارقطنى عَنْ أُمِّ وَرَقَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَذِنَ لَهَا أَنْ يُؤَذَّنَ لَهَا وَيُقَامَ وَتَؤُمَّ نِسَاءَهَا».

وإمامة المرأة للمرأة جائزة بلا خلاف، فقد روى عبد الرزاق عَنْ رِيطَةَ الْحَنَفِيَّةِ أَنَّ عَائِشَةَ «أَمَّتْهُنَّ وَقَامَتْ بَيْنَهُنَّ فِي صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ»[616] قال النووي في "الخلاصة": "سنده صحيح"[617]. وروى البيهقي عن رائطة الحنفية : أن عائشة «أمت نسوة في المكتوبة فأمتهن بينهن وسطا». وفي رواية أخرى لعبد الرزاق أَنَّ عَائِشَةَ «كَانَتْ تَؤُمُّ النِّسَاءَ فِي التَّطَوُّعِ، تَقُومُ مَعَهُنَّ فِي الصَّفِّ». وروى البيهقي أيضا عن عائشة : «أنها كانت تؤذن وتقيم وتؤم النساء وتقوم وسطهن». وروى عبد الرزاق عَنْ حُجَيْرَةَ بِنْتِ حُصَيْنٍ، قَالَتْ: «أَمَّتْنَا أُمُّ سَلَمَةَ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ قَامَتْ بَيْنَنَا». وروى البيهقي عن حجيرة عن أم سلمة : « أَنَّها أَمَّتهُنَّ، فقامَت وَسْطًا». وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «تَؤُمُّ الْمَرْأَةُ النِّسَاءَ تَقُومُ فِي وَسَطِهِنَّ» أخرجه عبد الرزاق.

وحتى بفرض أن أم ورقة كانت تؤم الرجال، فإن هؤلاء الرجال كانوا من أهل بيتها، لا من الأجانب، وذلك طبقا لعامة الروايات التي تقول (تؤم أهل دارها).

ويمكننا بسهولة أن نفهم من الرواية أن **أم ورقة كانت عجوزا**، فلو كانت شابة لذهبت للصلاة فى مسجد الرسول تلقائيا مثل بقية النساء، ولما كان هناك داع لأن يقيم لها الرسول في بيتها مسجدا

---

615) قال الألباني: [هذا إسناد حسن، الوليد بن جميع احتج به مسلم كما قال الحاكم ووافقه الذهبى، وأما جدته واسمها ليلى بنت مالك كما فى رواية الحاكم فلا تعرف كما قال الحافظ فى " التقريب "، وأما عبد الرحمن بن خلاد فمجهول الحال، وأورده ابن حبان فى " الثقات " على قاعدته! لكن هو مقرون بليلى فأحدهما يقوى رواية الآخر، لا سيما والذهبى يقول فى " فصل النسوة المجهولات ": " وما علمت فى النساء من اتهمت، ولا من تركوها ". ولعل هذا هو وجه إقرار الحافظ ابن حجر فى "بلوغ المرام " تصحيحه ابن خزيمة للحديث، مع أنه أعله فى " التلخيص " (ص 121) بقوله: "وفى إسناده عبد الرحمن بن خلاد وفيه جهالة ". وذهل عن متابعة ليلى إياه، وإلا لذكرها وبين حالها كما فعل بمتبوعها ابن خلاد وكأنه اعتمد على رواية لأبى داود، فإنها لم تذكر فيها، وعكس ذلك الدارقطنى وأحمد فى رواية له فذكراها دون ابن خلاد. والحديث أعله المنذرى بالوليد بن عبد الله، وقد رددته عليه فى " صحيح أبى داود " (605) بما خلاصته أن مسلماً احتج به كما سبق، وأن جماعة وثقوه كابن معين وغيره، ونقل صاحب " التعليق المغنى " عن العلامة العينى أنه قال: " حديث صحيح ". والحق أنه حسن، والله أعلم]. انظر: **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل** (2/ 256)

616) مصنف عبد الرزاق الصنعاني (3/ 141). وأخرجه ابن سعد في الطبقات، قال: أَخْبَرَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ قَالَ: أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ عَنْ مَيْسَرَةَ عَنْ رَيْطَةَ الْحَنَفِيَّةِ قَالَتْ: "أَمَّتْنَا عَائِشَةُ فِي الصَّلَاةِ فَقَامَتْ وَسْطَنَا". **"الطبقات الكبرى"** لابن سعد (8/ 352)

617) التذييل علي كتب الجرح والتعديل (1/ 381)

مصغرا بعيدا عن جماعة المسلمين. كما يمكن أن يستدل من منع الرسول لها من الخروج مع الجيش فى غزوة بدر أنها كانت طاعنة فى السن، ولا تحتمل مشاق الخروج للحرب. ولاحظ أيضا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان هو الذى يذهب مع الصحابة لزيارة أم ورقة فى بيتها، وهذا دليل آخر على أنها كانت عجوزا، فلو كانت صغيرة لمشت إلى مسجد الرسول على الأقل مرة يوميا، ولقابلته كل يوم، وتكلمت معه إن أرادت. **إذن أم ورقة كانت عجوزا مقعدة لا تتمتع بأى قدر من الفتنة فلا يخشى على من يصلى وراءها من الغواية.**

نلخص ما سبق في النقاط التالية:

1. رواية أم ورقة غير صحيحة، فسندها ضعيف أو حَسَن على أفضل الاحتمالات.
2. لا توجد رواية تقول أن أم ورقة كانت تؤم الرجال.
3. توجد رواية تقول أن أم ورقة كانت تؤم النساء. وإمامة المراة للمرأة جائزة بلا خلاف.
4. بفرض أن أم ورقة كانت تؤم الرجال، فهؤلاء الرجال من أهل بيتها الذين يصعب أن ينظروا إليها بشهوة.
5. أخيرا أم ورقة كانت عجوزا، ومن الصعب أن تكون مصدر إغراء للرجال.

الخلاصة: بفرض أن رواية أم ورقة صحيحة، فلا يجوز تعميمها. وأقصى ما يمكن أن نستنتجه منها هو جواز إمامة المرأة للمرأة أو –على أبعد الفروض– جواز إمامة المرأة العجوز للرجال من أهل بيتها. الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

المرأة واعظة

من حيث المبدأ يجوز للمرأة أن تدعو الناس وتعظهم، بل هذا هو الواجب الذي تحاسب إن قصرتْ فيه. فأي مسلم يرى المنكر، ولا ينه عنه، فهو مشارك في الإثم، ومستحق للعذاب. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على كل مسلم حسب طاقته. وكلما زاد علم المرأة بالدين زادت مسئوليتها في توعية الناس ودعوتهم. وقد حث الله تعالى زوجات النبي على نشر ما تعلمنه منه بين الناس: {وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا} [الأحزاب: 34]. ومن المعروف أن المسلمين تلقوا عددا هائلا من الأحاديث عن السيدة عائشة

وغيرها من أمهات المؤمنين. ومع ذلك لنا عدة ملاحظات على ظاهرة الداعيات التي انتشرت في السنوات الأخيرة:

أولى الملاحظات أن **مستوى هؤلاء الداعيات ليس متميزا**، وهو ما يجعل المرء يشعر أن الهدف من إظهارهن بشكل مكثف في وسائل الإعلام ليس سوى إثبات وجود المرأة في كافة المجالات بما في ذلك الدين.

والواقع أن المسألة لا تقف عن حد مجاملة بعض النساء، فظهور كل واعظة من هؤلاء يقابله استبعاد رجل دين كفء. وكم من عالم جليل لا يجد مكانا على الشاشات، التي يحتكرها شخصيات تحظى برضا النظام العالمي. هب أن معد أحد البرامج أراد استضافة الشيخ الشعرواي، فجاءه اتصال من مسئول كبير يرفض ظهور الشعراوي، ويطلب ظهور داعية مستواه متواضع بدلا منه. أليست هذه خيانة؟ نعم من الخيانة أن تحرم الناس من علم عالم جليل من أجل مجاملة أصحاب النفوذ.

ثانى هذه الملاحظات أن **كثيرا من هؤلاء الواعظات من صغار السن، وأكثرهن يضعن مساحيق التجميل على وجوههن بصورة لافتة للنظر.** بالله عليكم: ماذا يريد معدو هذه البرامج من المشاهد؟ هل يريدونه أن يتغزل في جمال الواعظة، ويثني على أناقتها؟ ألم يسمعوا عن شيء اسمه غض البصر، يُفرض على المسلم فى الطريق، وهو أولى عند سماع الدروس الدينية؟

من واجب المرأة أن تكون على أعلى درجات الوقار والهيبة، وهى تتحدث فى الدين، فإنه حتى الرجل لا يقبل منه أن يعظ الناس، وهو مضطجع، أو يمضغ قطعة لبان، أو يرتدي الشورت. كما أن روح الإسلام توجب على المسلمين أن يكونوا على أعلى درجات الانتباه واليقظة أثناء الدروس الدينية عملا بقوله تعالى: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الأعراف: 204]. **وبالله عليكم من ذا الذي يقدر على الإنصات للموعظة إن كانت من تحدثه امرأة متبرجة؟**

إن المرأة الشابة التي لها علم بالدين يمكنها أن تخدم دينها عن طريق تأليف الكتب وكتابة المقالات فى الصحف والمجلات ومواقع الشبكة العنكبوتية (الإنترنت). كما يمكنها أن تلقي الدروس على النساء دون الرجال. **وإن أرادت الواعظة الشابة أن تلقي الدروس على جمهور**

من الرجال والنساء فلا بد أن تغطى وجهها بالنقاب درءا للفتنة في هذا الموقف المهيب (مع أن النقاب ليس فرضا في الأحوال العادية)، كما يجب أن **تتحاشى بقدر الإمكان الكلام في الأمور التي تخجل المرأة الفاضلة من التحدث عنها أمام الرجال كالزنا.**

ومن يظن بنا التشدد بسبب حرصنا على وقار الداعيات، فليذهب إلى أي جامعة ليرى ماذا يكون الموقف من باحث تخلى عن الوقار، وذهب يناقش رسالة الدكتوراة مرتديا شورت وفانلة بدلا من الزي الرسمي. بالتأكيد سيواجَه بعاصفة من الهجوم من لجنة المناقشة، مع أن قوانين الجامعة لا تحرم على من يناقش الدكتوراة أن يرتدى هذه الملابس الشبابية، ولكن هناك أمورا، تُفهم بالبداهة دون حاجة لنصوص ملزمة.

أما الواعظة الكبيرة السن التى بلغت سن السبعين مثلا، فيمكن أن يكون لها حرية أكبر في تناول الموضوعات، كما يجوز لها ألا ترتدى النقاب أثناء الدرس الديني الذي يحضره الرجال، بشرط ألا تتحايل من خلال وضع مساحيق التجميل حتى تبدو أصغر من سنها. والأفضل من الأصل ألا تعظ المرأة الرجال، وليس هذا حكما على فكرها بالموت، فأفضل وسيلة لنقل الفكر تكون من خلال تأليف الكتب، وليس عبر الخطب والدروس الصوتية.

إن من يلقي محاضرة سيغضب إن رأى أحد مستمعيه مشغولا بهاتفه أو ملابسه أو زينة الحوائط، **فلماذا ترضى بعض الداعيات بأن ينشغل الرجال بحسنهن؟ إن الدرس بهذا الشكل يصبح مجرد وسيلة لاستمالة قلوب الرجال، وهذا هو النفاق بعينه.**

وإذا كان من الجائز للمرأة أن تكون داعية، فلا يجوز لها أن تلقي خطبة الجمعة في المسجد، لأن خطبة الجمعة يحضرها كل من الرجال والنساء، وسيكون عليها أن تتكلم عن قضايا كالزنا والتبرج والجماع والشذوذ، وتتعرض لتفسير آيات وأحاديث يحتاج توضيحها للجرأة، وهذا شيء تخجل منه المرأة المسلمة، ولا يقبله رجل لزوجته أو ابنته. كما أن الرجال الفساق قد يبتسموا أو يضحكوا إن سمعوا مثل هذا الكلام من المرأة أثناء الخطبة، وقد يتعمدون مضايقة المرأة بعد الخطبة بالسؤال عن أمور محرجة من قبيل علاقتهم بزوجاتهم. ولا أحد يقبل بهذا. **حقا زوجات النبي كن يكلمن الناس عن الأمور الشخصية وعما كان يدور بينهن وبين الرسول عليه الصلاة والسلام في البيت، لكن هناك فرقا كبيرا،** فقد كانت زوجات الرسول أمهات للمؤمنين:

{النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} [الأحزاب: 6] ، وهذه الآية ضربت حاجزا نفسيا بينهن وبين الرجال، إذ صار من المحرم على المسلمين أن يتزوجوا منهن بعد وفاة الرسول لأنهن في مقام الأمهات. وهذا الحاجز النفسي رفع عن زوجات الرسول كثيرا من الحرج لأن الجماهير التي يخاطبنها في حكم أولادهن، فصرن بذلك أكثر جرأة في رواية الأمور الشخصية التي لم يكن هناك مفر من نقلها للمسلمين، لأنه لا أحد غيرهن يعلمها.

إن الواعظة إن ألقت دروسا دينية على الرجال خارج المسجد فستكون متحكمة في موضوع الدرس، وستتحاشى الكلام عن الأمور التي تخجل منها المرأة. لكن خطيب المسجد لا يملك أن ينتقي من الدين أمورا، ويترك أمورا أخرى، فالدين كله يجب أن يصل إلى الناس دون تمييز، عملا بقوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ} [المائدة: 67]. وهذا يجعل الرجل أفضل كخطيب للمسجد لأنه أقل خجلا وأكثر جرأة من المرأة. والمرأة الفاضلة تتحاشى الكلام أمام الرجال في أمور الشهوات وفتنة النساء والتبرج والزنا والطهارة والحيض والنفاس وغيرها.

إن الموعظة الأساسية الرسمية في الإسلام هي خطبة الجمعة، وليس مقبولا أن يتم حذف موضوعات رئيسية منها بشكل دائم أو شبه دائم لكون الخطيب امرأة. أما المرأة التي تلقي دوسا على الرجال في غير خطبة الجمعة، فمن حقها أن تنتقي الموضوعات التي تحبها لأن هذه الدروس تدخل في باب الزيادة والفضل والتطوع.

وفضلا عن ذلك فالمسجد مكان مقدس طاهر، وخطبة المرأة للجمعة تدنس هذه القداسة، ليس لأن المرأة مخلوق نجس، وليس لأنها رجس من الشيطان، ولكن لأن من السهل على عقل الرجل أن يتلوث بالأفكار الشهوانية عند رؤية المرأة والاستماع إليها. المشكلة لا تكمن في المرأة بقدر ما تكمن في ضعف الرجل أمام المرأة.

وحتى لو اشترطنا على المرأة أن يكون لباسها وقورا أثناء خطبتها الجمعة، فمن أدرانا أننا لن نبتلى يوما بخطيبة ماكرة تجيد استمالة قلوب الرجال دون أن يتمكن أحد من أن يأخذ عليها مأخذا؟ لقد كان لدينا في كلية الطب أستاذة في الخمسينات من العمر، كانت محجبة وملابسها واسعة، ولكنها كانت تتكلم دائما بغنج ودلال أمام الطلبة بشكل يتناقض تماما مع مظهرها

الوقور. ونفس الشيء يمكن أن يحدث مع الواعظة على المنبر، فربما تستوفي شروط الوقار الخارجي، لكنها تخطب في الناس بطريقة مثيرة، لا تليق بخطبة الجمعة. ونحن نرى اليوم أن كثيرا من خطباء المساجد في منتهى سوء الخلق، وإن سمحنا للنساء بالخطبة سيأتينا حتما واعظات ساقطات مائلات مميلات. ولا تقل لي أن الناس والحكام سيمنعون مثل هؤلاء الواعظات، فلو كانوا قد نجحوا قبل ذلك في منع الرجال الفساق من اعتلاء المنابر لوثقنا في قدرتهم على منع الفاسقات.

كما أن **كثيرا من النساء يتصفن بالرقة والدلال حتى لو لم يقصدن ذلك.** وكثير من النساء يأسرن قلوب الرجال حتى لو كن يبكين، أو يشعرن باليأس والقنوط، أو يصرخن في وجوه الظالمين. وفي غمرة الاندماج في الشرح قد تتكلم المرأة بسخرية أو مزاح، فيكون الأمر أسوأ. وأحيانا تكون نبرة صوت المرأة أو تعبيرات وجهها العادية مصدر فتنة لا توصف للرجال. ولهذا لم تطمع امرأة مثل السيدة عائشة قط بأن تخطب الجمعة رغم أنها كانت من أكثر المسلمين علما، وكانت ذات جرأة مشهودة.

إن جلوس المرأة على المنبر سيفتح بابا لا آخر له من الفتن. وبنظرة سريعة على الفضائيات اليوم ستلاحظ أن أي مذيعة تكون مشغولة بجمالها أكثر من انشغالها بالموضوع الذي تتكلم فيه، وأن القضية التي تناقشها هي بالنسبة لها أمر ثانوي تماما إذا ما قورن بحرصها على أن تحظى بإعجاب المشاهدين. وأمر كهذا يستحيل قبوله داخل المسجد.

وقد يقال: "لا تبالغ، فحدوث شيء يسير من الإعجاب بالواعظة الواقفة على المنبر أمر طبيعي، ولا يحول المسجد لبيت دعارة". ونحن نقول أن بقعة صغيرة متسخة على ثوب ناصع البياض كفيلة بإثارة الاشمئزاز. ولئن شعر المرء بوجود أقل القليل من عدم الإخلاص لدى الواعظ، أو أحس أنه يحاول الاستعراض أمام المصلين لانصرف عنه، واعتبره منافقا، ينطق لسانه بما لا يؤمن به قلبه. كما أن الخطأ الصغير يصبح في بعض المواقف شنيعا، فإن انشغل أحد الوزراء بأظافره أثناء اجتماع مع رئيس الجمهورية لاستشاط الرئيس غضبا، مع أن الوزير لم يسبه، ولم يعارضه.

وعلى ذلك **فالمرأة يمكن أن تعمل كواعظة، لكن ليس من حقها أن تخطب الجمعة.** أعلم أن المرأة في هذا العصر صارت أكثر جرأة، لكن هذا دليل على انحدار أخلاق الناس، فمن ذا الذي كان يمكن أن يتصور أنه سيأتي يوم تتكلم فيه امرأة أمام ملايين الرجال عن العلاقة الجنسية بين الرجل وزوجته. هذا يحدث الآن بشكل يومي على الفضائيات. لم يعد هناك شيء اسمه حمرة الخجل. لكن في المجتمع الإسلامي الفاضل الذي تحكمه الشريعة سترتفع أخلاق الرجال والنساء، ولن يكون مقبولا أن تتكلم النساء في مثل هذه الأمور.

وقد يقال أن المرأة قد تُفتن هي الأخرى بالرجل الواقف على المنبر. والرد على ذلك لا يحتاج لذكاء، فكلنا نعرف أن فتنة المرأة للرجل أكبر من فتنة الرجل للمرأة، ولهذا يستعينون بالنساء في الإعلانات والمجلات والفضائيات لإغراء الرجال. ولو كان الرجل يغري المرأة بنفس الدرجة لكانت صور الرجال على أغلفة المجلات ومواقع الإنترنت بنفس الانتشار. كما أن الرغبة الجنسية لدى الرجل أقوى من الرغبة الجنسية عند المرأة. وقد قدمنا أدلة علمية كثيرة على هذه الظاهرة في كتابنا "لماذا آمنتُ بالآخرة"، فيمكن الرجوع إليه[618].

وفضلا عن ذلك فإمام المسجد المثالي قائد اجتماعي للناس، وليس فقط مجرد إمام في الصلاة. إمام المسجد يتقدم الصفوف. وفي أوقات المحن كانت المظاهرات تخرج من المساجد، كما حدث في ثورة 1919م، وقبل ذلك قاد شيوخ الأزهر حركة المقاومة ضد نابليون. والقيادة كما أثبتنا في هذا الكتاب من مهام الرجل، وليس المرأة.

ثم تعالوا نتكلم بصراحة. **هل نحن بحاجة ماسة للنساء كواعظات؟** لا، فأعداد رجال الدين كبيرة جدا، **والعلماء الراسخون في العلم كثيرون. والمشكلة الكبرى أن وسائل الإعلام موصدة أمامهم** لأن هناك نص عالمي غير مكتوب يقول أن وسائل الإعلام في بلاد المسلمين يجب أن تكون حكرا على العلمانيين والملحدين ورجال الدين المنحرفين، ولا مكان لرجل دين محافظ. إنه حتى القنوات الفضائية المتعاطفة مع الإسلام –كقناة الجزيرة– لا تستطيع أن تستضيف علماء دين يتكلمون عن الجهاد، أو وحدة المسلمين، أو مؤامرات اليهود، أو تحريف الكتب المقدسة، أو

---

618) "لماذا آمنت بالآخرة". دكتور محمد سعيد المكاوي. صفحة 240-247. الناشر منصة أمازون للكتب الرقمية. 2021- 1442هـ. رقم أمازون ASIN: B0957DJ4RV

الجزية، أو حقوق الزوج على زوجته، أو عمل المرأة، أو خطورة تحديد النسل، أو أهمية الزواج المبكر. **آخر مشاكل المسلمين هي غياب الواعظات.**

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

الباب الخامس: شبهات حول إهانة الإسلام للمرأة

شهادة المرأة

لماذا رجل وامرأتان

لماذا جعل الله تعالى شهادة المرأة في الديون نصف شهادة الرجل: {وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى} [البقرة: 282]؟

هل السبب أن الإسلام يحتقر المرأة؟

كيف ذلك، وفي القرآن نماذج مشرفة للنساء كأم موسى وامرأة عمران والسيدة مريم وملكة سبأ؟ ومن المدهش أن يتعرض فرعون لهجوم كاسح في القرآن، بينما تحظى زوجته بالإشادة، ونقرأ على لسانها كلاما فى غاية الإيمان والعمق: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [التحريم: 11]. ولو كان الإسلام يحتقر المرأة لما قبل شهادتها مطلقا كما فعل الرومان حين حرموا عليها أن تظهر في دار المحكمة ولو كانت شاهدة[619].

هل السبب أن ذاكرة المرأة أضعف من ذاكرة الرجل بوجه عام؟

هذا أيضا مستبعد لأن الله تعالى حث زوجات النبى على تبليغ أقواله وأفعاله إلى المسلمين: {وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ} [الأحزاب: 34]. وهذه الآية تستأمن المرأة على أهم معلومات فى حياة المسلم، ألا وهي حقائق الدين. ولو كان الله تعالى يرى أن قدرة المرأة على الحفظ بشكل عام بها خلل كبير لمنعها من نقل القرآن والسنة إلى الناس حتى لا يتعرض الدين للتحريف. كما أننا نلاحظ أن قدرة الفتيات على الحفظ كبيرة في مراحل التعليم المختلفة، وهي لا تقل عن قدرة الذكور، بل ربما تزيد عليهم في العلوم الأدبية.

لم يتبق أمامنا إلا احتمال وحيد، هو أن المرأة معرضة للنسيان بوجه خاص فى الأمور المالية، وليس فى عامة الأمور، فما السبب فى ذلك؟ نقدم عدة أسباب:

---

619) قصة الحضارة (9/ 120)

أولا:

قدرة الإنسان على الحفظ تختلف من مجال لآخر، فأنا مثلا أستطيع أن أحفظ صفحة من مرجع طبى بمجرد قراءتها إن استهواني موضوعها، لكننى أنسى بسرعة أشياء أخرى مثل أسماء الأشخاص وطرق السيارات، واللوائح الإدارية. وبعض المهتمين بالأدب يستطيع أن يحفظ أبياتا من الشعر بمجرد سماعها، لكنه ينسى تماما كل كلمة قالها صديقه عن أحدث طرز السيارات. وإن سمع عالم فيزياء تحليلا لمبارة كرة قدم على إحدى الفضائيات نسي بعد ثوان كل ما قيل، لكنه سيعيد لك بكل سهولة تفاصيل محاضرة لروجر بنروز عن تفسير ميكانيكا الكم. وإن جلستَ مع ممثلة مشهورة وجدتها تحفظ أسماء المطاعم والفنادق ونجوم هوليود، لكنك إن كلمتها قليلا عن الاتفاق النووي بين أمريكا وإيران لم تتذكر كلمة واحدة.

وعلى ذلك فملكة الحفظ ليست عامة، ولا تسير على وتيرة واحدة، **فالإنسان إن اهتم بأحد المجالات سهل عليه أن يحفظ المعلومات التى تتعلق به، أما المجال الذى لا يهتم به ولا يألفه فسينسى أغلب المعلومات التى ترتبط به.** وهذه الحقيقة تسرى على أغلب الناس، بما في ذلك المرأة.

والمرأة فى المجتمع المسلم لا تعمل غالبا، ووظيفتها الأساسية رعاية الأسرة، ولهذا تصبح عرضة لنسيان تفاصيل المعاملات المالية والديون وغيرها، لأنها خارج نطاق خبرتها واهتمامها، لكنها في المقابل تحفظ جيدا كل المعلومات التى تتعلق بالطهي والترتيب والتنظيف وتربية الأطفال والزينة والجمال. وليس هذا تحقيرا لاهتمامات المرأة المنزلية، ولا تكريما لاهتمامات الرجل غير المنزلية، فالمجتمع لا يستغني عن الاثنين، والله يثيب كل من أخلص في عمله مهما بدا عمله صغيرا.

وحين سافرت وحدى خارج البلاد اضطررت لتعلم الطبخ، وبقية أعمال المنزل، فلاحظت بعد عدة شهور أن أغلب تفكيرى صار منصبا على هذه الأمور، وأصبحت أفكر باستمرار ماذا سآكل اليوم؟ وبأى طريقة سأصنع الطعام؟ ومتى أعده؟ وهل الأفضل أن أطبخ ليومين أم ليوم واحد؟ ومتى أذهب للتسوق؟ وماذا أشترى؟ وهل السكر سيكفينى هذا الأسبوع، وهل سأحتاج إلى أرز؟ وهل فسدت بعض الأطعمة فى الثلاجة؟ وما عروض الأسعار هذا الأسبوع؟ لقد سيطرت الأفكار

من هذا النوع على عقلى بشكل لم أكن أتوقعه رغم أنى فرد واحد، فما بالك بامرأة ترعى أسرة مكونة من ستة أفراد يكون عليها أن تغسل لهم الثياب، وتنظفهم، وتمشطهم، وتداويهم، وتخيط ثيابهم، وتحل خلافاتهم، وتعالج الفوضى التى لا يكفون عن خلقها؟ ومن هنا فهمت أحد الأسباب التى جعلت الله تعالى يشترط وجود شاهدتين على الديون؛ **إن المرأة بحكم وظيفتها فى البيت مشغولة بتفاصيل جمة لا يلقى لها الرجال بالا، وهذا يجعلها معرضة لنسيان الديون والأمور المالية التى لا تبدو لها مهمة مقارنة بغيرها من شئون المنزل.**

ثانيا:

المرأة لها عاطفة، والرجل له عاطفة. المرأة لها اهتمامات، والرجل له اهتمامات. وكل من الرجل والمرأة يهتم بشئونه الشخصية أكثر من اهتمامه بشئون الآخرين. لكن الفرق أن عاطفة المرأة أقوى، فإن اهتمت بشيء اتجهت إليه بكل كيانها، فتهمل ما عداه، وقد تنساه. ولهذا يؤدي اهتمامها بشئونها الشخصية إلى نسيان الشئون العامة كالشهادة على الديون. أما الرجل فعاطفته المتجهة نحو شئونه الشخصية أقل قوة، ولهذا يبقى ذهنه حاضرا في الأمور العامة، ولا ينساها بسهولة، فيسهل عليه تذكر الدين الذي شهد عليه.

المرأة تتمتع بعاطفة جياشة، وهذا **يجعلها تتجه بكل كيانها إلى الشئون التى تخص أولادها وزوجها وبيتها، فتهمل فى المقابل الأمور العامة التى لا تخصها.** وليس هذا كلاما مجردا، ولكنه واقع نعيشه، فالمرأة مثلا يمكن أن يسيطر على تفكيرها طوال اليوم عواطف من قبيل القلق على ابنها المريض، أو التوجس من علاقة زوجها بامرأة أخرى، أو القلق من تأخر ابنتها فى الزواج، أو الفرح باقتراب حفل زفاف أخيها، أو الحقد على جارتها التى يحترمها الناس. وقد تمر عليها امرأة جميلة، فتحدق فيها، وتتبعها بنظرات فاحصة، وتظل تتحسر على جمالها الذي ولى. وقد تسمع المرأة كلمة عادية من إحدى قريباتها، فتستشيط غضبا لاعتقادها أنها تقصد إهانتها، وتظل تتحدث طوال اليوم مع صديقاتها عما قيل، بينما يسمع الرجل كلمة مشابهة، فلا يلقى لها بالا.

ملحوظة: ربما كان اهتمام المرأة الكبير بأحوالها الشخصية –النابع من قوة عاطفتها– أحد أسباب عزوفها عن السياسة والشئون العامة.

<u>ثالثا:</u>

المرأة بطبعها أكثر خجلا من الرجل(نسبيا). والمرأة فى المجتمع المسلم المحافظ تصبح أكثر خجلا في حضرة الرجال لأن الاختلاط لا يسمح به إلا في أضيق الحدود. ويزيد الخجل إن زاد عدد الرجال الذين تقف أمامهم المرأة. ويتضاعف الخجل أكثر وأكثر إن كان هؤلاء الرجال من الغرباء. **وإن سيطر الخجل على عقل الإنسان أثر على قوة ذهنه،** فجعله أقل قدرة على الفهم والتفكير والحفظ، وهذا يجعل المرأة أكثر عرضة لنسيان التفاصيل التي سمعتها وقت كتابة عقد الدَّيْن.

ولا تكمن المشكلة فقط في الخجل، **فأي انفعال عاطفي قد يؤدي إلى إصابة الذهن بالشلل،** ولهذا إن ألمت بالإنسان مصيبة نصحه أقاربه بأن يهدأ حتى يستطيع أن يفكر في مخرج من الأزمة. **وبالمثل إن حضرت المرأة مجلسا يسوده التوتر،** وتتعالى فيه الأصوات، وتتبادل فيه الاتهامات بين الدائن والمدين ستصبح أكثر عرضة للنسيان.

وقد انتبهتُ إلى العلاقة بين الحالة النفسية والنسيان بسبب شكوي متكررة لدى الطالبات، حيث تشعر الواحدة منهن في بداية الامتحانات التحريرية بأن كل المعلومات قد مُحيت من رأسها من فرط القلق. وفي المقابل لم أعرف رجلا حدث له شيء مماثل مهما كانت صعوبة الامتحان. وفي الامتحانات الشفهية كنا نلاحظ أن توتر الطالبات أكبر من توتر الطلبة، بما يؤثر على قدرتهن على تذكر المعلومات، فكنا نطلب منهن أحيانا أن يجلسن جانبا لبعض الوقت، ويحاولن تذكر الإجابة. وفي بداية عملي كطبيب كنت إذا دخلت إلى مكتب رئيس القسم شعرت بالخجل والخوف لأن الرجل كان ذا هيبة كبيرة ومركز علمي مرموق، ولهذا كنت أنسى بعض تعليماته، لأن تركيزى وقت اللقاء يكون منصبا على محاولة الاحتفاظ بالاتزان والتماسك ومقاومة تيار الخجل الذى يعصف بي. فما بالك بالمرأة التي يفترض أن تكون أكثر خجلا إذا حضرت مجلس الرجال؟

ورغم قوة هذه الحجة إلا أن الكثيرين سيستخفون بها، لأن الكلام عن خجل المرأة بات من قبيل اللغو في عصر الثورة الجنسية التي انتقلت عدواها إلى ديار المسلمين. لقد أصبح الاختلاط أمرا واقعا، ففقدت المرأة الحياء. والشريعة الإسلامية لم تأت لمثل هذا المجتمع المنفلت. الشريعة

جاءت لمجتمع محافظ، يفصل بقدر الإمكان بين الجنسين. فأصلحوا مجتمعاتكم أولا، وحينئذ لن تجدوا غرابة في كون شهادة المرأة نصف شهادة الرجل.

رابعا:

إن أحس الإنسان بأهمية شيء حرص على تذكره، وبذل الجهد حتى لا ينساه، كأن يسجله في ورقة، أو يطلب من عدة أصدقاء أن يتذكروه معه، أو يربطه بشيء مميز في ذهنه. والذهن يميل تلقائيا إلى الاحتفاظ بالمعلومات التي يحس بأنها على جانب كبير من الأهمية، فالجاسوس إن تلقى معلومات سرية من مسئول عسكري مهم حُفرت الكلمات في مخه حرفا حرفا، وتذكر حتى طريقة نطق المسئول لكل كلمة وكل حرف. والارتباط بين الذاكرة والاهتمام بالأشياء هو الذي يجعل المرأة تلوم زوجها لأنه لم يتذكر يوم زواجهما، ويجعل الرجل يلوم زوجته لأنها نسيت أن تضع الملح على الطعام، فكل منهما يعتقد أن صاحبه لو كان مهتما به لما نسي شيئا يخصه. حقا ربما ينسى الإنسان شيئا يدرك أهميته، لكن على الأقل في بعض الحالات يكون النسيان سببه الأول هو الإهمال.

وبالنسبة للشهادة سنجد أن هناك احتمالا لأن **تهمل المرأة أمر الدَّيْن الذي شهدت عليه لأنها لن تضار إن نسيته**، فهي لا تقابل الدائن ولا المدين كل يوم في الطريق مثل الرجال، ولن تتعرض للوم إن أخطأت أو نسيت، لأن الناس لا تلوم المرأة، بل تلوم أباها أو زوجها، بل إنه لا يجوز لرجل غريب من الأصل أن يكلمها في عتاب أو غيره، لأن المجتمع المسلم لا يعرف الاختلاط إلا في أضيق الحدود. كما أن المرأة تعرف أنها إن نسيت أمر الدَّين فسيلتمس الناس لها الأعذار لأنها شهدت على شيء ليس داخلا في نطاق خبرتها، ولم تتعمد التظاهر بالنسيان لتحقيق مصلحة أحد الطرفين. المرأة قد لا تقدر عواقب الخطأ في الشهادة، ولذا قد تهمل أمرها، ووجب أن تعتبر شهادتها نصف شهادة الرجل، فالرجل يقدر العواقب، ويشعر بالمسئولية، ويخاف على صورته أمام المجتمع، وعلى علاقاته بالناس إن أخطأ في الشهادة، لأنه قد يُرمى بشهادة الزور، ويُتهم بالتواطؤ مع أحد الطرفين، فيفقد الناس الثقة به، و"الرجل كلمة" كما يقال.

إذن عواقب النسيان وخيمة على الرجل، وهذا يجعله أكثر حرصا على تذكر الدين الذي شهد عليه، خلافا للمرأة التى يحتمل ألا تبالي بأمر لن يضيرها كثيرا.

نجمل ما سبق، فنقول أن سر جعل شهادة المرأة نصف شهادة الرجل أن:

1. المرأة فى المجتمع المسلم لا شأن لها فى العادة بأمور البيع والتجارة والمعاملات المالية، وذهنها فى نفس الوقت مشحون بتفاصيل لا تنتهى عن الأولاد والبيت، وهذا يجعل من الصعب عليها أحيانا أن تتذكر تفاصيل الدين الذي شهدت عليه.
2. كل إنسان يهتم بأموره الشخصية أكثر من اهتمامه بشئون الآخرين، لكن عاطفة المرأة الجياشة تجعل اهتمامها بأمورها الشخصية طاغيا، فيقل تركيزها في الشئون الأخرى كتفاصيل الدَّين الذي شهدت عليه.
3. خجل المرأة أو اضطرابها أمام القاضي قد يعطل قدرتها على التركيز وتذكر تفاصيل اللقاء الذي كُتب فيه الدين.
4. المجتمع المسلم يعفي المرأة من كثير من المسئوليات، ولهذا قد تشعر المرأة أنها إن نسيت أمر الدين، فلن تتعرض للوم كبير، إذ لا يمكن لأحد أن يحاسبها غير أهلها الذين لا يمكن أن يقسوا عليها.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

شهادة البواب وشهادة أستاذة الجامعة

سيقول بعضهم أن العصر قد تغير، والمرأة تحررت، وحصلت على الدكتوراة، وغزت سوق العمل، وأصبحت تملك الخبرة، فبأي وجه تبقى شهادتها نصف شهادة الرجل؟ **وتساءل بعضهم في صلف: كيف يجعل الإسلام شهادة أستاذة الجامعة نصف شهادة البواب الذي يحرس لها العمارة؟**

ونحن لا ننكر هذا. ومع ذلك نؤكد أن خروج المرأة من البيت للشارع خروج غير شرعي. لقد تخلت المرأة عن مهمتها الأساسية فى رعاية الأسرة، وشرعت تقلد الرجل فى جلب المال، وليس بالمال وحده تحيا الأسرة، بل بالحنان والعطف والرعاية والتربية. لقد أدى عمل المرأة إلى مفاسد جمة، وفجر صراعات رهيبة بين الأزاوج، وخرب كثيرا من البيوت. **نحن الآن نعيش فى بيئة فاسدة، فهل نغير شريعة الله كى تلائم الفساد أم نحارب الفساد، فينتهى التعارض الوهمى بين**

الواقع وشريعة الله؟ إن المرأة لو عادت إلى بيتها كما تقتضى فطرة الله تعالى وسنته لقلت خبرتها بالشئون المالية، ولاختفى التساؤل حول سبب اعتبار شهادتها نصف شهادة الرجل.

وفقد المرأة لخبرتها في الأمور المالية والعملية الأخرى ليس خسارة، وإلا لطالبنا علماء الذرة بأن يتركوا أبحاثهم ومختبراتهم، وينزلوا إلى البورصات والأسواق والبنوك كي يمحوا أميتهم المالية والتجارية. إن من المحال على كل إنسان أن يتقن كل شيء، ولا مفر من التخصص. وكل إنسان قادر على أن يخدم أمته في مجال تخصصه. وتخصص المرأة يجب أن يكون في البيت، وعلى الرجل العمل خارجه. والخسارة الأكبر أن تفقد المرأة شخصيتها بالعمل، وتتحول إلى مخلوق يشبه الرجل، فتلهث وراء المال خارج البيت طوال اليوم، وتعود فى المساء متعبة، ولا جهد لديها لترعى بيتها وتربي أولادها.

وهناك نقطة أخرى، وهى أن تعلم المرأة وخروجها للعمل لم يغير من طبيعتها العاطفية، التى رأينا منذ قليل أنها أحد الأسباب المهمة التى تجعلها معرضة للنسيان فى الشهادة.

أعلم أن هناك امرأة مثقفة لن يرضيها كل الكلام السابق رغم حجته البالغة. ولمثل هذه نقول: حسنا. **لا تفرض علينا شريعة الإسلام أن نعتقد أنكِ شخصيا ستنسين إن شهدت على أحد الديون.** الآية لم تقل قط بأن كلا من الشاهدتين ستخطيء حتما، **وهذا يعنى ضمنا أن القرآن يُقر بأن المرأة قد تحفظ شهادتها، وتؤديها على أكمل وجه، فماذا يغضبك أيتها المثقفة صاحبة الدكتوراة؟ اعتبري نفسك الشاهدة صاحبة الذاكرة القوية.** القرآن لم يوجه لك إهانة شخصية، هذا بفرض أن النسيان إهانة. نعم **النسيان ليس سبة، يعاير بها المرء.** كل واحد معرض للنسيان. **وأقوى البشر ذاكرة لا يساوي شيئا إذا ما قورن بالحاسوب (الكمبيوتر) في قدرته على تخزين ملايين الكتب والمعلومات.** فهل يخجل أحد منا لأن قطعة حديد أقوى منه ذاكرة؟ **ثم إن الرسول عليه الصلاة والسلام –وهو أفضل البشر قاطبة– كان ينسى أحيانا**، فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَى «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى الْفَجْرَ فَتَرَكَ آيَةً، فَلَمَّا صَلَّى قَالَ: " أَفِي الْقَوْمِ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ؟ " قَالَ أُبَيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نُسِخَتْ آيَةُ كَذَا وَكَذَا أَوْ أُنْسِيتَهَا قَالَ: نَسِيتُهَا». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ[620].

---

620) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (2/ 69).

وعليك أن تعلمي أيتها المثقفة أن **القوانين في العالم كله عادة ما تُسن بناء على الغالب والعام، ومن المستحيل أن تأخذ فى الاعتبار كل الاستثناءات**، فمثلا سن التجنيد 18 عاما، لأن الشاب فى هذا السن يكون قادرا على حمل السلاح، لكن هذا لا يمنع من وجود شاب عمره 13 عاما فى غاية القوة، وفى المقابل قد يوجد شاب عمره 18 عاما وبنيانه فى غاية الضعف. القانون لا يأخذ فى الاعتبار هذه الحالات الاستثنائية. ولو أصر الناس على أن تأخذ القوانين كل الاستثناءات فى الاعتبار لما كان هناك أي قانون على الإطلاق. الاستثناءات تؤخذ فقط في الاعتبار إن كان سيترتب عليها عواقب خطيرة، فمثلا من المعروف طبيا أن علامات البلوغ تظهر على الغالبية العظمى من الفتيات قبل سن 13 عاما، لكن الإسلام لم يضع قانون يحرم الزواج قبل هذا السن لأن من الممكن أن تبلغ الفتاة بشكل طبيعي في سن 11 سنة أو حتى 8 سنوات. ولو منع الإسلام الفتيات من الزواج قي هذه السن فقد يترتب على ذلك حدوث الزنا، وهو من الكبائر. وبهذا يمكننا أن نفهم سبب جعل شهادة المرأة نصف شهادة الرجل رغم أن المرأة تكون فى بعض الأحيان أقوى ذاكرة من الرجل.

إن تفضيل الرجل على المرأة فى الشهادة على الديون لا يتعلق بالذكاء، ولا بالقوة العامة للذاكرة، بل يتعلق بالدور الاجتماعى للمرأة الذى يرتبط أساسا بالبيت، ويتعلق بالطبيعة العاطفية للمرأة، كما أن قوانين الشريعة الإسلامية (وأغلب شرائع الدنيا) تأخذ فى الاعتبار ما هو شائع وغالب، ولا تنفى وجود استثناءات. فلتطمئن المسلمة المعاصرة، ولتعد إلى رشدها، وتسترد ثقتها فى دينها، ولتكن عونا له، بدلا من أن تضع يدها في أيدي الملاحدة بدافع تعصب أعمى لجنسها.

ونختم هذا الجزء بكلمات لسيد قطب، قرأتها لأول مرة منذ خمسة وعشرين عاما، وظللت مترددا في قبولها، إلى أن أدى بي البحث إلى الاقتناع بصدقها: «ولكن ظروفا معينة قد لا تجعل وجود شاهدين أمرا ميسورا. فهنا ييسر التشريع فيستدعي النساء للشهادة، وهو إنما دعا **الرجال لأنهم هم الذين يزاولون الأعمال عادة في المجتمع المسلم السوي، الذي لا تحتاج المرأة فيه أن تعمل لتعيش، فتجور بذلك على أمومتها وأنوثتها وواجبها في رعاية أثمن الأرصدة الإنسانية وهي الطفولة الناشئة الممثلة لجيل المستقبل، في مقابل لقيمات أو دريهمات تنالها من العمل، كما تضطر إلى ذلك المرأة في المجتمع النكد المنحرف الذي نعيش فيه اليوم!** فأما حين لا

يوجد رجلان فليكن رجل واحد وامرأتان. ولكن لماذا امرأتان؟ إن النص لا يدعنا نحدس! ففي مجال التشريع يكون كل نص محددا واضحا معللا: «أَنْ تَضِلَّ إِحْداهُما فَتُذَكِّرَ إِحْداهُمَا الْأُخْرى ». والضلال هنا ينشأ من أسباب كثيرة. فقد ينشأ **من قلة خبرة المرأة بموضوع التعاقد، مما يجعلها لا تستوعب كل دقائقه وملابساته، ومن ثم لا يكون من الوضوح في عقلها بحيث تؤدي عنه شهادة دقيقة** عند الاقتضاء، فتذكرها الأخرى بالتعاون معا على تذكر ملابسات الموضوع كله. **وقد ينشأ من طبيعة المرأة الانفعالية.** فإن وظيفة الأمومة العضوية البيولوجية تستدعي مقابلا نفسيا في المرأة حتما. تستدعي أن تكون المرأة شديدة الاستجابة الوجدانية الانفعالية لتلبية مطالب طفلها بسرعة وحيوية لا ترجع فيهما إلى التفكير البطيء. وذلك من فضل الله على المرأة وعلى الطفولة. وهذه الطبيعة لا تتجزأ ، فالمرأة شخصية موحدة هذا طابعها – حين تكون امرأة سوية – بينما الشهادة على التعاقد في مثل هذه المعاملات في حاجة إلى تجرد كبير من الانفعال، ووقوف عند الوقائع بلا تأثر ولا إيحاء. ووجود امرأتين فيه ضمانة أن تذكر إحداهما الأخرى – إذا انحرفت مع أي انفعال – فتتذكر وتفيء إلى الوقائع المجردة.»[621]

الحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

الشهادة في الديون ليست قاعدة عامة

هل جعلت الشريعة الإسلامية شهادة المرأة نصف شهادة الرجل فى كل المسائل القانونية؟

إن الآية التى جعلت شهادة المرأة نصف شهادة الرجل ليست آية عامة، بل نزلت فى كتابة الدَّين بشكل خاص، فكيف ننقل حكمها إلى الزنا والقتل والرضاع والزواج والطلاق وبقية القضايا؟ الزنا مثلا يحتاج إثباته إلى أربعة شهود طبقا لنص القرآن، وهذا ينفي تماما إمكان تعميم آية الدَّيْن على كل الأمور القانونية.

إن الله تعالى لم يحدد لنا عدد الشهود ولا جنسهم (ذكر أو أنثى) فى كل القضايا، فليس لدينا إلا آية تشترط أربعة شهود فى الزنا (النساء: 15)، وآية أخرى تشترط وجود رجلين شاهدين – أو رجل وامرأتين– في كتابة الدين (البقرة: 282)، وآية ثالثة تشترط شاهدين في الطلاق والرجعة

621) فى ظلال القرآن (1/ 336-335). تأليف الأستاذ سيد قطب. دار الشروق. بيروت- القاهرة. الطبعة السابعة عشر- 1412 هـ

(الطلاق: 2)، وآية رابعة تشترط وجود شاهدين إن اراد الإنسان أن يوصي بماله إن حضرته الوفاة وهو مسافر (المائدة 106). والأحاديث النبوية تكاد تصمت تماما فيما عدا ذلك. وغياب النصوص معناه أن الباب قد ترك مفتوحا لاجتهاد الفقهاء، ومن يقل بثقة أن شهادة المرأة فى الإسلام دائما نصف شهدة الرجل فهو كذاب.

وإذا حاولنا تطبيق مبدأ القياس كان علينا أن نتساءل أولا: هل كتابة الديْن تشبه في حاجتها إلى الإثبات الأمور القانونية الأخرى كالزنا والقتل وغيرها؟ لا. لقد رفض ابن قدامه قياس الزنا على الدَّين لما بينهما من اختلاف واضح، فالمعاملات المالية أخف، كما أنها تحدث بشكل يومي خلافا للزنا. وفضلا عن ذلك، فالناس تأخذ حذرها، وتحتاط فى المعاملات المالية، ولو حتى بدون الشهود. يقول ابن قدامه: «وَلَا يَصِحُّ قِيَاسُ هَذَا عَلَى الْأَمْوَالِ؛ لِخِفَّةِ حُكْمِهَا، وَشِدَّةِ الْحَاجَةِ إلَى إثْبَاتِهَا، لِكَثْرَةِ وُقُوعِهَا، وَالِاحْتِيَاطِ فِي حِفْظِهَا، وَلِهَذَا زِيدَ فِي عَدَدِ شُهُودِ الزِّنَى عَلَى شُهُودِ الْمَالِ»[622].

وعلى ذلك فليس من الشريعة اعتبار شهادة المرأة نصف شهادة الرجل فى كل الجرائم؟ ويؤيد كلامنا أن **النبى عليه الصلاة والسلام قبل شهادة امرأة واحدة في الرضاع**[623]، فقد روى أنه أمر رجلا أن يفارق زوجته لما جاءت امرأة تخبره بعد الزواج أنها أرضعت الزوجين، أي أنهما أخوان من الرضاعة: روى عُقْبَةُ بْنُ الحَارِثِ أَنَّهُ تَزَوَّجَ أُمَّ يَحْيَى بِنْتَ أَبِي إِهَابٍ، «فَجَاءَتْ أَمَةٌ سَوْدَاءُ، فَقَالَتْ: قَدْ أَرْضَعْتُكُمَا، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَعْرَضَ عَنِّي، قَالَ: فَتَنَحَّيْتُ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، قَالَ: «وَكَيْفَ وَقَدْ زَعَمَتْ أَنْ قَدْ أَرْضَعَتْكُمَا» فَنَهَاهُ عَنْهَا»[624]

---

622) **"المغني"** لابن قدامة (10/ 130). ورأى ابن قدامه فى عدد الشهود فى جريمة الزنا هو أنهم أربعة من الرجال بوجه خاص، ورفض استبدال أحد الأربعة بامرأتين: [وَحُكِيَ عَنْ عَطَاءٍ، وَحَمَّادٍ، أَنَّهُمَا قَالَا: تَجُوزُ شَهَادَةُ ثَلَاثَةِ رِجَالٍ وَامْرَأَتَيْنِ؛ لِأَنَّهُ نَقَصَ وَاحِدٌ مِنْ عَدَدِ الرِّجَالِ، فَقَامَ مَقَامَهُ امْرَأَتَانِ، كَالْأَمْوَالِ. وَلَنَا، ظَاهِرُ الْآيَةِ، وَأَنَّ الْعَبْدَ مُخْتَلَفٌ فِي شَهَادَتِهِ فِي الْمَالِ، فَكَانَ ذَلِكَ شُبْهَةً فِي الْحَدِّ؛ لِأَنَّهُ بِالشُّبُهَاتِ يَنْدَرِئُ، وَلَا يَصِحُّ قِيَاسُ هَذَا عَلَى الْأَمْوَالِ؛ لِخِفَّةِ حُكْمِهَا، وَشِدَّةِ الْحَاجَةِ إلَى إثْبَاتِهَا، لِكَثْرَةِ وُقُوعِهَا، وَالِاحْتِيَاطِ فِي حِفْظِهَا، وَلِهَذَا زِيدَ فِي عَدَدِ شُهُودِ الزِّنَى عَلَى شُهُودِ الْمَالِ].

623) اختلف الفقهاء في عدد الشهود الواجب توافرهم في حالة الرضاعة، فذهب ابن عباس وأحمد إلى أن شهادة المرضعة وحدها تقبل لما أخرجه البخاري أن عقبة بن الحارث تزوج أم يحيى بنت أبي إهاب فجاءت امرأة فقالت: قد أرضعتكما. فسأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: كيف؟ وقد قيل؟ ففارقها عقبة فنكحت زوجا غيره. وقالت الاحناف: الرضاع كغيره لابد من شهادة رجلين أو رجل وامرأتين ولا تكفي شهادة المرضعة لانها تقرر فعلها. وقال مالك: لابد من شهادة امرأتين. وقال الشافعي: تقبل شهادة المرضعة مع ثلاث نسوة بشرط أن لا تعرض بطلب أجرة. وأجابوا عن حديث عقبة بأنه محمول على الاستحباب والتحرز عن مظان الاشتباه. انظر: **"فقه السنة"** (3/ 446-445)

624) وفى رواية أخرى للبخارى: عَنْ عُقْبَةَ بْنِ الحَارِثِ، - قَالَ: وَقَدْ سَمِعْتُهُ مِنْ عُقْبَةَ لَكِنِّي لِحَدِيثِ عُبَيْدٍ أَحْفَظُ - قَالَ: تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً، فَجَاءَتْنَا امْرَأَةٌ سَوْدَاءُ، فَقَالَتْ: أَرْضَعْتُكُمَا، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: تَزَوَّجْتُ فُلاَنَةَ بِنْتَ فُلاَنٍ، فَجَاءَتْنَا امْرَأَةٌ سَوْدَاءُ، فَقَالَتْ لِي: إِنِّي قَدْ أَرْضَعْتُكُمَا، وَهِيَ كَاذِبَةٌ، فَأَعْرَضَ عَنِّي، فَأَتَيْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ، قُلْتُ: إِنَّهَا كَاذِبَةٌ، قَالَ: «كَيْفَ بِهَا وَقَدْ زَعَمَتْ أَنَّهَا قَدْ أَرْضَعَتْكُمَا، دَعْهَا عَنْكَ» وَأَشَارَ إِسْمَاعِيلُ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى، يَحْكِي أَيُّوبَ

الشهادة ليست غنيمة

حين جعل الإسلام شهادة الرجل مساوية لشهادة امرأتين، فهذا يمثل **إبعادا غير مباشر للمرأة** عن الشهادة لأن إقناع شخصين (رجلين) أسهل من إقناع ثلاثة أشخاص (رجل وامرأتين) بأن يشهدوا على الدين. وهذا الأمر **في صالح المرأة**، فليست الشهادة غنيمة حتى تبكى المرأة على حرمانها منها. لا أحد من الناس يحب أن يكون طرفا فى نزاعات قضائية، أو يشاع عنه أنه شهد زورا مجاملة لفلان، أو نظير رشوة من فلان. والأخطر أن يتعرض الشاهد للتهديد من أحد المتخاصمين حتى لا يشهد ضده. إن من يشهد على أى اتفاق فهو يلقي بنفسه مقدما فى مستنقع للمشاكل.

ولاحظوا أن القرآن قال فى سياق إجراءات كتابة الدين: {وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ} [البقرة: 282]. وهذه الآية تفيد أن من واجب المسلمين أن يتخذوا الإجراءات الكفيلة لمنع وقوع الضرر على الشهود. وهذا دليل على أنه وقت نزول القرآن كان الشهود يتعرضون لمضايقات ومشاكل تشبه تلك التى يعانى منها الشهود هذه الأيام. **فلماذا تنوح المرأة على تفضيل الشريعة للرجل عليها في الشهادة؟ هذه نعمة توجب الشكر.**

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

ناقصات عقل ودين

الدرس الأول الذى يعلمونه للشاب، وهم يأخذون بيديه إلى طريق الإلحاد هو أن المرأة في الإسلام ناقصة عقل ودين. وطبعا في عصر السرعة والفيسبوك لا وقت لدى أحد كي يفكر، ويقرأ، ويبحث عن الردود، ويسأل العلماء. والأسهل أن يبتلع الشبهة ليدخل إلى عالم الإلحاد بضمير مستريح، فينعم بالحرية والخمر والنساء والتمويل الأجنبي. وسنقدم الآن ردودا جديدة تزيل الشبهة تماما بعون الله.

نص الحديث

روى البخارى عن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: **خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى المُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ»، قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ شَهَادَةُ المَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا»**

ورواه مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: **«يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الِاسْتِغْفَارَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ جَزْلَةٌ: وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللهِ أَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ؟ قَالَ: " أَمَّا نُقْصَانُ الْعَقْلِ: فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ تَعْدِلُ شَهَادَةَ رَجُلٍ فَهَذَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ، وَتَمْكُثُ اللَّيَالِيَ مَا تُصَلِّي، وَتُفْطِرُ فِي رَمَضَانَ فَهَذَا نُقْصَانُ الدِّينِ "**

(فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ): في عيد الأضحى أو عيد الفطر. (أُرِيتُكُنَّ) يعنى أن الرسول عليه السلام أراه الله تعالى أن النساء أكثر أهل النار. ربما يكون الرسول رأى ذلك في المنام، أو أراه إياه جبريل، أو رآه في رحلة المعراج. (جَزْلَةٌ): ذَاتُ عَقْلٍ وَرَأْيٍ. (اللب): العقل. (الرجل الحازم): الرجل العاقل الضابط لأمره. (تَكْفُرْنَ العَشِيرَ): تنكرن فضل الزوج وتجحدن

إحسانه (تَمكث اللَّيَالِيَ مَا تُصَلِّي): تَمْكُثُ لَيَالِيَ وَأَيَّامًا لَا تُصَلِّي بِسَبَبِ الْحَيْضِ. (تُفْطِرُ أَيَّامًا مِنْ رَمَضَانَ): تفطر بسبب الحيض. (تكثرن اللعن): اللعن هو الطرد والإبعاد عن الخير، والمراد كثرة السب والشتم والدعاء على الناس[625].

ورواه أبو داود بإسناد صحيح[626] عن عبدِ الله بن عُمرَ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: "**ما رأيتُ من ناقصات عَقلٍ ولا دين أغلبَ لذي لُبٍّ منكنَّ"، قالت: وما نقصانُ العقل والدين؟ قال: "أما نقصانُ العقلِ فشهادةُ امرأتين شهادةُ رجُلٍ، وأما نقصانُ الذين، فإن إحداكُنَّ تُفْطِرُ رمضانَ، وتقيمُ أيَّاماً لا تصلّي**".

ورواه أحمد بسند صحيح[627] عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " **يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ، لِكَثْرَةِ اللَّعْنِ وَكُفْرِ الْعَشِيرِ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ، أَغْلَبَ لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ ". قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ؟ قَالَ: " أَمَّا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ: فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ تَعْدِلُ شَهَادَةَ رَجُلٍ فَهَذَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ، وَتَمْكُثُ اللَّيَالِيَ لَا تُصَلِّي وَتُفْطِرُ فِي رَمَضَانَ فَهَذَا نُقْصَانُ الدِّينِ** "

ورواه ابن ماجه بسند صحيح[628] عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنَّهُ قَالَ: "**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ مِنْ الِاسْتِغْفَارِ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ"، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ جَزْلَةٌ: وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: "تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ" قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ؟ قَالَ: "أَمَّا نُقْصَانِ الْعَقْلِ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ تَعْدِلُ شَهَادَةَ رَجُلٍ، فَهَذَا مِنْ نُقْصَانِ الْعَقْلِ. وَتَمْكُثُ اللَّيَالِيَ مَا تُصَلِّي، وَتُفْطِرُ فِي رَمَضَانَ، فَهَذَا نُقْصَانِ الدِّينِ**".

وأخرجه الحاكم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ فَإِنَّكُنَّ أَكْثَرُ أَهْلِ جَهَنَّمَ» فَقَالَتِ امْرَأَةٌ لَيْسَتْ مِنْ عِلْيَةِ النِّسَاءِ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَحْنُ أَكْثَرُ أَهْلِ جَهَنَّمَ؟ قَالَ: «لِأَنَّكُنَّ تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ مِنْكُنَّ**» وقال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، ووافقه الذهبي.

---

625) شرح النووي على مسلم (2/ 66)
626) سنن أبي داود (7/ 68).
627) مسند أحمد (9/ 245).
628) سنن ابن ماجه (5/ 138).

ورواه ابن حبان بسند صحيح عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: **خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَضْحًى، أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى، فَصَلَّى ثُمَّ انْصَرَفَ، فَقَامَ، فَوَعَظَ النَّاسَ وَأَمَرَهُمْ بِالصَّدَقَةِ، قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، تَصَدَّقُوا»، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ، فَإِنِّي أَرَاكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ»، فَقُلْنَ: وَلِمَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنَ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ، يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ»، فَقُلْنَ لَهُ: مَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ»؟ قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَاكَ نُقْصَانُ عَقْلِهَا، أَوَ لَيْسَتْ إِذَا حَاضَتِ الْمَرْأَةُ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ»؟ قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَاكَ نُقْصَانُ دِينِهَا» ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا صَارَ إِلَى مَنْزِلِهِ جَاءَتْ زَيْنَبُ امْرَأَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ تَسْتَأْذِنُ عَلَيْهِ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ زَيْنَبُ تَسْتَأْذِنُ عَلَيْكَ، فَقَالَ: «أَيُّ الزَّيَانِبِ»؟ قِيلَ: امْرَأَةُ َبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: «نَعَمْ، ائْذَنُوا لَهَا»، فَأُذِنَ لَهَا، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّكَ أَمَرْتَنَا الْيَوْمَ بِالصَّدَقَةِ، وَكَانَ عِنْدِي حُلِيٌّ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَصَدَّقَ، فَزَعَمَ ابْنُ مَسْعُودٍ أَنَّهُ وَوَلَدَهُ أَحَقُّ مَنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَدَقَ. زَوْجُكِ وَوَلَدُكِ أَحَقُّ مَنْ تَصَدَّقْتِ بِهِ عَلَيْهِمْ»** وهو صحيح على شرط البخاري[629].

ورواه أيضا البيهقى عن أبى سعيد الخدرى وعبد الله بن عمر، كما رواه الطحاوى عن أبى هريرة وعبد الله بن عمر

هل الحديث صحيح؟

حديث **(**ناقصات عقل ودين**)** ليس حديثا عاديا، **فقد أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما** بأسانيد صحيحة. **وهذه الأسانيد وردت من طرق مختلفة، وليس من طريق واحد،** فقد نقلت عن عدد من الصحابة هم أبو سعيد الخدرى، وعبد الله بن عمر، وأبو هريرة، وعبد الله بن مسعود. **ولو جاز لأحد الرواة أن يكذب على الرسول، فماذا عن بقية الرواة الذى ذكروا نفس الحديث؟** هب أن البيهقي كذب، فهل كذب البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم وابن حبان؟

629) **"الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان"** (13/ 55)

ولو كذب أبو هريرة، فهل كذب عبد الله بن عمر وأبو سعيد الخدري وعبد الله بن مسعود أيضا؟ هذا دليل على أن الحديث صحيح فعلا.

لقد روى هذا الحديث **البخارى عن أبى سعيد الخدري**.

ورواه مسلم أيضا عن أبى سعيد الخدري بإسند مشابه لإسناد البخاري. ورواه **بسند آخر عن عبد الله بن عمر. ورواه عن أبي هريرة** بسند ثالث، لكنه أقل صحة[630].

ورواه الحاكم بسند صحيح على شرط الشيخين من طريق عبد الله بن مسعود.[631]

ورواه ابن حبان بسند صحيح على شرط البخاري من طريق أبي سعيد الخدري.[632]

ورواه كل من أحمد[633]وابن ماجه[634]وأبو داود[635] عن عبد الله بن عمر بأسانيد صحيحة.

خلاصة القول: الحديث سنده في غاية الصحة.

نقصان العقل: نظرة أعمق

لنسأل أولا: ما معنى قوله: (**مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ**)؟

معناه أن المفترض أن الإنسان الحازم صاحب العقل والدين لا يحمله على تغيير مواقفه إلا إنسان له عقل ودين مثله، لكن المرأة تفتقر إلى هذه الأشياء، ومع ذلك تستطيع أن تقلب حال الرجل بجمالها وعاطفتها. فبالرغم من أن النساء ناقصات عقل ودين إلا أن الرجل الحازم الجاد الوقور الحكيم يذهب لُبُّه (عقله)، ويفقد صوابه، ويتخلى عن وقاره وينسى دينه إن رأى جمال المرأة، أو سمع ضحكتها، أو شاهد دموعها. والمرأة لها قدرة غريبة على شحن العواطف، فإن فرحتْ جعلت الرجل يفرح، وإن غضبتْ جعلت الرجل يغضب، وإن حزنتْ جعلت الرجل يحزن. ولهذا كانت الجيوش قديما تصطحب النساء لشحذ الهمم، وإثارة الحماسة أثناء المعارك. وقديما

---

630) في إسناده عمرو بن أبي عمرو، وقد تكلم فيه علماء الحديث. وقال الذهبي: حديثه صالح حسن منحط عن الدرجة العليا من الصحيح. ونقل أقوال العماء عنه، فذكر قول أبي حاتم: لا بأس به. وقال أبو داود: ليس بذاك. وفي لفظ: ليس بالقوى. وقال أحمد وغيره: ما به بأس. وروى عباس عن يحيى: لا يحتج بحديثه. وقال في موضع آخر من كتاب عباس: كان يستضعف. وكان مالك يروي عنه. وروى عثمان بن سعيد عن يحيى: ليس بالقوي. وقال الجوزجاني: مضطرب الحديث. وقال النسائي: ليس بالقوى. وروى عن ابن معين، قال: عمرو بن أبي عمرو ثقة ينكر عليه حديث عكرمة عن ابن عباس - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: اقتلوا الفاعل والمفعول به. وقال عبد الحق: عمرو لا يحتج به. قال ابن القطان: الرجل مستضعف، وأحاديثه تدل على حاله. قال الذهبي: ما هو بمستضعف ولا بضعيف، نعم ولا هو في الثقة كالزهري وذويه. انظر: **"ميزان الاعتدال "** (3/ 281) للذهبي.

631) المستدرك على الصحيحين للحاكم (4/ 645).

632) روى ابن حبان الحديث عن أبي سعيد الخدري (برقم 5744)، وهذا إسناد صحيح، ورواه أيضا عن عبد الله بن مسعود (رقم 3323) بإسناد ضعيف. انظر: **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان** (13/ 54) و (8/ 115).

633) إسناده صحيح على شرط الشيخين. انظر: **مسند أحمد** (9/ 246)

634) سنن ابن ماجه (5/ 138)

635) سنن أبي داود (7/ 68)

فى القرى كنا نرى الدور الهائل للنساء في إثارة المشاجرات. ورغم أن المرأة لا تملك عضلات ولا تقوى على حمل السلاح إلا أن عاطفتها الجياشة مكنتها عبر التاريخ من السيطرة على الرجال. **وقديما قالوا: "لا يفل الحديد إلا الحديد"، وقياسا على ذلك يتوقع أن يغلب المفكر مفكر، ويغلب الشاعر شاعر، ويغلب الحكيم حكيم، ويغلب الرجل رجل، لكن المرأة حطمت هذا المبدأ حين غلبت الرجل الحكيم**، وهذا سر تعجب الرسول عليه الصلاة والسلام من أمرها.

والآن نسأل: **ما معنى نقصان عقل المرأة؟**

يقول الحديث: «أَلَيْسَ شَهَادَةُ المَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا». وهذا يعني أن الرسول عليه السلام يستشهد على مقولة (ناقصات عقل) بالشريعة التي جعلت شهادة المرأة نصف شهادة الرجل، أي أن الله تعالى جعل شهادة المرأة نصف شهادة الرجل بسبب نقصان عقلها.

ولم يخبرنا الرسول عليه الصلاة والسلام فى هذا الحديث عن العلاقة بين شهادة المرأة ونقصان عقلها. لكن القرآن أخبرنا من قبل أن المرأة عرضة للنسيان أكثر من الرجل، فلهذا جعل الله معها شاهدة أخرى تذكرها: {أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى} [البقرة: 282]. ولا شك أن **من ينسى أقل عقلا ممن لا ينسى، فالذاكرة من أهم ملكات العقل.** وهذه الآية بدورها لم تخبرنا عن السبب الذي يجعل المرأة عرضة للنسيان أكثر من الرجل. ونحن نؤكد أن **سبب نسيان المرأة للأمور المالية ليس ضعف ذاكرتها بوجه عام، بل قلة خبرتها بالشئون العامة والصفقات التجارية وأمور الحياة خارج البيت**، فكل تركيزها يكون منصبا على البيت والأولاد، وهذا يجعلها عرضة لنسيان الدَّين الذى شهدت عليه. كما أن طبيعة المرأة العاطفية قد تجعلها تصب كل اهتمامها على أمورها الشخصية، وتنسى ما عداها من أمور لا تعنيها كثيرا. وقد تشعر المرأة باللامبالاة تجاه الدين الذي شهدت عليه، ولا تحرص على تذكره لأن نسيانه لن يسبب لها مشاكل لأن المجتمع يتساهل مع المرأة، ولا يقسو عليها، ولا يمكن لأحد أن يعنف امرأة لا سلطة له عليها، فالعتاب يكون بين الرجال، ولا تلاوم بين رجل وامرأة.

إن نقصان عقل المرأة بهذا المعنى لا يمثل إهانة لها. **والمرأة في رأيي تشبه طبيبا بارعا في جراحة القلب اصطحبه رئيس الدولة في زيارة خارجية مهمة. وفي ذروة المفاوضات تدخل**

الطبيب ليبدي رأيا، فصاح رئيس الدولة منفعلا: (أسكتوا هذا الحمار). لقد بدا الطبيب فعلا في غاية الغباء بالنسبة لكل السياسيين الحاضرين لأنه لا يفهم قواعد التفاوض، ولا ألاعيب الخصم، ولا النقاط محل الخلاف، ولا تقارير المخابرات، وهذا يجعله **مستحقا عن جدارة للقب (حمار) حتى لو كان أكثر جراحي القلب عبقرية في العالم. وبالمثل يمكن اعتبار المرأة ناقصة عقل في الحياة العملية رغم سلامة قواها الذهنية، وخلو مخها من الأمراض**، فذكاء الإنسان يتفاوت من مجال لآخر. والحديث لا يقصد أبدا أن المرأة مصابة بالتخلف العقلي كما يظن الجهلاء.

إذن نقصان عقل المرأة يرجع لسببين رئيسيين هما قلة الخبرة بالحياة العامة وشدة العاطفة. **ولسنا مضطرين لفهم حديث الرسول عليه السلام على أنه يعتبر المرأة ذات قدرات عقلية منخفضة، وأنها أقل ذكاء وأضعف حفظا من الرجل.** ولكنه يعنى قلة الخبرة بالحياة العملية خارج البيت، ونقص الإدراك لقواعد العمل العام ومبادىء التعامل بين الرجال فى مختلف المجالات، كما يعنى أن عاطفة المرأة تطغى على عقلها. ومع الأسف لا تدرك المرأة هذا القصور، فتراها تضغط على الرجل بدموعها وعاطفتها الجياشة كي يلبى لها رغباتها التى لا تحقق المصلحة لأحد، فتجدها تلح عليه كي يخرج معها كل يوم للعشاء في المطاعم الفخمة، مع أن العقل يقول أن دخله قليل، ومثله إن أسرف لن يحصد إلا الندامة. وقد تحث المرأة زوجها على مقاطعة أبويه وإخوته مع أن العقل يقول أنهم هم الذين يمكن أن يساندوه وقت الشدائد، وقد يكونون سببا فى دخوله الجنة. وقد تدفع المرأة زوجها إلى الاعتداء على جاره بسبب خلاف صغير بينها وبين زوجته، مع أن العقل يقول أن السلام مع الجار يعود على الجميع بالخير فى الدنيا والآخرة.

نقصان الدين: نظرة جديدة

أما عن قول الرسول عليه السلام فى الحديث (ناقصات دين) فكل الناس يفهمونه على غير وجهه. لقد قال الرسول: «أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا». **وهنا يقال لنا أن نقصان الدين لا يعيب المرأة لأنه نقص اضطرارى فرضه عليها الحيض الذي يمنعها من الصلاة والصوم، وبالتالى فهو نقص غير حقيقى، بل نقص شكلي تماما.** لكن هنا تواجهنا مشكلة، وهى أن عبارة (مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ) تصبح بلا معنى، إذ ما الداعي لأن يتعجب الرسول من أن تقوم

امرأة بلا نقص حقيقي فى الدين بإغواء الرجل الحازم وإذهاب لبه؟ هذا دليل على أن **إعفاء المرأة من الصلاة والصوم وقت الحيض ليس "سبب" نقصان دينها، بل "نتيجة" لنقص دينها، ومظهر له، ودليل عليه، تماما مثلما كانت شهادة المرأة دليلا على نقصان عقل المرأة، وليست سببا لهذا النقصان.**

والسؤال الآن هو: كيف يبرهن الحيض على أن المرأة ناقصة دين؟

الإجابة هي أن الله تعالى أعفى المرأة من الصلاة والصيام أثناء الحيض لأنه علم أن بها ضعفا عاما فى دينها، وأنه إن تركها تصلى وتصوم أثناء الحيض لما أتمت الصيام ولا الصلاة على الوجه الأكمل، ولصارت أكثر عصبية، ولأساءت معاملة من حولها. ولهذا خفف الله عنها، فلم يعاقبها فى الآخرة على ترك الصلاة أو تأجيل الصيام. ومع ذلك يبقى هذا دليلا على أن المراة ذات دين ناقص.

إن هذا يشبه تخفيف الله تعالى عن الرجال فى شأن الجهاد، ففى البداية فرض عليهم أن يقاتلوا جيش الكفار إن كان عدده عشرة أضعاف عددهم، لكنه خفف عنهم فيما بعد، وأمرهم بالقتال فقط إن كان عدد جيش العدو ضعف عددهم: {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (65) الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ } [الأنفال: 65، 66]. وسبب تخفيف الله عن المسلمين في هذه الآية أنه تعالى علم أن فيهم ضعفا. والضعف هنا ضعف في العزيمة والإيمان لأن الآية الأولى قالت أن المؤمنين إن كانوا صابرين غلبوا جيشا أكبر منهم بعشر مرات. والصبر لا يتأتى إلا بالإيمان. **وعلى ذلك فرغم تخفيف الله تعالى عن المؤمنين في القتال إلا أن نفس هذا التخفيف دليل على ضعف إيمانهم وعزائمهم** (بسبب وجود كثير من المنافقين داخل صفوفهم، وهو ما يضعف المجموع).

وفى آية أخرى أخبرنا الله تعالى أنه أحل للمسلمين الجماع فى ليل رمضان بعد أن أخفقوا في الامتناع عنه طوال الشهر في بداية عهدهم بالصوم: {أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ

بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ} [البقرة: 187]. وهنا نجد أن **جماع الرجال لنسائهم في ليل رمضان مباح، ومع ذلك فهذه الإباحة دليل على ضعف إيمان هؤلاء الرجال.**

وفى آية ثالثة أخبرنا **الله تعالى أنه فرض على المسلمين صدقة إن هم ناجوا الرسول**، أي حدثوه سرا فى شئونهم الخاصة. فلما بخل المسلمون، خفف الله تعالى عنهم، ورفع عنهم الصدقة: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (12) أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المجادلة: 12، 13]. وهنا أيضا نجد أن **الله أباح للمسلمين أن يناجوا الرسول دون تقديم صدقات، ومع ذلك فهذه الإباحة دليل على ضعف إيمانهم.**

وهكذا فقد يمتنع الله تعالى عن عقاب المسلمين على بعض الأفعال، لكنه يقر بأن هذه الأفعال دليل على وجود نقص فى دينهم. ونقول بالمثل أن المرأة مخلوق ناقص الدين، بمعنى أنها لديها ضعفا "نسبيا" **في الإيمان والعزم، ولهذا أعفاها الله تعالى من بعض العبادات فى الحيض (الصلاة والصوم). ومن الخطأ الشديد القول بأن نقص الدين عند المرأة يقتصر فقط على عدم أدائها للصلاة والصيام وقت الحيض، فهذا مجرد قمة جبل جليد يخفى تحته نقصا نسبيا فى الدين.**

قرأت يوما لشاب ماسوني يقول: المرأة ناقصة دين لأنها تحيض فهل نسى الله أنه هو الذى جعلها تحيض؟ قلت له: ارجع إلى نص الحديث الشريف الذى ذكر نقصان دين المرأة تجد أنه يبدأ بأمر النساء بالصدقة (يا معشر النساء تصدقن)، وهذا يعنى أن الإسلام فتح الباب للمرأة كى تعوض عيوبها بكثرة عمل الخير. الإسلام لم يحكم على المرأة بالنقص الأبدى، بل أتاح لها الوصول إلى الكمال. والكرة الآن فى ملعب المرأة. ثانيا من قال لك أن نقصان عقل المرأة سببه أنها تحيض؟ **الحيض** "نتيجة" **لنقص الدين، وليس** "سببا" **لنقص الدين. لقد علم الله تعالى أن همة المرأة ضعيفة، وأنها لن تحسن أداء العبادات أثناء الحيض، فأعفاها من أدائها**، ولم يقض بعقابها، لكن هذا يدل فى نفس الوقت على أن المرأة ذات عزيمة دينية أقل، وذلك **كما**

يأتى المدرس لطلبته بامتحان سهل لأنه يعلم أن مستواهم الدراسي ضعيف. حقا الطلبة لن يرسبوا فى الامتحان، لكن تسهيل الامتحان دليل على ضعف مستواهم. هل فهمت؟

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

هل قصد الرسول إهانة المرأة؟

حين قال الرسول عليه السلام أن المرأة ناقصة عقل ودين، فهو **لم يكن بقصد أن يهينها، بل قصد أن يطلعها على عيوبها**، وهذا من حيث المبدأ أمر طيب لأن من يرى إنسانا على ضلال، ثم يتركه دون أن ينبهه، فهو لا يحبه، وهو شريك له فى الجريمة. **والله تعالى لم يبعث رسله ليجاملوا الناس بعبارات مدح رقيقة، بل ليصلحوا أخطاءهم.** ومن قبيل الخيانة أن يخفي المدرس عن الطالب أنه رسب في امتحن أحد الشهور حتى لا يجرح مشاعره.

وكثير من الناس يأخذون حديث الرسول بشكل سطحي، وببساطة أكثر من اللازم، فيقولون بما أن نقصان العقل معناه أن شهادة المرأة نصف شهادة الرجل، وبما أن نقصان الدين معناه امتناع المرأة عن الصلاة والصيام وقت الحيض، وبما أن هذا نقصان شكلي في العقل، ونقصان شكلي في الدين، فهذا كاف لتبرئة الإسلام من تهمة إهانة المرأة. **ونحن نرفض هذا التفسير بشدة لأنه يفرغ الحديث من مضمونه.** لقد أراد الرسول تحذير النساء من مغبة نقصان العقل والدين الذي يؤدي بهن إلى النار، وأراد تحذير الرجال من الانسياق وراء أهواء النساء، لكن عمليا أهمل المسلمون هذه الفكرة المركزية الخطيرة، وتكلموا فقط عن تكريم الإسلام للمرأة. **الإسلام لم يأت لتكريم المرأة وحدها؛ الإسلام كرم بني آدم عموما، وفي نفس الوقت صارحهم بعيوبهم، وحذرهم من عواقبها. والعاقل لا يرى في النقد إهانة، بل فرصة لإصلاح النفس.** لقد فسدت فطرة العالم الحديث، فصار الرأي العام لا يتقبل أبدا انتقاد فئة من الفئات أو طائفة من الطوائف مهما كانت عيوبها، وكأن المجتمع عبارة عن مجموعة من الملائكة الأطهار، فترى بعض الدول الإسلامية تخون فيها الأقليات الدينية وطنها علانية، فلا يجرؤ أحد على انتقادها حرصا على مشاعرها. نحن في عصر يخلع القداسة مجانا على الجميع!

وإضافة إلى ذلك **لم يكن الرسول عليه الصلاة والسلام يتكلم عن كل النساء، بل عن الغالب منهم**، والغالب أن يكون بالمرأة نقص في العقل والدين، وأن تؤثر بجمالها ودلالها وعاطفتها على الرجل، فتخرجه عن الوقار، وتبعده عن العقل والصواب. لكن هناك فى المقابل نساء فى غاية العقل والتدين. والواحدة من هؤلاء تعين زوجها على الحق، وتزيده حكمة على حكمة، وترده إلى الجادة إن مال يوما إلى الباطل، وليس بخاف عليكم شخصية السيدة خديجة رضي الله تعالى عنها، التي قدمت للإسلام أجل الخدمات. والسيدة أم سلمة أشارت على الرسول عليه الصلاة والسلام بمشورة في صلح الحديبية، أنقذت المسلمين من التفرق.

ويبدو لأول وهلة أن كلام الرسول عليه السلام فى هذا الحديث كلاما عاما يشمل كل النساء، لكن علينا أن نلاحظ أن كثيرا من كلامنا يتخذ شكلا عاما رغم أن له استثناءات، كما نقول مثلا: (شعب البرازيل بارع فى لعب كرة القدم) رغم أن البرازيل فيها فلاسفة وعلماء ذرة ومرضى لا يجيدون لعب الكرة. وسنجد بالمثل أن الرسول عليه السلام قال لأحد أصحابه حين خطب امرأة من الأنصار: «فَاذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَإِنَّ فِي أَعْيُنِ الْأَنْصَارِ شَيْئًا»، والرسول يقصد وجود عيب فى أعين نساء الأنصار[636]، فهل كان الرسول يقصد أن كل نساء الأنصار يعانين من هذا العيب؟ طبعا لا، بل كان يقصد أنه منتشر بينهن.

إذن **ليس من الغريب أن يصوغ الناس كلماتهم لتعبر عما هو شائع وغالب، مع إهمال الحالات الفردية والاستثنائية. ومن هذا القبيل وصف الرسول للنساء بأنهن ناقصات عقل ودين، فهذا الوصف يعبر عن صفة متفشية بين النساء، لكنه لا ينفي أن من النساء شخصيات فاقت الرجال** عقلا وحكمة. ألا ترى أن امرأة مثل السيدة سمية سارعت إلى الإيمان بالرسول، بينما ظل رجل مثل أبي جهل يستمع لآيات القرآن لسنوات عديدة دون أن يؤمن؟ ألا ترى أيضا كيف كانت امرأة فرعون فى غاية الحكمة، بينما كان فرعون زوجها فى غاية الحماقة؟ ألا تذكرون كيف ارتد عبيد الله بن جحش عن الإسلام، واعتنق النصرانية فى الحبشة، بينما بقيت زوجته السيدة أم حبيبة على الإسلام؟

636) قال الحافظ ابن حجر: قَالَ الْغَزَالِيُّ فِي الْإِحْيَاءِ اخْتُلِفَ فِي الْمُرَادِ بِقَوْلِهِ شَيْئًا فَقِيلَ عَمَشٌ وَقِيلَ صِغَرٌ قُلْتُ الثَّانِي وَقَعَ فِي رِوَايَةِ أَبِي عَوَانَةَ فِي مُسْتَخْرَجِهِ فَهُوَ الْمُعْتَمَدُ. انظر: **فتح الباري لابن حجر** (9/ 181)

إذن من الخطأ أن ندين الإسلام بسبب عبارة (ناقصات عقل ودين). يجب أن نأخذ الإسلام كله، وننظر إلى مجمل نصوصه، وهذا سيجعلنا نفهم أن نقصان العقل ليس صفة شاملة لكل النساء. **فليكن 99% من النساء ناقصات عقل ودين (مجرد فرض)، فماذا يضيرك أيتها المرأة العاقلة المفكرة؟ حديث الرسول لا يخصكِ ولا يعنيكِ. اعتبري نفسك من ال 1% المتمتعات بالحكمة؟**

وهل يوجد فى حديث (ناقصات عقل ودين) أو فى غيره ما يثبط المرأة عن الاجتهاد والترقى وتحصيل الحكمة بحجة أن هذا قدرها الذي لا فرار منه؟ بالعكس النصوص التى تدعو للتأمل والتفكر فى الكون وفي سنن الله كثيرة، وليس ثمة دليل على أن مثل هذه الآيات موجهة للرجال فقط، وأن النساء لا شأن لهن بهذه الأمور الفلسفية.

ثم ألا تعلم المرأة المعاصرة أن الرسول عليه الصلاة والسلام وجه عبارة شديدة اللهجة لرجل، هو أبو ذر –أحد أكبر أصحابه– حين وصفه بالجاهلية؟ روى البخارى ومسلم عن أبى ذر، قال: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ كَلاَمٌ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً، فَنِلْتُ مِنْهَا، فَذَكَرَنِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لِي: «أَسَابَبْتَ فُلاَنًا» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «أَفَنِلْتَ مِنْ أُمِّهِ» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ». **إن هذه العبارة الجارحة التى وُجهت لأبى ذر تدل على أن النبى عليه الصلاة والسلام لم يكن يحابي الرجال**، ولم يكن يعادى النساء، ولكنه كان يتتبع أخطاء المسلمين بصرف النظر عن جنسهم، ويحثهم على تلافيها. ولاحظ أيضا كيف أن **الرسول غضب لأن أبا ذر أخطأ فى حق امرأة، ولو لم تكن المرأة مخلوقا ذا كرامة لما عنف الرسول صاحبه من أجلها.**

وفى موقف آخر وجه الرسول عليه السلام عبارة حادة لصاحبه المقرب ووزيره الثانى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه حين سأله أن يتخلى عن التقشف والزهد، فنهره الرسول. يقول سيدنا عمر للنبى عليه السلام: (ادْعُ اللَّهَ فَلْيُوَسِّعْ عَلَى أُمَّتِكَ، فَإِنَّ فَارِسَ وَالرُّومَ وُسِّعَ عَلَيْهِمْ، وَأُعْطُوا الدُّنْيَا وَهُمْ لاَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ: «أَوَفِي شَكٍّ أَنْتَ يَا ابْنَ الخَطَّابِ أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْتَغْفِرْ لِي) متفق عليه. **لقد اتهم الرسول فى هذا الحديث عمر بن الخطاب صديقه المقرب فى إيمانه، وقال له عبارة هى لعمرى أشد قسوة من عبارة (ناقصات عقل ودين) لأنها تطعن في إيمانه. ورغم ذلك لم يغضب سيدنا**

عمر من الرسول، ولم يقل: كيف أخاطَب بهذه اللهجة؟ بالعكس تاب عمر على الفور، وطلب من الرسول عليه الصلاة والسلام أن يستغفر له. **فهلا فعلت المرأة المعاصرة كما فعل سيدنا عمر بن الخطاب، فتستغفر الله، وتحاول تحسين خلقها ودينها بدلا من أن تصب جام غضبها على الرسول، الذي حاول هدايتها، وعلى المسلمين الذي رددوا كلامه.**

وأكثر من ذلك **لقد تعرض الرسول عليه الصلاة والسلام للتعنيف من الله عز وجل أكثر من مرة، فهل غضب أو امتعض على كرامته التي جرحت علنا أمام المسلمين؟** انظر إلى الأسلوب العنيف الذي خوطب به الرسول: {وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ} [الأحزاب: 37]. **وانظر إلى الله، وهو يوبخ الرسول من أجل رجل أعمى:** {عَبَسَ وَتَوَلَّى (1) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (2) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (3) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (4) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (5) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (6) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى (7) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (8) وَهُوَ يَخْشَى (9) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى} [عبس: 1 – 10]. **فهل المرأة المعاصرة أفضل من الرسول عليه الصلاة والسلام؟**

وفى هذه الأيام تعالت أصوات العقلاء منددة بالانحدار الأخلاقى غير المسبوق الذى وصل إليه الشعب المصرى، فقد أصبح نصف الشعب يتاجر فى المخدرات والنصف الآخر يدمنها على حد وصف أحد المواطنين. كما انتشر الزنا، وتفشى الطلاق، وخلع الحجاب، وفسد الذوق العام، وانتشرت أغانى التُكتُك التى يرددها المخمورون ويحفظها المدمنون، وأصبح البلطجية هم قدوة الشباب، وجرت الكلمات النابية على كل لسان. وصاحب هذا ترد خطير فى العلم والصناعة والاقتصاد والسياسة. وفى ظل هذا الانهيار الأخلاقى يخرج علينا الحمقى، مرددين أن مصر محفوظة إلى يوم القيامة، وأنها ذكرت فى القرآن، وستبقى أبد الدهر منارة الدين والعلم. على أى أساس قالوا هذا؟ هؤلاء يدفنون رءوسهم فى الرمال، وبدلا من أن يصلحوا عيوبهم أنكروها، فهذا دأب الكسالى، لا أهل العزائم. **والمرأة المعاصرة تتصرف بنفس المنطق، إذ تأخذها العزة بالإثم، فتنكر أخطاءها بدلا من أن تعمل على تغييرها. وما هكذا يكون المؤمنون.**

أخيرا دعونا نقول: هب أن حديث الرسول يعني أن المرأة بالفعل أكثر غباء من الرجل، فماذا يضيرها من ذلك؟ إن الله تعالى هو الذي خلق مخ آينشتين، وهو الذي خلق مخ عامل النظافة

الذي لا يجيد شيئا إلا حمل القمامة. وذكاء آينشتين لن يدخله الجنة، وغباء عامل القمامة لن يدخله النار. المرء يدخل الجنة أو النار بعمله الصالح أو الشرير. والتقوى هي المعيار الوحيد للتفاضل بين الناس. وبفرض أن المرأة غبية حقا فهي لن تدخل النار بسبب غبائها بل بسبب سوء خلقها. فبأي شيء يفرح الأذكياء، وعلى أي شيء يحزن الأغبياء؟ الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

كاملات عقل ودين

من علامات نقصان العقل والدين أن تغضب المرأة من عبارة: "ناقصات عقل ودين". إن هذه العبارة كما قلنا لا تمثل قدرا محتوما على كل امرأة، بل تعبر فقط عما هو غالب، وهي لا تنفى وجود **نساء عظيمات تصرفن فى غاية الحكمة، وفضلن ما يمليه عليهن العقل والدين على ما تنادى به العاطفة.**

ألا تذكرون أسماء بنت أبي بكر التى دفعت ابنها عبد الله بن الزبير إلى الجهاد فى سبيل الله؟ روي أنه لما اشتد الحصار عَلَى عَبْد اللَّهِ قبل قتله بعشرة أيام، دخل عَلَى أمه أسماء وهي شاكية، فقال لها: إن في الموت لراحة. فقالت له: لعلك تمنيته لي، ما أحب أن أموت حتى يأتي علي أحد طرفيك، إما قتلت فأحتسبك، وَإما ظفرت بعدوك فتقر عيني. فضحك. فلما كان اليوم الذي قتل فيه دخل عليها فقالت له: يا بني، لا تقبلن منهم خطة تخاف فيها على نفسك الذل مخافة القتل، فو الله لضربة بسيف في عز خير من ضربة بسوطٍ في ذل. وخرج عَلَى الناس وقاتلهم في المسجد، فكان لا يحمل عَلَى ناحية إلا هزم من فيها من جند الشام، فأتاه حجر من ناحية الصفا، فوقع بين عينيه، فنكس رأسه، ثم اجتمعوا عليه فقتلوه[637].

ألا تذكرون كيف كانت الخنساء نموذجا كاملا للمرأة المسلمة التى أهملت عواطفها ومشاعرها من أجل دين الله؟ لقد شهدت الخنساء موقعة القادسية، ومعها أربعة من أبنائها، فقالت لهم أول الليل: «يا بني، إنكم أسلمتم وهاجرتم مختارين. والله الذي لا إله غيره إنكم لبنو رجل واحد، كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم، ولا هجنت حسبكم، ولا غيرت نسبكم. وقد

---

637) **"أسد الغابة في معرفة الصحابة"** (3/ 241). تأليف عز الدين ابن الأثير. تحقيق علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى. 1415هـ - 1994 م.

تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين. واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية، يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}. فإذا أصبحتم غدا إن شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين، وبالله على أعدائه مستنصرين. وإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، واضطرمت لظى على سياقها، وجللت نارا على أرواقها، فتيمموا وطيسها، وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها، تظفروا بالغنم والكرامة، في دار الخلد والمقامة». فخرج بنوها قابلين لنصحها، وتقدموا فقاتلوا، وأبلوا بلاء حسنا، واستشهدوا رحمهم الله. فلما بلغها الخبر، قالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته[638].

وبطولات النساء غير ذلك كثيرة قديما وحديثا. فهلا احتذت المرأة المعاصرة بهؤلاء بدلا من أن تنوح على وصف بنات جنسها بناقصات العقل والدين؟

عزيزتي المرأة إن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يقل لك أنك ناقصة عقل ودين ليعايرك، بل ليغيرك. الإسلام يريد أن يخلصك من نقصك، ويجعلك تنطلقي نحو الكمال. **إن أولى خطوات العلاج من المرض أن يعرف المريض أنه مريض. وإن لم يشعر الإنسان بالألم من ورم خبيث فلن يذهب للطبيب، وسيظل غافلا عن السرطان، فيتغلغل في جسده إلى أن يموت.**

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

---

638) أسد الغابة في معرفة الصحابة" (7/ 89)

النساء أكثر أهل النار

كيف يقول نبيكم أن النساء أكثر أهل النار؟ هذه إهانة لا تغتفر. هكذا تصرخ المرأة المعاصرة، وليس كل من صرخ مظلوما!

لنقرأ أولا الحديث المقصود:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: **خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى المُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ:** «**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ**» **فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:** «**تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ**» متفق عليه، واللفظ للبخاري.

وروى البخاري عن ابن عباس، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَأُرِيتُ النَّارَ، فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَاليَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ**» **قَالُوا: بِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:** «**بِكُفْرِهِنَّ**» **قِيلَ: يَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ:** " **يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ** " متفق عليه واللفظ للبخاري[639].

وأول **أسباب دخول النساء النار كما ترون هو كثرة اللعن**. واللعن – كما قال النووي– في اللغة هو الْإِبْعَادُ وَالطَّرْدُ، وَفِي الشَّرْعِ الْإِبْعَادُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى[640]، ولعن الله تعالى للعبد معناه إبْعَادُه مِنْ رَحْمَتِهِ. ولعن الإنسان لإنسان معناه الدُّعَاءُ عليه بالشر، كما في قوله تعالى: (ويلعن بعضكم بعضا)، وألفاظ اللعن كثيرة مثل: (لعنة الله عليك) أو (قبَّحَك الله). وفى هذا العصر نرى المرأة تغضب من أقل شيء، وما أسهل أن تدعو على من أغضبها قائلة (الله يخرب بيتك) أو (ربنا يأخذك)، أو (ربنا يأخذ أجلك) أو (إن شاء الله ما تربح) أو (يا رب ما تكسب) أو (يا رب ما تَرِد على جنة) أو (ربنا يبتليك بمصيبة) أو (أشوف فيك يوم يا بعيد، أي أتمنى أن تأتيك مصيبة أيها الملعون) أو (يَنْحَش أجلك، أى أتمنى أن تموت). وكثيرا ما تقول المرأة في بلادنا كلما غضبت من أحد: (سأحسبن عليك)، أي سأقول: (حسبى الله ونعم الوكيل) حتى ينتقم منك. وفي الغالب تكون المرأة هي التى تبالغ لفرط حساسيتها.

---

639) فى لفظ آخر للبخاري عن ابن عباس، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ» قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: " يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ ". وفى رواية مسلم: « وَرَأَيْتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ مَنْظَرًا قَطُّ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ»، قَالُوا: بِمَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «بِكُفْرِهِنَّ»، قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللهِ؟ قَالَ: " بِكُفْرِ الْعَشِيرِ، وَبِكُفْرِ الْإِحْسَانِ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ ".

640) شرح النووي على مسلم (2/ 67)

واللعن بأمثال هذه العبارات ليس شيئا هينا، لأن المرأة تقولها، وهى تتمنى أن تحط المصيبة على الإنسان الذى تغضب منه، وهذا شيء قبيح جدا لأنه لا يتناسب مع الخطأ التافه الذى وقع في حقها، فمثلا إن لم يعطها زوجها مالا لتشترى ثوبا، فهل العقاب المناسب لذلك أن يميته الله أو يدخله جهنم؟ هل من العدل أن تمسك سكينا وتذبح زوجها بسبب هذا الخطأ؟ إن كان يرضيها أن تقتل زوجها، لأنه لم يشتر لها ثوبا، فلتستسغ أن تدعو عليه بالموت.

والسبب الثانى لدخول النساء النار يشير إليه قول الرسول عليه السلام: (يكفرن العشير ويكفرن الإحسان). و(العَشِير) هو المعاشرُ والمخالط، والمرادُ به: الزَّوج[641]. والكفر هنا معناه الجحود، أي إنكار فضل الزوج وإحسانه لزوجته[642]، فالمرأة تتميز بالتسرع والتهور، فإن أغضبها زوجها في موقف سارعت إلى رميه بكل المساوىء، واتهمته بأنه لا يحبها، وأنها لم تر معه يوما حلوا، وأنها تندم على زواجها منه، مع أنها لو هدأت لتذكرت أنه أحسن إليها في مواقف كثيرة، وأن مزاياه أكبر بكثير من عيوبه.

والسبب الثالث لدخول النساء النار يشير إليه قوله (مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ). ومعناه أنه بالرغم من أن النساء ناقصات عقل ودين إلا أن الرجل الحازم الجاد الوقور الرزين الحكيم يذهب لُبُّه (عقله)، ويفقد صوابه، ويتخلى عن وقاره، وينسى دينه، وينهار فجأة أمام جمال امرأة أو دموعها أو توسلاتها، وقد يسرق كى يجمع مهرها، أو يرتشى كى يرضى شغفها بالأزياء، أو يضرب زميله كى يثبت لها رجولته، أو يقاطع أهله كى يرضي كبريائها، أو يظلم خصمها انخداعا بدموعها. ولهذا تستحق المرأة النار لأنها سبب في إغواء الرجل، وهذا يجعلها نوعا ما **أشبه بالشيطان** الذى يغوى الإنسان. **إن إبليس لا يقتل ولا يسرق ولا يرتشى ولا يزنى ولا يغتاب، ولكنه سيعذب في النار لأنه يحرض الإنسان على القتل السرقة والرشوة والزنا والغيبة. وبالمثل ستدخل كثير من النساء جهنم لأنهن يحرضن الرجال على المعاصى.** وطبعا أنا لا أقول أن المرأة تساوى الشيطان، ولكن لديها شيئا من صفته.

---

641) **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم** (1/ 269). تأليف أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي. حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال. الناشر: (دار ابن كثير، دمشق - بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت). الطبعة الأولى. 1417 هـ - 1996 م

642) قال الراغب: الكفر في اللغة ستر الشيء، وكفر النعمة وكفرانها سترها بترك أداء شكرها، قال: (لا كفران لسعيه) وأعظم الكفر جحود الوحدانية، والربوبية، والنبوة، والشريعة. والكفران في جحود النعمة أكثر استعمالا. انظر: **شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (الكاشف عن حقائق السنن)** (2/ 464). تأليف شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي. تحقيق د. عبد الحميد هنداوي. مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض). الطبعة الأولى، 1417 هـ - 1997 م

كان هذا هو الحديث. وحين قال الرسول عليه السلام أن النساء أكثر أهل النار **فهذا "وصف للواقع"، وليس "إنشاءا للواقع"**. الله لم يتعمد إدخال النساء النار، كل ما هنالك أنه **أخبرنا مسبقا بنتيجة اختبار الدنيا قبل أن نعرفها فى الآخرة**، فقال بأن أكثر أهل النار سيكونون من النساء. أفإن رسب الطالب في الامتحان تلام وزارة التعليم أم يلام الطالب الذي لم يستذكر دروسه؟

إن الله عز وجل لا يكره إنسانا من حيث المبدأ، ولكن أعمال الإنسان هى التى تجعل الله تعالى يكرهه أو يحبه. وحتى الأنبياء لما أخطأوا عاقبهم الله. وأشهر مثال على ذلك سيدنا آدم عليه السلام، وهو رجل عاقبه الله تعالى بالطرد من الجنة لما أكل من الشجرة المحرمة. ويونس عليه السلام لما أغضب الله تعالى عاقبه بأن ترك الحوت يلتهمه، ومكث فى بطنه لثلاثة أيام. **وهناك بلايين الرجال الذين يعاقبهم الله تعالى في الدنيا والآخرة على ذنوبهم. فلماذا تُستثنى المرأة من ذلك؟**

إن المرأة إن دخلت النار فسيكون ذلك بسبب ذنوبها، وليس لأن الله تعالى يكرهها منذ لحظة الولادة. **ولو كان الله تعالى يكره كل النساء لشجع العرب على وأد البنات كى يخلص البشرية من هذا الكائن غير المرغوب فيه، أو لخفف عقوبة القتل عمن يقتل امرأة، وشددها على من يقتل رجلا، لكنه بالعكس جعل لروح المرأة قيمة مساوية لروح الرجل.**

يلام الإسلام لو أعطى الرجل عشر حسنات مكافأة على صلاة الفجر، وأعطى المرأة خمس حسنات فقط. ويلام الإسلام لو جعل صلاة العصر ركعتين للرجل وأربع ركعات للمرأة. يلام الإسلام لو أمر الرجل بالصوم حتى الظهر فى رمضان، وأمر المرأة بالصوم حتى المغرب. يلام الإسلام لو جعل قراءة كل حرف في القرآن بحسنة للرجل ونصف حسنة للأنثى. **يلام الإسلام لو أخبرنا أن دعاء الرجل يستجاب بمجرد رفع يديه إلى لسماء، بينما لا يستجاب للمرأة إلا بعد أسبوع من الدعاء المتواصل.** يلام الإسلام إن أمر بقطع يد واحدة للرجل الذى يسرق، وقطع اليدين للمرأة إن سرقت.

والله تعالى لا يفرق بين الذكر والأنثى في ثواب الآخرة، قال عز وجل: {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ} [آل عمران: 195]. وقال: {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا}

[النساء: 124]. وقال كذلك: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل: 97]. وقال أيضا: {مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ} [غافر: 40]

وهكذا لا ظلم في الشريعة للمرأة. المرأة هي التي ظلمت نفسها.

وفضلا عن ذلك فهل يلام الرسول عليه السلام لأن حذر النساء من دخول النار؟ لو كان الرسول يكره المرأة لتركها فى غيها دون أن يحذرها، ولكنه تصرف كالأب الذى رأى ابنه يلعب، ولا يستعد للامتحان، فقال له: (أنت سترسب هذا العام إن ظللت لا تذاكر)، فغضب الابن، وأشاح بوجهه بعيدا، وقال له: "كيف تقول أني سأرسب؟ أنت تكرهنى، وتحب أخي"، فلما ظهرت النتيجة كان الولد من الراسبين. ولو كان الابن حكيما لأنصت لتحذيرات أبيه بدلا من اتهامه بالعداء.

ومن أمارات سوء النية وغلبة الهمجية أن من هاجموا الإسلام بسبب الحديث السابق لم يلاحظوا قول الرسول عليه السلام: **«يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ». لقد قدم الرسول للنساء العلاج والترياق الذى ينقذهن من النار، فماذا يريدون من الإسلام أكثر من ذلك؟** لقد نبههن إلى سوء المصير، وعرفهن كيف يتجنبن هذا المصير. لو كان الرسول عدوا للمرأة لما نبهها إلى سوء خلقها، أو لنبهها إلى سوء خلقها دون أن ينبهها إلى أن سوء الخلق سيقودها إلى النار، أو لنبهها إلى أنها ستدخل النار دون أن يعرفها بالوسيلة التي تتفادى بها النار. **إن الرسول لم يكتف بتشخيص الداء، بل تجاوزه إلى وصف الدواء.**

ثم إن الحساب في الآخرة فردى، ولا أحد يحاسب بذنب قومه أو جنسه. لقد حكم الله بأن قوم فرعون في النار، ومع ذلك هناك رجل مؤمن منهم، سيدخل الجنة في الآخرة خلافا لقومه: {وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ} [غافر: 28]. وشن القرآن حملات عاتية على بني إسرائيل، لكنه أخبرنا في نفس الوقت أن منهم قوما صالحين: {وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} [الأعراف: 159]. وأكد القرآن لبنى إسرائيل هذا المبدأ

الخالد: {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [البقرة: 134].

فلتكن كل النساء في النار. ماذا يضيرك أيتها المرأة الصالحة؟ بيدك أن تكوني المرأة الوحيدة التي تدخل الجنة. النار ليست قدرا محتوما على كل النساء. لقد وهبكِ الله تعالى الحرية، وأعطاكِ مفتاح الجنة ومفتاح النار، وترك لك الخيار، ففكرى، وقررى، وكونى رائدة وسباقة. كونى متميزة عن كل النساء. افعلى شيئا مفيدا، ولا تضيعى وقتك في البكاء على مصير بإمكانك أن تنجي منه.

وتعالوا بنا إلى نقطة أخرى: إن الحديث ذكر أن أكثر أهل النار من النساء، **فلماذا تغضبون، وكأن الرسول عليه السلام قال أن النار تخلو من الرجال؟ بل أليس من الجائز أن 51% من أهل النار نساء و49% من أهل النار رجال؟ لفظ الحديث يحتمل ذلك تماما.** وهذا يشبه قولنا أن أغلبية الشعب الأمريكي صوتوا في الانتخابات لصالح المرشح الجمهوري، مع أن نسبة مؤيديه كانت 52%. **وهذا الفارق البسيط في نسبة الرجال والنساء في النار يستدعي التحذير الشديد من الرسول لأن النساء بوجه عام لا يشعرن أنهن يرتكبن الذنوب،** وكل واحدة تسارع إلي البكاء إن انتُقدت، متصورة أنها طيبة القلب، ولا تسيء لأحد. أذكر أنني في صغري حضرت مجلس عزاء لبعض أقاربنا من النساء، فسمعت كلاما في غاية الخشوع عن الحياة والموت والآخرة. وكان من الواضح أنهن في هذه اللحظة يتكلمن بصدق، ودون محاولة للتصنع. لكنني وجدت فرقا هائلا بين هذا الكلام الجميل وحياة هؤلاء النسوة المليئة بالغيبة والنميمة والحقد والمؤامرات وقطع الأرحام. وعلى ذلك كان من الواجب أن يحذر الرسول عليه الصلاة والسلام النساء من النار حتى لو كانت نسبتهن فيها 51% فقط، فطبقا لرأي المرأة في نفسها ستكون نسبة النساء في النار لا تتجاوز 5% فقط. أما الرجال فقوتهم تجعلهم يرتكبون ذنوبا فجة مثل القتل والسرقة وقطع الطريق وتجارة المخدرات والرشوة وشن الحروب الحروب، وهذا يجعلهم أقل إحسانا للظن بأنفسهم من النساء.

ثم هب أن الرسول عليه الصلاة والسلام أخبرنا أن أغلب أهل النار من الرجال، فهل كنا سنشهد مثل هذه الضجة؟ أم كنتم تريدون أن يقوم الله عز وجل بالضبط الدقيق لأعداد الداخلين إلى النار بحيث تتساوى أعداد الرجال والنساء حتى لا تحزن المرأة؟

وقد أنكر البعض حديث (ناقصات عقل ودين) أو اعتبره من قبيل المزاح بحجة أن من غير المعقول أن يخبر الرسول عليه الصلاة والسلام النساء بأنهن سيكن أكثر أهل النار فى يوم العيد، الذى يفترض أنه يوم فرحة.

ونحن نقول نعم العيد يوم فرحة، لكن هناك أسباب قوية تجعل هذه الموعظة ملائمة تماما لهذه المناسبة:

1. كثير من الفقراء لا يفرحون يوم العيد لأنهم لا يجدون الطعام والشراب والثياب. **ولهذا حذر الرسول النساء من النار يوم العيد، ليس لأنه يريد أن يصيبهن بالغم فى هذا اليوم، ولكن ليحثهن على الصدقة.** ولهذا قال: (يا معشر النساء تصدقن). وإن تصدقت النساء يوم العيد عاد هذا بالسعادة على الفقراء. إن الرسول عليه الصلاة والسلام ليس رسولا للأغنياء فقط، ولكنه رسول للفقراء والأغنياء على حد سواء.

2. **ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام أن من أسباب دخول النار كثرة اللعن وإنكار فضل الزوج. وإن تجنبت المرأة هذه الخصال، ونزعت ما في قلبها من غضب تجاه زوجها يوم العيد عمت السعادة البيوت.** وكم من امرأة ملأت البيت غما يوم العيد لأتفه الأسباب، فالمرأة ميالة بطبعها إلى الغم والنكد دون مبررات معقولة، وذلك لفرط حساسيتها.

3. المريض لا يحزن إن أخبره الطبيب أن الصداع سببه التهاب في الجيوب الأنفية، لكنه سيحزن ويكتئب إن أخبره أن سبب الصداع سرطان في المخ. والفرق أن الجيوب الأنفية مرض له علاج بسيط، أما سرطان المخ فعلاجه صعب، وقد يؤدي إلى الوفاة. وبالمثل لا يجوز للنساء أن يحزن بسبب تحذيرهن من النار يوم العيد، لأن النار لها علاج شاف هو الصدقة. الرسول هنا يشبه الطبيب الذي يقدم الدواء. وهل رأيتم مريضا يغضب إن أتاه أحد بالشفاء؟

4. **التذكير بعذاب النار وأمور الآخرة لا يمكن أن يسبب الحزن للمسلم.** إنه يجعله فقط يشعر بتفاهة الدنيا وأنها لا تستحق أن يجرى وراءها. التذكير بالآخرة يجعل المسلم يفيق من غفلته، ويراجع نفسه، ويفكر فى ربه، وهذا يورثه شعورا بالهدوء والطمأنينة والسعادة الروحية التى لا تقل روعة عن السعادة بمتع الدنيا المادية. إن المواعظ فى الإسلام لا تعرف فرقا بين الجنة والنار، فالخوف من النار مثله كمثل الشوق إلى الجنة، يخلق فى نفس المؤمن راحة نفسية لا توصف، لكن العلمانيين والملحدين لم يجربوا تلك السعادة، ولهذا تراهم يحسبون أن الكلام عن النار يجعل الإنسان مكتئبا حزينا، وينفره عن الدين.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

المرأة مثل الحمار والكلب!

من الأحاديث التي يرددها الملحدون كثيرا كدليل على إهانة الإسلام للمرأة ذلك الحديث القائل بأن المصلي إن مرت من أمامه امرأة أو حمار أو كلب انقطعت صلاته إلا إذا وضع أمامه حاجزا أو سترة. وهذا في نظرهم دليل على أن الإسلام يعتبر المرأة كالحمار والكلب. اقرأوا الحديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَقْطَعُ الصَّلَاةَ الْمَرْأَةُ وَالْحِمَارُ وَالْكَلْبُ**، وَيَقِي ذَلِكَ مِثْلُ مُؤْخِرَةِ الرَّحْلِ» رواه مسلم.

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي، فَإِنَّهُ يَسْتُرُهُ إِذَا كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلُ آخِرَةِ الرَّحْلِ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلُ آخِرَةِ الرَّحْلِ، فَإِنَّهُ **يَقْطَعُ صَلَاتَهُ الْحِمَارُ، وَالْمَرْأَةُ، وَالْكَلْبُ الْأَسْوَدُ**» قُلْتُ: يَا أَبَا ذَرٍّ، مَا بَالُ الْكَلْبِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْكَلْبِ الْأَحْمَرِ مِنَ الْكَلْبِ الْأَصْفَرِ؟ قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا سَأَلْتَنِي فَقَالَ: «الْكَلْبُ الْأَسْوَدُ شَيْطَانٌ» رواه مسلم.

وبالنسبة لقوله (مؤخرة الرحل) أو (آخرة الرحل)، فمعناه بشكل عام أن المصلي إذا كان بينه وبين المار سُترة (ستارة) ؛ لا يضر صلاته مرور المار (المرأة والكلب والحمار)[643]. و(الرحْل) هو مَا يوضع على ظهر الجمل للرُّكُوب والجمع (رِحالٌ). و(**آخرة الرحل) هو العود الذي في آخر الرحل**[644]**، أو الخشبة التي يستند إليها الراكب على الرحل**[645]. وذكر ابن حزم أنه إن كَانَ بَيْنَ يَدَيْ الْمُصَلِّي شَيْءٌ مُرْتَفِعٌ بِقَدْرِ الذِّرَاعِ –وَهُوَ قَدْرُ مُؤَخِّرَةِ الرَّحْلِ الْمَعْهُودَةِ عِنْدَ الْعَرَبِ– لَمْ يَضُرَّ صَلَاتَهُ كُلُّ مَا كَانَ وَرَاءَ السُّتْرَةِ[646]. ومذاهب الفقهاء متقاربة[647]. أما المقدار الذي بين المصلي والسترة فقيل ثلاثة أذرع، أو ستة، أو بقدر ما يركع ويسجد[648،649]

---

643) **نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار** (7/ 106). تأليف بدر الدين العينى. تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر. الطبعة الأولى، 1429 هـ - 2008 م

644) **نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار** (7/ 106)

645) **"فتح الباري شرح صحيح البخاري"**(4/ 69). تأليف ابن رجب الحنبلي. تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرون. الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية. الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين – القاهرة. الطبعة الأولى، 1417 هـ - 1996 م.

646) **المحلى بالآثار** (2/ 320)

647) مذاهب الفقهاء متقاربة في أقل ما يجزئ المصلي من السترة، فقال مالك: يجزيه غلظ الرمح والعصا **وارتفاع ذلك قدر عظم الذراع.** وقال أبو حنيفة، والثوري: إنها **قدر مؤخرة الرحل يكون ارتفاعها ذراعًا**؛ وهو قول عطاء. وقال الأوزاعي مثله، إلا أنِه **لم يحد ذراعًا ولا غيره**. وكل هؤلاء لا يجيزون الخط، ولا أن يعرض العصا في الأرض، فيصلي إليها؛ غير الأوزاعي والشافعي في أصح قوليه فإنهما قالا: **إذا لم يجد شيئًا يقيمه بين يديه عرضه وصلى، وإن لم يجد خط خطًّا،** وروي مثله عن سعيد بن جبير، وبه قال أحمد وأبو ثور. انظر: **"التوضيح لشرح الجامع الصحيح"** (6/ 39)

648) اختلف الفقهاء في المقدار الذي يكون بين المصلي وبين السترة؛ فقيده بعض الناس بشبر، وآخرون بثلاثة أذرع وبه قال الشافعي وأحمد، وهو قول عطاء وآخرون بستة ذكر السفاقسي قال: أبو إسحاق: رأيت عبد الله بن مغفل يصلي بينه وبين القبلة ستة أذرع، وفي نسخة "بثلاثة أذرع"، وفي

وللرد على هذه الشبهة نقول أن **الغالبية العظمى من الفقهاء أنكروا أن يكون وجود المرأة أمام المصلي سببا في قطع صلاته**، «وَهُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ مِنْ التَّابِعِينَ فَمَنْ بَعْدَهُمْ وَبِهِ قَالَ الثَّوْرِيُّ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَمَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ وَأَبُو ثَوْرٍ وَدَاوُد الظَّاهِرِيُّ ... وَقَالَ أَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ يَقْطَعُ الصَّلَاةَ الْكَلْبُ الْأَسْوَدُ قَالَ أَحْمَدُ وَفِي قَلْبِي مِنْ الْحِمَارِ وَالْمَرْأَةِ شَيْءٌ»[650]

وقد استند جمهور الفقهاء إلى أحاديث أكثر صحة عن زوجات النبي، منهن السيدة عائشة، وميمونة وأم سلمة، وكذلك عن ابن عباس. وهذه الأحاديث تفيد أن وجود المرأة والحمار أمام المصلي لا يبطل صلاته. وإليكم هذه الأحاديث:

- عن عَائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: «كُنْتُ أَنَامُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرِجْلاَيَ، فِي قِبْلَتِهِ فَإِذَا سَجَدَ غَمَزَنِي، فَقَبَضْتُ رِجْلَيَّ، فَإِذَا قَامَ بَسَطْتُهُمَا»، قَالَتْ: وَالبُيُوتُ يَوْمَئِذٍ لَيْسَ فِيهَا مَصَابِيحُ. متفق عليه. (بين يدي) أمام. (غمزني) أي بيده.
- وروي أن السيدة عائشة غضبت مما فهمه البعض من تشبيه النساء بالحمير والكلاب: عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ، وَذُكِرَ عِنْدَهَا مَا يَقْطَعُ الصَّلَاةَ الْكَلْبُ، وَالْحِمَارُ، وَالْمَرْأَةُ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: قَدْ شَبَّهْتُمُونَا بِالْحَمِيرِ وَالْكِلَابِ، وَاللهِ لَقَدْ «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي وَإِنِّي عَلَى السَّرِيرِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ مُضْطَجِعَةً، فَتَبْدُو لِي الْحَاجَةُ، فَأَكْرَهُ أَنْ أَجْلِسَ فَأُوذِيَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَنْسَلُّ مِنْ عِنْدِ رِجْلَيْهِ» رواه مسلم
- عن عُرْوَةُ، أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ، «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي وَهِيَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ القِبْلَةِ عَلَى فِرَاشِ أَهْلِهِ اعْتِرَاضَ الجَنَازَةِ»

(فراش أهله) أي الفراش الذي ينام عليه مع زوجته. (اعتراض الجنازة) كاعتراض الجنازة من جهة يمينه إلى جهة يساره والجنازة اسم للميت في النعش.

مصنف ابن أبي شيبة بسند صحيح نحوه، وقال: القرطبي لم يحد مالك في ذلك حدًّا إلا أن ذلك بقدر ما يركع فيه ويسجد ويتمكن من دفع من يمر بين يديه. انظر: **"نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار"** (7/ 107).

649) وفي صحيح البخاري عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ «كَانَ يُعَرِّضُ رَاحِلَتَهُ، فَيُصَلِّي إِلَيْهَا»، قُلْتُ: أَفَرَأَيْتَ إِذَا هَبَّتِ الرِّكَابُ؟ قَالَ: «كَانَ يَأْخُذُ هَذَا الرَّحْلَ فَيُعَدِّلُهُ، فَيُصَلِّي إِلَى آخِرَتِهِ - أَوْ قَالَ مُؤَخَّرِهِ -» وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَفْعَلُهُ " وقوله: (يعرض راحلته) أي: ينيخها، معترضة بينه وبين جهة القبلة. وقوله (هبت الركاب) ، معناه: قامت الإبل للسير. ويقال للنائم إذا قام من نومه: هب من منامه. والمراد إذا لم يكن عنده إبل باركة يستتر بها. وقوله: (يأخذ الرحل): رحل البعير، هو: ما على ظهره مما يركب عليه، والراحلة: هي البعير أو الناقة. وقوله: (فيَعدِله) - بفتح الياء، وكسر الدال أي يقيمه تلقاء وجهه. و(آخرة الرحل) هي الخشبة التي يستند إليها الراكب على الرحل. وقد سبق الخلاف في تقديرها: هل هو ذراع تام بالذراع الذي يذرع به، أو ذراع بعظم ذراع الإنسان، وهو نحو ثلثي ذراع مما يذرع به؟ انظر: **"فتح الباري"** لابن رجب (4/ 68)

650) طرح التثريب في شرح التقريب (2/ 388). تأليف زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي. أكمله ابنه: أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين، ابن العراقي. الناشر: الطبعة المصرية القديمة - وصورتها دور عدة منها دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي.

- عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: مَا يَقْطَعُ الصَّلَاةَ؟ قَالَ: فَقُلْنَا الْمَرْأَةُ وَالْحِمَارُ. فَقَالَتْ: «إِنَّ الْمَرْأَةَ لَدَابَّةُ سَوْءٍ لَقَدْ رَأَيْتُنِي بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعْتَرِضَةً، كَاعْتِرَاضِ الْجَنَازَةِ وَهُوَ يُصَلِّي» رواه مسلم.
- عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زوج النبي، أَنَّهَا قَالَتْ: "كَانَ يُفْرَشُ لِي حِيَالَ مُصَلَّى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَانَ يُصَلِّي وَأَنَا حِيَالُهُ" رواه أحمد بإسناد صحيح[651].
- وعَنْ مَيْمُونَةَ زوج النبي، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " يُصَلِّي وَأَنَا حِذَاءَهُ، وَأَنَا حَائِضٌ، وَرُبَّمَا أَصَابَنِي ثَوْبُهُ إِذَا سَجَدَ، قَالَتْ: وَكَانَ يُصَلِّي عَلَى الخُمْرَةِ " متفق عليه. (وأنا حذاءه: أي بجنبه). والخمرة: سجادة من سعف النخل، وهي أصغر من الحصير.
- عن عَوْنُ بْنُ أَبِي جُحَيْفَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، قَالَ: «خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالهَاجِرَةِ، فَأُتِيَ بِوَضُوءٍ، فَتَوَضَّأَ، فَصَلَّى بِنَا الظُّهْرَ وَالعَصْرَ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَنَزَةٌ وَالمَرْأَةُ وَالحِمَارُ يَمُرُّونَ مِنْ وَرَائِهَا» متفق عليه.

و(العَنَزَةُ): أطول من العصا وأقصرُ من الرمح

- وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «أَقْبَلْتُ رَاكِبًا عَلَى حِمَارٍ أَتَان (أنثى الحمار)، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ قَدْ نَاهَزْتُ الاِحْتِلاَمَ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي بِمِنًى إِلَى غَيْرِ جِدَارٍ، فَمَرَرْتُ بَيْنَ يَدَيْ بَعْضِ الصَّفِّ، وَأَرْسَلْتُ الأَتَانَ تَرْتَعُ، فَدَخَلْتُ فِي الصَّفِّ، فَلَمْ يُنْكِرْ ذَلِكَ عَلَيَّ» متفق عليه.

(أتان): أنثى الحمار. (ناهزت الاحتلام): قاربت البلوغ. (بين يدي): أمام. (أرسلت): أطلقت. (ترتع): تمشي مسرعة أو تأكل ما تشاء.

ولا تناقض بين هاتين المجموعتين من الأحاديث كما قال العلماء، فالمقصود أن مرور الكلب والحملر والمرأة من أمام المصلي يشغله عن الصلاة، ويذهب ما فيها من خشوع. المفروض أن ينسى الإنسان وقت الصلاة ما يجري حوله، وهذا صعب جدا في هذه الحالات الثلاث. فالمرأة تشغل الرجل بصورتها وجمالها. والكلب –خاصة الكلب الأسود– يشغل الإنسان لأنه غالبا شرس مخيف، فلا يأمن المصلي أن يعقره. والحمار أيضا يؤذي المصلي بنهيقه المنكر وفضلاته.

651) إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين. وأخرجه الطحاوي في "شرح معاني الآثار" 462/1 من طريق عفَّان، بهذا الإسناد وأخرجه أبو يعلى (6975) من طريق عبد الرحمن بن مهدي، عن وهيب ابن خالد، به. وأخرجه أبو داود (4148)، وابن ماجه (957)، وأبو يعلى (6941) ، والطبراني في "الكبير" 23/ (819) و (820) من طرق عن خالد الحذَّاء، به. انظر تعليق محققي **"مسند أحمد"** (44/ 318)

وعلى ذلك فقطع الصلاة معناه قطع الصلة الروحية بين الإنسان والله، وليس معناه قطع ثواب الصلاة، وجعلها تبطل. كما أن اشتراك المرأة مع الكلب والحمار لا يعني أن المرأة مثل هذه الحيوانات، وذلك لأن كل واحد من الثلاثة يشغل الإنسان عن الصلاة لسبب خاص. **وإذا كان الكلب يشغل الإنسان عن الصلاة بسبب شراسته، فالمرأة تشغله لسبب آخر هو جمالها وجاذبيتها. ولا أظن أن هذا يغضب المرأة. ومن يصر على أن الحديث يفيد أن المرأة حقيرة مثل الكلب والحمار قلنا له: وهل يفيد الحديث أن الحمار مثل الكلب في شراسته وأذاه؟ قطعا لا، لأن الكلب غير شرس.** إذن ذكر الثلاثة معا لا ينفي ضخامة الفروق بينها، ألا ترى أن شارون تكلم والمسيح تكلم وعبد الحليم حافظ تكلم، فهل كلهم متطابقون؟ قطعا لا، لأن الأول سفاح يهودي، والثاني نبي، والثالث مطرب.

وقد أشار الطحاوى إلى احتمال أن قطع الصلاة معناه «تقطع الإقبال عليها والشغل بها، فالشيطان بوسوسته ونزغه، والمرأة بفتنتها والنظر إليها، والكلب والحمار بقبح أصواتهما وكثرتها وعلوها، قال الله تعالى: {إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ}، وقال: {فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث} الآية، ولنفور النفس من الكلب، لا سيما الأسود، وكراهة لونه وخوف عاديته، والحمار للجاجته وقلة تأتيه عند دفعه ومخالفته»[652].

وإن وضع المصلي أمامه ساترا، أدرك الناس أنه يصلي، فتبتعد المرأة عنه، ويبتعد راكب الحمار، كما أن الكلب في الغالب لن يحاول المرور من المنطقة الضيقة بين المصلي والساتر. وهذا يقلل من انشغال المصلي بهم.

وقد رد بعض الفقهاء أحاديث قطع الصلاة رغم صحتها، وذلك لأن الأحاديث التي تخالفها أكثر صحة. وهذا يعرف في علم مصطلح الحديث بالشذوذ، فالحديث الشاذ هو حديث صحيح الإسناد، لكنه خالف حديثا أقوى سندا، أو روي من طرق صحيحة أكثر عددا. «قال الشافعي في جواب من قال: يقطعها الكلب، والحمار، وغير ذلك حيث استدلوا بحديث أبي ذر في المعنى، قال: **لا يجوز إذا رُوِي حديث واحد** أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "يقطع الصلاة المرأة، والكلب، والحمار" **وكان مخالفًا عدة أحاديث، وكان كل واحد أثبت منه ومعها ظاهر**

---

652) شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِى عِيَاض (إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم) (2/ 425). تأليف الفضل عيَاض بن مُوسَى بن عيَاض اليَحْصَبِى. تحقيق الدكتور يحْيَى إسْمَاعِيل. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر. الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1998 م

القرآن أن يترك –إن كان ثابتًا إلا بأن يكون [منسوخًا]، ونحن لا نعلم المنسوخ حتى نعلم الآخر، ولسنا نعلم الآخر، أو يرد أن يكون غير محفوظ، وهو عندنا غير محفوظ لأن النبي صلى الله عليه وسلم صلى وعائشة بينه وبين القبلة. "وصلى وهو حامِلٌ أُمامة فوضعها في السجود، ورفعها في القيام". ولو كان ذلك يقطع صلاته، لم يفعل واحداً من الأمرين، وصلى إلى غير سترة، **وكل واحد من هذين الحديثين يرد ذلك الحديث»**[653].

وربما لا يوجد داع لرد حديث قطع الصلاة بالأحاديث الأقوى منه، لأن التوفيق بينهما ممكن. على أي حال الإسلام بريء في جميع الأحوال من إهانة المرأة.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

---

653) **الشافي في شرح مسند الشافعي** (1/ 491). تأليف مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير. تحقيق أحمد بن سليمان - أبي تميم يَاسر بن إبراهيم. مَكتَبَةَ الرُّشْدِ، الرياض - المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولي، 1426 هـ - 2005 م

نسب الطفل إلى أمه

طالبت يوما كاتبة حمقاء بأن يُدْعَى الناس بأسماء آبائهم، فإن كان هناك ولد اسمه (أحمد) وأمه اسمها (صفاء)، وجدته اسمها (نفيسة)، سمي الولد (أحمد صفاء نفيسة) في تجاهل تام لاسم أبيه.

ويبدو أن متطرفي الحركة النسائية لم يأتوا لنا بجديد، **فالبدعة التي ينادون بها ما هي إلا إحياء لظاهرة قديمة يقال أنها كانت موجودة لدى قدماء المصريين**. يقول الأستاذ سليم حسن: (لقد زعم بعض علماء الآثار أن الابن في الدولة المصرية القديمة كان ينسب إلى أمه، وليس أبيه. يقول الأستاذ "إرمن": «يشاهد في نقوش مقابر الدولة القديمة غالبا بجانب اسم الزوجة ذكر اسم أم المتوفاة على حين أن اسم الوالد لا وجود له في العادة، وفي كثير من الأحيان يذكر نسب المتوفى من جهة والدته لا من جهة أبيه». ومن المدهش أن المؤلف لم يذكر المصدر الذي استند فيه على هذا الرأي)[654].

ويؤكد الأستاذ سليم حسن أن «كل استنتاجات المؤرخين الذين اقتبسنا آراءهم فيما يختص بالدولة القديمة خاطئة، أعني بذلك قولهم إن المصري في هذا العهد كان على وجه عام يعرف والدته أما والده فينكره في معظم الأحوال. ولكن **الواقع ينقض هذا الزعم من أساسه إذ دلت الإحصاءات** التي عملت في أنساب الأسر الرابعة والخامسة والسادسة أن في 92 نسبا من غير الأسرة المالكة يوجد من بينها 44 نسبا ذكر فيه الأب والأم على السواء، و37 نسبا فضل فيه نسب الأب على الأم و11 ذكر فيها نسب الأم فقط»[655].

وذكر الأستاذ سليم حسن أن المتن الرئيسي الذي اتخذه علماء الآثار أساسا لنظرية البنوة يرجع تاريخه إلى الأسرة الثامنة عشرة، وهو نقوش "بحرى". وملخصه أن هناك ضابطا اسمه (بحرى) كانت أمه اسمها (قم)، وكان أبو (قم) هو (أحمس) الذي كان من الأبطال الذين حاربوا الهكسوس. وقد أظهر بحرى في نقوش قبره نسبه من جهة أمه، والسبب في ذلك ظاهر، وهو أن

---

654) **مصر القديمة**. الجزء الثاني. صفحة 547.
655) **مصر القديمة**. الجزء الثاني. صفحة 550.

بحرى لم يكن له إلا جد واحد عريق في النسب، هو أحمس والد أمه، فانتسب إليه للفخر به لا أقل ولا أكثر.[656]

إذن **نسب الطفل لأمه عند الفراعنة أكذوبة بالية.**

وقد كان على هؤلاء الحمقى أن يطرحوا على أنفسهم السؤال التالي: **ما الحاجة لأن يسمَّى الإنسان باسم والديه (الأب أو الأم)؟**

السبب هو ضرورة التمييز بين الناس، فهناك كثيرون اسمهم (محمد)، وكثيرون اسمهم (مجدي). وأسهل طريقة للتفريق بين أصحاب الأسماء المتشابهة هي إضافة اسم آخر إليهم، والأولى أن يكون الاسم المضاف هو اسم الوالد. فمَن الأحق بهذا الاسم الإضافي: الأب أم الأم؟

الله تعالى يقول بعبارة صريحة: {ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ} [الأحزاب: 5]. ولهذا عدة أسباب:

<u>أولا:</u>

تسمية الطفل باسم أبيه أفضل لغرض تمييز الناس، وذلك لأن الرجال أكثر شهرة من النساء، فالرجل يخرج من البيت، ويعمل، بينما تبقى المرأة في منزلها، ولا تعمل إلا في ظروف خاصة. ولهذا إن سأل الناس عن اسم شخص لا يعرفونه، فسيقال لهم أنه ابن فلان، فيعرفه الناس لأن فلانا هذا هو الحداد أو التاجر أو النجار أو الفلاح أو الصائغ، الذي يتعاملون معه، أو يمرون عليه في مقر عمله. والرجال هم القادة والزعماء والأثرياء والمشاهير في كل المجالات. أما النساء فمن الصعب التمييز بينهن لأنهن بعيدات عن الأضواء، فإن قلت أن فلانا اسمه (ذكي بن بثينة)، فسيقول الناس: ومن بثينة؟ نحن لا نعرفها. وما هذا بعيب في النساء، فمن فضائل المرأة أن تمكث في بيتها، وتبقى في حالها بعيدا عن الأعين، فلا تحاول أن تلفت الأنظار، أو تخطف الأضواء، أو تأسر العيون.

وشهرة الرجال لا تمنحهم ميزة حقيقية، وإنما هي مجرد ضرورة من ضرورات الحياة، فقد قضت سنة الله أن يكون الرجال أقوياء، فيتحملون مهمة العمل من أجل النساء والأولاد، وهذه المهمة

656) **مصر القديمة. الجزء الثاني.** صفحة 552-553.

استتبعتها الشهرة. لكن يوم القيامة لا تغنى الشهرة عن الرجال شيئا، **ومن الممكن لامرأة مجهولة لا يعرفها أحد أن تنال في الجنة مرتبة أعلى من أكبر الرجال المشاهير، فالتقوى هي المعيار الأوحد للتفاضل بين الناس عند الله.**

طبعا سيقال أن الزمن قد تغير، وأصبحت المرأة تعمل، ونالت من الشهرة مثل ما للرجل وأكثر، فما الداعي لبقاء الحال كما هو عليه؟ لماذا لا نغير طريقة تسمية الأولاد بحيث ينسبوا إلى أمهاتهم؟ ونحن نكرر ما قلناه مرارا بأن فطرة الله قضت بأن يعمل الرجل، ويتولى المسئولية، بينما تبقى المرأة لرعاية البيت. وبدون ذلك سيتعرض المجتمع للتسوس والانهيار والانقراض كما حدث في أوربا، وغيرها. لقد بنيت الشريعة على مبدأ انخراط الرجل في الحياة العامة وبقاء المرأة في البيت. وعلى المسلم أن يغير المجتمع ليعود إلى فطرة الله، لا أن يغير الشريعة لتلائم اعوجاج المجتمع.

ثانيا:

هناك سبب آخر يجعل الأب أحق بأن ينسب ابنه إليه: **إن الأب هو ولي أمر الأولاد، وقائد الأسرة**، وربان السفينة، ورئيس الزوجة والأولاد. ولهذا فمن واجب الأولاد أن يطيعوه. **ونسب الطفل لأبيه يرسخ في أذهان الأبناء أن ولاءهم يجب أن يكون لأبيهم أولا، وأن طاعته مقدمة على طاعة أمهم طالما أنه لا يأمرهم بمعصية الله. فإن أمرهم أبوهم بشيء، وأمرتهم أمهم بشيء آخر كان عليهم أن يطيعوا أباهم لأن أمهم يفترض أن تطيع أباهم قبلهم.** ولا يعني هذا أن يعق الأبناء أمهاتهم، فالإسلام يوصي ببر الأم بالذات في نصوص القرآن والسنة التي يعرفها الجميع، ولكن المقصود أن الأسرة يجب أن يكون لها قائد واحد، فلو كان لكل من الزوج والزوجة سلطة مساوية للآخر لغرقت الأسرة في نزاعات لا تنتهي. وعلى ذلك **فنسب الطفل إلى أبيه يتناغم مع الخط العام للشريعة الذي جعل القوامة للرجل** طبقا لقوله تعالى: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا } [النساء: 34]، وكذلك حديث الرسول: « لَوْ أَمَرْتُ أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا مِنْ عِظَمِ حَقِّهِ، وَلَا تَجِدُ امْرَأَةٌ حَلَاوَةَ

الْإِيمَانِ حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا وَلَوْ سَأَلَهَا نَفْسَهَا وَهِيَ عَلَى ظَهْرِ قَتَبٍ». وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ كما قال الهيثمي[657].

ولما تخلى الرجال عن القوامة، وتركوا قيادة الأسرة للمرأة شاهدنا بعض المسلمين الذين تزوجوا نساء من النصارى أو اليهود، ثم تركوا أولادهم لزوجاتهم ليُشَكلن عقولهم، فنشأ الأولاد على دين الأم، وباعوا أنفسهم وبلادهم للشيطان.

ثالثا:

من مظاهرة غيرة الرجل على أنثاه حرصه على ألا يتردد اسمها على الملأ بين الناس. إن مجرد ذكر اسم المرأة يوقد الحمية في قلب زوجها وبنيها وأوليائها. تردد اسم المرأة أمام الرجال يجعلهم يفكرون فيها، وهذا التفكير في حد ذاته كفيل بإغضاب أهلها، فالمرأة يجب ألا تكون في بؤرة تفكير الرجال الغرباء. وقد يندهش القارىء المعاصر من هذا الكلام، ويعده من قبيل الشطط، لكن حتى اليوم لا يزال بعض الناس (حتى من غير المتدينين) في قرى بلادنا يتحرجون من ذكر اسم ابنتهم على كروت الدعوة لحفلات الزفاف، ويكتفون بكتابة الحرف الأول من اسمها. وفي بلاد اليونان نجد نفس الأمر، فيقول بلوتارخ: «يجب أن يحبس اسم السيدة المصونة في البيت كما يحبس فيه جسمها»[658]. ونحن لا نزعم أن ذكر اسم المرأة أمام الرجال الغرباء حرام، ولكنه غير مستحب، وهذا سبب آخر يحبذ عدم نسب الطفل لأمه حتى لا يتكرر اسم الأم مرات كثيرة أمام الناس كلما ذكرت أسماء أبنائها.

رابعا:

أسماء النساء تكون في العادة رقيقة جميلة، بينما يسمى الرجال بأسماء خشنة قوية. **وسيكون من غير اللائق أن ينادى الرجل باسمه الخشن، يعقبه اسم أمه الرقيق.** وفي أوقات الحروب والمشاجرات والنزاعات يكون هذا الأمر أوضح. تصور مثلا أن جيش المغول الرهيب اصطف يوما في مواجهة عدوه، فهتف المغول: (يعيش هولاكو بن لينا)، أو يصرخ قائد مظفر اسمه

---

657) **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** (4/ 309)

658) **قصة الحضارة** (7/ 117).

(صخر) كالأسد قائلا: (أنا صخر بن جميلة). هذه ستكون أضحوكة. وسيضطر الناس–تفاديا لمثل هذه المواقف– إلى تسمية بناتهم بأسماء غليظة كأسماء الرجال، وهذا مجاف للفطرة، ورسولنا الكريم سمى بناته رضي الله تعالى عنهن بأسماء رقيقة مثل فاطمة ورقية وأم كلثوم وزينب.

خامسا:

قد يسب الناس أم الرجل باسمها، وهذا أمر شديد القبح. حقا الناس الآن يشتمون بعضهم بالأم، لكنهم يقولون مثلا (أمك صفتها كذا) أو (يا ابن المرأة ال....)، لكنهم لا يذكرون اسم الأم لأنهم لا يعرفونه في الغالب. ولو كان كل شخص ينسب لأمه لعُرفت أسماء الأمهات، ولتعرضن للسباب الصريح بالاسم كأن يقال للرجل: (يا ابن فلانة التي صفتها كذا وكذا). وهذا يدمي قلب الأم، ويحول ابنها لثور هائج، فتكثر النزاعات، وتشتد الخصومات.

سادسا:

تسمح شريعة الإسلام للرجل بتعدد الزوجات. **وفي بعض الأحيان يكون للرجل أولاد من أكثر من زوجة، فلو نسب كل ابن إلى أمه لعمق هذا من شعورهم بالتمايز والاختلاف، وزاد بالتالي التنافس والعداء بينهم. لكن إن نسب كل الأولاد إلى الأب كان هذا عاملا على منع الفرقة،** لأنه سيجعلهم يشعرون أنهم ينتمون إلى أب واحد، وأن ما يجمعهم أكثر مما يفرقهم. فهل يكره أحد هذا التأليف بين القلوب؟

ما أحكم شريعة الله!

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

ميراث المرأة

يوجب علينا الإنصاف أن نحسن الظن بالإسلام، فلو كان الله تعالى يعادي المرأة لحرمها تماما من الميراث كما كان العرب يفعلون في الجاهلية. قال القرطبي: «**وَكَانَتِ الْوِرَاثَةُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِالرُّجُولِيَّةِ وَالْقُوَّةِ، وَكَانُوا يُوَرِّثُونَ الرِّجَالَ دُونَ النِّسَاءِ، فَأَبْطَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَلِكَ**»[659]، قال تعالى: {لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا} [النساء: 7]

وفي بلاد اليونان قديما إذا مات الزوج لم ترث زوجته شيئاً من ماله[660]. **ونفس الشيء نجده لدى الرومان**، فالمرأة إذا مات زوجها لم يكن لها أن تطالب بأي حق في ماله؛ وكان له إذا شاء أن يحرمها من أن ترث شيئاً من هذا المال. وإن ورثت من بعض أهلها فقد حُدد هذا الميراث بما لا يزيد على مائة ألف سسترس أي نحو (15,000 دولار أمريكي) [661].

نعم الإسلام يفضل الذكور في الميراث

حاول البعض – بحسن نية– نفي شبهة الظلم عن الشريعة الإسلامية فيما يتعلق بميراث المرأة، فقالوا أن تفضيل الرجل على المرأة فى الميراث ليس قاعدة عامة لأن هناك حالات عديدة ترث فيها المرأة نصيبا مساويا للرجل، وهناك حالات ترث فيها المرأة أكثر منه. وقد كتب الدكتور صلاح سلطان كتابا عن ميراث المرأة، فأورد فيه بالتفصيل أمثلة لحالات عديدة ترث فيها المرأة مثل الرجل أو أكثر منه، ويمكن الرجوع لهذا الكتاب المهم[662]. وهذا الكلام الأخاذ أفلح فى إخراس كثير من الألسن التى تتطاول على دين الله، لكن هدف المسلم يجب ألا يكون إيقاف الهجوم على الدين؛ هذا طمع فى غير مطمع، وسيبقى الحق أبد الدهر مرفوضا من أهل الباطل، وعملاء إبليس. دور المسلم أن يَصدع بالحق، ويَعرض دينه كما هو، وليغضب من يغضب. **وأى دارس لقوانين الميراث فى الإسلام لا بد أن يدرك بسهولة أن الخط العام للشريعة يسير في اتجاه تفضيل الرجل، مع وجود بعض الاستثناءات.** وهذه هي الدلائل:

---

659) **تفسير القرطبي** (5/ 79)
660) **قصة الحضارة** (7/ 118)
661) **قصة الحضارة** (9/ 120)
662) **ميراث المرأة وقضية المساواة.** تأليف الدكتور صلاح الدين سلطان. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة الأولى. فبراير 1999م.

1. **نصيب الابن من الميراث ضعف نصيب البنت:** {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ} [النساء: 11]
2. **الزوج يرث ضعف الزوجة:** إن ماتت الزوجة فإن زوجها يأخذ نصف التركة إن لم يكن لها أولاد، ويأخذ ربع التركة إن كان لها أولاد. أما إن مات الزوج فإن الزوجة تأخذ الربع إن لم يكن له أولاد، وتأخذ الثمن إن كان له أولاد: {وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ} [النساء: 12]
3. **الأخ يرث ضعف نصيب أخته:** الأخ يأخذ التركة كلها إن ماتت أخته، بينما تأخذ هي نصف التركة إن مات أخوها، وذلك إن لم يكن للميت ولد ولا والد. وإن تعدد الإخوة للميت، كان للذكر مثل حظ الأنثيين: {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [النساء: 176]
4. **إن مات الرجل، ولم يترك أولادا، فورثه أبواه فقط**[663]**، كان نصيب أبيه ضعف نصيب أمه (الثلث للأم والثلثين للأب) إن لم يكن للميت إخوة. فإن كان للميت إخوة ورثت الأم السدس فقط، وورث الأب بقية التركة:** {فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ} [النساء: 11]
5. **إن بقى شيء من التركة بعد أخذ أصحاب الفرائض** (كالزوج والبنت والأخت والأم) **حقوقهم آلت بقية التركة لأقرب الذكور، وليس لأقرب الإناث، وهؤلاء يسمون "العَصبة:** عن ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلْحِقُوا الفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا، فَمَا بَقِيَ فَلِأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرٍ» متفق عليه.

والسؤال الآن: لماذا انحاز الإسلام بهذا الشكل للرجل في الميراث؟

---

663) **لكن ماذا لو كان للميت زوج أو زوجة؟** يقول المراغي: «وجمهور الصحابة على أن الزوج يأخذ نصيبه وهو النصف إن كان رجلا، والربع إن كان أنثى، والباقي للأبوين، ثلثه للأم وباقيه للأب». انظر: **"تفسير المراغي"** (4/ 198). تأليف أحمد بن مصطفى المراغي. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر. الطبعة الأولى، 1365 هـ - 1946 م.

الإجابة معروفة: إن الرجل في الإسلام هو المسئول عن النفقة على زوجته وأولاده، أما المرأة فليست ملزمة بالنفقة على أحد، فأبوها ينفق عليها، فإن تزوجت أنفق عليها زوجها. ولهذا جاءت شريعة الميراث لتفضل الرجل نسبيا كي تعاونه على أداء أعبائه الاجتماعية. يقول النووي: «وَلِهَذَا جُعِلَ للذكر مِثْلَ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ وَحِكْمَتُهُ أَنَّ الرِّجَالَ تَلْحَقُهُمْ مُؤَنٌ كَثِيرَةٌ بِالْقِيَامِ بِالْعِيَالِ وَالضِّيفَانِ وَالْأَرِقَّاءِ وَالْقَاصِدِينَ وَمُوَاسَاةِ السَّائِلِينَ وَتَحَمُّلِ الْغَرَامَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ»[664]

وهذا الاختلاف في الواجبات نابع من الاختلاف في طبيعة الجنسين، فالرجل أقوى جسدا من المرأة، وأقدر على العمل والكسب، بينما المرأة ضعيفة، ومثقلة باستمرار بمتاعب الحمل والولادة والرضاعة. ولهذا –ولأسباب أخرى كثيرة– كان من الطبيعي أن يسند الله تعالى قيادة الأسرة للرجل، وأصبح من واجب المرأة أن تطيعه باعتباره رئيسها. وهكذا بنيت الأسرة بشكل هرمي، فالرجل رئيس، والمرأة مرءوس. وأي خلل في هذا البناء يزعزع استقرار الأسرة. والخلل يمكن أن يأتي إن كثر المال في أيدي النساء، فهذا قد يغريهن بالتمرد على أزواجهن، فالمال يكسب الإنسان قوة واستقلالا، وهذا شيء غير مطلوب لأن الأسرة بهذا الشكل ستتخبط في ظل وجود قيادتين متناطحتين. وكم من امرأة سافرت للخارج، فصارت تملك المال، فتفجرت مشاكل رهيبة بينها وبين زوجها، وانتهت بالطلاق. فقال الناس: "لو ظلت فقيرة ما خسرت زوجها". وقد أسهبنا في بيان هذه النقطة في كتابنا (من يحكم الأسرة في الإسلام: الرجل أم المرأة). وعلى ذلك فلو تساوى نصيب الرجل ونصيب المرأة من الميراث لصارت المرأة أكثر قوة، فتتمرد على زوجها، وتفسد الأسرة.

وهب أن الإسلام سوى تماما بين الذكور والإناث في الميراث، وكان لدينا أسرة بها زوج وزوجة، فورث كل منهما نصيبا بعد وفاة أبيه، فورث الزوج نصيبا مساويا لأخته، وورثت الزوجة نصيبا مساويا لأخيها، **فإن محصلة ما سترثه الأسرة سيبقى ثابتا لأن النقص في نصيب الزوج عوضته الزيادة في نصيب الزوجة. لكن الإسلام لم يرد هذا. الإسلام حرص على أن يبقى المال في يد الرجل بقدر أكبر حتى يظل هو الأقوى، والأجدر بالطاعة، وصاحب القوامة، فتبقى الأسرة مستقرة هادئة، فأى منظومة مكونة من اثنين لا يمكن اتخاذ القرارات أو تسوية الخلافات داخلها إلا بحكم الفرد، ولا يمكن تطبيق الديمقراطية، لأن نتيجوة التصويت على**

664) شرح النووي على مسلم (11/ 53).

القرارات اليومية الكثيرة ستكون التعادل في كثير من الأحيان، إذ سيريد الرجل شيئا وتريد المرأة ضده، فمن يكون صاحب القرار؟ الأطفال؟ لا بد إذن من حكم الفرد رغم عيوبه.

حقا أباح الإسلام للرجل الفقير أن يتزوج من امرأة غنية رغم أن هذا يبدو لأول وهلة ضد استقرار الأسرة لأنه يجعل الرجل أضعف، ويجعل المرأة أقوى، لكن بقليل من التفكير نكتشف أنه ما من امرأة ثرية رضيت بالزواج من رجل فقير إلا وكانت تجد لديه ميزة كبيرة جدا، تعوض فقره، وتجبرها على الخضوع له بعد الزواج. مثلا قد تكون المرأة الثرية قبيحة، فلا تجد فرصة للزواج إلا من رجل فقير. وقد تحب المرأة الثرية رجلا فقيرا بشدة بسبب وسامته، أو عبقريته في نظم الشعر الذي تهواه. وقد تكون المرأة الثرية مطلقة ولديها أولاد، ولن يقبل بها أحد إلا زوج فقير. وفي هذه الحالات التي يقال أن الزواج يفتقر فيها للكفاءة سنجد أن من السهل أن تبقى القوامة في يد الرجل لأن زوجته لديها نقطة ضعف تجعلها محتاجة للخضوع إليه، وهذا يحافظ على استقرار الأسرة.

وإضافة إلى هذا المبرر العام لتفضيل الرجال على النساء في الميراث يمكننا أن نعثر على أسباب خاصة، تبرر جعل نصيب الرجل من تركة زوجته ضعف نصيب المرأة من تركة زوجها.

نقول بعون الله :

1. **تركة الزوجة تشتمل على المهر** الذى دفعه لها الرجل عند الزواج، وهذا يجعل الزوج أولى به من أهلها. وخلافا لذلك لم تدفع المرأة لزوجها مهرا، ولهذا كان من الطبيعي أن يكون نصيبها من تركته أقل.

2. **فى العادة يكون الرجل مضطرا للزواج بامرأة أخرى بعد وفاة زوجته**، وذلك لأن الرجل أحوج للزواج من المرأة، لأنه بحاجة لمن يرعاه، كما أن رغبة الرجل في الجماع كثيرا ما تستمر حتى سن الستين، بينما تفتر رغبة المرأة في الجماع فى الخامسة والأربعين تقريبا. ولهذا كان الرجل بحاجة لميراث أكبر كى يستعين به على تكاليف الزواج الجديد. وبفرض أن المرأة تزوجت بعد وفاة زوجها فتكاليف الزواج والمهر مسئولية زوجها الجديد. ومن غير المنطقى أن يقول والدا المرأة المتوفاة: "وما شأننا بأن يتزوج الرجل بعد وفاة بنتنا أو لا يتزوج؟" ونحن نقول أن الرجل لما تزوج كان يفترض أن تظل زوجته معه مدى الحياة، ولا يحتاج للزواج بغيرها، لكن الزوجة ماتت، فأصبح مضطرا للزواج مرة أخرى، وهذا عبء مالى ضخم،

خاصة في هذا العصر حيث يظل الإنسان يعمل لسنوات طويلة حتى يصبح قادرا على تدبير نفقات الزواج.

3. **كان الرجل هو الملزم بالإنفاق على زوجته من مأكل ومشرب وملبس ودواء طوال حياتها معه، وهذا يعطيه حقا أكبر من الميراث**. وفي العادة تكون الزوجة قد عاشت مع زوجها أكثر مما عاشت مع والديها، خاصة قبل القرن العشرين حين كانت البنت تتزوج في الثانية عشرة أو الرابعة عشرة من العمر، وهذا يجعل ما أنفقه الزوج أكبر مما أنفقه الأب في العادة.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

انحياز الشريعة للذكور نسبي

من رحمة الله تعالى أنه لم يحرم النساء من الميراث تماما بحجة المحافظة على الفرق في القوة بين الرجل والمرأة، وما يستتبعه ذلك من استقرار الأسرة، وذلك لأنه عز وجل يعلم أن الرجل ليس ملاكا، وأن الفرق في القوة إن اتسع بشدة بينه وبين زوجته أُغراه بالطغيان. وإذا كان لدى المرأة شيء من الثروة والممتلكات صار زوجها أكثر لينا لها لأنه يطمع في أن يصيبه بعض الخير من جهتها. كما أن الزوج إن كان بخيلا وجدت الزوجة معها من المال ما يهون عليها بخله. ووجود المال مع المرأة يمنحها القدرة على عمل الخير، ونيل الثواب في الآخرة، فبالمال يمكن أن تساعد الفقراء، وتعتق العبيد، وتحج إلى بيت الله الحرام. كما أن وجود بعض المال في يد الزوجة يمنحها شعورا بالأمان تحسبا لأن يطلقها زوجها في المستقبل، فلا ترهق أباها أو أخاها بنفقتها. **وهكذا وزنت الشريعة الأمور بميزان شديد الحساسية، فمنحت المرأة قدرا من المال يكفي لإكسابها حدا أدنى من القوة والكرامة والسعة دون أن يغريها بالتكبر على زوجها والتطاول عليه. وهذا من الإعجاز التشريعي للإسلام.**

وعلى ذلك فرغم هذا الانحياز الواضح من الإسلام للذكور في الميراث إلا أنه انحياز نسبي، لا مطلق. ولو كان الإسلام ينحاز بشكل مطلق للرجل لنظر في ورثة كل ميت، وأعطى أي ذكر نصيبا أكبر من أي أنثى. **<u>لكن الإسلام نظر إلى الزوج التصنيفي لكل وارث [البنوة (ابن/ابنة)–الأبوة (أب/أم)–الأخوة (أخ/أخت)–الزوجية (زوج/زوجة)]، ففضل الذكر على الأنثى داخل حدود</u>**

<u>الزوج التصنيفي فقط دون أن يطغى ذكر من زوج تصنيفى على أنثى من زوج تصنيفي آخر</u>، فلا يحصل والد المتوفى مثلا على نصيب أكبر من نصيب ابنة المتوفى لمجرد أنه ذكر. على سبيل المثال هب أن رجلا مات، وترك بنتا واحدة وأبا وأما. لقد كان من الممكن للإسلام أن يقول أن نصيب الأب يجب أن يكون أكبر من نصيب كل من الابنة والأم لأنه ذكر، والذكر يقدم على الأنثى مهما كانت الظروف، لكن الإسلام لم يفعل ذلك، بل جعل للبنت نصف التركة، وجعل للأم السدس، وجعل للأب بقية التركة (الثلث). وهذا التقسيم لا يمكن على الإطلاق أن يُفهم بمبدأ الذكورة والأنوثة المحض لأن الأب هنا أخذ نصيبا أقل من البنت، كما اختلف نصيب كل من البنت، والأم، مع أن الاثنين إناث. وهذا دليل على أن الإسلام يأخذ اعتبارات أخرى فى توزيع الميراث غير الذكورة والأنوثة.

وقد ذكر الدكتور محمد عمارة ثلاثة معايير تحكم تشريعات الإسلام فى الميراث[665]:

أولا: درجة القرابة بين الوارث والموروث، فكلما اقتربت الصلة زاد النصيب فى الميراث، وكلما ابتعدت الصلة قل النصيب فى الميراث، دونما اعتبار لجنس الوارثين.

ثانيا: موقع الجيل الوارث من التتابع الزمني للأجيال، فالأجيال التي تستقبل الحياة وتستعد لتحمل أعبائها عادة يكون نصيبها فى الميراث أكبر من نصيب الأجيال التى تستدبر الحياة، وتتخفف من أعبائها، وذلك بصرف النظر عن الذكورة والأنوثة للورثة، فابنة المتوفى ترث أكثر من أمه، وكلتاهما أنثى، بل ترث البنت أكثر من الأب، حتى لو كانت رضيعة لم تدرك شكل أبيها، وحتى لو كان الأب هو مصدر الثروة التى للابن. وكذلك يرث الابن أكثر من الأب، وكلاهما من الذكور.

ثالثا: العبء المالي الذي يوجب الشرع الإسلامي على الوارث تحمله والقيام به حيال الآخرين. وهذا هو المعيار الوحيد الذي يثمر تفاوتا بين الذكر والأنثى، لكنه تفاوت لا يفضي إلى أي ظلم للأنثى أو انتقاص من إنصافها، بل ربما كان العكس هو الصحيح، ففي حالة ما إذا اتفق وتساوى الوارثون فى درجة القرابة، واتفقوا وتساووا فى موقع الجيل الوارث من تتابع الأجيال – مثل أولاد المتوفى، ذكورا وإناثا– يكون تفاوت العبء المالي هو السبب فى التفاوت فى أنصبة الميراث. ولذلك لم يعمم القرآن الكريم هذا التفاوت بين الذكر والأنثى فى عموم الوارثين، وإنما

---

665) **التحرير الإسلامي للمرأة: الردعلى شبهات الغلاة**. تأليف دكتور/ محمد عمارة. دار الشروق- القاهرة. الطبعة الأولى 1421 ه - 2002 م.

حصره فى هذه الحالة بالذات، فقالت الآية القرآنية: {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ}، ولم تقل: (يوصيكم الله فى عموم الوارثين). والحكمة فى هذا التفاوت، فى هذه الحالة بالذات، هى أن الذكر هنا مكلف بإعالة أنثى – هي زوجه– مع أولادهما، بينما الأنثى الوارثة – أخت الذكر– إعالتها، مع أولادها، فريضة على الذكر المقترن بها، فهي – مع هذا النقص فى ميراثها بالنسبة لأخيها– الذي ورث ضعف ميراثها، أكثر حظا وامتيازا منه فى الميراث، فميراثها – مع إعفائها من الإنفاق الواجب– هو ذمة مالية خالصة ومدخرة لجبر الاستضعاف الأنثوي، ولتأمين حياتها ضد المخاطر والمتقلبات. وتلك حكمة إلهية قد تخفى على الكثيرين. انتهى كلام الدكتور عمارة.

ونحن نقول بشكل عام أنه عند التماثل التام بين الوارثين في الزوج التصنيفي (مثلا أخ وأخت) فإن الإسلام يفضل الذكر على الأنثى، لكن عند الاختلاف في الزوج التصنيفي (مثلا أب وبنت) تقدم عوامل أخرى كالقرابة من المتوفى واستقبال الحياة أو استدبارها.

ولكن **لماذا أوجد الله تعالى بعض الاستثناءات من قاعدة تفضيل الذكر على الأنثى** فى حالة ما إذا كانا متناظرين، أى ينتميان إلى نفس الزوج التصنيفي [البنوة (ابن/ابنة)–الأبوة (أب/أم)– الأخوة (أخ/أخت)–الزوجية (زوج/زوجة)]؟ لدينا حالتان من هذا القبيل:

الحالة الأولى:

لماذا أعطى الله تعالى كلا من الأم والأب سدس تركة ابنهما المتوفى؟ لماذا لم تأخذ الأم نصف السدس؟

في رأينا أن نصف السدس نصيب صغير جدا. ولعل الله تعالى أراد أن يرفع نصيب الأم عما هو متوقع لعدة أسباب:

1– الأم في العادة تحزن على وفاة ابنها بشدة. ولا يختلف اثنان على أن عاطفة الأم أقوى من عاطفة الأب.

2– الابن هنا مات قبل أبويه، وسيكون هذا في كثير من الحالات لسبب غير متوقع كحادث أو حرب، أو مرض مفاجيء. وفي الغالب لن يموت الابن قبل والديه بسبب الشيخوخة. وهذا

عامل آخر يجعل حزن الأم على ابنها أكبر، ويجعلها بالتالى مستحقة لنصيب أكبر من التركة، لعله يخفف من أحزانها.

3- لو أعطيت الأم نصف نصيب الأب فسيكون نصيبها أقل من نصيب الزوجة لأن الزوجة تأخذ الثمن أو الربع (حسب وجود الأبناء أو عدمه). وقد تشعر الأم بالغضب من ذلك لاعتقادها بأنهن أولى بمال ابنها من زوجته لأنه قطعة منها، وهي التي حملته وربته، وعلمته. وكان على الشريعة أن تراعي ذلك.

لهذه الأسباب كان من الضروري مخالفة القاعدة العامة، وأن تعطى الأم نصيبا من الميراث أكبر من المتوقع. حقا كثيرا ما يعجز المال عن إذهاب كل الحزن، لكنه قادر على أن يخفف منه. ومن الممكن لأم المتوفى أن تستخدم الميراث في أداء فريضة الحج، أو تفريج كروب بعض أصدقائها الفقراء، أو المساهمة في غير ذلك من المشروعات الخيرية.

الحالة الثانية:

حالة الكلالة: والكلالة مصدر يشير إلى موت شخص دون أن يكون له والد ولا ولد. والميت يسمى كلالة، وورثته يسمون كلالة[666]. قال ابن زيد: الكلالة الميت الذي لا ولد له ولا والد، أو الحي، كلهم "كلالة"، هذا يَرِث بالكلالة، وهذا يورَث بالكلالة[667].

فإن مات الرجل، ولم يكن له ولد ولا والد، وكان له أخ أو أخت من الأم، فلكل منهما سدس التركة. وإن كان عدد الإخوة أكبر اشتركوا في ثلث التركة، مع تساوي نصيب الذكر والأنثى: {وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ} [النساء: 12].

وفي رأينا أن تساوي الأخ والأخت هنا سببه أن الإخوة من الأم كثيرا ما يشعرون بالبعد عن إخوتهم. فالمرأة إن كان لها زوج وأولاد، ثم مات زوجها أو طلقها، وأرادت أن تتزوج مرة أخرى،

---

666) في **لسان العرب** (11/ 594): الكَلالة مَصْدَرٌ يَقَعُ عَلَى الْوَارِثِ وَعَلَى الْمَوْرُوثِ، وَالْمَصْدَرُ قَدْ يَقَعُ لِلْفَاعِلِ تَارَةً وَلِلْمَفْعُولِ أُخرى، قَالَ ابْنُ الأَثير: الأَب وَالِابْنُ طرَفان لِلرَّجُلِ فإِذا مَاتَ وَلَمْ يخلِّفهما فَقَدْ مَاتَ عَنْ ذَهَابِ طرَفَيْه، فَسُمِّيَ ذَهَابُ الطرَفين كَلالة، وَقِيلَ: **كُلُّ مَا احْتَفَّ بِالشَّيْءِ مِنْ جَوَانِبِهِ فَهُوَ إِكْلِيل**، وَبِهِ سُمِّيَتْ، لأَن الوُرَّاث يُحيطون بِهِ مِنْ جَوَانِبِهِ.
وقال القرطبي: **الْكَلَالَةُ مَصْدَرٌ، مِنْ تَكَلَّلَهُ النَّسَبُ أَيْ أَحَاطَ بِهِ. وَبِهِ سُمِّيَ الْإِكْلِيلُ**، وَهِيَ مَنْزِلَةٌ مِنْ مَنَازِلِ الْقَمَرِ لِإِحَاطَتِهَا بِالْقَمَرِ إِذَا احْتَلَّ بِهَا. **وَمِنْهُ الْإِكْلِيلُ أَيْضًا وَهُوَ التَّاجُ وَالْعِصَابَةُ الْمُحِيطَةُ بِالرَّأْسِ**. فَإِذَا مَاتَ الرَّجُلُ وَلَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَا وَالِدٌ فَوَرَثَتُهُ كَلَالَةٌ.... **فَالْأَبُ وَالِابْنُ طَرَفَانِ لِلرَّجُلِ، فَإِذَا ذَهَبَا تَكَلَّلَهُ النَّسَبُ**. وَمِنْهُ قِيلَ: رَوْضَةٌ مُكَلَّلَةٌ إِذَا حُفَّتْ بِالنُّورِ. انظر: **"تفسير القرطبي"** (5/ 76).
وكلمة (كلالة) لا تثنى ولا تجمع لأنها مصدر، يُقَالُ رَجُلٌ كَلَالَةٌ وَامْرَأَةٌ كَلَالَةٌ [**"تفسير القرطبي"** (5/ 78)].

667) **تفسير الطبري** (8/ 60)

ففي الغالب ستذهب لزوجها الجديد وحدها، وتترك أولادها من زوجها الأول لأمها أو لبعض أقاربها أو لزوجها السابق كي يربوهم حتى لا يتضجر زوجها الجديد من أولاد ليسوا من صلبه. ولهذا ينشأ هؤلاء الأولاد، وهم يشعرون بالحرمان والظلم واليتم لأن أمهم تركتهم، وأولت اهتمامها ورعايتها لأبنائها من زوجها الجديد. والأخت بالذات تشعر بظلم أكبر لأن المرأة كما قلنا عاطفتها أقوى من عاطفة الرجل. ولهذا منحها الله تعالى نصيبا أكبر من المتوقع من الميراث، خلافا للقاعدة العامة المتمثلة في تفضيل الذكور على الإناث داخل نفس الزوج التصنيفي. وهذا النصيب الأكبر كفيل بتعويض الأخت من الأم عن شعورها بالمرارة والظلم، ويساهم في تقوية العلاقة الفاترة بينها وبين أسرة أخيها المتوفى.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

لماذ يأخذ الإخوة من الأم نصيبا أقل من الإخوة للأب؟

من المعروف أن الإخوة من الأم يأخذون من الميراث نصيبا أقل من نصيب الإخوة من الأب. فمثلا إن مات رجل دون والد ولا ولد، وكان له أخت واحدة من الأب فإن نصيبها يكون النصف، أما إن ترك أختا من الأم فإن نصيبها يكون السدس فقط. وهنا لا يمكن أن نقول أن الإسلام يريد أن يجعل المال في أيدي الذكور، أو يراعى الأعباء والنفقات الأكثر التي يتحملها الذكور، فما المبدأ المفسر هنا؟

السبب هو أن **الإنسان وأخيه لأبيه عادة ما يعيشان معا في نفس البيت، خلافا للإخوة من الأم**. إن الرجل إن ماتت زوجته فإن أولاده منها يبقون معه. وفي الغالب يتزوج الرجل من امرأة أخرى كي تخدمه وتخدمه ابنه. ولذا فالإخوة من الأب يعيشون مع أبيهم في نفس البيت. وبالمثل إن طلق الرجل زوجته فإن أولاده يذهبون ليعيشوا معه بعد سنوات قليلة من تربية أمهم لهم. وإن أرادت المطلقة الزواج، فإنها تتخلى عن حضانة أولادها لزوجها السابق من البداية، وسيصر الأب في نفس الوقت على أن يأخذهم حتى لا يتعرضوا للقسوة من زوج أمهم.

وإذا عاش الإخوة من الأب معا، فإنهم سيشتركون في نفس ظروف المعيشة، وسيعملون معا لمساعدة أبيهم في حقله أو حرفته، وسيشاركون بقدر متساو في تنمية ثروة أبيهم، وسيمثلون

جميعا مصدر حماية وقوة للأب في مواجهة أعدائه وأعداء الأسرة. ويترتب على هذا أن يصبح الإخوة من الأب أحق بنصيب أكبر من الميراث مقارنة بالإخوة من الأم. وهذا الكلام يصدق على الأخوات من الأب كما يصدر على الإخوة من الأب، فالبنت تعيش مع إخوتها من الأب في نفس ظروف المعيشة، كما تخدم أبيها وإخوتها الذين يساعدون أباهم، ولذا فهي تساهم في الدفاع عن أسرتها، وفي تنمية ثروتها بشكل غير مباشر.

أما المرأة، فإن مات زوجها، وكان لها منه أولاد، وأرادت أن تتزوج بعده، فإنها تترك هؤلاء الأولاد لأبويها أو أحد أقاربها أو أقارب زوجها الميت، لأن الزوج الجديد لن يكون سعيدا بوجود أطفال مع امرأته (وإن كان هناك استثناءات[668]). وفي أحيان كثيرة لا تتزوج مثل هذه الأرملة مرة أخرى، إما لأنها تفضل رعاية أولادها، أو لأن الرجال يكرهون الزواج من امرأة مثقلة بالأولاد. **ولهذا فالإخوة من الأم غالبا ما يعيشون متباعدين، فيكون الارتباط النفسي والاجتماعي بينهم أقل، ويكون ما بينهما من تعاون ودفاع مشترك أقل قوة.** ولهذا جعل الله تعالى نصيب الإخوة من الأم أقل من نصيب الإخوة من الأب. **ليس تعصبا للذكورة ضد الأنوثة، ولكن توازيا مع قوة العلاقة مع المتوفى.**

<u>إضافة مهمة:</u>

إن مات رجل، وترك أخا شقيقا، وأخا لأب، وأخا لأم، فإن الأخ من الأم يأخذ السدس (لأنه من أصحاب الفرائض)، والأخ الشقيق يأخذ بقية التركة، والأخ من الأب لا يأخذ شيئا. وهذا رأي جمهور الفقهاء، الذين قالوا أن الأخ الشقيق يحجب الأخ من الأب، أي يمنعه من الإرث. يقول ابن حزم معبرا عن إجماع الفقهاء: (فَإِنْ كَانَ أَخٌ شَقِيقٌ وَاحِدٌ فَأَكْثَرُ، وَمَعَهُ أُخْتٌ شَقِيقَةٌ فَأَكْثَرُ، أَوْ لَا أُخْتَ مَعَهُ: لَمْ يَرِثْ هَاهُنَا الْأَخُ لِلْأَبِ، وَلَا الْأُخْتُ لِلْأَبِ شَيْئًا. وَهَذَا نَصُّ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «فَمَا أَبْقَتْ الْفَرَائِضُ فَلِأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرٍ»][669].

ولا أظن أن توزيع الميراث بهذا الشكل يغضب الحركة النسائية لأن الإخوة من الأم فُضلوا على الإخوة من الأب. ولكن نحن لا يعنيا أن ترضى الحركة النسائية أو تغضب. نحن يعنينا ألا يُظلم

---

668) من قبيل هذه الاستثناءات ما نجده في قوله تعالى: {وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ} [النساء: 23]. فكلمة (ربائبكم) معناها الطفلة التي يربيها زوج الأم وهي صغيرة.
669) المحلى بالآثار (8/ 286)

مسلم. **وتوزيع التركة بالشكل السابق فيه ظلم فادح للأخ من الأب الذي حرم من الميراث، بينما أخذ الأخ من الأم السدس.** فهل من مخرج من هذا المأزق؟

نحن نقول بعون الله أن كل الفقهاء أجمعوا على أن آية الكلالة الثانية (النساء 176) تتحدث عن ميراث الإخوة الأشقاء، والإخوة من الأب لأن آية الكلالة الأولى (النساء 12) كانت تتكلم عن الإخوة من الأم. **ويترتب على ذلك أن الإخوة من الأب يكونون من أهل الفرائض، مثلهم مثل إخوتهم الأشقاء تماما. الآية لا تفرق بين أولئك وهؤلاء،** ومبدأ (قوة القرابة) الذي ينطبق على العصبة لا يسري هنا لأن الإخوة من الأب من أهل الفرائض. إن مبدأ قوة القرابة الذي بمقتضاه يحجب الأب الحفيد، ويحجب الأب الجد لا يسري بين الإخوة، ولو كان الأمر خلاف ذلك لكان الإخوة من الأم أولى بالحجب من الإخوة من الأب، أو يتساوون معهم في الاستحقاق للحجب لصالح الإخوة الأشقاء، ولما أنزل الله تعالى من الأصل آية النساء 12.

ويعبر ابن رشد عن إجماع الفقهاء قائلا: [وَأَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ مِنْ هَذَا الْبَابِ عَلَى أَنَّ الْأُخُوَّةَ لِلْأَبِ وَالْأُمِّ يَحْجُبُونَ الْإِخْوَةَ لِلْأَبِ عَنِ الْمِيرَاثِ قِيَاسًا عَلَى بَنِي الْأَبْنَاءِ مَعَ بَنِي الصُّلْبِ قَالَ أَبُو عُمَرَ: وَقَدْ رُوِيَ ذَلِكَ فِي حَدِيثٍ حَسَنٍ مِنْ رِوَايَةِ الْآحَادِ الْعُدُولِ، عَنْ عَلِيٍّ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قَالَ «قَضَى رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنَّ أَعْيَانَ بَنِي الْأُمِّ يَتَوَارَثُونَ دُونَ بَنِي الْعِلَّاتِ»].

وكلام ابن رشد معناه أن إجماع الفقهاء يستند إلى شيئين: قياس وحديث.

ونحن نقول: أما القياس، فهو فاسد شنيع لأن ابن الميت يحجب ابنه (حفيد الميت) لأن هذا الابن سيورث ابنه بعد مماته أو سينفق ما ورثه على ابنه فى حياته، أى أن الحفيد يستفيد بتركة جده بشكل غير مباشر. أما الأخ من الأب فلا يستفيد شيئا من المال الذى يرثه إخوته من الأب من أخيهم الشقيق المتوفي، وذلك لأن الأخ غير ملزم شرعا بالإنفاق على أخيه، ولن يرث منه شيئا في الغالب إذا مات.

أما الحديث الذي استند إليه الفقهاء، فهو ضعيف، فقد رواه الإمام أحمد: عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: " قَضَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالدَّيْنِ قَبْلَ الْوَصِيَّةِ، وَأَنْتُمْ تَقْرَءُونَ: {مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا

أَوْ دَيْنٍ} [النساء: 12] ، وَإِنَّ أَعْيَانَ بَنِي الْأُمِّ (الإخوة الأشقاء) يَتَوَارَثُونَ دُونَ بَنِي الْعَلَاتِ (الإخوة من الأب)". **وإسناده ضعيف لضعف الحارث– وهو ابن عبد الله الأعور**[670].

وعلى ذلك **فالقاعدة التى أجمع عليها الفقهاء لا يوجد دليل عليها من القرآن، وهى تقوم على قياس فاسد وحديث غير صحيح.** كما أنها تؤدي إلى أمور شنيعة، إذ أن الإنسان إن مات وترك إخوة أشقاء وإخوة من أم وأخ من أب فإن الأخ من الأب لن يحصل على أى نصيب، بينما إخوة الميت من أمه سيحصلون على الثلث مع أن صلتهم بالميت أقل قوة من أخيهم من الأب.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

ميراث العصبة: هل يشوبه ظلم؟

كلمة (العَصَبة) تشير إلى ورثة الميت من غير " أصحاب الفرائض". و" أصحاب الفرائض" هم الورثة الذين نص الله على حقوقهم من الميراث، كالزوجة التي تأخذ الثمن أو الربع، والأم التي تأخذ السدس أو الثلث، والبنت التي تأخذ النصف إن كانت وحدها. **فإن بقي جزء من تركة الميت بعد أن يأخذ أصحاب الفرائص حقوقهم وزعت التركة على العصبة** طبقا للحديث الشريف: «أَلْحِقُوا الفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا، فَمَا بَقِيَ فَهُوَ لِأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرٍ» رواه البخاري.

والعصبة بالنفس هم **الذكور الذين لا يرتبطون بالميت بواسطة أنثى.** وهم يُرتبون حسب قربهم من الميت، فالذكر الأقرب للميت هو الأحق بما تبقى من الميراث. والأقرب من العصبة للميت هم الأبناء (وأبناء الأبناء)، يليهم الآباء (والأجداد)، ثم الإخوة (وأبناء الإخوة)، ثم الأعمام (وأبناء الأعمام)[671].

---

670) وأخرجه ابن أبي شيبة 160/10 و402/11-403، وابن ماجه (2715) ، وأبو يعلى (625) من طريق وكيع، بهذا الإسناد. وأخرجه عبد الرزاق (19003) ، والترمذي (2094) ، وابن الجارود (950) ، والطبري 280/4-281، والدارقطني 86/4-87، والحاكم 336/4 من طرق عن سفيان الثوري، به. انظر تعليق المحققين على **"مسند أحمد"** (2/ 331).

671) العصبة أصناف ثلاثة: عصبة بالنفس (وهذه هي الأهم)، وعصبة بالغير، وعصبة مع الغير.

والعصبة بالنفس: هي كل ذكر لايدخل في نسبته إلى الميت أنثى، وهى أصناف أربعة، وترث حسب الترتيب الاتي:

1 - البنوة وتشمل الابناء وأبناء الابن وإن نزل. 2 - فإن لم توجد جهة البنوة انتقلت التركة أو ما يتبقى منها إلى جهة الابوة وتشمل الاب والجد الصحيح وان علا. 3 - فإن لم يكن أحد من جهة الابوة حيا استحق التركة أو ما بقي منها الاخوة وتشمل الاخوة لابوين والاخوة لاب وأبناء الاخ لابوين وأبناء الاخ لاب وان نزل كل منهما. 4 - فإذا لم يكن أحد من هذه الجهة حيا انتقلت التركة أو الباقي منها إلى جهة العمومة من غير فرق بين عمومة الميت نفسه أو عمومة أبيه أو جده، إلا أن عمومة الميت نفسه تقدم على عمومة أبيه وعمومة أبيه تقدم على عمومة جده وهكذا.

فإن وجد أشخاص متعددون من مرتبة واحدة كان أحقهم بالارث أقربهم إلى الميت. وان وجد أشخاص متعددون تساوت نسبتهم إلى الميت من حيث الجهة والدرجة كان أحقهم بالارث أقواهم قرابة. فإذا ترك الميت أشخاصا متساوين في نسبتهم إليه من حيث الجهة والدرجة والقوة استحقوا على السواء بحسب رؤوسهم. وهذا هو معنى ما يقول الفقهاء: إن التقديم في العصبات بالنفس يكون **بالجهة** فإن اتحدت **فبالدرجة** فإن تساوت **فبالقوة** فإن اتحدت في الدرجة والجهة والقوة استحقوا على السواء ووزعت التركة بينهم على عددهم.

والعصبة بالغير هي الانثى التي يكون فرضها النصف في حالة الانفراد والثلثين إذا كانت معها اخت لها فأكثر، فإذا كان معها أو معهن أخ صار الجميع حينئذ عصبة به وهن أربع: 1 - البنت أو البنات. 2 - بنت أو بنات الابن. 3 - الاخت أو الاخوات الشقيقات. 4 - الاخت أو الاخوات لاب.

وَقَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ -كما يقول النووي- عَلَى أَنَّ مَا بَقِيَ بَعْدَ الْفُرُوضِ فَهُوَ لِلْعَصَبَاتِ يُقَدَّمُ الْأَقْرَبُ فَالْأَقْرَبُ فَلَا يَرِثُ عَاصِبٌ بَعِيدٌ مَعَ وُجُودِ قَرِيبٍ فَإِذَا خَلَّفَ بِنْتًا وَأَخًا وَعَمًّا فَلِلْبِنْتِ النِّصْفُ فَرْضًا وَالْبَاقِي لِلْأَخِ وَلَا شَيْءَ لِلْعَمِّ.[672]

هذه فكرة العصبة بشكل مبسط. والسؤال الآن: **لماذا تكون العصبة من الذكور فقط؟ ولماذا تكون بالتحديد من الذكور الذين لا يرتبطون بالميت عن طريق أنثى، فيرث العم ولا يرث الخال، ويرث ابن الأخ ولا يرث ابن الأخت؟**

من السهل أن نفهم لماذا تكون العصبة بالنفس من الذكور فقط، فهذا يسير مع الخط الإسلامي العام الذي يفضل الذكور في الميراث لكثرة أعبائهم المالية. أما عن اشتراط عدم ارتباط الذكر بالميت بواسطة أنثى كي يرث، فنحن نقول بفضل الله تعالى أن الإنسان يرتبط بأقارب أبيه أكثر من ارتباطه بأقارب أمه، فمثلا العم أقرب للإنسان من الخال، وابن العم أقرب للإنسان من ابن الخال، وهكذا.

وسبب قوة الصلة بالأقارب من جهة الذكور هو أنهم فى العادة يعيشون بالقرب من بعضهم البعض، فالابن يعيش فى الغالب بجوار أبيه، وفى القرى كان الشاب يتزوج ليس فى بيت مستقل، ولكن فى غرفة داخل بيت أبيه. أما البنت ففى الغالب تترك بيت أبيها، وتعيش مع زوجها فى بيت بعيد أو فى بلد آخر، وقليلا ما تظل بجوار بيت أبيها، وكثيرا ما تنسى أسرتها. أعرف مصريات تزوجن في السعودية، وبعد عشرين سنة صارت الواحدة منهن لا تختلف عن السعوديات في شيء، ولم تعد تذهب لمصر إلا مرة واحدة كل عام أو عامين، وعلاقتها شبه مقطوعة مع أهلها رغم عدم وجود خلافات معهم، ولكن البعد الجغرافي يورث أثرا نفسيا واجتماعيا. وهذه الظاهرة لا بد أنها كانت أوضح في الماضي حين كان السفر أكثر مشقة وتكلفة وخطورة. ولما كنا أطفال كنا نلاحظ أن أولاد العم فى القرية قريبين جدا من بعضهم، فكل منهم يعمل مع أبيه فى حقل جده، أو يعمل فى حقل أبيه الذى يجاور حقل عمه (لأن كلا من العمين ورث قطعة أرض من نفس الأب).

فكل صنف من هذه الاصناف الاربعة يكون عصبة بغيره وهو الاخ ويكون الارث بينهم للذكر مثل حظ الانثيين

والعصبة مع الغير هي كل انثى تحتاج في كونها عاصبة، إلى انثى اخرى وتنحصر العصبة مع الغير في اثنتين فقط من الاناث وهي: 1 - الاخت الشقيقة أو الاخوات الشقيقات مع البنت أو بنت الابن. 2 - الاخت لاب أو الاخوات لاب مع البنت أو بنت الابن، ويكون لهن الباقي من التركة بعد الفروض. انظر: **"فقه السنة"** (3/ 626)

672) شرح النووي على مسلم (11/ 53).

ولا شك أن الابن أيضا قد يترك والديه، ويعيش فى بلد آخر بجوار مكان عمله، ويتزوج هناك، لكن هذا كان نادر الحدوث في الماضي (بسبب قوة القبيلة والأسرة الممتدة)، ولا يزال حتى الآن قليل الحدوث مقارنة بالمرأة التي تبتعد غالبا عن أهلها بعد الزواج. وإذا نظرت إلى أى قرية من قرانا فقد تجد أن حوالي 20% من الزوجات من خارج القرية، لكنك لن تجد رجلا ترك قريته، وذهب ليعيش مع زوجته في قريتها إلا نادرا.

وعلى ذلك **فالقرابة البيولوجية ليست هي المبدأ الوحيد الحاكم لتوزيع الميراث في الإسلام، فها هي فكرة العصبة تظهر أن القرابة الاجتماعية يجب أن تؤخذ في الاعتبار**. والقرابة الاجتماعية هي نوع من أنواع الجوار. وقد أحسن الإسلام حين فعل ذلك لأن الأقارب الذين يعيشون معا يعاون كل منهم الآخر، ويشارك بعضهم بعضا في الأفراح والأتراح، ويدافع كل منهم عن الآخر في أوقات الأزمات. وهذه الوحدة الاجتماعية توجب أن يكون لها مقابل في توزيع الميراث. ودعك من مجتمعا اليوم الذي ابتلي بداء التفسخ، فالمفترض أن يكون المجتمع المسلم في حالة تكافل وتعاون وتواد، وهذا يجعل فكرة العصبة أوضح.

ويجب أن نقر أن الأمور لا تسير دائما على هذا المنوال. فقد تكون عمة المتوفى أكثر حبا له وأكثر برا به وبأولاده مقارنة بعمه، ومع ذلك يرث العم، ولا ترث العمة كعصبة. وما كان للإسلام أن يفعل غير ذلك لأن **من المستحيل تفصيل المواريث حسب حالة كل شخص.** من المستحيل أن يموت الرجل فتجتمع لجنة لتبحث عن أقاربه الذين كانوا على علاقة أقوى به، ثم ترتبهم حسب قوة الصلة به، ثم توزع التركة على هذا الأساس. سيختلف أعضاء هذه اللجنة حتما لأنهم لن يكونوا على دراية بكثير من التفاصيل الخفية بين الأقارب، ومن بينها أمور لا يمكن الإفصاح عنها. وحتى إن توصلت اللجنة لقرار عادل فسيتعرض قرارها للطعن والغمز واللمز، ولن يرضى عنه أحد لأن الحق في العادة لا يكون شديد الوضوح. **ولهذا كان الحل أن يوزع الميراث طبقا لقواعد عامة تسري على أغلب الحالات، فهذا أفضل من تحويل عملية الميراث إلى فوضى عارمة.**

وهناك عامل آخر جعل الإسلام يفضل الذكور على الإناث في ميراث العصبة: إن **أحد المبادىء التى تحدد توزيع الميراث هو الحماية التى يقدمها الناس لبعضهم فى الدنيا، فمن كان يوفر للميت حماية أكبر في حياته كان مستحقا لنصيب أكبر من الميراث**. والدليل على هذا

أن القرآن أقر ظاهرة كانت موجودة فى الجاهلية، حيث كان الرجل يحالف رجلا آخر مقابل أن يجعل له نصيبا من الميراث بعد وفاته: {وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا} [النساء: 33]. وأورد الطبرى عدة روايات عن هذه الظاهرة (ظاهرة الحماية مقابل الميراث):

عن ابن عباس: (كان الرجل يعاقد الرجل: أيُّهما مات ورثه الآخر. فأنزل الله: (وَأُولُو الأرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا) [سورة الأحزاب: 6] ، يقول: إلا أن يوصوا لأوليائهم الذين عاقدوا وصيةً، فهو لهم جائز من ثلث مال الميت. وذلك هو المعروف.

وعن قتادة: (كان الرجل يعاقد الرجل في الجاهلية فيقول:"دمي دمُك، وهَدَمي هَدَمك، وترثني وأرثك، وتطلب بي وأطلب بك"، فجعل له السدس من جميع المال في الإسلام، ثم يقسم أهل الميرات ميراثهم. فنسخ ذلك بعد في"سورة الأنفال" فقال الله: (وَأُولُو الأرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ) [سورة الأنفال: 6][673]. ولسنا مضطرين للقول بالنسخ لأن من الممكن للإنسان أن يوصي لحليفه بنصيب من ثلث تركته كما يقول ابن عباس. ومن المعروف أن كل إنسان يحق له أن يوصي بثلث تركته، ويوزع الباقي على الورثة.

وعن ابن عباس: إن الرجل في الجاهلية قد كان يلحق به الرجل فيكون تابعه، فإذا مات الرجل صار لأهله وأقاربه الميراث، وبقي تابعه ليس له شيء، فأنزل الله:"والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم"، فكان يعطى من ميراثه، فأنزل الله بعد ذلك: (وَأُولُو الأرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ)[674].

وفي صحيح البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «كَانَ المُهَاجِرُونَ لَمَّا قَدِمُوا المَدِينَةَ يَرِثُ المُهَاجِرِيُّ الأَنْصَارِيَّ، دُونَ ذَوِي رَحِمِهِ لِلْأُخُوَّةِ الَّتِي آخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُمْ»، فَلَمَّا نَزَلَتْ: {وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ} [النساء: 33] نُسِخَتْ، ثُمَّ قَالَ: (وَالَّذِينَ عَاقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ) مِنَ النَّصْرِ وَالرِّفَادَةِ وَالنَّصِيحَةِ، وَقَدْ ذَهَبَ المِيرَاثُ وَيُوصِي لَهُ.

---

673) تفسير الطبري (8/ 275).
674) تفسير الطبري (8/ 277).

وظاهرة التحالف مقابل الميراث تقدم أساسا منطقيا لمبدأ توريث العصبة في الإسلام. **وفى العادة من يقدم الحماية للإنسان هم أقاربه الذكور خاصة من كانوا من جهة الذكور، وذلك لأن الأنثى في العادة ضعيفة، ولا تقدر على حماية أحد، فالعم أقوى من العمة، وابن الأخ أقوى من بنت الأخ. ولهذا جعل الله تعالى ما يتبقى من الميراث يذهب لأقرب الذكور، وليس أقرب الإناث.**

كلمة السر: الثقة في الله

قال أحد الملحدين: لماذا ترفض المرأة المسلمة أن تُعطَى نصف راتب زميلها في العمل، بينما تقبل أن تأخذ نصف ميراث أخيها؟

رددت عليه: المسلمة ترضى بأن يكون نصيبها من الميراث أقل من نصيب أخيها، لأنها تعلم أن من وزع الميراث هو الله الذي لا يظلم أحدا، فرضاها نابع من ثقتها في الله الذي يعرف أي الأقارب أحق بنصيب أكبر من الميراث، تماما مثلما يرضى الأبناء بالجوع، بينما ينفق أبوهم مبالغ طائلة على أخيهم المصاب بمرض مزمن في الكلى. وفي المقابل من حق الموظفة أن تتهم صاحب الشركة باتباع الهوى إن رأته يفضل عليها زميلا، يؤدي نفس العمل بنفس الكفاءة. آمن بالله أولا، وستختفي كل الشبهات.

ولنعلم أن الميراث في الإسلام لا يتحدد بواسطة مبدأ واحد. هناك عدة مباديء، تعمل معا. وقد مزج الله تعالى هذه المباديء، لتخرج لنا في النهاية شريعة الميراث، التي هي أفضل الممكن بالنسبة بالبشر.

لقد كان علينا أن ننتبه إلى **آخر آية تكلمت عن المواريث** في سورة النساء. وتأملوا الجملة الأخيرة جيدا: {يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [النساء: 176]. لقد أخبرنا الله تعالى بعد أن تكلم عن طريقة توزيع الميراث أنه لا يريد لنا أن نضل، وأخبرنا أنه بكل شيء عليم. **ألا تجعلنا هذه الجملة الرائعة نتواضع قليلا، ونترك أمر الميراث لله**، ويرضى كل منا بما قسم الله له؟ إن من آمن أن الله يعلم كل شيء، وأن علمه عز وجل أكبر من علمنا، فلا بد أن يتقبل الشريعة كما هي. إن الله تعالى هو الحكم العدل، ومن المستحيل أن يظلم المرأة أو يحابي

الرجل. لقد وزع الإله الميراث على الناس طبقا لحِكمة، قد تكون واضحة، وقد تكون خافية، وعلينا فى كل الأحوال أن نسمع ونطيع.

"**السمع والطاعة**": **تلك هي الكلمة الأخيرة.**

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

شمعة في وسط الظلام

لم تكن الشعوب القديمة دوما معادية للمرأة، فقد كانت تمنحها أحيانا حقوقا كبيرة، حتى أنها وصلت في بعض الأوقات إلى تولي الملك. لكن الإسلام يختلف في أنه دين، والدين تحركه مبادىء ثابتة، أما **البشر فتتقلب أفئدتهم، فيقسون على المرأة حينا، ويرحمونها حينا، ويغلبونها حينا، وتغلبهم حينا**، لكن في الإسلام لا يمكنك أن تجد تشريعا واحدا يبدو ظالما للمرأة إلا ووراءه حكمة جليلة.

وعلى ذلك فمن الخطأ أن يتصور البعض أن المرأة لم تر يوما حلوا قبل الإسلام. لقد وُجد الخير دائما بجوار الشر في كل الأمم، ولم يعرف التاريخ شعبا كله أشرار، فالبشر خليط بين الملائكة والشياطين، كما أن الشعوب القديمة وصلها دين الله مع الأنبياء، ولما حُرف الدين بقي منه بعض النور، الذي أضاء للناس الطريق بشكل خافت. ولهذا سنجد عند أغلب الشعوب قسوة على المرأة ورحمة بها، رغم أن الطابع العام يميل نحو ظلمها.

ماذا فعل الإسلام إذن للمرأة ؟

الإسلام دين، ومن أنزله هو خالق الرجل والمرأة، وهو الوحيد الذي له الحق في أن يحدد للمرأة ما الذي تفعله، وما الذي لا تفعله، فالصانع أدرى بما صنع، والمخترع أعلم بما اخترع. والإسلام كذلك هو الدين الوحيد الذي لم ينله تحريف. ولذا فهو الحق الخالص، والعدل المطلق. الإسلام يشهد على سلوك الناس، ويحكم على تقاليد الشعوب، فيقول: هذا حق وذاك باطل. الإسلام هو الحق الكامل، وأقصى ما يصل إليه الآخرون أن يصيبوا حينا، ويخطئوا حينا.

وأكثر الشعوب التي علت فيها مكانة المرأة في العالم القديم هو الشعب المصري في عهد الفراعنة كما يقول القاموس التاريخي لمصر القديمة.[675] فلنتخذه نموذجا للدراسة والمقارنة مع الإسلام.

---

675) **Morris L. Bierbrier**. Historical dictionary of Ancient Egypt. Page 257. Second edition. The Scarecrow Press, In, USA, 2008.

علو مكانة المرأة في مصر القديمة

من خلال الأدلة القليلة المتاحة بَيَّن العلامة الأستاذ سليم حسن أنه **في عهد الدولة الفرعونية القديمة** كانت المرأة قادرة مثل الرجل على **تملك العقارات**، وكانت تتصرف بحرية في ممتلكاتها بالوصية أو الهبة، ولم تكن أملاكها تختلط بأملاك زوجها أو أملاك أولادها. وكان **الرجل يقسم تركته بالتساوي تقريبا** بين أولاده الذكور والإناث، لكننا نراه أحيانا يكتب وصية بمنح أحد الأولاد نصيبا أكبر من الآخرين. وكان الرجل يعطي زوجته من الميراث نصيبا يفوق في الغالب كل واحد من الأولاد. وكانت الزوجة تُرسم أحيانا في الأسرة الثالثة والرابعة على قبر زوجها بنفس حجم زوجها، مما يدل على أنها كانت مساوية له في المكانة والحقوق. ومن أمارات النزعة الفردية في العائلة أن الملكات في الأسرة الرابعة كان لهن مقابرة منفصلة عن مقابر الملوك، وكان للملكات وكبار رجال الدولة شعائرهن وقرابينهن الخاصة المنفصلة عن أزواجهن.[676]

ويبدو أن المرأة **في عصر الدولة الوسطى** لم تكن تملك التصرف في أموالها، وإن كانت قد استردت حقها في الإرث. وقد كانت ولاية التصرف في ذلك العهد للزوج، أو الابن الأكبر، أو الوصي الذي يختاره الزوج. **وكان نظام التوريث في أسر نبلاء هذا العصر يأتي عن طريق الإناث لا الذكور، فلم يكن الابن هو الذي يرث، وإنما ترث كبرى البنات. وكانت هذه العادة ثابتة قوية**، اختلطت بدم الشعب المصري حتى أن "والد أمه" كان لا يزال يعد في الأسرة التاسعة عشرة وصيا طبيعيا على الشاب الناشيء، وإذا هيأ الموظف لنفسه حياة موفقة ناجحة فإن جده لأمه هو الذي كان يشاركه أفراحه[677].

ويقول ويل ديورانت عن الفراعنة: «وكان مركز المرأة عندهم أرقى من مركزها عند كثير من الأمم في هذه الأيام. وفي ذلك يقول ماكس ملر: "**ليس ثمة شعب قديم أو حديث قد رفع منزلة المرأة مثل ما رفعها سكان وادي النيل**". فالنقوش تصور النساء يأكلن ويشربن بين الناس، ويقضين ما يحتجنه من المهام في الشوارع من غير رقيب عليهن ولا سلاح بأيديهن، ويمارسن الأعمال الصناعية والتجارية بكامل حريتهن.... وكان النساء يمتلكن ويورثن، كما تشهد بذلك وثيقة من

---

676) **مصر القديمة**. الجزء الثاني (في مدنية مصر وثقافتها في الدولة القديمة والعهد الأهناسي). تأليف سليم حسن. صفحة 505، 506، 510. الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1992م

677) **موسوعة الحضارة المصرية القديمة**. تأليف دكتور سمير أديب. صفحة 722.

أقدم الوثائق في التاريخ، وهي وصية من عهد الأسرة الثالثة توصي فيها السيدة نب– سنت بأرضها لأبنائها. وقد ارتقت حتشبسوت وكليوبطرة عرش مصر، وحكمتا وخربتا كما يحكم الملوك ويخربون»[678]. وفي نصيحة بتاح حوريب لابنه: «إذا كنت ناجحا، وأَثثت بيتك، وكنت تحب زوجة قلبك، فاملأ بطنها واكس ظهرها ... وادخل السرور على قلبها طوال الوقت الذي تكون فيه لك، ذلك أنها حرث نافع لمن يملكه ... وإذا عارضتها كان في ذلك خرابك[679]»

وتقول ليزا سباحي الأستاذ بالجامعة الأمريكية عن حقوق المرأة في مصر القديمة: «وقد تمتعت النساء بالمساواة القانونية مع الرجال، فقد كان باستطاعتهن أن يرثن، وأن يوصين بأموالهن بعد الوفاة كما يحلو لهن. وكان بإمكانهن أن يبِعن ويشترين ويتاجرن، وإن كان الرجال هم الشركاء في المجال العام، الذين يتولون إدارة الأعمال **وعقد الصفقات بالنيابة عن زوجاتهم**. وكان باستطاعة المرأة أن ترفع قضية أمام المحكمة، وأن تكون شاهدة. كما كانت **تعاقَب بعقوبات مماثلة لعقوبات الرجال**. وإن طُلقت المرأة كانت **تحتفظ بممتلكاتها، كما كانت تحصل على ثلث الملكية الجماعية**. وفي العصور المتأخرة كان بإمكان المرأة أن **تشترط في عقد الزواج حصولها على مبلغ معين من المال إن طُلقت**»[680].

وكان الطلاق متاحا بحرية، لكن كانت تقف في طريقه العقبات الاقتصادية والاجتماعية[681]. **وكان من حق المرأة البدء في إجراءات الطلاق، وهذا أحد أوضح الدلائل على تمتعها بحقوقها القانوية في مصر القديمة**[682].

وذكرت موسوعة مصر القديمة أن الزوجة كانت في حالة الطلاق تأخذ المهر الذي سبق أن مُنح لها عند الزواج. وفي بعض الحالات كان على الزوج أن **يعطيها ثلث الممتلكات المكتسبة أثناء الزواج**. وفي حالات أخرى كان **الزوج يضطر لدفع نفقة لمطلقته**. لكن **إن ثبتت تهمة الزنا على الزوجة سقطت كل حقوقها القانونية بعد الطلاق** من على الزوج[683]. ويلاحظ أن عقود

---

678) قصة الحضارة (2/ 96)

679) قصة الحضارة (2/ 97)

680) Lisa Sabbahy. Women, Pharaonic Egypt. The Encyclopedia of Ancient History, First Edition. Edited by Roger S. Bagnall, Kai Brodersen, Craige B. Champion, Andrew Erskine, and Sabine R. Huebner, print pages 7126–7128. Blackwell Publishing Ltd. Published 2013 by Blackwell Publishing Ltd. DOI: 10.1002/9781444338386.wbeah15420

681) Historical Dictionary of Ancient Egypt. Page 136.

682) Living in Ancient Egypt. Page 43. Series consultant editor: Norman Bancroft Hunt. Chelsea House, An imprint of Infobase Publishing. Printed in China, 2009.

683) See also: **Historical Dictionary of Ancient Egypt**. Page 136

الزواج التي وصلت إلينا كتبت في فترة متأخرة بعد سقوط الدولة الحديثة. ومن غير الممكن أن نجزم هل بنود هذه العقود مجرد اتفاقات ارتضاها الزوجان، أم بنود فرضها القانون[684].

وتقول الموسوعة البريطانية: «كان الوضع القانوني للمرأة أقل من الرجل بشكل هامشي. كان بإمكانهن أن يتملكن ويتصرفن في ممتلكاتهن، **وكان في استطاعتهن الشروع في الطلاق** وغيره من الإجراءات القانونية. ونادرا ما شغلن منصبا إداريا، لكنهن صرن ينخرطن بشكل متزايد في المناصب الدينية ككاهنات ومنشدات»[685].

ومن أروع ما خلفه لنا الأدب المصري القديم ما قاله الحكيم "**آنى**" **عن الأم:** «أعط المزيد من الخبز لأمك، واحملها كما حملتك. لقد كنت عبئا ثقيلا عليها. وحين ولدت بعد إتمام أشهرك حملتك على عنقها، وظل ثديها في فمك ثلاث سنين كاملة. ولم تكن تشمئز من قذارتك، ولم تقل (ماذا أفعل)؟ إنها أدخلتك المدرسة لتتعلم الكتابة، وظلت تنتظرك في كل يوم تحمل إليك الخبز والجعة من منزلها. وعندما تصبح شابا، وتتخذ لك زوجة وتستقر في منزلك، فضع نصب عينيك كيف ولدتك أمك، وكل ما فعلته من أجل تربيتك. ولا تجعلها توجه اللوم إليك، وترفع يديها إلى الله لئلا يستمع إلى شكواها»[686]. **وأغلب الظن أن الحكيم آنى ما هو إلا نبي**، بعثه الله تعالى إلى المصريين القدماء، لينير لهم الطريق، فضاع من رسالته ما ضاع، وبقي منها ما بقى، وحُرف منها ما حُرف.

وقد وجد رسم على أحد جدران مقابر عصر الدولة القديمة يمثل أم المتوفى إلى جانب زوجته على حين تهمل صورة أبيه[687]. وقد استنتج البعض من ذلك أن الأبناء كانوا يقدرون أمهاتهم أكثر من تقديرهم لآبائهم. لكن نحن نرى أن هذا ليس صحيحا بالضرورة، إذ ربما يتوفى الأب وابنه صغير، فينشأ الطفل، ولا يعرف أحدا في الدنيا غير أمه، فيكون من الطبيعي أن يرسم صورتها، وليس صورة أبيه. وربما رأى الابن أباه، واعترف بفضله، لكن الأب مات منذ سنوات، ولم يكن حيا وقت رسم الصورة، فيستحيل على الرسام أن يصوره من الخيال.

684) Encyclopedia of Ancient Egypt. Page 227

685) Wente, E. F. , Baines, . John R. , Bowman, . Alan K. , Dorman, . Peter F. and Samuel, . Alan Edouard. "ancient Egypt." Encyclopedia Britannica, November 8, 2022. https://www.britannica.com/place/ancient-Egypt.

686) موسوعة الحضارة المصرية القديمة. صفحة 721.

687) موسوعة الحضارة المصرية القديمة. صفحة 721.

ويرى ويل ديورانت أن مكانة المرأة ارتفعت عند الفراعنة بسبب ضعف شخصية الرجل، وامتلاك المرأة لكل ثروة الأسرة:

«ويرجح أن هذه المكانة السامية التي كانت للمرأة إنما نشأت من أن **المجتمع المصري كان أميل إلى تغليب سلطان الزوجة على سلطان الزوج** بعض الشيء. وشاهد ذلك أن المرأة لم تكن لها السيادة الكاملة في بيتها وكفى، بل إن الأملاك الزراعية كلها كانت تنتقل إلى الإناث؛ وفي ذلك يقول بيترى: "لقد كان الزوج حتى في العهود المتأخرة ينزل لزوجته في عقد زواجه عن جميع أملاكه ومكاسبه المستقبلة". ولم يكن سبب زواج الأخ بأخته أن وجودها معه قد ملأ بحبها قلبه، بل كان سببه أن الرجال كانوا يبغون أن يستمتعوا بميراث الأسرة الذي كان ينحدر من الأم إلى البيت، ولا يريدون أن ينعم الغرباء بهذه الثروة»[688]. «ولشد ما دهش الرحالة اليونانيون- وقد اعتادوا أن يضيقوا على نسائهم السليطات- من هذه الحرية، وأخذوا **يسخرون من الأزواج المصريين الذين تتحكم فيهم زوجاتهم**. ويقول ديودور الصقلي- ولعله يهدف بقوله هذا إلى السخرية من المصريين- إن **طاعة الزوج لزوجته في وادي النيل كانت من الشروط التي تنص عليها عقود الزواج**»[689]

إذن يرى البعض أن **مكانة المرأة في الحضارة الفرعونية لم تنبع من الاعتقاد بالمساواة بين الرجل والمرأة، وإنما نتيجة ضعف شخصية الرجل**، الذي يستتبع بالضرورة قوة نسبية للمرأة، فيتصور البعض أن هذا تفضل وتكرم من الرجال على النساء. على الأقل هذا احتمال وارد.

أيا كان الأمر، فإنك **<u>إن نظرت إلى الإسلام لوجدت أنه رد للمرأة كثيرا من الحقوق رغم أن كل الظروف وقتها كانت في صالح الرجال</u>**. لقد كان العرب عامة هم قادة المجتمع المسيطرون على كل شيء، وكانوا يتشددون في الرقابة على النساء. وكان الرسول عليه الصلاة والسلام الذي حمل للمسلمين الشريعة رجلا من قريش، التي عرفت بقوة رجالها إزاء نسائهم كما قال عمر بن الخطاب: «كنا مَعَاشِرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ نِسَاءَنَا»[690]. وكان المسلمون في حالة توتر سياسي دائم وصراعات عسكرية لا تنتهي مع أعداء لا حصر لهم داخل الجزيرة العربية وخارجها، وهذه

688) قصة الحضارة (2/ 97)
689) قصة الحضارة (2/ 96)
690) هذه الرواية صحيحة كما قال شعيب الأرنؤوط. انظر: **"الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان"** (9/ 494).

الحروب المتواصلة تعلي ولا شك من قيمة الرجال، وتقلل من قيمة النساء لأن الرجال هم الذين يحملون السلاح. **ولو كان من الجائز للرسول حينئذ أن يسترضي أحدا لكن أحرص على استرضاء الرجال، الذين يضحون بأرواحهم وأموالهم في سبيل قضيته.** كذلك لو أتت الشريعة بقوانين ضد المرأة لما ثار عليها أحد لأن الناس – رجالا ونساء– كانوا يؤمنون أنها من الله، وليست من الناس، فكانوا يرضخون لها دون مناقشة تذكر. ورغم كل هذه الظروف غير المواتية للمرأة رد الإسلام للنساء كرامتهن وحقوقهن.

لكن يبدو أن هناك سببا آخر لارتفاع مكانة المرأة في مصر القديمة، ألا وهو انتشار الانحلال والإباحية في المجتمع. يقول ويل ديورانت:

> «**وحتى في مسائل الخطبة كانت المرأة هي البادئة.** وشاهد ذلك أن ما وصل إلينا من قصائد الغزل ورسائل الحب أغلبه موجه من المرأة إلى الرجل، **فهي التي تطلب تحديد مواعيد اللقاء، وهي التي تتقدم بالخطبة إلى الرجل مباشرة، وهي التي تعرض عليه الزواج صراحة.** وقد جاء في إحدى هذه الرسائل: " أي صديقي الجميل؛ إني أرغب في أن أكون، بوصفي زوجتك، صاحبة كل أملاكك". ومن ثم نرى أن الحياء– وهو أمر يختلف عن الوفاء– لم يكن من صفات المصريين البارزة، فقد كانوا يتحدثون عن الشئون الجنسية بصراحة لم نعهدها في التقاليد الأخلاقية المتأخرة عن عهدهم، وكانوا يزينون هياكلهم بصور ونقوش غائرة تظهر فيها أجزاء الجسم كلها واضحة أتم الوضوح، وكانوا يقدمون لموتاهم من الأدب الفاحش ما يسليهم في قبورهم»[691]

ونحن نؤكد أن المجتمع المنحل يتهاون مع المرأة، ويترك لها الحبل على الغارب، فيفسر البعض ذلك على أنه حرية للمرأة. ولو جاز قبول هذا المنطق لكان علينا أن نعد المجتمع الذي يبيح الدعارة والرقص الشرقي مجتمعا فاضلا لأنه يمنح النساء الحرية!

بيد أن الوضع في مصر القديمة لم يبق على ما كان عليه، إذ أن «**سلطان المرأة قد نقص قليلا على مر الزمن،** ولعل سبب هذا النقص هو أثر التقاليد الأبوية التي أدخلها الهكسوس، وأثر انتقال البلاد من عزلتها الزراعية ومن حال السلم إلى طور الاستعمار والحرب. وزاد نفوذ اليونان

691) قصة الحضارة (2/ 98)

في أيام البطالمة زيادة أصبحت معها حرية الطلاق، وهي التي كانت تطالب بها المرأة في الأزمنة السابقة، حقا خالصا للزوج لا ينازعه فيه منازع. بيد أنه حتى في ذلك الوقت لم يقبل هذا التطور إلا الطبقات العليا من أهل البلاد، أما عامة الشعب فقد ظلت مستمسكة بالتقاليد القديمة»[692].

المرأة الفرعونية امرأة تقليدية

كانت المرأة بشكل عام في مصر القديمة امرأة تقليدية تماما، ومن الصعب جدا أن ترضى الحركة النسائية عن أوضاعها.

ذكر الأستاذ سليم حسن أنه في عهد الأسرة السادسة «**نجد تطورا رجعيا في حقوق الزوجة، فأصبحت مكانتها ثانوية، ونقص استقلالها الشرعي تدريجيا حتى فقدته نهائيا، وأصبحت آخر الأمر تحت سلطة الزوج، وبعد مماته كانت تصير تحت سلطان الابن الأكبر**، أو تحت إدراة وصي يعينه الزوج قبل مماته بوصية»[693]. وأصبحت الأسرة «وحدة اجتماعية تحت سيطرة الأب. وكذلك صارت المرأة بعد زواجها تحت السلطة المطلقة لزوجها، وبعد وفاة الزوج كانت تحت سلطان الابن الأكبر أو وصي يعينه الزوج. وبذلك **لا يمكن للمرأة المتزوجة أن تقف أمام القضاء في أي موضوع إلا بإذن من زوجها أو الوصي عليها إذا كان الزوج متوفى**. كما أن سلطان الأب على أولاده قد ازداد، فهو الذي يتولى أملاكهم ويديرها ويتصرف فيها ومن حقه أن يعين عليهم وصيا. أما إذا لم يترك وصية فالابن الأكبر بحكم القانون والعرف هو الوصي الشرعي عليهم وعلى أملاكهم يدير شئونها لهم دون أن يتصرف فيها لحسابه الخاص. وإن مركز الأولاد الآخرين قد تغير من أساسه، فقد كانوا في عهد الأسرة الثالثة متساوين شرعا، ولكن مراكزهم الشرعية في الأسرة السادسة كانت متفاوتة، فإن **الذكور كانوا متفوقين على الإناث؛ إذ كان الذكر يعتبر الأكبر بالنسبة لأخته مهما كانت هي أكبر منه سنا**، ولذلك لم نجد قط أن البنت قامت بدور الابن الأكبر؛ هذا فضلا عن أن الأخير كان هو الفرد الوحيد الذي يملك الأسرة فكان يعد رئيس إخوته الذكور والإناث»[694].

---

692) قصة الحضارة (2/ 98)
693) مصر القديمة. الجزء الثاني. صفحة 528.
694) مصر القديمة. الجزء الثاني. صفحة 531.

«أما فيما يختص بإرث البنت في عقار والدها غير الموقوف، فمعلوماتنا عنه ضئيلة، ولا يمكن أن نستنتج منها شيئا قاطعا غير أنه بعد الدرس الدقيق قد وصلنا إلى أن المرأة يمكنها أن ترث إقطاع والدها عند اختفاء نسل الذكور؛ على أنها **في الواقع كانت لا تدير هذا الإقطاع باسمها، بل كان يتولى ذلك زوجها بما له من السلطة عليها**. وإذا كانت أرملة فإن ابنها الأكبر يدير شئونها على إثر بلوغه السن القانونية إذا كان قاصرا»[695].

ولم يكن الفرق بين الذكور والإناث في مصر القديمة مجرد فرق في الحقوق والواجبات، بل فرق في القيمة، فكانت المرأة تمثل أحيانا راكعة عند قدمي زوجها، تقدم له فروض الطاعة[696]. ويذكر الدكتور سليم حسن أنه في «إحدى المقابر نرى **الزوجة ممثلة بحجم صغير جدا، راكعة عند قدمي زوجها** رغم أنهما أميران من دم ملكي. ومثلهما غيرهما من نساء عظماء القوم. والقاعدة العامة هي أن الزوجة كانت تمثل صغيرة بالنسبة لزوجها في كل أوضاعها، ولكن أحيانا نشاهدها ممثلة في حجم الزوج. وإذا فحصنا الأوضاع التي تكون فيها الزوجة مماثلة للزوج في حجمه نلاحظ أن ذلك لا يكون إلا في المناظر الخاصة، أما في معظم المواقف الرسمية فإن صورة الزوجة تصغر وتتضاءل بجانب صورة زوجها»[697].

وتؤكد ليزا سباحي أنه «لا يوجد دليل مباشر على تعليم المرأة في مصر القديمة. وكان الأطفال من الذكور فقط يذهبون للمدارس، ليتعلموا، ثم يعينون ككتبه في الوظائف الحكومية».

وذكرت ليزا سباحي أيضا ما يفيد أن **المرأة عند الفراعنة كانت تقوم بنفس الدور الاجتماعي التقليدي للمراة كربة بيت، لا تمارس من الأعمال إلا ما كان خفيفا وملائما لطبيعتها** مثل مهنة النسَّاج، والمشرفة على النساجين، والمطربة، والمشرفة على المطربين، والراقصة، وطاحنة الحبوب، وبائعة الطعام، وخادمة المنزل، ومضيفة بيت الملكة، والمشرفة على الزينة، والمشرفة على القماش، وحاملة الختم. ومن وظائفها الدينية أنها كانت تعمل كمعزية في الجنازات، وفي صيانة تقدمات القبور، وكاهنة الإلهة حتحور. **وفي الدولة الوسطى لم تعد المرأة تعين في مناصب تخول لها سلطة على أحد من الناس، ولو حتى داخل البيوت الخاصة**. وكانت طبيعة العمل تختلف حسب الجنس، **فالنساء يعملن داخل البيوت، بينما يعمل الرجال خارج البيوت،**

---

695) **مصر القديمة**. الجزء الثاني. صفحة 535.
696) **موسوعة الحضارة المصرية القديمة**. صفحة 717.
697) **مصر القديمة**. الجزء الثاني. صفحة 545.

قائمين بكل الأعمال الزراعية والحرف. وكانت الحرفة الوحيدة في الدولة الحديثة التي تعمل بها النساء هو صناعة النسيج، التي كان دور النساء فيها أكبر من دور الرجال. وفي الدولة الحديثة اختفي لقب الكاهنة، وظهرت ألقاب أخرى مثل مغنية الإله ومرضعة الإله. ورغم أن المرأة كان لها الحق في أن تبيع وتشتري إلا أن **الزوج هو الذي يتولى عقد الصفقات وإدارة الأعمال**[698] كما قلنا.

ويقول القاموس التاريخي لمصر القديمة أن النساء في مصر القديمة وجدن أن من الصعب عليهن أن يباشرن حقوقهن القانونية إلا في ظل حماية الرجل، ولهذا **كانت حقوقهن القانونية نظرية أكثر منها عملية**. وكان **الدور الأساسي للنساء من كل الطبقات أن تكون زوجة، وتدير بيتها. ولهذا ظلت تلقب دوما "بسيدة البيت"**. كان عليها أن **تحمل وتربي الأطفال، وتطعم زوجها وأسرتها وتلبسهم**. وكان قسما كبيرا من وقتها تقضيه في **إعداد الطعام وطحن القمح والنسج**. حقا كان للنساء الثريات خدم، لكن حتى زوجات الملوك والأميرات كن يشاركن في صناعة النسيج. **ولا يوجد إلا دليل ضعيف على تشغيل الفلاحات في عملية الزراعة** بعيدا عن درس الحبوب وحصاد الكتان. **كما منعت المرأة من الوصول إلى المناصب الإدارية والحكومية**[699].

ولكي يتم الزواج كان على الرجل أن يتقدم لوالد المرأة، كي يسمح له بالزواج منها. وهو نفس الزواج التقليدي الذي نعرفه [700].

وتقول موسوعة مصر القديمة أن النساء يصورن في الرسومات الجنائزية، **وهن يؤدين أعمال البيت المعتادة**. وفي أوقات السخرة كانت المرأة تخرج إلى مناطق البناء مع الرجل **لتعمل في الطبخ والتمريض والنسج**، وكانت تمنح أحيانا جوائز على ذلك. **ولم تتول المرأة أي مناصب حكومية** باستثناء كونها وصية على ولي العهد. وفي العهود المبكرة كان من الممكن للمرأة أن تعين كاهنة، لكن فيما بعد في عهد الدولة الحديثة **تدهورت مكانتها لمجرد منشدة في المعبد**[701].

---

698) Women, Pharaonic Egypt. By Lisa Sabbahy. The Encyclopedia of Ancient History.

699) Historical dictionary of Ancient Egypt. Page 258

700) Encyclopedia of ancient Egypt. Page 226.

701) Encyclopedia of ancient Egypt. Page 432- 433.

وفي أحد عقود الزواج (231 ق.م) نعرف أن **الرجل هو الذي كان ينفق على زوجته، مما يدل على أن الأسرة المصرية القديمة كانت أسرة تقليدية**. يقول الرجل للمرأة: «سأعطيك من النبيذ والفضة والزيت ما يكفي لطعامك وشرابك كل عام. ستضمنين طعامك وشرابك الذي سأجريه عليك شهريا وسنويا، وسأعطيه إياك أينما أردت. وإذا طردتك أعطيتك خمسين قطعة من الفضة. وإذا اتخذت لك ضرة أعطيتك مائة قطعة من الفضة»[702]

ويقول الدكتور سمير أديب أن **العرف كان يسمح للرجل بضرب زوجته على سبيل التأديب**، لكنه لم يكن يسمح بسبها. وقد عاقب القاضي ذات مرة أحد الأزواج بالجلد مائة جلدة لأنه سب زوجته، كما قضى بحرمانه من نصيبه في المال الذي كسبه بالاشتراك معها إذا عاد لسبها[703].

ويبدو أن الحالة الخلقية بين الطبقات الفقيرة كانت مضطربة في عصر الدولة الحديثة فإن **الاعتداء على النساء الغريبات كان متفشيا بين العمال**، ويتهم أحد الأبناء أباه بأنه اعتدى على ثلاث نساء من نساء بلده[704].

وقد **انتشرت ظاهرة المحظيات في مصر القديمة**. والمحظية (أو السُرِّيَّةُ) Concubine هي امرأة يعيش معها الرجل دون زواج، وهي أقل منزلة من الزوجة الشرعية. وقد تكون المحظية جارية أو حرة، لكنها كانت في الغالب جارية. وفي معجم الصحاح: السُرِّيَّةُ هي الأَمَةُ التي بَوَّأْتَها بَيْتاً، وهو فعلية منسوبة إلى السر، وهو الجماع أو الاخفاء، لأن الانسان كثيرا ما يسرها ويسترها عن حرته. وهذه الظاهرة تناظر ظاهرة المساكنة Cohabitation التي انتشرت بشكل هائل في الغرب حديثا، حيث يقم الرجل والمرأة في بيت واحد، وقد ينجبون دون زواج، وفيما بعد يمكن أن ينفصلا أو يتزوجا بشكل شرعي. ومنذ الأسرة الخامسة مُثلت المحظيات على جدران المقابر، وكان للأشراف محظيات يتفاخرون بهم.

ويقول الدكتور سمير أديب عن المحظيات: «أما نساء الحريم فلم يكن زوجات شرعيات، ولم يؤلفن جزءا من الأسرة، **وليس لهن وضع قانوني. وكان من الممكن طردهن طبقا لإرادة سيدهن. وأبناؤهن لم يكونوا شرعيين، ولا ينسبون إلا إلى أمهاتهم، وليس لهم نصيب في تركة**

702) **موسوعة الحضارة المصرية القديمة**. صفحة 718.
703) **موسوعة الحضارة المصرية القديمة**. صفحة 718-719.
704) **موسوعة الحضارة المصرية القديمة**. صفحة 722

أبيهم، والوصية لم تكن جائزة لهم. وينبغي أن نعدهن من طبقة الراقصات أو الخادمات اللائي يتخذهن الأثرياء خليلات... ويستطيع الرجل أن يقتني محظيات عديدات، ولكن زوجته الشرعية كانت تلعب دورا مهما في حياة الأسرة.... وكما كانت من واجب نساء الحريم أن يشرحن قلب فرعون بالأغاني فكذلك كانت نساء الحريم الخاص يقتضي واجب عملهن أن يبرعن في مثل هذه الفنون، فكن يصورن في مقابر الأثرياء في جميع العصور، وهن يرقصن ويغنين أمام سيدهن. وقد ظل امتلاك بيت الحريم مقصورا على طبقات المجتمع الثرية المقتدرة حين وفدت على مصر كثيرات من الرقيقات الأجنبيات منذ الفتوحات الآسيوية التي قام بها فراعنة عصر الإمبراطورية. ويبدو أن هؤلاء كن ملكا للملك، ولكنه كان يهديهن لأتباعه»[705].

المرأة الفرعونية على العرش

قد ينبهر المرء حين يسمع أن بعض الشعوب القديمة سمحت للمرأة بالوصول إلى العرش في بعض الأحيان مثل الملكة (شوب– آد) عند السومريين[706]، والإمبراطورة "لو" في الصين[707]، والملكة حتشبسوت والملكة كليوباترا في مصر، إضافة إلى ملكة سبأ في اليمن. ويجب أن نعرف أن **هذه الشعوب لم تترك المرأة تحكمهم اقتناعا منها بفكرة المساواة بين الرجل والمرأة** كما يظن السذج، فكل ما في الأمر أنهم كانوا يعتقدون أن الأسرة الحاكمة أسرة مقدسة ذات طابع إلهي، وأن الدماء التي تجري في عروقها تختلف عن دماء البشر. ولذا ففي غياب ورثة للعرش من الذكور كان الشعب يقبل على مضض أن تمسك امرأة من الأسرة الحاكمة بزمام الدولة بفضل تلك القداسة، التي تمنحها ميزة على الرجال من عامة الشعب.

وإذا أخذنا الملكة حتشبسوت كمثال لوجدنا أنها ما كان لها أن تصل للحكم مطلقا، ولا أن تفكر فيه لو كان لها إخوة أشقاء من الذكور. لقد كانت حتشبسوت الابنة الوحيدة لأبيها تُحُتمس الأول من زوجته الرئيسية "أعحمس". يقول دكتور محمد علي سعد الله: «وتبعا لنظام وراثة العرش في مصر القديمة فإن أيا من أبناء الملكة "أعحمس" كان يمكن أن يخلف أباه على العرش، وتبعا للواقع **فلم يبق منهم إلا الأميرة الوريثة "حتشبسوت". وكان من المفروض أن تخلف أباها**

---

705) موسوعة الحضارة المصرية القديمة. صفحة 720
706) قصة الحضارة (2/ 32)
707) قصة الحضارة (4/ 271).

"**تحتمس الأول" على العرش لولا أن سوابق حكم الملكات في مصر القديمة لم تشجعه ولم تشجعها على ذلك لأن القوم فيما يبدو لم يكونوا يستسيغون أن تحكمهم امرأة** رغم أنهم كانوا لا ينكرون حق الإناث في وراثة العرش، بل إن العرش نفسه كان ينتقل عن طريق المرأة وليس الرجل. ويبدو أن تحتمس الأول وخاصة بعد موت أمها الملكة الرئيسية أعحمس قد اضطر –إزاء الرأي الذي يرى أن وراثة العرش تنحصر في ذرية الملكة أعحمس– إلى إعلان حتشبسوت الوريثة الوحيدة لملكه، وربما قد شعر بمدى طموح حتشبسوت، فزوجها إلى ابنه تحتمس الثاني ابن "موت نفرت" ليدعم بها شرعيته في اعتلاء عرش البلاد ليجنب البلاد الاضطرابات والانقسام عندما يخلو العرش بوفاته. وفعل تم ذلك في سلام[708]».

وقبل موت تحتمس الثاني عين ابنه تحتمس الثالث كوريث للعرش مع اختراع قصة تقول أن الإله آمون هو صاحب الاختيار. ولما كان تحتمس الثالث صغيرا في السن، فقد أمسكت حتشبسوت زوجة أبيه بمقاليد الأمور، وحكمت من وراء الستار، ثم «سرعان ما أظهرت حتشبسوت نواياها الحقيقية، يعاونها مجموعة من الموظفين المخلصين، قلدتهم أعلى مناصب الدولة، وأعلنت نفسها ملكا على مصر، وخلعت على نفسها الألقاب الخمسة كاملة مثل أي ملك»[709].

وهكذا ترى أن حتشبسوت وصلت إلى الحكم بسبب عدم وجود ذكر قادر على الحكم في الأسرة المالكة، وليس لأن الشعب المصري كان متفتحا، ومؤمنا بأهمية المساواة بين الرجل والمراة. بالعكس كان هناك عدم ارتياح من تولي امرأة للحكم، بدليل أن حتشبسوت لما جلست على العرش اضطرت للتخلي عن مظهرها النسائي، فصارت «**ترتدي ملابس الرجال، واللحية المستعارة** لتساير التقاليد التي كانت تأبى أن تجد على العرش حاكما في زي النساء».[710] ويقول ويل ديورانت: «وأرادت الملكة العظيمة بعد إذ أن تُرضي أهواء شعبها ولعلها أرادت أيضا أن تشبع رغبة كامنة في صدرها، فعملت على أن ترسم على الآثار في **صورة محارب ملتح من غير ثديين**؛ ومع أن النقوش الباقية من عهدها تتحدث عنها بضمير المؤنث، فإنها تسميها "ابن

---

708) الدور السياسي للملكات في مصر القديمة. صفحة 69-70..

709) الدور السياسي للملكات في مصر القديمة. صفحة 75.

710) الدور السياسي للملكات في مصر القديمة. صفحة 76

الشمس" و "سيد القطرين". وكانت حين تظهر أمام شعبها تلبس ملابس الرجال، وتلتحي لحية مستعارة»[711].

وعلى ذلك فقد **كانت القوة السياسية والعسكرية والدينية في مصر القديمة من نصيب الرجل، مع وجود استثناءات قليلة جدا، نشأت عن صراع معتاد على السلطة، آخر ما يمكن أن يتسبب فيه اقتناع أحد الأطراف بقيمة المرأة.**

وتقول ليزا سباحى: «**ومن أول الملك إلى ما دونه كان هيكل السلطة في مصر القديمة كله ذكري.** أحد الفروق المهمة بين الملك والملكة في مصر القديمة هو أن **الملك كان ذا طبيعة إلهية، واضطلع بدور إلهي، أما المرأة فلم تكن كذلك،** لكنها كانت تستطيع الاقتران مع الإله، وتمرر الألوهية والشرعية لابنها الذكر، وتحكم بالنيابة عنه إن جلس على العرش، وهو صغير. وكان باستطاعة المرأة أن **تتولى الحكم في ظروف غير طبيعية** عقب وفاة زوجها مثل الملكة "سوبيكنفرو" SOBEKNEFRU التى تولت الحكم لمدة أربع سنوات في نهاية الأسرة الثانية عشرة، وذلك على ما يبدو **لأنه لم يعد هناك ذكور في العائلة المالكة.** لقد كان ملك مصر القديمة يحكم بفضل حقيقة أنه الإله حورس ابن أوزيريس، وأنه ورث العرش من أبيه. وقد تحايلت سوبيكنيفرو على المشاكل التي نشأت بسبب جنسها بإعلان أنها "حورس أنثى"، مرتدية زي الملك الذكر فوق ملابسها النسائية الخاصة. وقد تقدمت حتشبسوت خطوة أخرى أبعد من هذه –عندما صارت ملكا– بأن أمرت أن تُرسم صورتها على هيئة رجل»[712].

تأليه المرأة

أما عن عبادة الأقدمين للمرأة فسنجد مهزلة فكرية. **إن الملحدين وغلاة العلمانيين ساخطون أشد السخط لأن الإسلام حارب عبادة الأصنام الأنثوية مثل اللات والعزى ومناة** رغم أن تلك الظاهرة تعبر عن مدى سمو المكانة التي وصلت إليها المرأة قديما.

711) **قصة الحضارة** (2/ 77).

712) Women, Pharaonic Egypt. By Lisa Sabbahy. The Encyclopedia of Ancient History.

وكلام العلمانيين يدخل في باب السفاهة، **فمن كان لديه ذرة عقل فلا بد أن يشيد بدعوة الإسلام للتوحيد، ومحاربته للخرافات، وإنهائه لعبادة الأصنام**. فكيف يأتي مدعو الاستنارة والعقلانية ليلوموا الإسلام على ما كان يجب أن يمدحوه به؟

ثم ألم يقرأ هؤلاء المتنورون الآيات القرآنية التي هاجمت الكفار بسبب عبادتهم للأصنام الأنثوية ليلاحظوا أن **هؤلاء الكفار كانوا في نفس الوقت يحتقرون البنات أشد الاحتقار** إلى درجة إصابتهم بالغم إن جاءهم نبأ ولادتها، وتفكيرهم في دفنها وهي حية؟ قال تعالى: {أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ (16) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (17) أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ} [الزخرف: 16 – 18]. وفي آية أخرى: {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (19) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (20) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (21) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى} [النجم: 19–22].

فعجبا لقوم غضبوا من أجل تحطيم أنثى من الحجارة، ولم يغضبوا لأجل دفن أنثى حية من لحم ودم تحت التراب! إنها الحركة النسائية!

نظرة عامة لوضع المرأة عند الفراعنة

بنظرة عامة نقول أنه على الرغم من تمتع المرأة في مصر القديمة بحقوق أكثر من المرأة في الشعوب الأخرى إلا أنها ظلت – طبقا لمنطق الحركة النسائية– أقل مكانة من الرجل للأسباب التالية:

1. لم يكن للمرأة أي دور عسكري قتالي.
2. لم تصل المرأة لحكم مصر إلا في حالات استثنائية نادرة.
3. كان أغلب الكهنة من الرجال لا النساء.
4. كان التعليم مقتصرا على الذكور دون الإناث.
5. كان عمل المرأة الأساسي في البيت، وكان عمل الرجل خارج البيت باستثناء حرفة النسيج.
6. بالرغم من الحقوق القانونية التي نالتها المرأة فى التملك والبيع والشراء إلا أن الرجل كان بمثابة مدير أعمال لها.

مقارنة بين المرأة المسلمة والفرعونية

1- **كل من المرأة الفرعونية والمرأة المسلمة امرأة تقليدية**، تلعب الدور الاجتماعي المعهود، فهي تمكث في البيت لترعى أسرتها، بينما يخرج الرجل ليعمل، وينفق على أسرته. **وهنا يتعادل الإسلام مع الحضارة الفرعونية**. وإن أشادت الحركة النسائية بمكانة المرأة الفرعونية فعليها أن تكف عن الهجوم على الإسلام الذي أبقى المرأة داخل البيت.

2- **توجد نصوص في الإسلام وعند الفراعنة تدعو لحسن معاملة المرأة**. وهنا يتعادل الإسلام مع الحضارة الفرعونية.

3- أبيح تعدد الزوجات عند كل من الفراعنة والمسلمين، لكن **عدد الزوجات عند الفراعنة كان أكبر** كما رأينا في فصل سابق. كما **اشترط الإسلام العدل بين الزوجات، بينما منح الفراعنة مكانة مميزة لإحدى الزوجات على الأخريات**. والإسلام هنا يتفوق. ويلاحظ أن تعدد الزوجات كان منتشرا في الأساس بين الملوك والأمراء، وكان نادر الحدوث بين عامة الشعب، لكن ليس هذا دليلا على تكريمهم للمرأة، فقد كان **أغلب الرجال يفضلون إشباع رغباتهم من خلال الدعارة أو المحظيات أو الجواري، وليس من خلال تعدد الزوجات**[713]، فأيهما أفضل من وجهة نظر الحركة النسائية: أن يتزوج الرجل بأربع نساء في العلن، أم يتنقل في السر بين أحضان 365 امرأة مختلفة كل عام، أم يعيش بلا زواج مع محظية محرومة من الحقوق؟ قطعا تعدد الزوجات أكرم للمرأة.

4- **انتشرت ظاهرة المحظيات عند الفراعنة، وهذه تمثل إهانة بالغة للمرأة**، فالرجل يتخذ ما يشاء من النساء كمطربات أو راقصات أو غير ذلك، ويقيم معهن كزوجات غير شرعيات، فلا يكون لهن وضع قانوني، ويمكنه طردهن وقتما يشاء، وأولاده منهن لا ينسبن إليه، بل ينسبن لأمهاتهن، وليس لهم نصيب في تركة أبيهم، ولا يجوز له أن يوصي لهم. فأي إهانة أشد من ذلك للمرأة؟ وكل هذه المآسي لا وجود لها في الإسلام الذي يحرم تماما أي علاقة بين الرجل والمرأة خارج إطار الزواج.

5- **يتفق الإسلام والفراعنة في أن الرجل من حقه أن يمتلك جارية، ويجامعها**. وهنا يجب على العلمانيين وأنصار المرأة أن يحترموا أنفسهم قليلا، ويكفوا عن السخرية من الإسلام

---

713) Historical Dictionary of Ancient Egypt. Page 136.

بسبب مصطلح "ملك اليمين"، الذي يجعلهم يموتون من الضحك، في الوقت الذي يتكلمون فيه عن الفراعنة بكل تبجيل، وكأنهم ملائكة يقدسون المرأة. **والإسلام يتفوق على الفراعنة في هذه النقطة لأنه أحسن معاملة العبيد، وشجع على تحريرهم،** فدعا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثلا إلى أن يعتق الرجل جاريته ويتزوجها، قائلا: «ثَلَاثَةٌ لَهُمْ أَجْرَانِ»، وذكر منهم: «وَرَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَةٌ يَطَؤُهَا فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمِهَا ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ» متفق عليه. والكلام في هذا الشأن يطول. ويمكن الرجوع إلى كتابنا (هل أهان الإسلام الرقيق: نظرات جديدة في قضية قديمة).

6- **الإسلام أكثر تشددا في زي المرأة وزينتها،** بينما ملابس المرأة عند الفراعنة كانت تكشف جسدها بشكل واضح. وقد يرى المعاصرون أن الفراعنة يتفوقون في هذه النقطة على الإسلام، لكن هذا شأن محبي الإباحية، وكلامهم لا يلزم مسلما، يعتقد بأهمية محاربة الزنا. كما أن **المرأة المتبرجة قد تغري رجلا متزوجا،** فيهمل زوجته، ويهينها، أو يطلقها. **وعلى ذلك فستر جسد امرأة يحفظ كرامة امرأة أخرى.**

7- **حارب الإسلام الزنا والدعارة بشكل صارم،** ففرض عقوبة الجلد مائة جلدة على الزاني غير المتزوج، بينما فرض على المتزوج عقوبة الموت رجما. ومحاربة الزنا تصب في مصلحة المرأة، فالزواج – وهو بديل الزنا– يربط الرجل بالمرأة، ويوفر لها الاستقرار، ويفرض على الرجل التزامات نحوها ونحو أولادها منه. ولا أظن أن أحدا سيكون أسعد من الزوجة الشريفة بخبر غلق بيوت الدعارة، فهذا يحافظ على زوجها، ويحمي بيتها. لكن الفراعنة تهاونوا كثيرا في عقاب الزناة مقارنة بما فعله الإسلام.

8- منح الإسلام المرأة نصيبا من الميراث، كما منحها الفراعنة نصيبا. لكن الإسلام جعل نصيب المرأة نصف نصيب الرجل لأن الرجل مسئول عن الإنفاق على الأسرة. أما عند الفراعنة فقد كان نصيب الرجل مساويا لنصيب المرأة، لكن في بعض الحالات كانت المساواة غير تامة، كما كان من حق الإنسان أن يوصي لأحد أولاده بنصيب أكبر من الآخرين. وعلى ذلك فبفرض أن الحق هو مساواة الجنسين في الميراث، فالفراعنة لم يلتزموا بذلك كما ينبغي. والحق كما بينا أن من الظلم للرجل عند الفراعنة أن يتحمل كل نفقات الأسرة، بينما تعفى المرأة من كل الواجبات المالية، ومع ذلك يتساوى الاثنان في

الميراث. وعلى ذلك فالإسلام يتفوق على الحضارة الفرعونية رغم أن العكس يبدو لأول وهلة.

9- كان من حق المرأة الفرعونية الحصول على الطلاق بحرية. أما الإسلام فقد جعل الطلاق بيد الزوج، مع جواز أن تحصل المرأة على الطلاق إن ردت لزوجها المهر (بالخلع)، أو لجأت للقاضي كي يطلقها للضرر أو لغيبة الزوج أو غير ذلك. وهنا قد يقول البعض أن المرأة المسلمة ظلمت مقارنة بالمرأة الفرعونية، لكن الحقيقة أن سلب حق الطلاق من المرأة هو عين الصواب، وذلك لأسباب من أهمها طبيعة المرأة العاطفية التي قد تدفعها للتسرع في طلب الطلاق. وسنجد بالفعل أن **الطلاق في مصر القديمة كان يحدث لأتفه الأسباب في الطبقات الفقيرة**[714]. **وهذا يثبت حكمة الإسلام حين جعل الطلاق بين الرجل.**

10- يتفق الفراعنة مع الإسلام في حق المرأة في الاحتفاظ بمهرها إن طلقت، كما يتفقان في منحها مبلغا من المال عند الطلاق، لكن الإسلام لم يحدد قيمة هذا المبلغ، ووصفه فقط بالمتاع، واشترط أيضا أن يكون بالمعروف، أى بالقدر المعقول العادل، لكنه لم يحدد قيمته (إلا إذا تم الطلاق قبل الدخول بالمرأة، فحينئذ يكون المتاع نصف المهر إن كان قد حُدد). أما عند الفراعنة فتأخذ المرأة ثلث ممتلكات الأسرة التى اكتسبتها بعد الزواج. وهنا **قد يسارع الحمقى إلى القول بأن الفراعنة أنصفوا المرأة أكثر من الإسلام**. وهذا أشبه بأحمق آخر، أشاد بقاض لأنه حكم لأحد المتخاصمين دون أن يتساءل ما إذا كان المحكوم له يستحق الإنصاف أم لا. **إن مجرد الانحياز للمرأة ليس فضيلة، فالفضيلة أن نقف مع المرأة إن كان معها الحق، ونقف مع الرجل إن كان معه الحق.** وأي كلام آخر يدخل في باب الهراء.

ونحن نستنكر بشدة أن تحصل المطلقة على ثلث ممتلكات الأسرة (كما فى مصر الفرعونية) أو نصفها (كما في بعض الدول حديثا)، وذلك لأن المرأة كانت تتقاضى بالفعل أجرا نظير خدمتها لأسرتها طوال فترة الزواج، فقد كان الرجل يطعمها ويسقيها ويكسوها ويعالجها ويسمح لها بالإقامة في بيته، فكان لا بد لها أن تخدمه نظير ذلك.

---

714) **موسوعة الحضارة المصرية القديمة**. صفحة 721.

وإضافة إلى ذلك فإن الرجل إن طلق زوجته سيكون عليه أن يبحث عن زوجة أخرى، وسيدفع لها مهرا جديدا، ويتكفل بنفقات الزواج، أما المطلقة فإن أرادت الزواج مرة أخرى فلن تدفع مهرا، ولن تتحمل نفقات زواج. ولهذا فمنحها ثلث ثروة الأسرة كثير. وفضلا عن ذلك فزيادة تكلفة الطلاق على الرجل ستلغي عمليا قوامته على المرأة، إذ سيكون عليه أن يتقبل سلوكها السيء وانحرافها حتى لا يخسر ثلث ثروته، ولن يتمكن من تأديبها وتقويمها إن تمايلت وتبرجت أو سعت بالوقيعة بين الناس، وسيفقد قدرته على الرئاسة، وسيصبح للأسرة قائدان متناطحان، فتنهار. كما أن المرأة إن عرفت أنها ستحصل على ثلث ثروة الأسرة بعد الطلاق ستكون أكثر ميلا للمسارعة إلى الطلاق مع أقل مشكلة لأنها لن تعاني كثيرا بعد الطلاق. وقد يشجعها على ذلك رجل غادر كي يتزوجها، وينعم بما أخذته من زوجها السابق. وإضافة إلى ذلك فقد قضت سنة الله أن يكون الرجل هو الذي يعمل ويمتلك المال حتى يظل هناك فارق بين الزوجين، فتضطر المرأة للخضوع لزوجها، ولو كانت غير محتاجه إليه لعصته، وتكبرت عليه، وستسقط الأسرة في صراعات لا نهاية لها بسبب التساوي النسبي بين الاثنين.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

نعم المرأة خادمة

إن أردتَ أن تشعل فتنة بين امرأة وزوجها، فقل لها: (أنت لست خادمة عنده). حين تسمع المرأة هذه الجملة ستهب من مكانها، وكأنها جلست على مسمار. وأخوات إبليس من المذيعات بارعات في صب الزيت على النار، حتى بلغت معدلات الطلاق حد الجنون. لكن الجديد أنني سمعت مؤخرا أحد الشيوخ يتكلم في إذاعة القرآن الكريم داعيا الرجال إلى حسن معاملة نسائهم، وإذا به فجأة يقحم الجملة التالية في كلامه: (هي مش خدامة عندك)، أي (زوجتك أيها الرجل ليست خادمة عندك). صعقت من هذا الغزو العلماني لعقول الدعاة.

إن رجل الدين الحقيقي يقول للمسلمة: «من واجبك أن تخدمي زوجك. وهذه الخدمة لا تقلل من شأنك، فأنت تخدمين زوجك كما يخدمك زوجك، وكما يخدم كل منكما أطفاله الصغار، وأبويه الكبار. رعاية الأقارب شرف، لا مهانة».

ولكي تدرك مدى نفاقهم فعليك أن تتذكر كيف طالبوا يوما بأن تتقاضى المرأة من زوجها أجرا نظير عملها في البيت. فإذا كانت المرأة تحتقر أعمال البيت، فلماذا تقبلها إن تقاضت عليها أجرا؟ وهل هذا الأجر أفضل من الأجر الإلهي في الآخرة؟ إن كانت المرأة على استعداد لقبول عمل البيت المهين نظير راتب شهري، فلماذا لا تضغط على نفسها قليلا، وتتحمل خدمة أسرتها طلبا لثواب الله؟ ولماذا يقبلون أن تعمل النساء كخادمات في بيوت الآخرين نظير أجر؟

إننا نقول بشكل واضح أن المرأة لا يحق لها أن تطالب بأجر نظير خدمتها لأسرتها، وذلك لأنها **بالفعل تتقاضى أجرا دون أن تشعر، فزوجها يطعمها ويسقيها ويكسوها ويعالجها ويسمح لها بالإقامة في بيته، فكان لا بد لها أن تخدمه نظير ذلك.**

وعلينا أن نلاحظ أن **أغلب أعمال البيت تكون من أجل الأولاد، وليس من أجل الزوج** لأن عدد الأولاد يكون عادة أكثر من واحد، كما أنهم يتطلبون جهدا أكبر من ذلك الجهد المطلوب لخدمة الزوج. وهؤلاء الأولاد هم أولادها، ولا يحق لها أن تطلب منه مالا نظير خدمتهم، ولا يحق لها أن تمتنع عن خدمتهم، وإلا لجاز لزوجها أن يمتنع هو أيضا عن الإنفاق على أولاده.

وهب أن امرأة تعيش وحدها مع أولادها بعد وفاة زوجها، وتعمل في إحدى الشركات نظير أجر شهري، **فماذا تفعل براتبها الذي لا تملك غيره؟** إنها ستنفقه على شراء الطعام والشراب والملابس والأدوية وإيجار البيت الذي تقيم فيه مع أولادها، وإن تبقى شيء من الراتب ستدخره من أجل زواج الأولاد في المستقبل. حسنا. **هذه المرأة لو كانت متزوجة فسيتكفل زوجها بكل هذه النفقات بما في ذلك زواج الأولاد، ولهذا فخدمة المرأة لزوجها وبيتها ليست مجانية. إنها تتقاضى بالفعل أجرا ضمنيا منه نظير خدمتها للبيت.** وصدق الله العظيم حين قال: {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [البقرة: 228].

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

كفانا تكريما للمرأة

لقد كرمنا المرأة أكثر من اللازم، كرمناها حتى أصابها الغرور، وطغت على الرجل، وسلبت حقوقه، وحولته لتابع ذليل. لا ننكر أن هناك نساء فضليات قانتات عاقلات، لكن طوفان الحركة النسائية اجتاح عقول الغالبية العظمى من النساء، بما في ذلك المتدينات، فتحولت الحركة النسائية إلى حركة شعبية جماهيرية بعد أن كانت منذ سنوات معدودة حركة نخبوية، لا يستهوي خطابها أحدا. ولولا نساء مخلصات، ورجال محايدون، من واجبنا أن نستمع إلى تساؤلاتهم، وننصت إلى شكوكهم، ونساعدهم على نفض الغبار الذي لا يكف الإعلام الليبرالي عن إثارته، لولا ذلك لأرحنا عقولنا، وأطلقنا ألسنتنا، ولخلا هذا الكتاب من الطابع الأكاديمي، وكان في مجمله هجوما متواصلا على انفلات المرأة المعاصرة.

لقد أصبح الكلام عن تكريم المرأة لا يُحتمل بعد أن **أصاب المرأة المعاصرة السعار، ولم يعد يؤثر فيها ذلك الكلام الجميل الذي كانت تطرب به** منذ ثلاثين عاما حين كنا نقول لها أن الإسلام حرم وأد البنات، وأعطى المرأة نصيبا من الميراث، ونهى عن أكل مالها، وحرم إكراهها على الزواج، وأوصى بحسن معاملة الأم أكثر من الأب. مثل هذا الكلام لم يعد يرضي طموحات المرأة المعاصرة، التي شحذ الإعلام أنيابها، **ورفع طموحاتها إلى السحاب، وجعلها تعتقد أن ما جاء به الإسلام للمرأة لا يداني ما تتطلبه المواثيق الدولية.**

يجب أن نفيق. المرأة المعاصرة لن تسكت إلا إذا تساوت تماما بالرجل. المرأة لن يهدأ لها بال إلا إذا مزقت القرآن، وأحرقت الأحاديث.

لقد رفع الإسلام الظلم عن المرأة، ومنحها حقوقها العادلة، لكن **المرأة المعاصرة لا تريد العدل، بل تسعى للسيطرة على كل شيء**. وقد جاهر بعضهن بأن الهدف النهائي هو حكم المرأة للأرض، وإزاحة الرجل كلية من المشهد حتى يصبح العالم أكثر سلاما.

إن كل ذي ضمير يجب أن يقف مع المظلوم ضد الظالم. والمرأة اليوم ظالمة، فهي تتقدم بثبات لتستولي على حصون الرجل واحدا تلو الآخر، في ظل قصف مكثف من نيران النظام العالمي اليهودي الذي يملك مالا بلا حدود.

يجب أن يتراجع الكلام عن تكريم الإسلام للمرأة للمرتبة الثانية. قضية الساعة هي مواجهة محاولات تغيير خلق الله، ومسخ طبيعة الإنسان، وتقوية المرأة حتى تصبح رجلا، وإضعاف الرجل حتى يصبح امرأة. بل إنهم يسعون لهدم فكرة الذكورة والأنوثة من الأساس، والسماح لكل إنسان بأن يعتبر نفسه رجلا أو امرأة كما يشاء. وبالتوازي مع ذلك تقوم نفس المنظمات والهيئات ووسائل الإعلام العالمية المشبوهة بالاستماتة في إقرار حقوق الشواذ، ومنع الزواج المبكر، وتشجيع تحديد النسل، ونشر الإلحاد والعدمية والعري والسحر والوثنية الجديدة. نحن أمام حزمة متكاملة من الأفكار الشيطانية التي يرعاها رسميا اليهود وصبيانهم الماسون.

الإسلام لم ينزل من السماء من أجل تكريم المرأة. الإسلام دين عالمي شامل، وتطويعه لخدمة الحركة النسائية وقاحة.

الإسلام لم يكرم المرأة وحدها، بل كرم البشر جميعا: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} [الإسراء: 70].

وكرم الإسلام العبيد حين دعا لتحريرهم وحسن معاملتهم، واعتبرهم إخوانا للأحرار، وقال عنهم الرسول عليه السلام: «نَعَمْ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ جَعَلَ اللَّهُ أَخَاهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ يُكَلِّفُهُ مِنَ العَمَلِ مَا يَغْلِبُهُ، فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ عَلَيْهِ». متفق عليه

وكرم الإسلام الشباب حين بعث الرسول عليه الصلاة والسلام جيشا إلى الروم بقيادة الشاب الصغير أسامة بن زيد، وكان الجيش يضم كبار الصحابة، وعلى رأسهم أبو بكر وعمر.

وكرم الإسلام كبار السن حين قال النبي عليه الصلاة والسلام: "مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ حق كبيرنا، فليس منا"[715].

715) رواه البخارى في الأدب المفرد، وصححه الألباني. انظر: **"صحيح الأدب المفرد"** (صفحة: 142)

وكرم الإسلام الأسرى حين دعا لحسن معاملتهم وفدائهم ولو بدون مقابل، قال تعالى: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا} [الإنسان: 8]. وقال: {فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا} [محمد: 4].

بل **كرم الإسلام الحيوان** حين نهى عن تجويعه وتعذيبه: «عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لاَ هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلاَ سَقَتْهَا، إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلاَ هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ». متفق عليه.

فما بال البرامج في بعض الإذاعات الدينية لا تتوقف عن الكلام عن تكريم المرأة وحقوق المرأة ونبذ العنف ضد المرأة، فتشعر وأنت تسمعها، وكأن هناك مسدسا مصوبا نحو رأس كل شيخ يتكلم حتى لا يحيد عن النص الذي كُتبه له مندوب النظام العالمي الذي يحكم من وراء الستار.

إن الإكثار من الكلام عن تكريم المرأة في اللحظة الراهنة خيانة لله، وتشويه لدينه. ومعركة الساعة يجب أن تكون ضد النظام العالمي الغاشم الذي يختطف المرأة من أسرتها ودينها بإغراء المال، وضجيج الإعلام، وتهديد السلاح.

إننا لا نعادي المرأة، ولا نغار من إنجازاتها، ولم تُضرب رقابنا بسيف قوانين الأحوال الشخصية التي جعلتها تقهر الرجل. ولم نزعم يوما أن الرجل ملاك طاهر بريء منزه عن الرذائل. إننا نهب دفاعا عن الإسلام، وهو يخوض وحده معركة النهاية الفاصلة التي حشد لها إبليس كل قواه، استعداد لظهور المسيخ الدجال. وحين أقول إبليس فأنا أقصد إبليس بمعنى كلمة إبليس، أي ذلك الجني الشرير القبيح المخيف، الذي يعبده الماسون، ويؤيده اليهود تأييدا مطلقا لأنه شريكهم في خطة إفساد العالم وتدمير البشرية. وارجعوا إلى فيلم "الماعز الأليف" إن كنتم لا تصدقون.

ألا قد بلغت. اللهم فاشهد.

تم الكتاب

فالحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله

دكتور/ محمد سعيد المكاوي

المراجع العربية

1. **أحجار على رقعة الشطرنج:** التطبيق العملى للبروتوكولات. تأليف ويليام غاى كار. دار الحرية للنشر والتوزيع. القاهرة. 2013.

2. **الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية.** تأليف روجيه جارودي. ترجمة محمد هشام. تقديم محمد حسنين هيكل. الطبعة الرابعة 2002م-1422هـ. دار الشروق- القاهرة.

3. **الأيوبيون والمماليك: التاريخ السياسي والعسكري.** تأليف د. قاسم عبد قاسم و د.على السيد على. الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. القاهرة. 1995م.

4. **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان.** تأليف محمد بن حبان بن أحمد بن حبان الدارمي. ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي. حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة، بيروت. الطبعة الأولى، 1408 هـ - 1988 م

5. **الإحصاء: الخلع يستحوذ على نصيب الأسد من حالات الطلاق النهائي في 2020.** تحقيق كتبه ماهر هنداوي. صحيفة الوطن. 23 أكتوبر 2021م.

6. **البداية والنهاية.** تأليف أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير. تحقيق علي شيري. دار إحياء التراث العربي. الطبعة الأولى 1408، هـ - 1988 م.

7. **الحُكم بالسر: التاريخ السري بين الهيئة الثلاثية والماسونية والأهرامات الكبرى.** تأليف جيم مارس. ترجمة محمد منير إدلبي. الطبعة الخامسة 2009م. دار الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية- دمشق.

8. **السلوك لمعرفة دول الملوك.** تأليف تقي الدين المقريزي. تحقيق محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت. الطبعة الأولى، 1418هـ - 1997م.

9. **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة.** تأليف يوسف بن تغري بردي. الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.

10. **الهند في ظل السيادة الإسلامية (دراسات تاريخية).** تأليف دكتور أحمد محمد الجوارنه. جامعة اليرموك. مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع.

11. **إحصائيات الطلاق والزواج في مصر.. أرقام صادمة لـ"أبغض الحلال"**. تحقيق بقلم عبده سالم. موقع العين الإخبارية. 24 أغسطس 2022م.

12. **أحكام الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية.** تأليف عبد الوهاب خلاف. مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة. الطبعة: الثانية، 1357هـ- 1938م.

13. **الإحكام في أصول الأحكام**. تأليف أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي. تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر. قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس. دار الآفاق الجديدة، بيروت.

14. **الأحوال الشخصية.** تأليف الشيخ محمد أبو زهرة. الطبعة الثالثة. دار الفكر العربي. 1957م- 1377هـ.

15. **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري.** تأليف أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني. المطبعة الكبرى الأميرية، مصر. الطبعة السابعة، 1323 هـ.

16. **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل.** تأليف محمد ناصر الدين الألباني. إشراف: زهير الشاويش. المكتب الإسلامي – بيروت. الطبعة الثانية 1405 هـ - 1985م

17. **أسد الغابة في معرفة الصحابة.** تأليف عز الدين ابن الأثير. تحقيق علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى. 1415هـ - 1994 م.

18. **الإسلام والقرن الواحد والعشرون: شروط نهضة المسلمين.** تأليف روجيه جارودى. ترجمة كمال جاد الله. صفحة 42-43. الدار العالمية للكتب والنشر. 1999

19. **الإشراف على نكت مسائل الخلاف.** تأليف القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي المالكي. تحقيق الحبيب بن طاهر. دار ابن حزم. الطبعة الأولى، 1420هـ - 1999م

20. **الإصابة في تمييز الصحابة.** تأليف ابن حجر العسقلاني. تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض. دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة الأولى - 1415 هـ

21. **الأم**. تأليف محمد بن إدريس الشافعي. دار المعرفة – بيروت. 1410هـ/1990م.

22. **التحرير الإسلامي للمرأة:** الرد على شبهات الغلاة. تأليف دكتور/ محمد عمارة. دار الشروق– القاهرة. الطبعة الأولى 1421 هـ – 2002 م.

23. **التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد».** تأليف محمد الطاهر بن عاشور التونسي. الدار التونسية للنشر – تونس. 1984 هـ

24. **التمييز في تلخيص تخريج أحاديث شرح الوجيز المشهور بـ التلخيص الحبير**. تأليف بن حجر العسقلاني. تحقيق الدكتور محمد الثاني بن عمر بن موسى. دار أضواء السلف. الطبعة الأولى، 1428 هـ – 2007 م

25. **التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ**. تأليف محمد بن إسماعيل بن صلاح الصنعاني. تحقيق د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم. مكتبة دار السلام، الرياض. الطبعة الأولى، 1432 هـ – 2011 م.

26. **التوضيح لشرح الجامع الصحيح**. تأليف ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري. تحقيق دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث. الناشر: دار النوادر، دمشق – سوريا. الطبعة الأولى، 1429 هـ – 2008 م.

27. **الخطر اليهودي، بروتوكولات حكماء صهيون**. البروتوكول العاشر. ترجمة: محمد خليفة التونسي. مطبعة دار الكتاب العربي– القاهرة – 1951 م.

28. **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**. تأليف جلال الدين السيوطي. دار الفكر – بيروت.

29. **الدراري المضية شرح الدرر البهية**. تأليف محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني. دار الكتب العلمية. الطعبة الأولى 1407هـ – 1987م.

30. **الدراية في تخريج أحاديث الهداية**. تأليف ابن حجر العسقلاني. تحقيق السيد عبد الله هاشم اليماني المدني. دار المعرفة – بيروت.

31. **الدور السياسي للملكات في مصر القديمة**. تأليف دكتور/ محمد على سعد الله. تقديم الدكتور محمد جمال الدين مختار. مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع- الإسكندرية- مصر- 1988م.

32. **الزواج المبكر بين حقائق الإسلام وأساطير الإعلام**. تأليف دكتور محمد سعيد المكاوي. الناشر منصة أمازون للكتب الرقمية. رقم أمازون: ASIN: B0B924R91P. 2022م- 1444هـ

33. **السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة (قراءة جديدة)**. تأليف أبو عمر، محمد بن حمد الصوياني. مكتبة العبيكان. الطبعة الأولى، 1424 هـ - 2004 م

34. **السيرة النبوية لابن هشام**. تأليف عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري. تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي. الناشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. الطبعة الثانية، 1375هـ - 1955 م.

35. **السينما النسائية الأعلى صوتاً في الدورة الـ77 لمهرجان البندقية**. رنا نجار. صحيفة الشرق. بيروت. 30 أغسطس 2020. آخر تحديث 18 يناير 2021.

36. **الشَّافِي فيْ شَرْح مُسْنَد الشَّافِعي**. تأليف مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير. تحقيق أحمد بن سليمان - أبي تميم يَاسر بن إبراهيم. مَكتَبةَ الرُّشْدِ، الرياض - المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولي، 1426 هـ - 2005 م

37. **الشامل في فقه الإمام مالك**. تأليف بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز ، أبو البقاء، تاج الدين السلمي الدَّمِيرِيّ الدِّمْيَاطِيّ. ضبطه وصححه: أحمد بن عبد الكريم نجيب. مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث. الطبعة الأولى، 1429هـ - 2008م.

38. **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**. تأليف أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. دار العلم للملايين - بيروت. الطبعة الرابعة 1407 هـ - 1987 م.

39. **الصَّحيحُ من أحاديث السّيرة النبوية**. تأليف: أبو عمر، محمد بن حمد الصوياني. مدار الوطن للنشر. الطبعة الأولى، 1432 هـ - 2011 م.

40. **الطبقات الكبرى.** تأليف أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة الأولى، 1410 هـ – 1990 م.

41. **الطلاق: ما أسباب ارتفاع معدلاته في مصر في الفترة الأخيرة؟** تقرير لعاطف عبد الحميد. موقع "بي بي سي عربي". 2 سبتمبر 2022م.

42. **الفتاوى الكبرى.** تأليف تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى، 1408هـ – 1987م.

43. **الكافي في فقه أهل المدينة.** تأليف أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر. تحقيق: محمد محمد أحيد ولد ماديك الموريتاني. مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، المملكة العربية السعودية. الطبعة الثانية، 1400هـ/1980م

44. **الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج.** جمع وتأليف: محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَري الشافعي. مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة البرفسور هاشم محمد علي مهدي. دار المنهاج – دار طوق النجاة. الطبعة: الأولى، 1430 هـ – 2009 م

45. **الفقه على المذاهب الأربعة.** تأليف عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري. دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. الطبعة الثانية، 1424 هـ – 2003 م.

46. **المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام.** تأليف الدكتور جواد علي. الناشر: دار الساقي. الطبعة الرابعة 1422هـ/ 2001م

47. "**الماعز الأليف**" **والنبوءات التي تتوالى.** بقلم أشرف عبد المنعم. جريدة الأهرام. 7 مايو 2019م

48. **المبسوط.** تأليف محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي. دار المعرفة – بيروت. 1414هـ – 1993م

49.**المحلى بالآثار**. تأليف أبو محمد علي بن حزم الظاهري. تحقيق الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري. دار الفكر – بيروت. الطبعة الثالثة 2003م-1425هـ.

50.**المدونة**. تأليف مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى، 1415هـ - 1994م

51.**المستدرك على الصحيحين**. تأليف: أبو عبد الله الحاكم النيسابوري. دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. يشمل الكتاب تضمينات الإمام الذهبي فى التلخيص والميزان والعراقي فى أماليه والمناوي فى فيض القدير وغيرهم من العلماء الأجلاء. دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة الأولى، 1411 – 1990

52.**المسند الجامع**. تأليف بشار عواد معروف – السيد أبو المعاطي محمد النوري – أحمد عبد الرزاق عيد – أيمن إبراهيم الزاملي – محمود محمد خليل. دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات، الكويت. الطبعة: الأولى، 1413 هـ - 1993 م

53.**المستصفى من علم الأصول**. تأليف أبو حامد محمد بن محمد الغزالي. تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى، 1413هـ - 1993م.

54.**المُعْلم بفوائد مسلم**. تأليف أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التَّمِيمي المازري. تحقيق الشيخ محمد الشاذلي النيفر. الناشر: الدار التونسية للنشر، المؤسّسة الوطنية للكتاب بالجزائر، المؤسّسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدّراسات بيت الحكمة. الطبعة الثانية، 1988 م، والجزء الثالث صدر بتاريخ 1991م.

55.**المغني**. تأليف موفق الدين عبد الله بن أحمد، المعروف بابن قدامة المقدسي. مكتبة القاهرة. 1388هـ - 1968م.

56.**المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**. تأليف أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي. حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو – أحمد محمد السيد – يوسف علي بديوي – محمود إبراهيم بزال. الناشر: (دار ابن كثير، دمشق – بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق – بيروت). الطبعة الأولى. 1417 هـ - 1996 م.

57.**المقدمات الممهدات**. تأليف أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي. تحقيق: الدكتور محمد حجي. دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان. الطبعة الأولى، 1408 هـ – 1988 م.

58.**المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي داود**. تأليف محمود محمد خطاب السبكي. تحقيق أمين محمود محمد خطاب. مطبعة الاستقامة، القاهرة. الطبعة الأولى، 1351 – 1353 هـ

59.**المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (شرح النووي على مسلم)**. تأليف محيى الدين يحيى بن شرف النووى. دار إحياء التراث العربي – بيروت. الطبعة الثانية، 1392 هجرية.

60.**آداب الزفاف في السنة المطهرة**. تأليف محمد ناصر الدين الألباني. دار السلام. الطبعة الشرعية الوحيدة 1423هـ/2002مـ.

61.**آمنة ودود الليدي إمام التي وقعت في حب القرآن**. تقرير سناء الخوري. موقع بي بي سي نيوز عربي. تم الدخول إلى الموقع يوم 27 سبتمبر 2022م.
https://www.bbc.com/arabic/extra/2u2wxvplne/amina-wadud-arabic

1. **بالإنفوجراف.. 7 أسباب للطلاق فى مصر منها الخلع والخيانة..تعرف عليها**. بقلم هبة حسام. جريدة اليوم السابع. 20 سبتمبر 2017م.

2. **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**. تأليف أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد، الشهير بابن رشد الحفيد. دار الحديث – القاهرة. 1425هـ – 2004 م.

3. **بيلديربيرغ: منظمة غامضة تضم صفوة العالم**. بي بي سي نيوز عربي. 30 مايو 2019م.
https://www.bbc.com/arabic/features-48457530

4. **تاج العروس من جواهر القاموس**. تأليف محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي.تحقيق مجموعة من المحققين. الناشر دار الهداية.

5. **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**. تأليف شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي. تحقيق الدكتور بشار عوّاد معروف. دار الغرب الإسلامي. الطبعة الأولى، 2003 م

6. **تاريخ الإسلام في الهند.** تأليف الدكتور عبد المنعم النمر. صفحة –149–150. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. البعة الأولى 1981م– 1401 هجرية. بيروت لبنان

7. **تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري).** تأليف محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري. (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي). دار التراث – بيروت. الطبعة الثانية – 1387 هـ

8. **تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساسانى.** تأليف حسن بيرنيا. ترجمة محمد نور الدين عبد المنعم و السباعى محمد السباعى. المركز القومى للترجمة. القاهرة. الطبعة الأولى 2013م.

9. **تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز).** تأليف أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي. تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد. دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة: الأولى – 1422 هـ.

10. **تفسير الجلالين.** تأليف جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. دار الحديث – القاهرة. الطبعة الأولى.

11. **تفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل).** تأليف أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري. دار الكتاب العربي – بيروت. الطبعة الثالثة – 1407 هـ.

12. **تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن).** تأليف محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري. تحقيق أحمد محمد شاكر. مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى، 1420 هـ – 2000 م.

13. **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار).** تأليف محمد رشيد رضا. الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1990 م

14. **تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير).** تأليف أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي. تحقيق محمد حسين شمس الدين. دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت. الطبعة: الأولى – 1419 هـ.

15. **تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن).** تأليف أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أبي بكر شمس الدين القرطبي. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. دار الكتب المصرية – القاهرة. الطبعة الثانية، 1384هـ - 1964 م

16. **تفسير المراغي.** تأليف أحمد بن مصطفى المراغي. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر. الطبعة الأولى، 1365 هـ - 1946 م.

17. **جلباب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة.** تأليف محمد ناصر الدين الألباني. دار السلام للنشر والتوزيع. الطبعة الثالثة، 1423هـ -2002 م.

18. **جمع الجوامع «الجامع الكبير».** تأليف جلال الدين السيوطي. تحقيق مختار إبراهيم الهائج - عبد الحميد محمد ندا - حسن عيسى عبد الظاهر. الناشر: الأزهر الشريف، القاهرة. الطبعة الثانية، 1426 هـ - 2005 م

19. **حاشية الدسوقي على الشرح الكبير.** تأليف محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي.الناشر: دار الفكر.

20. **حتشبسوت. عظمة وسحر وغموض.** تأليف كريستيان ديروش نوبلكور. ترجمة فاطمة عبد الله محمود. مراجعة وتقديم محمود ماهر طه. المجلس الأعلى للثقافة- القاهرة. 2005م.

21. **حفلات الطلاق في الأردن: انتقام أم تحرر من القيود؟** بقلم طارق ديلواني. موقع "اندبندنت عربية". 5 يوليو 2022.

22. **حكومة العالم الخفية.** تأليف شيريب سبيريدوفيتش. ترجمة مأمون سعيد. تقديم وتحرير: أحمد راتب عرموش. دار النفائس. بيروت- لبنان. الطبعة التاسعة.

23. **خيط الجريمة.. قصة سيدة قطعت عضو زوجها الذكرى فى الإسكندرية بسبب "الواتس".** بقلم سليم على. صحيفة اليوم السابع. 9 مايو 2020م

24. **دائرة المعارف الماسونية المصورة: صفحات جديدة في تاريخ الإنسانية.** تأليف حنا أبي راشد. منشورات مكتبة الفكر العربي ومطبعتها. الطبعة الأولى- بيروت- 1961م.

25. **دلائل النبوة**. تأليف أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي. تحقيق د. عبد المعطي قلعجي. دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث. الطبعة الأولى – 1408 هـ – 1988 م

26. **دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين**. تأليف محمد علي بن محمد بن علان. اعتنى بها: خليل مأمون شيحا. دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان. الطبعة الرابعة، 1425 هـ – 2004 م.

27. **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**. تأليف عبد الرحمن بن محمد بن خلدون. تحقيق خليل شحادة. دار الفكر، بيروت. الطبعة الثانية، 1408هـ– 1988 م.

28. **رد المحتار على الدر المختار**. تأليف ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي. دار الفكر– بيروت. الطبعة الثانية، 1412هـ – 1992م

29. **زاد المعاد في هدي خير العباد**. تأليف محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية. مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت. الطبعة: السابعة والعشرون , 1415هـ /1994م

30. **زهرة التفاسير**. تأليف الشيخ محمد أبو زهرة. دار الفكر العربي. 1987م.

31. **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**. تأليف محمد ناصر الدين الألباني. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض. الطبعة الأولى (لمكتبة المعارف). 1415 هـ– 1995 م.

32. **سنن ابن ماجه**. تأليف ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. تحقيق شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي – عَبد اللّطيف حرز الله. دار الرسالة العالمية. الطبعة الأولى، 1430 هـ – 2009 م.

33. **سنن أبي داود**. تأليف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السِّجِسْتاني. تحقيق: شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي. دار الرسالة العالمية. الطبعة الأولى، 1430 هـ – 2009 م

34.**سير أعلام النبلاء**. تأليف شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قَايْماز الذهبي. تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة. الطبعة الثالثة ، 1405 هـ / 1985 م.

35.**شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (الكاشف عن حقائق السنن)**. تأليف شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي. تحقيق د. عبد الحميد هنداوي. مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – الرياض). الطبعة الأولى، 1417 هـ – 1997 م

36.**شرح صحيح البخارى لابن بطال**. تأليف ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك. تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم. مكتبة الرشد – السعودية / الرياض. الطبعة الثانية، 1423هـ- 2003م.

37.**شرح سنن أبي داود**. تأليف أبو محمد محمود بن أحمد بدر الدين العينى. تحقيق أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري. مكتبة الرشد – الرياض. الطبعة الأولى، 1420 هـ -1999 م.

38.**شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِى عِيَاض (إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم)**. تأليف الفضل عيَاض بن مُوسَى بن عيَاض اليَحْصَبِى. تحقيق الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر. الطبعة الأولى، 1419 هـ – 1998 م

39.**شرح مختصر خليل للخرشي**. تأليف محمد بن عبد الله الخرشي المالكي. الناشر: دار الفكر للطباعة – بيروت.

40.**صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري**. تأليف محمد بن إسماعيل البخاري. حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني. دار الصديق للنشر والتوزيع. الطبعة الرابعة، 1418 هـ – 1997 م

41.**صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب**. تاليف محمد ناصر الدين الألباني. مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض – المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى، 1421 هـ – 2000 م.

42.**صحيح سنن أبي داود**. تأليف محمد ناصر الدين الألباني. مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت الطبعة الأولى، 1423 هـ – 2002 م.

43. **صحيح فقه السنة وأدلته وتوضيح مذاهب الأئمة**. تأليف أبو مالك كمال بن السيد سالم مع تعليقات فقهية معاصرة: فضيلة الشيخ/ ناصر الدين الألباني- فضيلة الشيخ/ عبد العزيز بن باز -فضيلة الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين. المكتبة التوفيقية، القاهرة – مصر- 2003 م.

44. **ضعيف أبي داود – الأم**. تأليف محمد ناصر الدين الألباني. مؤسسة غراس للنشر والتوزيع – الكويت. الطبعة الأولى - 1423 هـ.

45. **طرح التثريب في شرح التقريب**. تأليف زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي. أكمله ابنه: أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين، ابن العراقي. الناشر: الطبعة المصرية القديمة - وصورتها دور عدة منها دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي.

46. **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**. تأليف بدر الدين العينى. دار إحياء التراث العربي – بيروت.

47. **فتاوى إسلامية**. لأصحاب الفضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز- الشيخ: محمد بن صالح بن محمد العثيمين- الشيخ: عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين- إضافة إلى اللجنة الدائمة، وقرارات المجمع الفقهي. جمع وترتيب: محمد بن عبد العزيز بن عبد الله المسند. دار الوطن للنشر، الرياض. الطبعة الثانية- 1413هـ.

48. **فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الأولى**. المؤلف: اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء. جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش. الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء – الإدارة العامة للطبع- الرياض

49. **فتاوى يسألونك**. تأليف دكتور/حسام الدين بن موسى عفانة. الطبعة الأولى. الناشر: مكتبة دنديس، الضفة الغربية – فلسطين (جزء 1-10)، والمكتبة العلمية ودار الطيب للطباعة والنشر، القدس – أبو ديس (جزء 11-14). 1427 - 1430 هـ

50. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. تأليف ابن حجر العسقلاني. رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي. قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب. دار المعرفة- بيروت، 1379هـ.

51."**فتح الباري شرح صحيح البخاري**". تأليف ابن رجب الحنبلي. تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرون. الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية. الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين – القاهرة. الطبعة الأولى، 1417 هـ – 1996 م

52.**فقه السنة**. تأليف سيد سابق. دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان. الطبعة الثالثة، 1397 هـ – 1977 م.

53.**فى التاريخ الأيوبى والمملوكى**. تأليف الدكتور أحمد مختار العبادى. كلية الآداب جامعة الإسكندرية. الناشر مؤسسة شباب الجامعة. 1992م.

54.**في تاريخ مصر القديمة**. دكتور/ محمد علي سعد الله. مركز الإسكندرية للكتاب. 2001م.

55.**فى ظلال القرآن**. تأليف الأستاذ سيد قطب. دار الشروق. بيروت– القاهرة. الطبعة السابعة عشر– 1412 هـ

56.**قانون الأحوال الشخصية: الرجال يصرخون: أين حقوقنا؟** تحقيق كتبته إيثار حمدي. بوابة أخبار اليوم. 4 يونيو 2022م. تم الدخول إلى الموقع يوم 21 نوفمبر 2022م.

57."**قبل أيام من انطلاقه.. هذه قصة مهرجان القاهرة السينمائي من المهزلة والفشل للنجاح**". جريدة "فيتو" 23/نوفمبر/2021.

58.**قراءة للمستقبل**. تأليف دكتور مصطفى محمود. الناشر مؤسسة أخبار اليوم– مصر– 1990م.

59.**قصة الحضارة**. تأليف وِل ديورَانت. ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرون. مكتبة الأسرة– مصر– 2001م.

60."**قوانين الأحوال**".. **بين حق النساء وقهر الرجال**. بقلم م. أمجد المنذر. صحيفة الوفد (البوابة الإلكترونية). 10 يونيو 2011م. تم الدخول إلى الموقع يوم 21 نوفمبر 2022م.

61.**كتاب الألفاظ**. تأليف ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق. تحقيق د. فخر الدين قباوة. مكتبة لبنان ناشرون. الطبعة الأولى، 1998م.

62. **كليوباترا ملكة مصر**. تأليف سالي–آن أشتون. ترجمة زينب عاطف. مراجعة نيفين عبد الرءوف. الناشر مؤسسة هنداوي سي آي سي. المملكة المتحدة. 2008م.

63. **كومو ليس الأول.. أشهر فضائح الساسة الأمريكيين**. بقلم سامح فواز. بوابة أخبار اليوم. 5 أغسطس 2021م

64. **لسان العرب**. تأليف جمال الدين ابن منظور. الطبعة الثالثة. دار صادر – بيروت، 1414 هـ.

65. **لوامع الدرر في هتك أستار المختصر**. تأليف محمد بن محمد سالم المجلسي الشنقيطي. تصحيح وتحقيق: دار الرضوان. راجع تصحيح الحديث وتخريجه: اليدالي بن الحاج أحمد. الناشر دار الرضوان، نواكشوط– موريتانيا. الطبعة: الأولى، 1436 هـ – 2015 م.

66. **ليز تراس: صاحبة أقصر مدة حكم في تاريخ بريطانيا**. موقع "بي بي سي نيوز عربي". آخر تحديث 20 أكتوبر، 2022م. https://www.bbc.com/arabic/world-62353034

67. **مارين لوبان تحدث ضجة كبيرة بتصريحاتها المناهضة للمسلمين**. فرانس 24. 2010/12/13.

https://www.france24.com/ar/20101213-france-marine-lepen-far-right-racist-statement-islam-nazism-regime

68. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**. تأليف علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي. تحقيق حسام الدين القدسي. مكتبة القدسي، القاهرة. 1414 هـ، 1994م.

69. **مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين**. تأليف محمد بن صالح بن محمد العثيمين. جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان. دار الوطن – دار الثريا. الطبعة الأخيرة – 1413 هـ

70. **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**. تأليف الملا على القاري. دار الفكر، بيروت – لبنان. الطبعة الأولى، 1422هـ – 2002م.

71. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**. تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، وعادل مرشد، وآخرون. إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي. مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى، 1421 هـ – 2001 م.

72. **مسند الفاروق أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقواله على أبواب العلم.** تأليف. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير. تحقيق إمام بن علي بن إمام. دار الفلاح، الفيوم – مصر. الطبعة الأولى، 1430 هـ – 2009 م.

73. **مصر القديمة.** الجزء الثاني (في مدنية مصر وثقافتها في الدولة القديمة والعهد الأهناسي). تأليف سليم حسن. الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1992م.

74. **مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي.** تأليف هـ.آيدرس بل. نقله إلى العربية، وأضاف إليه عبد اللطيف أحمد على. دار النهضة العربية لطباعة والنشر–بيروت– 1973م.

75. **مصرية تقطع العضو الذكري لزوجها وتقتله: 'كان صاحب قوة جنسية مفرطة وزهقت من تعبه ليا.** العين الإخبارية. 2021/5/29م.

76. **مطالع الأنوار على صحاح الآثار.** تأليف إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي، أبو إسحاق ابن قرقول. تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث. الناشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – دولة قطر. الطبعة الأولى، 1433 هـ – 2012 م

77. **معرفة الصحابة.** تأليف أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن موسى بن مهران الأصبهاني. تحقيق عادل بن يوسف العزازي. دار الوطن للنشر، الرياض. الطبعة الأولى 1419 هـ – 1998 م.

78. **معجم اللغة العربية المعاصرة.** تأليف د أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل. عالم الكتب. الطبعة الأولى، 1429 هـ – 2008 م

79. **من يحكم الأسرة في الإسلام: الرجل أم المرأة.** تأليف د. محمد سعيد المكاوي. الناشر منصة أمازون للكتب الرقمية. 2022 م– 1443هـ. رقم أمازون: ASIN: B0B4DVM942

80. **منار السبيل في شرح الدليل.** تأليف ابن ضويان، إبراهيم بن محمد بن سالم. تحقيق زهير الشاويش. المكتب الإسلامي. الطبعة السابعة 1409 هـ–1989م

81. **مواهب الجليل في شرح مختصر خليل.** تأليف شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي. دار الفكر. الطبعة: الثالثة، 1412هـ – 1992م.

82. **موطأ الإمام مالك رواية أبي مصعب الزهري.** تأليف مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني. تحقيق بشار عواد معروف – محمود خليل. مؤسسة الرسالة. 1412 هـ.

83. **موطأ مالك برواية محمد بن الحسن الشيباني.** تأليف مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني. تعليق وتحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف. المكتبة العلمية. الطبعة الثانية، مَزِيَدة منقحَة.

84. **موسوعة الحضارة المصرية القديمة.** تأليف دكتور سمير أديب. العربي للنشر والتوزيع. القاهرة. الطبعة الأولى 2000م.

85. **ميراث المرأة وقضية المساواة.** تأليف الدكتور صلاح الدين سلطان. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة الأولى. فبراير 1999م.

86. **ميزان الاعتدال في نقد الرجال.** تأليف شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قَايْماز الذهبي. تحقيق علي محمد البجاوي. دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان. الطبعة الأولى، 1382 هـ - 1963 م.

87. **نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار.** تأليف بدر الدين العينى. تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر. الطبعة الأولى، 1429 هـ - 2008 م

88. **نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار.** تأليف محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني. تحقيق عصام الدين الصبابطي. دار الحديث، مصر. الطبعة الأولى، 1413هـ - 1993م

89. **هل أهان الإسلام الرقيق: نظرات جديدة في قضية قديمة.** دكتور محمد سعيد المكاوي. الناشر دار فينكس للنشر والتوزيع. 2019م-1439هـ.

90. **يهم ملايين الأسر.. أول حكم قضائى بإلزام الجدة والأم بدفع تعويض للأب مقداره 30 ألف جنيه لعدم تنفيذ حكم الرؤية.. المحكمة استندت على إنذارات التنبيه وشهادة الشهود.. والحيثيات: التعويض لجبر الضرر المادى والمعنوى.** تقرير كتبه علاء رضوان. صحيفة اليوم السابع. 24 يونيو 2020م.

91.**يهم ملايين الأسر.. حكم نهائى بالتعويض لصالح أحد الآباء لعدم تنفيذ حكم الرؤية.. المحكمة تلزم الزوجة بسداد مبلغ 10 آلاف جنيه لتجاهل حكم تمكين الوالد من رؤية طفليه..والحيثيات: المحكمة المختصة بالحكم مختصة بالتعويض.** تقرير كتبه علاء رضوان. صحيفة اليوم السابع. 5 يوليو 2020م.

المراجع الأجنبية

1. **Adolf Hitler.** Mein Kampf. Editorial sponsors: John Chamberlain, Sidney B. Fay, John Gunther et al. REYNAL A HITCHCOCK. New York. USA, 1941.

2. **Anthony J Geroulis and John Fournier.** Napoleon, the Liberator of the Jewish People. The American Journal of Cosmetic Surgery Vol. 26, No.1, 2009

3. **Bernard Baruch.** Jewish Virtual Library. https://www.jewishvirtuallibrary.org/bernard-baruch

4. **Bugh, Glenn Richard , Faris, Nabih Amin , Khalidi, Walid Ahmed , et al.** "Palestine". Encyclopedia Britannica, 5 Jan. 2023, https://www.britannica.com/place/Palestine/From-Alexander-the-Great-to-70-ce. Accessed 17 January 2023.

5. **Bullock, Alan, Bullock, Baron, Knapp, Wilfrid F. and Lukacs, John.** "Adolf Hitler". Encyclopedia Britannica, 4 October 2022, https://www.britannica.comhttps://www.britannica.com/biography/Adolf-Hitler. Access Date: January 24, 2023

6. **David Barno and Nora Bensahel.** The role of Pentagon in the Trump administration. By January 17, 2017. https://warontherocks.com/2017/01/the-role-of-the-pentagon-in-the-trump-administration/; accessed September 16, 2021.

7. **David Clay Large.** Emmanuel Macron Is About to Face Five Years of Crazy Rothschild Conspiracy Theories. *Foreign Policy.* MAY 18, 2017. https://foreignpolicy.com/2017/05/18/emmanuel-macron-is-about-to-face-five-years-of-crazy-conspiracy-theories/

8. **David Rockefeller, Philanthropist Banker, Dies at 101 of Heart Failure**, Haaretz. March 20, 2017. https://www.haaretz.com/us-news/2017-03-20/ty-article/david-rockefeller-philanthropist-banker-dies-at-101/0000017f-e057-d568-ad7f-f37f52b40000

9. **E. A. Wallis Budge**. Osiris and the Egyptian resurrection**.** Page xxii. London: Philip Lee Warner. NewYork: Putnam's sons. 1912.

10. **Encyclopedia Britannica.** "Skull and Bones". 9 Dec. 2022, https://www.britannica.com/topic/Skull-and-Bones-Yale. Accessed 21 January 2023.
11. **Encyclopedia Britannica**. "David Rockefeller". 8 Jun. 2022, https://www.britannica.com/biography/David-Rockefeller. Accessed 20 January 2023.

12. **Etka Liebowitz.** Queen Alexandra: The Anomaly of a Sovereign Jewish Queen in the Second Temple Period**.** Thesis submitted for the degree of "Doctor of Philosophy". Under the supervision of Professor Daniel R. Schwartz. Submitted to the Senate of the Hebrew University of Jerusalem. November 2011

13. **Flavius Josephus.** The Antiquities of the Jews. Translated by William Whiston. Book XIII, chapter 16. Release Date: January 4, 2009 [EBook #2848]. Project Gutenberg. https://www.gutenberg.org/ebooks/2848

14. **General Michel Franceschi and Ben Weider.** The Wars Against Napoleon: Debunking the Myth of the Napoleonic Wars. Translated by Jonathan M. House. Published by Savas Beatie. New York and California.2008.

15. **Holocaust Encyclopedia.** Freemasonry under the Nazi regime. Author: United States Holocaust Memorial Museum, Washington, DC. Last Edited: Oct 27, 2005. https://encyclopedia.ushmm.org/content/en/article/freemasonry-under-the-nazi-regime; accessed Janurary 27, 2023.

16. **Ishwari Prasad**. A short history of Muslin rule in India. Published by the Indian Press, limited, ALLAHABAD. Second edition. 1931.

17. **Jacob Henry Schiff.** Jewish Virtual Library. https://www.jewishvirtuallibrary.org/jacob-henry-schiff

18. **Jewish Telegraphic Agency.** Where Judaism and Rockefellerism Join: Meet the Rockefeller-growalds. https://www.jta.org/archive/where-judaism-and-rockefellerism-join-meet-the-rockefeller-growalds

19. **JTA**. French Jewish leader blasts politician whocalled Macron 'President Rothschild'. *The Times of Israel*. 31 August 2018.

20. **Knight, George Angus Fulton.** "Maccabees". Encyclopedia Britannica, 5 Jan. 2023, https://www.britannica.com/topic/Maccabees. Accessed 17 January 2023.

21. **Margaret R. Bunson.** Encyclopedia of ancient Egypt. Revised edition. Facts, On File, Inc. 2002, USA.

22. **Jomepour, Rahele,** "Women in Iran: ancient history to modern times, and back" (2015). *Graduate Theses and Dissertations*. 14396. https://lib.dr.iastate.edu/etd/14396 ; [A thesis submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of MASTER OF FINE ARTS]

23. **Lisa Sabbahy.** Women, Pharaonic Egypt. The Encyclopedia of Ancient History, First Edition. Edited by Roger S. Bagnall, Kai Brodersen, Craige B. Champion, Andrew Erskine, and Sabine R. Huebner, print pages 7126–7128. Blackwell Publishing Ltd. Published 2013 by Blackwell Publishing Ltd. DOI: 10.1002/9781444338386.wbeah15420

24. **Living in Ancient Egypt.** Page 43. Series consultant editor: Norman Bancroft Hunt. Chelsea House, An imprint of Infobase Publishing. Printed in China, 2009.

25. **Louis Ginzberg.** ALEXANDRA (SALOME; full Jewish name Shalom Zion). Jewish Encyclopedia. https://www.jewishencyclopedia.com/articles/1167-alexandra

26. **Morris L. Bierbrier.** Historical dictionary of Ancient Egypt. Second edition. The Scarecrow Press, In, USA, 2008.

27. **Nicholas Goodrick-Clarke.** The Occult Roots of Nazism: Secret Aryan Cults and their Influence on Nazi Ideology. Published in 2004 by Tauris Parke Paperbacks. Reprinted in 2005. London.

28. **Otto Hermann Kahn.** Jewish Virtual Library. https://www.jewishvirtuallibrary.org/kahn-otto-hermann

29. **Oxy. 744**, in Mary F. Lefkowitz and Maureen B. Fant, ed., Women's Life in Greece and Rome: A Sourcebook in Translation (Baltimore: The Johns Hopkins UP, 2005), 187.

30. **Rudolf Glandeck von Sebottendorff.** Website of "Grand Lodge of British Columbia and Yukon". https://freemasonry.bcy.ca/anti-masonry/sebottendorff_r.html. Accessed January 27, 2023.

31. **Stephen Birmingham.** The grandees: America's Sephradic elite. Open Road Integrated Media New York.

32. **Stoet G, Geary DC.** Sex differences in mathematics and reading achievement are inversely related: within- and across-nation assessment of 10 years of PISA data. PLoS One. 2013;8(3):e57988. doi: 10.1371/journal.pone.0057988.

33. **Stoet G, Bailey DH, Moore AM, Geary DC** (2016) Countries with Higher Levels of Gender Equality Show Larger National Sex Differences in Mathematics Anxiety and Relatively Lower Parental Mathematics Valuation for Girls. PLoS ONE 11(4): e0153857. doi:10.1371/journal.pone.0153857

34. **Suzanne Goldenberg.** Skeletons in the closet. The Guardian. May 20, 2004. https://www.theguardian.com/world/2004/may/20/usa.internationaleducationnews. Accessed January 21, 2023.

35. **The U.S. Federal Bank Reserve's Jewish Origins.** HAARETZ. November 30, 2015. https://www.haaretz.com/jewish/2015-11-30/ty-article/u-s-federal-bank-reserve-a-jewish-story/0000017f-f42c-d47e-a37f-fd3cdd110000

36. **The Rockefeller family secret Jews**! http://www.israelect.com/reference/WillieMartin/NEWS-11.htm

37. **Tolley K.** The Science Education of American Girls: A Historical Perspective. London: Routledge; 2003.

38. Tyldesley, J. (2022, November 3). Cleopatra. Encyclopedia Britannica. https://www.britannica.com/biography/Cleopatra-queen-of-Egypt

39. **Wente, E. F. , Baines, . John R. , Bowman, . Alan K. , Dorman, . Peter F. and Samuel, . Alan Edouard.** "ancient Egypt." Encyclopedia Britannica, November 8, 2022. https://www.britannica.com/place/ancient-Egypt.

كتب للمؤلف

1- هل أهان الإسلام الرقيق؟ نظرات جديدة فى قضية قديمة

2- هل معجزات الأنبياء مستحيلة؟

3- أكذوبة الملحد الطيب: إثبات فساد الأخلاق فى غياب الدين

4- ما بعد الحداثة تجتاح ديار الإسلام

5- لماذا آمنتُ بالآخرة؟

6- من يحكم الأسرة في الإسلام: الرجل أم المرأة؟

7- الزواج المبكر بين حقائق الإسلام وأساطير الإعلام